

النحو الميسر

تأليف
الدكتور محمد خير حلواني

الجزء الأول

دار المأمون للتراث


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النحو الميسر

الجزء الأول

الطبعة الأولى

1435 هـ - 2013 م

يطلب من :



دمشق - شارع الجمهورية - ص.ب: 4971
هاتف: 00963112227209 - تلفاكس: 00963112229820
E-mail: dar.almamoun@gmail.com



ISBN 978-9933-498-90-0

النحو الميسر - 2/1 جزء - المؤلف / الدكتور محمد خير الحلواني

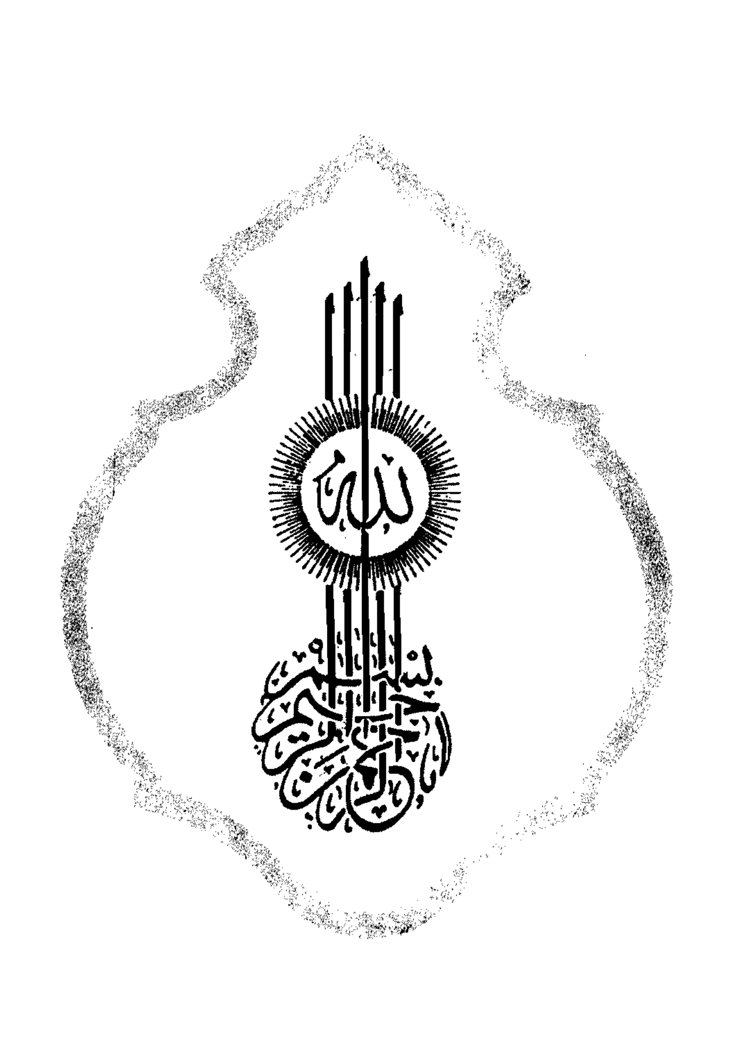

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


النحو الميسر


تأليف
الدكتور محمد خير حلواني

الجزء الأول


دار المأمون للتراث


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

وضعت هذا الكتاب وفيَّ رغبةٌ ملحَّةٌ أن يكون زادَ الأديب ، ومرجع الطالب ، وموئل المدرس ، يتزود منه الأول بما يحتاج إليه لتستقيم عبارته ، وتصح قوافيه ، ويرجع إليه الثاني ليجد كيف يُسَهَّل عويصُ النحوِ ، ويُذَلَّل صَعْبُهُ ، ويؤول إليه المدرس ـ في الثانويات أو في الجامعات ـ ليلتمس منه شواهد جديدة مُستقرأةً من آي القرآن الكريم ، ومن شعر العرب ، فيستعين بها على مزج النحو بالأدب ، وعلى جعل القاعدة تستنتج من النص .

وقد جمع هذا الكتاب في دفتيه جُلَّ النحو العربي ، وعالجه معالجةً حديثة اهتمت بالتسهيل والتيسير ، ولم تَغْفُل عما جَدَّ في ميدان « اللسانيات » المعاصرة ، كما لم تُهمل أسلوب القدماء في التناول والعرض ، والارتكاز على « المعياريّة » أحياناً ، وسبب ذلك أنه قصد إلى طبقةٍ خاصة من القراء ، فيهم الأديبُ الذي يريد أن يعرف المستخدَم من القواعد دون المهمل ، وفيهم الطالب الذي تُتْعِبه عبارة ابن عقيل في شرح الألفية ، أو عبارة ابن هشام في « شذوره » أو « مُغْنيه » ، وفيهم المدرس الذي يقرر قواعد النحو القديمة بأسلوب تربوي خاص . ولهذا كله لم يكن من غرض هذا الكتاب أن يَرود آفاقاً جديدة ثم يرجع ببنية حديثة للنحو العربي ، لأنه يدرك أن الوقت لم يحِنْ بعدُ لظهور طبقة من القراء في المشرق العربي تستسيغ قراءة النحو العربي بأسلوب لساني توليدي تحويلي ، وإذا ظهر في تونس والمغرب مثل هذه الطبقة منذ سنوات قلائل ، ونجم فيهما من يُطوّع قواعد العربية لغرض لساني يعتمد

« التحويلية التوليدية » ، أو « الوظيفية » الحديثية التي انبثقت عنها[1] ، فلأن الملابسات الثقافية الجديدة دخلت الجامعة المغربية ، وتوغّلت في أقسام اللغة العربية ، على حين ظلت في المشرق العربي وقفاً على قسمي اللغة الفرنسية ، واللغة الإنكليزية ، وظل مايسمى فيها « فقه اللغة » عالة على « مزهر » السيوطي ، وحسبه مطمحاً أن يتجاوزه إلى أفق ابن جني و « خصائصه » في بعض الجامعات .

ذاكم هو غرض الكتاب ، وتلكم هي آفاقه ، والله أسأل أن يجد فيه المثقف العربي بغيته ، وماينشده من اليسر في فهم النحو الذي عقده أهله .

١٥/١/١٩٨٧ م

د . محمد خير الحلواني

(١) انظر كتاب الزميل الدكتور عبد القادرالفاسي الفهري . اللسانيات واللغة العربية . وكتابي الزميل الدكتور أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية . ودراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي . (الكتابان : نشر دار الثقافة . الدار البيضاء) .

القسم الأول

المعرب والمبني من الكلمات

آ ـ أقسام الكلام العربي

يتألف الكلام العربي من ثلاثة أنواع من الكلمات ، هي : الاسم ، والفعل ، والحرف[1] ، ولكل منها أقسام وفروع يُدْرَسُ بعضها في علم النحو ، ويدرس بعضها الآخر في علم الصرف .

١ ـ الاسم

يتميز الاسم من الفعل والحرف بخصائص كثيرة ، اقتصر النحويون المتأخرون على خمس منها سموها « علامات الاسم » ، هي الجر ، والتنوين ، وأل ، والنِّداء ، والإسناد[2] ، وذكر المتقدمون منهم خصائص أخرى توزعت في مواضع متفرقة من كتبهم ، وهي ـ في مجموعها ـ خليط من السِمات الصرفية ، والنحوية ، والدلالية ، فقد كان القدماء لايأبهون لتوزيع الخصائص وتنظيمها ، بل يخلطون بعضها ببعض . ومن أجل ذلك رأيت أن أجعل مميزات الاسم تندرج في الحقول التالية :

آ ـ خصائص الاسم الصرفية :

١ ـ يتميز الاسم بأنه ذو بِنْيةٍ لفظية لاتزيدُ مكوناتها على خمسة أحرف أصلية ، إلى جانب الحركات الداخلية التي هي أصوات علة قصيرة ، مثل : فرزدق ، وسفرجل . وقد يكون إلى أربعة أحرف ، مثل : ضِفْدِع ، وبُرْقُع . أو على ثلاثة مثل : جبل ، ورجل .

---

(١) يضيف بعض النحويين قسماً رابعاً يسميه الخالفة ، ويريد به « اسم الفعل » .

(٢) قال ابن مالك في ألفيته :

بالجر والتنوينِ والنِدا وأَلْ ... ومسندٍ للاسم تمييز حَصَلْ

وهناك أسماء ثنائية المظهر ، مثل : يد ، دم ، أخ ، أب . ومنها : شفة ، ولغة ، وكرة ، وسنة ، والتاء فيها للتأنيث . ولكن هذه الأسماء تتحول إلى ثلاثية عند تصريفها ، كأن تثنى مثل : أخوان ، وأبوان . أو تجمع : الإِخْوَةُ ، والأيدي ، والدماء ، و ينسب إليها : لغوي ، كروي ، شفهي . ولذلك ذهب الصرفيون إلى أن هذه الأسماء ثلاثية لا ثنائية ، ولكن حذفت لاماتها حذفاً اعتباطياً .

هذه هي أبنية الاسم ـ ولم أتحدث عن صيغه(١) ـ إلا أن هناك طائفةً من الأسماء المبهمة ، يقال لبعضها ضمائر ، ويقال لبعضها الآخر أدوات ، وهذه الطائفة تختلف في وضعها البنيوي عن الأسماء العامة ، فمنها مايكون أُحادياً ، كضمائر الرفع : تاء المتكلم (تُ) ، وتاء المخاطب (تَ) وتاء المخاطبة (تِ) ، ونون النسوة (نَ) ، وألف الاثنين ، وواو الجماعة ، وكبعض الضمائر المشتركة في النصب والجر ، مثل : هاء الغَيبة ، وكاف الخطاب ، وياء المتكلم ، و . . . وبعض هذه الأسماء ثنائية مثل : مَنْ ، ما ، في الاستفهام أو الشرط أو الموصولية . ومثل : هوَ وهيَ ، و « نا » ، و « ها » . وبعضها ثلاثي مثل : نحن ، كيف ، أين ، متى . وبعضها رباعي مثل : أنَّى ، وبعضها خماسي مثل : أيَّانَ .

٢ ـ وللاسم لواحق ، ولاصقة واحدة ، وواسطة واحدة أيضاً ، أما اللواحق فكثيرة ، يدل بعضها على التأنيث مثل : لَيْلٌ ، ليلةٌ ، ليلى ، ليلاء . ويدل بعضها الآخر على العدد ، مثل : قائم ، قائمانِ ، قائميْنِ ، قائمونَ ، قائِميْنَ ، قائمات . ويدل بعض منها على نسبةٍ ، كالياء المشددة ، مثل : دمشق ، دمشقيّ .

وأهم لواحق الاسم « التنوين » وهو نون ساكنة تقع في الاسم غير

(١) انظر في ذلك كتابنا : الجديد في علم الصرف العربي . ولم أتحدث عن صيغ الاسم الثلاثي والرباعي والخماسي المجرد ، وعن صيغ المزيد ، لأن ذلك من علم الصرف .

المحلى بأل ، وغير المضاف ، وغير الممنوع من الصرف ، مثل : رجلٌ ، وقلماً ، وقلمٍ .

أما اللاصقة فهي التي تتصل بأوله ، وهي « أَلْ » ، وتفيد تعريفه ، أو تفيد معنى آخر ، كتعريف الجنس ، وقد تكون موصولةً ، أو زائدة ،

وأما الواسطة فهي ياء التصغير ، مثل : قمر ، قُمَيْرٌ . وكتاب ، كتيِّبٌ . وعصفور ، عصيفير .

ب ـ خصائص الاسم النحوية :

تبيّن لك مما تقدم أن الخصائص الصرفية للاسم تخص لفظه بمعزل عن التركيب ، أما الخصائص النحوية فهي تركيبية تخص علاقات الاسم بغيره من عناصر الجملة .

١ ـ وأول خصائصه النحوية هي أنه ينهض بأكبر عبءٍ من أعباءِ التعبير ، فهو الذي يشغل مواقع المرفوعات : الفاعل ، ونائبه ، والمبتدأ ، وخبره ، ومواقع المنصوبات : المفعولات الخمسة ، والتمييز ، والمستثنى ، والحال ، والمنادى . ومواقع المجرورات ، والتوابع . وتشركه الجملة ـ لا الفعل ولا الحرف[١] ـ في بعض هذه المواقع .

٢ ـ ولكثرة هذه الوظائف النحوية كان معرباً ، ليكون هذا الإعراب وسيلة تعبيرية عامة عن معاني النحو . فالمسند والمسند إليه مرفوعان إذا عريا من عوامل النصب والجر . ومايفيد الإضافة يُجَرُّ ، ومايكون غيرَ ذلك ينصب .

ويستثى من ظاهرة الإعراب هذه الأسماء المبهمة : كأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة . والأدوات : كأسماء الشرط والاستفهام ، و « كم » الخبرية ، و « ما » التعجبية . فهي مبنية لامعربة كما سوف نرى .

(١) الجملة ما كان فيها إسناد ، كالفعل والفاعل ، والمبتدأ والخبر . أو ما كان أصلهما كذلك . أما الفعل وحده فجزء من الجملة .

ويختص الاسم ، من دون الفعل والحرف ، بقبوله حركة الكسر ، ويشترك مع الفعل بقبول الحركتين الأخريين : الفتح والضم . ويختص الفعل المضارع بالجزم ، كما سوف نرى .

٣ ـ ومن خصائص الاسم النحوية أيضاً أنه يعود إليه ضمير من كلمة أخرى في الجملة ، مثل :

« الصَّبُّ تَفْضَحُهُ عيونُهُ » .

فالضمير المتصل في الفعل « تفضح » ، يعود إلى « الصب » . وكذلك يعود إليه الضمير المتصل في « عيون » . ولذلك هو اسم ، لافعل ، ولاحرف .

ومن هنا استدل النحويون على أن « أل » الداخلة على اسم الفاعل ، أو اسم المفعول ، اسمٌ موصول ، لاحرف ، لأنك إذا قلت جاء القاتِلُ . أو دُفن المقتولُ . كان في كل من اسم الفاعل « القاتل » ، واسم المفعول « المقتول » ضمير مستتر يعود إلى « أل » ، إذ ليس في الجملة ما يعود إليه سواها .

وكذلك استدل النحاة أيضاً على أن « مهما » الشرطية اسم لاحرف لأنها يعود إليها ضمير ، مثل : ﴿ وقالوا : مهما تأتنا به من آيةٍ لتسحرنا بها . . . ﴾ (الأعراف : ١٣٣) فالضمير في قوله (به) يعود إلى « مهما » ، وهذا دليل اسميتها .

٤ ـ ومن خصائص الاسم أيضاً أنه يبدل منه اسم . وقد يكون هذا بديهياً ، إلاأن أهمية هذا المعيار تظهر في الأسماء المبهمة ، أو في الأدوات ، فقد استدل النحاة على اسمية « كيف » بعدة أدلة من بينها أنها يُبْدَل منها الاسم ، مثل : كيف أبوكَ أصحيحٌ أم سقيم ؟ فالاسم « صحيح » بدل من « كيف »[١] .

ويمكن أن نلحق بهذا أن الاسم مما يوصف ، تقول : ذهب أحمدُ الشاعرُ . ولايوصف الفعل . ولا الحرف[٢] .

---

(١) انظر : مسائل خلافية في النحو . للعبكري . المسألة : ٣ ، ص : ٥١ .

(٢) هذه الخصائص ليست عامة مشتركة في جميع الأسماء ، بل في بعضها دون بعض .

ج ـ الخصائص الدلالية :

وللاسم دلالات تختلف عن دلالات الفعل والحرف ، فقد يدل على ذاتٍ حسية ، مثل : شجرة ، ورجل ، وحقل . وقد يدل على حدثٍ غير مقترنٍ بزمانٍ ، مثل : ركضٌ ، وانتصار ، وفرح . وقد يدل على صفةٍ مّا ، مثل : ناجح ، ومرغوب ، وحسن وأكرم .

وقد يكون لبعض الأسماء دلالات أسلوبية ، كالشرط ، والاستفهام ، كما يدل بعضها الآخر على معانٍ حرفية ، كالإشارة ، أو المخاطب ، أو الغائب ، أو المتكلم ، أو التعجب .



٢ ـ الفعل

وهذا هو القسم الثاني في الكلام العربي ، ويتميز من الاسم ببنيته اللفظية ، إذ أن له صيغاً خاصة محدودة ، سوف تمر بك بعد قليل . ومن خصائصه البنيوية أنه لايقل عن ثلاثة أحرف ، ولايزيد على أربعة ، على حين رأينا الاسم يترجَّحُ بين الخماسي والأُحادي .

يضاف إلى ذلك أن خصائصه النحوية تختلف عن خصائص الاسم ، فهو لايشغل وحده وظيفة نحوية في الجملة ، فلا يكون مبتدأ ، ولاخبراً ، ولا فاعلاً ، ولا مفعولاً من المفعولات ، ولا منادىً ، ولا مستثنىً ، ولاتمييزاً . ولكنه قد يشغل بعض هذه الوظائف باعتباره جزءاً من جملة .

والفعل ثلاثة أقسام يختلف بعضها عن بعض من حيث الدلالة على الزمان . ومن حيث البنية الشكلية ، وهي : الفعل الماضي ، والفعل المضارع ، وفعلُ الأمر .

آ ـ الفعل الماضي :

الفعل الماضي في اللغة العربية هو أصل الأفعال ، لأن الفعل المضارع يشتق منه ـ كما سوف نرى ـ ولأن فعل الأمر يشتق من المضارع .

١ ـ وللفعل الماضي المجرد صيغتان ، أولاهما : « فَعَلَ » ، وهي للثلاثي ، والثانية : « فَعْلَلَ » ، وهي للرباعي . ثم تلحق كلاً منهما زوائد لأغراض دلالية ، كما ترى في :

١ ـ فعلَ ، أفعلَ ، فَعَّلَ ، فاعَلَ ، افتَعَلَ ، انْفَعلَ ، افعلَّ ، ستفعلَ . . .

٢ ـ فَعْلَلَ ، تَفَعْلَلَ ، اِفْعَلَلَّ ، اِفعنْلَلَ . . .

٢ ـ ويدل الفعل الماضي على حدثٍ مقترنٍ بالزمن الماضي ، مثل : وصلَ الموكبُ ، وقعدَ الناسُ ، وبدأ العرضُ . تلك هي دلالته الصرفية

الثابتة ، ولكنّ له دلالةً نحويةً تركيبية قد تطابق هذا ، وقد تخالفه ، وقد تنوعُه . إذ قد يدل على زمنٍ ماضٍ قريب ، أو بعيد ، وقد يدل على الحال ، أو على الاستقبال ، وسوف نتحدث عن هذا في موضعه من هذا الكتاب[١] .

٣ ـ وللفعل الماضي لاحقتان تميزانه من غيره ، هما تاء التأنيث الساكنة ، وتاء الفاعل المتحركة . فهاتان اللاحقتان لا تلحقان بالفعل المضارع ، ولا بفعل الأمر . بل تلحقان به ، كقول جعفر بن عُلَّبة :

أتتنا فحيَّتْ ثم قامتْ فودَّعَتْ   فلمّا تولَّتْ كادتِ الروحُ تَزْهَقُ

وتقولُ : علمتُ ، وكتبتَ ، وقرأتِ .

على أن تاء التأنيث قد تحرك بالكسر لالتقاء الساكنين ، كما رأيتَ في (كادتِ الروحُ) من قول الشاعر . ومثله : سافرتِ الطالباتُ ، ووصلتِ المواكبُ ، وأشرقتِ الشمسُ . وتحرك بالفتح إذا وليها ألف الاثنين ، مثل : قامَتا ، وقعدتَا ، وتحدثتَا . غير أن الحركة عارضة ، والأصل فيها السكون . وبهذا تتميز عن التاء التي تلحق أحياناً ببعض الحروف ، مثل : ثُمَّ ، ثمَّتَ . ومثل : رُبَّ ، رُبَّتَ .

هذا وهناك أفعال لاتقبل التاء مع أنها أفعال ماضية ، مثل أفعال الاستثناء ، وهي ثلاثة : عدا ، خلا ، حاشا . فإذا لم تكن للاستثناء قبلتها . ومثل الفعل « حَبَّ » من : حبذا ، ولاحبذا .

ب ـ الفعل المضارع :

١ ـ سمي هذا الفعل « مضارعاً » لأنه ضارع اسم الفاعل في لفظه ومعناه . أما في اللفظ فالشبه واضح بينهما :

مُخْرِج ـ يُخْرِج .

يكتَب ـ كاتب .

(١) هناك أفعال تفيد الإنشاء : كفعلي التعجب ، وأفعال المدح والذم . لاتدل على الزمن الماضي بل على الزمان الحاضر ، وهناك الفعل الناقص (كان) الذي لايدل على حدثٍ ، كما يرى الكثير من النحاة .

وأما في المعنى فالفعل المضارع يدل على زمنٍ عام ـ كما سوف ترى ـ فإذا دخلته « لم » جعلته للماضي ، وإذا دخلته لام الابتداء « لَيَكتبُ » جعلته للحاضر ، وإذا دخلته « سوف » جعلته للمستقبل . وبهذا تُحدَّد دلالتُهُ على الزمان بمثل هذه الأدوات ، وكذلك الاسم ، يكون نكرة فتعرِّفه « أل » ، والنكرة شيوعٌ ، والتعريف تحديد .

ثم إن الفعل المضارع يشبه الاسم في سلوكه التركيبي ، إذ تدخله لام التوكيد ، فتقول مثلاً : يشتدُّ الهواءُ حتى ليكادُ يقتلعُ الأشجار ، وتقول : لقد زاد مرضه حتى إِنه لَيُشرِفُ على الهلاك . كما تقول : ﴿ إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير ﴾ (العاديات : ١١) .

يضاف إلى ذلك أنه كالاسم في توارد المعاني النحوية عليه ، فإذا قلت : ضربَ عليٌّ خالداً . كان الضارب « علي » ، وكان المضروب « خالداً » . وإذا قلت : ضربَ علياً خالدٌ . انعكس الأمر . فالرفع يدل على الفاعلية في الاسم . والنصب يدل على المفعولية ، ومثلُ هذا يحصل في الفعل المضارع ، لاحظ الجملتين التاليتينِ :

ـ لاتأكلْ وتضحكْ .

ـ لاتأكلْ وتضحكَ .

الفعل المضارع « تضحك » مجزوم في الأولى ، منصوب في الثانية ، وهذا يعني أن المعنى في الجملة الأولى يختلف عن المعنى في الجملة الثانية ، في الأولى يُنْهى المخاطب عن الأكل والضحك نهياً مطلقاً . وفي الثانية لايُنهى عنهما ، بل عن الجمع بينهما في وقتٍ واحد .

٢ ـ وصيغ المضارع تشتق من صيغ الماضي ، وتُلصق به لواصقُ لابُدَّ منها ، هي أربع زوائد : الهمزة ، مثل : أكتبُ . والنون مثل : نكتبُ . والياء مثل : يكتب . والتاء مثل : تكتب . وإذا كان في الفعل الماضي زوائد لحقت بالمضارع منه ، مثل : احتمل ، يحتمل . تدحرج ، يتدحرج . تقابلَ ، يتقابل . إلا همزة الوصل التي تكون في أول الفعل الماضي ، كما رأيت في الفعل الأول « احتمل » . ولذلك كان لكل صيغة ماضية صيغة مضارعية ، إلا

إذا كان الفعل جامداً لايتصرف .

٣ ـ ويدل المضارع على الحدث المقرون بالزمان ، ولكن دلالته على الزمان عامة ـ كما رأيت ـ فقد تكون للحاضر ، وقد تكون للمستقبل . وقد يدل على الماضي في التركيب .

٤ ـ أما علامات الفعل المضارع التي تميزه من الفعل الماضي ، ومن فعل الأمر ، فثلاثة ، هي :

آ ـ حرفا التسويف ، تقول : يلعَبُ ← سيلعبُ ، سوف يلعب .

ب ـ أحرف الجزم ، تقول : يربحُ ← لم يَرْبَحْ ، لِيَرْبَحْ ، لاتَرْبَحْ .

ج ـ أحرف النصب ، تقول : يحمِلُ ← أَنْ يحملَ ، لن يحملَ ، كي يحملَ[1] .

ج ـ فعل الأمر :

١ ـ تؤخذ صيغ فعل الأمر من صيغ الفعلِ المضارع ، وتلحق به زياداته ، ولكن قد يحذف بعضها لعوارض صوتية . وهو يدل على طلب إحداث فعلٍ في المستقبل ، مثل : اكتبْ ، واسمعْ ، واذهبْ . وقد يحول السياقُ معناه من الأمر إلى الدعاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ ... واعفُ عنا واغفرْ لنا ، وارحمنا ، أنتَ مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين .﴾ (البقرة : ٢٨٦)

٢ ـ أما علاماته المميزة له فليست لفظية فحسب ، بل هي دلالية لفظية معاً ، فلمعرفة فعل الأمر لابد من إدراك معناه ، وهو الطلب على سبيل الأمر ، أو الدعاء ، ثم إلحاق ياء المخاطبة به ، مثل : اِضرِبْ ، اِضربي . أو نون التوكيد ، مثل اِذْهبْ ، اِذهبَنَّ .

☆ ☆ ☆

(١) بعض هذه العلامات لها ما يشبهها في غير المضارع ، كأَنْ ، المصدرية ، و« لا » النافية ، وكل منهما تدخل على الفعل الماضي . ولكن بشيء من الانتباه يمكن التمييز بين العلامات المتشابهة .

٣ ـ الحرف

وهذا هو القسم الثالث من أقسام الكلمة ، ووظيفته الربط بين عناصر التركيب ، وإضافة معانٍ نحوية أو أسلوبية إلى الكلام ، لاحظ العبارة التالية :

خرج الناسُ « من » القاعة .

فأنت ترى أن « من » لازمة ، ولو حذفت لصار الكلام مشوهاً ، لأن بعضه منقطع عن بعض ، فهي إذن أداة ربط . ثم إنها أضافت معنى جديداً للكلام ، وهو « ابتداء » الخروج ، أي أن خروجهم ابتدأ من القاعة . لاحظ أيضاً الجملتين التاليتين :

ـ دخلَ عليٌّ .

ـ خرج سميرٌ .

إنهما جملتان مستقلتان ، ومن الممكن أن يربط بينهما الحرف ، فيقال : « إن دخل عليٌّ خرجَ سميرٌ » . وإلى جانب هذا الربط أضاف إليها معنى أسلوبياً هو الشرط . وهكذا تفعل أحرف الاستفهام ، والشرط ، والعطف ، والتعليل ، والتوكيد ، و . . .

وللحرف ثلاثة أنواع ، هي :

١ ـ حرف يختص بالاسم : ولايدخل على الفعل ، كالأحرف الناسخة : إِنَّ ، أَنَّ ، كأنَّ ، وأمثالها . وكأحرف الجر ، مثل : في ، عن ، من ، إلى ، وأمثالها .

٢ ـ حرف يختص بالفعل : ولايدخل على الاسم ، كجوازم المضارع لم ، لما ، لام الأمر ، « لا » الناهية . وكناصِبَيْه أَنْ ، لنْ .

٣ ـ حرف مشترك : يدخل على الأسماء ، وعلى الأفعال ، كأحرف العطف ، وكحرفي الاستفهام : الهمزة ، و (هل) . و « ما » و « لا » النافيتين . و « إذن » و « كَيْ » .

ويترجح الحرف من حيث البنية اللفظية بين الأُحادي والخماسي . فمنه مايكون على حرف واحد ، كاللام ، والباء ، والكاف ، الجارّات . ومنه مايكون على حرفين مثل : أَنْ ، لم ، في ، عن ، من ، لن . ومنه مايكون على ثلاثة مثل : ليت ، إنَّ ، أَنَّ . ومنه مايكون على أربعة مثل : كأنَّ ، لعلَّ . ومنه مايكون على خمسة مثلَ : لكنَّ .



ب ـ الإعراب والبناء

هذان مصطلحان شائعان في النحو العربي ، فما المرادُ منهما ؟ أما الإعراب فيطلق على شيئين :

أولهما : معنوي ، ويُقصد به تَغيُّرُ أواخر الكلمات المعربة ، ليكون هذا التغيُّرُ دليلاً على الوظائف النحوية التي تقوم بها الكلمة ، و « التغيُّرُ » ـ كما هو معروف ـ معنى ذهني ، لأنه مصدرٌ للفعل : تغيَّرَ . ولكنه يتجسَّد في الحركات الثلاث : الضمةِ ، والفتحةِ ، والكسرةِ ، وفي الجزمِ ، إذا كانت الكلمة المعربة فعلاً مضارعاً .

وثانيهما : حِسّي ، ويقصَدُ به هنا الحركاتُ نفسها ، فالضمة مثلاً إعراب لأنها تدل على أن الكلمة واقعةٌ موقعَ المسندِ إليه في الجملتينِ : الاسمية والفعلية . أو موقع المسندِ أحياناً في الجملة الاسمية خاصةً . وكذلك تُعَدُّ الفتحة ، والكسرة ، والسكون ، إعراباً ، لأن لها دلالاتٍ وظيفيةً في بنية الكلمة ، فالفتحة حركة تلحق المتمماتِ من الكلمات ، أي ماليس بمسند أو مسند إليه ، والكسرة تلحق المتمم المسبوق بحرف جر ، أو المسبوق باسم مضاف . والجزمُ له وظائفُ دلاليةٌ في الفعل المضارع ، وسوف نقف على بعضها قريباً .

وأما البناء فهو لُزومُ آخرِ الكلمة ضرباً واحداً من الحركة أو السكون لاتَحيدُ عنه ، مهما كان موقعُها من التركيب ، ومهما كان العاملُ النحويُّ قبلها .

وتنقسم كلمات اللغة العربية بحسب هذا المعيار قسمين :

١ ـ الكلمة المعربة :

وهي الكلمة التي تؤثر فيها العواملُ النحوية ، فترُفَعُ إذا وقعت بعد عاملِ

رفع ، وتنصب وتجر وتجزم إذا تسلّط عليها عامل نصب أو جر أو جزم ، كالكلمة : ربيع . لاحظ كيف تتغير حركات الإعراب على حرفها الأخير ، ويقال له : حرف الإعراب :

- أتاكَ الربيعُ الطَلْقُ . ← مرفوعة .
- يفرح الناسُ بالربيعِ الطَلْقِ . ← مجرورة .
- إنَّ الربيعَ فصلٌ من فصول السنة . ← منصوبة .

وكذلك الفعل المضارع ، يقع منصوباً بعد (أَنْ ، ولن ، وكي ، وإذن) ومجزوماً بعد (لم ، ولمّا ، ولام الأمر ، ولا : الناهية) . مثلاً .

ولعلك عرفت مما تقدَّم أن الفعل عامل رفع ونصب ، لأنه يرفع الفاعل وينصب المفعولات والحال وأمثالها من المتممات . وعرفت أيضاً أن أحرف الجر عوامل جر ، و أنَّ « أَنْ » وأخواتها عوامل نصب ، و « لم » وأخواتها عوامل جزم ، وهكذا . . .

٢ ـ الكلمة المبنية :

أما الكلمة المبنية فلا تتأثر بالعواملِ السابقة ، بل تبقى حركتها ثابتةً مهما كان العامل قبلها ، ولنأخذ على سبيل المثال الكلمة « أمسِ » ، نقول :

- ذهبَ أَمْسِ بما فيه .
- إنَّ أمسِ خيرٌ من هذا اليوم .
- لقيتك أَمْسِ في المتحف .

ففي الجملة وقعت « أَمسِ » فاعلاً ، وسبقت بعامل رفع ، وهو الفعل : ذَهَبَ .

ومع ذلك لم ترفع ، بل بقيت على حركتها الثابتة وهي الكسرة . وكذلك حصل في الجملتين الأخريين ، فهي في الأولى منهما واقعة تحت سلطة عامل النصب « إِنَّ » ، وفي الثانية وقعت ظرفاً للفعل « لقي » ، ومع ذلك لم تنصب في كلتيهما ، بل حافظت على حركتها ، وسبب ذلك أنها حركة بناء لا حركة إعراب .

٣ ـ كلمات العربية بين الإعراب والبناء :

وتتوزع كلمات اللغة العربية بين هاتين الزمرتين : زمرة المعربات ، وزمرة المبنيات . إلا أن توزعها لايخلو من تداخل .

فالأسماء في الأصل معربة ، إلا أن ثمة أسماءً تشبه الأحرف في سمة من سماتها فتبنى ولاتعرب . والأفعال في الأصل مبنية ، ولكن بعضها يشبه الأسماء ـ كالفعل المضارع ـ فيعرب . أما الحروف فمبنية كلها .

وهكذا يكون توزيع الكلمات على الشكل التالي :

آ ـ المبنيات :

- ـ الفعل الماضي .
- ـ فعل الأمر .
- ـ الفعل المضارع : إذا اتصلت به نون التوكيد أو نون النسوة .
- ـ بعض الأسماء : كأسماء الشرط ، والاستفهام ، والإشارة ، والموصولات .

ب ـ المعربات :

- ـ الاسم المتكمن .
- ـ الفعل المضارع الذي لم تتصل به نون التوكيد أو نون النسوة .

على أن هذا التوزيع ليس بحاسم ، فهناك أسماء تبنى في موضع ، وتعرب في موضع آخر ، كالأسماء : حين ، ويوم ، وأمسِ ، وقبل ، وبعد . وسوف يُفرد لهذا الضرب من الأسماء موضع خاص .

ويتضح لك مما سبق أن النحاة يطلقون على الاسم مصطلحاً خاصاً ، هو الاسم المتمكن ، ويعنون بذلك أن اسميته أصلية صافية غير مَشُوبةٍ بشبه الحرف ، ومع ذلك يرونه قسمين : الأول أمكن من الآخر ، لأنه ينوّن أولاً ولأنه يقبل جميع حركات الإعراب . أما الثاني فأقل تمكناً من صاحبه ، لأنه لاينوَّن ، ولا تدخله حركة الكسر ، ويسمونه « الاسم الممنوع من الصرف » .

وظيفةُ الإعراب

وللإعراب في اللغة العربية وظيفة مُهمة ، فهو من القرائن اللفظية والتركيبية التي تَفْرُقُ بين المعاني النحوية ، والمعاني الأسلوبية أيضاً ، وإليك عدداً من الأمثلة على ذلك :

١ ـ ﴿ إنما يخشى اللهَ من عبادِهِ العلماءُ ﴾ (فاطر : ٢٨) .

الإعراب في هذه الآية هو الذي يفرق بين الفاعل والمفعول به ، ولولا هو لحصل التباس بينهما ، فالنصب في « لفظ الجلالة » هو الذي دل على أنه مفعول به ، وهو المَخْشي ، والرفع في « العلماء » هو الذي دل على أنه فاعل ، وأن العلماء هم الخاشون .

٢ ـ اخرجْ إلى الشارعِ لايؤذِكَ أحدٌ .

الفعل المضارع « يؤذِك » هنا مجزوم لأنه جواب الطلب « اخرجْ » وهذا يعني أن عدم الإيذاء متوقف على الخروج ، ومُسبب عنه . فإذا خرج المخاطب سلم من الإيذاء ، وإن لم يخرج أصابه الأذى .

٣ ـ اخرجْ إلى الشارعِ لايؤذيك أحد .

الفعل المضارع هنا غيرُ مجزوم ، ولذلك لايرتبط بالطلب (اخرج) ارتباطَ الشرط بجوابه ، أو ارتباطَ النتيجة بسببها ، بل هو مستقل عنه ، ويَعني الإغراء بالخروج ، والمعنى هنا : اخرج إلى الشارع فليس في الخروج مايؤذيك .

وواضح مما سبق أن بين جزم الفعل المضارع ورفعه دلالةً واضحة على اختلاف المعنى .

٤ ـ ما أجملَ السماءَ !! ـــ ما أجملُ السماءِ ؟

إذا نصبتَ « السماء » كانت الجملة دالةً على أسلوب التعجب ، وكان (أجملَ) فعلاً ماضياً ، وكانت (ما) أداة تعجب . أما إذا جررت (السماء) كان الأسلوب من أساليب الاستفهام ، وكان (أجملُ) اسماً لا فعلاً . ففيَ

الأسلوب الأول تعبر عن شعورٍ نفسي لابسك حيال المشهد الذي تتبدى فيه السماء لعينيك . وفي الأسلوب الثاني تسأل عن أجملِ شيء في السماء[1] .

☆ ☆ ☆

(١) هناك مواضع كثيرة يفقد فيها الإعراب وظيفته الدلالية ، ويغدو ظاهرة بنيوية مجردة ، انظر في هذا كتابنا : « أصول النحو العربي » ص ١٣١ ـ ١٣٧ . الدار البيضاء : ١٩٨٣ .

الأسماء المعربة

القسم الأول ـ المعرب بالحركات

١ ـ حركات الإعراب :

قلنا من قبل : إن الإعراب تغيرُ أواخر الكلمات المعربة ، أو هو الحركات نفسها ، وهي الضمة والفتحة والكسرة ، وقد يكون الإعراب انعدامَ الحركات كالسكون .

ونضيف هنا شيئاً آخر هو أن الاسم المعرب نوعان :

ـ نوع يعرب بالحركات الثلاث أو بانعدامها ، كما مرّ بك .

ـ ونوع آخر يعرب بالحروف ، وهي الألف والواو والياء .

وسوف نتحدث في هذا الفصل عن النوع الأول ، ونرجىء الثاني إلى الفصل القادم .

آ ـ الرفع والمرفوعات :

سمي هذا الضرب من الحركات الإعرابية رفعاً لأن الشفتين تنضمان عند نطقه وترتفعان ، وهو يختص بالمسند إليه ، وبالمسند ، وتوابعهما .

أما المسند إليه فهو :

ـ المبتدأ : في الجملة الاسمية ، مثل : القطارُ مسرعٌ .

ـ الفاعل أو نائب الفاعل : في الجملة الفعلية ، مثل : أسرعَ القطارُ ، ومثل : بُذِرَ الحَبُّ .

ـ اسم الفعل الناقص ، مثل : كان اللاعبُ بارعاً . وكادَ المطرُ يهطُلُ . وعسى الكربُ أن يزولَ .

وأما المسند المرفوع فهو :

ـ خبر المبتدأ ، مثل : « مسرع » في قولنا : القطارُ مسرعٌ .

ـ خبر الحرف الناسخ مثل : إن القطارَ مسرعٌ . وليتَ الماضي راجعٌ .

وأما التوابع فهي الصفة ، مثل : أتاك الربيعُ الطلقُ . والبدلُ أو عطف البيان ، مثل : نجح أخوك سميرٌ . والمعطوف بالحرف ، مثل : هذا رفيقٌ لك وأخٌ . واسم التوكيد مثل : جاء أحمدُ نَفْسُهُ ومعه أصدقاؤه كلُّهم .

على أن الرفع مشترك بين الأسماء والأفعال ، ولكن لايُرْفَع من الأفعال ـ إعراباً ـ إلا المضارع إذا تجرد من عامل الجزم ، ومن عامل النصب ، كالأفعال : يكادُ ، ويمسك ، ويستلم ، في قول الشاعر :

يكـادُ يمسكـه عِـرفـانَ راحتِـهِ ركـنُ الحطيـمِ إذا مـاجـاء يستلـمُ[1]

ب ـ النصب والمنصوبات :

والنصب ـ والحركة فيه الفتحة[2] ـ سمةٌ إعرابية تختص بمتممات الجملة[3] غالباً ، وقد تكون المسند أو المسند إليه .

أما المتممات فهي :

ـ المفعولات الخمسة : المفعول به ، والمفعول فيه ، والمفعول له ، والمفعول معه ، والمفعول المطلق .

ـ المتممات الأخرى : وهي المستثنى ، والحال ، والتمييز ، والمنادى .

ـ التوابع : وهي الصفة ، والبدل ، والمعطوف وعطف البيان ، والمعطوف بحرف ، واسم التوكيد .

---

(١) بين القدماء اختلاف في أصل المرفوعات ، فذهب بعضهم إلى أنه الفاعل ، والمرفوعات الأخرى مشبهة به . وذهب آخر إلى أنه المبتدأ ، ورأى ثالث أنه كلاً منها أصل .

(٢) سميت فتحة لانفتاح الفم بها ، وسمي النصب نصباً لانتصاب الشفة العليا بنطقها .

(٣) يسميها القدماء « فضلات » ، وقد رأينا أن نتجنب هذا المصطلح القديم ، لما قد يجر من توهم الزيادة .

ـ الفعل المضارع إذا سبقه عاملٌ من عوامل النصب : أَنْ ، لن ، كي ، إذن .

أما المسند المنصوب فهو خبر الفعل الناقص ، مثل « مسرعاً » في قولنا : كان القطار مسرعاً .

وأما المسند إليه المنصوب فهو اسم الحرف الناسخ ، مثل : « القطار » في : إن القطارَ مسرعٌ .

ج ـ الجر والمجرورات :

والجر ـ وحركته الكسرة[1] ـ سمة إعرابية خاصة بالأسماء فلا تلحق بالفعل إعراباً البتة ، وهي مختصة بالمتممات التي تقع بعد أحرف الجر ، مثل : في الدارِ ، ومن الجامعةِ ، وبالمتممات التي تشغل في الجملة وظيفة المضاف إليه ، مثل : كتابُ النحوِ ، وحدائق المدينةِ .

وقد تلحق بآخر الفعل للتخلص من التقاء الساكنين ، مثل : لم يعملِ الناسُ بإخلاص . ولم ينقطعِ الخيرُ . وقد يكسر آخر الفعل لتكون الكسرة بدلاً عن السكون في قوافي الشعر ، تمشياً مع حركة الروي ، كقول زهير :

ومهما تكن عند امرىءٍ من خليقةٍ ـ وإن خالها تخفى عن الناسِ ـ تُعْلِمِ

د ـ الجزم والمجزومات :

والجزم سمة إعرابية خاصة بالفعل المضارع ، وإنما سمي جزماً لانقطاع الحركات أو الحروف . وعلامته السكون وهو انعدام الحركات الإعرابية أو حذف حرف العلة ، ولا يكون إلا بعد أحرف أو أدوات خاصة ، هي :

ـ مايجزم مضارعاً واحداً : لم ، لما ، لام الأمر ، « لا » الناهية . مثل : لم يكتبْ . لما يكتبْ . ليكتبْ . لاتكتبْ .

---

(١) سميت كسرة لأن الفم ينفتح فتحاً قوياً وينجر اللحي إلى الأسفل أو ينكسر إليه ، وتسمى الخفض أيضاً لانخفاضه . وسمي الجر جراً ، لأن الجر في الأصل مصدر : جررت الشيء ، أي سحبته على الأرض . وفي الجر انسحاب على المخرج .

ـ مايجزم فعلين مضارعين : إن ، إذما ، مَنْ ، ما ، متى ، أيان ، أينما ، حيثما ، أنّى ، أيّ[1] . مثل : مَنْ يعملِ الخيرَ يُجْزَ به . متى تلتمسْه تجدْهُ .

وأما الأسماء فلا تجزم ، وإنما تسكن في الوقف ، وسكون الوقف ليس بإعراب .

٢ ـ حرف الإعراب :

وعلامات الإعراب هذه تظهر في آخر الكلمة المعربة ، بعد الحرف الأخير منها[2] ، ويطلق النحاة على هذا الحرف مصطلح : حرف الإعراب ، كالباء من : كتاب ، والعين من : مطلع ، والجيم من : يحج . وهكذا .

وليس من اللازم أن يكون حرف الإعراب أصيلاً في الكلمة المعربة ، فقد يكون من لواحق الاسم ، مثل :

١ ـ علامات التأنيث :

ـ كالتاء في مثل : هذه الباخرةُ قاهرةٌ لظلماتِ المحيط .

ـ والهمزة في مثل : مانبتت المروءات إلا في صحراءِ العرب .

ـ الألف المقصورة : كم تغنى شعراؤنا بذكر ليلى وسلمى ولُبنى .

٢ ـ ياء النسب :

وذلك مثل قولك : كان أبو تمام سوريَّ المولدِ ، شاميَّ المذهب ، فكريَّ النزعةِ .

٣ ـ ألف الإلحاق :

مثل : نبت شجر الأرطى في الصحراء العربية .

(١) لم نذكر « كيفما » . وسوف تعرف رأينا في الحديث عن « كيف » .

(٢) نتساهل في الإعراب فنقول مثلاً : وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره . أو أمثال ذلك ، فنوهم أن الحركة فوق الحرف وهي في الحقيقة بعده . هذا وقد تحدث بعض النحاة والفلاسفة عن علة جعل حرف الإعراب آخر حرف في الكلمة . انظر في ذلك : مسائل خلافية للعكبري . المسألة ١٠ ، ص : ٩٥ (طبعة دار المأمون) . وانظر أيضاً : التفسير الكبير للرازي : ١/ ٤٥ .

٣ ـ الإعراب التقديري :

في بعض الأحيان لايظهر الإعراب في آخر الكلمة المعربة لعارض صوتي محضٍ ، إما لأن حرف الإعراب فيها يتعذر ظهور الإعراب بعده ، وإما لأن حركة الإعراب ثقيلة معه . وذلك كما توضحه لك الأمثلة التالية :

ـ إذا دعا داعي الجهادِ لبيتُ النداء .

فقولك : داعي . فاعل للفعل الماضي « دعا » . وكان ينبغي له أن يرفع ، ويقال : داعيُ الجهاد . ولو حاولتَ إظهار الضمة لقدرت على ذلك ، ولكن لصعوبةٍ سببها ثقل اللفظ حذفتَ الحركة وسكنتَ الباء ، ليَخِفَّ النطق . وهذا يعني أن الضمة موجودة في التقدير لا محذوفة حذفاً تاماً ، ولذلك تقدَّر في الأعراب التحليلي ، فتقول مثلاً :

ـ داعي : فاعل مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة المقدرة بعد الياء ، منع من ظهورها الثقل .

وتقول : « يدعو الواجب إلى العمل » .

الفعل : يدعو ـ وهو فعل مضارع مرفوع ـ معرب لامبني ، لأنه لم تتصل به نون النسوة أونون التوكيد . ولكن حركة إعرابه لم تظهر ، لأن حرف الإعراب فيه ـ وهو الواو ـ تثقل بعده أو عليه حركتا الضم والكسر ، ومن أجل ذلك حذفت هنا الضمة ، ولكنها تقدر تقديراً .

ولكن لاحظ الآن العبارة التالية :

ـ ينأى الفتى عن الحِمى في سبيل العيش .

فالفعل : ينأى ، مضارع ، وحقه هنا الرفع . والاسم « الفتى » فاعل ، وحقه الرفع أيضاً ، و « الحمى » وقع بعد حرف الجر « عن » ، وحقه أن يجر ، غيرَ أنك إذا حاولتَ أن تظهر حركات الإعراب على الألف التي تنتهي بها كل كلمة عجزت عن ذلك ، لأنه يستحيل ظهورها عليها ، ولهذا كان الإعراب تقديرياً ، ويقال فيها : مرفوعة أو مجرورة ، وعلامة رفعها أو جرها الضمة أو الكسرة ، المقدرة على آخرها للتعذر .

على أن هذا يتوقف على حركتي الرفع والجر ، أما حركة النصب فتظهر على الواو والياء دون أن يشعر اللسان بثقل النطق بالكلمة ، تقول :

ـ إن القاضيَ لن يدعُوَ المحامي إلى المحكمة .

ففي هذه العبارة ظهرت حركة النصب على الياء والواو . كما هو ظاهر ، وعلة ذلك أنها خفيفة غير ثقيلة ، والغاية من حذف الحركتين الأخريين هي الجنوح إلى الخفة في النطق .

وعلى هذا يكون الإعراب التقديري في الكلمات المعربة التي تنتهي بألف أو ياء أو واو ، إلا إذا كانت منصوبة ، فعند ذلك يكون إعرابها تقديرياً إذا كانت منتهية بألف ، وغير تقديري إذا كانت منتهية بواو أو ياء .

على أنه يباح في ضرورة الشعر أن تظهر حركتا الرفع والجر على الواو والياء ، على الرغم من الثقل ، وذلك لإقامة الوزن ، كما في قول جرير :

فيوماً يجازينَ الهوى غيرَ ماضِيٍ ويوماً تَرى فيهنَّ غُولاً تغَوَّلُ

٤ ـ الإعراب المحلي :

في الإعراب المحلي لايقوى العامل على أن يؤثر في الكلمة التي تليه لأنها مبنية ، والمبني ـ كما قلنا من قبل ـ لايتأثر بالعوامل . إلا أنه أحياناً ينزل في التركيب منزلاً لو نزلت فيه كلمة معربة لتأثرت بالعامل ، فتجر إن كان عامل جر ، وتنصب إن كان عامل نصب ، وترفع إن كان عامل نصب ، وتجزم إن كان عامل جزم .

لاحظ العبارة الآتية :

ـ « ادفع عنه الأذى » .

إن الضمير المتصل بحرف الجر « عن » مبني على الضم ، لم يتأثر بعامل الجر قبله ، ولو كان يتأثر لوجب أن يقال : عنهِ . ولكن لو نزل في موضعه اسم معرب مثل : الوطن ، لجر متأثراً بالعامل ، فنقول :

ـ « ادفع عن الوطنِ الأذى » .

ولهذا نقول في إعراب الضمير السابق :

ـ والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بحرف الجر .

ويكون الإعراب محلياً في الحالات التالية :

١ ـ **الكلمات المبنية** :

وهي الأسماء التي بنيت لمشابهتها الحرف ، كأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، وأسماء الاستفهام والشرط ، والضمائر ، وقد مثلنا لها في المثال السابق بالضمير .

ومن الكلمات المبنية أيضاً الفعل الماضي ، إذ يكون إعرابه محلياً حين يسبق بعامل الجزم ، تقول : إن عمل أخوك ربحَ . فـ « إن » تجزم فعلين مضارعين معربين ، ولكنها هنا صادفت فعلين ماضيين ، هما : عمل ، وربح . وكلاهما مبني لاتؤثر فيه العوامل ، ولذلك يكون الإعراب محلياً ، نقول في إعراب الأول :

ـ فعل ماض مبني على الفتح في محل جزمٍ بإنْ ، لأنه فعل الشرط . وكذلك نقول مثل هذا في إعراب الفعل الثاني .

ومن الكلمات المبنية أيضاً الفعل المضارع حين يبنى لاتصاله بنون النسوة أو بإحدى نوني التوكيد . تقول : لاتحسبَنَّ العملَ سهلاً .

ـ لا : ناهية جازمة .

ـ تحسبَنَّ : فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بـ « لا » . والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره : أنت .

فأنت ترى أن « لا » عامل جَزم ، ولكنها صادفت فعلاً مضارعاً مبنياً على الفتح ، ولايتأثر بالعامل ، ومن أجل ذلك كان الإعراب محلياً .

وكذلك إذا قلت : الطالبات يكتبْنَ . فالفعل المضارع هنا مبني على السكون في محل رفعٍ ، وسبب ذلك أنه لم يسبق بجازم أو ناصب .

٢ ـ **الجمل** :

وإعراب الجمل محلي أيضاً ، لأن العوامل لاتؤثر فيها تأثيراً لفظياً ، إلا أن بعضها ينزل منازلَ للمفردات المعربة ، تقول : هذا عمل يفيد . فجملة :

يفيد ، فعلية في محل رفع ، صفةٌ لـ : عمل . وهكذا بقية الجمل ذات المحل الإعرابي .

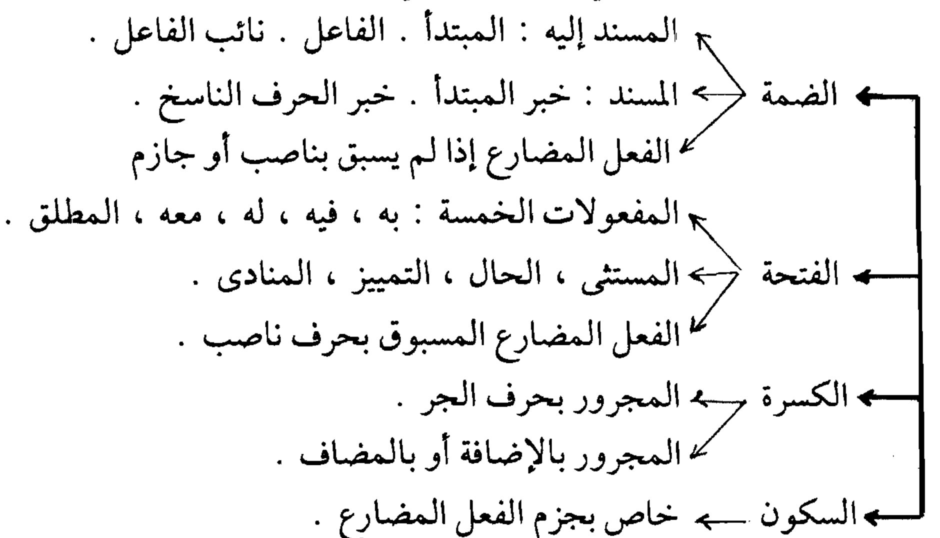
٣ ـ المصدر المؤول :

وهو ـ وإن كان من المفردات ـ يشبه الجملة في خفاء أثر العامل فيه ، تقول : أحب أن تنجح . فالفعل أحب متعد ينصب مفعولاً به ، ومفعوله هنا هو المصدر المؤول ، ولكنه لايقدر أن يؤثر فيه تأثيراً لفظياً ، ولذلك نقول : والمصدر المؤول من « أن والفعل تنجح » في محل نصب، مفعول به للفعل: أحب.

٤ ـ الاسم الذي عمل فيه عامل زائد :

كالاسم المجرور بحرف جر زائد ، مثل : لست بذاهب . فالباء حرف جر زائد ، وذاهب : اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر (ليس)[1].

هذا الذي قدمناه لايزيد على خلاصة وجيزة للنظام الإعرابي في اللغة العربية ، ويمكن أن نجسمه في المخطط التالي :



(١) بين النحاة في هذا خلاف ، فبعضهم يعد القسم الأخير من الإعراب التقديري ، ويعرب : بذاهبٍ . على الشكل التالي :
ـ الباء : حرف جر زائد .
ـ ذاهب : خبر « ليس » منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة العارضة ، لتأثرها بحرف الجر الزائد .

إلا أن هذا النظام العام لايخلو من استثناء أو شذوذ ، ولكنه استثناء ارتضته البيئة اللغوية منذ أزمنة سحيقة من تاريخ اللغة العربية ، حتى صار نظاماً فرعياً في لغة العرب ، ذلك أن ثمة ظاهرتين إعرابيتين تتناظران وتتبادلان الحركات ، تستعير أولاهما حركة الكسر من النظام العام لتجعلها علامة النصب ، وتستعير الثانية حركة الفتح لتجعلها علامة الجر . فالكسرة في الأولى علامة النصب والفتح ، والفتحة في الثانية هي علامة النصب والفتح أيضاً . أما الأولى فهي جمع المذكر السالم ، وأما الثانية فهي الممنوع من الصرف . وإليك تفصيل كل منهما .



إعراب جمع المؤنث السالم

آ ـ ماهو :

من الأهمية بمكان أن نقف على حقيقة جمع المؤنث السالم ، فهو ليس دوماً جمعاً للإناث ـ كما يوحي اسمه ـ بل قد يكون أيضاً جمعاً للذكور العقلاء ، وللذكورِ من غير العقلاء ، ولذلك نرى أن أحسن تحديدٍ له أن يقال فيه : « هو الجمع الذي يلحق بمفرده ألف وتاء زائدتان ، سواء أدل على مؤنث أم دل على غيره » .

والحق أن هذا الجمع قد يدل على مؤنث حقيقي مثل : فاطمات ، وزينبات ، وخادمات ، ودجاجات ، أو على مؤنث مجازي مثل : جَفَنات ، وصحراوات ، وعمارات . كما قد يدل على مذكر حقيقي مثل : حذيفات ، وحمزات ، ومعاويات . أو على مذكر مجازي مثل : مطارات ، ومستشفيات ، واستثناءات ، وسجلات .

وينبغي ألا يلتبس بما يشبهه من الأسماء المفردة ، مثل : رُفات ، وفُتات ، وحُتات . أو ما يشبهه من جموع التكسير مثل : أصوات ، وأموات ، وغُزاة ، وحُماة ، وهُواة . فالتاءات في هذه الكلمات أصلية لا زائدة . ولذلك ليست جموع تأنيث .

ويلحق بهذا الجمع كلمات غير كثيرة ، تعرب إعرابه وإن لم تكن منه ، وهي :

١ ـ بنات ، وأخوات :

هذان الجمعان ملحقان بجمع المؤنث السالم وليسا منه ، لأنك إذا أسقطت الألف والتاء لايكون مابقي منهما على صورة المفرد ، بل تجد الأول : بن ، والثاني : أخو . مع أنهما جمعان لِـ : بنت ، وأخت .

٢ ـ عرفات ، وأَذْرِعات ، وعطيات ، وبركات :

وأمثال هذه الكلمات من أسماء العلم ، فهي ليست جموعاً وإن كانت فيها علامة الجمع . لأن : « عرفات » مثلاً اسم لجبل معروف ، والجبل هذا مفرد لاجمع . وكذلك « أذرعات » لأنها اسم بلدة في بلاد الشام . وقل مثل ذلك في فتاة اسمها : عطيات ، أو بركات .

ب ـ إعرابه :

وفي إعراب هذا الجمع مايخالف النظام الإعرابي العام وما يوافقه ويجاريه ، وإليك تفصيل ذلك :

١ ـ في حالة الرفع :

يرفع جمع المؤنث السالم بالضمة كغيره من أسماء اللغة العربية ، كرفع « الطارقات » في قول الممزق العبدي :

تبيتُ الهمومُ الطارقاتُ يَعُدْنني كما تعتري الأهوالُ رأسَ المطلَّقِ[1]

فـ « الطارقات » هنا صفة للأهوال ، وهي مرفوعة ، وعلامة رفعها الضمة الظاهرة . وكرفع « النائبات » في قول سُلْمي بن ربيعة :

رجلاً إذا ما النائباتُ غَشِينَهُ أكفَى لمعضلةٍ وإن هي جَلَّتِ

فـ « النائبات » فاعل لفعل محذوف يفسره مابعده ، وهو مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة . ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ تسبح له السماواتُ السبعُ والأرضُ ومن فيهنَّ ﴾ . (الإسراء : ٤٤)

٢ ـ في حالة الجر :

وكذلك يجر هذا الجمع بالكسرة كما هي حال الأسماء الأخرى ، كجر « المشعرات » في قول مضرِّس بن قرط :

ولو تعلمينَ العلمَ أيقنتِ أنني وربِّ الهدايا المشعراتِ صَدُوقُ

فـ « المشعرات » صفة للهدايا ، مجرورة مثلها ، وعلامة جرها الكسرة الظاهرة . وكجر « شيبات » في قول القحيف العقيلي :

(١) المطلق : هنا هو المريض الذي ذهب عنه المرض بعد أن كان ثقيلاً عليه .

خليليَّ لـولا الله مـاقلـتُ مـرحبـاً	لأولِ شيبـــاتٍ طلعـــن ولا أهـــلا

وكجـر « السمـاوات » فـي قـولـه تعـالـى : ﴿ ولله ميـراثُ السمـاواتِ والأرض ﴾ . (آل عمران : ١٨٠) .

٣ ـ في حالة النصب :

وفي هذه الحالة يختلف إعراب جمع المؤنث السالم ، فهو ينصب بالكسرة بدلاً من الفتحة التي تنصب بها أسماءُ اللغة العربية الأخرى ، وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿الحمد لله الذي خلق السماواتِ والأرضَ وجعل الظلماتِ والنورَ ﴾ . (الأنعام : ١) .

فـ « السماواتِ » مفعول به للفعل « خلق » ، و « لظلمات » مفعول به أيضاً للفعل « جعل » ، وكل منهما منصوب بالكسرة عوضاً عن الفتحة . ومثل ذلك قوله : ﴿ وسع كرسيُّهُ السماواتِ والأرضَ ﴾ . (البقرة : ٢٥٥) . وهذا كثير في فصيح الكلام شعره ونثره .



الاسم الممنوع من الصرف

لايخالف الاسم الممنوع من الصرف النظام الإعرابي فحسب ، بل يخالف الأسماء أيضاً في بعض سماتها الصرفية ، وذلك كما يلي :

١ ـ أنه لاينُوَّن ، وبهذا ينقص عن الأسماء في بعض اللواحق .

٢ ـ وأنه لاتلحقه الكسرة في حال الجر ، بل تكون الفتحة فيه نائبة عن الكسرة ، ويتضح لك هذا في قول الأخطل :

لعَمْرُكَ ما أدري وإني لسائل أمُرَّةُ أمْ أعمامُ مُرَّةَ أظْلَمُ

فالاسم : مرة ، ممنوع من الصرف ، ولهذا رأيته حين وقع مرفوعاً بالابتداء لحقته الضمة ، كما تلحق الأسماء المعربة ، ولكنه لم ينون ، وحين وقع مجروراً بالإضافة لم تلحقه الكسرة كما تلحق غيره من الأسماء في حال الجر ، بل نابت عنها الفتحة لتكون هي العلامة .

وعلى هذا يكون الاسم الممنوع من الصرف يشبه الاسم المصروف ويختلف عنه ، يشبهه في قبوله علامَتَيْ الرفع والنصب ، وهما الضمة والفتحة ، ويختلف عنه في أنه ـ كما رأينا ـ لايقبل التنوين ولا الكسرة ، تقول : هذه مساجدُ ومعاهد جميلةٌ . ورأيت مساجدَ ومعاهدَ جميلةً ، ومررت بمساجدَ ومعاهدَ جميلةٍ .

غير أن الاسم الممنوع من الصرف يعود إلى حظيرة الأسماء المصروفة ، وذلك بحالين :

١ ـ أولاهما : إذا دخلت عليه « ألْ » العهدية أو الجنسية .

٢ ـ والثانية : إذا وقع مضافاً .

تقول : مررت بالمساجد والمعاهدِ الجميلة . ومررت بمساجدِ المدينة ومعاهدها . فأنت ترى هنا أن الاسم الممنوع من الصرف صُرف بعد ان لحقته « أل » في الجملة الأولى ، وبعد أن أضيف في الجملة الثانية ، وهكذا جرت « مساكن » لأنها أضيفت في قوله تعالى : ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا

أنفسهم ﴾ . (إبراهيم : ٤٥) . وجرت « أحمر » في قول زهير :

فتُنْتَج لكم غلمانَ أشأمَ كلُّهم كأحمرِ عادٍ ثم ترضع فتفطمِ

ومن الطبيعي أن يجوز في ضرورة الشعر صرف الاسم غير المصروف ، كما ترى في قول امرىء القيس :

ويوم دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عنيزةٍ فقالت : لك الويلاتُ إنك مُرْجِلي

فقد نون : عنيزة ، وألحق بها الكسرة ، وهذا في لغة الشعر جائز ، ولكنه خطأ في لغة النثر .

ونؤثر هنا أن نقسم الاسم الممنوع من الصرف ثلاثة أقسام : العلم ، والصفة ، وماليس بعلم ولا صفة .

العلم الممنوع من الصرف

١ ـ العلم المؤنث :

اسم العلم المؤنث قسمان : قسم سميت به الأنثى ، مثل : زينب ، ودعد ، وفاطمة ، وليلى ، ويسمى : المؤنث الحقيقي ، وقسم آخر سمي به المذكر ، ولكن لحقت بلفظه علامة التأنيث. ، مثل : حمزة وطلحة ، وعروة ، وأسامة ، وعقبة ، وأمية ، وعنترة ، ومعاوية وضمرة ، وفهيرة ، ورضوى ـ اسم جبل ـ ويسمى المؤنث اللفظي .

ومهما يكن نوع التأنيث في العلم فإنه علة لمنعه من الصرف ، قال جميل بثينة :

وإني لأرْضى من بثينةَ بالذي لوَ ابْصرَهُ الواشي لقرتْ بلابِلُهْ

لقد مُنع العلم : بثينة ، من الصرف فلم تلحق به الكسرة ، بل نابت فيه الفتحة عنها ، لأنه مؤنث حقيقي[1] . وقال قيس بن زهير العبسي :

(١) إذا استعمل العلم المؤنث نكرةً لامعرفة صُرف ، تقول : كم من فاطمةٍ وبثينةٍ وزينبٍ تعمل معنا في الشركة . إلا إذا كان منتهياً بألف مقصورة أو بألف ممدوة للتأنيث ، فحينئذٍ يمنع من الصرف نكرةً ومعرفة ، تقول : كم من ليلى وسلمى وعفراءَ ورغداءَ تعمل في الشركة . فلا تنون ليلى وسلمى . ولا تلحق الكسرة والتنوين في : عفراء ورغداء .

شفيتُ النفسَ من حَمَلِ بن بدرٍ　　وسيفي من حُذَيْفَةَ قد شفاني

قوله : حذيفةَ ممنوع من الصرف ، لأنه مؤنث تأنيثاً لفظياً .

ومن الأسماء مايقصد به المؤنث حيناً ، والمذكر طوراً ، كأسماء القبائل ، مثل : قريش ، وتميم ، ونمير ، و . . . فقد يراد بها : القبيلة ، وعند ذلك تمنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، نحو قول عدي بن الرِقاع :

غَلَبَ المساميحَ الوليدُ سماحةً　　وكفى قريشَ المعضلاتِ وسادَها

وقد يقصد بها الجَد ، وعند ذلك تصرف ، كقول جرير :

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميم　　حسبتَ الناسَ كلهُمُ غِضابا

ومما يشبه أسماء القبائل في منعه تارة ، وصرفه تارة أخرى أسماءُ المواضع والبلدان ، فحيناً يراد منها البقعة أو البلدة أو المحلة ، فيجتمع فيها العلمية والتأنيث ، فتمنع ، وطوراً يراد منها الموضع أو القطر ، فتزول عنها صفة التأنيث ، فتصرف انظر قول جرير :

أبحْتَ حِمى تهامةَ بعد نَجدٍ　　وما شيءٌ حميتَ بمُسْتباح

فقد منع (تهامة) من الصرف للعلمية والتأنيث ، وكذلك ترى (هَجَرَ) ممنوعة في قول الفرزدق :

منهِنَّ أيامُ صدقٍ قد عُرفتُ بها　　أيامُ فارسَ والأيامُ من هجَرا

وفي المثل العربي القديم : « كمستبضع التمرِ إلى هَجَرَ »[1] .

ومثل ذلك مَنْعُ (وَجْرَةَ) في قول امرىء القيس :

تصد وتُبْدى عن أسيلٍ وتتقي　　بناظرةٍ من وحشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

ولكن تأمل قوله تعالى : ﴿ ويوم حُنَيْنٍ إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾ (التوبة : ٢٥) ، فإنه قد صرف « حنين » على الرغم من أنه اسم موضع ، وعلة ذلك أنه أراد به الوادي الذي بين مكة والطائف ، وبذلك زالت عنه صفة التأنيث ، أما حسان بن ثابت فقد منع الاسم نفسه في قوله :

نصروا نبيَّهُمُ وشدُّوا أزْرَهُ　　بحُنَيْنَ يومَ تواكُلِ الأبطالِ

(١) المثل في الميداني ٢/ ١٥٢ برقم ٣٠٨١ .

لأنه أراد به المعركة ، فأنثه فمنعه .

وفي بعض الأحيان يجتمع مع العلمية والتأنيث صفة ثالثة هي العجمة ، مثل : مصر ، وحمص ودمشق ، ولندن ، وفي هذه الحال لايجوز إلا المنع ، سواء أكان الاسم ثلاثياً ساكن الوسط ، أم لم يكن ، تقول : عدت من مصرَ إلى دمشق ، ثم انتقلت إلى حِمْصَ فحلبَ . فلما كانت هذه الأسماء كلها أعجمية لم يجز فيها إلا المنع(١) .

وإذا كان العلم المؤنث ثلاثياً ساكن الوسط(٢) مثل : هند ، ودعد ، ونُعْم ، وجُمْل ، وميّ ، وقَيْس ، وريم ، جاز صرفه لخفته ، وجاز منعه مجاراة للقاعدة العامة ، لاحظ كيف صرف كثير عزة كلاً من « هند » و « دعد » في قوله :

فأبكى على هندٍ إذا هي فارقت ... وأبكي إذا فارقت دعداً على دعدِ

وكيف صرف شاعر آخر « جملاً » :

أتصبر عن جُمْلٍ وأنت صفيُّها ... أبا هاشمٍ ليس المحب أخا الصبرِ

ولاحظ أيضاً كيف منع كعب بن مالك « هنداً » في قوله :

مابال همٌّ عميدٍ بات يطرقني ... بالوادِ من هندَ إذ تعدو عواديها

وكيف منع غيره من الشعراء « جملاً » في قوله :

على جُمْلَ مني إذ دنا الموت بغتةً ... سلامٌ كثير كلما ذرَّ شارِقُ

(١) جاء في موضع واحد من القرآن الكريم اسم : مصر ، مصروفاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم ﴾ (البقرة:٦١) فذهب فريق من النحويين إلى أن المقصود بها مصر من الأمصار لامصر بعينها ،وعلى هذا تكون نكرة لا علماً ، وذهب فريق آخر إلى أن المقصود مصر بعينها ، والألف فيها للوقف لا للتنوين ، ورأى فريق ثالث أنها صرفت لأنه أريد بها المكان ، وقاسها آخرون على مثل هند ، ودعد ، مما تسمى به النساء . انظر فيها :

سيبويه ٢/ ٢٣ ، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٧٠ ، والبحر المحيط ١/ ٢٣٤ .

(٢) يجب الانتباه إلى سكون وسطه ، أما إذا كان متحرك الوسط ، مثل : سحر ، وملك ، وأمل ، وفلك ، وسمر ، وقمر ، وهدى ، وندى ، ومها ، ونها ، وعُلا ، فإنه يمنع من الصرف وجوباً .

٢ ـ العلم الأعجمي :

وهو الاسم الذي دخل في لغة العرب من لغة أخرى ، سواء أكانت لغة سامية أم غير سامية ، ويشترط فيه أن يكون علماً في اللغة المنقول عنها ، مثل : إبراهيم ، يوسف ، دمشق ، بغداد ، تقول : أقمتُ في بغدادَ سنةً دراسية ، اتصلت فيها بإبراهيمَ وغيرِهِ ، ثم عدت إلى دمشقَ لأنهلَ من مكتباتها ، وقال تعالى : ﴿ لقد كان في يوسفَ وإخوته آيات للسائلين ﴾ . (يوسف : ٧) .

أما إذا لم يكن علماً في اللغة المنقول عنها فلا يمنع ، فلو سميت مذكراً بـ : فِرِنْد ، وهو فارسي غير علم ، صرفته ، وقلت : رأيت فرنداً ، وجاء فرندٌ ، ومررت بفرندٍ ، وعلة هذا أن العرب عاملت مثل هذه الكلمات معاملة النكرات ، وصرفتها صرفها .

والأعجمي كالمؤنث إن كان ثلاثياً ساكنَ الوسط ، إذ يجوز صرفه إلا إذا سمي به المؤنث ، كقوله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده » . (النساء : ١٦٣) .

والعرب تمنع الاسم الذي لانظير له في أسمائها ، تشبهه بالأعجمي ، مثل : إبليس ، ووزنه إفعيل ، من أبلس ، وأيوب ، وزنه : فيَعْول ، من آب يؤوب ، وإسحاق ، من أسْحَق[1] .

٣ ـ العلم الذي على وزن الفعل :

في العربية أوزان خاصة بالأفعال ، لاتأتي عليها الأسماء ، مثل : فعَّل ، وتفاعل ، وافتعل ، ويفتعل ، ويفعلل ، الخ . . .

وفيها أيضاً أوزان تشترك فيها الأفعال والأسماء ، ولكنها في الأفعال أكثر . وذلك مثل : افعِل ، وافْعُل ، وافْعَل ، فأنت قادر على ذكر أمثلة من الأفعال كثيرة ، مثل : اجلس ، واصرف ، واكتب ، وادخل ، واسبح ،

(١) هذا مذهب بعضهم ، ويرى آخرون أنها أسماء أعجمية . انظر : تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٥١٠ .

واسمع ، و . . . على حين لاتقدر أن تأتي بالكثير من الأسماء على هذه الأوزان .

وعلى هذا تكون أسماء العلم من هذين الضربين ممنوعة من الصرف ، لأنها جمعت إلى العلمية وزناً يختص به الفعل ، أو يغلب عليه ، وقد جاء بعضها على أوزان الماضي مثل : عَثَّر ، وبَذَّرَ وشمَّرَ وَ دُئِلَ ، وخَثْعَمَ ، وكَعْسَبَ ، وهي أسماء قديمة استعمل بعضها في الشعر ، وجاء بعضها على وزن المضارع مثل : يزيد ، وأحمد ، ويحيى ، ويَعْلى ، ويعمر ، ويغوث ، ويعوق ، ويعفر ، ويثرب ، وتغلب ، ويشكر ، ويعرب ، ويذبل ، وتنوخ . قال جرير :

يـاخُـزْرَ تغلـبَ مـن أبٍ كـأبينـا مُضَرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم

فهو لم يُلْحِق الكسرة باسم العلم (تغلب) لأنه جمع العلمية ووزنَ الفعل[1] ، ومثله قول جميل :

أبـوكَ حبـابٌ سـارقُ الضيـفِ بُـرْدَهُ وجـدي يـاحجـاجُ فـارسُ شَمَّـرا

أما إن كان اسم العلم على وزن تتساوى فيه الأفعال والأسماء فلا يمنع من الصرف ، فالعلم : حَسَنٌ ، يشبه في الوزن : ضربَ ، وجعفر ، يشبه : دحرج ، وصالح ، يشبه : ناضِل ، إلا أن هذه الأوزان لايغلب فيها الفعل ، ولايختص بها ، ولذلك لاتمنع من الصرف ، تقول : جاء حسنٌ ومررت بجعفرٍ ، ورأيت صالحاً .

ومن الطبيعي بعد هذا أن تكون الأعلام التي جاءت على أوزان لايجيء عليها الفعل مصروفة مثل : محمود ، رباح ، سهّاد ، بديع ، و . . . انظر إلى قول كثيّر عزة :

سقـى الله أمـواهـاً عـرفْـتُ مكـانهـا جُـرابـاً ومَلْكـومـاً وبـذّرَ والغَمْـرا

فقوله : جُراباً ، اسم لموضع فيه ماء ، لم يمنع من الصرف لأنه على وزن لايشترك فيه الفعل البتة ، ومثله : ملكوم ، أما بذَّر : فهو على صيغة

(١) وهناك علة ثالثة فيه ، هي أنه اسم علم مؤنث ، لانه يعني القبيلة ، وقوله : خزر ، جمع مفرده : أخزر ، وهو الذي في عينه حول .

خاصة بالفعل ، ولذلك منع من الصرف ، فلم ينون كما نُون الأسمان اللذان سبقاه .

٤ ـ العلم المعدول :

وهناك أسماء علم على وزن (فُعَل) وردت عن العرب ممنوعة من الصرف ، فزعم النحاة أنها معدولة عن (فاعل) ، منها : عمر ، مضر ، قُزح ، دلف ، زحل ، زفر ، جشم ، هبل ، جُحى . أي أن (عمر) مثلاً أصله : عامر ، فعدل به عن هذه الصيغة إلى صيغة (فُعَل) فقيل : عمر . ومثله سائر الأسماء المذكورة[١] .

ومما سمع ممنوعاً من الصرف : سَحَرَ ، علماً على وقتٍ معين ، غير معرف بـ (أل) وقد زعم النحاة أنه أريد به التعريف ، كان حقه أن يعرف بألْ ، فعدلوا عن ذلك وجعلوه معرفة بلا (أل) فهو عندهم معدول عن (السَّحر) ، وإذا أريد به مطلق الوقت بلا تحديد صُرِف ، كقوله تعالى : ﴿ إلا آلَ لوط نجيناهم بسحرٍ ﴾ . (القمر : ٣٤) .

ومثل (سحر) غُدْوةُ ، وبكرة ، ورجب ، وصفر ، ويلحق بها عند بعض تميم : أمس .

٥ ـ العلم المركب تركيب مزج[٢] :

وإذا ركب العلم تركيب مزج منع من الصرف ، وذلك أن تتركب كلمتان فتتصل الثانية بنهاية الأولى حتى تصيرا كالكلمة الواحدة ، مثل : بعلبك ، حضر موت ، يزدجرد ، قالي قلا . نحو قول قيس بن الملوح :

ولــو أن واشٍ بــاليمــامــة دارُهُ　　وداري بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا

(١) ويلحق به أسماء توكيد تؤكد بها جموع المؤنث ، وهي : جُمَع ، كتع ، بتع ، بصع . إذ عدل بها من جمع المؤنث إلى جمع التكسير . وسمع : أدَد ، علمَ قبيلةٍ مصروفاً ، فقال النحاة : إنه غير معدول .

(٢) لم يرد ذكر هذا المصطلح في كتب القدماء قبل القرن السابع . ولعله من وضع ابن مالك أو غيره من المتأخرين .

٦ ـ العلم المزيد فيه ألف ونون :

من ذلك : عثمان ، فأصله : عُثْم ، وهو فرخ الثعبان ، ومروان ، وأصله : مَرْوٌ ، وهو الصوان أو نوع من النبات ، وغَطَفَان ، وأصله : غَطَف ، وهو قلة هدب العين ، وهذا الضرب من الأعلام ممنوع من الصرف بعد زيادة الألف والنون ، قال لبيد بن ربيعة :

فإن لم تجد من دون عدنانَ والداً ودون معدٍّ فلتــزُعْــكَ العــواذلُ

وقالت الخنساء :

وإن تمسِ في قيسٍ وزيدٍ وعامرٍ وغسانَ ، لم تسمعْ له الدهرَ لاحيا

فقدَ منع لبيد (عدنان) من الصرف ، فلم ينونه ولم يلحق به الكسرة ، كما فعل في العلم الآخر : مَعَد ، لأن عدنان مزيد بالألف والنون . وكذلك فعلت الخنساء في : غسان . للعلة نفسها ، وكذلك فعل جرير في منع اسم العلم : عثمان ، في قوله :

يا أم عثمان إن الحب عن عَرَضٍ يصبي الحليم ويبكي العين أحيانا

وفي بعض الأسماء مايشكل ، من ذلك قولهم : عفان ، فإن كانت الألف والنون زائدتين ، فأصله : عفّ ، وعند ذلك يمنع من الصرف ، وإن كانت النون أصلية ، فأصله من العفن ، ولعله مبالغة اسم الفاعل : عافِن ، وهو الذي يُصَعِّد في الجبل ، وعلى هذا لايمنع من الصرف لأن النون أصلية فيه لا زائدة . ومن هذا القبيل : حسان ، فهي إما من : الحِسِّ ، وإما من الحُسْنِ ، فعلى الأول ممنوعة من الصرف ، وعلى الثاني مصروفة . وكذلك : حَيّان ، إن كانت من : حَيّ ، فهي ممنوعة وإن كانت من : الحَيْن ، أي الهلاك ، فهي مصروفة .

الصفة الممنوعة من الصرف

ويمنع من الصفات ماكان على وزن : أفعل ، أو فَعْلان ، أو كان صفة معدولة .

١ ـ الصفة على وزن « أفعل » :

إذا كانت الصفة على وزن : أفعل ، ولايلحق مؤنثها التاء منعت من الصرف ، هي ومؤنثها كمنع (أشقر) في قول الحارث بن هشام المخزومي :

الله يعلمُ ماتركتُ قتالهُمْ حتى عَلَوْا فرسي بأشقرَ مزبدِ

لأن مؤنثها : شقراء ، لا : أشقرة ، وكمنع (بيضاء) في قول بشر بن أبي خازم :

فقد ألهو إذا ماشئتُ يوماً إلى بيضاءَ آنسةٍ لعوبِ

ويستوي في هذا ماكان صفة مشبهة ، كما تقدم ، وما كان اسم تفضيل ، كمنع (أحسن) في قوله تعالى : ﴿ وإذا حُيِّيتُمْ بتحيةٍ فحيوا بأحسنَ منها أو رُدوها ﴾ . (النساء : ٨٦) . ﴿ أوليس الله بأعلمَ بما في صدور العالمين ﴾ . (العنكبوت : ١٠) . ﴿ إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفلَ منكم ﴾ . (الأحزاب : ١٠)

أما إذا كان المؤنث منها بالتاء فلا تمنع من الصرف ، نقول : رأيت رجلاً أرملاً ، ومررت برجل أرملٍ ، وعلة ذلك أن مؤنثها : أرملة ، فلحقته التاء . وبهذا يكون المؤنث والمذكر مصروفين قال الشاعر :

ليَبْكِ على مِلْحانَ كلُّ مُدَفَّعٍ وأرملةٍ تزجي مع الليل أرملا[١]

٢ ـ الصفة على وزن « فعلان » :

وإذا كانت الصفة على وزن : فعلان ، ولا تؤنث بالتاء ، منعت من الصرف هي ومؤنثها ، كمنع « غضبان » في قوله تعالى : ﴿ فرجع موسى إلى قومه غضبانَ أسفاً ﴾ . (طه : ٨٦) ، وكمنع « ريان » في قول الفرزدق :

إذا شئتُ غَناني من العاجِ قاصفٌ على مِعْصَمٍ ريَّانَ لم يتخددِ[٢]

ومثله منع ظمأى في قول ذي الرمة يصف السراب :

(١) المدفَّع : الذي لم يجد من يُضيفه .

(٢) العاج هنا الأساور التي تلبسها المغنية من العاج ، ومعصم ريان : ناعم حسن المنظر .

يَجْـري فيـرقُــدُ أحيــانــاً وتطــرُدُهُ   نكْباءُ ظمأى من القَيْظيَّةِ الهُوجِ[1]

أما (ضَحْيان) فليس بممنوع من الصرف ، لأن مؤنثه : ضحيانة ، ولذلك صرفه ساعدة بن جؤية الهذلي في قوله :

ولــو أن الـــذي يُتْقــى عَلَيْــهِ   بضحيــانٍ أشَــمَّ ، بـه الـوُعُـولُ[2]

وكذلك يصرف مؤنثه ، كما في قول تأبط شراً :

وقُلَّــةٍ كسِنــانِ الــرمــح بــارزةٍ   ضَحْيانةٍ في شهور الصيفِ مِخْراقِ

ومثله : ندمان وندمانة[3] .

٣ ـ الصفة المعدولة :

وتمنع الصفة من الصرف إذا عدل بها عن مسلك التعبير المألوف الذي تستعمل فيه ، ويكون ذلك في الأعداد ، وفي الصفة « أخَر » .

أما الأعداد فقد سمع من العرب العدل بها من لفظها المعروف إلى أحد الوزنين الآتيين :

١ ـ مَفْعَل : مثل مَوْحد ، ومثْنى ، ومَثْلث .

٢ ـ فُعال : مثل ثُلاث ورُباع .

والمسموع في اللغة الفصيحة الموثوق بها من واحد حتى أربعة ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ فانكحوا ماطاب لكم من النساء مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ ﴾ (النساء : ٣) ، وفي قوله : ﴿ قل : إنما أعظكم بواحدةٍ ، أن تقوموا لله مَثْنى وفُرادى ﴾ (سبأ : ٤٦) ، وفي قول صخر أخي الخنساء :

ولقــد قتلتُهُــمُ ثُنــاءَ ومــوْحَــداً   وتـركـتُ مُـرَّةَ مثـلَ أمسِ المُـدْبـرِ

فأنت ترى الشاعر منع : ثُناء من الصرف ، لأنه صفة معدولة ، فبدلاً من أن يقول : قتلتهم اثنين اثنين ، قال : ثُناء . ودليل منعه إياه من الصرف أنه لم

---

(١) نكباء ظمأى : يريد بها الريح الجافة الحارة .

(٢) جواب (لو) في أبيات بعد هذا البيت . والضحيان : البارز للشمس .

(٣) هناك صفات أخرى ، معظمها من غريب اللغة ، مثل : حبلان ، لكبير البطن ، وحبلانة ، ودخنان لكثير الدخان ، ودخنانة ، وسيفان ، للطويل ، وسيفانة ، صوجان ، للقوي ، وصوجانة ، وقشوان ، للهزيل ، وقشوانة ، و..... .

ينونه ، على أن الضرورة قد ألجأته إلى تنوين (موحد) وهذا ـ كما قلنا من قبل ـ لايجوز إلا في لغة الشعر .

وقد قاس بعض الشعراء القدماء ، وهو الكميت بن زيد ، على ذلك مازاد على الأربعة ، فقال :

فلم يستريثوك حتى رميـ ـت فوق الرجال خِصالاً عُشارا

وليس هذا القياس بعيداً عن الصواب ، مادام صاحبه من الشعراء الفصحاء[1] ، ولهذا يكون النحاة الذين أجازوا القياس في هذه المسألة على مذهب صحيح .

وأما كلمة (أُخَرَ) فهي جمع مفرده (آخر) أو : أخرى ، وهي جمع اسم تفضيل ، فعُدِل بها معنى ، واستعمالاً .

ففي المعنى خلت من معنى التفضيل ، وصارت بمعنى « غير » كقولك : قرأت هذا الكتاب وكتباً أُخَرَ ، فـ : أخر ، هنا لايراد بها المفاضلة ، بل تعني : كتباً غيره .

وفي الاستعمال تُنكِّبَ بها سبيل التعبير المألوف في اسم التفضيل ، وهو أن يلزم الإفراد والتذكير إذا جرد من : أل ، والإضافة ، وأن يذكر بعده المفضل عليه مجروراً بـ : مِن . مثل : أخوكَ أطولُ منك : وأختاك أطول منك ، وإخوتك وأخواتك أطول منك . ولكن (أخر) خالفت هذا الاستعمال فجاءت جمعاً مع الجمع ، وهي مجردة من (أل) والإضافة .

ماليس بعلم ولا صفة

وتمنع الأسماء الأخرى غير الأعلام والصفات في حالين :

١ ـ أن تكون فيها ألف التأنيث الممدودة أو المقصورة :

وذلك مثل : صحراء ، وكبرياء ، وخنفساء ، وأصدقاء ، وشعراء ، ومثل : جرحى ، وذكرى ، كقولك : تجاوز بنا الركبُ صحراءَ مخيفةً ،

(١) على الرغم من أن الأصمعي كان ينال من فصاحته .

وقولك : نُسبت هذه القصيدة إلى شعراءَ كُثُرٍ ، وقال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداءُ على الكفارِ ، رُحماءُ بينهم ﴾ . (الفتح : ٢٩) .

وسمع من العرب منع : أشياء ، كما في قوله تعالى : ﴿ لا تسألوا عن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤكمْ ﴾ (المائدة : ١٠١) ، فتحدث عنها النحاة أحاديث طويلة ، واختلفوا فيها اختلافاً واسعاً ، فأخضعها بعضهم للأصل الذي نحن فيه ، فزعم أن أصلها : شيئاء ، على وزن : فعلاء ، ثم حصل فيها قلب مكاني ، فتقدمت الهمزة التي هي لام الكلمة ، إلى ماقبل الشين ، التي هي فاؤها ، فصار وزنها : لَفْعاء ، وإنما فعل هذا كله ليبين أن الهمزة فيها زائدة لا أصلية ، وبذلك تطّرد القاعدة ، ولايعد صرف : أشياء ، غير واضح العلة . والمهم أن هذه الكلمة ممنوعة سماعاً ، ولا حاجة بنا إلى مثل هذا التأويل[1] .

٢ ـ أن تكون على صيغة منتهى الجموع :

وتمنع الأسماء من الصرف إذا كانت جمعاً على صيغة منتهى الجموع ، وهي ماكان بعد ألف الجمع فيها حرفان أو ثلاثة ، مثل : مساجد ، جنادل ، مصابيح ، دواوين ، وهذا الجمع نادر المثال في أوزان الأسماء المفردة ، قال تعالى : ﴿ يحلَّون فيها من أساوِرَ من ذَهب ﴾ [الكهف : ٣١] وقال تعالى : ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريبَ وتماثيلَ وجفانٍ كالجواب ﴾ [سبأ : ١٣] . وقالت الخنساء :

ماذا تضمَّن من جودٍ ومن كرمٍ ومن خلائقَ مافيهن مُقْتَضَبُ

فأنت ترى كيف لحق التنوين والكسر قولها : جود ، وكرم ، على حين نابت الفتحة مناب الكسرة في قولها : خلائق ، لأنها جمع تكسير على صيغة منتهى الجموع .

---

(١) هناك كلمة يتوهم بعض الناس فيها فيظنون أنها ممنوعة من الصرف لهذه العلة ، هي كلمة : أسماء ، جمع : اسم ، والحقيقة أنها غير ممنوعة لأن همزتها أصلية ، قال الله تعالى : ﴿ أتجادلونني في أسماءٍ سميتموها أنتم وآباؤكم ﴾ (الأعراف : ٧١) .

قلنا من قبل : إن صيغة منتهى الجموع نادرة المثال في الأسماء المفردة ، فقد أحصى النحويون منها ما لايزيد على خمسة ، منها : ثَمانٍ ، فهي مثل جَوارٍ ، وغواشٍ ، ولكنها ليست جمعاً مثلهما ، بل اسم عدد ، والقياس أن تعامل معاملة الاسم المنقوص ، تقول : اشتريتُ عشر طابات ، فأبقيتُ لنفسي اثنتين ، ووزعت منها ثمانياً ، فقد لحق التنوين بـ : ثمانياً ، كما يلحق بـ : مُحام ، في قولك : رأيت محامياً .

غير أن أحد من يحتج به من شعراء العربية ، وهو ابن ميادة ، منع صرف : ثمانٍ ، في قوله يصف حماراً وحشياً شبه به ناقته :

يحدو ثَمانِيَ مولعاً بلقاحها حتى هَمَمْنَ بزيْغةِ الإرتاجِ

فلم ينون : ثماني ، للضرورة الشعرية ، لأن الكلمة تشبه في بنائها اللفظي بناء صيغة منتهى الجموع وإن لم تكن جمعاً .

ومثل : ثمان ، في هذا الأسماء الآتية : شَناحٍ ، للطويل ، وَحزابٍ ، للغليظ ، ورباعٍ ، للبعير أو الفرس ، أو الحمار ، الذي ألقى ربَاعيته ، وهي إحدى أسنانه التي تلي الثنايا .

وهناك أيضاً : سراويل ، إلا أنها كلمة أعجمية عُرِّبت ، فمنعت من الصرف ، وأجاز بعضهم صرفها .

شواهد للتدريب

١ ـ قال عروة بن حزام :

خليلي من عُليا هلالِ بنِ عامرٍ بصنعاءَ عوجا اليومَ وانتظراني

ألِمّا على عفراءَ ، إنكما غداً بِشَحْطِ النوى والبَيْنِ معترفانِ

٢ ـ قال ابن الزبرقان :

وإن يكُ من كعبِ بنِ يَشْكُرَ مَنْصِبي فإن أبانا عامر ذو المجاسد

٣ ـ قال يزيد بن الخذاق :

وأردتُ خُطةَ حازمٍ بطلٍ حيْرانَ أوبقه الذي يُسدي

٤ ـ قال عمرو بن معد يكرب :

وكـــم مـــن فتيـــةٍ أبنـــاءِ حـــرب　　　علـــى جُـــرْدٍ ضـــوامـــرَ كـــالقِـــداحِ

٥ ـ ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيّين من ذريةِ آدمَ وممن حملنا مع نوحٍ ومن ذرية إبراهيمَ وإسرائيلَ ﴾ (مريم : ٥٨)

٦ ـ قال عمر بن أبي ربيعة :

أمـــن آلِ نُعْـــمٍ أنـــتَ غـــادٍ فمبكـــرُ　　　غـــداةَ غـــدٍ أم رائـــحٌ فمهجِّـــرُ



الأسماء المعربة وملحقاتها

القسم الثاني ـ المعرب بالأحرف

في اللغة العربية نظام إعرابي آخر يتفرع عن الأول ، وهو من حيث الوظيفة نوعان :

١ ـ نوع يشترك مع الحركات فلا يعبر عن غير الوظائف النحوية ، كالفاعلية ، والمفعولية ، وأمثالهما ، وينحصر في علامات الإعراب المستعملة في الأسماء الستة ، والأفعال الخمسة ، والأفعال والمضارعة المعتلة إذا جزمت .

٢ ـ ونوع آخر تُناط به وظيفتان مختلفتان ، أحداهما نحوية ، إذ تعبر العلامة الإعرابية عن وظيفة نحوية ، والثانية صرفية ، إذ تعبر العلامة عن معنى صرفي هو العدد ، كعلامات الإعراب في المثنى ، وجمع المذكر السالم .

وهذا ماسوف نفصل فيه الحديث في الفقرات التالية .

وتتوزع هذه العلامات الإعرابية في زمرتين من الكلمات :

١ ـ الزمرة الاسمية ، وتشتمل على الأسماء الستة ، والمثنى ، وجمع المذكر السالم .

٢ ـ الزمرة الفعلية ، وتشتمل على الأفعال الخمسة ، والفعل المضارع المنتهي بحرف علة إذا جزم .

أما الأحرف التي تستعمل علاماتٍ إعرابيةً في أولى الزمرتين فهي ثلاثة :

١ ـ **الألف** : وهي علامة الرفع في المثنى ، وعلامة النصب في الأسماء الستة .

٢ ـ **الواو** : وهي علامة الرفع في كل من الأسماء الستة وجمع المذكر السالم .

٣ ـ **الياء** : وهي علامة الجر والنصب في المثنى ، وجمع المذكر ، وعلامة الجر فقط في الأسماء الستة .

وأما علامات الإعراب في الزمرة الفعلية فهي خاصة بالفعل المضارع ، وتختلف عن العلامات المستعملة في الزمرة الاسمية من حيث النوع والدلالة ، وهي :

ـ **ثبوت النون** : ويدل هذا على رفع الفعل إذا كان من الأفعال الخمسة ، مثل : يقتلونَ ، ويلعبانِ ، وتنامينَ .

ـ **حذف النون** : ويدل على جزم المضارع أو نصبه إذا كان من الأفعال الخمسة ، مثل : لم يقتلوا . ولن يلعبا ، ولم تنامي .

ـ **حذف حرف العلة** : ويدل على جزم الفعل المضارع مثل : لم يَدْعُ ، ولم يَرْمِ ، ولم يَنْأَ .

وفي الفقرات التالية سوف نتحدث عن الزمرة الاسمية ، أما الزمرة الأخرى فسوف نتحدث عنها في قسم الأفعال .



إعراب الأسماء الستة

في العربية ستة أسماء ثنائية المظهر تسلك في إعرابها سلوكاً خاصاً جعل النحاة يحارون فيها ، ويختلفون في تفسيره ، وهي : أَبٌ ، أَخٌ ، حَمٌ ، هَنٌ ، فو ، ذو .

وهي ليست سواءً في تصريفها وسلوكها النحوي في التركيب ، وفي تطورها التاريخي ، وتنوع مظاهرها واختلافها في قبائل العرب القديمة ، كما سوف ترى في حواشي هذه الفقرة .

ولها في إعرابها مظهران لايزالان مستعملين حتى عصرنا هذا ، فهي تارةً تعرب بالأحرف . وتارة بالحركات ، وهي في هذا تخضع لنظام خاص تنفرد به دون سائر الكلمات المعربة ، وإليك بيان ذلك وتفصيله .

آ ـ إعرابها بالأحرف :

تعرف هذه الأسماء بالأحرف إذا استوفت ثلاث شروط ، هي :

١ ـ أن تكون مفردة ، لامثناةً ، ولاجمعاً .

٢ ـ وأن تكون مضافة إلى غير ياء المتكلم .

٣ ـ وأن تكون غير مصغرة .

وفي هذه الحال ترفع بالواو لا بالضمة[١] ، كما ترى في قوله تعالى :

---

(١) في إعراب هذه الأسماء اختلاف بين النحاة ، وتلخص مذاهبهم فيما يلي :

١ ـ الألف والواو والياء أحرف إعراب لا علامات إعراب ، وعليها تقدر الحركات تقديراً .

٢ ـ حركات الإعراب ظاهرة على ما قبل الأحرف ، والأحرف امتداد لها وإشباع .

٣ ـ هناك علامتا إعراب في كل منهما ، فالضمة والواو للرفع ، والفتحة والألف للنصب ، والكسرة والياء للجر ، فهي معربة من موضعين لا من موضع واحد .

﴿ ياأختَ هارونَ ماكان أبوكِ أمرأَ سَوْءٍ ﴾ . (مريم : ٢٨) فـ « أبوك » اسم من الأسماء الخمسة استوفى الشروط الثلاثة السابقة . ولهذا رفع بالواو ، لأنه اسم « كان » . ومثل هذا قوله ﷺ : « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولايحقره » ، وقول المتنبي :

ذو العقلِ يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالةِ في الشقاوة ينعمُ

وتقول : ذهب حموكَ بما معه . وتقول : ليُغْسَلْ فوكَ في الصباحِ والمساء .

وتنصب بالألف لا بالفتحة ، كما ترى في قوله : ﴿ يا أبانا مالك لاتأمنا على يوسف ﴾ (يوسف : ١١) ، فـ « أبا » منادى مضاف ، منصوب ، وعلامة نصبه الألف . و « نا » ضمير متصل مبني على السكون في محل جر مضاف إليه . وقد استوفى الشروط الثلاثة السابقة . ومثله قول ابن زيدون :

ياأخا البدرِ سناءً وسناً حفظ الله زماناً أطلعكْ

ومثله : ﴿ ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ﴾ . (الكهف : ٨٦) وتقول : اغسلْ فاك ، واسترُ هَناكَ ، واحترم حماك .

وتجر بالياء لابالكسرة ، كقوله تعالى : ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة ﴾ (التوبة : ١١٤) فـ « أبيه » استوفى الشروط . وجر باللام ، وكانت علامة جره الياء . ومثله قول قيس بن ذريح :

ومامن حبيبٍ وامقٍ لحبيبه ولاذي هوىً إلا له الدهرَ فاجِعُ

وقول النبي ﷺ : « إن الرجل ليؤجر حتىٰ في اللقمة يرفعها إلا في زوجته » وتقول : لاتظهر الشماتةَ لأخيك أو حميك .

ب ـ إعرابها بالحركات :

وإذا اختل شرط واحد من الشروط الثلاثة السابقة أعرب بعضها بالحركات ، كإعراب : أب ، وأخ ، وحم ، وفم . فهذه الأسماء ترفع بالضمة ، وتنصب بالفتحة ، وتجر بالكسرة إذا كانت جمعاً ، أو كانت مفردة غير مضافة ، أو كانت مضافة إلى ياء المتكلم ، أو كانت مصغرة .

وقد حملت اللغة الفصيحة في نصوصها كثيراً من هذه الظواهر ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءَنا ﴾ (البقرة : ١٧٠) فـ « آباءَ » منصوب لأنه مفعول به للفعل : ألفينا . وقد كانت علامة نصبه الفتحة لا الألف ، لأنه جمع لا مفرد . ومن ذلك أيضاً قوله : ﴿ لقد كان في يوسفَ وإخوتِهِ آيات للسائلين ﴾ (يوسف : ٧) . وتقول : هؤلاء أَحْماءُ أخيك . وامتلأت أفواهُ الصبيةِ بالطعام .

ومما جاء فيه بعض هذه الأسماء معرباً بالحركات لأنه غير مضاف ماتراه في الآية الكريمة : ﴿ إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل ﴾ . (يوسف : ٧٧) وفي الآية : ﴿ يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً ﴾ . (يوسف : ٧٨) وتقول : إن له فماً واسعاً . وإنه لحَمٌ كريمٌ .

وإذا صغرت أعربت بالحركات أيضاً ، مثل : هذا أخيُّك وأَبيٌّ سعيدٍ . وذاك حُميُّكَ يقبل عليك . وكذلك إذا أضيف أحدها إلى ياء المتكلم ، كقول جرير :

مضرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم يـاخُـزْرَ تغلِـبَ مـن أبٍ كـأبينـا

فقوله أبي : خبر المبتدأ ، وهو مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم . وياء المتكلم في محل جرٍ ، مضاف إليه . ولعلك لاحظت أنه قال : من أبٍ . فأعرب « أب » بالحركة لأنه غير مضاف . وقال أيضاً (كأبينا) فأعربه بالياء لأنه مفرد مضاف غير مصغر ، وكذلك أعرب (أبو) بالواو لأنه استوفى الشروط الثلاثة .

وفي هذه الأسماء مايعرب بالحركات ـ في بعض النصوص ـ وإن استوفى الشروط الثلاثة ، كالاسم « هَنُ »[1] . تقول : هذا هَنُكَ ، ورأيتُ هَنَكَ .

(١) لهذه الكلمة عدة معانٍ ، فقد تكون كناية عن شيء ما ، مثل : هذا هَنُكَ . أي : شيئُك . وقد تكون كناية عن اسم الإنسان ، تقول : يا هَنُ أقبلْ . أي : يافلان . وقد تكون كناية عن المذكر دون المؤنث ، مثل : لفلان عشرون هناً . أي : عشرون ولداً مذكراً . وقد تكون كناية عما يُستفحشُ ذكره ، كما سوف يمر بك في الحديث النبوي ، والمثل العربي القديم .

ومررتُ بهنِكَ . وهذا الإعراب أحسنُ من الإعراب بالحروف ، فقد جاء في الحديث النبوي قوله ﷺ : « من تعزى بعزاءِ الجاهلية فأعضوه بهَنِ أبيه » . وجاء في مثل عربي قديم : « من يطُلْ هَنُ أبيه ينتطق به »[1] وتأويل ذلك : من يكثرْ أولادُ أبيه يقْوَ بهم .

وكان يجوز في اللغة القديمة أن تُعَرب : أب ، وأخ ، وحم . بالحركات وإن استوفت جميع الشروط ، وقد وصل إلينا منها بعض النصوص ، كقول رؤبة بن العجاج يمدح عدي بن حاتم الطائي :

بـأَبِـهِ اقتـدى عَـدِيٌّ فـي الكـرمْ   ومـن يُشـابِـهْ أَبَـهُ فمـا ظَلَـمْ

ويمكن أن تقول قياساً على هذه اللغة الضعيفة المنقرضة : جاء أَخُكَ . ومررتُ بأَبِكَ ، ورأيتُ حَمَكَ[2] .

ج ـ الكلام على « ذو » :

هي من الأسماء الملازمة للإضافة ، إذ لاتستعمل في الكلام إلا وهي جزء من تركيب إضافي ، وتضاف إلى اسم جنس ، مثل : ﴿ وفوق كل ذي علمٍ عليم ﴾ . (يوسف : ٧٦) وإنه لذو جمالٍ وأناقة . ولايجوز أن يضاف مثلاً إلى صفة صرفية ، فلا يقال : إنه ذو صالحٍ . أو ذو عالمٍ . وكذلك لاتجوز إضافته إلى ضمير ، فلا يقال : أعجبني ذُوهُ . وهو في هذه الحال يعرب بالحروف ، فالواو للرفع ، والألف للنصب ، والياء للجر .

وإذا ثني بقي ملازماً للإضافة إلى الأجناس ، وعومل في إعرابه معاملة المثنى ، مثل : ﴿ يحكم به ذوا عَدْلٍ منكم ﴾ (المائدة : ٩٥) . وتقول : رأيت ذَوَيْ مالٍ ، ومررت بذوَيْ علمٍ .

وإذا جمع جازت إضافته إلى اسم الجنس ، وإلى ضميره ، وعومل معاملة جمع المذكر السالم ، مثل : « لايعرفُ الفضلَ إلا ذووه » ومثل :

---

(١) انظر المثل في : مجمع الأمثال . للميداني : ٢/ ٣٠٠ . رقم المثل : ٤٠١٥ .

(٢) ويقال : رأيتُ حماهُ ، وجاء حماهُ ، ومررت بحماه . فيعرب بحركات مقدرة ، ويعامل معاملة المقصور مثل : قفا ، وشذا . انظر : الفارابي . ديوان الأدب : ٤/ ٢٣ .

﴿ وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين ﴾ (البقرة : ١٧٧)
ويجوز في هذه الحال أن يضاف إلى اسم لايدل على الجنس ، مثل قول الشاعر :

إليكـــم ذوِي آلِ النبـــي تطلّعـــتْ نـــوازعُ مـــن قلبـــي ظمـــاءٌ وألْبُـــبُ

☆ ☆ ☆

إعراب المثنى وجمع المذكر السالم

ليس من غرضنا هنا أن نتحدث عن المثنى ، وجمع المذكر حديثاً صرفياً ، كما يفعل معظم الكتب ، لأن لهذا موضعاً آخر في قسم الصرف من هذا الكتاب ، ولكن الذي يهمنا هنا هو علامات الإعراب في كل منهما .

أما المثنى فيرفع بالألف ، تقول : عادت الطائرتان الحربيتان إلى قواعدهما . وينصب ويجر بالياء ، مثل : عرفت المسافرَيْنِ القادمَيْنِ من أوربا . ﴿ ومنهم من يمشي على رجلَيْنِ ﴾ (النور : ٤٥) .

وأما جمع المذكر السالم فيرفع بالواو ، مثل : ﴿ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ (التوبة : ٧١) . وينصب ويجر بالياء ، مثل : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوِّىء المؤمِنينَ مقاعَد للقتال ﴾ (آل عمران : ١٢١) . ﴿ وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ . (الأنفال : ٥) .

وتلحق بالمثنى وجمع المذكر نون متحركة ، تكون مكسورةً في الأول ، ومفتوحة في الثاني ، وهي تشبه التنوين الذي يلحق بالأسماء المفردة غير الممنوعة من الصرف ، ولها بعض سلوكها التركيبي ، فهي تحذف في الإضافة كما يحذف التنوين ، وهذا واضح في قول عبد الله بن كعب العميري يخاطب نخلتين :

ومـالـي شـيءٌ منكمـا غيـرَ أننـي ... أمنـي الصـدى ظليكمـا فـأطيـلُ

والأصل : ظلين لكما . ومثله قول كثير عزة :

خليلـيَّ هـذا ربـعُ عَـزَّةَ فـاعقـلا ... قَلـوصيكمـا ثـم انـزلا حيث حَلَّتِ

وتقول : هؤلاء مديرو الشركة . ورأيتُ مدربي الفرقة .

إلا أن هذه النون تختلف عن نون التنوين في أنها تدخل على الاسم المحلى بـ « أل » ، مثل : الرجلان ، والمطاران ، والعاملون ، والباغون ، على حين لاتدخل نون التنوين على ماحلي بـ « أل » .

وللمثنى وجمع المذكر ملحقات سنفصل الحديث عن بعضها في الفقرات التالية :

١ ـ كلا ، وكلتا :

لهاتين الكلمتين نوعان من الإعراب :

الأول : أن تعربا إعراب المثنى ، فترفعان بالألف ، وتنصبان وتجران بالياء .

والثاني : أن تعربا إعراب الاسم المقصور ، فتقدر على ألفيهما حركات الإعراب الثلاث .

وهذا يتعلق بما تضافان إليه ، كما سوف ترى في التفصيلات التالية .

آ ـ إعرابهما إعراب المثنى :

إذا أضيفتا إلى ضمير لحقتا بالمثنى ، كما ترى في قول عبد الله بن جعفر :

كـلانـا غنـي عـن أخيـه حيـاتَـهُ ... ونحـن إذا متنـا أشـدُّ تغـانيـا

فقوله : كلانا . مؤلف من المبتدأ (كلا) . وهو مرفوع ، وعلامة رفعه الألف لأنه ملحق بالمثنى . ومن (نا) وهو ضمير متصل مبني على السكون في محل جر ، مضاف إليه . وتقول : رأيتُ الرجلين كليهما . فتلحق بها الياء علامة للنصب . وتقول : مررت بالرجلين كليهما ، فتجعل الياء أيضاً علامة للجر . وتقول في التأنيث : جاءت الطالبتان كلتاهما . ورأيت الطالبتين كلتيهما . ومررت بالطالبتين كلتيهما .

ولعلك رأيت أن من جملة المواقع التي تقع فيها هاتان الكلمتان أن تكونا توكيداً ، كما في الأمثلة الأخيرة ، فيقال مثلاً في إعراب (كلتيهما) في المثال الأخير :

« اسم توكيد لِـ (الطالبتين) مجرور ، وعلامة جره الياء لأنه ملحق بالمثنى ، والهاء : ضمير متصل مبني على الضم في محل جر ، مضاف إليه .

ب ـ إعرابهما بالحركات المقدرة :

وإذا أضيفتا إلى اسم ظاهر قدرت الحركات على ألفيهما ، كما تقدر على ألفات : العصا ، والشذا ، والفتى ، والنُهى ، وأمثالها . تقول : في كلا العملين نَفْعٌ . فـ « كلا » اسم مجرور بـ « في » وعلامة جره الكسرة المقدرة على الألف ، منع من ظهورها التعذر . والجار والمجرور معلقان بخبر مقدم محذوف . وتقول : عَدَلَ المجلسُ عن كلتا الخُطتين ، وألغى المهندسون كلا المخططين ، وأنكر المتهم كلتا التُهمَتين .

ج ـ عودة الضمير إليهما :

يرى النحويون أن لفظ هاتين الكلمتين مفرد ، ومعناهما مثنى ، ولذلك جاء الضمير العائد إليهما مفرداً مراعاة للفظ ، وجاء مثنى مراعاة للمعنى . قال الشاعر :

كلاهما حين جد الجرْيُ بينهما ... قد أقلعا ، وكلا أنفيهما رابي

ففي هذا البيت أعاد الشاعر الضمير مثنىً إلى « كلا » الأولى ، فقال : بينهما ، وأقلعا . وأعاده إلى الثانية مفرداً ، فقال : رابي .

إلا أن إعادة الضمير مفرداً هو الأكثر في النصوص الفصيحة ، وهو أيضاً لغة القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ كلتا الجنتين آتت أُكُلها ولم تظلم منه شيئاً ﴾ (الكهف : ٣٣) .

٢ ـ ألفاظ العقود :

ألفاظ العقود هي : عشرون ، وثلاثون ، حتى : تسعون . وهي ملحقة بجمع المذكر السالم ، لأن علامة الرفع فيها الواو ، ولأن الياء هي علامة النصب والجر ، وذلك كما ترى في قوله تعالى : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين ﴾ . (الأنفال : ٦٥) فقوله : عشرون . فاعل للفعل التام : يكن . مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم .

وقال الشاعر :

عشرينَ عاماً شربنا الكأسَ مُتْرَعةً ... من الأذى فتمَّلَيْ صِرْفها الآنا

فـ « عشرين » هنا نائب عن ظرف الزمان ، والمعنى : شربنا كأسَ الأذى عشرين عاماً . فهو إذاً منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر . وهكذا تعامل سائر ألفاظ العقود .

على أن هناك إعراباً من نوع آخر انقرض منذ أواخر العصر الجاهلي ، ولم يستعمل في العصر الإسلامي إلا نادراً ، وهو أن يلزم العقد الياء ، وتُجرى حركات الإعراب على النون ، كما في قول سحيم بن وَثيل الرياحي :

وماذا يبتغي الشعراءُ مني ... وقد جاوزت حدَّ الأربعينِ[1]

٣ ـ سنون ، وسنين :

ويلحق بجمع المذكر السالم أيضاً جمعُ « سنة » ، فيرفع بالواو ، مثل : مرّت بنا سنونَ عِجافٌ . وينصب ويجر بالياء ، مثل : ﴿ فضربنا على آذانهم في الكهف سنينَ عدداً ﴾ (الكهف : ١١) ومثل : ﴿ وقدره منازل لتعلموا عدد السنينَ والحسابِ ﴾ . (يونس : ٥) . إنها في الآية الأولى ظرف زمان ، فكانت علامة النصب الياء ، وجاءت في الثانية مضافاً إليها فجرت بالياء أيضاً .

إلا أن بعض اللهجات القديمة المنقرضة كانت تعامل هذا الجمع معاملة « حين » . فكما تقول : حيناً ، وحينٍ ، وحينٌ . تقول كذلك : سنيناً ، وسنينٍ ، وسنينٌ . حتى لقد روي حديث نبوي على هذه اللهجة ، هو : « اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنينِ يوسف » . وجاء منها في الشعر قول الصمة بن عبد الله :

دعانَي من نجدٍ فإن سنينَهُ ... لِعبْنَ بنا شيباً وشيّبْنَنا مُرْدا

وقول الآخر :

ألم نَسقِ الحجيجَ ، سلي مَعَدّاً ... سنيناً ماتُعَدُّ لنا حسابا

(١) يرى آخرون أن الإعراب في هذا وأمثاله بالحروف لا بالحركات ، إلا أن نون الجمع كسرت بدل أن تفتح . وهذا طبعاً مذهب يمكن أن يقبل ، غير أننا رجحنا الأول لما سوف تجده في الكلام على « سنين » .

إعراب الأفعال الخمسة

ويلحق بالأسماء التي تعرب بالحروف ماليس بأسماء ، وهي الأفعال المضارعة التي تسمى في بعض تصريفاتها بالأفعال الخمسة ، فما هي ؟

إنها أفعال مضارعة لحقت بها ألف الاثنين . أو واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة ، مثل : يفعلان ، تفعلان ، يفعلون ، تفعلون ، تفعلين .

وبهذا يمكن أن يشكل من كل مضارع خمس صيغ بإدخال هذه الضمائر الثلاثة عليه ، ولنأخذ مثلاً الفعلين : يأخذ ، وينام . لنشكل من كلٍ منهم هذه الأفعال :

- يأخذونَ ، تأخذون ، يأخذانِ ، تأخذانِ ، تأخذينَ .
- ينامونَ ، تنامون ، ينامانِ ، تنامانِ ، تنامينَ .

وتؤدي هذه الأفعال سبعة معانٍ ، هي :

١ ـ الغيبة مع جمع الذكور : يقولون . (هم) .

٢ ـ الخطاب مع جمع الذكور : تقولون . (أنتم) .

٣ ـ الغيبة مع المثنى المذكر : يقولان . (هما) .

٤ ـ الخطاب مع المثنى المذكر : تقولان . (أنتما) : يا أحمد وسعيد .

٥ ـ الخطاب مع المثنى المؤنث : تقولان . (أنتما) : يا فاطمة وعائشة .

٦ ـ الغيبة مع المثنى المؤنث : تقولان : (هما) أي : فاطمة وعائشة .

٧ ـ الخطاب مع المفردة : تقولينَ : (أنتِ) .

أي أن (تفعلان) وحدها تستعمل مع المخاطبينِ ، والمخاطبتين ، والغائبتين . هذه الأفعال ذات إعراب خاص ، وذلك كما يلي :

١ ـ ثبوت النون علامة الرفع ، مثل : الأطفال يلعبون ويمرحون . تقول في إعراب (يلعبون) مثلاً : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه

من الأفعال الخمسة . وواو الجماعة ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل . وجملة (يلعبون) في محل رفع ، خبر المبتدأ (الأطفالُ) .

٢ ـ حذف النون علامة النصب والجزم ، مثل : الأطفال لن يلعبوا ولن يمرحوا . أو : لم يلعبوا ولم يمرحوا . وتقول في الإعراب : فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة . وكذلك تقول في الجزم : وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة .

وقد يعرض لهذه النون عارض صوتي فتحذف والفعل مرفوع ، ويكون ذلك على مستويين :

١ ـ الأول أن تعرض لها نون التوكيد : وحينئذٍ تتوالى ثلاث نونات ، هي ونون التوكيد المشددة ، فإذا أريد توكيد (يَكْتبون) مثلاً ، صار اللفظ :

يكتبونَ + نَّ .

ومثل هذا النطق ثقيل على اللسان ، ولذلك تحذف نون الأفعال الخمسة ليخف اللفظ ، فيصير النطق على هذه الصورة :

يكتبو + نَّ .

فيلتقي ساكنان : واو الجماعة ، والنون الأولى من نوني التوكيد ، فتحذف الواو ، فيصير النطق : يكتبُنَّ . . . ويعرب الفعل على الشكل التالي : « الفعل مضارع مرفوع[1] وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة تخفيفاً . وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل .

وإذا كان متصلاً به ضمير الأنثى المخاطبة ، مثل : تكتبينَ . ولحقت به نون التوكيد الثقيلة ، حذفت نون الرفع ، وياء المخاطبة ، فيقال : تكتبِنَّ . ويعرب الإعراب السابق نفسه . وإذا اتصلت به ألف الاثنين وأكد قيل : تكتبانِّ . بحذف نون الرفع ، وإبقاء ألف الاثنين لخفتها ، وكسر نون التوكيد الثقيلة . ويعرب الفعل كالإعراب السابق تقريباً .

(١) الفعل المضارع هنا ليس بمبني لأن نون التوكيد لم تباشره ، بل فصلت بينهما واو الجماعة .

٢ ـ والمستوى الثاني : أن تلتقي نون الرفع مع نون الوقاية في مثل : يعرفونني ، ويعلمانِني ، وتسامحينني . ولك هنا ثلاث حالات :

١ ـ أن تبقي النونين كما رأيت في الأمثلة السابقة .

٢ ـ أن تدغم الأولى في الثانية : يعرفونّي ، يعلمانّي ، تسامحينّي .

٣ ـ أن تحذف نون الرفع : يعرفوني ، يعلماني ، تسامحيني .

وهذا كله من باب التخفيف . وقد جاء منه في القرآن وقراءاته ، فقد قرأ أحد القراء[١] : ﴿ أفغَير الله تأمروني أعبدُ أيها الجاهلون ﴾ . (الزمر : ٦٤) ، وقرأ آخر[٢] : « تأمرونني » . وقرأ كثيرون : تأمرونّي . بتشديد النون .

☆ ☆ ☆

(١) هو نافع ، مقرىء أهل المدينة في الماضي .

(٢) ابن عامر ، مقرىء أهل الشام .

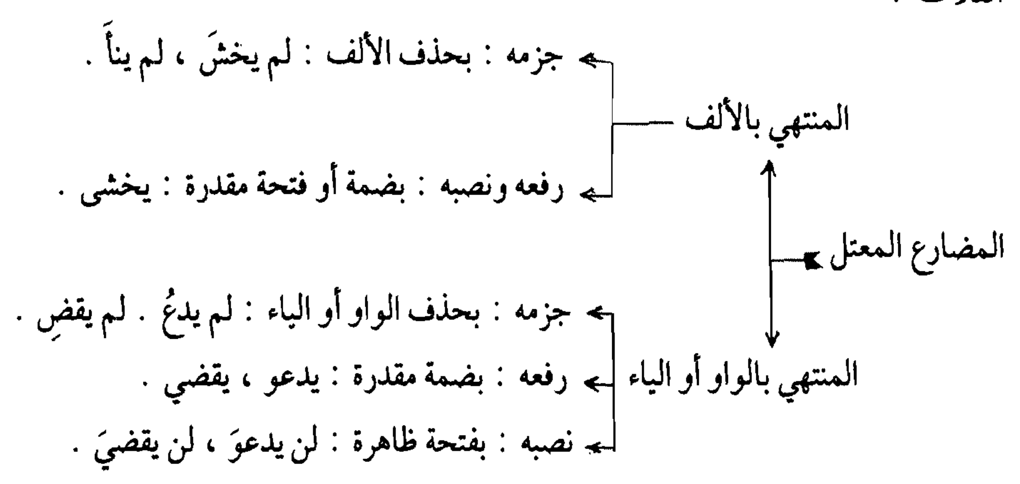
جزم الفعل المضارع المعتل

ومما يلحق بالأسماء التي تعرب بالأحرف الفعل المضارع إذا كان معتل الآخر ، كأن يكون منتهياً بالألف ، مثل : يخشى ، وينأى ، وينهى . أو منتهياً بالواو مثل : يدعو ، ويصفو ، ويرنو . أو منتهياً بياء مثل : يقضي ، ويرمي ، ويسقي .

فهذه الأفعال وأمثالها تجزم بحذف حرف العلة ، مثل : ﴿ . . . وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يَخْشَ إلا الله . . . ﴾ (التوبة : ١٨) وتقول : لم يَنْأَ ، ولم يَنْهَ . بحذف الألف منها جميعاً . وتقول في الواوي : لم يدعُ ، ولم يَصْفَ ، ولم يَرْنُ ، وتقول في اليائي : لم يقضِ ، ولم يرمِ ، ولم يَسْقِ .

وإنما تحدثنا هنا عن حال الجزم لأن المضارع فيه لايعرب إعراباً مقدراً ، كما في حال الرفع ، ولا إعراباً ظاهراً ، كما في حال النصب ـ باستثناء ما آخره ألف ـ بل يلحق بالأسماء المعربة بالأحرف .

ونريد أن نضع بين يديك هذا المخطط لإعراب المضارع في حالاته الثلاث :



☆ ☆ ☆

الأسماء المبنية

القسم الأول ـ ذات البناء الثابت

تؤلف الأسماء المبنية في « اللغة العربية زمرتين كبيرتين : الأولى زمرة الأسماء المبنية بناءً أصيلاً ثابتاً غير عارض ، فهي مبنية حيثما وقعت من التركيب . والثانية زمرة الأسماء التي تُبنى بناءً عارضاً يستدعيه التركيب اللغوي ، فإذا وقعت في غيره أعربتْ .

أما الزمرة الأولى فتشتمل على الأسماء التالية :

١ ـ الضمائر .

٢ ـ الأسماء الموصولة .

٣ ـ أسماء الإشارة ،

٤ ـ أسماء الشرط والاستفهام .

٥ ـ أسماء الأفعال .

٦ ـ بعض الظروف مثل : حيثُ ، وإذْ ، وإذا ، وعَوْضُ ، وقَطُّ ، ومُذْ ، ومنذُ ، والآنَ .

ويذهب النحاة إلى أن علة البناء الذي يلازم أسماءَ هذه الزمرة هي « **شَبَهُ الحرف** » . فالضمائر مثلاً تشبه الحروف في بنيتها اللفظية ، فبعضها يتكوّن من حرف واحد ، كتاء الفاعل في مثل : قمتُ ، وقمتَ ، وقمتِ . ونون النسوة وألف الاثنين وواو الجماعة في مثل : قمن ، وقاما ، وقاموا . وبعضٌ منها يتكون من حرفين ، مثل : هو ، وهي ، و « نا » في مثل : قمنا .

أما الأسماء الموصولة فتشبه الحروف في سمة أخرى غيرِ البنية ، إنها كالحروف لايتم لها معنىً إلا بفضل غيرها من عناصر الكلام . فلو قيل لك : « جاء الرجلُ الذي » . لما أفاد التركيب دلالة ، لأن « الذي » لا معنى له بغير صلته التي تقع بعده . وكذلك الحرف ، فلو قيل : « ذهبتُ إلى » . لكان

التعبير ناقصاً من حيث الدلالة ، وإنما يتم الكلام في الموضعين إذا ذُكِرتْ صلة الموصول ، وجيء بالاسم المجرور : جاء الرجلُ الذي يُنَظِّمُ الموكب . وذهبتُ إلى المدينة .

وبعض الأسماء تدل على المعاني المنوطة بالحروف ، كأسماء الإشارة ، والشرط ، والاستفهام . فما الإشارة إلا تنبيه للسامع ، والتنبيه معنى لا ذات ، ولا وصف ، فهو يشبه مايفيده الحرف من المعاني ، كالتمني ، والترجي . أما الشرط والاستفهام فهما معنيان تركيبيان أسلوبيان يؤديهما الحرف ، مثل : همزة الاستفهام ، و « هل » ، و « إنْ » . ومن هنا تكون الأسماء مثل : مَنْ ، وما ، وأضرابهما كالحروف لأنها تقوم بوظيفة الحرف في أداء معنى تركيبي .

أما أسماء الأفعال فتشبه الحروف في سلوكها واستخدامها ، فهي لاتقع في حَيّزِ عاملٍ نحوي ، فلا يباشرها رافعٌ ولا ناصبٌ ولا جارٌّ ، بل إنها تعمل في غيرها ولا يعمل غيرُها فيها ، تقول : هيهاتَ الأملُ . ودَراكِ العملَ . فالأمل في الجملة الأولى فاعل . والذي عمل فيه : هيهات . والعملَ ، في الجملة الثانية مفعول به ، والذي نصبه : دراكِ . ولكن : هيهات ، ودراكِ . لم يعمل فيهما عامل ، فهما يشبهان حرف الجر ، أو حرف النصب ، أو حرف النصب والرفع ، فهذه الحروف تعمل في غيرها ، وغيرها لايعمل فيها .

ومهما يكن من قيمة هذا التفسير لبناء هذه الزمرة من الأسماء فإنّ الشيء الذي يظهر للباحث اللغوي الذي يُؤْثِرُ أن يقف عند حدود الوصف فحسب أنّ الأسماء التي ذكرناها مبنية فعلاً بناءً أصيلاً ، لايستثنى منها إلا الاسم الموصول ، واسم الإشارة ، حين يكونانِ بصيغة المثنى ، مثل : جاء اللذان نظما الغرفة . ورأيتُ اللذين نظما الغرفة . ومثل : هذان البحثان مفيدان . واقرأ هذين البحثين المفيدين . ويستثنى أيضاً « أَيّ » سواء أكانت اسم استفهام أم اسم شرط ، تقول : أيَّ عمل تعملْ يُفِدْك . وأيَّ وقتٍ تأتِني تجدْني . وأيُّ إنسانٍ تُفِدْهُ يفدْك . وأيُّ الأصدقاءِ جاءك ؟ وأيَّ الحِرَفِ احترفتَ ؟ .

وفي الصفحات التالية سوف نتحدث عن الضمائر ، والموصولات ، وأسماء الإشارة ، وأسماء الاستفهام ، وأسماء الأفعال . أما أسماء الشرط والظروف فسوف نتحدث عنها في مواضعها المناسبة من هذا الكتاب ، إن شاء الله .



الضمير

للضمير في لغة العرب أهمية كبيرة ، فهو كثير الاستعمال ، لأنه يؤمن للغة عنصر الاقتصاد الذي تسعى إليه ، فحين تقول : حمل أخي كتابه ، نجعل الهاء في (كتابه) قائمة مقام إعادة الاسم مرة ثانية ، وهذا هو الذي عنيناه بعنصر الاقتصاد اللغوي .

وسميت هذه الكلمات ضمائر لأن المتكلم يضمر الاسم الذي سبق أن ذكره ، أو لأنه يضمر اسم المخاطب ، أو يضمر اسمه في حال التكلم ، ويجعل هذه الكلمات كناية عما أضمره ، ففي المثال السابق : حمل أخي كتابه ، جاء الضمير كناية عن الاسم الذي أضمره ، وهو : أخي ، فأغنى عن القول : حمل أخي كتاب أخي .

والضمير من الأسماء المبنية ، سواء أكان متصلاً أم منفصلاً ، وعلة بناء المتصل ترجع إلى طبيعة تكوينه ووضعه ، فهو لايزيد على حرف واحد أو حرفين . وبهذا يكون كالحرف من حيث بناؤه[(١)] ، أما الضمير المنفصل فمحمول في بنائه على الضمير المتصل ، لأنه مثلُه في المعنى ، ولأنه أحياناً يحل محله .

الضمير المتصل

١ ـ لماذا سمي متصلاً ؟ :

وعلة تسمية هذا الضمير متصلا هي أنه لايُلْفظ وحده ، ولهذا لايمكن أن يُبْتَدأ به ولا أن يقع بعد (إلاّ) ولا (ولولا) ، فلا يقال : ماجاء إلاك أو إلاهُ أو إلاها ، أو . . . لأن (إلا) و (لولا) حرفان لاتتصل بهما الضمائر ، غير أن بعض الأبيات الشعرية حملت هذه الظاهرة ، كقول الشاعر :

---

(١) يرى بعض النحاة رأياً آخر . انظر في هذا شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٨٥ .

ومـانبـالـي إذا مـا كنـتِ جـارَتنـا   ألاَّ يجـــاورَنـــا إلاكِ دَيّـــارُ

وكقول يزيدَ بنِ الحكم :

وكم موطنٍ لولايَ طِحْتَ كما هوى   بـأجـرامـه مـن قُلَّـةِ النِيـقِ مُنْهَـوِي

وذلك لايعدو أن يكون ضرورة شعرية لا يجوز مثله في الأساليب النثرية .

ومن هنا لايستعمل هذا الضمير إلا متصلاً بكلمة . فقد تكون فعلا ، مثل : ضربه ، وهذيها ، وعلمني ، وعلموا ، وكتبتُ ، و . . . وقد تكون اسماً مثل : كتابه ، وقلمي و ودفترها ، و . . . وقد يكون حرفاً مثل : إنكَ ، وفيه ، وإليها ، ولعلي ، و . . .

٢ ـ إعرابه :

ولاشك أن الضمير المتصل اسم ذو إعراب ، تتسلط عليه العوامل النحوية ، ولكنه مبني لا تؤثر فيه العوامل تأثيراً ظاهراً في اللفظ ، ولهذا يكون إعرابه محلياً ، فقد يكون في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، أي أنه يخضع للعوامل التي تعمل في الأسماء .

آ ـ ضمائر الرفع :

وهذه الضمائر تقع فاعلاً ، أو نائباً عنِ الفاعل ، أو اسماً للفعل النـاقـص ، مثـل : كتبـت ونـامـوا ، وكتبـن ، واكتبـي . ومثـل : أوذيـت ، وهُذِّبوا ، وضُرِبا ، ومثل : كنت ، وصاروا ، وأصبحن ، و . . .

وضمائر الرفع المتصلة هي : تاء تدل على الفاعل ، وتضم إذا كانت للمتكلم ، وتفتح إذا كانت للمخاطب ، وتكسر إذا كانت لخطاب الأنثى ، ونون مفتوحة تدل على جماعة الإناث في حالي الغيبة والخطاب . نقول : النساء يكتبْن ، ونقول : اكتبْن . وواو الجماعة في حالي الغيبة والخطاب أيضاً ، وكذلك ألف الاثنين ، وياء المخاطبة ، ولاتكون إلا في المضارع إذا كان من الأفعال الخمسة ، وفي الأمر إذا كان مضارعه من الأفعال الخمسة ، مثل : تقولين ، قولي .

ب ـ ضمائر النصب والجر :

هذه الضمائر هي كاف الخطاب ، وهاء الغيبة ، وياء المتكلم ، وتحدد مواقع النصب التي تقع فيها بما يلي :

١ ـ في محل نصب مفعول به : إذا اتصلت بفعل متعدٍ تام مثل ، علمك ، وهذبه ، ودربني . أو اتصلت باسم فاعل معرف بـ : أل ، كقول طَرَفَةَ :

ألا أيهذا اللائمي أحضُرَ الوغى وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنتَ مُخْلِدي

٢ ـ في محل نصب اسم الحرف المشبه بالفعل ، مثل : إنك ، لكنه ، ليتني ، . . .

٣ ـ وقليلا ماتقع هاء الغيبة في محل نصب ، خبراً للفعل الناقص (كان) ، تقول : كانهُ ، وكنتُهُ ، ومنه قول أبي الأسود الدؤلي :

فإلاّ تَكُنْهُ أو يَكُنْها فإنه أخوها غَذَتْه أمُّه بلبانها

٤ ـ وقد تكون مفعولاً مطلقاً إذا عادت إلى مصدر ، تقول : هذه مِشْيةٌ لا أمشيها . وتلك توبةٌ لا أتوبُها .

وتكون في محل جر في موضعين هما :

١ ـ أن تتصل بحرف جر مثل : عنكِ ، وعليه ، ومني ، و . . .

٢ ـ أن تتصل بالاسم مثل : كتابكَ ، ودفتره ، وجامعتها ، و . . .

ج ـ ضمير مشترك :

وهناك ضمير يقع في جميع ماتقدم من المواقع الإعرابية ، هو « نا » . فقد يقع في محل رفع ، فاعلاً للفعل التام ، مثل : كتبنا ، أو اسماً للفعل الناقص ، مثل : كنا ، أو نائباً عن الفاعل ، مثل : هُذِّبنا ، وقد يقع في محل نصب أو جر ، كالضمائر التي تحدثنا عنها قبل قليل ، مثل : أكرَمَنا ، آباؤنا .

٣ ـ لواحق الضمائر :

ويلحق الضمائرَ لواحقُ من الأحرف لتحديد معنى طارىء ، كالدلالة على التثنية ، أو الجمع ، وذلك على الشكل التالي :

آ ـ ما يدل على المثنى :

ولكي يدل الضمير على المثنى يلحق به حرفان ، هما : ميم تسمى ميم العِماد ، وألف بعدها تدل على الاثنين ، مثل : ضربتما ، ضربهما ، ضربتكما .

ب ـ مايدل على الجمع :

ويلحق الضمير المتصل ميم إذا أريد به الدلالة على جماعة الذكور العقلاء ، مثل : ضربتم ، هذبهم ، أعطاكم ، ونون مشددة مفتوح جزؤها الثاني للدلالة على جماعة الإناث العاقلات ، مثل : ضربتُنَّ ، هذبكُنَّ .

أما إذا كان الجمع لما لايعقل من الجمادات والحيوانات ، فيُدَلُّ عليه بضمير المفردة الغائبة ، تقول :

تلك القبورُ فلو أني أَمُرُّ بها ... لم تَغْدُ عينايَ أحباباً وخلاناً

٤ ـ مايعود إليه ضمير الغيبة :

آ ـ يعود الضمير المتصل ، إذا كان بصيغة الغائب ، إلى ماذُكِرَ قبله من الأسماء كما في هذه الآيات : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسنَّ ﴾ (البقرة : ٢٢٨) ، ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانتْ لهم جناتُ الفردوس نُزُلاً ﴾ (الكهف : ١٠٧) ، ﴿ فمن كان يرجو لِقاء ربه فَلْيَعْملْ عملاً صالحاً ﴾ (الكهف : ١١٠) .

ب ـ وقد يعود الضمير إلى متأخر في اللفظ ، متقدم في الرتبة ، مثل : أكل طعامَهُ أخوك ، فالضمير في (طعامه) يعود إلى (أخوك) ، وهو متأخر لفظاً ، ولكنه في الإعراب فاعل ، والفاعل في نظام الجملة العربية قبل المفعول به ، وبهذا يكون متقدماً رتبةً على (طعامه) الذي هو مفعول به مقدم .

ولكن الشيء الذي لايجوز هو أن يرجع إلى متأخر في اللفظ والرتبة ، فمن الخطأ مثلاً أن يَرْجِعَ من الفاعل إلى المفعول به أو من المبتدأ إلى الخبر ، وقد وقع في ذلك بعض الشعراء ، كما في قول أبي الأسود الدؤلي :

جَـزَى ربُّـه عنـي عَـديَّ بـن حـاتـم   جَزاءَ الكلابِ العاوياتِ وقد فَعَلْ

فهو كما ترى أعاد الضمير إلى المفعول به (عدي) ، من الفاعل (ربه) ، وهذا لايجوز في لغة النثر وإن وقع في الشعر .

ج ـ وبين الضمير ومايعود إليه تطابق من حيث العددُ والجنس ، تقول مثلا : هذا رجل وابنُهُ ، وهذان رجلان يحملان كتباً ، وهؤلاء رجالٌ يحملون كتباً ، وهذه طالبة وأخوها . و . . .

وفي بعض الأحيان يُراعى المعنى في عودة الضمير ، وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ (الحجرات : ٩) . فالضمير للجماعة ، وعاد إلى المثنى ، وعلة هذا أن الطائفتين جماعة تزيد على اثنين ، ومثله ما جاء في القرآن الكريم أيضا : ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ (الحج : ١٩) ، لأنه عنى فريقين : المسلمين واليهود .

وفي اللغة العربية أسماء مبهمة ، لاتفيد التعيين والتحديد في العدد والجنس : فهي قد تستعمل للمفرد أو للمثنى أو الجمع . وقد تكون للإناث أو للذكور ، مثل « ما » و« مَنْ » الشرطيتين أو المصولتين ومثلهما « الذي » وأضرابُه ، لاحظ قوله تعالى : ﴿ مايفتح الله للناس من رحمةٍ فلا مُمْسِكَ لها ، ومايمسك فلا مرسل له ﴾ (فاطر : ٢) فأنت ترىَ أنه أعاد إلى : (ما) الأولى ضمير المفردة الغائبة ، فقال : لها ، وأعاد إلى الثانية ضمير المفرد المذكر الغائب فقال : له ، ولاحظ أيضاً قوله تعالى : ﴿ ومِنَ الناسِ مَنْ يقول : آمنا بالله ، وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ (البقرة : ٩) ، تَجِدْهُ أعاد إلى : مَنْ ، في بدء الآية ضمير المفرد فقال : يقول ، ثم أعاد إليه ضمير الجمع ، فقال : وماهم بمؤمنين .

وهذا كثير في اللغة الفصيحة ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ مَثَلهم كَمَثِلِ الذي استوقد ناراً ، فلما أضاءَتْ ماحَوله ذهب الله بنورِهم ﴾ (البقرة : ١٨) فأنت ترى العائد يعود إلى « الذي » مرة مفرداً : « ماحوله » ، ومرة جمعا : « بنورهم » . ويكثر في آي القرآن الكريم هذا في « مَنْ » الشرطية ، من ذلك قوله : ﴿ ومَنْ لم يَتبْ فأَولئك هم الظالمون ﴾ (الحجرات : ١١) ﴿ ومَنْ

يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (الحشر : ٩ والتغابن : ١٦) ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها ﴾ (هود : ١٥) ﴿ من كفر فعليه كفره ، ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يَمْهَدونَ ﴾ (الروم : ٤٤) .

وكثيراً مايعود الضمير مرتين إلى « مَنْ » الشرطية أو الموصولة ، فيأتي في أولاهما مفرداً ، وفي الثانية يأتي جمعاً ، كقوله تعالى : ﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أُنثى وهو مؤمن فلنحَيينهُ حياةً طيبة ، ولنجزِينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾ (النحل : ٩٧) ومثله قوله : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ، واتبعوا أهواءهم ﴾ (محمد : ١٤) ومثله أيضاً : ﴿ من أسلم وجهه وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (البقرة : ١١٢) .

وإذا اجتمع اسمان مختلفان في الجنس ، وكان أحدهما معطوفاً على الآخر بغير : (أو) عاد الضمير إليهما مثنى مذكراً ، وهذا من باب التغليب ، تقول : سعيد وهند حضرا الحفلة ، فقولك : حضرا ، فيه ضمير مذكر ، يعود إلى سعيد وهند ، وهمامذكر ومؤنث . فغلبت التذكير على التأنيث في عَوْدِ الضمير ، أما إن كان العطف بحرف العطف (أو) فإن الضمير يعود إلى أحدهما ، مذكراً أو مؤنثاً ، لأن : أو ، تفيد أحد الشيئين ، إلا إذا أريد بها التنويع ، من ذلك قوله تعالى : « وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها » (الجمعة : ١١) فأنت تجده هنا أعاد الضمير مؤنثاً إلى التجارة ، فأغنى ذلك عن أن يعيد ضميراً آخر مذكراً إلى اللهو ، وكذلك قوله : ﴿ ومن يكسِبْ خطيئةً أو إثماً ثم يرمِ به بريئاً . . . ﴾ (آل عمران : ١١٢) فقد أعاد الضمير هنا مذكراً إلى الإثم ، فأغنى عن إعادة ضمير آخر مؤنث إلى الخطيئة .

د ـ ويعود إلى جمع التكسير ضمير الجماعة ، وهو الواو إذا كان للذكور العقلاء ، كقول المتلمس :

ولـو غيـرُ أخـوالـي أرادوا نقيصتـي   جعلتُ لهم فوقَ العَرانِينِ ميسَما

وتقول : إذا الرجال شتوا احتاجوا إلى الدِفْء . ولكن يجوز أن يعود إليه ضمير المفردة الغائبة ، فتقول : الرجال شتت ، ومنه في القرآن الكريم :

﴿ وإذا الرسل أقتت ﴾ (المرسلات : ١١) . وكذلك يجوز أن تعيد إلى جمع التكسير سائر ضمائر الأنثى ، كأن تقول : الرجال تَعرِفُ ، أو : حملتْهُ الرجالُ على أيديها . وقديماً قالوا : كل جمع مؤنث .

أما جمع الإناث العاقلات فيعود إليه ضمير جماعة الإناث ، وهو نون النسوة . مثل : النساء خرجن . (والمطلقات يتربصن بأنفسهن) ، (والوالدات يرضعن أولادهن) . ولكن يجوز ـ وهذا قليل ـ أن يعود إليه ضمير المفردة الغائبة كقول سلمى بن ربيعة :

وإذا العذارى بالدخان تلفعتْ ... واستعجلْت نَصْبَ القدور فملَّتِ

وإن كان الجمع لما لايعقل عاد إليه الضمير بصيغة الغائبة المفردة ، تقول : الخيول انطلقت ، والحقول اخضرت ، والكواكب انتثرت . فالضمائر المستترة هنا كلها غائبة ، وتقديرها : هي ، ويجوز أن تعود إلى هذا الجمع نون النسوة ، كقوله تعالى : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجريْنَ بهم ﴾ (يونس : ٢٢) ، وربما عاد إليه ضمير جماعة الذكور العقلاء ، مثل : ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكباً ، والشمسَ والقمرَ رأيتُهم لي ساجدين ﴾ (يوسف : ٤) وذلك لغرض بلاغي ، فهوهنا نسب إلى الكواكب والشمس والقمر عملا لايقوم به غير العقلاء ، وهو السجود ولذلك عاملها معاملة العقلاء .

و ـ وفي العربية ظاهرة أخرى في عود الضمائر ، فأحياناً يعود إلى الغائب ضمير المتكلم ، أو ضمير المخاطب، إذا سبق بأحدهما ، من ذلك قول امرىء القيس :

جالتْ لتصرعَني فقلتُ لها اقصري ... إني امرؤٌ صَرْعي عليكِ حرامُ

فقوله : صرعي عليك حرام ، جملة اسمية في محل رفع صفة لقوله : امرؤ ، ومعنى هذا أن الضمير فيها كان يجب أن يكون للغائب ، فيقول : إني امرؤ صرعه عليك حرام . ولكنه استعمل ضمير المتكلم ، لأن : امرؤ ، سبقت بقوله : إني ، وفيه ضمير المتكلم ، ومثله قول جميل :

وأنتِ التي إِن شئتِ كَدَّرْتِ عيشتي ... وإن شئتِ بعدَ الله أنعمت باليا

فقد أعاد الضمير إلى الاسم الموصول مخاطباً ، وكان ينبغي له أن يكون غائباً .

وليس هذا وقفاً على الشعر ، ففي القرآن الكريم منه قوله تعالى : ﴿ ولكني أراكم قوماً تجهلون ﴾ (هود : ٢٩) ، ومثله قوله أيضاً : ﴿ قال : إنكم قوم تجهلون ﴾ (الأعراف : ١٣٨) .

وقد يعود إلى المخاطب ضمير المتكلم لالتباسه به ، ولوضوح المعنى فيه ، كقول المجنون :

ألستَ وعدْتني ياقلبُ أني إذا ماتبتُ عن ليلى تتوب

فقد قال : أني تتوب ، ولم يقل : أنك تتوب . وذلك لأن المعنى واضح في البيت ، ولالتباس الضميرين بعضِهما ببعض .

٥ ـ حذف الضمير العائد :

ويجوز حذف الضمير قياساً إذا كان عائداً ، وكان محله النصب على المفعولية ، أو شبه المفعولية ، ويظهر هذا في موضعين :

آ ـ في صلة الموصول :

كما في قوله تعالى : ﴿ أهذا الذي بعثَ الله رسولا ﴾ (الفرقان : ٤١) ، ومثله : ﴿ أرأيتكَ هذا الذي كرَّمتَ عليَّ ﴾ (الإسراء : ٢٦) ففي الآية الأولى حذف الضمير ـ وهو مفعول به ـ والتقدير : بعثه ، وكذلك فعل في الآية الثانية ، إذ التقدير فيها : كرمته علي .

ويجوز حذف العائد المجرور بحرف ، مع حرف الجار العامل فيه ، إذا كان الاسم الموصول قبله مجروراً بالحرف نفسه ، تقول : أكلتُ مما أكلتَ ، ولبست مما لبستَ . أي : مما أكلتَ منه ، ومما لبست منه . وجاء في الشعر حذفه من دون هذا الشرط ، كقول جميل بثينة :

لقد خِفتُ أن ألقى المنيةَ بغْتةً وفي النفسِ حاجاتٌ إليك كما هيا

أي : كما هي عليه[1] .

(١) للنحاة في هذا أقوال أخرى .

ب ـ في جملة الصفة :

كما في قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ﴾ (البقرة : ٤٨) فجملة لاتجزي نفس عن نفس . صفة لـ : (يوماً) ، والتقدير : لاتجزي فيه نفس عن نفس شيئاً . فالضمير المجرور بحرف الجر : في ، حذف من جملة الصفة ولا بد من تقديره ليحصل الربط . والمجرور بالحرف يشبه المفعول به ، حتى لَيُجِيزُ بعض النحاة أن يعطف عليه بالنصب .

٦ ـ نيابة الضمير المنفصل عن المتصل والعكس :

ونجد في العربية مواضع يجب أن ينوب فيه الضمير المنفصل عن الضمير المتصل ، منها ماسمع من العرب ، وهو قولهم : أما أنت منطلقاً انطلقت معك . كما في قول العباس بن مرداس :

أبـا خـراشـةَ أمـا أنـتَ ذا نفـرٍ فـإن قـومـي لـم تـأكلْهُـمُ الضبـعُ

فالضمير : أنت ، اسم لـ : كان ، محذوفة لفظاً ، وتقدير الكلام : لأن كنتَ ذا نفر . فلما حذفت : كان ، بقي الضمير المتصل وحده ، ولما كان لا بلفظ إلا متصلا بغيره . استبدل به الضميرُ المنفصل : أنت .

وكذلك يفعل العرب حين يحذفون الكلمة التي يتصل بها الضمير ، لاحظ العبارة الآتية : إذا جئتَ أكرمتك ، فالظرف الشرطي يباشر الجملة الفعلية عادة ، كما ترى في التركيب السابق ، إلا أنه يجوز لك أن تحذف الفعل : جاء ، وتفسره بفعل تذكره من لفظه ومعناه ، وبعد الحذف يبقى ضمير الفاعل ، وهو التاء ، بلا اتصال ، فلا يمكن لفظه فتستبدِلُ به ضميراً منفصلا ، فتصير الجملة : إذا أنت جئت أكرمتك .

وفي موضع آخر تجد الضمير المتصل يحل محل الضمير المنفصل ، إلا أن هذا لا يكون إلا في لغة الشعر ، وذلك أن يجيء بعد : لولا ، فالصحيح المستقرى من اللغة العربية في استعمال هذه الأداة ، هو أن يأتيَ بعدها ضمير منفصل ، لأنه لاتتصل بالضمائر ، تقول : لولا أنت لكنتُ من المرهقين . ولولا هو لشعرت بالضعف ، ولولا أنا لضلتْ بكَ السبل . فكل من هذه

الضمائر حل محل اسم مرفوع بالابتداء ، ولكن ورد في شواهد الشعر ضمائر متصلة بعد : لولا ، كما في قول يزيد بن الحكم السابق :

وكم موطنٍ لولايَ طحتَ كما هوى

وكان على الشاعر أن يقول : ولولا أنا ، ولكنه اضطر فاستبدل بالضمير المنفصل ضميراً متصلاً .

وكذلك نجدهم في لغة الشعر يقولون : إِلاك ، وإِلاه ، وإِلاها . . . كما في قول الشاعر :

وما نبالي إذا ما كنتِ جارتَنا ألاّ يجاوِرَنا إلاّكِ دَيّارُ

فأداة الحصر أو الاستثناء : إِلا ، لاتتصل بها الضمائر ، بل تأتي بعدها الضمائر منفصلة ، وكان من اللازم هنا أن يقول : إلا إِياكِ ، ولكنه اضطر فقال : إِلاكِ ، وثمة شواهد شعرية أخرى لاتَعْدوا أن تكون ضرائر شعرية ألمَّ بها النحاة القدماء ، ولا نرى قيمة تذكر لها .

٧ ـ نيابة « أل » عن الضمير المتصل :

وهناك نصوص فصيحة تشير إلى أن العربية في بعض الأحيان تستعمل : « أل » ، لتقوم مقام الضمير المتصل[١] ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى ﴾ . (النازعات : ٤٠ ـ ٤١) أي : ونهى نفسه عن هواها فإن الجنة مأواه . ومثله قوله أيضاً : ﴿ جناتِ عدنٍ مفتحةً لهم الأبوابُ ﴾ (ص ٥٠) أي : أبوابها . ومثله قوله : ﴿ يصهرُ به مافي بطونهم والجلودُ ﴾ (الحج : ٢٠) أي : وجلودهم . وكذلك قول الشاعر :

ولكن نرى أقدامَنا في نِعالِكم وآنُفَنا بين اللِّحى والحواجبِ

أي : بين لحاكم وحواجبكم ، وقال الفرزدق :

---

(١) يُنْسَبُ هذا الرأي إلى الكوفيين وبعض البصريين . وقد وَهِمَ ابنُ هشام في مغني اللبيب : مبحث « أل » فقصره على ضمير الغيبة على حين يجعله الكوفيون عاماً . انظر معاني القرآن ٢/ ٤٨٠ وشرح السبع الطوال لابن الأنباري ٧٠/ ٣٥١ .

فلو سُئِلتْ عني النَّوَارُ ورَهْطُها إِذا أحدٌ لم تنطقِ الشفتان

أي شفتاه ، وقال عنترة :

عَهْدي به مدَّ النهارِ كأنما خضبَ البنان ورأسه بالعظلم[1]

٨ ـ حركة هاء الغيبة :

الحركة الأصلية لضمير الغائب المذكر هي البناء على الضم ، مهما يكن المحل الإعرابي له ، تقول : أكرمهُ ، وأخذ العلم عنهُ ، ولكن يجوز بناؤه على الكسر أو الضم في حالين :

آ ـ إذا سُبق بياء ساكنة مثل : عليهِم وإليهِ ، أو : عليهُم وإليهُمْ .

ب ـ إذا سبق بكسرة مثل : لأهلِه وأقربائِه ، أو : لأهلِهُ وأقربائِهُ .

والواقع أن هذه الظاهرة إنما ترتد إلى لهجات العرب ، ـ كأهل الحجاز ـ كانوا يُبْقون على الضمة في كل حال ، فيقولون : فيهُ ، وعليهُ ، ولأهلهُ ، وفي قراءات القرآن الكريم كثير من هذا ، كقراءة حفص : ﴿ أرأيتَ إذ أوينا إلى الصخرةِ فإني نسيت الحوتَ وما أنسانيهُ إلا الشيطانُ ﴾ (الكهف : ٦٣) وقراءته أيضاً : ﴿ ومن أوفى بما عاهد عَلَيْهُ الله فسيؤتيهِ أجراً عظيماً ﴾ (الفتح : ١٠) ، وقراءة حمزة : ﴿ لأهلِهُ امكثوا ﴾ (طه : ١٠) .

وكان فريق من العرب يشبعون الضمة ويحيلونها إلى واو ، إذ قرأ بعض قراء القرآن : ﴿ فخسفنا بِهوُ وبدارِ هُو الأرض ﴾ (القصص : ٨) . على حين كان فريق آخر يكسر على كل حال كقبيلة بكر بن وائل ، كانوا يقولون : أخذت منهِ السيفَ ، وأخذتُهِ منهِما ، ومنهِمْ .

ولاشك أن هذه الظاهرة لاتتجلى في قراءات القرآن وحدها ، بل كانت العرب تنشد أشعارها بحسب لهجاتها ، ولكن ذلك لم يصل إلينا لأن الرواية تدخلت في ذلك ، فأبقت على ما شاع وكثر في لغة العرب في الأعوام التي تلت ظهور الإسلام ، وقد تقاربت اللهجات آنذاك للاختلاط بالسكنى والجيش وسائر مرافق الحياة .

---

(١) مد النهار : أوله . العظلم : شجرة لها ورق يختضب به .

الضمير المنفصل

١ ـ المصطلح :

يطلق النحاة على هذه الضمائر اسم « المنفصلة » لأنها تلفظ مستقلة ، وتستغني عن كلمة تتصل بها ، ولهذا يمكن أن تكون في ابتداء الكلام ، تقول : أنت أخي ، وهو ابن عمي ، ونحن جميعاً متفقون ، ويجوز أن تقع بعد الأحرف التي لا تتصل بغيرها مثل : لولا ، وإلا ، تقول : لولا أنت لما اجتمع شمل ذويك ، وما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنا .

وهذه الضمائر ـ شأن قسيمتها المتصلة ـ تتفرع من حيثُ الإعرابُ إلى ضمائرِ رفعٍ ، وضمائرِ نصبٍ .

٢ ـ ضمائر الرفع :

أما ضمائر الرفع فثلاثة أقسام ، بعضها يختص بالمتكلم ، وآخر يختص بالمخاطب ، وقسم ثالث يختص بالغائب ، وإليك تفصيل ذلك :

آ ـ ضمير المتكلم :

ليس في العربية إلا ضميران منفصلان يستعملان للمتكلم ، مفرداً ومثنىً وجمعاً ، هما : أنا ، ونحن ، أما الأول فيختلف النحاة في وضعه ، إذ يذهب بعضهم إلى أنه مركب من حرفين فقط ، هما الهمزة والنون المفتوحة ، أي هو : أن ، أما ألف المد بعد النون فزائدة ، لأنها تسقط في وصل الكلام ، ولا تلفظ إلا في حال الوقف لبيان حركة النون قبلها ، ورأيُ هؤلاء أرجح من رأي الفريق الثاني الذين يذهبون إلى أن (أنا) كله هو الضمير ، واستدلوا على هذا بشيئين : أولهما ظهور الألف في بعض الشواهد الشعرية ، كقول حُميد بن حُريث :

أنا سيفُ العشيرةِ فاعرفوني   حميدٌ قد تَذَرَّيْتُ السَّناما

والثاني ظهور الألف في قراءة نافع ـ وهو مقرىء أهل المدينة ـ لهذه الآية : ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ (البقرة : ٢٥٨) وهذه الحجة غير مقنعة ، لأن الشعر لايمكن أن يكون دليلاً كافياً في مثل هذه الأمور ، لأن الضرورة تلجىء

الشاعر إلى أشياءَ كثيرةٍ مثلِه ، أما القراءة فعلى صحة نقلها عن نافع ، لاتكفي وحدها لإقامةِ أصلٍ لم تؤيده الشواهد الكثيرة من قرآنية وشعرية [1] .

وإذا كان للرأي الثاني مايؤيده فلن يزيد على شيء واحد هو أن العرب على الأيام أخذوا يقتصدون في لفظ (أنا) فيحذفون الألف . حتى إذا جاء العصر القريب من الإسلام استوى له لفظ استقر عليه ، هو : أنَ ، وهو الذي يظهر لنا في أشعار العرب وقراءات القرآن ، وظهر للنحاة القدماء في كلام الفصحاء الذين شافهوهم .

أما الضمير نحن ، فأعم استعمالاً من (أنا) لأنه يُسْتَعْمَلُ ضميراً للمثنى ، وضميراً للجمع ، وضميراً للمفرد حين يراد التعظيم ، ففي المثنى تقول : نحن طالبان في الجامعة ، وتقول للجمع : نحن طلاب الجامعة ، وفي المفرد يقول الله تعالى : ﴿ نحن نقص عليكَ أحسنَ القَصَصِ بما أوحينا إليكَ هذا القرآنَ ﴾ (يوسف : ٣) .

وبناؤه على الضم ، كما هو ظاهر ، إلا أن النحاة تكلفوا في الحديث عن بنائه تكلفاً لم تكن بهم حاجة إليه ، فقال بعضهم : إنه في الأصل مبني على السكون ، ولكنْ حركت النون لالتقاء الساكنين ، ثم اختلفوا في علة تحريكها بالضم دون غيره ، فذهب أحدهم إلى أن الضم هو علامة الجماعة ، وشبهه غيره بالغايات التي تبنى على الضم حين تنقطع عن الاضافة . وقال ثالث : إنما بني على الضم لأنه ضمير رفع ، إلى آخر ما هنالك من ظنون وأوهام .

ب ـ ضمير المخاطب :

وليس للمخاطب في العربية إلا ضمير واحد ، هو ضمير المتكلم المفرد نفسه : (أنا) ، تزاد عليه التاء المفتوحة للمخاطب ، فيقال أنت ، وفي هذه الحال يبنى على السكون لئلا تتوالى حركات ثلاث في كلمة يكثر استعمالها ، وتُكْسَر هذه التاء إذا كان المخاطب أنثى مفردة : أنتِ ، وتزاد : ما ، بعد التاء

---

(١) استدل بعض المعاصرين على صحة رأي الفريق الثاني بالدراسات المقارنة مع اللغات السامية . وهذا الاستدلال يحاط بالتطور الطويل الذي غيّر كثيراً من ألفاظ اللغات السامية ويصعب أن يُهتدى به إلى صحة الرأي .

في التثنية : أنتُما ، والميم في جمع الذكور العقلاء : أنتم ، والنون المشددة في جمع الإِناث : انتنَّ .

وعلى هذا يعرب الضمير : أنت على الشكل التالي : أَنْ : ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ[1] ، والتاء حرف خطاب لامحل لها من الاعراب .

وهناك نحاة يزعُمون أن (أنت) كله هو الضمير ، وهذا وإن كان فيه تسهيل ، لا يَعْمِدُ إِلى تحليل الظواهر اللغوية تحليلاً دقيقاً ، فالتاء المفتوحة تستعمل في العربية لخطاب المفرد المذكر ، فهي مُجتلبة لاحقةٌ لضمير المتكلم (أنَ) ليُعبَّر بها عن المخاطب .

وهي هنا لامحل لها من الإعراب ، على حين هي فاعل أو غيره في مكان آخر ، مثل : كتبتُ ، وأمثالها ، وهذا يشبه كاف الخطاب أيضاً ، فهي حيناً علامة للمخاطب ، كما في : ذاكَ وتلكَ ، وطوراً ضمير ذو محل إِعرابي ، كما في : هذبك ، ودربك .

ج ـ ضميرا الغيبة :

هما : (هو ، وهي) ، يستعمل الأول للمفرد المذكر الغائب ، ويستعمل الثاني للمفردة المؤنثة الغائبة ، وتلحق بها أحرف أخرى ليتصرفا ويدلا على المثنى والجمع ، وذلك على الشكل التالي :

ـ هما : للمثنى ، مذكراً أو مؤنثاً ، قال سحيم عبد بني الحسحاس :

هما جارتاك اليومَ شَطَّتْ نواهُما   وأصبحَ يُبْكي ذا الهوى طَلَلاهما

ـ هم : لجماعة الذكور العقلاء .

ـ هن : لجماعة الإناث العاقلات .

ويلاحظ أن الواو من : هو ، والياء من : هي ، تحذفانِ في التصريف ، ولذلك كان فريق من النحاة يذهب إلى أن الهاء وحدها هي الضمير ، أما الواو والياء فزائدتان[2] .

---

(١) في مثل : أنت كريم .
(٢) هو رأي لنحاة الكوفة .

ومن اللهجات العربية الفصيحة تسكين الهاء في الضميرين إذا سبقا ببعض الأحرف ، كالواو مثل : ﴿ وَهْوَ معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ (الحديد : ٤) في قراءة بعض المقرئين ، ومثلَ ذلك يفعلُ بعض العرب في : فَهْوَ ، لَهْيَ أَهْوَ ، كقول المرار بن منقذ :

فقمت للطيفِ مرتاعاً فأرّقني فقلتُ : أَهْيَ سرَتْ أم عادني حُلُمُ

وتشدد الواو والياء في لهجات بعض العرب اليمنيين ، وقد جاء منه في لغة الشعر أيضاً ، فمما شددت فيه الواو قول الشاعر :

وإن لساني شَهْدة يُشْتَفَى بها وهُوَّ على مَنْ صَبَّهُ الله علقمُ

وشُددتِ الياء في قول الآخر :

والنفسُ ما أُمِرَتْ بالعنفِ آبِيَةٌ وَهِيَّ إن أُمِرتْ باللطف تأتمرَ

وقد تحذف الواو والياء في ضرائر الشعر ، كقول المخلب الهلالي :

فبَيْناهُ يَشْرِي رحله قال قائل : لمن جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ ذَلولُ[1]

أي : فبينا هو .

د ـ إعراب ضمائر الرفع المنفصلة :

ليس للضمير المنفصل مواضع إعرابية كثيرة ، فمعظم مواقعه أن يكون مبتدأ ، والقليل منها أن يكون فاعلاً أو نائباً عن الفاعل أو توكيداً أَو مجروراً بحرف .

وإذا عرفنا أن التوكيد قد يكون لمنصوب أَو لمجرور ، أدركنا أن تسمية هذه الضمائر بضمائر الرفع إنما هو ضرب من المجاز أو التجوز ، لكثرة المواقع التي تكون فيها مبتدأ .

١ ـ في محل رفع مبتدأ :

وشواهد هذا لاتُحصى ، نكتفي منها بقول دريد بن الصمة :

وهل أنا إلا من غَزِيةَ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وإن تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

---

(١) يرويه النحاة : رخو الملاط نجيب . وهو تحريف وقع في رواية سيبويه فتبعه النحاة بعده والقصيدة لامية .

وقول الفرزدق :

وأنت امرؤ ياذئبُ والغدرُ كنتما أُخَيَّيْنِ كانا أُرضِعا بِلِبانِ

وقول سحيم عبد بني الحسحاس :

فلو كنتُ مختاراً لنفسي وصاحبي من الناس بيضاوينِ قلتُ : هما هما

٢ ـ في محل رفع فاعل أو نائب فاعل :

وهذا قليل ، وله موقعان ، أولهما بعد أداة الحصر (إلا) ، كما في قول عمرو بن مَعْدِ يكرب :

قد علمتْ سلمى وجاراتُها ماقَطَّرَ الفارسَ إلا أنا

أو في تركيب القصر عامة ، كقول الفرزدق :

أنا الذائدُ الحامي الذمارِ وإِنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

فالضمير : أنا : في عجز البيت فاعل للفعل : يدافع ، لوقوعه في تركيب القصر : إِنما يدافع عن أحسابهم أنا . وتقول : ماقُتِلَ في المعركة إلا هُوَ . فالضمير هنا نائب عن الفاعل .

أما الموقع الثاني فليس من المواضع القياسية ، وإِنما يكون في ضرورة الشعر ، كما في قول الشاعر :

أَصَرَمْتَ حبل الحي أم صرموا ياصاحِ بل صَرَمَ الحبالَ هُم

فالضمير : هم ، في نهاية البيت فاعل للفعل : صرم ، ولعل ما في التركيب من معنى الحصر كان سبباً في ركوب الشاعر هذه الضرورة .

٣ ـ توكيد الضمير :

ويقع الضمير هذا مؤكداً لضمير متقدم عليه ، سواء أكان متصلاً أم مستتراً ، وسواء أكان موقعه الرفع أم غير الرفع ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ أسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ (البقرة : ٣٥) فالضمير : أنت ، مؤكد لضمير الفاعل المستتر في الفعل : اسكن ومحله الرفع ، ومنه أيضاً قول الخطيئة :

دع المكارم لاترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

الضمير : أنت ، هنا مؤكد للضمير المتصل قبله ، محله النصب .

ومثل قولك : رأيتك أنت وأباك . عرفته هو وأخاه . فـ « أنت » مؤكد لضمير النصب الذي قبله ، ومثله « هو » . وتقول : مررتُ به هو نفسِه ، فالضمير « هو » جاء مؤكداً لضمير الجر الذي قبله .

ويتعيّن هذا في عطف الاسم الظاهر على الضمير المستتر أو المتصل ، إذا كان في محل رفع ، إِذ لايجوز العطف بغير توكيد إِلا في ضرورة الشعر ، أما في اختيار الكلام فغير جائز تقول : جاء هو وأبوه ، وجئت أنت وأبوك ، وذهبت أنا وأبي ، أما العطف على ضمير النصب فلا يشترط فيه هذا ولايجب ، ولكن يجوز جوازاً ، إِذ يمكن أن تقول : أيته وأباه ، أو : رأيته هو وأباه ، وهكذا .

٤ ـ في محل جر بالحرف :

هذا الموضع شاذ في تركيب الجملة العربية ، ومن أجل ذلك عده النحويون من المسموع الذي لايقاس عليه ، إِذ جاء عن العرب قولهم : أنا كأنت وأنت كهوَ .

٣ ـ ضمير النصب المنفصل :

هو ضمير واحد فقط (إيّا) ، ولكنه يعبر عن أشياء كثيرة بوساطة لواحقَ تلحق به ، فللمفرد الغائب : إِياه ، وللغائبة : إِياها : وللمثنى ، مذكراً أو مؤنثاً : إِياهما ، ولجمع الذكور : إياهم ، ولجمع الإناث : إِياهن ، وللمخاطب المفرد : إِياك ، وللمثنى : إياكما ، وللجمع المذكر : إياكم ، وللمؤنث : إِياكن ، وللمتكلم ، إِيايَ ، وللمتكلمين : إِيانا .

هذا الذي اثبتناه هو الرأي الصحيح ، الذي يدل على طبيعة اللغة غير أن هناك رأيين آخرين ليسا بشيء ، وإِنما نثبتهما للاطلاع ليسَ غيرُ ، يذهب أولهما إِلى أن : إيا ، وملحقاته ، هو الضمير ، فقولنا إِياكَ نعبد ، يعد فيه : إِياك ، كله مع الكاف الملحقة به هو الضمير ، وليس كما يقول المذهب الصحيح : إِيا ، ضمير ، والكاف حرف خطاب . وكذلك الشأن في إِياه ، وإِياها ، وإِياهم ، و . . .

وثمة رأي أكثر ضعفاً منه ، يرى أن (إيا) وحده هو الضمير ، أما لواحقه فضمائر أيضاً ، محلها الجر بالإضافة ، واحتج هؤلاء بما نُقِلَ لِسيبويه عن أُستاذه الخليل بن أحمد ، أنه سمع بعض العرب يقول : إذا بلغ الرجلُ الستين فإياهُ وإيا الشَّوابِّ ، بجر الشواب ، على أنه مضاف إليه(١) ، وإذا صح مانقل عن الخليل كان من النادر الذي لايعرج عليه في بناء الأصول النحوية .

وهناك آراء أخرى يحسن إغفالها لكثرتها واضطرابها(٢) ، وهي تدل على أن النحاة لم يستقِرُّوا على رأي ثابت في هذه الكلمة .

وهذا الضمير لايقع إِلا في موقع الاسم المنصوب ، كقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإِياك نستعين ﴾ (الفاتحة : ٤) وقول الأعشى :

فــإيّــاكَ والميتــاتِ لاتقــرَبَنَّهــا ولاتعبــدِ الأوثــانَ والله فــاعبــدا

فالضمير في الآية الكريمة مفعول به للفعل : نعبد ، أو للفعل ، نستعين ، وفي البيت مفعول به لفعل محذوف تقديره : احذر .

الضمير المستَتِر

يستتر الضمير أحياناً ، فلا يكون له في ظاهر الكلام صورة لفظية ، بل يكون ملحوظاً من معنى الكلام : لهذا يجب تقديره في الإعراب ، قال قيس بن ذريح :

فيا قلبُ خبرني إِذا شَطَّتِ النوى بلبنى وصَدَّتْ عنكَ ما أنتَ صانعُ

ففي الفعل : خَبِّرْ ، ضمير مستتر . هو : أنت ، وفي الفعل : صدت ، ضمير آخر تقديره : هي ، واستتاره على ضربين : أولهما جائز ، والثاني واجب .

---

(١) انظر : كتاب سيبويه ١/ ١٤١ (طبعة بولاق) .

(٢) انظر في هذا : المقتضب للمبرد ١/ ٦١ ، ٢/ ٢١٢ والخصائص ٢/ ١٨٩ وسر الصناعة ١/ ٣١٣ وأعجب العجب للزمخشري ٤٨ وشرح الكافية للرضي ٢/ ١٢ وشرح اللمع لابن الدهان (مخطوطة بدار الكتب المصرية) الورقة ٩ ومشكل إعراب القرآن لمكي القيرواني (مخطوطة بدار الكتب المصرية) الورقة ٣ وشرح التسهيل لأبي حيان (مخطوطة المكتبة الأحمدية بحلب) ١/ ١٢٣ .

١ ـ استتاره جوازاً :

يستتر جوازاً في حال واحدة ، وذلك إِذا كان بصيغة الغائب المفرد ، أو الغائبة المفردة ، أي : إِذا كان تقديره : هو ، أو : هي ، وهذا كثير في الكلام ، من ذلك قول جعفر بن عُلَّبة :

أتتنا فحيتْ ثم قامتْ فودعتْ   فلما تولتْ كادتِ النفس تزهقُ

فالأفعال : أتت ، وحيت ، وقامت ، وودعت ، وتولت . كلها لم يظهر فاعلها ، بل استتر فيها ، واستتاره جائز ، لأنه بصيغة الغائبة المفردة : هي ، ومثل ذلك قول سعد بن ناشب :

إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه   ونكَّبَ عن ذكرِ العواقب جانبا

كذلك استتر في كل الأفعال : همَّ ، ألقى ، نكب ، ضمير مستتر بصيغة المفرد الغائب هو ، واستتاره جائز أيضاً .

٢ ـ استتاره وجوباً :

ويستتر وجوباً إِذا كان بصيغة المخاطب المفرد ، وإِذا كان للمتكلم مفرداً ومثنى وجمعاً ، وعلى هذا يستتر وجوباً إِذا كان تقديره : أنت ، أو أنا ، أو نحن . ولكن ذلك مقصور على فعل الأمر ، والفعل المضارع ، كقول يزيد بن الحكم :

تُكاشِرُني كَرْهاً كأنكَ ناصحٌ   وعينكُ تُبدِي أن صدرَكَ لي دَوِي

ففي الفعل : تكاشرني : ضمير مستتر وجوباً ، هو : أنتَ . ومثله قول عبد الله العميري :

ومالِيَ شيء منكما غيرَ أنني   أُمَنّي الصدى ظِليْكما فأطيلُ

استتر وجوباً في كل من الفعلين : أمنّي ، وأطيل ، ضمير تقديره : أنا ، ومنه قول السموءل :

ونُنْكِرُ إِن شئنا على الناسِ قولهم   ولا ينكرون القولَ حين نقول

استتر أيضاً في كل منَ الفعلين : ننكر ، ونقول ، ضمير تقديره : نحن .

هذا هو الأصل ، ولكن يشذ منه موضعان ، إِذ يكون فيهما الضمير

المستتر غائباً بصيغة المفرد : هو ، ولايجوز مع ذلك إظهاره ، وذلك بصيغة التعجب ، وفي أفعال الاستثناء ، فمن الأول قول القحيف العقيلي :

خليلـيّ إن الشيـب داءٌ كـرِهْتُـهُ فما أحسنَ المرعى وما أقبحَ المحلا

ففي الفعلين : أحسنَ ، وأقبحَ ، استتر فاعلان وجوباً ، تقدير كل منهما : هو ، يرجع إلى أداة التعجب : ما ، ومن الثاني قول الأخطل :

رأيتُ النـاسَ مـاحـاشـا قـريشـاً فـإنـا نحـن أفضلهـم فَعـالا

استتر فاعل في : حاشا استتاراً واجباً ، تقديره : هو ، يعود إلى مصدر منتزع من الفعل المتقدم وهو : رأيت ، ومثله قول لبيد بن ربيعة :

ألا كـل شـيءٍ مـاخـلا الله بـاطِـلُ وكـلُّ نعيـمٍ لامحـالـةَ زائـلُ

ومثله قولك : جاء الناس ما عدا أخاك .

ضميرُ الفصل

١ ـ ماهو :

يستعمل الضمير أحياناً استعمالاً خاصاً ، فلا يكون مسنداً إليه ، كما هو الشأن في معظم مواقعه ، ولكنه يقع بين المبتدأ والخبر ، أو بين ما أصلهما المبتدأ والخبر ، ليكون مؤكداً نحو قولك : أخوك هو الكريم . فالضمير (هو) ـ كما ترى ـ وقع بين المبتدأ وخبره . وأكد الإسناد ، ولم يسند إليه شيء ، أي لم يقع مبتدأ وما بعده خبر له ، هذا ولايشترط أن يكون المبتدأ أو ما أصله المبتدأ قبله صريحاً ، فقد يكون ضميراً مستتراً كقول مالك بن القَيْن :

لعـل الـذي يـرجـو رَدايَ ويـدعـي به قبل موتي أن يكون هو الردِي

ولايكون في هذا الاستعمال إلا بصورة ضمير الرفع المنفصل ، سواء أكان للغائب أم للمخاطب ، أم للمتكلم ، نحو قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ (البقرة : ٥) وقوله : ﴿ لا علمَ لنا إلا ماعلمتنا إنك أنتَ العليمُ الحكيم ﴾ (البقرة : ٣٢) وقوله : ﴿ نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ﴾ (الحجر : ٤٩) .

فأنت ترى في الشواهد الثلاثة أن الضمير وقع بين المبتدأ والخبر ، كما في الآية الأولى : أولئك هم المفحلون ، وبين اسم حرف ناسخ وخبره ، كما في الآيتين الأُخْرَيَيْنِ ، ويقع كذلك بين معمولَيْ عاملٍ آخر ناسخٍ للمبتدأ والخبر ، كمعمولي الفعل القلبي ، كقوله تعالى : ﴿ وما تُقَدِّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله هو خيراً وأعظمَ أجراً ﴾ (المزمل : ٢٠) .

ويتضح لك مما تقدم أن هذا الضمير يطابق ما قبله في الإِفراد والجمع ، وفي الغيبة والتكلم والخطاب ، ويطابقه كذلك في التذكير والتأنيث ، إِلا أن الشعراء قد يخرجون على هذا حين تضطرهم قيود القافية أو الوزن ، أو حين يدفعهم الاستغراق النفسي إلى التوهم ، وهذا واضح لك في قول جرير :

وكائنْ في الأباطحِ من صديقٍ ... يراني لو أُصبتُ هو المصابا

فمعمول الفعل القلبي ضمير المتكلم ، ولم يحصل بينه وبين ضمير الفصل مطابقة ، فتأوله النحاة على حذف المضاف وإِقامة المضاف إليه مُقامه ، أي أن الأصل : يرى مصابي هو المصاب ، ثم حذف : مصاب ، وهو المضاف ، وأقام مُقامه المضافَ إليه وهو ضمير المتكلم ، ولعل الشاعر أراد : يرى نفسه هو المصاب ، ولكن اضطربت عنده الضمائر ، على غرار ما نجد في بعض النصوص الشعرية[1] .

وقد ذكرنا في مطلع الحديث عن هذا الضمير أنه يفيد معنى التوكيد ، وهذا لايعني أنه من ألفاظ التوكيد ، مثل : نفس ، وعين ، وكل ، يدلك على هذا أمران : أولهما أن ألفاظ التوكيد تؤكد الاسم الظاهر ، والضمير لايؤكد الاسم الظاهر ، فلا يقال : مررت بأخيك هو ، بل يقال : مررت بأخيك نفسه ، والثاني أنه تدخل عليه اللام المزحلقة ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ (هود : ٨٧) ، وألفاظ التوكيد لاتدخلها اللام ، فلا يقال : إِن أخاك لَنفسَه كريم .

(١) انظر هذا في بحث إعراب الجمل : جملة الصلة ، وجملة الصفة ، ص : ١٠٣ و ١٣٤ .

ويتبين مما تقدم أيضاً أن الاسم الذي يلي ضمير الفصل يجب أن يكون أحد شيئين : إما اسماً معرفاً بـ : أل ، وإما اسمَ تفضيل ، وأجاز بعضهم أن يكون معرفاً بالإضافة ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ قال : إني أنا أخوك ، فلا تبتئس بما كانوا يعملون ﴾ . (يوسف : ٦٩) ، وأجاز بعضهم أن يكون معرفاً بالعلمية ، نحو : إني أنا زيد ، ورفض آخرون أن يكون التعريف بغير (أل) ، وذهبوا إلى أن (أنا) توكيد في غير ذلك .

٢ ـ لماذا سُميَ ضميرَ فصل :

لهذا الضمير ثلاثة مصطلحات في النحو العربي ، إذ يسميه بعضهم : ضمير الفصل ، ويسميه آخرون عماداً ، وفريق ثالث يسميه دعامة ، والأسماء الثلاثة تؤدي معنى واحداً ، أما تسميته فصلاً فترجع إلى أنه يَفْصِل بين المبتدأ والخبر ، أو ما أصلهما كذلك ، أو إلى أنه يَميزُ الخبرَ من التابع ، فإن قلت : أخوك الكريم . فقد يُظَن أنّ (الكريم) صفة تابعة لـ (أخوك) ، لأن شروط الوصف كلها متوفرة ، ولكن إذا قلت : أخوك هو الكريم ، ظهر لك بوضوح أنه خبر لاصفة .

والذين سموه عماداً هو نحاة الكوفة[١] ، وعلة ذلك أنه يُعْتَمد عليه في تمييز الخبر من التابع ، وهذا كما ترى لايختلف في التوجيه عما ذهب إليه بعض النحويين في تفسير المصطلح « فصل » ، إلا أن الإمام الرضي ـ أحدَ شراح الكافية ـ يرى رأياً قريباً من هذا ، فيذهب إلى أنه سمي عماداً لأنه يحفظ ما بعده ويصونه ، حتى لايسقط عن الخبرية ، مثله في ذلك مثل العماد في البيت الذي يحفظ السقف من السقوط[٢] ، وبهذا يبين لنا الرضي منشأ المصطلح .

(١) يطلق الكوفيون مصطلح (عماد) أيضاً على ضمير الشأن . انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢١٢ ، ٢٢٨ ، ٣/١٨٥ ، ٢٩٩ ، ومجالس ثعلب ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٥٩٣ .

(٢) شرح الكافية ٢/٢٣ .

٣ ـ إعرابه :

استدل النحويون من استقرائهم للعربية أن هذا الضمير يختلف في هذا الموضع عن المواضع الأخرى ، وذهب أكثرهم إلى أنه هنا حرف لا اسم[١] ، والحرف لا محلَّ له من الإعراب ، ولذلك يَسْمَحُ لما قبله بأن يعمل فيما بعده ، كما مر معك في الشواهد السابقة ، وكما يتضح لك أيضاً في قوله تعالى : ﴿ اللهم إِن كان هذا هو الحقَّ من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ﴾ (الأنفال : ٣٢) وقوله : ﴿ فلما توفيتَني كنتُ أنتَ الرقيبَ عليهم ﴾ (المائدة : ١١٧) فالفعل الناقص في الآيتين نصب الخبر بعد ضمير الفصل ، وكذلك الأمر لو كان فعلا من أفعال القلوب ، نحو قوله : ﴿ إِن ترني أنا أقلَّ منك مالاً وولدا . . . ﴾ (الكهف : ٣٩) فقوله : أقلَّ ، مفعول به ثان للفعل : ترني ، وقد نصب على الرغم من فصل الضمير بينه وبين العامل .

وعند النحويين نصوص قليلة جداً جاء فيها ضمير الفصل ذا محل إعرابي ، إذ وقع موقع المبتدأ ، من ذلك ما جاء في بعض القراءات القرآنية الخارجة عن إطار القراءات السبع المشهورة ، وهو قوله : ﴿ وما ظلمناهم ، ولكن كانوا هم الظالمون ﴾ (الزخرف : ٧٦) فقد ارتفع هنا : الظالمون ، لأنه لم يتأثر بالفعل الناقص قبل الضمير ، وعلى هذا يكون : هم ، مبتدأ ، والظالمون خبره ، وجاء في الحديث النبوي قوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يكونَ أبواه هما اللذان يهوِّدانه أو ينصرانه » فقوله : اللذان ، مرفوع على أنه خبر للمبتدأ : هما : وقد سار في المولدين من شعراء العربية على هذه اللغة أبو نواس في قوله :

دعْ عنك لومي فإن اللومَ إغراءُ وداوِني بالتي كانتْ هي الداءُ

وجرى على ذلك أيضاً شاعر متصوف هو السهروردي الحلبي في قوله :

بدا لكَ سرٌّ طال عنك اكتتامُهُ ولاح صباحٌ كنت أنت ظلامُهُ

---

(١) نسب إلى الخليل وسيبويه أنهما يريان أن ضمير الفصل اسم لاحرف ، ولكن لامحل له .

وأنت حجابُ القلبِ عن سِرِّ غَيْبِهِ   ولـولاكَ لـم يُطْبَـعْ عليـك ختـامُـهُ

ضمير الشأن

١ ـ ماهو :

وهذا استعمال آخر للضمير ، يختلف عما مر بنا ، إذ يذكر قبل جملة ما ، ويكون كناية عنها ، ولايأتي إلا بصيغة الغائب ، منفصلاً ، أو متصلاً ، أو مستتراً ، ويعني : الشأن أو الأمر ، أو القصة ، كقوله تعالى : ﴿ يا موسى : إنه أنا الله العزيز الحكيم ﴾ (النمل : ٩) فالهاء في : إنه ، لا ترجع إلى اسم مذكور قبلها ، بل تقوم مقام : الشأن ، أو الأمر ، فكانه قال : إن الشأن أنا الله العزيز الحكيم . والجملة التي بعده هي الضمير نفسه ، أي هي الشأن المقصود ، ومن أجل ذلك عدها النحاة تفسيراً لهذا الضمير من حيث المعنى ، لا من حيث الاعراب ، وكذلك نجد في قول أبي حية النميري :

وإن دمـاً لـو تعلمـيـن أرقتِـهِ   على الحي جاني مثلِهِ غيرُ سالمِ
أمـا إنـهُ لـو كـان غيـرُكِ أرقَلَـتْ   إليـه القنـا بـالـراعِفـاتِ اللهـاذِمِ

فالضمير في : إنه ، ضمير شأن ، فسرته الجملة الشرطية بعده .

وإنما كان هذا الضمير بصيغة الغائب لأمرين :

الأول : أنه ضمير يراد منه الإبهام ، لأنه لايعود إلى شيء ، ومن أجل ذلك سماه نحاة الكوفة مجهولاً وهذا المعنى فيه يوافق ضمير الغيبة ، لأن ضميري المخاطب والمتكلم واضحان خاليان من الإبهام ، وفي غير حاجةٍ إلى أن يعودا إلى اسم مذكور قبلهما .

والثاني : أن هذا الضمير لايطابق شيئاً قبله ، كما رأينا في ضمير الفصل ، ولايعود إلى شيء ، وكل مايعنيه : الشأن أو القصة ، ولتوضيح ذلك نضرب لك مثالاً ، هب أنك سمعت جلبةً في بعض ممرات الكلية ، فسألت زميلاً لك : ما الخبر ؟ أو الشأن ، أو ما القصة ؟ وأجابك : هو الطلاب خارج قاعة الدرس . أفلست فاهماً من الضمير : هو ، ما يعنيه : الشأن أو الخبر ؟ .

ويسمى هذا الضمير عند جمهور النحاة ضمير الشان إن كان مذكراً ، وضمير القصة إن كان مؤنثاً ، ومن تسمياته التي لم تَشِع إلا في أوقات قصيرة ، ما أطلقه عليه الكوفيون ، كالمجهول مرة ، والعماد مرة أخرى .

ويرى النحويون أن في استعمال هذا الضمير ضرباً من المبالغة ، وهم على حق فيما يذهبون إليه ، لأنه يقع موقعاً يثير الانتباه ، لما فيه من غموض وإبهام ، ثم تعقبه جملة مفسرة له ، كاشفة عن غموضه ، ومن أجل ذلك يرون أنه لايستعمل إلا في المواضع التي يكون فيها مضمون الجملة المفسرة ذا أهمية .

ويفضل أن يؤنث ضمير الشأن إذا كان في الجملة المفسرة بعده مؤنث ، وذلك ليحصل التجانس بين أجزاء الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (الحج : ٤٦) وقوله : ﴿ فإذا هي شاخصة أبصارُ الذين كفروا ﴾ (الأنبياء : ٩٧) وقول أبي خراش الهُذَلي :

علــى أنهــا تعفــو الكلــوم وإنمــا نوكل بالأدنى وإن جلَّ ما يمضي

ويشترط هنا ألا يكون الاسم المؤنث فضلة ، أو كالفضلة ، فلا يقال مثلاً : إنها بنيتُ غرفةٌ ، أو إنها كانت أُختك نبيلةً ، لأن الغرفة فضلة ، ونبيلة ، شبيهة بالفضلة ، لانتصابها كما تنصبُ الفضلات .

وكان القياس أن يصح تأنيث ضمير الشأن وإن لم يكن في الجملة المفسرة مؤنث ، لأنه كما قلنا يحل محل القصة أو القضية ، ولكن السماع هنا يمنع ذلك ، فليس بين أيدينا نص فصيح من شعر أو نثر يبيح لنا أن نجعل ذلك قياساً .

٢ ـ أحكامه :

ولهذا الضمير أحكام يختلف فيها عن بقية الضمائر ، فهو :

١ ـ يلزم الإفراد : فلا يأتي مثنى أوجمعاً ، لأنه ـ كما قلنا ـ لايطابق شيئاً يرجع إليه .

٢ ـ لا يأتي بعده تابع له : فلا يعطف عليه ، ولا يؤكد ، ولايبدل منه ، وعلة ذلك أنه ضمير مبهم ، وإبهامه مقصود ، والتابع من شأنه أن يوضح متبوعه .

٣ ـ وهو أبداً يقع قبل الجملة المفسرة له ، لئلا يزول إبهامه ، فإذا تقدمت عليه صار في غير حاجة إلى مفسر ، ولم يعد مجهولاً ، كما يرى الكوفيون .

٣ ـ إعرابه :

لايزيد إعراب هذا الضمير على ثلاثة أشياء ، هي :

١ ـ مبتدأ .

٢ ـ ما أصله المبتدأ .

٣ ـ مفعول به أول لفعل قلبي ناسخ . وأصل هذا مبتدأ أيضاً .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ (الصمد : ١) وقوله : ﴿ فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾ (الأنبياء : ٩٧) ومن الثاني ما مر بك من قول أبي خراش : « على أنها تعفو الكلوم » وقوله تعالى : ﴿ إنها لاتعمى الأبصار ﴾ . ومن ذلك قول الشاعر :

ومـاهـو مَـنْ يـأسـو الكلـومَ وتُتقَـى   به نائباتُ الدهرِ كالدائم البخلِ

فالضمير هو ، اسم (ما) العاملة عمل ليس ، على مذهب جمهور النحويين[١] .

أما مثال وقوعه موقع المفعول الأول لفعل قلبي ، فكقول الشاعر :

علمتـهُ الحـقّ لايخفـى علـى أحـد   فكن محقاً تنل ما شئت من ظفر

فالهاء في : علمته ، ضمير شأن ، محله النصب لأنه مفعول به أول للفعل : علم .

ومهما يكن إعراب ضمير الشأن فلا بد من أن تتلوه جملة مفسرة متممة لإعرابه كأن تكون خبراً له ، أو معمولا للناسخ الذي عمل فيه ، وفي الحالين لا

(١) هناك من ينكر أن يقع ضمير الشأن اسماً لـ (ما) العاملة عمل ليس .

تتضمن هذه الجملة ضميراً يرجع إلى ضمير الشأن ، كما هي الحال في أشباه ذلك ، لأن هذه الجملة هي الضمير نفسه . فإذا كان ذلك كذلك لم يبق في الكلام حاجة إلى هذا الضمير الرابط .

وهذه الجملة قد تكون اسمية ، وقد تكون فعلية ، فإذا كان ضمير الشأن مبتدأ وجب أن تكون اسمية ، كما رأيت في قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، أما إن كان معمولا لناسخ من الحروف أو الأفعال ، جاز أن تكون الجملة اسمية ، كما رأيت في قوله الشاعر : علمته الحق . . . وأن تكون فعلية كما رأيت في قوله تعالى : ﴿ إنها لاتعمى الأبصار ﴾ .

هذا هو الكثير المستقرى من كلام العرب ، وعليه جمهور النحاة ، إلا أن بعضهم أجاز أن يفسر ضمير الشأن بمفرد ، وقد نسب هذا المذهب إلى نحاة الكوفة عامة ، وإلى الفراء منهم خاصة[1] ، وفي أيدي هؤلاء شواهد قليلة لاتدل دلالة جازمة على مايذهبون إليه ، من ذلك قول أبي خراش الهذلي :

ومــا هــو إلا أن أَراهــا فَجــاءةً　　　فــأبهــت ، لاعُــرْفٌ لــديَّ ولانُكْــرُ

فقوله : هو ، ضمير شأن ، محله الرفع على الابتداء ، والمصدر المؤول خبره ، وتقديره : وما الشأن إلا رؤيتي لها فجاءةً فأبهت ، ولاشك أن من الممكن أن يؤول الكلام على القياس ، فيجعل المصدر المؤول مبتدأ ، وخبره محذوف ، تقديره : حاصلة ، وتكون الجملة الاسمية هي الخبر لضمير الشأن .

ومن هذه الشواهد قوله تعالى : ﴿ وهو محرم عليكم إخراجهم ﴾ (البقرة: ٨٥) فالضمير (هو) ضمير شأن مبتدأ ، ومحرم خبره وإخراجهم نائب عن فاعل لاسم المفعول . هذا إعراب الكوفيين ، أما إعراب الجمهور ، فإخراجهم مبتدأ ثان مؤخر ، ومحرم خبره المقدم ، والجملة كلها في محل رفع خبر لضمير الشأن ، وإنما ألجأ الكوفيين إلى إعرابهم الذي ذكرنا أنهم

(١) انظر : شرح الكافية للرضي ٢/ ٢٥ وشرح المفصل ٣/ ١١٤ والدر المصون للسمين الحلبي (مخطوطة الأحمدية بحلب) الورقة ١١٣ والبحر المحيط ١/ ٣١٥ ، خزانة الأدب ٣/ ٦١٦ .

يؤمنون بأصل نحوي لايحيدون عنه ، هو أنه لايجوز تقديم الضمير على الاسم الذي يرجع إِليه ، لفظاً أو رتبة ، فإذا جعلنا (محرم) خبراً مقدماً ، كان الضمير المستتر فيه راجعاً إلى (إخراجهم) وعلى هذا تقدم الضمير على الاسم ، وهو غير جائز عندهم . أما البصريون فيجيزون أن يتقدم الضمير على صاحبه لفظاً ، ويمنعون تقديمه عليه رتبة ، ولهذا لايجدون في أنفسهم حرجاً من أن يعربوا (محرم) خبراً ، وإخراجهم مبتدأ .

ومن هذه الشواهد أيضاً قوله تعالى : ﴿ يود أحدهم لو يُعَمَّر ألفَ سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ﴾ (البقرة : ٩٦) . ولعل هذا أقوى الشواهد دلالة على مذهب هؤلاء ، فقد اجتذب نحوياً يعد نفسه بصريَّ النزعة ، هو أبو علي الفارسي ، فجعل : هو ، ضميرَ شأنٍ مبتدأ ، وجعل خبره قوله : بمزحزحه ، والباء فيه زائدة ، والمصدر المؤول : أن يعمرَ ، فاعل للخبر المشتق ، وعلى هذا يكون ضمير الشأن مخبراً عنه بمفرد لا بجملة ، أما النحويون الآخرون فيجعلون : هو ، ضميراً لغير الشأن ، ويَرْجِعونَه إلى : أحدهم ، وبهذا تخلو الآيةُ من شاهد .

أما ماذهب إليه أبو علي الفارسي فيشبه رأي الفراء ـ على ما ينسب إليه ـ وهو جواز تفسير ضمير الشأن بمفرد عاملٍ عملَ الفعل ، كأن تقول : ظننته قائماً أخوك . فالهاء ضمير شأن مفعول أول للفعل الناسخ . وقائماً : مفعوله الثاني ، وهو مفسر لضمير الشأن ، وأخوك : فاعل لاسم الفاعل (قائماً) .

٤ ـ استتار ضمير الشأن :

ويستتر ضمير الشان كما تستتر الضمائر الأخرى ، ويرى النحويون أنه يستتر إِذا كان مرفوعاً في بابيْ : كان ، وكاد ، ويشذ استتاره إذا كان منصوباً في غير باب (أنْ) المخففة من الثقيلة .

وإِذا استقرينا النصوص الفصيحة التي بين أيدينا وجدنا استتار هذا الضمير على ضربين : قياسي ، وسماعي .

آ ـ استتاره قياساً :

يستتر هذا الضمير قياساً إذا وقع اسماً لـ : أنْ ، المخففة من الثقيلة ، وهذا كثير جداً في اللغة العربية ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ علم أنْ سيكون منكم مرضى ﴾ (المزمل : ٢٠) فاسم (أن) المخففة هنا مستتر ، وهو ضمير شأن ، تقديره : علم أنه سيكون ، ومثله قول الأعشى :

في فتية كسيوف الهند قد علموا   أنْ هالكٌ كلُّ من يَحْفى وينتعل

أي : علموا أنه هالك كل من يحفى وينتعل . وقول جميل بثينة :

ألا قد أرى والله أنْ رُبَّ عَبْرةٍ   إذا الدارُ شَطَّتْ بيننا سَتَرُوْدُ

أي : أنه رب عبرة .

ويستتر قياساً أيضاً إذا وقع اسماً لـ : كأن ، المخففة من : كأنَّ ، كما في قول الأبيرد الرياحي يرثي أخاه يزيداً :

كأن لم يصاحبْنا يزيدٌ بغبطةٍ   ولم تأتِنا يوماً بأخباره البُشْرُ

أي : كأنه لم يصاحبنا يزيد .

ب ـ استتاره سماعاً :

وجاء عن العرب من النصوص مايدل على أن ضمير الشأن قد يستتر سماعاً ، من دون قياس ، فقد روى الخليل : « أن ناساً من العرب يقولون : إِنَّ بك زيدٌ مأخوذ . فقال : هذا على قوله : إِنه بك زيد مأخوذ »[1] .

وجاء في الشعر من هذا قول الأخطل :

إنَّ مَنْ يدخلِ الكنيسةَ يوماً   يلقَ فيها جآذراً وظباءَ

فقوله : مَنْ ، اسم شرط ، له الصدارة ، ومن أجل ذلك لايمكن أن يكون محله النصب ، اسماً لإنَّ المتقدمة عليه ، لأن ماله الصدارة لايعمل فيه عامل قبله ، وعلى هذا يكون مبتدأ ، وتكون جملته خبراً لإنَّ ، أما اسم (إنَّ) فضمير شأن مستتر ، أي : إِنه مَنْ يدخلِ .

والنحاة لايعدون هذا الاستتار من اللغة الفصيحة ، لأنهم لايجيزونه حين

(١) كتاب سيبويه ١/ ٢٨١ . (بولاق) .

يكون ضمير الشأن في موضع النصب إلا إذا كان اسماً لـ : أنْ المخففة ، أو اسماً لـ : كأن ، المخففة أيضاً ، ولكنهم يجيزون حذفه إذا وقع موقع المرفوع في بابيْ : كان وكاذ ، وبين أيديهم غيرُ شاهدٍ ، كقول العُجَيْرِ السلولي :

إذا مت كان الناسُ صنفان : شامِتٌ وآخَرُ مثنٍ بالذي كنت أصنع

فاسم كان ، ضمير شأن مستتر ، والناس صنفان ، جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل النصب خبر كان .

ومثله قول هشام أخي ذي الرمة :

هي الشفاء لداءٍ لو ظفرتُ بها وليس منها شفاءُ الداءِ مبذولُ

استتر أيضاً اسم : ليس ، وهو ضمير شأن ، وشفاء الداء مبذول ، جملة اسمية ، في محل نصب ، خبر ليس .

ولعلك تلمح في هذين الشاهدين وفي تخريج النحويين لهما ما فيه من تكلف ، فلو قال الشاعر : كان الناس صنفين ، وقال الآخر : مبذولاً ، لما تورطوا فيما تورطوا فيه من تخريج ، ولكن الشاعرين لم يجريا على القياس اللغوي ، فحملا النحاةَ على مثل هذا المركبِ الوَعْرِ .



اسم الإشارة

آ ـ ماهو :

ينتمي اسم الإشارة إلى فئةٍ من الأسماء يقال لها : الأسماء المبهمة . وهي التي لا تطلق على مُسَمّىً خاص ، ولاتدل بذاتها على شيء محدَّد ، بل تستعين بغيرها من عناصر التركيب اللغوي ليحدد مدلولها ، أو يبينه .

فاسم الإشارة مثلاً يعيّن مدلوله بوساطة الإشارة الحسية إليه ، ولكن لابد له من سياقٍ ، فإذا عُزِل عنه كانت دلالته على الإشارة دلالة مجردة مطلقة ، مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ الحرف ، لايَبِينُ معناه ولايتحدَّدُ إلا بغيره من عناصرِ السياق ، أو التركيب اللغوي .

وقد يشتمل اسم الإشارة في السياق على دلالتين متداخلتين هما : معنى الإشارة ، ومعنى المشار إليه ، تأمل قوله تعالى : ﴿ فلما جنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً ، قال : هذا ربي ﴾ .(الأنعام : ٧٧) أي : هذا الكوكب ربي . ويتعيَّن هذا حين يقع المشار إليه قبل اسم الإشارة ، كما رأيت في الآية ، ومن ذلك قوله أيضاً ، ﴿ إن السمع والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ (الإسراء : ٣٦) . أما إذا وقع بعده فإن المعنى المتداخل يحصل من مجموع الإشارة والمشار إليه ، كما ترى في قول جرير :

ذُمَّ المنازِلَ بعدَ مَنْزِلَةِ اللِّوى والعَيْشَ بعد أولئكَ الأيّامِ[1]

وقد يكون المشار إليه غيرَ مذكور في التركيب اللغوي ، بل يُستنتج من

(١) إذا وقع المشار إليه مُعَرَّفاً وغيرَ مسندٍ بعد اسم الإشارة أُعْرب بدلاً أو عطفَ بيان إذا كان جامداً ، مثل : هذا العملُ محمودٌ . وهذا الرأيُ سديد . وأعرب صفة إذا كان مشتقاً ، مثل : هذا الشاعر مشهور . وهذا البطل خالدٌ . وإذا سقط البدل أو الوصف من التركيب وذكر المسندُ بعد اسم الإشارة فقد يأتي في التركيب اسم منصوب يُعرب حالاً مثل : هذا عمي وزيراً ، وهذا منهاجي مستقيماً ، وهذا رأيي واضحاً ، وهذا بعلي شيخاً ، وهذا صراطي مستقيماً .

السياق العام ، كقول الشاعر ، وهو أرطاة بن سُهية المري :

تمنَّتْ ، وذاكُمْ من سفاهة رأيها لأهجوَها لما هجتني محاربُ

أي : وذاكمُ الأمرُ الذي تمنته حاصلٌ من سفاهة رأيها . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إنها بقرةٌ لافارضٌ ولابكرٌ عَوانٌ بين ذلك ﴾ (البقرة : ٧٣) أي بين ماذُكِرَ من الفارض والبكر . ومثله أيضاً قول عبد الله بن الزبعرى :

إن للخير وللشرِّ مدىً وكلا ذلكَ وَجْهٌ وقَبَلْ

أي : وكلا ماذكر من الخير والشر .

ب ـ أسماء الإشارة :

ليست أسماء الإشارة كثيرةً في اللغة ، ويختص كل منها بمشار إليه محدد ، وذلك كما يلي :

١ ـ ذا :

يستعمل للإشارة إلى المفرد المذكر(١) عاقلاً كان أو غيرَ عاقل ، تقول : ذا بحر ، وذا رجل ، وذا عملٌ(٢) . وله أشكال لفظية قديمة انقرضت ، هي : ذائِهِ ، وذاؤه ، وذاء .

وإذا أشير به إلى المثنى حذفت ألفه ، وأضيفت إليه ألف في الرفع ، وياء في النصب والجر ، مثل : ذهب ذانِ . ورأيتُ ذَيْنِ ، ومررتُ بذين .

٢ ـ ذهِ ، وتِهِ ، وذي ، وتي ، وتا :

وهذه الأسماء تستعمل للإشارة إلى المفردة(٣) ، عاقلة كانت أو غير عاقلة ، تقول : ذهِ امرأة ، وتِهِ طالبةٌ ، وذي قصيدة ، وتي أمي . وقد يعامل

(١) وقد استعمل للجمع شذوذاً في قول لبيد :
ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤالِ هذا من الناس كيف لبيدُ

(٢) وقد يشار به إلى مؤنثٍ بتأويل مثل : ﴿ فلما رأى الشمس بازغةً ، قال : هذا ربي ﴾ (الأنعام : ٢٧٨) أي : هذا النور ، أو هذا الكوكب . ومثله : ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرةً قالوا : هذا سحر مبين ﴾ (النمل : ١٣) .

(٣) لها أشكال لفظية أخرى هي : ذهِ : باختلاس الكسرة أو بإشباعها أو بتسكينها . وكذلك : تِهِ .

جمع التكسير معاملة المفردة فيشار إليه ببعض هذه الأسماء ، قال الله تعالى : ﴿ تلك الرسُلُ فضلنا بعضهم على بعض ﴾ (البقرة : ٢٥٣) . أما جمع مالا يعقل فيشار إليه بها على كثرة ، كقوله تعالى : ﴿ تلك الأيامُ نداولها بين الناس ﴾ (آل عمران : ١٤٠) وقوله : ﴿ تلك آياتُ الله نتلوها عليك بالحق ﴾ . (البقرة : ٢٥٢) .

ويقال في المثنى : تانِ ، في حالة الرفع ، وتَين ، في حالتي النصب والجر . مثل : جاءت تانِ . ورأيت تَين ، ومررت بتَيْنِ . قال تعالى : ﴿ أريدُ أن أنكحك إحدى ابنتيَّ هاتيْنِ على أن تأجُرني ثمانِيَ حجج ﴾ . (القصص : ٢٧) .

٣ ـ أولاء[1] :

ويستعمل للإشارة به إلى الجمع المذكر أو المؤنث ، عقلاء ، أو غير عقلاء ، مثل : ﴿ أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ (البقرة : ٥) ومثل : ﴿ هؤلاء بناتي هُنَّ أطهرُ لكم ﴾ . (هود : ٧٨) ومثل : ﴿ إن البصر والفؤاد كل أولئكَ كان عنه مسؤولاً ﴾ (الإسراء : ٣٦) .

٤ ـ هنا[2] ، ثَمَّ :

ويشار بهما إلى المكان ، فإن كان قريباً أشير بالأول ، وإن كان بعيداً أشير بالثاني ، وكثير مايلحق « ثَم » تاء التأنيث فيقال : ثَمَّةَ عمل جادٌّ . ويعرب كل من هذين الاسمين ظرف مكان ، من ذلك : ﴿ إنا ههنا قاعدون ﴾ . (المائدة : ٢٤) و ﴿ فأينما تُوَلّوا فثَمَّ وجهُ الله ﴾ (البقرة : ١١٥) .

---

(١) كانت تميم تقصرها ، فتقول : أولى . قال شاعرهم :

أولالِكَ قومي لم يكونوا أُشابةً   وهل يَعِظُ إلا أولالكا

(٢) ويقال أيضاً فيما انقرض من صورها اللفظية : هُنّا ، وهَنّا ، وهِنّا ، وهَنَّتْ ، وهِنَّتْ . وهذه الصور كان يشار بها إلى البعيد .

وقد يُسْتعمل « هنا » ـ دون (ثَمَّ) ـ للإشارة إلى الزمان ، كقول الشاعر :

وإذا الأمور تشابهت وتعاظمتْ فهناك يعترفون أين المَفْزَعُ

أي : في ذلك الوقت . ومثله قول شبيب بن جعيل :

حنَّتْ نَوارِ ولاتَ هَنَّا حَنَّتِ وبدا الذي كانتْ نَوارِ أَجَنَّتِ

أي : وليس الوقتُ وقت حنين . ويمكن أن يحمل عليه قوله تعالى : ﴿ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ (الأحزاب : ١١) .

ج ـ لواحق[١] أسماء الإشارة :

لأسماء الإشارة سوابق ولواحق ذاتُ دلالاتٍ صَرْفية لا نحوية ، وهي :

١ ـ ها :

تقول : هذا ، وهذي ، وهاتي ، وهؤلاء . وهي كما رأيت سابقة لا لاحقة ، وتفيد التنبيه[٢] ، وهي في الأصل مباشرةٌ لاسم الإشارة ولا يَفصِل بينها وبينه فاصل ، ولكن يستثنى من هذا الضمير فيقال : هاهو ذا ، وهاهي ذي ، وهاهم أولاء ، وهاهنَّ أولاء . فقد فصل الضمير بين (ها) واسم الإشارة بالضمائر المذكورة . ويستثنى أيضاً الكاف ، والقسم ، فيقال : هكذا . وهو كثير . ويقال : ها والله ذا . . . وها لعمرُ الله ذا . . . قال زهير :

تَعلّمَنْ ها لعمرُ الله ذا قسماً فاقدِرْ بذَرْعِكَ وانظر أينَ تَنْسَلِكُ

وقد يَفْصِل بينهما (إنَّ) كقول النابغة الذبياني :

ها إنَّ تا عِذْرَةٌ إن لم تكن نفعت فإنَّ صاحبها قد تاه في البلدِ

وقد تعاد « ها » ثانية بعد الفصل ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ﴾ (النساء : ١٠٩)[٣] .

(١) تعني اللواحق هنا : اللواحق suffix ، والسوابق prefix .

(٢) يراد من التنبيه في المصطلح النحوي إثارة ذهن الغافل وتوجيهه إلى المشار إليه ، وقد يعني التنبيه إلى أهمية الشيء المذكور .

(٣) يرى بعضهم أن الضمير الذي يفصل بين (ها) واسم الإشارة يجب أن يكون خبره اسم إشارة ، كما مر في الأمثلة ، ولا يجيز أن يكون خبره غير ذلك .

وهي لاتدخل على كل اسم إشارة ، إذ لاتدخل مثلاً على « ثَمَّ » و « ثَمّة » ، وذلك ، وتلك ، وكلِ ما فيه اللام . ويقل دخولها على مافيه الكاف وحدها ، مثل : هذاكَ ، كقول طَرَفة بن العبد :

رأيتُ بني غبراءَ لاينكرونني   ولا أهلُ هذاك الطرافِ الممدَّدِ

وقول العرجي :

يا ما أُمَيْلحَ غِزْلاناً شدَنَّ لنا   من هؤليائكنَّ الضّالِ والسَّمُرِ

٢ ـ اللام :

هذه لاحقة أخرى ، يزعم النحويون أنها تفيدُ دلالةً صرفية خاصة هي : بُعْدُ المشارِ إليه ، فإذا قلت : هذا كتابٌ ، كان المشارُ إليه قريباً ، وإذا قلت : ذلك كتابٌ . كان بعيداً .

على أن هذه الدلالة لاتظهر في كثيرٍ من النصوص ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ فلما رأى الشمسَ بازغةً قال : هذا ربي ، هذا أكبر ﴾ (الأنعام : ٧٨) وتقول : هاهو ذا القمرُ ، وها هي ذي النجوم . فعلى الرغم من بُعْد المشار إليه لم تُستخدم اللام . وقال تعالى : ﴿ الم ، ذلك الكتابُ لاريب فيه ﴾ . (البقرة : ١ ، ٢) وقال خُفَاف بنُ نُدْبَه لمن قتَله :

فقلتُ له والرمحُ يَأطِرُ مَتْنَهُ   تأمَّلْ خُفافاً ، إنني أنا ذلك

أي : أنا ذلك الفارسُ الذي سمعتَ به . فالمشار إليه في هذين النصين قريب : الكتاب ، وأنا . ومع ذلك استُخْدِمت اللام . ويتأوَّلُ النُحاةُ مثل هذه الظاهرة ، فيزعمون أنه قد يُنَزَّلُ المشارُ إليه البعيد في منزلِ القريب ، والقريب

ولكن نصوص اللغة تدل على جوازه ، فقد نقل عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي سفيان يوم أحد : ها أنا عمر . فأخبر عن (أنا) بـ (عمر) لاباسم الإشارة . وهذا كثير جداً في الشعر . قال سحيم :

لو كان يبغي الفداء قلت له   ها أنا دون الحبيب يا وجع

وقال المجنون ، يخاطب قلبه :

فها أنا تائبٌ عن حب ليلى   فمالك كلما ذكرت تذوب

وقال عوف بن محلم :

ولوعاً فشطت غربة دار زينبٍ   فها أنا أبكي والفؤاد جريحُ

في منزلِ البعيد ، لغرضٍ بلاغي ، ومثل هذا التأويل يجعل القواعد غير مستقرة[١] .

٣ ـ **كاف الخطاب** :

وهذه لاحقة أخرى ، ولكنها تختلف عن (ها) التنبيه ، ولام البعد ، في أنها تفيد معنى صرفياً هو : الخطاب ، وتطابق المخاطب ، ويرى النحويون أيضاً أنها إذا دخلت على اسم الإشارة دلت على أن المشار إليه متوسط البعد ، غير قريب ولا بعيد ، وبهذا يكون لاسم الإشارة في رأي النحاة ثلاث مراتب : قريب ، وبعيد ، ومتوسط .

غير أن دلالة الكاف على هذا غير واضحةٍ في كثير من النصوص ، انظر في قول الشاعر :

لاتحسبَنَّ الموتَ موتَ البلَى ... وإنما الموتُ سؤالُ الرجالِ

كلاهما موتٌ ، ولكنَّ ذا ... أفظع مَن ذاكَ لذُلِّ السؤالِ

فعلى الرغم من أن المشار إليهما في منزلةٍ واحدةٍ من القرب والبعد نرى الشاعر يشير إلى الأول بـ « ذا » ، ويشير إلى الثاني بـ « ذاك » . هذا إذا تجاوزنا التمحّل في التأويل ، والتماس الحيل .

أما مطابقةُ كاف الخطاب للمخاطب فجائزةٌ لا واجبة ، وليست براجحةٍ كما ذكر النحاة ، إذ حملت لغة القرآن الكريم كلتاالظاهرتين : المطابقة وعدم المطابقة ، كما ترى في الآيات التالية :

١ ـ ﴿ فذانِكَ برهانانِ من ربكَ ﴾ (القصص : ٣٢) .

٢ ـ ﴿ قال : كذلكِ قالَ ربكِ هو عليَّ هيّن ﴾ (مريم : ٢١) .

٣ ـ ﴿ قال : لايأتيكما طعامٌ ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمني ربي ﴾ (يوسف : ٣٧) .

٤ ـ ﴿ ذلكم أزكى لكم وأطهرُ ﴾ (البقرة : ٢٣٢) .

---

(١) مواضع دخول اللام على اسم الإشارة تدرك بالسليقة ، فهي مثلاً لاتدخل على ما فيه (ها) ، ولاعلى المثنى ، ولا على (أولاءِ) . أما نطقها فقد يكون بالكسر مثل : ذلِك . وقد يكون بالسكون ، مثل : تِلْك .

٥ ـ ﴿ قالت : فذلكُنَّ الذي لمتنَّني فيه ﴾ (يوسف : ٣١) .
٦ ـ ﴿ ذلكَ خيرٌ لكم وأطهر ﴾ (المجادلة : ١٢) .
٧ ـ ﴿ وكذلكَ جعلناكم أمةً وسطاً ﴾ (البقرة : ١٤٢) .
٨ ـ ﴿ تلكَ أمة قد خلتْ لها ماكسبتْ ولكم ماكسبتُم ﴾ (البقرة : ١٣٤ ، ١٤١) .

فأنت ترى أن الكاف طابقت المخاطب في الآيات الخمس الأولى ، ولم تطابقه في الآيات الثلاث الأخيرة ، بل لزمت حالاً واحدةً هي البناء على الفتح .

وللكاف مواضع تدخل فيها على الإشارة ، ومواضع أخرى يمتنع فيها دخولها ، فلا تدخل مثلاً على اسم الإشارة إذا كان منادى ، أو إذا كان فيه (ها) إلا ماجاء في الشعر ، أو إذا كان مشاراً به إلى المؤنث باستثناء : تي ، وتا ، وذي . ولاتدخل على « ثَمَّ » و « ثمة » .

د ـ بناء أسماء الإشارة وإعرابها :

أسماء الإشارة مبنية ، لأنها تشبه الحرف في أنها تدل على مَعْنى جزئي ، فلا هي اسم خاصٌ لشيء موجودٍ في الطبيعة ، ولا هي ذات دلالة ذاتية ، إلا أنها حين تثنى تعرب إعراب المثنى ، كما سوف نجد بعد قليل .

أما المبني من أسماء الإشارة فهو ثلاثة أقسام ، هي :

١ ـ المبني على السكون :

هو : ذا ، ذي ، تا ، تي ، هنا وذِهْ ، تِهْ . مثل : جاء ذا الرجلُ . تقول في الأعراب : [ذا : اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع فاعل] ومثل : رأيت ذي الفتاةَ . تقول : [ذي : اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به] .

ومثل : هنا مَرْقَدُ أبي . [هنا : اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب ظرف مكان ، معلق بخبر محذوف مقدر . ومرقدُ : مبتدأ مؤخر] .

٢ ـ المبني على الفتح

وهو اثنان : ثَمَّ ، وثَمَّةَ . تقول : ثَمَّ رِبْحٌ وافر . وثمةَ رِبح وافر . تقول في الإعراب : [ثم أو ثمةَ : اسم إشارة مبني على الفتح في محل نصب ظرف مكان ، معلق بخبر مقدم محذوف . وربح : مبتدأ مؤخر] .

٣ ـ المبني على الكسر :

وهو واحد : أولاءِ . مثل : هؤلاءِ قومي . [هؤلاءِ : ها أداة تنبيه ، أولاءِ : اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ] .

أما اسم الإشارة المعرب فهو الذي يشار به إلى مثنى ، مذكراً كان أو مؤنثاً ، وتثنية اسم الإشارة لاتخلو من خروج على نظام اللغة العام ، لأن الاسم الذي يثنى يجب أن يكون معرباً ، واسم الإشارة المفرد مبني كما عرفت ، ثم إنّ علامة التثنية لاتغير من بنية الاسم المفرد ، على حين تتغير بنية اسم الإشارة في التثنية ، إذ تحذف ألفه ، تقول : ذا ، ذانِ . وتا، تان . ذا . ذَيْن ، تا ، تَيْنِ . ومن أجل ذلك يقال له : ملحقَ بالمثنى . وإليك نموذجاً من الإعراب :

أقبلتْ هاتانِ الطالبتنان على العلم .

[هاتان : (ها) أداة تنبيه . وتان : اسم إشارة ، فاعل مرفوع ، وعلامة رفعه الألف لأنه ملحق بالمثنى] .

﴿ أريدُ أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ (القصص : ٢٧) .

[هاتين : (ها) أداة تنبيه . تين : صفة لِـ (ابنتيَّ) منصوب ، وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بالمثنى] .



الاسم الموصول

آ ـ ماهو :

الاسم الموصول من الأسماء المبهمة التي تستعمل كنايةً عن الاسم ، مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ الضمير ، واسم الشرط . واسم الاستفهام ، واسم الإشارة . وهو على الرغم من إبهامه أحدُ المعارفِ السبعِ في اللغة العربية ، لأنه يُوصَلُ بجملةٍ تُزيلُ إبهامه ، وتحدد المقصودَ منه ، وهو من دونها مبهمُ الدلالةِ ، ولايمكن أن يُعرف المقصود منه . تصور أن زميلك قال لك :

١ ـ عرفتُ الرجلَ الذي .

أو : ٢ ـ قرأتُ المقالةَ التي .

أفكنتَ فاهماً مما قاله شيئاً يحدده « الذي » أو « التي » ؟

والسبب في إبهام العبارتين دونك هو أن الكلام ناقص ، لأن الاسم الموصول لابد له من جملة تقع بعده يقال لها : « صلة الموصول » ، توضحه وتكشف عن المقصود منه . وازن الآن بين العبارتين السابقتين وما صارتا إليه بعد إضافة جملة الصلة :

٣ ـ عرفتُ الرجلَ الذي زارَكَ أمسِ .

٤ ـ قرأتُ المقالةَ التي كتبتَها .

ومن هذا يتبيَّن لك أن الاسم الموصول لايكون معرفة إلا بفضل صلته ، فهي التي تعرّفه وتحدده ، ومن أجل ذلك كانت « ألْ » التي تتصل ببعض الموصولات عديمةَ الدلالة ، فلا هي تعرِّفه إن وجدتْ ، ولا هي تنكِّرُه إن أزيلت . والدليل على ذلك أنه كان مبهماً في العبارتين رقم : (١ ، ٢) على الرغم من اتصال « أل » به ، وأنه معرفة في قولنا :

٥ ـ جاءَ مَنْ درَّبك على العملِ .

على الرغم من أنه غير موصول بـ « أل » ، ولذلك يرى النحاة أن « أل » هذه زائدة لازمة في الاسم الموصول . وقد سمي « موصولاً » لأنه يوصَل بجملة ، ويقال لهذه الجملة صلة الموصول لأنها الجزء المتصل بغيره ، أو لأنها موصولة باسم خاص ، وعلى التفسير الثاني تكون « الصلة » مصدراً للفعل : وصل . ولكنه أتى بمعنى اسم المفعول ، ويكون الاسم وصلته موصولين بعضهما ببعض .

ب ـ الأسماء الموصولة :

وليست الأسماء الموصولة بكثيرة في اللغة العربية ، ولكنها على قلتها كثيرة الاستعمال في الكلام ، لأن لها وظيفةً ذات أهمية ، فهي أداة ـ أو وسيط ـ لوصف المعارف بالجمل ، ولولا هي لما أمكن ذلك . تأمل هذه العبارة :

٦ ـ عرفتُ الرجلَ زارَكَ أمس .

إنها عبارة غير صحيحة ، لأن الجملة « زارَكَ أمس » نكرة ، كغيرها من الجمل ، ولايمكن أن تقع النكرة صفةً للمعرفة ، وإنَماتصحُ العبارة وتصير جملة نحوية إذا نحن نكّرنا الموصوف ، فقلنا :

٧ ـ عرفتُ رجلاً زاركَ أمس .

ولا وسيلة لجعل الجملة قادرةً على وصف المعرفة من حيث المعنى إلا باستخدام الموصول وسيطاً بينهما ، مثل :

٨ ـ عرفتُ الرجل الذي زارك أمس .

وفي كثيرٍ من النصوصِ الرفيعةِ يحذف موصوفُ اسم الموصول ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ﴾ . (الحجرات : ١٢) والأصل : يا أيها الناسُ الذين آمنوا . ومنه قول ثابت بن قطنة :

شهدتْكَ من يَمَنٍ عصائبُ ضيَّعَتْ ونـأى الـذيـنَ بهـم يُصـابُ الثـارُ

أي : ونأى الرجال الذين بهم . . . وقول الأعشى :

أبا مِسْمعٍ سارَ الذي قد فعلتُم فأنجدَ أقوامٌ به ثم أَغْرَقوا

أي سار الفعلُ الذي قد فعلتمُ . وهٰذا كثير جداً .

والأسماء الموصولة نوعان : مختصٌّ ، وغيرُ مختص .

١ ـ المختص :

قيل لهذا النوع : مختص . لأنه يدل على جنسٍ خاص : مذكرٍ أو مؤنث . وعلى عددٍ خاص : مفردٍ أو مثنىً أو جمعٍ . وهو لايزيد على : الذي ، والتي . ومايتفرع منهما . ودونك ذلك :

١ ـ الذي : اللذانِ ، اللذيْنِ ، الذِينَ ، الأُلى .

٢ ـ التي : اللتانِ ، اللتيْنِ ، اللائي ، اللاتي ، اللواتي[١] ، الأُلى .

فـ « الذي »[٢] : للمفرد المذكر ، عاقلاً وغير عاقل . واللذان والذين : للمذكريْنِ ، عاقليْنِ ، وغيرَ عاقليْنِ . والذين[٣]: للمذكرِين العقلاء أو لما نُزّل منزلتهم من باب المجاز ، وكذلك « الأُلَى »[٤] ، إلا أنه يُسْتعمل أيضاً لغير العاقل ، كقول مضرّس بن قرظ :

مَحا حبُّها حُبَّ الأُلى كُنَّ قبلها وحلَّتْ مكاناً لم يكنْ حُلَّ من قَبْلُ

أمّا « التي »[٥] فللمفردة . واللتانِ واللتيْنِ ، لمثنى المؤنث ، واللائي واللاتي واللواتي والأُلى ، لجمع ....

(١) لاتذكر كتب النحو (اللواتي) جمعاً للتي . ولكنها وردت في فصيح الكلام . انظر لسان العرب(لتو) ، وقال المتنبي ـ وهذا ممن يستأنس بكلامهم مع ما جاء في لسان العرب ـ :

ديارُ اللواتي دارهُنَّ عزيزةٌ بطولِ القنا يُحْفظن لا بالتمائمِ

(٢) له صور لفظية أخرى هي : الذي ، والَّذِ ، والَّذْ ، والذيّ .

(٣) يقوم مقامه أحياناً : اللائي ، واللائين . انظر : لسان العرب(الذي) . وشرح عمدة الحافظ : ١٤٨ .

(٤) وقد يُمد فيقال : الأولاءِ . كقول كثيرّ عَزَّة :

أبي الله للشُمِّ الأولاءِ كأنهم سيوفٌ أجادَ القَيْنُ يوماً صِقالَها

(٥) من لغاتها : اللتِ ، واللَّتْ . وهي ـ فيما قيل ـ تأنيث« الذي » ، على غير صيغته ، مثل : بنت ، وابن . والتاء فيها للتأنيث .

الإناث[1] ، ولجمع مالا يعقل أحياناً ، كقول أبي تمام :

فبيْنَ أيامِكَ اللاتي نُصِرْتَ بها ... وبين أيامِ بدرٍ أقربُ النسبِ

٢ ـ غير المختص :

ويقال له أيضاً : « المشترك » أو « العام » . وإنما سمّي كذلك لأنه لايدل على جنس خاصٍ ، ولا على عددٍ خاص ، وأسماء هذا النوع :

مَنْ ، ما ، ذو ، ذا ، أيٌّ ، أل

١ ـ أما (مَنْ) فيغلب عليه أن يُستعمل للعاقل ، مفرداً ، أو مفردةً ، أو مثنىً ، أو جمعاً ، فمن استعماله للمفرد العاقل قوله تعالى : ﴿ ومنهم من يَسْتَمِعُ إليك ﴾ . (الأنعام : ٢٥) . ومن استعماله للمفردة العاقلة قراءةُ بعض القراء : ﴿ ومَنْ تَقْنت منكنَّ لله ورسولِه وتعملْ صالحاً نُؤْتِها أجرَها مرتين ﴾ (الأحزاب : ٣١) . ومن استعماله للمثنى قول الفرزدق :

تَعَشَّ فإن عاهدتَني لاتخونُني ... نكُنْ مثلَ مَنْ ـ ياذئبُ ـ يصطحبانِ

واستُخْدم للجمع في قوله تعالى : ﴿ ومن الشياطين مَنْ يغوصونَ له ﴾ (الأنبياء : ٨٢) .

وقد يستعمل لغير العاقل إذا اختلط بغيره كقوله تعالى : ﴿ فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم مَنْ يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع ﴾ (النور : ٤٥) . أو على سبيل المجاز كقول مجنون ليلى :

أسِرْبَ القَطاهل مَنْ يُعيرُ جناحَهُ ... لعلي إلى مَنْ قد هَوِيتُ أطيرُ

٢ ـ ويغلب أن تستعمل (ما) لغير العاقل ، كقول توبة بن الحميّر :

وأُغْبَطُ من ليلى بما لا أنالُهُ ... بلى ، كلُّ ماقرَّتْ به العينُ صالحُ

أي : بالشيء الذي لا أنالُه . ومثله قول جميل بثينة :

إذا قلتُ : مابي يابثينةُ قاتِلي ... من الوجدِ ، قالت : ثابتٌ ويزيدُ

ولكنها قد تستعمل للعاقل المبهم أَمْرُهُ ، كقوله تعالى على لسان امرأةِ عِمْران : ﴿ رَبِّ إني نذرتُ لك مافي بطني محرَّراً ﴾ (آل عمران : ٣٥) .

(١) وذكر ابن مالك في(شرح عمدة الحافظ) : اللاءات ، أيضاً . انظر : ١٤٨ .

ويستعمل للعاقل أيضاً إذا اختلط بغيره ، كقوله تعالى : ﴿ يسبّح لله مافي السماوات ومافي الأرض ﴾ . (الجمعة : ١)

٣ ـ وأما « ذو » فقد كانت لهجةً من لهجات القبائل اليمنية ، وقد انقرضت من اللغةَ الفصيحة منذ زمن بعيد ، لأنها ليست بلغة القرآن الكريم ، وهي تعني « الذي » كقول سِنان الطائي :

فإنَّ الماءَ ماءُ أبي وجدي وبئري ذو حَفَرتُ وذو طويتُ

وهي تستعمل للعاقل وغيره ، كقول مَعْدان الطائي :

فقولا لهذا المرءِ ذو جاء ساعياً هَلُمَّ ، فإن المشرفيَّ الفرائضُ

أظنُّكَ دونَ المالِ ذو جئت تبتغي ستلقاك بيضٌ للنفوس قوابضُ

ففي البيت الأول وقع صفةً لمن يعقل ، وهو : المرء . وفي البيت الثاني وقع صفة لما لايعقل ، وهو المال . وهو في الموضعين مبني على السكون في محل جر[1] .

٤ ـ ولا تكون (ذا) اسماً موصولاً إلا مع (مَنْ) و (ما) الاستفهاميتين ، ولكنها مع ذلك تلتبس بغيرها . لاحظ العبارات التالية :

١ ـ مَنْ ذا رأيت ، أأخوك أم أبوك ؟

٢ ـ من ذا عرفتَ ، أسعيداً أم خالداً ؟

٣ ـ ماذا أكلتَ ، أتفاحٌ أم برتقال ؟

٤ ـ ماذا رأيتَ ، أصورةً أم شبحاً ؟

تلاحظ أن الجملة الأولى جاء فيها « أخوك » بدلاً من اسم الاستفهام « مَنْ » ، وهو ـ كما ترى ـ مرفوع ، وهذا يعني أن (مَنْ) في موضع رفع ، مبتدأ . والمعنى : من الذي رأيتَه ؟ ولذلك كانت (ذا) اسماً موصولاً مبنياً

(١) هذا هو الرأي الأصح ، ويرى بعضهم أن(ذو) تختص بالمذكر ، مفرداً و غير مفرد ، ويختص بالمؤنث(ذات) و(ذوات) . ويرى بعضهم الآخر أن (ذو) اسم معرب لايستخدم إلا في المذكر المفرد ، ويرفع بالواو ، وينصب بالألف ، ويجر بالياء . وفي التثنية يقال : ذَوَا ، رفعاً . وذَوَيْ : نصباً وجراً . وفي الجمع يقال : ذوو ، رفعاً ، وذوِي ، نصباً وجراً .

على السكون في محل رفعٍ ، خبراً للمبتدأ (مَنْ) . وكذلك الشأن في الجملة الثالثة .

أما في الجملة الثانية فتلاحظ أن البدل (سعيداً) جاء منصوباً ، لأن (ذا) ليست اسماً موصولاً ، بل هي جزء متمم لاسم الاستفهام (مَنْ) ، ويعرب (من ذا) كله على الشكل التالي : من ذا : اسم استفهام مبني على السكون في محل نصبٍ ، مفعول به مقدم . وكذلك تقول في الجملة الرابعة .

يتبين لك من هذا أن (ذا) قد تكون جزءاً من اسم الاستفهام ، وقد تكون اسماً موصولاً بمعنى « الذي » ، وكثيراً مايكشف عن ذلك البدلُ الذي يقع بعده ، فهي مثلاً اسم موصول في قول لبيد بن ربيعة :

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يحاوِلُ ... أَنَحبٌ فيُقضى أم ضَلالُ فباطِلُ

وقد يدل عليه مايقوم مقامه في جملة الجواب ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ يسألونك : ماذا ينفقون ؟ قل : العَفْوَ ﴾ (البقرة : ٢١٩) فالعفو ، منصوب ، وإذن ، فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره : ينفقون العفوَ . وهذا يعني أن (ذا) جزء من اسم الاستفهام (ماذا) ، وهو ـ كله ـ مبني على السكون في محل نصب مفعول به . ولو كان (العفو) مرفوعاً لكان (ذا) موصولاً مبنياً على السكون في محل رفعٍ ، خبراً ، ولكان (ما) مبتدأً .

وإذا لم يكن في الكلام بدل أو جواب كان المعنى هو الحكم الذي يبيّن (ذا) ، أموصول هي أم غير موصول ، أم يجوز فيها الوجهان ، كقول الحطيئة :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ ... زُغْبِ الحواصلِ لاماءٌ ولا شَجَرُ

فالأرجح هنا أن يكون (ما) مبتدأ ، و (ذا) اسماً موصولاً خبراً ، والمعنى : ما الذي تقوله . ويجوز أن يُعَد (ماذا) كله مفعولاً به مقدماً للفعل (يقول)[1] .

---

(١) قد تكون(ذا) اسم إشارة أحياناً ، مثل : ماذا التواكل ؟ وماذا الضعف ؟ فـ(ذا) في الموضعين اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع خبر ، أو مبتدأ مؤخر .

٥ ـ ويغلب على « أيّ » أن تستعمل استعمالاً خاصاً ، فتكون مضافةً ، إلى ضميرٍ ، ومحذوفاً صَدْرُ صلتها ، وفي هذه الحال تبنى على الضم[1] ، وذلك كما ترى في قوله تعالى : ﴿ ثم لننزعَنَّ من كل شيعةٍ أَيُّهم أَشَدُّ على الرحمن عتياً ﴾ (مريم : ٦٩) . والمعنى : لننزعن من كل شيعةٍ الذي هو أشد . فـ (أَيُّهم) اسم موصول مبني على الضم في محل نصبٍ ، مفعولٌ به . والهاء : ضمير متصل مبني على الضم في محل جرٍ ، مضافٌ إليه . والميم : علامة الجمع . ومن ذلك أيضاً قول غسان بن وعلة :

إذا مـا أتيـتَ بنـي مـالـكٍ فسَلِّـمْ علـى أيُّهـم أَفْضَـلُ

ولعلك لاحظت في الآية والبيت أن صلة الموصول حذف منها صَدْرُها ، ففي الآية قيل : أيهم أَشَدُّ ، والأصل : أيهم هو أشد . وفي البيت قيل : أيهم أفضلُ . والأصل : أيهم هو أفضل .

هذا هو الذي تحمله نصوص اللغة الفصيحة ، إلا أن النحاة يذكرون لها استعمالات أخرى ، ويتمثلون بعباراتٍ من صنعهم ، مثل :

١ ـ يسرّني أيُّهم هو شاعرٌ .

٢ ـ يسرني أيٌّ شاعرٌ .

٣ ـ يسرني أيٌّ هو شاعر .

فأنت ترى أن (أي) في العبارة الأولى أضيفت إلى ضمير ، وذكر صدر صلتها ، وفي الثانية لم تضف ولم يذكر صدر صلتها ، وفي الثالثة لم تضف وذكر صدر صلتها . وهم يزعمون أنها في هذه الاستعمالات معربة لا مبنية .

٦ ـ وتكون (أل) اسماً موصولاً إذا دخلت على جملة ، أو شبه جملة ، أو على صفةٍ صريحة ، وهي اسم الفاعل ، واسم المفعول . فمن أمثلة دخولها على جملة قول الفرزدق :

ما أنت بالحكم التُرْضى حكومتُهُ ولا الأصيل ولا ذي الرأيِ والجَدَلِ

وقول الآخر :

(١) وبعض القبائل القديمة كانت تعربه .

مـن القـوم الـرسـولُ الله منهـم لهـمْ دانـتْ رِقـابُ بنـي مَعَـدٍّ

فقد دخلت (أل) في البيت الأول على جملة فعلية ، ودخلت في الثاني على جملة اسمية . ومن أمثلة دخولها على شبه الجملة قول الراجز :

مـن لايَـزالُ شـاكـراً علـى المَعَـهْ فَهْـوَ حَـرٍ بعيشـةٍ ذاتِ سَعَـهْ[1]

وأما دخولها على الصفة الصريحة فكثير جداً ، مثل : تَعِسَ القَاتِلُ نَفْسَهُ . ونَجَحَ المحمودُ ذكرُهُ . وإنما جُعِلت (أل) هنا اسماً موصولاً لأنها يعود إليها ضمير ، كما ترى في الجملتين المذكورتين ، ولأنها يحسن عطف الفعل عليها ، كما في قوله تعالى : ﴿ فالمغيراتِ صبحاً ، فأثرن به نقعاً ﴾ (العاديات : ٤)، ولأنها تقوِّي عمل اسم الفاعل واسم المفعول .

ج ـ البناء والإعراب في الأسماء الموصولة :

الاسم الموصول في الأصل مبني، لأنه ـ كما قيل ـ يشبه الحرف في الافتقار إلى مايزيل إبهامه ، فكما أن الحرف يظهر معناه بغيره من عناصر التركيب كذلك يظهر معنى الاسم الموصول بصلته. ولكنّ هذه العلة لاتفسِّر جميع الحالات التي يكون عليها، فقد يكون مُعْرَباً أحياناً على الرغم من افتقاره إلى صلته.

أما بناؤه فقد يكون على سكون ، مثل : الذي ، والتي ، والأُلى ، واللاتي ، واللواتي ، واللائي ، ومَنْ ، وما ، وذو ، وذا ، وأل (في حال اتصالها بجملة أمر شبه جملة) . وقد يكون على حركة ، مثل : الذينَ ، وأيُّ (في حال إضافتها إلى ضمير وحذف صدر صلتها) . ودونك بعض النماذج الإعرابية عن المبنيات :

١ ـ هذا الذي تعرِفُ البطحاءُ وطأته .

الذي : اسم موصول ، مبني على السكون في محل رفعٍ ، خبرٌ . والمبتدأ (هذا) .

---

(١) لاتزيد هذه الظاهرة على أن تكون ضرورة شعرية غير مستساغة في لغة النثر ، ولعل اطّراحها مما يصفّي النحو العربي من أدرانٍ أسلوبية علقت به ، وإنما ذكرتها هنا لئلا يتهم الكتاب بالنقص .

٢ ـ إنّ التي زعمتْ فؤادكَ ملّها . . . الخ .

التي : اسم موصول ، مبني على السكون في محل نصبٍ ، اسمُ (إنَّ) .

٣ ـ . . . نكنْ مِثْلَ مَنْ يا ذئبُ يصطحبانِ .

منْ : اسم موصول ، مبني على السكون في محل جرٍ ، مضافٌ إليه .

٤ ـ تهَيّجني للوصلِ أيامُنا الأُلى مررن علينا . . . .

الأُلى : اسم موصول ، مبني على السكون في محل رفعٍ ، صفة لـِ (أيامُنا) .

٥ ـ يا أَيُّها الذينَ أمنوا . . .

الذين : اسم موصول ، مبني على الفتح في محل رفعٍ ، بدلٌ من المنادى (أيُّ) .

٦ ـ سلِّمْ على أيُّهم أفْضَلُ .

أيُّهم : (أيُّ) اسم موصول ، مبني على الضم في محل جرٍ بحرف الجر (على) . والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جرٍ ، مضاف إليه . والميم : علامة جمع الذكور العقلاء .

أفْضَلُ : خبرٌ لمبتدأ محذوف ، تقديره (هو) .

٧ ـ ما أنت بالحكم الترضى حكومته .

أل : (في : التُرضى) اسم موصول مبني على السكون في محل جرٍ ، صفة للحكم[١] .

أما المعرب من الأسماء المصولة فهو « اللذانِ ، واللتانِ ، واللذيْنِ ، واللتيْنِ » و « أيُّ ي بعض اللهجات القديمة المنقرضة : اللذون ، واللذينَ[٢] .

وحين يأتي الاسم الموصول على صورة المثنى يكون ملحقاً بالمثنى لا

---

(١) إذا كانت(أل) الموصولة داخلة على الصفة الصريحة لايكون لها إعراب مستقل ، بل تعرب الصفة ، مثل : بكى المحزونُ ، وفرح الفائزُ .

(٢) إذا أعربت(اللذون) حسن أن تكتب بلامين ، كما يُفْعَل في المثنى .

أصيلاً ، لأن من شروط تثنية الاسم أن يكون مُعْرَباً وهو مفرد ، والاسم الموصول « الذي » مبني كما عرفت . يضاف إلى هذا أنه يظل معرفة في التثنية ، مع أنها تجعل المعرفة نكرة ، فالعلَم : عمر ، معرَّف بالعلمية ، ولايجوز تعريفه بـ (أل) ، فإذا ثني نُكّر وجاز تعريفه بأل ، يقال : عندي عمرانِ عالمان . وذهب العمران .

أما الاسم الموصول فمبنِي من جهة ، ويظل مَعْرِفةً بصلته بعد التثنية من جهة أخرى ، ولهذا كان ملحقاً بالمثنى كما قلنا ، فيرفع بالألف ، وينصب ويجر بالياء . تقول : جاء اللذانِ فازا ، ورأيتُ اللذينِ فازا . وجاءت اللتانِ فازتا ، ورأيت اللتينِ فازتا .

وقد تحذف النون في ضرورة الشعر لغيرِ ماعلةٍ ، كقول الأخطل :

أَبَنـــي كليـــبٍ إِنَّ عَمـــيَّ اللَّـــذا قتـــلا الملـــوكَ وفكّكـــا الأغـــلالا

فالاسم الموصول وقع خبراً لِ (إنَّ) ، ورفع بالألف لأنه مثنى ، وحذفت النون اعتباطاً[1] .

وأما جمعُ (الذي) جمع مذكرٍ سالماً فهو ظاهرة منقرضة ، كما قلنا ، وقد وصل إلينا منها قول الراجز :

نحـــن اللـــذون صبحـــوا الصبـــاحـــا يـــومَ النُخَيْـــلِ غـــارةً مِلْحـــاحـــا[2]

وتعرب (اللذون) هنا كما يلي :

اللذون : اسم موصول ، خبر المبتدأ (نحنُ) ، مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم . والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد[3] .

د ـ صلة الموصول :

١ ـ يؤلف الاسم الموصول وصلته جملة فرعية متممةً لجملة أكبر منها ،

---

(١) وقد تحذف نون(الذين) المبني كقول الشاعر :
وإن الـــذي حـــانـــت بفلـــجٍ دمـــاؤهـــم هـمُ القومُ كلُّ القومِ ياأمَّ خالدِ

(٢) النُخَيْل : موضع في بلاد الشام .

(٣) لاداعي للحديث عن(أي) المعربة لندرتها .

بل إن الجملة الكبرى كانت في الأصل جملتين مستقلتين ، ثم التحمتا بوساطة الاسم الموصول بينهما . انظر في الجملتين التاليتين :

١ ـ جاء الرجلُ .

٢ ـ الرجلُ انتصر .

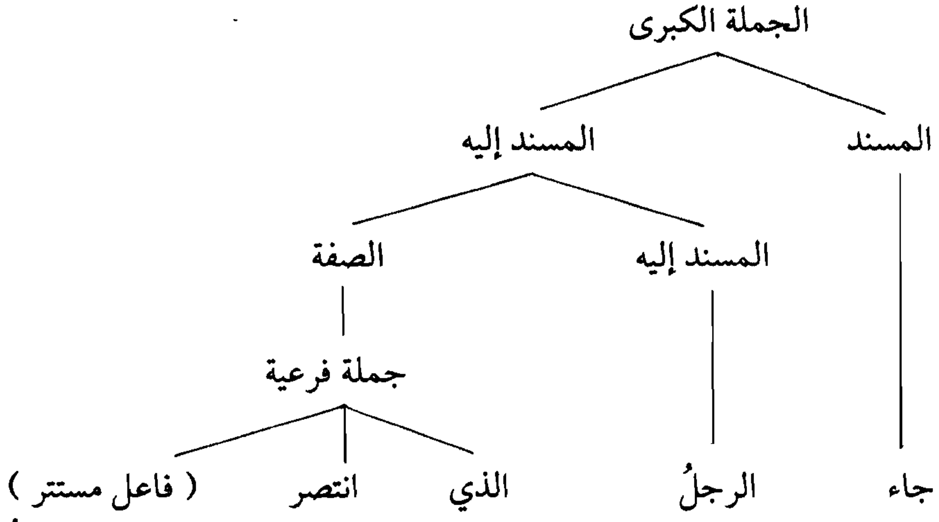
إن (الرجل) في الجملتين كلتيهما واحد ، ولهذا يمكن أن يحذف من الثانية ويستبدل به اسمٌ موصول ، فيقال :

٣ ـ جاء الرجلُ الذي انتصرَ .

وبهذا تصير الجملتان المستقلتان جملتين متداخلتين ، وتشكل فيهما جملة الموصول جملة فرعية ، كما يبيّن لك التوزيع التالي :

[جاءَ الرجلُ (الذي انتصر)]

والبنية الهيكلية لهذه الجملة الكبرى يمثلها التشجير التالي :



يتبين لك من هذا التشجير أن الموصول وصلته صفة للرجلِ من حيثُ المعنى النحوي[1] ، إذ يمكن أن يؤول بقولك : المنتصر . وتكون الجملة كما يلي :

ـ جاء الرجل المنتصر .

(١) أما في الإعراب اللفظي فنقول : الذي : صفة . وجملة : انتصر : صلة الموصول لا محل لها .

وعلى هذا الأساس يمكن أن تُرَدَّ كل جملة استخدم فيها موصول مختص[1] إلى جملتين مستقلتين ، وذلك بإسقاط الاسم الموصول ، وإعادة الاسم المتعلق به ، وذلك كما ترى في قول جرير :

إنَّ العيونَ التي في طرفها حَوَرٌ   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فالأصل إن العيونَ قتلننا . العيونُ في طرفها حَوَرٌ .

٢ ـ وقد اتضح لك ، من كل ما تقدم ، أن صلة الموصول جزء أساسي في التركيب الموصولي ، لأنها هي المقصودة بالحكم ، وما الموصول إلا وَصْلة يربط بينها وبين ماتخبر عنه أو تصفه . ولهذا يغلب عليها أن تكون معهودةَ الدلالة ، أي أن تخبر عن شيء يعرفه السامع ، كقولنا : قرأتُ الكتابَ الذي ألفتَهُ . ورأيت التي فازتْ بالجائزة . وكقوله تعالى : ﴿ ربنا أرِنا اللذينِ أضلانا ﴾ . (فصلت : ٢٢) ومثل : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم ﴾ . (العنكبوت : ١٢) وهذا كثير .

ولكنها أحياناً تفيد التخصيص فقط ، كما في قول جرير السابق ، وقد تفيد التعظيم ، كما في قوله تعالى : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ . (النجم : ١٠) وقد تفيد التهويل كقوله : ﴿ فغَشِيَهم من اليمِّ ماغشيهم ﴾ . (طه : ٧٨) .

الحقّ أن وظيفة صلة الموصول متعددة المعاني والأغراض ، وتُدرك من السياق العام .

٣ ـ ويغلب عليها أن تكون جملة خبرية لا إنشائية[2] ، وقد تكون جملة

---

(١) وتشبهه في هذا« ذو » الطائية .

(٢) (الإنشاء) مصطلح بلاغي كثيراً ما يستخدم في علم النحو ، والجملة الإنشائية قد تكون طلبية مثل : الأمر ، والنهي ، والحض ، والعرض ، والنداء ، والاستفهام ، والتمنّي ، والترجي ، والدعاء . وقد تكون غير طلبية ، كالقسم ، والتعجب ، والمدح والذم . ويلحق بها جملة(رُبَّ) و (كم) الخبرية ، لأنه يراد بهما إنشاء التكثير أو التقليل ، ويلحق بها أيضاً ألفاظ البيع والهبة ، مثل : بعتك داري . ووهبتك كتابي .

اسمية مثل : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ (فصلت : ٣٤) وقد تكون فعلية مثل : ﴿ ومنهم من يستمعون إليك ﴾ (يونس : ٤٢) .

على أنها وقعت جملة إنشائية بصيغة الترجي في قول الفرزدق :

وإنـــي لـــرامٍ نظـــرةً قِبَـــلَ التـــي لعلي - وإن شطَّتْ نواها - أزورُها[1]

ومن خصائص الصلة التركيبية أنها تقع بعد الموصولِ مباشِرةً له ، كما ترى في جميع ما تقدم من شواهد وأمثلة ، ولكنها في بعض الأحيان تُفْصَلُ عنه بالنداء كقول الفرزدق :

تَعَشَّ ، فإن عاهدتَني لاتخونني نكُنْ مثل مَنْ - ياذئبُ - يصطحبانِ

أو بالقسم ، كقول الشاعر :

ذاك الذي - وأبيك - يَعْرِف مالكاً والحــقُّ يــدفــع تُــرَّهــاتِ البــاطــلِ

٤ - وقد يحذف جزءٌ من صلة الموصول ، وجوباً مرةً ، وجوازاً مرة أخرى ، كما قد تحذف الصلة كلها ، تأمل الجمل التالية :

١ - ﴿ يعلمُ مابين أيديهم وماخلفهم ﴾ (البقرة : ٢٥٥) .

٢ - جاء الذي والتي فاز بالجائزة .

٣ - أكرمتُ اللائي والذين نجحوا .

في الآية القرآنية جاء بعد الاسم الموصول (ما) الظرفان : بَيْن ، وخَلْف . وكل منهما شبه جملة لا جملة ، وصلة الموصول - كما عرفت من قبل - يجب أن تكون جملة ، ثم إن شبه الجملة لابُدَّ لها من حَدَثٍ تتعلق به وتتممه ، فأين هذا الحدث ، إنه فعل محذوف بعد الاسم الموصول ، وتقدير الكلام : يعلم مااستقرَّ أو وُجد بين أيديهم ، وما استقر أو وجد خلفَهم . ولما

(١) يتكلف بغض النحويين ويرفض أمثال قول الفرزدق ، أو يتأوله تأويلاً بعيداً عن روح الكلام والنصوص الفصيحة ، فيقول : إن صلة الموصول هنا ليست الجملة الإنشائية : لعلي أزورها . بل التقدير : قبل التي أقول فيها : لعلي أزورها . أو أن الصلة جملة : أزورها . و(لعلي) معترضة بين الصلة والموصول ، وخبرها محذوف . والوجه الأول ظاهر التكلف ، والوجه الثاني يخالف المعنى الذي يقصد إليه الشاعر .

كان هذا الفعل دالاً على كونٍ عامٍّ وجب حذفه . ومثل هذه الآية كثير في الكلام ، تقول : نام كلُّ مَنْ في البيت . وعرفتُ الذي عندَك .

وعرفتَ من قبل أن (أيّاً) الموصولة يحذف أحياناً صَدْرُ صلتها وجوباً إذا كانت مبنية ، مثل : سلم على أيُّهم أفضلُ .

وتلاحظ أن الجملة الثانية اشتملت على موصولين ، وأن فيها صلة واحدة هي : فاز بالجائزة . وهي صلة (الذي)، أما (التي) فصلته محذوفة جوازاً ، وتقديرها : فازت بالجائزة . ومثل ذلك الجملة الثالثة ، وتقدير الكلام : أكرمت اللائي نجحن والذين نجحوا .

وقد يذكر الموصولُ ليُراد منه دلالة عامة ، وفي هذه الحال لايكون له صلة ، كقول الشاعر :

فإن أَدَعِ اللواتي من أناسٍ أضاعوهُنَّ لا أَدَعِ الذينا

فاللواتي : هنا رمز للنساء ، والذين : رمز للرجال . ويجوز أن نجعل (من أناس) شبه جملة معلقة بالفعل (استقرَّ) . ويبقى الشاهد : الذين . فقط . ومن هذا أيضاً مايقال من ألفاظ مسموعة ، مثل : جاءَ بعد اللَّتيا والتي . أو : ظفرنا بعدَ اللتيا والتي . أي بعد الجهود التي بذلناها ، و . .

ومما ورد من هذا في الشعر قول عَبيدِ بن الأبرص :

نحن الأُلى فاجمع جمو عك ثم وجهْهُم إلينا

أي : نحن الأُلى عُرفنا بالشجاعة والفتك .

هـ ـ العائد :

ولابد لصلة الموصول من أن تشتمل على ضميرٍ يعود على الاسم الموصول ، ولذلك يقال له عائد ، أو : رابط . وهو يطابق الموصول المختص في الجنس وفي العدد ، ويكون منفصلاً ، أو متصلاً ، أو مستتراً .

مثل :

١ ـ ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هُم في صلاتهم خاشعون ﴾ (المؤمنون : ١)

٢ ـ ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ (فصلت : ٣٤)
٣ ـ ﴿ واللذانِ يأتيانها منكم فآذوهما ﴾ (النساء : ١٦)
٤ ـ ﴿ يـا أيهـا الـذيـن آمنـوا أنفقـوا مـن طيبـاتِ مـاكسبتهـم ﴾ (البقرة: ٢٦٧)
٥ ـ ﴿ وهـو الـذي مَـدَّ الأرضَ ، وجعـل فيهـا رواسـي وأنهـاراً ﴾ (الرعد : ٣)
٦ ـ ﴿ إنَّ الذي فرضَ عليك القرآنَ لرادُّك إلى معاد ﴾ (القصص : ٨٥)

فهو في الآيتين (١ ، ٢) ضمير منفصل ، وفي (٣ ، ٤) ضمير متصل ، ألف الاثنين ، وواو الجماعة ، وفي (٥ ، ٦) ضمير مستتر تقديره : هو .

وكثيراً مايحذف لفظاً ، ولكنه يبقى في الذهن ، ويراعى في المعنى والتقدير ، وهو يحذف في المواضع التالية :

١ ـ إذا كان ضميراً متصلاً ، وواقعاً موقع المفعول به ، مثل : ﴿ ذَرْني ومَنْ خلقتُ وحيداً ﴾ (هود : ٨٧) ، وقول الممزق العبدي :

أرِقـتُ فلـم تخـدعْ بعينـيَّ وَسْنَـةٌ ... ومَـنْ يَلْـقَ مـالاقيـتُ لابُـدَّ يـأرقِ

فهو في الجملة الأولى هاء الغائب ، والتقدير : خلقته . وهو هاء الغائب أيضاً في الجملة الثانية ، وتقديره : لاقيتُهُ . وهذا كثير جداً في الكلام ، تقول : أأنتَ صاحبُ هذا الكتابِ الذي أَرى ؟ وعدلتُ عما ارتأيتُ ، وأكملتُ ما أعددتُ ، وتركتُ ما هيأتُ ، وأخذت ما تركتُ ، وأحببتُ مَنْ أحببتَ .

٢ ـ وإذا كان في الأصل مفعولاً به لاسم الفاعل ، ولكنه أضيف إليه ، مثل : ﴿ فاقضِ ما أنت قاضٍ ﴾ (طه : ٧٢) والتقدير : ما أنت قاضيه . ومثله قول الشاعر :

ويصغرُ في عيني تلادي إذا انثنتْ ... يميني بـإدراكِ الـذي كنـتُ طـالبـا

أي : الذي كنت طالبه ، وتقول : أكرمتُ من أنت مكرمٌ ، وأعطيت مَنْ أنت معطٍ غداً .

٣ ـ وإذا كان الاسم الموصول وعائده مجرورين بحرف جر واحد ، ومتعلقين بعامل واحد ، جاز حذف العائد ومجروره ، كقوله : ﴿ ماهذا إلا بشر مثلكم ، يأكل مما تأكلون منه ، ويشرب مما تشربون ﴾ • المؤمنون : ٣٣) . ومثله قول عنترة :

لقد كنتَ تُخفي حُبَّ سمراءَ حِقْبَةً   فبُحْ لانَ منها بالذي أنت بائحُ

ويجوز هذا أيضاً إذا كان موصوف الاسم الموصول مجروراً بما يجر به العائد ، كقول كعب بن زهير :

لاتركنَنَّ إلا الأمرِ الذي ركنتْ   أبناءُ يَعْصُرَ حين اضطرها القَدَرُ

وتقول أيضاً : آمنتُ بما آمنت ، وسلمت على مَنْ سلمت ، واطمأننتُ إلى من اطمأننت ، ولحقتُ بمن لحقت .

٤ ـ ويحذف العائد إذا كان مبتدأً في الحالات التالية :

آ ـ إذا كان خبرُهُ لايصلح أن يكون وحده صلة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إلهٌ ﴾ (الزخرف : ٨٤) أي : الذي هو إله في السماء . والحذف هنا جائز .

ب ـ إذا كان الموصول (أيّ) مضافاً إلى ضمير ، مثل : سلم على أيهم أفضلُ . أي : هو أفضل .

ج ـ إذا لم يكن ضميراً معطوفاً أو معطوفاً عليه ، ولا واقعاً بعد (لولا) ، ولابعد نفي ، ولا بعد أداة حصر .

د ـ ويحذف وجوباً في العبارة : ولاسيما زيدٌ[1] .

---

(١) تعرب هذه العبارة كما يلي :
ولا : الواو بحسب ما قبلها . لا : نافية للجنس تعمل عمل « إنَّ » .
سيَّما : سيَّ : اسم « لا » منصوب مضاف ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .
و(ما) اسم موصول مبني على السكون في محل جرٍ ، مضاف إليه . وخبر(لا) محذوف ، تقديره : موجود .
زيدٌ : خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو . وجملة(هو زيد) صلة الموصول لامحل لها من الإعراب .

وقد حذف في غير هذه المواضع ، كقولهم : « ما أنا بالذي قائلٌ لك سوءاً » أي : بالذي هو قائل . وجاء في قراءةٍ قرآنية : ﴿ تماماً على الذي أحسن ﴾ (الأنعام : ١٥٤) أي : هو أحسنُ . وقال الشاعر :

من يُعْنَ بالحمدِ لم يَنْطِقْ بما سَفَهٌ ولايَحِدْ عن سبيلِ المجد والكرم

و ـ حذف الموصول :

وقد يحذف الاسم الموصول في بعض الكلام ، وذلك كما ترى في قوله تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا ، وأنزل إليكم ﴾ (العنكبوت : ٤٦) أي : وبالذي أنزل إليكم .

ومثله قول النبي ﷺ « مَثَلُ المهجّرِ كالذي يُهْدي بُدْنَةً ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كبشاً ، ثم دجاجة ، ثم بيضة » أي : ثم كالذي يهدي كبشاً ، ثم كالذي يهدي دجاجة ، ثم كالذي يهدي بيضة .

ومثله أيضاً قول حسان بن ثابت :

فمـن يهجـو رسـول الله منكـم ويمـدحُـهُ ، وينصـرُهُ ، سـواءُ

أي : ومن يمدحُه ، ومن ينصرُه . لأن جملة ﴿ يمدحه) وجملة (ينصره) لا يمكن أن تكونا معطوفتين على (يهجو رسول الله) ، لأن الذي يهجو غير الذي يمدح ، وغير الذي ينصر .

شواهد للتدريب

١ ـ قال ذو الرمة :

أمنـزلتـيْ مَـيٍّ سـلامٌ عليكمـا هل الأزمنُ اللائي مضيْنَ رواجِعُ

٢ ـ قال الشاعر يمدح بني هاشم :

فَضَلـوا الأنـامَ ومَـنْ بَـراعُبْـدانَهُـمْ وبَنَـوْا بمكـة زمْـزَمـاً وحَطيمـا

٣ ـ قال أبو ذؤيب الهذلي :

وتُبلي الأُلى يستلئمونَ على الأُلى تَـراهُـنَّ يـومَ الـروع كـالحـدأ القُبْـلِ

٤ ـ قال طرفة بنُ العبد :

وقـال : ألا مـاذا تـرونَ بشـارِبٍ   شـديـدٍ علينـا بَغْيُـهُ متعمِّـدِ

٥ ـ قال الله تعالى :

ـ ﴿ وقيـل للـذيـن اتقـوا : مـاذا أنـزلَ ربُّكـم ؟ قـالـوا : خيـراً ﴾ (النحل : ٣٠) .

ـ ﴿وإذا قيل لهم : ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا : أساطيرُ الأولين ﴾ (النحل : ٢٤) .

٦ ـ قال منصور الفقعسي :

فـإمـا كـرامٌ مـوسِـرونُ لقيتُهُـمْ   فحسبي من ذو عندهـم مـاكفـانيـا



الأسماء المبنية

القسم الثاني ـ ذات البناء العارض

رأينا من قبل أن الأسماء معربة في الأصل ، لأنها تقوم بوظائف نحوية دلالية لايقوم بها غيرها من أقسام الكلمة ، كالفاعل ، والمفعول ، والمبتدأ ، والخبر ، والحال ، والتمييز ، وأشباه ذلك ، ولابد لهذه الوظائف المتعددة والمتنوعة من أن تعبر عنها وسيلة من وسائل التعبير ، هي في العربية أصواتُ لينٍ قصيرة تسمى الضمة ، والفتحة ، والكسرة ، ويقال لها : الإعراب .

وقد رأينا أن هناك زمرةً من الأسماء تشبه الحروف بوجهٍ من الموجوه ، ومن أجل ذلك بنيت مثله على السكون أو الفتح أو الكسر أو الضم ، وكان بناؤها ثابتاً فيها حيثما كانت بِنية التركيب اللغوي ، وقد تحدثنا عن معظم الأسماء المبنية في العربية ، وتركنا بعضاً منها لأنه سيمر بنا في بحوث قادمة .

على أن هناك زمرةً أخرى من الأسماء ، تُبنى في موضع ، وتعرب في موضع آخر ، لاحظ مثلاً الاسم « قبل » في الآية والبيت :

ـ ﴿ آلآن وقد عصيتَ قَبْلُ وكنت من المفسدين ﴾ (يونس : ٩١)

ـ وساغ لي الشرابُ وكنتُ قبلاً أكاد أَغَص بالماءِ الفرات

« يزيد بن الصّعق»

فقد بني في الآية على الضم ، وجاء معرباً منصوباً في البيت ، مع أنه في الموضعين يشغَلُ وظيفة الظرف .

ولاحظ أيضاً الاسم « يوم » فيما يلي :

ـ ﴿ قال : رَبِّ فأنظرني إلى يوم يُبْعثون ﴾ (ص : ٧٩) .

ـ ﴿ من حجَّ فلم يَفْسُق ولم يرفث رجعَ كيومَ ولدتهُ أمه ﴾ (حديث نبوي) .

فأنت ترى أن « يوم » في الموضعين جاء بعد حرف جر ، ولكنه استجاب

لعامل الجر في الآية ، ولم يستجب له في الحديث ، فجاء معرباً مجروراً في الآية ، ومبنياً على الفتح في الحديث . والكلمات التي من هذا النوع كثيرة في اللغة العربية ، ولاشك أنها لاتبنى في موضع ، وتعرب في موضع آخر اعتباطاً ، بل هناك نظام دقيق جداً يعتمد على المعنى حيناً ، وعلى علاقات لفظية في التركيب حيناً آخر ، وكل ما سوف نفعله هنا هو الكشف عن هذا النظام ، وتبويب الأسماء ذات البناء العارض .

مايبنى على الفتح

يطرد البناء على الفتح في عدة أسماء إذا وقعت في تراكيب خاصة ، فإن وقعت في غيرها أعربت ، وإليك بيان ذلك وتفصيله :

آ ـ أسماء الزمان المبهمة :

من أسماء الزمان المبهمة مالا يحدد وقتاً معيناً في دلالته الذاتية ، فلا يدل على وقت معلوم إلا إذا أضيف أو وصف أو عرف . من ذلك : يوم ، وعام ، . وحين ، وساعة ، ولحظة ، وزمن ، وأشباهها .

وهي في الأصل أسماء معربة ، تتعاور عليها حركات الإعراب الثلاث : الضمة ، والفتحة ، والكسرة ، وذلك كما ترى في الشواهد التالية :

ـ ﴿ يومَ يجمعكمْ ليوم الجمع ، ذلك يومُ التغابُنِ ﴾ (التغابن : ٩)

ـ ﴿ أولا يرون أنهم يفتَنون في كل عامٍ مرةً أو مرتين ﴾ (التوبة : ١٢٦)

ـ ﴿ ودخل المدينة على حينِ غفلةٍ من أهلها ﴾ (القصص : ١٥)

إلا أن هذه الزمرة من الأسماء قد تبنى على الفتح جوازاً لا وجوباً في حالتين :

١ ـ إذا أضيفت إلى جملة .

٢ ـ إذا أضيفت إلى اسم مبني .

ـ إضافتها إلى جملة :

إذا أضيفت هذه الأسماء إلى جملة جاز أن تبنى على الفتح ، وجاز أن

تكون معربة تتأثر بما يسبقها من العوامل . إلا أن حالتي البناء والإعراب ليستا في مستوى واحد من الشيوع والجودة ، فقد يكون البناء أفضل من الإعراب وأكثر شيوعاً في النصوص ، وقد يكون الإعراب هو الأفضل .

فإذا أضيفت هذه الأسماء إلى جملة صَدرُها مبني ـ كأن يكون فعلاً ماضياً ـ كان البناء أفضل من الإعراب ، وذلك كما ترى في قول الراعي النميري :

على حين ضمَّ الليلُ من كل جانبٍ   جناحيه ، وانقضَّ النجومُ الطوالعُ

وفي قول النابغة الذبياني :

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِبا   وقلتُ : ألمّا تَصْحُ والشيبُ وازعُ

وفي قول النابغة الجعدي :

أتَتْ مئةٌ لعامَ وُلدتُ فيه   وعشرٌ بعد ذاك وحجتانِ

وقد مرّ بك قبل قليل الحديث النبوي : « ... رجعَ كيومَ ولدته أمه »[1] .

ففي هذه الشواهد أضيف اسم الزمان المبهم : حين ، عام ، يوم . إلى جمل وقع في صدر كل منها فعل ماضٍ ، فانتقلت عدوى البناء إلى أسماء الزمان . وكان يمكن أن يقال : على حينِ ضم الليل . أو : على حينِ عاتبتُ المشيب . أو : لعامِ ولدت فيه . أو : كيومِ ولدته أمه . إلا أن البناء على الفتح هو الأفضل .

وإذا أضيفت هذه الأسماء إلى جملة صدرها معرب ـ كأن يكون فعلاً مضارعاً ـ حسن إعرابُها وكثر في الكلام ، وذلك كما ترى في الشواهد :

ـ ﴿ قال ربِّ فأنظِرْني إلى يوم يُبْعثون ﴾ (الحجر : ٣٦) .

ـ ﴿ هذا يومُ ينفَعُ الصادقين صدقُهم ﴾ (المائدة : ١٢٢) .

ـ قال الفرزدق :

على حينِ لم أترك على الأرض حيةً   ولا نابحاً إلا استسرَّ عَقورُها

(١) وتقول : جئتُ في ساعةَ جئتَ . أو : في زمن جئتَ . أو : في لحظةَ جئتَ .

فأنت ترى أن اسم الزمان في هذه الشواهد استجاب للعامل النحوي قبله ولم يُبْنَ على الفتح ، فجر « يوم يبعثون » بحرف الجر ، ورفع « يوم ينفع » لأنه خبر ، وجر « حين » في بيت الفرزدق بعلى .

ويجوز في هذا كله البناء على الفتح ، ولكن ذلك أقل استخداماً في الكلام .

ـ إضافتها إلى اسم مبني :

وقد تضاف هذه الأسماء الزمانية المبهمة إلى أسماءٍ مثلِها لا إلى جملٍ ، وفي هذه الحال تكون معربة ، إلا إذا كان الاسم المضاف إليه مبنياً ، وفي هذه الحال يجوز أن تبنى على الفتح . تقول : هذا من فضلِ يومَئذٍ . أو : حينَئذٍ ، أو : عامَئذٍ . قال جرير :

رددنا لشعثاءَ الرسولَ ولا أرى　　كيومَئذٍ شيءٌ تُردُّ رسائلُهْ

إلا أن اللغة الشائعة في النصوص تدل على أن إعراب هذه الأسماء أكثر من بنائها في هذه الحال ، وهذا واضح في الشواهد التالية :

ـ ﴿ . . . فلا يقربوا المسجد الحرامَ بعد عامِهم هذا ﴾ (التوبة : ٢٨) .

ـ ﴿ فذوقوا بمانسيتم لقاء يومِكم هذا ﴾ (السجدة : ١٤) .

ـ ﴿ وتتلقاهم الملائكةُ هذا يومُكم الذي كنتم توعدون ﴾ (الأنبياء : ١٠٣) .

فأنت ترى أن « يوم ، وعام » أضيفا إلى اسم مبني ، ومع ذلك ظلا معربين ، ولم يبنيا على الفتح . ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ يودّ المجرمُ لو يَفتدِي من عذابِ يومِئذٍ ببنيه ﴾ (المعارج : ١١) وقوله : ﴿ فلمّا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمةٍ منا ، ومن خِزي يومِئذٍ ﴾ (هود : ٦٦) .

ب ـ الأسماء المبهمة :

الاسم المبهم هوالذي لايحدّد بدلالته شيئاً معيناً ، ولابدّله من أن يعتمد على اسم آخر في التركيب اللغوي ، كالاسمين : دون ، ومثل .

أما الأول فله مجموعة وظائف في الكلام ، أهمها أن يكون ظرف مكان

يعني : أسفلَ ، في موضع ، أو وراء ، في موضع آخر ، أو أمام ، في موضع ثالث ، وقد يكون بمعنى « غير » ، وفي هذه الحال يكثر جره بحرف الجر « من » دون غيره ، كما في قوله تعالى : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء ﴾ (الزمر : ٤٣) ﴿ ويعبدون من دون الله مالاينفعهم ولايضرهم ﴾ (الفرقان : ٥٥) . وقد يكون « دون » اسماً يؤدي دلالةَ الصفة المشبهة : « رديء » . كما جاء في بعض الأحاديث النبوية ، مثل : « وكان تمرهم دوناً » . « إن سرق فيهم الدونُ قطعوه »[1] .

فإذا كان ظرفاً أو بمعنى « غير » ، وأضيف إلى اسم مبني ، كالضمير أو اسم الإشارة ، جاز أن يُبْنى على الفتح . من ذلك ماتراه في هاتين الآيتين :

ـ ﴿ وقطعناهم في الأرضِ أمماً ، منهم الصالحون ومنهم دونَ ذلك ﴾ (الأعراف : ١٦٨)

ـ ﴿ وأنّا منا الصالحون ومنا دونَ ذلك ﴾ (الجن : ١١)

فـ « دون » هنا تحتمل معنيين :

الأول : أن يكون ظرف مكان استخدم ليدل على انحطاط المرتبة ، أي : منهم ـ أو منا ـ دون ذلك في الصلاح . وفي هذه الحال يكون من الظروف المبنية .

والثاني : أن يكون بمعنى « غير » . أي : منهم ـ أو منا ـ الصالحون وغيرُ الصالحين[2] . وفي هذه الحال تعرب كما يلي :

دون : اسم مبني على الفتح في محل رفعٍ ، مبتدأ . وخبره شبه الجملة قبله .

أما الاسم الآخر : « مثل » فأكثرُ مايقع في الكلام معرباً ، إلا أنه بني على الفتح في بعض الشواهد ، فاختلف في تفسير بنائه النحاة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ فورب السماءِ والأرض إنه لحقٌّ مثلَ ما أنكم تنطقون ﴾ (الذاريات : ٢٣) . إنه هنا صفة لِـ « حَقّ » ، وبدلاً من أن يأتي

(١) انظر : معجم مصطلح الحديث : ٢/١٦١ .
(٢) انظر : البحر المحيط : ٤/٤١٥ و ٨/٣٤٩ .

مرفوعاً[1] كموصوفه بني على الفتح . و « ما » بعده زائدة . والمصدر المؤول في محل جرٍ ، مضافٌ إليه . وسببُ بنائه ـ عند بعضهم ـ أنه أضيف إلى مصدر مؤول ، وهو ليس باسم معرب . ويرى آخرون أنه بني على الفتح لأنه ركب مع « ما » كتركيب « ويحَ » معها : ويحما .

ج ـ الاسم المركب تركيباً مزجياً :

يقصد بالتركيب المزجي أن يجعل الاسمان اسماً واحداً من غير إضافة ولا إسناد ، بحيث يصير كل منهما جزءاً من اسم مركب .

ويمكن أن نجعل هذا الضرب من الأسماء قسمين : ما كان منه عَلَماً لرجل مثل : معد يكربُ ، ويزدَجردُ ، أو لمنطقة أو بلدة مثل : حضرَموتُ ، وبعلبك . وماكان منها غيرَ علم .

فالأعلام لاتهمنا في هذا المبحث ، لأنها غير مبنية الجزأين ، وقد تحدثنا عنها في باب الممنوع من الصرف . أما الذي يهمنا فهو القسم الثاني ـ غير الأعلام ـ لأن الأسماء المركبة التي تنتمي إليه تعد في جملة الأسماء التي تبنى على الفتح في حال تركيبها ، كبناء « بَيْنَ بَيْنَ » في قول عَبِيد بن الأبرِص :

نحمـــي حقيقَتنـــا وبعـ ـضُ القومِ يسعط بينَ بينا

نقول في إعراب : بين بين : « اسم مبني على فتح الجزأين في محل نصب ظرف مكان ، معلق بالفعل : يسقط » . ومثل ذلك « خمس عشرة » في قول جرير :

لي خمسَ عَشْرَةَ من جُمادي ليلةً ما أستطيع على الفراش رُقادي

فـ« خمس عشرة » : اسم مبني على فتح الجزأين في محل رفع ، مبتدأ مؤخر .

وهكذا تقول : أعملُ صباحَ مساءَ . وهو جاري بيتَ بيتَ . وتفرقوا شذرَ مذَرَ[2] .

---

(١) قراءة حمزة والكسائي بالرفع . وانظر : البحر المحيط : ٨/ ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٢) ومنها أيضاً : وَيْحَما وهيّما . قال حميد بن ثور : =

وواضح من هذا ان البناء على الفتح يرجع مرة إلى علة لفظية بنيوية هي التركيب المزجي ، ولكن هذه العلة ليست وحيدةً ، إذ لابد من ملاحظة الدلالة أيضاً ، لأن البناء على الجزأين لايتم إلا إذا كان الاسم المركب غير علم ، وإلا عومل معاملة الاسم المعرب الممنوع من الصرف .

د ـ اسم « لا » النافية للجنس :

ومما يُبنى على الفتح دوماً اسم « لا » النافية للجنس ، وهو بناء واجب لاجائز ، ولكن يُشترط أن يكون مفرداً ، أي غيرَ مضاف أو شبيهٍ بالمضاف ، ولم يتقدم على « لا » حرف جر ، ولم يفصل بينه وبينها بفاصل ، ولم تكرر . تقول : لاخيرَ في صديقٍ لايرى لك من الحق مثلَ ماترى له . ولاشيءَ أصعبُ من جحود الأبناء . ولا راحةَ بعد اليوم .

وإذا كان جمعَ مؤنثٍ سالماً بُني على الكسر ، لأنه ينصب به ، تقول : لاالذاتِ للشيبِ . ولاعالماتِ هنا . ويرى بعض النحاة أن بناءه على الفتح أرجح .

أما إذا كان جمع مذكرٍ سالماً أو مثنى بني على ماينصب به وهو الياء ، تقول : لاجرحيْنِ في يدي . ولا مُخلدينَ إلى الراحةِ هنا .

وإذا لم يكن اسم « لا » مفرداً أعرب ، وكان منصوباً ، وإذا سُبقت « لا » بحرف جر بطل عملها ، وجر ماكان اسمها ، تقول : عاقبني بلا ذنبٍ . وغضب من لاشيءٍ . وسوف نعود إلى هذا البحث في دراسة النواسخ .

مايبنى على الضم

ويبنى على الضم قياساً الأسماءُ الآتية :

آ ـ ما قطع من المبهمات عن الإضافة :

سواء أكانت ظروفاً أم غير ظروف ، وهي أسماء لاتستعمل إلا مضافة ، منها : غير ، وبعد ، وقبل ، وقدام ، وتحت ، وأول ، وعلُ . كقوله

= ألا هيمـــا ممـــا لقيـــت وهيمـــا   وويحاً لمن لم يلق منهنَّ ويحما

تعالى : ﴿ اهْدِنا الصراط المستقيم ، صراطَ الذين أنعمت عليهم ، غيرِ المغضوب عليهم ﴾ (الفاتحة : ٥ ـ ٦) ومن ذلك قول نصيب بن رباح :

أهيـمُ بـدعـدٍ مـاحييـتُ فـإن أمُـتْ فيا ليتَ شعري مَنْ يهيم بها بَعدي

وهذا كثير .

إلا أنه في يحذف الاسم الذي أضيفت إليه حذفاً لفظيّاً ، دون أن يزول معناه في التركيب ، وهذا يشبه إضمار الفاعل في الفعل ، ويعني هذا أن المضاف إليه مقدر بعدها ، ومن أجل ذلك تبنى المبهمات على الضم ليكون ذلك وسيلة تعبيرية عن إضمار المضاف إليه ، تأمل قوله تعالى : ﴿ سنة الله في الـذيـن خلـوا مِـن قبـلُ ﴾ (الأحـزاب : ٦٢) فقـولـه : قبـل ، مقطـوع عـن الإضافة ، والمعنى : من قبلِ هذا الزمان ، أو من قبلِكم . وكذلك يقال في لغة التجارة : المطلوبُ من فلان مئةُ ليرة ، ليس غَيْرُ[1] . والتقدير : ليس المطلوبُ منه غير ذلك . ومن هذا قولُهُ تعالى : ﴿ فما يكذبك بعدُ بالدين ﴾ (التين : ٣) وقوله : ﴿ لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ﴾ (الروم : ٤) ، ومنه قول رجل من تميم :

لعـنَ الإلــهُ تعِلَّــةَ بــن مســافـرٍ لَعْنــاً يُشَــنُّ عليــهِ مــن قُــدامُ

وهناك كلمة سمعت مبنية على الضم ، هي « عَلُ » ، كما ترى في قول الفرزق :

ولقــد ســددتُ عليــكَ كــلَّ ثَنيَّــةٍ وأتيـتُ نحـو بني كليـبٍ مِنْ عَـلُ

وفي قول عدي بن زيد :

فــي كنــاس ظــاهــرٍ يستــرُهُ مِـن عَـلُ الشفّـان هـدابُ الفَنَـن[2]

وفي هذه الحال تكون محدودة المعنى ، فالتقدير في بيت الفرزدق : وأتيت بني كليب من فوقهم . وفي بيت عدي : من فوقه . وعلى هذا تكون

---

(١) هم يستعملون : لا غير ، وهذا من الأخطاء الشائعة .

(٢) الكناس : بيت الظبية في الشجر . الشفّان : الريح الباردة مع المطر ، وهي في البيت منصوبة على نزع الخافض . يصف فتاة فيشبهها بظبية دخلت بيتها الذي تستره الأغصان من فوقه ، فتحميه من الريح الباردة المبلَّلة بالمطر .

مقطوعة عن الإضافة ، أما إذا لم تقطع فتكون معربة مجرورة بـ (من) ، كقول امرىء القيس :

مِكَــرٍّ مفــر مقبــل مــدبــر معــاً كجلمود صخر حطه السيل من علِ

إذ التقدير : حطه السيل من مكانٍ عالٍ . ومثله قول جرير :

إني انصببتُ من السماءِ عليكم حتى اختطفتك يا فرزدقُ من عَلِ

وعلى هذا تكون في إعرابها نكرة لامعرفة[1] .

ومن الواضح البين أن هذه المبهمات إذا لم تقطع عن الإضافة تكون معربة ، كقولك : عرفت هذا قبل ذاك . وكقوله تعالى : ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتابَ إلا من بعدِ ما جاءتهم البينة ﴾ (البينة : ٤)

ب ـ المنادى :

ويبنى المنادى على الضم إذا كان اسمَ علمٍ مفرداً ، أو نكرة مقصودة ، مثل : ياخالد ، ياسعيد ، ياعلي ، يارجلُ ، يانائم . .

ج ـ أي الموصولة :

ومن المبنيات على الضم الاسم الموصول « أي » ، ولكن يشترط في

---

(١) هذا ما يفهم من كلام النحاة ، إلا أن واقع اللغة المسموعة يشير إلى اضطراب في استعمال هذه الكلمة ، فحيناً يؤكد المعنى أنها معرفة ، ومع ذلك تراها مجرورة معربة ، كقول أبي النجم يصف الحصان :

أقَبُّ من تحتُ عريضٌ من عَلِ

فقوله : عَلِ ، معرفة ، لأنه مردود على : تحتُ ، والمعنى أن الحصان ضامر من تحته عريض من فوقه ، أي ضامر البطن عريض الظهر ، ومن أجل ذلك رواه النحويون : من علُ . حتى يستقيم لهم الأصل .

وليس هذا فحسب بل هناك ما هو أكثر من ذلك ، فالعرب تقول : من علُ ، ومن عَلْوُ ، ومن علُو ، ومن علِ ، ومن عَلْوِ ، ومن عَلِي ، ومن عَلْوَ ، ومن علا ، قال أبو النجم :

باتتْ تنوشُ الحوضَ نوشاً من عَلا

وأكبر الظن أن هذا لايرجع إلى الضرورة الشعرية فحسب ، وإنما كان يُسمع من الفصحاءفي بواديهم .

ذلك أن يكون مضافاً إلى ضمير ، ومحذوفاً صدرُ صلته ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ ثمّ لننزِعَنَّ من كل شيعة أيُّهم أشد على الرحمن عتِياً ﴾ (مريم : ٦٩) ، فالتقدير ، لننزعن الذي هو أشد على الرحمن .

ومثله قول غسان بن وَعْلة :

إذا مالقيتَ بني مالكٍ ... فسلمْ على أيُّهُمْ أفْضَلُ

فأنت ترى « أي » في الآية لم تنصب متأثرة بالعامل « ننزع » ، ولم تجر في البيت بعامل الجر « على » ، بل لزمت حركة الضم لأنها حركة بناء لا حركة إعراب[١] .

مايبنى على الكسر

وفي اللغة أسماء تبنى على الكسر بناء قياسياً ، وذلك ضمن شروط ، إذا استوفتها بنيت ، وإلا كان لها حكم آخر ، وهي :

آ ـ العَلَمُ المختوم بـ : وَيْهِ :

كتلك الأسماء التي كثر استعمالها بعد اختلاط العرب الفرس خاصة ، مثل : سيبويه ، ودُرُستُويَهْ ، ونِفْطَويه[٢] .

ب ـ ماكان على وزن فَعالِ :

وتستعمل هذه الصيغة علماً للأنثى ، مثل : حذامِ ، ورَقاشِ ، وقَطامِ ، أو شتماً لها مثل : ياخَباثِ ، ومنه قول الخليفة عمر بن الخطاب للأمةِ التي

---

(١) هذا الذي ذهبنا إليه هو مذهب سيبويه ، وقد خالف فيه شيخيه الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وقد عده بعض من تأخر من نحاة البصرة من أخطاء سيبويه ، كأبي بكر بن السراج ، وأبي إسحاق الزجاج ، إلا أن المذهب ـ مع هذا كله ـ ثبت وانتشر ، ولم يؤخذ بآراء الآخرين ، وذلك منذ القرن الرابع للهجرة ، ولعل ذلك كان بفضل أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي ، انظر في هذا كتابنا : الخلاف النحوي : ٢٦٧ ـ ٢٦٩ .

(٢) يجيز بعض النحاة وجهاً آخر هو أن تعرب وتعامل معاملة الممنوع من الصرف .

تقنعت : ألقي عنك الخمارَ يا دَفارِ . أي : يادَفرة ، والدفرة المنتنة . وتستعمل كذلك اسم فعل أمر ، مثل : حذارِ .

والعرب ـ ما عدا بني تميم ـ تبنيها على الكسر ، فتقول : جاءت حَذامِ ، ومن هذا قول الشاعر :

إذا قالت حذامِ فصدقوها فإن القولَ ما قالتْ حذامِ

أما تميم فلا تبني على الكسر من هذه الأسماء إلا ما انتهى براء ، أما غير ذلك فتعربه وتجعله ممنوعاً من الصرف ، وعليه قول الفرزدق التميمي :

متى ماتَرِدْ يوماً سَفارِ تَجِدْ بها أديْهِمَ يرمي المستجيزَ المُعَوَّرا[1]

فقد بنى « سفار » على الكسر لأنها تنتهي براء ، وهذا لحن قومه ، أما غير تميم فيبنون على الكسر كل ما كان على وزن : فعال ، مهما يكن الحرف الأخير ، كما مر بك في الشاهد الشعري السابق ، وكما ترى في قول النمر بن تولب العُكْلي :

تأبَّدَ من أطلالِ جَمْرةَ مأسَلُ فقد أقْفَرتْ منها شَراءِ فيذبلُ

إذ بنى « شراء » على الكسر ومحلها الرفع ، لأنها على هذه الصيغة .

ج ـ بناء أمس :

وتبنى هذه الكلمة على الكسر قياساً إذا أريد بها يوم معين ، ولم تصغر أو تجمع أو تثنَّ أو تضف أو تعرف بأل ، مثل : رأيتك أمسِ ، ومنه قول حاتم الطائي :

هل الدهرُ إلا اليومُ أو أمْسِ أو غَدُ كذاكِ الزمانُ بيننا يتردَّدُ

فالواضح البين أن الشاعر هنا يريد بكلمة « أمسِ » اليومَ الذي سبق يومه الذي هو فيه ، ولذلك بناها على الكسر ، وهي في مَحل رفع ، لأنها معطوفة على كلمة : اليوم .

---

(١) سفار : اسم بئر . والمستجيز : المستقي . والمعور : المردود عن الماء . وأديهم : أحد بني كعب ، كان يحمي سفار ، ولايسمح للناس بالاستسقاء .

وهناك قبيلة عربية هي تميم كانت تجعل هذه الكلمة معربة ممنوعة من الصرف ، كقول أحد الشعراء :

إني رأيتُ عجباً مذْ أمسا

فكلمة « أمسا » هنا محلها الجر ، وعلامة جرها الفتحة نيابة عن الكسرة لأنها ممنوعة من الصرف في هذه اللغة .



النكرة المعرفة

١ ـ معنى النكرة والمعرفة :

إذا قلت لصاحبك : ركبتُ سيارةً . فماذا يدور في ذهنه حين يسمع منك هذه الجملة ؟

إنه سيدرك فوراً الغرض المقصود ، ولكن لنتصور ماذا يمكن أن يدرك من قولك (سيارة) . هل يذهب ذهنه إلى سيارة خاصة يعرفها ، ويعرف حجمها ، ولونها وجِدَّتها أو قِدمها ؟

الحق أنه سوف يتجمع في ذهنه سماتٍ عامة للسيارة ، لاتنفرد بها سيارة دون أخرى ، مثل : مركبة ، ذات أربع عجَلات ، يقودها إنسان وفيها مقاعد للراكبين ، وذات سرعة تفوق سرعة الإنسان ، وتتحرك بقوة احتراق النفط ، الخ . . . غير أنه لن ينصرف ذهنه إلى سيارة خاصة يملكها أحمد أوعلي أو إبراهيم ، وله بها عهد معرفة .

هذا الذي تجمع في ذهن السامع يصدق على كل سيارة مهما كان نوعها أو شكلها ، وهو ما تدل عليه كلمة لغوية واحدة يقال لها : كلمة مبهمة ، أو عامة ، أو : نكرة .

ومن هنا يكون تحديد النكرة كما يلي : هي الكلمة التي لاتدل على شيء معين خاص في العالم الخارجي ، بل يُراد بهاً فرد من أفراد الجنس العام من دون تحديده للمخاطب .

وانظر الآن في قول القائل : ركبت سيارةَ إبراهيم . إن السيارة هنا محددة ، خاصة ، معروفة ، ولذلك تختلف عن « سيارة » التي وردت في الجملة الأولى ، لأنها ذات وجود في العالم الخارجي وذات تميُّز من آلاف السيارات التي في البلد الواحد . وبهذا تكون المعرفة « كلمة تدل على شيء خاص محدد يعرفه المتكلم والمخاطب » .

٢ ـ تفاوت التنكير :

وليست النكرات في درجة واحدة من التنكير ، بل هناك النكرة المحضة ، والنكرة المخصصة والنكرة لفظاً ومعنىً ، والنكرة معنىً دون اللفظ ، وإليك تفصيل ذلك .

آ ـ النكرة المحضة :

وهي التي تشبه « سيارة » التي وردت في الجملة الأولى ، وتعرف بأنها غير موصوفة ولامضافة ، ولا مُحلاة بأل ، ولها أمثلة كثيرة ، في النصوص الفصيحة ، مثل : ﴿ ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب ﴾ (البقرة : ١٧٩) ومثل : ﴿ ولتجدنَّهم أحرص الناسِ على حَياةٍ ﴾ (البقرة : ٩٦) وتقول : زرعتُ في حديقتنا شجرةً ، وزارني طالب ، وتحدث إلينا ضابط . وسقط في المعركة مقاتل . ونجح في المباراة فريق .

ب ـ النكرة المخصصة :

وتخصص النكرة إذا وصفت ، فتقول : زارني طالبٌ ذكي ، وتحدث إلينا ضابط خبير . وسقط في المعركة مقاتل شابٌ . وإذا أضيفت إلى نكرةٍ مثلها ، مثل : زرعت في حديقتنا شجرةَ ليمونٍ . ركبتُ سيارةَ ضابطٍ ، وزرتُ رجلَ علمٍ .

ومعنى التخصيص تقليلُ شيوع الدلالة ، فـ « طالبٌ ذكي » أقل شيوعاً في الدلالة من « طالب » . و « شجرة ليمون » أقل شيوعاً من « شجرة » .

ج ـ النكرة معنى :

وفي بعض الأحيان تكون الكلمة في ظاهرهَا معرفة ، ولكنها في دلالتها نكرة ، ولهذا النوع شكلان :

ـ فإما أن تكون الكلمة محلاةً بأل الجنسية ، وهي ماسوف نتحدث عنه الآن .

ـ وإما أن تكون علماً للجنس ، وهو ماسوف نتحدث عنه في قسمِ الأعلام .

١ ـ أما (أل) الجنسية فهي التي تدخل على النكرة من دون أن تكسبه تعريفاً ، لأنها لا تجعله يدل على شيء ، مخصوص معين من أفراد جنسه . تأمل الجملة التالية :

الأسدُ ملكُ الوحوش .

إن « الأسد » هنا لايُراد به أسدٌ خاص يعرفه المتكلم أو السامع ، ولكنه يدل على نوع من المخلوقات ذات صفات خاصة ، ولذلك يتجمع في ذهن المخاطب والمتكلم عن لفظه سمات عامة ، مثل : كائن حي ، ذو شعر يغطي عنقه ، شجاع ، قوي ، مَهيب ، أقوى الوحوش ، الخ . . . ومثل هذه الدلالة رأيتها في « سيارة » التي وردت في الجملة الأولى .

وكثيراً ماتقع (أل) الجنسية في الكلام ، مثل : الذهب أغلى من الفضة . الإنسان سيد المخلوقات . المرأة كالرجل . الجامعة أوسع من المدرسة .

ولـِ (أل) الجنسية ثلاثة أنواع :

١ ـ ما تفيد استغراق أفراد الجنس كلهم : وهي التي تخلفها (كُلّ) وتحل محلها من دون أن يتغير المعنى ، مثل : ﴿ خُلق الإنسانُ ضعيفاً ﴾ (النساء : ٢٨) . فإذا حذفت (أل)ووضعت موضعها (كل) لا يتغير المعنى : خلق كل إنسانٍ ضعيفاً . وتقول : الكائن الحي هالك لا محالة . أي : كل كائن حي هالك . وتقول : الكتابُ أوسع من المجلة .

٢ ـ ماتفيد استغراق خصائص أفراد الجنس : ويراد بها المدح حيناً ، والذم حيناً آخر . تقول : المتنبي هو الشاعر . أي هو الذي تجمعت فيه سمات الشاعر الكاملة . وتقول : الحجاج هو المستبد . فتذمه .

٣ ـ ماتفيد الدلالة على ماهية الجنس : كما لو قلنا : إن الغزال لا يلبس الثياب . فقولنا : (الثياب) لانريد به استغراق أفراد الجنس ، ولا استغراق خصائص أفراده . بل نريد به الماهية ، فكأننا قلنا : إنه لايلبس هذا النوع . . . ومثله : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ (الأنبياء : ٣٠)

٢ ـ وأما الشكل الثاني من المعرفة لفظاً والنكرة معنىً فهو : عَلَم الجنس . فقد كان العرب يطلقون على الأسد اسماً خاصاً هو : أسامة . ويطلقون على الذئب : ذؤالة . وعلى الثعلب : ثعالة . ولكنهم لايطلقون هذه الأسماء على أفراد خاصين من الجنس ، ولذلك لايدل : أسامة ، على أسد معين ، ولايدل : ذؤالة ، على ذئب خاص ، ولايدل : ثعالة ، على ثعلب معروف ، بل يدل كل منها على كل فرد من أفراد الجنس المقصود ، وبهذا يكون كل منها نكرة لامعرفة[١] .

٣ ـ نوعا النكرة :

والنكرة ـ من حيث التصريف ـ نوعان : الأول يقبل (أل) العهدية ، ويتحول بها من النكرة إلى المعرفة ، (و سوف نتحدث عن أل العهدية في قسم المعرفة) . مثل : جئتُ من البيت ، وذهبتُ إلى الجامعة ، فـ (البيت) هنا بيت محدد ، يعرفه المتكلم والمخاطب معرفة تامة ، ولايراد به كل بيت ، ولاجنس البيوت . وكذلك الجامعة .

والنوع الثاني لاتدخله (أل) ولكنه يحل محل اسم تدخله ، أو قل : إنه يتبادَل الموضع مع اسمِ نكرةٍ يقبل دخول (أل) ، ولأوضح لك هذا بمثال من (ذو) . فهو نكرة ، ولكنه لا يقبل دخول (أل) ، فلا يقال : الذو . ولكنه يتبادل الموضع مع : صاحب . مثل : أخي ذو مالٍ ، أخي صاحب مال ، عمي ذو شركة ، عمي صاحب شركة . و(صاحب) يقبل (أل) العهدية ، فيقال : الصاحب .

وأفراد هذا النوع كثيرة ، هي : مَنْ ، وما ، (سواء أكانتا اسمي شرط ، أم اسمي استفهام ، أم نكرتين مقصودتين) وكم (الاستفهامية والخبرية) ومتى ، وأين ، وكيف ، وأيان ، وكذا ، وكيت ، وذيت . فإذا قلت : من عندك ؟ حلّت من محل أيّ إنسان ، وإذا قلت : ما في يدك ؟ حلت (ما)

(١) سنعود إلى هذا في مبحث اسم العلم .

محل : أي شيءٍ وهكذا[1] . ومن هذه الأسماء أسماء الأفعال مثل : صَهْ ، ومَهْ ، وأف ، أمثالها ، فالأول يحل محل : سكوتاً ، ويحل محل الثاني : انكفافاً ، والآخر : تضجُّرٌ .

وتلحق الجمل بهذه الأسماء لأنها تحل محل النكرات ، مثل : سمعتُ بلبلاً يغرِّدُ ، فالجملة الفعلية (يغرد) حلت محل الصفة : مغرداً . وهي تقبل : أل . وتقول : مَرَّ بنا أخوك يضحك . أي : ضاحكاً . وتقول : الكتاب يفيد . أي : مفيد .

وكذلك أشباه الجمل عند من يجعلها هي الصفة أو الحال أو الخبر ، مثل : زارني رجلٌ من البادية . أي : بدوي . وهذا طائرك بين الأغصان . أي : متوسطاً الأغصان . وقلمك معي ، أي : كائن حاضر .

٤ ـ معيارا النكرة :

وللنكرة معياران تُعرف بهما ، أولهما معيار صرفي ، وهو قبولها دخول (أل) واكتسابها التعريف بها ، وقد تحدثنا عنه في الفقرة السابقة . والمعيار الثاني نحوي ، وهو أنها تقع في مواقع من الجملة لاتقع فيها المعرفة في الأصل .

من ذلك أن النكرة تُجر بـ (رُبَّ) ولاتجر بها المعرفة ، مثل : رُبَّ رميةٍ من غير رامٍ . وربَّ أخٍ لك لم تلده أمك . ورُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عارية يوم القيامة .

وكذلك تقع النكرة اسماً لـ (لا) النافية للجنس ، ولاتقع المعرفة هذا الموقع ، مثل : لارجلَ في البيت . ولاقلمَ عندي . ولاحاجةَ لي به . ولابُدَّ من هذا .

وتقع حالاً ، وهذا موقع خاص بالنكرات ، ولاتقع فيه المعارف إلا في

(١) يرى بعض النحاة أن هذه الكلمات مبهمة الدلالة ، تحل محل النكرة والمعرفة ، فإن حلت محل النكرة كانت مثلها ، وإن حلت محل المعرفة كانت مثلها أيضاً . انظر : أمالي ابن الحاجب : ١٠٢ و ٢٨٥ .

حالات خاصة ، مثل : جئتُ مبكراً ، وخرجتُ مطمئناً . وزرتك فرحاً . وكذلك تقع تمييزاً مثل : عندي ليتر حليباً . ومَرّ بنا عشرون جندياً . وتوصف بنكرة مثلها ، تقول : مر بنا قطيع كبير من الشياه . واشتريت معطفاً جديداً . وتقع النكرة أيضاً مضافة « إضافة معنوية » مثل : سكنتُ في حُجرةِ أخي . ولكنها هنا تكتسب التعريف من المضاف إليه إن كان معرفة ، وتكتسب التخصيص إن كان نكرة ، مثل : ركبت سيارةَ أجرةٍ . ولبست معطفَ صوفٍ .

ويستعصي على هذين المعيارين : الصرفي والنحوي ، بعض النكرات ، مثل : أين ، ومتى ، وأحد ، وديار ، وعريب . وقد قلنا في الفقرة السابقة إن هذه الكلمات تقع موقع مايقبل (أل) . ونقول هنا : إنها أيضاً تقع موقعماينزل في التركيب بعد (رب) أو (لا) النافية للجنس ، أو موقع المضاف .

٥ ـ نكرات لا معارف لها :

ومعظم النكرات يمكن أن يتولد منها معرفة وذلك بإدخال (أل) العهدية عليها ، إلا كلمات قليلة لاتكون إلا نكرات ، وهي : أحد ، ديار ، عَريب ، وشَفْر ، غير ، شبه .

أما (أحد) فالمقصود بها تلك الكلمة التي تلازم النفي والتنكير ، وهي ذات الهمزة الأصلية لا المنقلبة عن واو شذوذاً(١) . تقول : ماجاء أحد . ومافيها من أحد . وتقول كذلك : مافي البيت ديار . ومافيها عريب . ومافيها شَفْر ، وكلها تعني : إنسان ، أي : مافيها إنسان .

وأما (غير) و (شبه) فاسمان مغرقان في التنكير ، ولذلك لاتدخلهما (أل) ، ولكنهما ملازمان للإضافة ، وإذا أضيفا إلى معرفة لايكتسبان منها تعريفاً ، تقول : رأيتُ رجلاً غيرَك . ورأيت آخر شِبهَ أخيك . فقد جاء كل منهماصفة للنكرة على الرغم من إضافته إلى المعرفة .

---

(١) مثل : أحد ، في مثل قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ . إذ الأصل : وَحَدٌ . فقلبت الواو همزة ، وتعني : واحد .

المعرفة

١ ـ المعرفة ووسائل التعريف :

تبيّن لك مما تقدم أن المعرفة عكس النكرة ، فهي الكلمة التي تدل على فرد معين معروفٍ من أفراد الجنس ، مثل : دمشق ، والفرات ، وبيتنا ، والقرآن ، والإنجيل ، والأرض ، وهذا الكتاب ، والذي زارك . وياطالبُ .

ووسائل التعريف في اللغة العربية متعددة ، وقد يتداخل بعضها في بعض وسوف نعرضها هنا عرضاً موجزاً :

آ ـ وسيلة مقامية :

ونعني بالمقام الملابسات الاجتماعية التي تحيط بالحدث الكلامي ، فإذا قلت : هذا ، كان لابد لك من أن يكون أمامك مخاطب توجهه إلى موضع المشار إليه ، ولابد أيضاً من وجود شيء حسي تتوجه إليه الإشارة ، وتقصده أنت وتعينه .

وهناك ثلاث من المعارف تعرف بهذه الوسيلة ، هي :

ـ اسم الإشارة : هذا ، هذه ، هذان ، هاتان ، هؤلاء ، الخ . . .

ـ ضمير المخاطب والمتكلم : فإذا قلت : أنت . أو أنتما ، أو أنتم ، أو أنتنَّ ، كان لابد من وجود المخاطب الذي يُكْني الضمير عنه . وكذلك إذا قلت : أنا أو نحن . كان لابد من وجودك أو وجودك ووجود من معك ، ومن مخاطَب تتحدث إليه وتكني أمامه عن نفسك .

ـ المنادى : والمقصود هنا من أشكال المنادى ما كان نكرة مقصودة بالنداء ، مثل : يا رجلُ . فأنت هنا تنادي رجلاً واحداً محدداً ، ولاتنادي كل رجل . والذي جعل هذا المنادى معرفة هو أنك تقصده دون غيره . وبهذا يتبين لك أن أداة النداء ليست هي أداة التعريف[1] كما يرى بعض النحاة ، لأن الذي

(١) ذهب بعضهم إلى أن تعريفها بأل مقدرة يراد بها العهد الحضوري وقد نابت عنها أداة النداء .

يجعله المنادى معرفة هو القصد دون غيره .

ولابد هنا من التنبيه إلى أن اسم الإشارة قد يشار به إلى شيء غير موجودٍ حساً ، كأن تتحدث عن ملابساتٍ كانت سبباً في تقصيرك أو عدم نجاحك ، وبعد أن تفرغ من بيانها تقول لمحدثك : هذا هو السبب في تقصيري . أي : هذا الذي حدثتك عنه ، وبسطته لك هو سبب تقصيري . ولاشك أن المقام هنا واضح ، وهو حديثك ووعي المخاطب لما قلت ، والإشارة غير الحسية إليه .

ب ـ وسيلة سياقية :

ويُراد بالسياق هنا سياق التركيب اللغوي ، ويعرف به ثلاثٌ أيضاً ، هي :

١ ـ المعرف بالإضافة :

مثل : اشتريتُ دارَ إبراهيمَ . فالمضاف وهو (دار) كان نكرة قبل الإضافة ، تصور أنك قلت لمخاطبك : اشتريتُ داراً . أفكان يعرفها وتتحدد في ذهنه ؟ ولكن حين أضافها إلى إبراهيم عرفتها وتأكدت صورتها الخاصة لك . ومثل ذلك : سورُ الجامعةِ ، وغرفةُ الأساتذةِ ، وديارُ مصر ، وبلادُ الشامِ ، وبيتي ، وقلمك ، وسِوارها .

٢ ـ الاسم الموصول :

والاسم الموصول يعرف بصلته ، ولذلك يجب أن تكون معروفة وعلى شهرة للمخاطب ، تقول : عرفتُ الذي زارَك أمسِ . وجاءت التي يَسَّرتْ لك معاملةَ سفرِك[1]. وإذا كان الإسم الموصول يعرف بصلته ـ وهذا هو الصحيح ـ

(١) هذا هو الرأي الصحيح ، وثمة من يرى أن الموصول يعرف بأل ، ومن يرى أنه يعرف بالدلالة . على أن الاسم الموصول قد يقل حظ صلته من التعريف ، ويبدو كأنه يحل محل المحلى بأل الجنسية كما في قول جرير :

إن العيـون التـي فـي طـرفهـا حَـوَرٌ قتلننـا ثـم لـم يحيين قتـلانـا

فإذا أولته : إن العيون الحوْرَ ، من غير أن تقصِد عيوناً خاصة ، كان الاسم الموصول كالمحلى بأل الجنسية ، ويشبه أن يكون هو وموصوفه نكرة مخصصة ، أما إذا كان جرير يعني عيني محبوبته الحوراوين فإن(أل) في(العيون) تكون للعهد الذهني ، ويكون الاسم الموصول ذا صلة معروفة .

كانت (أل) فيه زائدة[1] ، وبهذا يستوي في التعريف مادخلته (أل) مثل : الذي ، والتي ، ومالم تدخله مثل : مَنْ ، وما . تقول : عرفتُ مَنْ زارك . وعرفتُ ما أكلته[2] .

٣ ـ ضمير الغائب :

وضمير الغيبة ـ متصلاً أو منفصلاً ـ يعرَّف بما يعود إليه ، وليس كضميري الخطاب والتكلم يعرف بالمقام ، وهذا يعني أنه يحتاج إلى سياق كلامي ، مثل : هذا أخي فسلم عليه . فالضمير المتصل في (عليه) يعود إلى (أخي) ولذلك كان معرفة . وتقول أيضاً : هذا صديقي وهو يريد معرفتك . فالضمير (هو) معرفة لأنه يعود إلى معرفة وهو (صديقي) .

ولكن ، هل يُعد ضمير الغيبة نكرة إن عاد إلى نكرة كما في مثل : ابتعتُ مجلةً وقرأتُها ؟

النحاة في هذا على خلاف ، والرأي الصحيح أنه معرفة وإن كان مرجعه نكرة[3] ، لأن المجلة بعد أن اشتُرِيت صارت محددة ومخصصة ، ويقوم الضمير هنا مقام المعرف بأل ، كأنك قلت : اشتريت مجلة وقرأت المجلة . وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ مثل نوره كِمْشكاة فيها مصباحٌ ، المصباح في زجاجةٍ ، الزجاجة كأنها كوكب دري ﴾ (النور : ٣٥) فالاسم المكرر في هذه الآية عرف بأل ، وإن كان نكرة قبل تكرره ، وكذلك الضمير .

ج ـ وسيلة دلالية :

وهناك نوع واحد من المعارف تعرِّفه دلالته دون قرينةٍ لفظية أو تركيبيّة ،

---

(١) يرى النحاة أنها زيدت فيها لتحسين اللفظ .

(٢) وقف النحاة أمام إشكال ، هو أن الجملة نكرة ، وصلة الموصول جملة ، فكيف تعرف الاسم الموصول وهي نكرة . انظر : جواهر الأدب : ٣٩٧ .

(٣) يرى بعضهم أنه نكرة ، ويرى آخرون أنه الضمير إذا عاد إلى ما يجب تنكيره كالحال والتمييز كان نكرة ، وإن عاد إلى ما يجوز تنكيره وتعريفه كالفاعل والمفعول كان معرفة . ويرى ابن احاجب في أماليه أن الضمير الذي يرجع إلى نكرة نكرة . انظر : أمالي ابن الحاجب : ٢١٢ .

هو اسم العلم . فإذا سميتَ ولدك « سعيداً » ، صار هذا الاسم علامة عليه ، فكلما ذكر عُرِف مُسماه ، سواء أكان حاضراً أم لم يكن ، وكذلك يعرف الناس مسميات دمشق ، وحلب ، ودجلة ، وقطر ، ولبنان .

ولكن قد تتعارض الوسيلة الدلالية بالوسيلة المقامية ، كأن يكون في صف واحد أكثر من طالب يسمى « سميراً » ، وأكثر من طالبة تسمى « زينبَ » . في هذه الحال يتغلب عنصر المقام على عنصر الدلالة ، فيتحول العلم إلى مايشبه اسم الجنس ، وحينئذٍ يحتاج العلم في تعيينه وتعريفه إلى (أل) أو إلى إضافة ، كما في قول الشاعر :

علا زيدُنا يوم النقا رأس زيدِكم بأبيضَ ماضي الشفرتين يَمانِ

لقد عرف الشاعر « زيداً » بالإضافة ، لأنه لو قال : علا زيدٌ رأسَ زيدٍ . لحصل اللبس ، لاشتراك الاثنين باسم واحد .

وكذلك يحتاج اسم العلم إلى التعريف بأل إذا ثني أو جمع ، تقول : العُمران ، والزينبانِ ، والمحمدون ، والزينبات .

د ـ وسيلة صرفية :

ونعني بها المعرفة التي تنشأ من النكرة بإضافة (أل) العهدية ، أو التي تنوب عن الضمير ، مثل : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴾ (التوبة : ٤٠) فأل في (الغار) عهدية لأنها تشير إلى غارٍ خاص ، ولا تعني أي غار . ومثل : ﴿ فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ (النازعات : ٤١) فأل في (النفس) و (الهوى) و (المأوى) نائبة عن ضمير الغيبة ، والتقدير : ونهى نفسه عن هواها فإن الجنة مأواه . أما (أل) في الجنة فهي عهدية .

ولأل العهدية ثلاثة أقسام :

١ ـ للعهد الذهني :

فمنها مايكون للعهد الذهني ، إذ تدخل على اسم يُعرف مسماه عند المتكلم والمخاطب كما لو قلت : عدتُ من الجامعة ، ومررت بالسوق ، ثم

انتهيت إلى البيت . فالجامعة والسوق والبيت كلها معهودة ذهنياً ، ويعرف مدلولها من مجرد ذكرها .

٢ ـ للعهد الذكري :

فمنها ما يدخل على اسم يذكر مرتين في الكلام ، ويكون في المرة الثانية معرفاً بها ، كما في مثل : ﴿ كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسولَ ﴾ (المزمل : ١٥ و ١٦) وقد مر بك قبل قليل قوله : ﴿ كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري . . . ﴾ وتقول : واصلني من قاطعني فأكرمت المواصِل .

٣ ـ للعهد الحضوري :

وقد تدخل على اسم يحضر مسماه ، مثل : هذا الرجل يحبك . ويا أيها الرجل . ولعلك لاحظت هنا تداخل الوسائل التي يعرف بها الاسم بأل ، صحيح أنها في الأصل صرفية لاعتمادها على لاصقة prefix هي أل ، إلا أن هناك تداخلاً بينها وبين الوسيلتين : المقامية والسياقية ، فإذا كانت للعهد الذكري فإن السياق ذو أثر واضح في التعريف ، وحين تكون للعهد الحضوري تكون الوسيلة المقامية مؤثرة أيضاً . حتى في (أل) العهدية لايخلو الأمر من عنصر المقام ، فلو لم يكن المتكلم والمخاطب على علم بالمعهود لما أثرت (أل) تعريفاً .

٢ ـ النكرة لفظاً والمعرفة معنىً :

لقد مر بنا من قبل في مبحث النكرة أن ثمة كلمات لفظها لفظ المعرفة ، ومعناها معنى النكرة ، كالمعرف بأل الجنسية ، وأعلام الأجناس .

وفي هذه الفقرة سوف نذكر أسماء معاكسة لها ، إذ يكون لفظها لفظ النكرة ، ولكنها تدل على مسمى محدد خاص . وهي نوع من أنواع علم الجنس ، مثل : غُدوة ، وبُكرة وسَحَرَ . فهذه الأسماء قد تقع في تراكيب تدل فيها على نكرات مثل : القراءة غُدوةً خيرٌ من القراءة ليلاً . ومثل : أحب أن أسافر سحراً . وكذلك قد تقع في تراكيب خاصة تكون فيها معرفة لأنها تحدد

وتخصص مدلولاتها . كما لو قلت : سافرتُ يوم الجمعة غُدْوةَ . وجئت يوم السبت بكرةَ . وسهرتُ ليلةَ الأحد حتى سَحَرَ . وواضح مما تقدم أن (غدوة) في الجملة الأولى حدّدت وقتاً خاصاً هو غدوة يوم الجمعة ، وكذلك دلت : بكرة ، وسحر ، على وقت معلوم ، ولذلك عوملت معاملة الأسماء الممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث .

هذه الأسماء ـ إذاً ـ أعلام لأوقات معينة ، ولكنها تختلف عن أعلام الأشخاص مثل : زيد ، وزينب ، ودمشق . وعن أعلام الأجناس مثل : أسامة ، وثعالة ، وذؤالة . ولذلك تعدّ نوعاً من أعلام الأجناس لأنها يمكن أن تطلق على كل غدوة ، وإن كانت تختلف عنها في أنها تحدد مدلولها .

ولما كنا تكلمنا على بعض هذه المعارف في المبنيات : الضمائر ، واسم الإشارة ، والاسم الموصول . وتكلمنا هنا عن المعرف بأل العهدية ، و بأل النائبة عن الضمير ، وعن المعرف بالإضافة وسوف نتكلم في بحوث المنصوبات عن المنادى ، كان لزاماً علينا أن نتكلم في فقرة خاصة عن اسم العلم ، وهي الفقرة التالية .



اسم العلم

١ ـ معناه وأقسامه :

هو الاسم الذي يطلق على مسمى خاص ليكون علامة يعرف به ، وقد يكون المسمى إنساناً ، مثل : عصام وسمية ، أو ملَكاً مثل : جبريل وإسرافيل ، أو شيطاناً مثل : إبليس وزوبعة ، أو قبيلة مثل : قريش وتميم ، أو شعباً مثل : يهود ومجوس(١) ، وقد يكون بلدة أو قطراً مثل : دمشق ، وسورية ، وقد يكون نهراً مثل : بردى ودجلة ، وقد يكون موضعاً مثل : طبرية ، والجيزة ، وقد يكون كتاباً مثل : الواضح والوافي ، وقد يكون جريدة مثل : القبس والعَلَم ، وقد يكون مدرسة مثل : الأمين والشهباء ، وقد يكون كوكباً مثل : زُحل والزُهرة ، وقد يكون حيواناً مثل : داحس والغبراء ، وقد يكون قصراً مثل : غمدان والجعفري(٢) .

ويكثر أن يطلق الاسم الواحد على أكثر من مسمى إنساني في البيئة

(١) يهود ومجوس : لهما استعمالان ، فإما أن يراد بهما العلم لشعبين خاصين معروفين ، وفي هذه الحال لاتدخلهما (أل) ، فيقال : قال يهود ، وعرف يهود . وإما أن يراد بهما جمعان ليهودي ومجوسي . وفي هذه الحال تدخلهما أل التعريف ، فيقال : يعتقد اليهود أو المجوس .

(٢) حفلت اللغة العربية بالأعلام لغير الآدميين ،مثل : ضُمران ، وكَسابِ ، وهما اسمين لكلبين في الجاهلية ، ومثل : صيدح ، وهي ناقة الشاعر ذي الرمة ، وشُذْقُم ، وهو اسم جمل للنعمان ، والعصا ، وهو اسم فرس لجَذِيمة الأبرش ، ومثل : العضباء ، وهي ناقة الرسول ﷺ ، ومثل : مسحل ، شيطان الأعشى ، وزوبعة ، وهواسم لرئيس من الجن ، أما الكنى الشائعة فمنها : أبو عمرو بن العلاء ، وأبو زيد ، وأبو الخطاب ، وأبو الحسن ، وأبو العباس ، وأبو نواس ، وأبو الطيب ، وابن خلدون ، وابن زيدون ، وابن عمر ، وابن الزبير ، ومن الألقاب الشائعة : المتنبي ، والفرزدق ، والأخطل ، وسيف الدولة ، والمعتصم ، والرشيد ، والمأمون ، و. . . . .

الواحدة ، فالذين يسمون : عمر أو أحمد أو زينب ، مثلاً كثيرون ، ولكن هذا يندر في غير الآدميين[1] . وقد يُتخذ العلم رمزاً لمجموعة من الأفراد يتناوبون على حكم منطقة ، مثل : فرعون ، لأباطرة مصر القديمة ، وقيصر ، لأباطرة الروم ، وكسرى لأباطرة الفرس .

وينقسم العلم بحسب دلالته ثلاثة أقسام ، هي : الاسم ، والكنية ، واللقب .

آ ـ الاسم :

ويقصد بالاسم مادل على مسماه دلالة وضعية عُرفية خاليةً من معنى فرعي كالمدح أو الذم ، وما عرِيَ من : أب ، أو أم ، أو ابن ، أو ابنة ، أو أخ أو أخت . وهو نفسه قسمان : مرتجل ، ومنقول .

أما المرتجل فهو مااستعمل علماً من دون أن يكون له استعمال سابق ، مثل : سُعاد ، ومَذْحِج ، وأسامة ، وهذا النوع قليل جداً .

وأما المنقول فهو ماكان له استعمال سابق للعلمية ، كأن يكون في الأصل صفة صرفية مثل : فاطمة وعادل ، وميمونة ومنصور ، وجميلة ونجيب ، أو يكون في الأصل مصدراً ، مثل : فضل وهبة ، وزيد وصفاء . أو يكون في الأصل اسم جنس ، مثل : أسد وحمزة ، وعنترة وعثمان وبثينة وطلحة وزينب[2] . وقد يكون في الأصل جملة فعلية مثل : لكي لاتحصدوا في البحر[3] ، ولمن تقرع الأجراس ([3]) ، أو جملة اسمية مثل : هذا أو الطوفان[3] . وقد يكون فعلاً خالياً من الفاعل ، وهذا كثير جداً في الأسماء العربية، من ذلك: يزيد، ويحيى، وأحمد، وتغلب، وعَثَّرَ ، ويشكر ، و . . .

---

(١) مثل : القنيطرة لبلدتين واحدة في سورية وأخرى في المغرب . وبانياس لبلدة في سورية وأخرى في الإمارات العربية المتحدة ، وطرابلس لبنان وطرابلس ليبيا .

(٢) حمزة : يعني الأسد . وعنترة : ذبابة . وعثمان : فرخ . وبثينة : قطعة من الرمل . وطلحة : شجرة . وكذلك زينب .

(٣) اسم كتاب .

ب ـ الكنية :

وهي اسم علم يصدر بإحدى الكلمات التالية : أب ، أم ، ابن ، ابنة ، بنت ، ويضيف آخرون : أخ ، أخت ، عم ، عمة ، خال ، خالة . وقد شاعت كنى بعض الرجال في التاريخ ، مثل : أبو بكر ، وأبو لهب ، وأبو جهل ، وأبو تمام ، وأم كلثوم ، وابن الزبير ، وابن عقيل ، وابن الوردي ، وكثيراً مايراد بها المدح مثل : أبو الحسن ، وقد يراد بها الذم مثل : أبو تراب[1] ، وأبو جهل .

وقد تغلب الكنية على الاسم ، كما في : أبو بكر ، وأبو لهب ، وأبو جهل ، وأبو سفيان ، وأبو الأسود ، وابن الزبير ، وابن الأحنف .

وقد تكون الكنية هي الاسم كأن يسمي إنسان ولده بمثل هذه الكنى : أم كلثوم ، أو أبو المجد ، أو أبو ريشة ، أو أبو نواس .

ج ـ اللقب :

أما اللقب فهو الذي يطلق على المسمى بعد اسم العلم الأول ، وغالباً مايراد به المدح أو الذم ، فمن الألقاب المادحة : الصديق ، والنابغة ، والفاروق ، وزين العابدين . ومن الألقاب الذامة : الأخطل ، والأخفش[2] ، والسفاح . والطاغية .

وقد يكون اللقب من مقتضيات الوضع الجسدي ، مثل : الخنساء ، والأعشى ، والأعرج[3] ، والضرير[4] ، أو للانتساب إلى البلد مثل : الأنباري ، والبغدادي ، والشامي ، والحلبي . أو لمقتضيات المهنة مثل : النجار ، والعطار ، والحلاق .

---

(١) أبو الحسن ، وأبو تراب ، كنيتان للإمام علي بن أبي طالب . استعمل الأول للمدح ،واستعمل الثاني للذم .

(٢) الأخطل : المفحش في الكلام ، أو الأحمق . والأخفش : الضعيف البصر .

(٣) لقب أحد المقرئين القدماء .

(٤) لقب أحد النحويين الكوفيين القدماء .

٢ ـ علم الشخص :

ويقصد بهذا ما أطلق على شخص آدمي أو غير آدمي ، فحدَّده وعينه ، وكان علامة عليه ، وهو أحد ثلاثة أقسام : ما تجوز تحليته بأل ، ومالا تجوز ، وماتجب .

أما القسم الأول فيضم أسماء كثيرة جاءت في النصوص الصحيحة محلاة مرة ، وغير محلاة مرة أخرى ، مثل : حسين ، فيقال : الحسين بن علي . ويقال أيضاً : حسين بن علي . كقول الشاعر :

أأتُـركُ ملـك الـريّ والـريُّ مُنْيتـي ... أم ارجـعُ مـأثـومـاً بقتـل حُسَيْـنِ

ومثله : حسن والحسن ، وعباس والعباس ، وفضل والفضل ، ووليد والوليد ، ونضر والنضر ، ونعمان والنعمان .

وأما القسم الذي لاتجوز تحليته بأل فكثير ، مثل : دمشق ، وحلب ، وحمص ، ودبي ، وقطر ، وتونس ، ومصر ، ودجلة ، من أسماء غير الآدميين ، وعمر ، وعمرو ، وحازم ، وميساء ، وزينب ، وعائشة ، وبثنية ، وليلى ، وسلمى ، وهدى ، من أسماء الناس .

وأما ماتجب تحليته بأل فهو ماسمي باسم محلىً بها أصلاً ، مثل : اللات ، والعُزَّى ، والكويت ، والأردن ، والمغرب ، والجزائر ، والقاهرة ، واللاذقية ، والإسكندرية ، والمدينة (يثرب)[١] .

على أن العلم إذا ثني أو جمع فقد تعريفه ، وفي هذه الحال يعرف بأل ، فيقال : ذهب العمران ، وجاء الأحمدون ، وعادت العائشات والبثينات . قال الشاعر :

لشتّان مابين اليزيدين في الندى ... يـزيـدِ سُليـم والأغـر ابـنِ حـاتـمِ

وفي غير التثنية والجمع تكون (أل) زائدة في اسم العلم ، لأنه معرفة

(١) ومثل : الدَّبَرانُ ، وهو اسم يطلق على خمسة كواكب ، أو نجم واحد . والعيّوق ، والثريا ، وهما نجمان أيضاً . وهذه الأقسام الثلاثة هي ما تفصح عنه النصوص ، وبعض النحاة يرى أن الأعلام قسمان : قسم تجب فيه أل ، وقسم تمتنع فيه .

من دونها ، وتكثر زيادتها فيما نقل عن صفةٍ مشبهة أو مصدر ليُلمح بها أصله ، مثل : العباس ، والحسن ، والفضل والنضر والرشيد ، ويقل فيما نقل عن اسم فاعل أو مفعول مثل : خالد ، عادل ، هاشم ، منصور ، مسعود ، محمود . وعلى هذا تكون زائدة لازمة فيما وجبت تحليته بها ، وزائدة غير لازمة فيما جازت فيه ولم تجب[١] .

٣ ـ علم الجنس :

يراد بعلم الجنس مايطلق على جنس من الكائنات الحية أو غير الحية من أسماء ، لا لتحدد فرداً واحداً منه ، بل لتكون علامةً على صورةٍ واحدةٍ تتكون في الذهن لفرد من أفراده ، وهي ثلاثة أقسام :

آ ـ قسم يطلق على كائنات حسية ، كالأسد والذئب والثعلب[٢] .

ب ـ وقسم يطلق على كائنات ذهنية ، كالدنيا ، والغدر ، والمبرّة ، والفجور[٣] .

---

(١) قد يكون علم الشخص واقعياً كأن يطلق العلم على شخص موجود في العالم الخارجي . وقد يكون ذهنياً كأن يسمى إنسانٌ ولده قبل ولادته . أو اسم القبيلة أو الشعب الذي يشمل الآتين في المستقبل ، فهو واقعي بالقياس إلى الموجودين ، وهو ذهني بالقياس إلى الآتين .

(٢) مثل : أسامة ، وأبو الحارث للأسد ، وذؤالة وأبو جعدة للذئب ، وثعالة وصَيْدن وأبو حصين للثعلب ، وشَبْوة وأم عِريط للعقرب ، وأبو زنة للقرد ، وأم حبين للحرباء ، وأم عوف للجرادة ، وابن دأية للغراب ، وأم حُباحب لدُويبَّة كالجندب ، وأم قشعُم وأم عامر للضبع ، وابن قترة للثعبان الصغير ، وابن عرس لدويبة كالفأرة ، وسام أبرص للوزغة ، وأبو مضاء للحصان ، وأبو أيوب للجمل ، وأبو صابر للحمار ، وأم راشد للفأرة ، وأبو جابر للخبز ، وأبو عاصم للسويق ، و . . . .

(٣) مثل: أم دفر للدنيا ، وأم قشعم والصلعاء للداهية ، وأم مَلْدَم للحمى ، وشعوب للمنية ، وكيْسان للغدر ، وبرَّة للمبرة ، وفجارِ للفجور ، وضلال بن شهلل للباطل ، و . . . .

ج ـ وثالث يطلق على الأوقات[1] .

والفرق بين علم الشخص وعلم الجنس هو :

١ ـ أن علم الشخص يطلق على إنسان أو مكان أو حيوان أو كتاب أو مدرسة . . . ويمكن أن يطلق على أكثر من واحد في البيئة ، ولكن إطلاقه على أكثر من واحد اعتباطي لأنه لايراعي سمات مشتركة بينهم ، باستثناء ألقاب الملوك القدماء ، مثل : فرعون ، وقيصر ، وكسرى ، فقد يُسمى هشاماً فتى شجاع وآخر جبان وثالث زنجي ورابع أشقر . وهذا يعني أن الاشتراك في الاسم الواحد لايرجع إلى خصائص شكلية أو نفسية أو جنسية بين المسمَّيْنَ به .

أما علم الجنس فلا يطلق على فردٍ دون آخر من أفراد الفصيلة الواحدة ، بل يطلق على كل واحد منها ، فأسامة يطلق على كل أسد ، وخُضارة على كل بحر ، وكَحْل على كل سنة شديدة ، وكَيْسان على كل غدر .

٢ ـ وعلم الشخص أيضاً يطلق على ماشخص للعين بجُرْمه ، أما علم الجنس فيطلق على الصورة الذهنية التي ترتسم في ذهن الإنسان لفرد من أفراد الجنس ، فإذا قلت : هذه أم راشد تبحث عن طعام ، أو : إن رأيت شَبْوةَ فاقتلها ، أو : ألم ترَ ذُؤالة في حديقة الحيوانات . فإنك لاتحدد له فأرة أو عقرباً خاصة ، ولاذئباً معيناً معروفاً ، بل ترمز بهذه الأسماء لصور ذهنية عن فردٍ من أجناس الفئران والعقارب والذئاب .

ولعلم الجنس هذا جانبان : دلالي ، وسياقي . فهو من حيث الدلالة كالنكرة ـ كما رأيت ـ وهو من حيث الدخول في سياق نحوي كالمعرفة ، وذلك لأنه :

١ ـ يقع موقع المبتدأ ، فتقول مثلاً : ثُعالةُ حيوانٌ ذكي . وابنُ قترةَ سامٌّ . وابنُ دأيَةَ ذو صوتٍ قبيح .

(١) مثل : ابن ذُكاء للصبح ، وابنا سمير ، أو ابنا سُبات لليل والنهار ، وأمس ، وغُدوة ، وبُكرة ، وسحر ، وعشية ، وكحل للسنة الشديدة ، ومُنصل الأسنة لرجب .

٢ ـ ويقع صاحبَ حالٍ : مضت غُدوةُ حميدةً . وهذه شبوةُ رافعةً إبرتها .

٣ ـ ويوصف بالمعرفة : كل الحيوانات تهاب أُسامةَ الهصورَ . ويكافح المزارعون أم عوفٍ المؤذيةَ . ولابد للناس من أبي جابرٍ المغذي .

٤ ـ يمنع من الصرف ، فيعامل معاملة علم الشخص ، فإذا اجتمعت له علة ثانية مع العلمية منع التنوين ، وجر بالفتحة نيابةً عن الكسرة ، كأن يكون علماً مؤنثاً مثل : هُنَيْدة[1] ، ومَحْوة[2] ، وبرة ، وأسامة . كما ترى في قول زهير :

ولأنت أشجعُ من أسامةَ إن   دُعِيتْ : نَزالِ ، ولُجَّ في الذُعْرِ

أو كأن يكون علماً مزيداً بألف ونون مثل : كَيْسان ، وسُبحان[3] . أو على وزن الفعل مثل : (أوبر) في : بنات أوبرَ[4] .

٥ ـ يبنى بعضه على الكسر إذا كان على وزن (فَعالِ) فيعامل بذلك معاملة : حذامِ ، وقَطامِ ، من أعلام الإناث ، من ذلك : فجارِ ، في قول النابغة :

إنا اقتسمنا خُطَّتينا بيننا   فحملتُ بَرَّةَ واحتملتَ فَجارِ

وتقول : الناسُ يخشون لَحاصِ[5] وشرورها .

يضاف إلى هذا أن أعلام الأجناس لاتدخلها (أل) لتعرفها ، وهي بذلك تشبه أعلام الأشخاص ، فلا تقال : جاء الأسامةُ ، أو مرت الهنيدة ، أو يُزعجني هبوبُ المحوة . وما أشبه ذلك .

---

(١) هنيدة : علم جنس لمئة من الإبل .

(٢) محوة : علم جنس للدَّبور ، وهي ريح .

(٣) اختُلف في (سُبحان) فمنهم من جعلها علماً للتسبيح ، ومنهم من رفض علميتها لأنها تنون وتضاف .

(٤) بنات أوبر : الكمأة .

(٥) لحاص : اسم للكراهية معدول عن لاحصة .

٤ ـ الشكل اللفظي للعلم :

ولاسم العلم أشكال لفظية متعددة ، يمكن توزيعها في أشكالٍ ثلاثة ، هي : المفرد ، والمركب ، والمحكي .

آ ـ العلم المفرد :

وهو ما تألف من لفظ واحد ، مثل : هاشم ، وطارق ، وعمر ، وزحل . . . ولهذا الشكل من الإعراب مالغيره من أسماء العربية غير الأعلام ، فلا يتحدد إعرابه إلا بالوظيفة التي يشغلها في التركيب ، كأن يكون فاعلاً أو مفعولاً أو مجروراً بحرف أو بمضاف .

ويمنع بعضه من الصرف إذا جمع مع العلمية وزن الفعل ، مثل : يزيد ، ويحيى ، وأحمد ، وتغلب . أو جمع معها زيادة الألف والنون مثل : عثمان ، ومروان ، وكيسان . أو كان معدولاً مثل : عمر ، وزحل ، ومضر . أو أعجمي الأصل مثل : إبراهيم ، ويوسف ، وإسماعيل ، أو كان مؤنثاً مثل : سعاد ، وزينب ، وحمزة ، وأسامة ، وثُعالة .

ويبنى بعضه على الكسر إذا كان علم أنثى على وزن (فَعالِ) مثل : قطام ، وحذام ، ورقاشِ ، ووبارِ ، وفجارِ .

ويبنى في النداء على الضم ، فيقال : يا أحمدُ ، وياهاشمُ ، ويإسعيد ـ إلا إذا كان مبنياً على الكسر في الأصل ، مثل : حذامِ .

ب ـ العلم المركب :

وتكثر الأسماء المركبة تركيباً إضافياً ، مثل العبادلة : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد السلام . . . ومنها الكنى مثل : أبو ريشة ، وأبو بكر ، وأبو حفص ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وأم كلثوم ، ومنها غير ذلك مثل : رأس الخيمة ، وزين العابدين ، وفخر الدين ، وصلاح الدين ، ودير الزور .

وهناك أسماء قليلة مركبة تركيباً وصفياً مثل : مصر الجديدة ، وحلب الجديدة ، والدار البيضاء .

وتركب أسماء أخرى تركيباً مزجياً مثل : سيبويه ، وحمدويه ،

ونِفطويه ، وبعلبك ، وحضر موت ، وبور سعيد ، وكفر نبل ، وبانياس ، ومعد يكرب .

فإذا كانت مركبة تركيباً إضافياً أعرب الجزء الأول بحسب موقعه من الجملة ، وأعرب الثاني مضافاً إليه ، مثل : جاءَ عبدُ لله . فعبد : فاعل : ولفظ الجلالة مضاف إليه . ومثل يا أبا بكرٍ . فأبا : منادى منصوب وعلامة نصبه الألف . وبكر ، مضاف إليه . وزرتُ رأسَ الخيمةِ . رأس : مفعول به . والخيمةِ : مضاف إليه[1] .

أما المركب المزجي فيبنى على الكسر إذا كان جزؤه الثاني (وَيْهِ) مثل : جاء سيبويهِ . فسيبويه : فاعل مبني على الكسر في محل رفع . وتقول : رأيت سيبويهِ . فتلتزم كسر الآخر بناءً . وإن لم يكن منتهياً بـ (ويه) ، كان ممنوعاً من الصرف ، ويلتزم جزؤه الأول حركة خاصة به ، مثل : بعلبك ، تقول : هذه بعلبكُّ ، ومررت ببعلبكَّ ، وزرت بعلبكَّ . وتقول : جئت من بورْ سعيدَ ، وأقمت في بانياسَ .

ج ـ العلم المحكي :

وقد يكون العلم ـ اسماً كان أو لقباً ـ منقولاً عن جملة فعلية مثل : تأبط شراً ، وشاب قرناها ، وبَرَقَ نحرُهُ ، وذَرّى حَبّاً ، وجاء المولى ، وفتح الله . أو عن جملة اسمية مثل : هذا أو الطوفان ، أو : ثرثرةٌ فوق النيلِ ، أو : خمارةُ القط الأسود ، وهذه أسماء كتب . وفي هذه الحال يبقى الاسم محافظاً على لفظه المحكي من دون تغيير ، ويكوّن الإعراب مقدراً عليه تقديراً ، مثل : هذه قصيدةٌ لتأبطَ شراً ، ويعرب كما يلي :

لتأبط شراً : اللام حرف جر . وتأبط شراً : اسم مجرور باللام ، وعلامة جره الكسرة المقدرة على آخره ، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الحكاية الأصلية .

---

(١) درج الناس في هذه الأيام على معاملة بعض الأسماء معاملة المركب المزجي مثل : أبو قاضي ، وأبو ريشة ، وابو شبكة . فالتزموا الواو مهما كان موقعها من الجملة .

وتقول أيضاً : قرأت ثرثرةٌ فوق النيلِ . وتعرب :

ثرثرةٌ فوق النيلِ : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على آخره ، منع من ظهورهِ اشتغال المحل بحركة الحكاية الأصلية .

٥ ـ ترتيب أقسام العلم في الجملة وإعرابها :

إذا اجتمع علم وكنية ولقب فكيف تُرتب في بناء الجملة ؟

آ ـ إذا اجتمع علم ولقب غلب تقديم العلم ، مثل : عمر الفاروق ، وخالد سيف الله ، وعبد الله السفاح . وهارون الرشيد . إلا إذا كان اللقب مما شاع وغلب على الاسم ، مثل : سيبويه عمرو بن بشْر ، والمسيح عيسى بن مريم .

ب ـ وإذا اجتمع انعلم والكنية كان للمتكلم حرية الاختيار ، فقد يقدم العلم ، وقد تقدم الكنية ، تقول : أول الخلفاء العباسيين عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح . ولك أن تقول : أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة ، وأبو الحسن عليٌّ .

ج ـ وإذا اجتمع اللقب والكنية كان المتكلم بالخيار ، إن شاء قدم اللقب فقال : الصدّيق أبو بكر ، والدؤلي أبو الأسود ، وإن شاء قدم الكنية ـ وهو الأكثر ـ فقال : أبو العباس السفاح ، وأبو جعفر المنصور ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو عبادة البحتري ، وأبو فراس الحمداني ، وأبو مسلم الخراساني ، وأبو العلاء المعري .

أما الإعراب فيكون على الشكل التالي :

١ ـ إذا اجتمع علمان مفردان مثل : أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، وطه حسين ، أعرب الاسم الأول بحسب وظيفته ، وكان الثاني عطف بيان منه[1] ، مثل أحمدُ شوقيٌّ . وحافظٌ إبراهيمُ . وطه حسينٌ . ويرى بعضهم أن يضاف الأولُ إلى الثاني فيقال : أحمد شوقيٍّ ، وحافظُ إبراهيمَ ، وطه

(١) يجيز بعضهم أن يكون بدلاً ، وعطف البيان أصح من وجهين ، الأول أن فيه بياناً وتوضيحاً ، والثاني أن إسقاط الأول يؤدي إلى خللٍ في التسمية .

حسينٍ . إلا إذا كان الأول محلى بأل ، مثل : الحسن إبراهيم ، ففي هذه لابد من اعتبار الثاني عطف بيان .

٢ ـ وإذا كانا مركبين مثل : عبدُ الصمد عبدُ الله . كان الثاني عطف بيان للأول .

٣ ـ وإذا كان الأول مركباً والثاني مفرداً ، كان الثاني عطف بيان أيضاً ، مثل : عبد الله أحمد .

٤ ـ وإذا كان الأول مفرداً والثاني مركباً مثل : أحمد عبد الله ، أعرب الثاني بياناً أو مضافاً إليه .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ إن الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ﴾ .(آل عمران : ٤٥) .

٢ ـ قال أوس بن الصامت الأنصاري :

أنا ابن مُزَيْقِيا عمرٍو وجَدّي ... أبوه عامِرٌ ماء السماءِ

٣ ـ وقال حسان بن ثابت :

وما اهتز عرشُ الله من أجل هالكٍ ... سمعنا به إلا لسَعْدٍ أبي عمرِو

٤ ـ وقال الأخطل :

وقد كان منهم حاجبٌ وابنُ أُمِّه ... أبو جندلٍ والزَّيْدُ زَيْدُ المعاركِ

٥ ـ وقال أحد الأعراب :

أقسم بالله أبو حفصٍ عُمَرْ ... مامَسَّها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ

٦ ـ وقالت أخت عمرٍو ذي الكلب بن عجلان :

بأن ذا الكلب عمراً خيرهم حَسَباً ... ببطنِ شريانَ يعوي حوله الذيبُ

٧ ـ وقال أبو ذؤيب الهذلي :

عرفتُ الديارَ كَرَقْمِ الدوا ... ةِ يَزْبُرُها الكاتبُ الحِمْيَرِي

علـى أَطْـرِقـا بـاليـاتِ الخيـا م إلا الثمـــامَ وإلا العِصـــي[1]

٨ ـ وقال شاعر من بني أسد :

كـذبتـم وبيـتِ الله لاتنكحـونهـا بنـي شـابَ قَـرْنـاهـا تُصَـرُّ وتُحْلِـبُ

٩ ـ وقال آخر :

أَشْلـى سَلـوقيـةً بـاتـتْ وبـات بهـا بوحشِ إِصْمِتَ في أصلابها أَوَدُ[2]

١٠ ـ وقال غيره :

إذا مـــاقيـــل أيُّ النـــاسِ شَـــرٌّ فشـــرُّهُـــمُ بنـــو يتلمظـــان

☆ ☆ ☆

(١) أَطرقا : اسم علم لبادية .
(٢) إصمت : اسم علم لبادية أيضاً . وأشلى : أغرى . وسلوقية : كلاب .



بحوث الفعل وأشباهه

مقدمة في دراسة الفعل في العربية

الفعل في العربية ثلاثة أقسام ، مادل على حدث تم ومضى زمنه ، ويسمى الفعل الماضي ، وما دل على حدث يجري في الزمن الحاضر ، أو في المستقبل ، ويقال له الفعل المضارع ، وما دل على طلب عمل سيقع في المستقبل ، وهو فعل الأمر .

والمقياس الزماني في دلالة الفعل عند نحاة العربية هو لحظة التكلم ، فما وقع قبلها كان ماضياً ، وما يقع فيها يكون حاضراً ، وما يقع بعدها يعد مستقبلاً .

ويتبين من هذا أن للفعل دلالتين : أولاهما الدلالة على الحدث ، والثانية الدلالة على الزمان .

١ ـ دلالة الفعل على الحدث

يحدّ النحاة الفعل بأنه مادل على حدث مقترن بزمان معين ، فقولك : كتب خالد . يدل على عمل قام به خالد في زمن مضى ، ويكتب خالد . يدل على عمل يقوم به في زمن التكلم ، أو سيقوم به بعده ، واكتب ياخالد . يدل على طلب القيام بحدث بعد زمن التكلم ، أي في المستقبل .

ولاينفك الفعل من هذه الدلالة المزدوجة : الحدث والزمان ، إلا إذا استعمل استعمالاً خاصاً ، فبعض الأفعال في أصل وضعها تدل على حدث وزمان ، ولكنها أحياناً تُسلب دلالة الحدث ، وتبقى لها الدلالة الزمانية ، كما في الأمثلة الآتية :

ظلِلْنا قلقين حتى كان الامتحان .

فالفعل « كان » هنا يدل على حدث وزمان ، لأنه بمعنى « حصل » ولكن تأمله في هذه الجملة :

كان سعيد أخاك

تجِدْه لايدل على حدث ، بل على زمان فقط ، فالجملة تخبر عن أخوَّة سعيد لكَ ، ثم دخلت « كان » لتدل على أن هذه الأخوة كانت فيما مضى . ومثله الفعل (أمسى) في قولك :

تذكرت أخي حين أمسيتُ .

فإنه يدل على أن حدثاً وقع في زمن مضى ، لأنه يعني : دخلت في المساء ، أما إذا قلت :

أمسى الثوبُ نظيفاً .

فإنك لاتعني إلاأنه صار نظيفاً بعد أن كان غيرَ نظيف .

وهكذا نجد بعض الأفعال لاتدل على أحداث ، وتبقى لها دلالتها على الزمان ، ولذلك تسمى أفعالاً ناقصة ، أما إذا دلت في بعض التراكيب على الحدث والزمان فإنها تكون تامة .

٢ ـ دلالة الفعل على الزمان

قسم النحاة القدماء ـ بعد استقرائهم الطويل ـ أفعال اللغة العربية من حيث الدلالة على الزمان ثلاثة أقسام :

١ ـ قسماً رأوه يدل على الزمن الماضي ، مثل : كتب ، وقرأ ، وعلم .

٢ ـ وقسماً رأوه يدل على الزمن الحاضر حيناً ، والمستقبل حيناً آخر ، مثل : يكتب ، ويقرأ ، ويفهم .

٣ ـ وقسماً ثالثاً رأوه يدل على المستقبل دوماً ، مثل : اكتب ، واقرأ ، وافهم .

على أن استقراءهم لكلام العرب ، وتمرسهم بالفصيح من القول ،

جعلهم يشيرون في بعض المواضع إلى أن هذه الدلالة ليست مطلقة ، ولكنها عامة[1] ، هذا والنحاة القدماء لم يهتموا بهذه الدلالة الزمنية اهتماماً تاماً ، لأنهم شغلوا بقضايا الإعراب لحاجة الكَتَبَة والناس إليها بعد فساد السليقة ، وأحسبهم لو اهتموا بها لوصلوا في دراستها إلى مالا يصل إليه لغوي معاصر ، لقربهم من الفصحاء ، وفهمهم لأساليبهم .

ولنحاول أن نبين في إيجاز بالغ دلالة الفعل العربي على الزمان ، أما فعل الأمر فلا يدل إلا على المستقبل ، ولذلك لن تكون له فقْرة خاصة به .

وصيغ الفعل في العربية لاتدل على الزمان دلالات دقيقة ، لأن ظرف الزمان فيها يقوم بهذه المهمة قياماً كافياً ، ويحدد أزمنة وقوع الأفعال ، وبعض اللغات تعتمد في هذا على استعمال الأفعال المساعدة وأسماء المفعولين ، كالإنكليزية ، ولها صيغ كثيرة لاتخلو من صعوبة .

آ ـ صيغة « فَعَلَ » ودلالتها :

نعني بهذه الصيغة مايسمى في المصطلح النحوي (الفعل الماضي) ، لأنها هي أساسه الأصيل ، وتدل على حدث وقع في زمن مضى قبل زمن التكلم .

ولكن هذا الأصل العام لايستقيم دوماً ، فكثيراً ماتخرج هذه الصيغة عليه ، لتدل على أزمنة أخرى ، وذلك على الشكل التالي :

١ ـ قد تدل على الزمن الحاضر وقت التكلم ، كقول الناس بعضهم لبعض في العقود ، بعتك البضاعة ، أو زوجتك ابنتي . وهي في حقيقة الأمر تدل على النية المعقودة للقيام بالحدث .

٢ ـ وقد تدل على المستقبل كما في جمل الدعاء ، كقولنا : صحبتك السلامة ، وحفظك الله . وقد تدل عليه في غير الدعاء ، كما في هذه الآية : ﴿ فسوف يلقَوْن غياً ، إلا من تاب وآمن وعمِلَ صالحاً ﴾ (مريم : ٥٩ ـ ٦٠) وتقديره : إلا من يتوب . ومثله قوله : ﴿ ونفخ في الصور فصَعِقَ مَن في

(١) انظر : فقه اللغة أسرار العربية للثعالبي ٣١٠ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ٣٠٤ .

السماوات ومن في الأرض ﴾ (الزمر : ٦٨) وقوله : ﴿ أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه ﴾ (النحل : ١) ومثله قول الطرماح :

وإنــي لآتيكُــمْ تَشَكُّــرَ مــامضــى من البِرِّ واستيجابَ ما كان في غدِ

أي : ماسيكون في غدٍ .

٣ ـ وقد تدل على زمان مبهم غير محدد ، كقولك : كرم فلان ، وعظُم ، وسود الزنجي ، وعرِج زيد ، وكَحِلتْ عينُهُ ، أو حورت أوعورت . فهذه الأفعال جميعاً إنما تدل على صفات ثابتة غير متحولة ، لم تطرأ ، ولا تزول ، وإنما هي طبائع أو عاهات أو حِلى ، خلقت مع صاحبها ، فكانت من أصل تكوينه النفسي أو الجسدي .

٤ ـ وقد تتجرّد من الدلالة الزمنية البتة ، وهذا كثير في الفعل « كان » حيـن يكـون نـاقصـاً ، كقـولـه تعـالـى : ﴿ وكـان الله عـزيـزاً حكيمـاً ﴾ (الفتـح : ٧ ، ١٩) ﴿ بـل كـان الله بمـا تعملـون خبيـراً ﴾ (الفتـح : ١١) ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ (الفتح : ١٤) ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً) (الفتح : ٢١) ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ﴾ (نوح : ١٠) الخ . . . فلا يفيد الفعل « كان » هنا غير معنى التوكيد ، ولايمكن أن يحدد عِزّة الله ، وحكمته ، وخبرته ، وغفرانه ، في زمن مضى وانتهى . . .

هذا إذا استعملت هذه الصيغة مجردة من أدوات ذاتِ دلالةٍ خاصة ، وإذا صحبتها هذه الأداوت دلت على الأزمنة التالية :

١ ـ الماضي القريب :

وذلك إذا دخلت عليها « قد » فإذا قلت : جاء أخوك . عبرت بالفعل : جاء ، عن زمن مضى دون تحديد ، قد يكون بعيداً جداً ، وقد يكون قريباً ، ولكنك إذا قلت : قد جاء أخوك ، فإنما تعبر عن حدث وقع في زمن قريب من زمن التكلم .

٢ـ الماضي البعيد :

وإذا تقدمت عليه « كان » أو إشارة زمنية أخرى ، دل على حدث وقع قبل فعل آخر ، وهذا واضح في الآية الكريمة : ﴿ وحملناه على ذات ألواحِ

ودُسُرٍ ، تجري بأعيننا ، جزاءً لِمَنْ كان كَفَر » (القمر : ١٣ ، ١٤) ، ومثله : ﴿ ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ، كما أتمها على أبويك من قَبْلُ ﴾ (يوسف : ٦) ومثله أيضاً : ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الأدبار ﴾ (الأحزاب : ١٥) .

٣ ـ الدلالة على المستقبل :

وإذا وقع الفعل الماضي بعد « إذا » و « إن » الشرطيتين ، دل على المستقبل في الجملة فعلُ الشرط وجوابُه معاً ، مثل : إذا ماجاء الشتاء جئتُ إلى بلدك ، ومثل : إن جد أخوك وصل إلى مايريد .

ب ـ دلالة « يِفْعَلُ » على الزمان :

والفعل المضارع يدل في الغالب على الحاضر أوالمستقبل ، ولكنه كقسيمه الماضي يخرج على الشيوع ، وتكون له دلالة زمانية خاصة ، وذلك كمايلي :

١ ـ قد يدل على حقيقة ثابتة غير محددة بزمان ، كقولنا : إن الشمس تشرق من المشرق وتغرب من المغرب . إن الله يحيي ويميت . فهذه الأفعال المضارعة لم تدل على حدث يجري زمن التكلم ، ولا على حدث سيق بعدها ، بل دلت على حقائق جارية في كل زمان ، مستمرة دائمة ، ومثله : الشمس تنير الأرض ، والبحر يدفىء الجو ، والغيوم تهطل أمطاراً .

وكذلك قد تدل على عادة متبعة ذات قانون ثابت في كل زمان ، كقول العرب في مثلهم المشهور : قبل الرماء تملأ الكنائن .

٢ ـ وقد يدل على الزمن الماضي إذا صحبته قرينة ، كما في هذه الآية : ﴿ لِمَ تقتلون أنبياءَ الله من قبلُ ﴾ (البقرة : ٩١) ، ومثله : ﴿ استكبرتم ففريقاً كذبتم ، وفريقاً تقتلون ﴾ (البقرة : ٨٧) والتقدير فيهما : قتلتم ، ومثله : ﴿ واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان ﴾ (البقرة : ١٠٢) أي : ما تلت ، أو : ماكانت تتلو ، ومثله قول امرىء القيس :

لعَمْري لقومٌ قد نرى أمس فيهم   مرابط للأمهار والعَكَرِ الدَثْرِ[1]

وتلحقه الزوائد من الأفعال الناقصة والأدوات فيؤدي بها دلالات زمنية أخرى ثابتة فيه وذلك كما يلي :

١ ـ أدوات تخلص دلالته للمستقبل :

بعض هذه الأدوات نافية ، وبعضها مثبتة ، فـ « لن » تخلص النفي في الفعل المضارع للمستقبل ، فإذا قلت : لن أكتبَ ، أردت أن الكتابة لن تحدث في المستقبل ، وكذلك : لا ، كقولك : أنا لاأبيت في مثل هذا المكان ، وتقول : هذا صحيح لايرتاب فيه أحد .

أما السين وسوف فللمستقبل المثبت كقولك : سوف أزور دمشق في العام الآتي ، وكذلك « أن » المصدرية ، كقولك : رغبت في أن أراك .

٢ ـ أداتان تخلصانه للماضي :

وهما : لم ، ولما ، أما الأولى فتجعله للماضي مطلقاً ، نحو : لم أذهب إلى الجامعة البارحة ، أما « لما » فيمتد نفيها من الماضي إلى زمن التكلم ، كقولك : لما ينقطعِ السيل . فالسيل مستمر إلى زمن التكلم .

٣ ـ دلالته على حدث مستمر في الماضي :

وذلك إذا سبق بالفعل « كان » كقولك : كنت أختلف إلى بيت أخي ، وأجد فيه الوداعة والأنس . فاختلافك إلى بيت أخيك كان مستمراً في الماضي . وكذلك وُجْدانُكَ فيه الوداعة والأنس . ومثله قوله تعالى : ﴿ كانوا لايتناهَوْنَ عن منكرٍ فعلوه ﴾ (المائدة : ٧٩) .

٣ ـ بناء الفعل

ويقسم الفعل من حيث إعرابُه وبناؤه قسمين ، فعل مبني ، كالماضي والأمر ، وفعل معرب في حال ، ومبني في حال أخرى ، وهو المضارع .

(١) العكر : جماعات الإبل . والدثر : الكثير .

١ ـ بناء الفعل الماضي :

يرى بعض النحاة أن أصل بناء الماضي الفتح ، ولكنه قد يعرض له عارض صوتي فيتعذر ظهور الفتح عليه ، مثل : كتب ، كتبا ، كتبت . فهو هنا مبني على فتح ظاهر لعدم وجود العارض . أما في : كتبوا ، كتبتُ ، كتبتَ ، كتبتِ ، كتبْن فقد عرض له ما أزال الفتح إزالة لفظية ، فواو الجماعة في : كتبوا ، لايلائمها إلا الضم ، ولذلك حلت محل الفتح عرضاً ، وأما : كتبتُ ، وأخواتها فقد سكنت الباء تسكيناً عارضاً ، لابناءً ، لئلا يتوالى أربعة أحرف متحركة فتثقل على اللسان .

ولم يكتب لهذا الرأي الشيوع ، على الرغم من صحته ومجاراته لروح اللغة ، أما الرأي الذي شاع وانتشر في بناء الفعل الماضي فهو :

١ ـ يبنى على الفتح إذا لم يتصل به شيء ، غير تاء التأنيث وألف الاثنين ، مثل : لعبَ ، لعبَتْ ، لعبَا .

٢ ـ ويبنى على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة مثل : لعبوا .

٣ ـ ويبنى على السكون إذا اتصلت به ضمائر الفاعل المتحركة ، لعبْتُ ، وأخواتها .

ولايكون الإعراب محلياً في الفعل الماضي إلا إذا وقع فعلاً للشرط أو جواباً له ، مثل : إن جئتُ حملت إليكَ كتاباً . تقول في إعرابها :

جئت : حملت : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الفاعل المتحرك ، في محل جزم بـ « إنْ » لأنه فعل الشرط أو لأنه جواب الشرط ، والتاء ضمير متصل الخ . . .

٢ ـ بناء فعل الأمر :

القاعدة الأساسية هي أن فعل الأمر يبنى على مايجزم به مضارعه ، وذلك على الشكل التالي :

ـ الفعل (يكتب) يجزم بالسكون ، والأمر منه ينبى على السكون .

ـ يرمي ، ويدعو ، وينْهى ، تجزم بحذف حرف العلة ، وأفعال الأمر

تبنى على حذف حرف العلة ، مثل : لم يرمِ ، لم يدعُ ، لم يَنْهَ . ارمِ ، ادعُ ، إنْهَ .

ـ الفعل : يكتبون ، يجزم ، وتكون علامة الجزم فيه حذف النون ، فيبنى الأمر منه على حذف النون ، لم يكتبوا ، اكتبوا .

ـ المضارع : يكتبَنَّ ، مبني على الفتح ، والأمر منه مبني على الفتح أيضاً : اكتبنَّ .

٣ ـ بناء الفعل المضارع :

أما الفعل المضارع فلا يبنى إلا في حالين :

١ ـ إذا اتصلت به إحدى نوني التوكيد اتصالاً مباشراً ، بني على الفتح ، مثل : لاتلعَبنَّ ، لاتجهلنَّ . وفي هذه الحال يكون إعرابه محلياً ، نقول مثلاً في إعراب : لاتكتبنَّ: لا : ناهية جازمة ، تكتبن : فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بـ « لا » الناهية ، والنون حرف توكيد لامحل لها من الإعراب ، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت .

أماإذا كان اتصال النون به غير مباشر ، كأن تقوم بينهما واو الجماعة ، أو ياء المؤنثة المخاطبة ، مثل : لاتكتمُنَّ الله ما في نفوسكم . أو : لاتكتمِنَّ الله ما في نفسِكِ . فإن الفعل في هذه الحال معرب لا مبني ، ولكن يحذف الضميران لالتقاء الساكنين(١) .

(١) وإذا كان معرباً مرفوعاً مثل : هل تعلمن ، تحذف نون الأفعال الخمسة لئلا يتوالى الأمثال . تقول في إعراب : لا تكتُمنَّ . لا : ناهية جازمة ، تكتمن : فعل مضارع مجزوم بلا ، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة ، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع ، فاعل . والنون حرف توكيد لامحل له من الإعراب . وتقول في إعراب : هل تعلمُنّ . فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة ، وقد حذفت لئلا تتوالى ثلاث نونات ، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير ، الخ . . .

٢ ـ وإذا اتصلت به نون النسوة بني على السكون ، مثل : يقرأن ويكتبْن . وكذلك يكون إعرابه في هذه الحال محلياً ، تقول : النساء يكتبنَ . وإعرابه : يكتبن : فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ، في محل رفع لتجرده عن الناصب والجازم . ونون النسوة . . . الخ .

٤ ـ إعراب الفعل المضارع :

سمي هذا الفعل مضارعاً لأنه ضارعَ الاسمَ ، أي شابهه ، ويذكر النحاة وجوهاً كثيرة للشبه يمكن تصنيفها في نوعين :

آ ـ شبه معنوي : فالفعل المضارع والاسم يتخصصان بعد أن يكونا شائعين ، تقول مثلاً : رجل ، بالتنكير والشِياع ، ثم تخصص فتقول : رأيت الرجل . وتقول في الفعل المضارع : يكتبُ ، فالدلالة هنا شائعة بين الحاضر والمستقبل ، وتقول : لم يكتب ، فتخصص الدلالة في الزمن الماضي ، وتقول : سوف يكتب ، ولن يكتب ، ولايكتب ، فتخصص دلالته بالمستقبل .

ب ـ شبه لفظي : وذلك أن اللام المزحلقة تدخل على كليهما ، تقول : إن فلاناً لكاتب ، كما تقول : إن فلاناً ليكتب . ثم إن الفعل المضارع يشبه في اللفظ اسم الفاعل من حيث الإيقاعُ اللفظي ، فقولك : يضرب ، يشبه : ضارب ، من حيث الحركات والسكنات .

هذا الشبه جعل الفعل المضارع معرباً كالأسمّاء ، معنى هذا أن العوامل تؤثر فيه ، وله حالات ثلاث ، هي :

١ ـ الرفع : إذا لم يسبق بناصب أو جازم ، مثل : يكتب ، يكتبون ، يرمي . فالأول علامة الرفع فيه الضمة الظاهرة ، أما الثاني فعلامة رفعه ثبوت النون ، والأخير علامة الرفع فيه الضمة المقدرة على الياء للثقل .

٢ ـ النصب : إذا سبقه حرف من حروف النصب ، وهي : أن ، لن ، كي ، إذن . مثل : لن أكتب ، ولن يكتبوا ، فالأول منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، والثاني علامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة .

٣ ـ **الجزم** : إذا سبقه حرف من الجوازم ، وهي : لم ، لما ، لام الأمر ، لا الناهية ، وأدوات الشرْط ، والطلب . مثل : لم يكتب ، ولم يكتبوا ، ولم يرم . الأول علامة جزمه السكون الظاهر والثاني حذف النون ، والثالث حذف حرف العلة .



جزم الفعل المضارع

رأينا فيما سبق أن الفعل المضارع معرب لمضارعته الاسم ، ومشابهته له في الاستعمال ، ووقوعه موقعه ، إذ يجتمع هو واسم الزمان في الدلالة الزمانية ، ولحاق الزوائد الدالة على معانٍ ، تقول : سعيد يكتب ، وسعيد كاتب ، والقاضي يحكم ، والقاضي حاكم ، وإن الرجل ليصدق ، وإن الرجل لصادق .

ورأينا أيضاً أن له حالاتٍ ثلاثاً في الإعراب ، الرفع ، والنصب ، والجزم ، وقد تحدثنا عن الرفع ، فقلنا : يرفع إذا لم يتقدمه حرف جازم أو حرف ناصب ، وسنتحدث الآن عن جزمه ، ثم عن نصبه .

١ ـ جوازم المضارع

ينجزم الفعل المضارع بنوعين من الأدوات ، فبعضها لايحمل معنى الشرط ، ولايجزم إلا فعلاً مضارعاً واحداً ، وبعضها الآخر فيه معنى الشرط ويجزم فعلين مضارعين .

١ ـ مايجزم فعلاً واحداً :

الأدوات التي تجزم فعلاً مضارعاً واحداً هي : لم ، ولما ، ولام الأمر ، ولا الناهية . فهي تجزمه لفظاً أو محلاً ، فالأول مثل : لم يكتب ، ولم يكتبوا ، ولم يَرْمِ . والثاني : لاترمِيَنَّ ، وقد عرفنا هذا في البحث السابق .

أما « لم » فهي حرف نفي وجزم وقلب ، لأنها تفيد النفي ، وتعمل في المضارع جزماً ، ولأنها تقلب دلالته الزمانية فتخلصه للماضي ، فقولك : لم أكن هنا البارحة ، مثل : ماكنت هنا البارحة .

وتختلف عنها « لما » في أن نفيها متصل بالحال ، ويتوقع حصول منفيها

وينتظر ، كقولنا : لما يأتِ خالد . فخالد لم يأتِ في الماضي ، ولم يأتِ زمن التكلم ، إلا أننا ننتظر مجيئه ، ونتوقع حصوله .

ولام الأمر ، لايزيد معناها على طلب إحداث أمر ما ، مثل : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (المجادلة : ١٠) . والاستعمال العام لها أن يؤمر بها الغائب ، كما مر ، وقليلاً ما يأمر بها المتكلم نفسه عن طريق المجاز ، كما في هذه الآية : ﴿ واتَّبِعوا سُبُلَنا ، ولْنَحْمِلْ خطاياكم ﴾ (العنكبوت : ١٢) ومثله في القلة أن يؤمر بها المخاطب ، من ذلك قراءة النبي ﷺ وكبار صحابته ، ﴿ فبذلك فلتفرحوا ، هو خير ممايجمعون ﴾[١] (يونس : ٥٨) ، وقد استطاع بعض النحاة أن يجمع لهذه الظاهرة بعض الشواهد من الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ﷺ ، وبعض الأبيات الشعرية[٢] .

وقد تكون هذه اللام للدعاء لا للأمر ، كقولنا : لِيحفظك الله ، لتصحبْك السلامة ، كما تكون للتهديد ، كقوله تعالى : ﴿ ليكفروا بما آتيناهم وَلْيتمتعوا فسوف يعلمون ﴾ (العنكبوت : ٦٦) وهذا يحدده السياق العام .

وهذه اللام مكسورة ، إلا إذا سبقت بالواو أو الفاء ، مثل : لِيكتب ، وَلْيكتب ، فلْيَكْتبْ . وهذا حدث صوتي كان العرب بتخففون فيه من توالي الحركات .

ولا ، الناهية ، تحمل معنى مضاداً لِللام الأمر ، إذ يطلب بها ترك أمر مّا ، وتقتضي جزم المضارع ، واستقباله ، سواء أكان المطلوب منه ذلك مخاطباً أم متكلما ، فالأول كثير جداً ، كقولك لاتكتب ، ولاتقرأ ، أما الغائب فنهيه مجازي ، يراد منه نهي المخاطب بطريقة غير مباشرة ، كقول الأخطل مخاطباً بني امية :

بني أميةَ إني ناصحٌ لكم فلا يَبِيتَنَّ فيكم آمناً زُفَرُ[٣]

(١) أما قراءتنا اليوم : فليفرحوا .

(٢) هي في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري . المسألة ٧٢ ص ٢٧٣ وما بعدها .

(٣) يريد : زفر بن الحارث الكلابي .

كأنه قال : فلا تجعلُنَّهُ يبيت فيكم آمناً .

وقد يكون نهي الغائب صريحاً ، كقوله تعالى : ﴿ لايتخذِ المؤمنون الكافرين أولياء ﴾ (آل عمران : ٢٨) وقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يَجْهَلَـــنْ أحـــدٌ علينـــا فنجهــلَ فــوق جهــلِ الجـاهلينـا

ومثله نهي الإنسان نفسه ، تقول : لا أرينَّك هنا ، فالنهي في الجملة لايوجه إلى المتكلم حقاً ، ولكنه يوجه إلى المخاطب في أسلوب مجازي يدل على سعة العربية في الأداء ، فكأنك تقول : لاتكن سبباً في رؤيتي لك هنا ، أي : لا تأت إلى هنا فيكون ذلك سبباً في رؤيتي لك .

وكثيراً ما تكون « لا » الجازمة هذه للدعاء ، ولها شواهد لاتحصى في آيات القرآن الكريم من نحو : ﴿ ربنا لاتؤاخِذْنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصْراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا بـه ﴾ (البقـرة : ٢٨٦) ، ﴿ ربنـا لاتُـزِغْ قلـوبنـا بعـد إذ هـديتنـا ﴾(آل عمران : ٨) .

٢ ـ مايجزم فعلين :

وثمة أداة تجزم الفعل المضارع وهي « إنْ » التي تفيد معنى الشرط ، ويلحق بها أدوات أخرى ليس لها في الجزم أصالتها وقدرتها ، لأن « إن » الشرطية لاتفارق معنى الشرط كيفما استعملت ، أما الأدوات اللواحق بها فتكون للاستفهام تارة ، والشرط تارة أخرى ، وبعضها ظروف ، وهذه الأدوات هي : إذما ، مَنْ ، ما ، مهما ، متى ، أيان ، أينما ، حيثما ، أنَّى ، كيفما ، أي .

وتفصيل ذلك كما يلي :

١ ـ إن ـ، إذما[١] :

هما حرفان جازمان شرطيان ، لامحل لهما من الإعراب ، كغيرهما من الحروف .

---

(١) ذهب بعض القدماء إلى أن (إذما) اسم حرف .

٢ ـ من ، ما ، مهما :

وهذه أسماء مبهمة ، تكون في معظم استعمالاتها في محل رفعٍ مبتدأ ، مثل : من يعمل بجد يصلِ إلى مايتمنى . وقد تكون مفعولاً به مقدماً ، وذلك إذا كان فعل الشرط متعدياً ولم يأت مفعوله بعده ، كقوله تعالى : ﴿ مانَنسخْ من آية أو نُنْسِها نأتِ بخير منها ﴾ (البقرة : ١٠٦) وقوله : ﴿ وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ (البقرة : ١١٠) ، وكقول زهير :

رأيت المنايا خبط عشواءَ من تصب تمته ، ومن تخطئ يُعَمَّرْ فيهرمِ

وقد تكون في محل جر بالإضافة ، مثل : كتابَ مَنْ تقرأ أقرأ .

وحين تكون مبتدأ يكون فعل الشرط هو الخبر على أيسر الآراء ، ويشبهها قوم بالأسماء الموصولة ، ولذلك يرون جملة الجواب هي الخبر ، وهذا يوقعهم في كثير من التناقض ، كما في الجملة الآتية : من يعمل يربح . فجملة (يربح) في زعمهم هي الخبر ، ثم هي في الوقت نفسه غير مقترنة بالفاء ، فلا محل لها من الإعراب . وعلى هذا تكون الجملة ذات محل ، ولا محل لها ، في وقت واحد .

ومما يدل على فساد مايذهبون إليه أن جملة الجواب قد تكون إنشائية طلبية ، وجمهورهم ينكر أن تكون جملة الخبر طلبية ، مثل : من يأتنا فليحمل إلينا مايشاء . ومن يلق سعيداً فلا يسلم عليه .

وهناك دليل آخر نستأنس به هنا ، فمن أساليب العربية في الشرط والجواب أنها في بعض الأحيان تأتي بجواب يخلو من ضمير يعود إلى اسم الشرط الذي هو مبتدأ ، وتقيمه مقام جواب مفهوم من سياق الكلام ، كقولنا : من لم يذهب إلى الشاطئ فإني ذاهب إليه . فالجواب : إني ذاهب إليه . ليس فيه ضمير يربطه بالمبتدأ : من ، وكأننا قلنا : من لم يذهب إلى الشاطئ فإني لن أجاريه في ذلك . ولهذا الأسلوب شواهد كثيرة في القرآن والشعر ، مثل : ﴿ ومن يَشاقِّ الله فإن الله شديد العقاب ﴾ (الحشر : ٤) ، ﴿ ومن يكفرْ بآياتِ الله فإن الله سريع الحساب ﴾ (آل عمران : ١٩) ، ﴿ ومن عصاني فإنك غفور

رحيم ﴾[1](إبراهيم : ٣٦) . أما ما جاء في الشعر فمنه قول سعد بن مالك :

مـنْ صَـدَّ عـن نيـرانهـا   فـأنـا ابـنُ قيـسٍ لابَـراحُ

وقول ضابىء البرجمي :

فمن يكُ أمسى في المدينة رحله   فـإنـي وقيـارٌ بهـا لغـريـب

وقول النابغة الجعدي :

فمن يكُ لم يثأر بأعراض قومه   فـإنـي وربِّ الـراقصـاتِ لأثـأرا[2]

وقول الآخر ، وهو من إنشاد أبي علي الفارسي :

فمـن يـك لـم ينجـب أبـوه وأمـه   فـإن لنـا الأمَّ النجيبـةَ والأبُ

وإذا تبين لنا فساد هذا المذهب وجب أن نأخذ بالمذهب الآخر لأنه أقل اضطراباً منه[3] .

والحقيقة أن هذه الأسماء الثلاثة يجب أن تقاس إلى أسماء الاستفهام لا إلى الأسماء الموصولة ولذلك غير دَليل :

آ ـ فعل الشرط يعمل في اسم الشرط باتفاق النحاة جميعاً في مثل قولنا : من تلق فسلم عليه . فـ « من » مفعول به لفعل الشرط ، لأنه لم يأت مفعوله بعده ، فإذا استوفى مفعولاً به بعده رفع اسم الشرط على الابتداء ، مثل : من تلقه فسلم عليه . ومن هذا يتبين أن العمل متبادل بين فعل الشرط والأداة ، أما الجواب فلا يؤثر فيها ، كما رأينا في المثال السابق ، وهذا يشبه مايحصل بين

---

(١) قدر الأخفش في مثل هذا : له ، قال عند قوله تعالى : ﴿ فمن اضطر في مَخْمصةٍ غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾ (المائدة : ٣) : « كأنه قال : فإن الله له غفور رحيم ، كما تقول : عبد الله ضربتُ ، تريد : ضربته » . معاني القرآن . اللوحة ٢/١٠٢ ، وليس القياس دقيقاً ، لأن حذف ضمير النصب يختلف عن حذف الجار والمجرور ، كما أن مثل هذا التقدير لا يستقيم فيما سنقدمه من شواهد .

(٢) قوله : لأثأرا . أصله : لأثأرنْ ، بنون التوكيد الخفيفة .

(٣) الواقع أن أسلوب الشرط والجواب في هذه المسألة من المشكلات التي لاتطمئن النفس إلى حلها وفق قواعد النحو المرسومة ، ولذلك يكون الأخذ بأقل الرأيين اضطراباً أسلم من الأخذ بغيره .

اسم الاستفهام والفعل الذي بعده ، تقول مثلاً : ماتحمل في يدك ؟ فـ « ما » هنا مفعول به للفعل : تحمل ، لأنه لم يأخذ مفعولاً به بعده . ولكن إذا قلت : ماتحمله في يدك ؟ صارت مبتدأ . وهذا أيضاً يشبه مايجري للاسم المعرب ، تقول : محمداً رأيت . وتقول : محمدٌ رأيته . فحين أثبت مفعولَ (رأى) جعلت (محمداً) مبتدأ ، والجملة بعده خبره ، وحين حذفت المفعول به جعلت (محمداً) مفعولاً مقدماً للفعل : رأيت ، وهذا واضح الدلالة على أن جملة فعل الشرط هي الخبر .

ب ـ لايهم أن يكون المعنى غير تام من فعل الشرط والأداة ، لأن جواب الشرط جزء متمم للكلام ، ولهذا نظير في إعراب الاسم الموصول خبراً في مثل قول الفرزدق :

هـذا الـذي تعـرف البطحـاء وطـأتـه ... والبيـتُ يعـرفـه والحـل والحـرم

مع أن المعنى لايتم عند « الذي » لأنه يتم بالصلة بعده . وكذلك هناك ، يتم فعل الشرط بجوابه .

ج ـ وإذا ادعى مدع أن جملة فعل الشرط لاتقدر بالمفرد ، فلا يصح وقوعها خبراً ، قلنا : إن جواب الشرط لايقدر بالمفرد أيضاً ، على أن هذا الأصل ـ وإن كان يبحث في إعراب الجمل ـ يدل على ضيق الأصول الإعرابية التي وضعت للعربية الكثيرة الافتنان في أساليب التعبير ، ولايدل على أن جملة الجواب هي خبر المبتدأ .

٣ ـ متى ، أيان :

هما ظرفا زمان محلهما النصب ، تضمنا معنى « إن » الشرطية ، فحملا عليها ، كقول بشر بن أبي خازم :

وينصـرنـا قـوم غضـابٌ عليكـمُ ... متى نَدْعُهم يوماً إلى النصرِ يركبوا

وتقول : أيان ما تَنْزِلْ أنزل .

٤ ـ أين (أينما) حيثما ، أنَّى[1] :

وهـذه ظـروف مكـان تضمنـت معنـى « إنْ » ، فجـزمـت مثلهـا فعليـن مضارعين .

---

(١) يقال : إنِ(أنَّى) فيها معنى (من) فإذا قلت : أنَّى تأتني آتيكَ . كان المعنى : من أي جهةٍ تأتني آتيكَ .

والعامل الذي تتعلق به هذه الظروف الخمسة ، هو فعل الشرط ، على راي جمهور النحويين ، ويذهب آخرون إلى أنه جواب الشرط ، ويتمسكون بالمعنى ، فيزعُمون أن (متى) في قولك : متى تأتني أكرمك . هي الزمان الذي يقع فيه الإكرام ، ويتأولونه على هذه الصورة : أكرمُك وقتَ مجيئِكَ .

والحقيقة أن هذا التأويل مصطنع ، والصواب أن تقول : إن متى وأخواتها ظروف تضمنت معنى (إنْ) فصارت تدل على زمان أو مكان مبهم ، غير محدد ، ومادامت مبهمة في تضمنها معنى الشرط ، فينبغي ألا تكون مضافة ، لأن الإضافة تعريفٌ أو تخصيص ، والحدث الذي يدل عليه فعل الشرط واقع فيها ، وعلى هذا يكون تأويل الجملة السابقة : إن تأتني في أي وقتٍ أكرمْكَ . ومثله تأويل قولكَ: حيثما تقعدْ أقعد . فهو : إن تقعد في أي مكان أقعد فيه . وإذا أولنا الكلام على ما أولوه ، جعلنا الإكرام خاصاً في زمن معين ، وبهذا يزول الإبهام .

وهناك دليل أكثر إقناعاً من هذا ، وهو أن « أيّ » إذا دخلها حرف الجر تعلقت بفعل الشرط لا بالجواب ، كما في قولك : إلى أي مكانٍ تذهبْ أذهبْ ، ومثله : في أي نحوٍ يميلوا دينه يَمِلِ . وهذا يعني أنّ أداة الشرط إذا كانت شبه جملة كان العامل فيها فعل الشرط لاجوابه ، فلا داعي يدعو إلى أن نجعله جواب الشرط ، أما مايتمسك به أصحاب الرأي الثاني من المعنى ، فيبدوا أنه يحتاج إلى مزيد من التروي والدقة في فهم التركيب .

٥ ـ كيفما :

هي دوماً حال من فاعل فعل الشرط .

٦ ـ أيّ :

تعرب هذه الأداة بحسب ماتضاف إليه ، وهي معربة ، وتعرب بحسب موقعها من الجملة ، كما في الأمثلة الآتية :

ـ أيُّ كتابٍ تقرأهُ تستفدْ منه . مبتدأ ، لأن فعل الشرط نَصَبَ مفعولاً به ، وهو الضمير المتصل به .

ـ أيَّ كتابٍ تقرأ تستفد منه . مفعول به مقدم لأن فعل الشرط لم يُشْغل بمفعول به بعده .

ـ أيَّ وقتٍ تأتِ تجدْني . ظرف زمان يتعلق بفعلْ الشرط (تأتِ) .

ـ أيَّ جهةٍ تَسِرْ أسِرْ . ظرف مكان يتعلق بفعل الشرط (تَسِرْ) .

ـ أيَّ كتابةٍ تكتبْ تعجبْني . مفعول مطلق لأنها أضيفت إلى مصدرِ فعلِ الشرط .

ـ في أي نحوٍ يميلوا دينه يَمِلِ . مجرورة بحرف الجر ، ويتعلقان بفعل الشرط .

٢ ـ جملتا الشرط والجواب

١ ـ جملة الشرط :

آ ـ يُشترط في جملة الشرط أن يكون فعلها خبرياً ، متصرفاً ، غير مقترن بـ : قد ، أو : لن ، أو : ما ، أو التسويف .

ب ـ على أنه لايُشترط فيه أن يكون مضارعاً مجزوماً ، فكثيراً ما يأتي ماضياً ، وفي هذه الحال يكون جزمه محلياً ، مثل : ﴿ وإن عُدْتُمْ عُدْنا ﴾ (الإسراء : ٨) وفي الحديث : « خير النساء مَنْ إن نظرت إليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك » .

ج ـ قد يحذف فعل الشرط ويفسره فعل مذكور بعده ، كقوله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره ﴾ (التوبة : ٥) وقد يحذف لدلالة السياق عليه ، كقول الأحوص :

فطلقهــا فلســت لهــا بكُــفْءٍ وإلا يَعْــلُ مفــرِقــك الحُســامُ

أي : وإلا تطلقها يَعْلُ مفرقك الحسام .

٢ ـ جملة جواب الشرط :

آ ـ الأصل في جملة الجواب أن يكون فعلها خبرياً متصرفاً كفعل

الشرط ، سواء أكان مضارعاً مجزوماً ، مثل « يَفِرْهُ ، ويُشْتَم » في قول زهير :

ومن يجعلِ المعروف من دون عرضه   يفِـرْهُ ، ومـن لايتـقِ الشتـمَ يُشْتـمِ

أم كان ماضياً مبنياً على حركةٍ أو سكون ، مثل : إن زرتني زُرْتك .

ب ـ وإذا لم يكن على هذه الصورة وجب ربطه بالفاء أو بـ « إذا » الفجائية ، مثل : ﴿ ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ (آل عمران : ٢٨) فقد اقترنت جملة الجواب بالفاء وجوباً لأن فعلها جامد لامتصرف . ومثله : ﴿ وإن لم يُعْطَوْا منها إذا هم يسخطون ﴾ (التوبة : ٥٨) اقترنت هنا بـ « إذا » الفجائية لأنها جملة اسمية لا فعلية .

على أن ارتباطها بالفاء كثير جداً ، أما ارتباطها بـ « إذا » الفجائية فنادر جداً في هذا الباب ، ولايكون إلا وجملةُ الجواب اسمية لافعلية ، كما رأيت في الشاهد السابق ، أما مواضع ارتباط جملة الجواب بالفاء فكثيرة ، وهي :

١ ـ أن يكون الجواب جملة اسمية ، مثل : ﴿ مايفتح الله للناس من رحمةٍ فلا ممسك لها ﴾ (فاطر : ٢)

٢ ـ أن يكون جملةً طلبية ، كأن تكونَ أمراً مثل : ﴿ فإن حاجوكَ فقل أسلمتُ وجهيَ لله ﴾ (آل عمران : ٢٠) أو نهياً مثل : ﴿ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ (الكهف : ٧٠) أو تكون استفهاماً ، مثل : إن أرحلْ فمن يقيمُ هنا ؟

٣ ـ أن يكون جملة فعلية فعلها جامد ، نحو : ليس ، وعسى ، ونعم ، وبئس ، مثل : ﴿ ومن لايُجبْ داعيَ الله فليس بمعجزٍ في الأرض ﴾ (الأحقاف : ٣٢) ومثل : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي ﴾ (البقرة : ٢٧١)

٤ ـ أن يكون جملة فعلية مصدرة بـ « قد » مثل : ﴿ إن يسرقْ فقد سرق أخ له من قبل ﴾ (يوسف : ٧٧) . ومثل : ﴿ ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتيَ خيراً كثيراً ﴾ (البقرة : ٢٦٩) . وقد تحذف « قد » من ظاهر العبارة مثل : ﴿ إن كان قميصه قُدَّ من قُبُلٍ فصدَقتْ ﴾ (يوسف : ٢٦) . أي : فقد صدقت .

٥ ـ أن تكون جملة الجواب مصدرة بـ « ما » النافية ، مثل : ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ (الشورى : ٤٨) ، وكقول الشاعر :

فمــا تتغيَّــرْ مــن بــلادٍ وأهلهــا　　فمــا غيَّــرَ الأيــامُ ودَّكــمُ عنــدي

٦ ـ أن تكون جملة الجواب مصدرة بـ « لن » مثل : ﴿ إن تدعُهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً ﴾ (الكهف : ٥٧) .

٧ ـ أن تكون مصدرة بأحد حرفي التسويف ، مثل : ﴿ وإن خفتم عَيْلَةً فسوف يغنيكمُ الله من فضله ﴾ (التوبة : ٢٨) .

٨ ـ أن تكون مصدرة بـ « كأنما » أو « ربما » أو « إنما » ، كما ترى في الشواهد التالية : ﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا النَاس جميعاً ﴾ (المائدة : ٣٢) . ﴿ وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾ . (آل عمران : ٢٠) وقال الشاعر « أبو العطاء السندي أو معن بن زائدة » :

فـإن تمـس مهجُـورَ الفِنـاءِ فـربمـا　　أقــام بــه بعــدَ الــوفــودِ وفــودُ

٩ ـ أن تكون جملة الجواب جملة شرطية ، مثل : ﴿ وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو . . . ﴾ (الأنعام : ٣٥)

١٠ ـ على أن جملة الجواب قد تقترن بالفاء في غير هذه الحالات ، فقد تكون الجملة خبريةً صالحة للجواب من دون فاء ، وتقترن بها مع ذلك[١] ، وفي هذه الحال لابد من رفع الفعل المضارع ، كما ترى في الآيات التالية : ﴿ ومن كفر فأمتعُهُ قليلاً ﴾ (البقرة : ١٢٦) . ﴿ ومن عاد فينتقمُ الله منه ﴾ . (المائدة : ٩٥) ﴿ فمن يؤمن بربه فلا يخافُ بخساً ولا رهقاً ﴾ (الجن : ١٤) .

ج ـ وقد يحذف جواب الشرط إذا دل عليه دليل ، كقولك لصديقك : إن استطعت أن تزورني . أو : إن رأيت أن تسافر معي ، أي : فافعل .

(١) يقدر بعض النحويين مبتدأ محذوفاً في مثل هذه الحالات ، ولايقدره آخرون ، انظر مثلاً : شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ . لابن مالك ، ص ٣٥٣ . هذا وقد تحذف الفاء من جملة الجواب مع استيفائها الشروط ، ولا يعدوا أن يكون ذلك ضرورة شعرية .

ويغني عن جواب الشرط شيئان ، فيحذف لدلالة السياق عليه :

آ ـ إذا تقدم على أداة الشرط ما فيه معنى الجواب ، مثل : ستنجح إن درست ، ومنه قول جرير :

سأشكرُ إن رددْت عليَّ ريشي وأنبتَّ القوادمَ في جناحي

ب ـ جواب القسم ، وذلك إذا اجتمع هو والشرط في العبارة ، مثل قول النابغة :

لئن كنتَ قد بُلغْتَ عني وِشايةً لمُبْلِغُكَ الواشي أغش وأكذبُ

فقوله : لمبلغك أغش . جواب القسم ، أغنى عن ذكر جواب الشرط . ومثله قول ابن الزبير لمعاوية في مروان بن الحكم : « ولئن مُلِّكَ أعنة خيلٍ تنقاد له ليركبَنَّ منك طبقاً تخافه » وقوله بعد هلاك أخيه مُصْعَب : « ولئن هلك مصعب ، إن في آلِ الزبير منه خلفاً » . ففي القول الأول أغنى جواب القسم (ليركبن) عن جواب الشرط ، ولهذا لحقته نون التوكيد ، وفي الثاني أتى قوله : إن في آل الزبير منه لخلفاً . جواباً للقسم ، ولهذا لم تقترن جملته بالفاء ، ولو كان جواباً للشرط لوجب الاقتران ، لأنها جملة اسمية ، على أنه جاء في الشعر مايخالف هذا ، من ذلك قول الفرزدق :

لئن بلَّ لي أرضي بلالٌ بدُفْعةٍ من الغيث في يُمْنى يديه انسكابُها
أكُنْ كالذي صابَ الحيا أرضَه التي سقاها وقد كانت جديباً جنابُها

إذ جزم الجواب (أكن). وهذا يعني أنه جعل الجواب للشرط لا للقسم ، ولعله استخدم هذه اللام للتوكيد لا للقسم .

د ـ قد يحذف الشرط والجواب معاً ، مثل : الناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، والتقدير : إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير ، وإن كان عملهم شراً فجزاؤهم شر . ومثل ذلك قول عامر بن الطفيل :

فإنْ سِلْماً بني حربٍ فسلمٌ وإن حرباً فقد شُفيَ الغليلُ

٣ ـ فعلا الشرط والجواب :

لاحظنا في الأمثلة والشواهد السابقة أن جملة الشرط قد يكون فعلها

مضارعاً ، وقد يكون ماضياً ، وكذلك جملة الجواب .

على أن ثمة تركيباً قليلَ الاستعمال في لغة العرب ، وهو أن يكون فعل الشرط مضارعاً مجزوماً لفظاً ، وفعل الجواب ماضياً مجزوماً محلاً ، كقول نهشل بن ضمرة :

ومـدركُ التَّبْـلِ فـي الأعـداءِ يطلبـه   ومايشأ عندَهُمْ من تَبْلِهم منعا[1]

ومثله قول أعشى قيس :

ومـايُـرِدْ مـن جميـعٍ بعـدُ فـرقـه   ومـايُـرِدْ بعـدُ مـن ذي فـرقـةٍ جمعـا

وفي الأحاديث النبوية المروية مايحمل هذه الظاهرة ، كقوله ﷺ : « من يَقُمْ ليلةَ القَدْرِ غُفِرَ له » وقول عائشة : « إن أبا بكر رجل أسيف متى يقم مقامَك رَقَّ » ، وقد كان بعض النحاة قصره على لغة الشعر ، وماجاء في الحديثين السابقين يدل على جوازه في النثر أيضاً .

وتركيب الجملة الشرطية يؤثر في إعرابهما أحياناً ، فالأصل أن تكون الأداة الجازمة عاملة في فعلي الشرط والجواب ، كما مر بنا في الشواهد والأمثلة ، إلا أن هناك لغة قليلة جاء فيها فعل الشرط ماضياً ، ولم يجزم المضارع الذي هو فعل الجواب ، كقول زهير بن أبي سلمى :

وإن أتـــاه خليـــلٌ يـــومَ مَسْغَبَـــةٍ   يقـولُ : لاغـائِـبٌ مـالـي ولا حَـرِمُ

ولكن اللغة الفصيحة الصحيحة هي جزم الجواب في مثل هذا التركيب ، لأن معظم ما نجده من النصوص القديمة يحمل هذه الظاهرة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ مَنْ كان يريدُ حَرْثَ الآخرة نَزِدْ له في حرثه ﴾ (الشورى : ٢٠) وقوله : ﴿ مَن كان يريد الحياةَ الدنيا وزينتها نُوفِّ إليْهِمْ أعمالهم فيها ﴾ (هود : ١٥) ومن لغة الشعر قول الفرزدق :

دست رسولاً بأن القوم إن قَدَروا   عليـك يَشْفـوا صـدوراً ذاتَ تـوغيـرِ

---

(١) التبل : الثأر .

٣ ـ توابع فعلي الشرط والجواب

١ ـ تابع فعل الشرط :

يأتي فعل الشرط أحياناً متبوعاً ، كأن يكون ما بعده توكيداً له ، أو بدلاً منه ، أو معطوفاً عليه ، نقول : إن تَزُرْني تَزُرْني أَزُرْكَ . فالفعل تزرني ، الثاني ، توكيد لفظي لفعل الشرط ، ويجب جزمه ، أما قول الشاعر :

متى تأتِنا تُلْمِمْ بنا في ديارنا   تجدْ حطباً جَزْلاً وناراً تَأَجَّجا

ففيه قوله : تُلْمم ، بدل من فعل الشرط : تأتِنا ، ولهذا جُزِم تابعاً له .

وانظر قول زهير :

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضله   على قومه يُسْتغنَ عنه ويُذْمَمِ

فإنه جزم الفعل : يبخل ، لأنه معطوف على فعل الشرط : يك .

غير أنه يجوز نصب الفعل الواقع بعد الواو والفاء[١] في مثل هذا التركيب ، وذلك بتقدير « أنْ » ، وهذا على قلته وارد في الشعر العربي ، كما في قول الشاعر :

ومن يقتربْ منا ويخضعَ نُؤْوِهِ   ولايَخْشَ ظُلْماً ماأقامَ ولا هَضْما

فالفعل : يخضع ، هنا نصب بأن مضمرة بعد الواو العاطفة ، وبهذا يكون المعطوف مصدراً مؤولاً منه ، ويكون المعطوف عليه مصدراً منتزعاً من فعل الشرط ، وتقديره : ومن يكن منه اقتراب وخضوع نؤوه .

أما العطف بـ : أو ، وثم ، فلا يجوز فيه النصب ، وإنما يصح بعدها الجزم فقط ، كقوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسِبْكم به الله ﴾ (البقرة : ٢٨٥) فقد جزم الفعل : تخفوه ، كما رأيت . وتقول : إن تأتني ثم تسألْني أعطِك[٢] .

---

(١) وزاد بعضهم : أو ، وثم .

(٢) وعلى هذا يكون قول رويشد بن كثير الطائي ضرورة :

إن تذنبوا ثم يأتيني يقينُكم   فما علي بذنب عندكم فوت

لأنه رفع الفعل المعطوف ولم يجزمه .

٢ ـ تابع جواب الشرط :

وكذلك الأمر في تابع الجواب ، فإن كان توكيداً لفظياً ، أو بدلاً ، فليس إلا الجزم كما في قوله تعالى : ﴿ ومن يفعلْ ذلك يلق أثاماً ، يضاعَفْ له العذابُ ﴾ (الفرقان : ٦٨) .

أما إن كان التابع معطوفاً بالواو ، أو الفاء ، ففيه ثلاثة أوجه ، هي : الجزم ، والنصب ، والرفع ، أما الجزم فليس فيه مايحتاج إلى توضيح ، لأنه هو الوجه الذي يوافق مألوف اللغة وأصولها ، كما في قول الحارث بن هشام المخزومي :

وعلمتُ أني إن أقاتِلْ واحداً   أقْتَلْ ولايَضرُرْ عدوي مَشْهدي

فأنت تراه جزم الفعل : يضرر ، لأنه معطوف على جواب الشرط : أقتل .

أما النصب والرفع فأقل منه ، جاء في القرآ الكريم : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسِبْكم به الله ، فيغفرْ لمن يشاء . . . ﴾ (البقرة : ٢٨٥) فنحن نقرأ اليوم : يغفرُ ، بالرفع على الاستئناف ، إلا أن بعض المقرئين قرأ بالنصب على إضمار « أن » ، وقرأ آخرون بالجزم عطفاً على جواب الشرط[1] .

ومما روي مجزوماً ومرفوعاً ومنصوباً قول النابغة الذبياني :

فإن يَهْلِكْ أبو قابوسَ يهلكْ   ربيعُ الناسِ والبلدُ الحَرامُ
ونُمْسِكُ بعده بذُناب عيشٍ   أجَبَّ الظهرِ ليس له سنامُ

وتأمل قوله تعالى : ﴿ إن يشأ يُسْكِنِ الريحَ ، فيَظْلَلْنَ رواكدَ على ظهره ، إن في ذلك لآياتٍ لكل صبارٍ شكور ، أو يُوبِقْهُنَّ بما كسبوا ، ويعفُ عن كثير ، ويعْلَم الذين يجادلون في آياتنا ، ما لهم من محيص ﴾ (الشورى : ٣٣ ـ ٣٥) فقد عطف الفعل : يوبقهن بـ : أو ، على جواب الشرط فجزم ، وعطف : يعفُ ، بالواو ، فجزم أيضاً ، ثم انتصب الفعل : يعلمَ ، بأن مضمرة بعد الواو .

(١) انظر في القراءة البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٣٦٠ .

٤ ـ الجزم بالطلب

قد يفهم معنى الشرط من سياق الكلام ، وإن كان خالياً من أداة الشرط ، ويظهر لك هذا في نوعين من الكلام :

١ ـ طلبي .

٢ ـ مايشبه الطلبي .

أما الأول فما كان أمراً أو نهياً أو حضاً أو استفهاماً أو تمنياً أو عرضاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ أرسله معنا غداً يرتعْ ويلعب ﴾ (يوسف : ١٢) ، فالفعل : يرتع وقع بعد الأمر ، وفي السياق معنى الشرط ، فكأنه قال : إن ترسله معنا غداً يرتع ويلعب . وتقول : لاتؤذِ الناس يحبوك . والمعنى : إلاَّ تؤذِ الناسَ يحبوك . ومن ذلك هذه الجمل : هلا سألته يُجبْكَ . أين بيتُكَ أَزُرْك . ليته عندنا يحدثْنا . ألا تنزلُ عندنا تُصِبْ خيراً .

على أن هذا يكثر مع الأمر خاصة ، وشواهده الفصيحة فوق أن يحاط بها ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ اقتلوا يوسف أوِ اطرحوه أرضاً يَخْلُ لكم وجه أبيكم ﴾ (يوسف : ٩) وقوله : ﴿ قاتلوهم يعذبْهم الله ﴾ (التوبة : ١٤) وقوله : ﴿ فاتبعوني يحبِبْكم الله ﴾ (آل عمران : ٣١) ، وقول الأحنف بن قيس : « يابني تميم تحابوا تجتمعْ كلمتكم ، وتباذلوا تعتدلْ أموالكم » .

وما ورد مع غير الأمر قليل جداً في شواهد اللغة الفصيحة ، كقول عنترة :

هلا سألتِ الخيلَ يابنةَ مالكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي
يُخْبِرْكِ من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم

فقد جزم الفعل (يخبرك) لأنه جواب الطلب ، وهو التحضيض : هلاَ سألت .

ومن ذلك قول الشاعر :

لعل التفاتاً منكَ نحوي مقدَّرٌ ... يملْ بك من بعد القساوةِ للرُحْمِ .

وقد يحذف فعل الطلب ، ويبقى أثره في الكلام معنىً وإعراباً ، كما في الحديث النبوي : « القصدَ القصدَ تبلغوا » . أي : الزموا القصد تبلغوا .

وواضح من هذه الشواهد أن معنى الشرط يجب أن يكون ظاهراً في العبارة ، وإلا فإن الجزم غير واقع ، تقول مثلاً : قل شعراً تصفُ به المعركة . فأنت هنا لاتشترط ، إذ ليس قول الشعر شرطاً لوصف المعركة ، ولذلك رفع الفعل المضارع : تصفُ .

أما الكلام الذي يشبه الطلبي فهو الذي يكون في ظاهره خبراً لا إنشاء ، ولكن معناه معنى الإنشاء ، كقولهم : « اتقى الله امرؤٌ ، وفعل خيراً ، يثَبْ عليه » فالفعل : اتقى ، في ظاهره خبري ، أما معناه فإنشائي ، فكأنه قال : ليتقِ الله امرؤٌ ، وَليفعلْ خيراً يثب عليه .

تنبيهات :

الأول : قد يجزم الفعل المضارع لأن فيه معنى الأمر ، كما ترى قوله تعالى : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله ﴾ (الجاثية : ١٤) ، فالفعل : يغفروا ، ليس جواباً للطلب ، لأن الكلام يخلو من معنى الشرط ، ولأن (يغفروا) مقول القول ، فكأنه قال : ليغفروا . ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة ﴾ (إبراهيم : ٣١) ، والمعنى : ليقيموا الصلاة . ومن ذلك أيضاً قول امرىء القيس :

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فقوله : نبك ، ليس جواباً للطلب ، لأن البكاء ليس متوقفاً على الوقوف ، ولكن المعنى : لنبك[1] .

الثاني : ورد في بعض النصوص أفعال مضارعة مجزومة بـ : إذا ، الظرفية الشرطية ، ولكن ذلك قليل لايعدو الشواهد النادرة ، ومن أجل ذلك لايعتد بها ولا تبنى عليها قاعدة مّا ، من ذلك قول النمر بن تولب :

وإذا تُصِبْك خصاصة فارجُ الغنى   وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارغبِ

(١) قدر بعض النحاة في هذا لام الأمر ، وجعله آخرون مجزوماً بالطلب .

وقول أرطاة بن سُهيّة :

إذا لم تجدْهُ تَنْصَرِفْ لطِياتها من الأرض أو تأتي بألْفَ فتَرْتَعي

ففي البيت الأول جزم فعل الشرط صراحة ، وفي الثاني جزم جواب الشرط ، ولكن الشاعر عاد فعطف عليه بالرفع : أو تأتي .

الثالث : قد تسبق (إن) الشرطية بواو ، كقول أشجع السلمي :

وما أنا من رُزْءٍ ، وإن جل ، جازعٌ ولا بسرور بعد موتك فارح

ويعرب النحاة الواو في مثل هذا البيت معترضة ، و « إن » شرطية ، ويعربها بعضهم عاطفة ، ويقدرون كلاماً معطوفاً عليه ، مثل : ما أنا جازع من رزءٍ إن لم يجلَّ وإن جَلَّ .

أما البلاغيون فيزعمون أن الواو حالية ، وإن : وصلية زائدة ، وقد أخذ برأيهم هذا بعض المعاصرين . والصحيح ما ذهب إليه النحاة من حيث الصنعة النحوية ، إذ لاتكون « إن » زائدة في مثل هذا الموضع ، كما أنها هنا ذات معنى واضح ، والزائد لامعنى له غير التوكيد .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكمُ الفتح ، وإن تنتهوا فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد ﴾ (الأنفال : ٤١٩) .

٢ ـ ﴿ وما تفعلوا من خير فلن تكفروه ﴾ (الأنفال : ١٩) .

٣ ـ ﴿ وإمّا ينزَغنَّك من الشيطانِ نزغٌ فاستعذ بالله ﴾ (فصلت : ٣٦) .

٤ ـ ﴿ ومَنْ يعصِ الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

٥ ـ ﴿ لئن أخرجوا لايخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولُّنَّ الأدبار ثم لاينصرون ﴾ (الحشر : ١٢) .

٦ ـ ﴿ فليضحكوا قليلاً ، وليبكوا كثيراً ، جزاءً بما كانوا يكسبون ﴾ (التوبة : ٨٢) .

٧ ـ ﴿ إلا تغفرْ لي وترحمْني أكُنْ من الخاسرين ﴾ (هود : ٤٧) .

٨ ـ قيل : « استغنِ عمن شئتَ تكُنْ نظيره ، واحتَجْ إلى من شئتَ تكن أسيره ، وامنُنْ على من شئت تكن أميره » .

٩ ـ قال لبيد بن ربيعة :

فأصبحتَ أنَّى تأتِها تلتبِسْ بها　　كِلا مركبيها تحت رجلَك شاجرُ

١٠ ـ وقال جرير :

إما ثويت مقيماً فوق رابيةٍ　　فقد مضَتْ لك أيامٌ لها غُرَرُ

١١ ـ وقال العباس بن مرداس :

إذ ما أتيت على الرسولِ فقل له　　حقاً عليكَ إذا اطمأَنَّ المجلِسُ

١٢ ـ وقال آخر :

ومن يسكنِ البحرينِ يَعْظُم طِحالُهُ　　ويغْبَطَ ما في بطنه وهو جائعُ



نصب الفعل المضارع

ينصب الفعل المضارع لفظاً أو تقديراً بواحدة من أدوات أربع ، هي أن ، وكي ، ولن ، وإذن . نحو : لن يذهب الحر ، وأميل إلى أن تغادري المدينة ، ويجب أن نبذل ما نستطيع كي يبقى العلم في مأمن من الابتذال . فعلامة النصب في : يذهب ، ظاهرة ، وهي الفتحة ، والعلامة في : تغادري ، حذف النون ، أما في الفعل : يبقى ، فعلامة النصب مقدرة على الألف ، لأنها يتعذر ظهورها نطقاً .

١ ـ الكلام على أدوات النصب

١ ـ أن :

هي أهم الأدوات الناصبة[(١)] ، وتبدو أهميتها في قدرتها على نصب المضارع ظاهرة ومضمرة ولذلك يسميها النحاة أم الباب .

وهي حرف مصدري يسبك منه ومن الفعل بعده مصدر ذو محل إعرابي ، قد يكون رفعاً ، مثل : ﴿ ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم لذكر الله ﴾ (الحديد : ١٦) فالمصدر هنا فاعل والتقدير : ألم يأنِ لهم خشوعُ قلوبهم . ومثله قول العرب : « أن تسمعَ بالمُعَيْدي خير من أن تراه » أي سماعك ، فهو هنا مبتدأ ، وقد يكون المحل نصباً ، كقوله تعالى : ﴿ نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ (المائدة : ٥٢) أي نخشى إصابة دائرة إيانا . وقد يكون جراً ، مثل : أميل إلى أن أذهب . أي : إلى الذهاب .

(١) يزعم النحاة أنها قد تجزم المضارع ويحتجون بقول امرىء القيس :

إذا ما غدونا قال ولدان أهلنا ... تعالوا إلى أن يأتينا الصيد نحطب

ونقلوا ذلك عن بني صباح من ضبة ، وزعم آخرون أنه قد يرفع المضارع بعدها واحتجوا بقراءة ابن محيصن « لمن أراد أن يتمُّ الرضاعة » (البقرة : ٢٣٣) .

وتدل (أن) على المستقبل ، ولذلك تشير إلى أن الفعل بعدها لم يثبت ، ولم يقع ، وعلى هذا لاتجدها مسبوقة بأفعال تدل على اليقين ، لئلا يتناقض القول ، وأكثر ما تقع بعد أفعال تدل على الرجاء ، والخوف ، والرغبة ، وماشابهها ، كما مر في الأمثلة المتقدمة ، وقد تقع ـ وهذا قليل ـ بعد أفعال الظن والرجحان حين ترجع إلى معاني الخوف والرجاء ، كقوله تعالى : ﴿ أحسبَ الناس أن يتركوا ﴾ (العنكبوت : ٢) ، وقوله : ﴿ تَظُنُّ أن يُفْعَلَ بها فاقرة ﴾ (القيامة : ٢٥) ، وقوله : ﴿ وحسبوا ألا تكونَ فتنة ﴾ (المائدة : ٧١) .

وقد تقع في أول الكلام غير مسبوقة بشيء ، كالمثل المشهور : أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . ومثله قوله تعالى : ﴿ وأن تصوموا خيرٌ لكم ﴾ (البقرة : ١٨٤) وقوله : ﴿ وأن تعفوا أقربُ للتقوى ﴾ (البقرة : ٢٣٧) .

٢ ـ كي :

وهذا حرف مصدري أيضاً ، ينصب الفعل المضارع ، ويخلصه للمستقبل ، ولكنه في بعض الأحيان يقع في تراكيب شعرية لايعرب فيها إلا حرف جر ، كاللام ، وذلك إذا ذكرت بعده « أن » الناصبة ، كقول جميل بثينة أو حسان :

فقالت : أكلَّ الناس أصبحتَ مانحاً لسانك كيما أن تغرَّ وتخدعا

أو ذكرت بعده اللام التي للتعليل ، كقول ابن قيس الرقيات :

كيْ لتقضيَني رُقَيَّةُ ما وعدتْني غيرَ مختلس

وحين تكون حرف نصب ـ وهو الكثير الشائع ـ يكون المصدر المؤول منها ومن الفعل بعدها في محل جر باللام ، ظاهرة أو مقدرة ، مثل : جئت لكي أراك . والتقدير : جئت لرؤيتك . وكذلك يكون التقدير إذا قلت : جئت كي أراك .

٣ ـ لن :

هي حرف نفي ونصب واستقبال ، وقد مر بنا الحديث عنها في أزمنة

الفعل ، ومن شواهدها ﴿ فلن أكلم اليومَ إنسياً ﴾ (مريم : ٢٦) ، و﴿ لن يتمنوه أبداً ﴾ (البقرة : ٩٥)[1] .

٤ ـ إذن :

هي حرف جواب وجزاء واستقبال ، ولكنها ليست أصيلة في نصب المضارع ، لأنها حرف غير مختص ، إذ تدخل على الجملة الأسمية ، وعلى الجملة الفعلية ، ومن أجل ذلك لاتقوى على نصب المضارع إلا بشروط ثلاثة :

١ ـ أن تكون في صدر الجملة ، وهذا يعني أنها لاتسبق بمبتدأ يطلب ما بعدها خبراً له ، أو بأداة شرط ، أو بقسم ، يطلب ما بعدها جواباً له ، وهكذا ، ولايعني أنها يجب أن تقع في بداية كلام جديد غير مسبوق بشيء ، وهذا يوضحه لك مايلي من أمثلة :

١ ـ سأزورك . إذن أفرحَ بلقائِك .

فالكلام هنا محاورة بين اثنين ، قال الأول : سأزورك ، فأجابه الثاني : إذن أفرحَ بلقائك . وبهذا وقعت « إذن » في صدر الجملة ، ولم تسبق بشيء يطلب مابعدها جُزْءاً منه .

٢ ـ لئن عدت إلي إذاً لاأستاءُ من عودتك .

« إذن » هنا لم تعمل ، لأنها سبقت بقسم : « لئن عدت » وهو يطلب مابعدها جواباً له ، ومن أجل ذلك رفع المضارع ولم ينصب .

٣ ـ إن تتخلَّ عن العمل ، فأنت إذاً لا تشعرُ بالتبعة .

وكذلك لم تعمل هنا ، لأنها سبقت بمبتدأ ، وما بعدها خبره .

٢ ـ والشرط الثاني لعمل إذن هوأن يكون الفعل بعدها للمستقبل ، وهذا واضح في الأمثلة السابقة .

---

(١) وقد جزم بها بعض الشعراء مضطرين كقول كثير عزة :

أيـادي سبـا يـا عـزَّ مـا كنـتُ عنـدكـم ... فلـن يَحْـلَ للعينيـن بعـدكِ منظـرُ

٣ ـ أما الشرط الثالث فهو ألا يَفْصِلَ بينها وبين الفعل المضارع إلا مايلي :
ـ القسم : مثل : إذاً والله أفرحَ بلقائك .
ـ النداء : مثل : إذاً ياخالدُ أفرحَ بلقائك .
ـ لا : مثل : إذن لاأخرج من البيت[1] .

٢ ـ نصب المضارع بـ « أن » مضمرة

قلنا إن « أنْ » أم أدوات النصب ، وتفوقهن بأنها تنصب المضارع ظاهرة ومضمرة ، وقد استوفينا الحديث عنها فيما سبق ، والكلام هنا على الأدوات التي تضمر بعدها (أن) ، وتنصب المضارع ، غير أن إضمارها جائز مرة ، وواجب مرة أخرى .

آ ـ نصبه بـ « أن » مضمرة جوازاً :

١ ـ بعد لام التعليل :

وتسمى أحياناً لام (كي) ، ولام العاقبة ، كقولك : دخلت الحانوت لأشتري مايلزمني . فاللام هنا لام التعليل أو لام كي ، لأنها تعلل الحدث الذي سبقها ، وقد أضمرت بعدها (أنْ) جوازاً ، ولنا أن نظهرها إذا شئنا . كما تجد في قوله تعالى : ﴿ وأمِرْتُ لأنْ أكونَ أولَ المسلمين ﴾ (الزمر : ١٢) ، إلا أن هذا نادر جداً ، حتى إن بعض النحويين ظن أنه لم يأتِ في القرآن[2] ، هذا إذا كان الفعل غيرَ مقرونٍ بـ « لا » النافية أو الزائدة ، أما إذا قرن بها فمن الواجب إظهار « أن) لدواعٍ صوتية ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ لئلا يكونَ للناس عليكم حُجَّة ﴾ (البقرة : ١٥٠) ، وفي قوله : ﴿ لئلا يعلم أهلُ الكتابِ ﴾ (الحديد : ٢٩) فـ « لا » في الآية الأولى نافية ، وهي في الثانية زائدة .

---

(١) وزاد أحدهم جواز الفصل بشبه الجملة ، أي بالظرف ، والجار والمجرور .
(٢) هو ابن يعيش ، انظر شرح المفصل ٢٨/٧ .

أما قوله تعالى ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ (القصص : ٨) فاللام فيه ليست للتعليل ، لأن آل فرعون لم يلتقطوه من أجل أن يكون لهم عدواً ، ولكنه صار كذلك بعد التقاطهم إياه ونتيجة له ، وهذه تسمى لام العاقبة ، ومثلها قولك : دخل البيت ليرى ثعباناً هائلاً ، أي : رأى الثعبان بعد دخوله البيت .

ولام التعليل ، أو العاقبة ، حرف جر ، ومجروره هو المصدر المؤول الذي يسبك من (أن) والفعل الذي بعدها ، ويتعلق الجار والمجرور بالفعل الذي يعلله ، نحو : جئت لأراكَ . فاللام حرف جر وتعليل ، والمصدر المؤول في محل جر باللام ، يتعلق بالفعل : جئت وجملة « أراك » صلة موصول حرفي لامحل لها من الإعراب .

وهناك لام من نوع آخر تدخل على المضارع فيُنْصَب ، وتقع غالباً بعد أفعال الإرادة ، كقوله تعالى : ﴿ يريدُ الله ليبيّنَ لكم ﴾ . (النساء : ٢٦)
وكقول كثيّر عزة :

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنما تَمَثَّلُ لي ليلى بكل سبيلِ

وقد تقع بعد أفعال الأمر ، كقوله : ﴿ وأُمِرنا لنسلمَ لرب العالمين ﴾ (الأنعام : ٧١) .

فاختلف النحاة في توجيهها ، فذهب بعضهم إلى أنها لام التعليل نفسها ، وقدّر مفعولاً به لفعل الإرادة أو لفعل الأمر ، أي : حصلت الإرادة أو وقع الأمر للتبيين أو للنسيان أو للإسلام . ويرى آخرون أنها لام التعليل ولكنها وقعت موقع « أَنْ » في الفعلين : أردتُ وأمرت . وعلى هذا المذهب يكون المصدر المؤول من اللام ومايليها هو المفعول بهِ لفعل الإرادة ، أي : يريدُ الله التبيين لكم . وأريد نسيان ذكرها . ويكون المصدر بعد فعل الأمر مجروراً بحرف جر مقدر أو منصوباً بنزع الخافض ، مثل : وأمرنا بالإسلامِ . أو : أمرنا الإسلامَ[1] .

ويذهب ابن مالك إلى أن هذه اللام زائدة[2] .

(١) انظر : الفراء . معاني القرآن : ١/ ٢٦١ ـ ٢٦٧ .
(٢) انظركتابه : شرح عمدة الحافظ ص ٣٣٤ . وانظر : التفسير الكبير : ١٠/ ٦٦ .

٢ ـ بعد أحرف العطف :

وهي الواو والفاء وثم وأو ، وذلك إذا وقع الفعل المضارع بعدها ، وكان العطف على اسم جامدٍ غير مشتق ، وغالباً مايكون مصدراً صريحاً ، وقد يكون غير ذلك ، كقول ميسون :

ولُبْسُ عباءةٍ وتَقَرَّ عيني　　أحَبُّ إليَّ من لُبْسِ الشفوفِ

فالفعل : تقر ، وقع بعد حرف العطف ، وهوالواو ، والعطف على اسم جامد هو المصدر : لبس . ولذلك انتصب بأن مضمرة جوازاً ، أما المعطوف فهو المصدر المؤول منها ومن الفعل ، والتقدير : ولبس عباءة وقُرةُ عيني أحب إلي . . .

ومثله قول أنس بن مُدْركة الخَثعمي :

إني وقتلي سُلَيْكاً ثم أعْقِلَهُ　　كالثورِ يُضْرَبُ لمّا عافَتِ البَقَرُ

فكأنه قال : قتلي سليكاً ثم عقلي إياه . ومثله أيضاً قول الشاعر :

لولا تَوَقُّعُ معترٌ فأرْضِيَهُ　　ماكنتُ أوثرُ إترابا على تَرَبِ[1]

أي لولا توقع معتر فإرضاؤه . ومنه قوله تعالى : ﴿ وماكان لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ، أو يرسلَ رسولاً ﴾ (الشورى : ٥١) ، فالفعل : يرسل ، منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد (أو) لأن المصدر المؤول بعدها معطوف على المصدر الصريح : وحياً .

في هذه الشواهد كان المعطوف عليه اسماً جامداً ، هو المصدر الصريح ، وفي بعض الأحيان نجد المعطوف عليه غير مصدر ، كما ترى في قول الشاعر :

ولولا رجالٌ من رزامٍ أعزَّةٌ　　وآلُ سبيعٍ ، أو أسوءَكَ عَلْقما

فالفعل : أسوءك ، منصوب بأن مضمرة ، والمعطوف عليه هو : رجال ، والتقدير : ولولا رجال والإساءة إليك ، لفعلت كذا وكذا .

والاستتار هنا جائز ـ كما قلنا ـ لا واجب ، فقد ظهرت (أن) في بعض

---

(١) المعتر : الفقير الذي يطلب المعروف . والإتراب : مصدر للفعل : أترب ، أي استغنى ، والترب : العوز والفقر .

النصوص ، على غرار ماتجد في قول أبي ذؤيب :

وقال ماشيهُمُ سِيَّانِ سيْرُكُمُ وأن تقيموا به واغبَرَّتِ السوحُ

وفي قول جرير :

أباهلَ ما أحببتُ قتلَ ابنِ مسلم ولا أن تَروعوا قومكمْ بالمظالمِ

ب ـ نصبه بـ (أن) مضمرة وجوباً :

تضمر (أن) وجوباً بعد خمسة أحرف ، اثنان منها جاران ، هما : لام الجحود ، وحتى ، وثلاثة عاطفة ، هي : فاء السببية ، وواو المعية ، وأو .

١ ـ بعد لام الجحود :

هي حرف جر ، مجروره المصدر المؤول الذي يسبك من (أن) المضمرة وجوباً والفعل بعدها ، ويسبق بفعل كون منفي بـ : « ما » ، أو « لم » ، مثل : ماكنت لأكذِبَ ، ولم يكن سعيد ليخون . والجار والمجرور يعلقان بخبر الفعل الناقص ، والجملة صلة موصول حرفي ، كما مر بنا في لام التعليل[١] .

٢ ـ حتى :

و« حتى » في هذا الموضع حرف جر ، ومجرورها المصدر المؤول ، وتتعلق بالفعل الذي تكون غاية له ، ولها هنا أحد معان ثلاثة :

ـ **إلى أن** : نحو قوله تعالى : ﴿ لن نبرح عليه عاكفين ، حتى يرجع إلينا موسى ﴾ (طه : ٩١) وقول تأبط شراً :

سَدِّدْ خِلالَك من مالٍ تُجمِّعُهُ حتى يُلاقي الذي كلُّ امرئٍ لاقي

ـ **إلا أَنْ** : كما ترى في قوله تعالى : ﴿ ومايعلّمان من أحدٍ حتى يقولا : إنما نحن فتنة ﴾ (البقرة : ١٠٢) أي : إلا أن يقولا . وفي قول المقنع الكندي :

---

(١) قد يحذف فعل الكون للضرورة الشعرية ، لدلالة السياق عليه كقول عمرو بن معد يكرب :

فما جَمْعٌ ليغلبَ جمعَ قومي مقاومةً ، ولا فردٌ لفردِ

والتقدير : ما كان جمعٌ ليغلبَ .

ليس العطاء من الفضول سماحةً حتى تجودَ وما لديك قليل

أي : إلا أن تجود ، ومثله قول سوار بن المضرب :

فإن كان لايرضيك حتى تردني إلى قطريّ لا أخالُكَ راضيا

أي : إلا أن تردني .

ـ **التعليل** : نحو قوله تعالى : ﴿ لايزالونَ يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ﴾ (البقرة : ٢١٧) ، أي : ليردوكم .

ويشترط في الفعل المضارع بعدها أن يكون للمستقبل ، كما هو واضح في الأمثلة المتقدمة ، وإذا فقد هذه الدلالة رفع ولم ينصب ، نحو قول حسان بن ثابت :

يُغْشَوْنَ حتى ماتَهِرُّ كلابُهم لايسألون عن السوادِ المقبلِ

فالفعل : تهر ، إنما يعبر عن عادة ألفها كلاب هؤلاء الكرماء ، وليس حدثاً طارئاً سيقع في المستقبل ، ولهذا رفع ، ولم تنصبه (أن) مضمرةً وجوباً . ومثله قول ذي الرمة :

لمن طلل عافٍ بوهبينَ راوحتْ به الهُوجُ حتى ماتبينُ دواثِرُهُ

فقوله : تبين ، لم ينصب بأن مضمرة ، لأن الطللَ الذي راوحته هوج الرياح بدا للشاعر في زمن التكلم خافيةً دواثره ، وإذاً ، فالفعل المضارع « تبين » لايدل على المستقبل ، بل على الحال ، ولهذا كانت « حتى » حرف ابتداء ، وليست حرف جر .

على أنه قد يكون الفعل دالاً على المستقبل إذا قُرِنَ إلى حدث مذكور ، لا إلى زمن التكلم ، كما في قوله تعالى : ﴿ مسّتهم البأساء والضراء وزُلْزِلوا حتى يقولَ الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله . . . ﴾ (البقرة : ٢١٤) . فالفعل : يقول ، وقع بعد حصول البأساء والضراء والزلزلة ، ولكنه لم يقع بعد زمن التكلم ، أو في زمنه . وفي هذه الحال يجوز رفع المضارع ، ونصبه .

٣ ـ بعد فاء السببية :

فاء السببية حرف عطف ، تعطف المصدر المؤول الذي يسبك من (أنْ) المضمرة والفعل بعدها ، على مصدر منتزع من الفعل الذي قبلها ، نحو :

﴿ ولا تَطْغَوْا فيه فَيَحُلَّ عليكم غضبي ﴾ (طه : ٨١) ، وتقدير الكلام : لايكن منكم طغيانٌ فحلَّ غضبٍ مني . ومثل ذلك قوله : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعِفَهُ له ﴾ (الحديد : ١١) .

وفاء السببية تدخل على جواب الطلب الذي تحدثنا عنه في الجوازم ، فتنصبه ، ولو حذفت لجزم الفعل ، لاحظ الأمثلة الآتية :

ـ لاتتكاسلْ فتنجحَ ـ لا تتكاسلْ تنجحْ ـ إلا تتكاسلْ تنجحْ .

ـ ليته هنا فيحدثَنا ـ ليته هنا يحدثْنا ـ إن يكن هنا يحدثْنا .

ـ هل تدرس فتنجحَ ـ هل تدرسُ تنجحْ ـ إن تدرسْ تنجحْ .

وهكذا بقية أنواع الطلب ، كالأمر والحض والعرض ، إلى جانب مامثلنا به من ضروب الطلب الأخرى ، كالنهي والتمني والاستفهام .

ويزيد هنا النفي مع الجملة الخبرية ، كقول الفرزدق :

مـاأنـت مـن قيـسٍ فتنبـحَ دونَهـا ولا من تميم في الرؤوس الأعاظم

وكقوله تعالى : ﴿ لايُقْضى عليهم فيموتوا . . . ﴾ (فاطر : ٣٦) .

وإذا خلا الكلام من معنى الشرط والطلب ـ كما وضحنا ـ كانت الفاء استئنافية[1] ، والمضارع بعدها مرفوعاً على الاستئناف ، كقول جميل بثنية :

أَلَـم تسـألِ الـربـعَ القـواءَ فينطـقُ وهل تخبرنْكَ اليومَ بيداءُ سَمْلَقُ[2]

فالفعل : ينطق ، هنا مرفوع ، لأن الشاعر لايجعل نطق الربع متوقفاً على السؤال ، ولانستطيع أن نجعل العبارة شرطاً وجواباً ، أو طلباً وجواب طلب ، أي لايمكن أن نصوغ الجملة على الشكل الآتي :

إن تسأله ينطقْ . اسألْه ينطقْ .

ولو فعلنا هذا لخرجنا بالكلام عن المعنى الذي يريده الشاعر ، فهو يحث نفسه على سؤال الربع ، ولكنه صاغ الكلام بجملة استفهامية ، ثم أخبر نفسه بأن الربع ممانيطق ويتكلم ، ففي بقاياه مايوحي بالحديث الذي تريد .

وعلى هذا قرئت الآية : ﴿ ياليتني كنت معهم فأفوزُ فوزاً عظيما ﴾

(١) وقد تكون عاطفة كما سنرى بعد قليل في الآية : ﴿ ليتني كنت معهم . . . ﴾ .

(٢) السملق : الأرض التي لاتنبت شيئاً ، أو المستوية الخالية .

(النساء : ٧٣) بنصب الفعل : أفوز ، ورفعه ، ولكلٍ معنى مختلف ، أما قراءة الرفع فتجعل الفوز معطوفاً على (الكون) معهم ، فكأنه قال : ياليتني كنت معهم ، وياليتني أفوز فوزاً عظيماً . أما قراءة النصب فإنها تجعل الفوز متوقفاً على كون المتكلم معهم ، ويمكن أن تصاغ على الشكل الشرطي الآتي : إن أكن معهم أفُزْ .

٤ ـ بعد واو المعية :

وهذه أيضاً حرف عطف ، كفاء السببية ، ويشترط فيها ما اشترط في مثيلتها من تقدم جملة طلبية أو منفية عليها ، ولكنها تختلف عنها من حيث المعنى ، فإذا قلت : لاتدرسْ وتستمعَ إلى المذياع . فأنت لا تطلب من المخاطب هنا أن يكف عن الدرس ، أو أن يكف عن الاستماع ، وإنما تطلب منه ألآ يقوم بالعملين في وقت واحد ، وكذلك لو قلت : لاتأكلِ السمك وتشربَ اللبنَ . فأنت لاتنهاه عن أكل السمك ولا عن شرب اللبن ، ولكنك تنهاه عن الجمع بينهما في وقت واحد ، ومثل هذا قول الأخطل :

لاتَنْـهَ عـن خلـقٍ وتـأتـيَ مثلـه ... عـار عليـك إذا فعلـتَ عظيـم

٥ ـ بعد أو :

هي حرف عطف كأختيها السابقتين ، وهي مثلهما تعطف المصدر المؤول على مصدر منتزع من الفعل السابق ، أما معناها فقد يكون (إلى أن) ، أو : حتى ، كقول الشاعر :

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أدركَ المُنى ... فمـا انقـادتِ الآمـالُ إلا لصـابـرِ

وقد يكون : إلا أن ، كقول يزيد بن الخذاق :

لـن تجمعـوا ودي ومَعْتَبَتـي ... أو يُجْمَـعَ السيفـانِ فـي غِمْـدِ

وقول زياد الأعجم :

وكنـتُ إذا غمـزتُ قنـاةَ قـومٍ ... كسـرتُ كعـوبَهـا أو تستقيمـا[1]

---

(١) كذا روى النحويون البيت ، بنصب : تستقيم ، وهو من قصيدة مضمومة الروي ، يكثر فيها الإقواء ، انظر شرح أبيات المغني للبغدادي ٢/ ٧١ .

وقد اجتمع المعنيان في قول ذَريح لابنه قيس[1] : « والله لأَريمُ هذا الموضعَ أو أموت أو تخليتها » . فالأولى بمعنى : حتى . والثانية بمعنى : إلا أن .

٣ ـ إضمار « أن » في غير هذه المواضع

قد تضمر (أن) من غير أن تكون مسبوقة بحرف عطف ، أو حرف جر ، وفي هذه الحال يرفع الفعل المضارع ، كما في الأمثلة الآتية :

مره أن يحفرَ البئر . مره يحفرُ البئرَ .

خذه قبل أن يأخذك . خذه قبل يأخذُك .

أن تسمعَ بالمعيدي خير من أن تراه ، تسمعُ بالمعيدي خير من أن تراه .

ومن الفصيح الذي يؤيد هذا ماجاء في قول طرفة بن العبد :

ألا أيهذا اللائمي أحضُرُ الوغي وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنت مُخْلِدي

برفع : أحضر ، لسقوط (أن) قبلها . ووجهت الآية القرآنية الآتية مثل هذا التوجيه : ﴿ قل أفغيرَ الله تأمرونّي أعبدُ أيها الجاهلون ﴾ (الزمر : ٦٤) . أي : تأمروني بأن أعبدَ . ثم حذفت : أن ، فرفع الفعل بعدها . ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾ (الروم : ٢٤) .

على أنه روي بيت طرفة بنصب : أحضرِ ، وكذلك روي المثل العربي بنصب : تسمع ، بَيْدَ أن الرواية الصحيحة الثابتة هي الرفع .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ هُم الذين يقولون لا تُنْفِقوا على من عند رسولِ الله حتى ينفضوا ﴾ (المنافقون : ٧) .

---

(١) انظر : كتاب الأغاني ٩/ ٨١ . (دار الكتب المصرية) .

٢ ـ « استووا ولاتختلفوا فتختلفَ قلوبكم » (حديث نبوي) .

٣ ـ قال عمرو بن شأس :

ألـم يـأتِهـا أنـي صحـوتُ وأننـي | تحلَّمـتُ حتى ما أعـارمُ من عَـرَمْ

٤ ـ قال امرؤ القيس :

سـريـتُ بهـم حتـى تكِـلَّ مطيُّهـم | وحتـى الجيـادُ مـايُقَـدْن بـأرسـانِ

٥ ـ قال النابغة الذبياني :

أتـاك بقـولٍ لـم أكـن لأقـولـه | ولو كُبلْت في ساعديَّ المجامعُ

٦ ـ قال الأبيرد اليربوعي :

فتىً لايَعُـدُّ الـرِسْـلَ يقضـي ذِمـامَـهُ | إذا نـزلَ الأضيـافُ أو تُنْحَـرَ الجُـزْرُ

٧ ـ قال قَتادة بن مسلمة الحنفي :

فلئـــن بقيـــتُ لأرحلَـــنَّ بغـــزوةٍ | نحـو الغنـائـمِ أو يَمـوتَ كـريـمُ

٨ ـ قال أبو ذؤيب الهذلي :

وقـــال : تعلَّمـــوا أَنْ لاصـــريـــخٌ | فـــأسمعَـــهُ ولا منجـــىً قـــريـــبُ

☆ ☆ ☆

فعلا التعجب

التعجب هو أن يظهر المتكلم استعظامه لشيء فتن به وأعجبه ، ولا يعبّر عنه بكلماتٍ لغوية فقط ، بل يرفقها بحركاته ، وتقاطيعه ، ونظراته ، وانخفاض صوته أو ارتفاعه ، وطريقة نبره للحروف حتى يفهم السامع ، وينقل إليه مايحسُّ به من استعظام(1) .

وعلى هذ كانت عباراته كثيرة ومتنوعة ، فأحياناً تنتقل الصيغة الاستفهامية إلى التعجب بلهجة المتكلم ، من ذلك قول الأعشى :

بانت لتحزُننا عفاره ياجارتا ، ماأنت جارَه !

ومثله قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ (البقرة : ٢٨) . وأحياناً أخرى تنتقل الجملة الإخبارية إلى التعجب ، كقول العرب : لله دَرُّه ! ولله أنت !

إلا أن العربية تحوي صيغتين قياسيتين تستعملان في التعجب ، إلى جانب ماذكرناه من عبارات سماعية ، دلَّ على معنى التعجب فيها السياق ، وهما :

١ ـ ما أفعله ، مثل : ما أعظمَ البحرَ ، وما أجمله .

٢ ـ أفعل به ، مثل : أعظِمْ بالبحر واجمِلْ به .

١ ـ شروط صياغتهما

ويصاغ هذان الفعلان من الأفعال على أن تجتمع فيها الشروط التالية :

١ ـ **أن تكون ثلاثية** : فمن الفعل « كَرُم » تقول : ما أكرمَ فلاناً ، أو أكرمْ به . ومن عَظُمَ : ما أعظمه ، أو أعظم به . أما الفعل : دحرج ، فلا يصاغ منه

(1) لم يُعْنَ النحاة العرب القدماء بما يرافق الكلام من حركات الجسد التعبيرية ، ومن تغيير الصوت انخفاضاً وارتفاعاً .

فعلا التعجب ، لأنه ليس بثلاثي . ويستوي هنا الرباعي المجرد ، والثلاثي المزيد فيه ، فلا يصاغ التعجب من : اقشعرّ ، وانطلق ، واستنفر ، و . . .

٢ ـ **أن تكون متصرفة** : كالفعل : كَرُم ، فهو في المضارع : يكرم ، وفي الأمر : أكرُمْ ، ومثله : عظم يعظم أعظم ، أما الفعل : ليس ، فلا يأتي منه التعجب ، لأنه جامد لايأتي منه المضارع والأمر ، ومثله : نِعْمَ ، وبِئسَ ، وعَسى .

٣ ـ **أن تكون تامة** : أي ليست من الأفعال الناقصة ، فلا يصاغ فعلا التعجب من : كان ، وأصبح ، وظل ، وكاد ، وأوشك ، و . . .

٤ ـ **أن تكون مثبتة** : فلا يبنيان من الأفعال المنفية ، مثل : ماكرم فلان . لأن النفي لايبين في الصيغتين التعجبيتين ، إذا صيغتا من الفعل صياغة مباشرة .

٥ ـ **أن تكون مبنية للمعلوم** : فالأفعال : ضُرب ، تُوفي ، عُلِم ، مبنية للمجهول ، ولذلك لايصاغ منها فعلا التعجب .

٦ ـ **أن تكون معانيها قابلة للتفاوت** : فالفعل « مات » لاتفاوت فيه ، ومثله « فني » ، فلا يصاغ منهما فعلا التعجب . أما الفعل : كرم ، فقابل للتفاوت ، فهناك كريم ، ومن هو أكرم منه ، ومثله : عظم ، وحَسُنَ ، وعلم ، و . . .

٧ ـ **ألا تكون الصفة منها على وزن أفْعَل** : فلا تجوز صياغتها من الفعل « عرج » لأننا إذا أردنا أن نصف إنساناً بالعرج قلنا : أعرج ، ومثله : عمي ، لأن الوصف منه : أعمى ، وحَوِر ، لأن الوصف : أحور . أما الفعل : كَرُمَ ، فالصفة منه : كريم ، ليست على وزن أفعل ، ولذلك جاز أن نقول : ما أكرمَه، وأكرم به، ولم يجز أن نقول : ماأعماه وأعمِ به، وما أعرجه وأعرج به.

٢ ـ التعجب مما خالف الشروط

على أن اللغة العربية تستعمل للتوصل إلى التعجب مما خالف الشروط

أسلوباً آخر يؤدي المعنى المطلوب ، وذلك كما يلي :

١ ـ إذا كان الفعل غير ثلاثي ، أو كان الوصف منه على وزن « أفعل » نأتي بمصدره ، وننصبه بعد صيغة تعجب نصوغها من فعل تمت له الشروط ، وغالباً ماتكون إحدى هذه الصيغ : ما أشد ، ما أكثر ، ما أعظم . فالفعل دحرج ، مثلاً ، رباعي مجرد ، وللتعجب منه نقول : ما أكثر دحرجته . والفعل : عرِج ، الوصف منه على « أعرج » نقول في التعجب منه : ما أشدَّ عَرَجَ فلانٍ . وهكذا نفعل في : انطلق ، عمي ، استغفر ، حَمِر . . .

٢ ـ وإذا كان الفعل منفياً ، أو ناقصاً ، أو مبنياً للمجهول ، تُسلك معه الطريقة نفسها ، إلا أن المصدر هنا يجب أن يكون مؤولاً لا صريحاً ، مثل : ما أصعب ألا يأتي فلان ، ما أجمل أن يكونَ سعيد بيننا ، وما أكثرَ ما يُضربُ المؤذي .

٣ ـ أما إذا كان الفعل جامداً ، أو غير قابل للتفاوت ، فلا يتعجب منه البتة .

٣ ـ صيغة : أفْعَلَهُ

تتألف هذه الصيغة من ثلاث كلمات ، هي :

١ ـ ما : وهي أداة التعجب ، وتعرب : نكرة تامة بمعنى شيء ، مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ .

٢ ـ أفْعَلَ : وهو فعل ماض جامد لإنشاء التعجب ، وفاعله يستتر فيه وجوباً ، وتقديره « هو » على غير القياس المعروف ، وجملته الفعلية في محل رفع ، خبر المبتدأ « ما » .

وسمع تصغيره لأنه أشبه الأسماء بجموده ، قال الشاعر :

يـامـا أمليـحَ غِـزلانـاً شـدَنَّ لنـا مـن هـؤليـاءِ بيـن الضـالِ والسَّلـمِ

٣ ـ الاسم المنصوب : وهو مفعول به لفعل التعجب[1] ، مثل : ما أكرم

(١) هذا من الناحية الشكلية الإعرابية ، وهو في المعنى فاعل ، لأنه هو الذي يتلبس =

فلاناً . وقد يكون مصدراً مؤولاً مثل : ما أجمل أن نلتقي ، وتأويله : ما أجمل التقاءنا ، وقد يحذف للعلم به ، كقول امرئ القيس :

أرى أم عمـرٍو دمعهـا قـد تحـدَّرا بكاءً على عمرٍو وما كان أصبرا

أي : ما أصبرها .

٤ ـ صيغة أفعِلْ به

تتألف هذه من :

١ ـ أفْعِلْ : وهي فعل ماض جامد جاء على صيغة فعل الأمر .

٢ ـ الباء : وهي حرف جر زائد .

٣ ـ والمجرور بها : وهو اسم أو ضمير ، ويكون جره لفظاً فقط ، أما محله فالرفع ، على أنه فاعل لفعل التعجب ، كقول ذي الرمة :

سرت تخبط الظلماءَ من جانبَيْ قَساً[1] فأحبِبْ بها من خابط الليلِ زائرِ

ففعل التعجب فيه « أحبب » ، و « بها » الباء زائدة ، و « ها » في محل رفع ، فاعل لفعل التعجب . وقد جاءت كما ترى ضميراً متصلاً من ضمائر النصب والجر ، لأنها معمولة لحرف الجر الزائد ، وقد نابت عن ضميرٍ من ضمائر الرفع . وإذا قلت : أكرم بفلان ، أدى قولك معنى : ما أكرم فلاناً . على أن الفاعل المجرور بالباء الزائدة يجوز حذفه إذا عطف عامله على نظيرٍ له ، كما في قوله تعالى : ﴿ أسمع بهم وأبْصر ﴾ (مريم : ٣٨) أي : وأبصر بهم ، وجاء محذوفاً في الشعر من غير أن يكون عامله معطوفاً على نظيره ، فعدّه النحاة شاذاً ، كما في قول عروة بن الورد :

= بالفعل . فإذا قلت : ماأجمل فلاناً . كان(فلان) هو الذي يتلبس بفعل الجمال ، وتقديره : جَمُلَ فلان . إلا في الأفعال التي لاتستعمل إلا مبنية للمجهول مثل : زُكم ، وجُنَّ ، وحُمَّ . تقول : ماأزكمه ، وما أجنه ، وماأحمه . انظر : اشتقاق أسماء الله للزجاجي ص ٢٧٢ .

(١) قساً : اسم موضع .

فــذلــك إن يلــقَ المنيــةَ يلقَهــا   حميداً ، وإن يستغْنِ يوماً فأَجْدِرِ

وتقديره : فأجدر به .

٥ ـ أحكام فعلي التعجب

١ ـ يشترط أن يكون المتعجب منه معرفة ، أو نكرة مختصة ، نحو : ما أكرم سعيداً ، وأكرم بسعيدٍ ، وما أحسنَ رجلاً ينفعُ غيره . وأحسن برجل ينفع غيره . ولايجوز أن تقول : ما أعظم رجلاً ، وأعظم برجلٍ .

٢ ـ لايتقدم معمول فعل التعجب عليه ، فلا يقال : سعيداً ما أكرمَ ، وبسعيد أكرِمْ .

٣ ـ لايجوز أن يفصل بين العامل والمعمول في صيغتي التعجب بغير شبه الجملة التي تتعلق بفعل التعجب نفسه ، كقولك : ما أقبح بالرجلِ أن يكذبَ ، ومنه قول أوس بن حجر :

أقيــم بــدار الحــزمِ مــادام حَــزْمُهــا   وأحْــرِ إذا حــالــتْ بــأن أتحــوَّلا

٤ ـ لايجوز تصرّف فعلي التعجب ، لأنهما جامدان ، وعلة الجمود تضمنهما معنى حرف التعجب .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، فما أصبرهم على النار ﴾ (البقرة : ١٧٥) .

٢ ـ قال عمرو بن معد يكرب :

« لله دَرُّ بني سُليم ، ما أحسن في الهيجاء لقاءها ، وأكرم في اللزبات عطاءها ، وأثبت في المكرمات بقاءها » .

٣ ـ قالُ شقران مولى سلامان :

أولئــك قــومــي بــارك الله فيهــمُ   علــى كــل حــال مــاأعـف وأكـرمـا

أفعال المدح والذم

هي أفعال جامدة لاتكون إلا بصيغة الماضي ، يستعملها العربي إذا أراد أن يمدح شيئاً أويذمه ، وهي : نِعْمَ ، وبِئسَ ، وحَبَّ ، من قولنا : حبذا ، وإذا دخلت « لا » النافية على الفعل الأخير كان الذم .

١ ـ نعم وبئس

تتألف جملة المدح أو الذم التي يدخل فيها هذان الفعلان من عناصر ثلاثة ـ هي : الفعل ، والفاعل ، والمخصوص بالمدح أو بالذم . نحو : بئس العملُ عملك . ونعم الرجلُ أنت . فالعمل والرجل فاعلان ، وعملك ، مخصوص بالذم ، وأنَت ، مخصوص بالمدح . ولنتحدث الآن عن كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة .

آ ـ الفعل :

اشتق الفعل : نعم ، من النِعمة ، وبئس ، من البؤس ، وكان في الأصل : نَعِم يَنْعَمُ ، وبَئس يَبْأَسُ . إلا أنهما نُقلا من هذا المعنى إلى مجرد المدح أو الذم ، فضارعا بذلك الحروف ، فجمدا وتغير لفظهما ، فسكنت العين والهمزة بعد كسر ، فصارا : نِعْم ، وبِئْس . ويُستعملان متصرفين ، فلا يكونا للمدح أو الذم ، فيقال : نَعِم فلانٌ ينعم ، وانعَمْ بما قسم لك . وبئس فلان يبأس . ويقال : ابأس .

والفعلان كلاهما لايدلان على الزمان والحدث ، إذ كانا لإنشاء المدح والذم ، ولكنهما سميا ماضيين لثلاثة أدلة ، الأول : أنهما على صيغة الماضي ، والثاني : أنهما مبنيان على الفتح مثله ، والثالث : أنهما يقبلان تاء

التأنيث ، كما في الحديث : « من توضأ يومَ الجمعةِ فبها ونِعْمَتْ »[1] .

ب ـ الفاعل :

وفاعل هذين الفعلين له صفات خاصة لاتُشترط في فاعل الفعل الطبيعي ، وهذه الشروط هي :

١ ـ يجب أن يكون محلى بـ « أل » الجنسية ، مثل : نعم الرجلُ أنت . فقولنا : الرجل ، ليس معرفة ، لأننا لم نقصد به رجلاً معيناً ، فكأننا قلنا : أنت ممدوح من جنس الرجال . وكذلك لو قلنا : نعم التلميذ خالدٌ . وتحدث النحاة عن إتباع هذا الفاعل ، أيجوز وصفه وتوكيده والبدل منه وعطف البيان ؟ فاتفقوا على منع توكيده توكيداً معنوياً ، وعلى جواز توكيده توكيداً لفظياً . فلا يقال : نعم الرجل نفسه زيد ، ويقال : نعم الرجل الرجل زيد . لأن « أل » الجنسية تفيد مجموع الجنس ، فإذا قلت ، نفسه ، خالفت معنى الجمع المقصود . وإذا قلت : أنفسهم أو كلهم ، خالفت اللفظ الذي جاء بصيغة المفرد . أما البدل وعطف البيان فأجازهما بعضهم بشرط أن يكونا معرفين بأل أومضافين إلى ما عرف بها ، واختلفوا في الصفة ، فمنع بعضهم أن يوصف الفاعل ، وأجازه آخرون ، واحتجوا بقول يزيد بن قُنافة العدوي :

لعمري ، وماعمري عليّ بهين لبئس الفتى المدعوُّ بالليل حاتمُ

وبقول زهير :

نعم الفتى المريُّ أنت إذا هُم حضروا لدى الحجرات نارَ الموقدِ

٢ ـ أو أن يكون مضافاً إلى اسم محلى بأل الجنسية ، كقوله تعالى : ﴿ ولنعم دارُ المتقين ﴾ (النحل : ٣٠) ﴿ فلبئس مَثوى المتكبرين ﴾ (النحل : ٣٩) .

٣ ـ أو أن يكون مضافاً إلى ماأضيف إلى معرف بها كقول أبي طالب :

---

(١) يدعي جمهور المتأخرين من النحاة أن الفراء يذهب إلى أن : نعم وبئس ، اسمان ، لا فعلان ، وهذا وهمٌ سرى إليهم من عدم قراءتهم كتبه ، ونقلهم بعضهم عن بعض ، فقد صرح غير مرة بأنهما فعلان في كتابه : معاني القرآن ، انظر إذا شئت : ١/٥٦ ـ ٥٧ ،و ٢/١٤١ ـ ١٤٢ .

فنِعمَ ابنُ أختِ القومِ غير مكذَّبٍ زهيرٌ ، حُساماً مفرداً من حمائِلِ[1]

٤ ـ ويجوز أن يُضمر ويُفَسر بتمييز ، كقوله تعالى : ﴿ بئس للظالمين بدلاً ﴾ (الكهف : ٥٠) ومنه قول زهير :

نعـم امـرأً هَـرِمٌ لـم تَعْـرُ نـائبـةٌ إلا وكـان لمـرتـاعٍ لهـا وزَرا

وقد يجتمع الفاعل والتمييز ، كما في قول جرير :

تـزوَّدْ مثـلَ زادِ أبيـك فينـا فنعـم الـزادُ زادُ أبيـكَ زادا

وسُمع قولهم في النثر : نعم القتيلُ قتيلاً أصلح بين بكر وتغلب .

٥ ـ وقد يكون التفسير بـ « ما » ، وهي نكرة بمعنى شيء ، في موضع نصب لأنها تمييز ، كقوله تعالى : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنِعِمَا هي ﴾ (البقرة : ٢٧١) والتقدير : فنِعْمَ شيئاً هي[2] . وقد يحذف بعدها المخصوص ، كقوله : ﴿ نِعِماً يعظكم به ﴾ (النساء : ٥٨) والتقدير : نِعْمَ شيئاً مايعظكم به .

ج ـ المخصوص بالمدح أو الذم :

وهو الممدوح أو المذموم ، كقولنا : نعم الرجلُ زهيرٌ ، فزهير هو الممدوح ، ومثل : بئس العمل هذا ، فاسم الإشارة هو المذموم .

ولك في إعرابه أحد وجهين ، الأول : مبتدأ ، وجملة المدح أو الذم خبره ، والثاني : خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره : الممدوح زهير ، أو المذموم هذا . ورجح ابن الشجري في أماليه الوجه الأول ، لكثرة حذفه في الكلام ، وحذف المفرد أسهل من حذف الجملة .

وكثيراً مايحذف المخصوص اعتماداً على جملة متقدمة على الفعل نفسه ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولقد نادانا نوحٌ فلنعم المجيبون ﴾

---

(١) وجاء في قصيدة لكثير بن عبد الله المعروف بابن الغريرة ، أو لغيره ممن يحتج به لقدم عهده ، في مقتل عثمان بن عفان :

فنعـم صـاحـبُ قـومٍ لا سـلاحَ لهـم وصاحبُ الركب عثمانُ بنُ عفانا

فأضيف فاعل « نعم » إلى نكرة .

(٢) يعربها بعضهم فاعلاً ، ويقدرها بالشيء .

(الصافات : ٧٥) ، أي : لنعم المجيبون نحن ، ومنه أيضاً قوله : ﴿ والأرض فرشناها فنعم الماهدون ﴾ (الذاريات : ٤٨) .

٢ ـ مايلحق بنعم وبئس

ويلحق بهذين الفعلين الفعل : ساءَ ، فيفيد الذم ، ويكون فاعله في هذه الحال كفاعليهما ، والمخصوص فيه كمخصوصيهما ، نقول : ساء الرجلُ خالدٌ . وساء رجلاً خالدٌ .

وكذلك يمكن أن يُحوّل كل فعل ثلاثي صالح للتعجب إلى صيغة فَعُلَ ، فيكون ملحقاً بهما ، وتطبق عليه أحكامهما ، مثل : عظُمَ الرجلُ زيدٌ ، وخَبُثَ الإنسانُ خالدٌ . ونقول : عظُمَ رجلاً زيد ، وخبُثَ إنساناً خالدٌ .

٣ ـ حبذا

وهذا فعل يستعمل للمدح ، إلا إذا دخلت عليه « لا » النافية ، فحينئذٍ يتحول إلى معنى الذم ، قالت أم شملة المنقري :

ألا حبذا أهلُ المَلا ، غير أنه إذا ذكِرَتْ مَيٌّ ، فلا حبذا هيا

ففي الشطر الأول مدحت أهلَ الملا ، وفي الشطر الثاني ذمت مَيّاً .

وتتألف جملة هذا الفعل من : « حَبَّ » ، والفاعل « ذا » ، والمخصوص بالمدح أو بالذم[1] . والمخصوص مبتدأ مؤخر ، خبره جملة المدح أو الذم قبله .

وذا فيه اسم إشارة ، يلازم الإفراد والتذكير مهما يكن المخصوص ، عدداً وجنساً ، تقول : حبذا هندٌ وحبذا الطالبات ، وحبذا الطلاب ، وحبذا الطالبان .

---

(١) ذهب المبرد وتلميذه ابن سراج والسيرافي إلى أن : حبذا ، كلها اسم واحد مرفوع على الابتداء وما بعده خبره .

وقد يقع في جملة المدح أو الذم اسم منصوب ، فإن كان اسماً جامداً أعرب تمييزاً ، كقول الشاعر :

ألا حبذا قوماً سليمٌ فإنهم وَفَوْا إذ تواصَوْا بالإعانةِ والصبر

وتقول : حبذا الصَبرُ شيْمةً . وإن كان مشتقاً أعرب حالاً كقول الشاعر :

ياحبذا المالُ مبذولاً بلا سَرَفٍ في أوجهِ البر إسراراً وإعلاناً

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ والملائكةُ يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقْبى الدار ﴾ (الرعد : ٢٣ ـ ٢٤) .

٢ ـ قال زهير بن أبي سلمى :

يميناً لنعمَ السيدان وجُدْتُما على كلِ حالٍ من سحيلٍ ومُبْرَمِ

٣ ـ قال زياد بن حمل أو غيره :

لاحبذا أنت ياصنعاءُ من بلدٍ ولاشعوبُ هوىً مني ولا نُقُمُ[1]

☆ ☆ ☆

(١) شَعوب ونقم : موضعان في اليمن .

أسماء الأفعال

هي أسماء سميت بها الأفعال ، فدلت على معانيها ، وشابهت بعضها ـ كالأمر والماضي ـ في أنها تعمل في غيرها ، ولايعمل غيرها فيها .

وهي مع ذلك أسماء ، لأنها تحمل بعض علامات الاسم ، فمنها ماينون ، كتنوين « أف » في قوله تعالى : ﴿ فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما ﴾ (الإسراء : ٢٣) ، وتنوين « واهاً » في قول الراجز[1] :

واهــاً لسلمــى ثــم واهــاً واهــا　　هــي المنــى لــو أننــا نلنــاهــا

ومنها ما يصغر ، كتصغير « رويد » في قول المعطل الهذلي :

رويــدَ عليــاً ، جُـدَّ مــاثــديُ أمِّهِــم　　إلينــا ، ولكــنْ ودُّهــم متمــايــنُ[2]

ومنها ماتدخله « أل » ، كقولهم : النجاءَكَ ، أي : انجُ .

١ ـ أنواعها

١ ـ اسم الفعل المرتجل :

وهو الذي استعمل في أصل وضعه اسم فعل ، ولم ينقل عن شيء آخر ، مثل : آه ، وأف ، فهذان مثلاً لايستعملان إلا اسمين لفعلين مضارعين هما : أتوجع ، وأتضجر ، أما قولهم : دونَكَ ، حين يكون بمعنى : خذ ، فمنقول ـ كما سيمر بنا ـ عن ظرف مكان .

وأسماء الأفعال المرتجلة ثلاثة أصناف ، هي :

(١) ينسب هذا الرجز إلى رؤبة بن العجاج ، وإلى أبي النجم ، وإلى أبي الغول اليمني .

(٢) علي : هو ابن مسعود الأزدي ، ينسب إليه ولد عبد مناة ، وجُدَّ : قطعَ . و « ما » زائدة ، وقوله : جُدَّ ثديُ أمهم إلينا ، يعني : أن صلة الرحم بيننا وبينهم مقطوعة عندنا . وقوله : متماين ، مأخوذ من : المَيْن ، وهو الكذب .

آ ـ اسم فعل أمر :

مثل : صَهْ ، اسم للفعل : اسكت ، ومَهْ ، اسم : اكفف ، وهَلُمَّ ، أي ائتِ ، كقوله تعالى : ﴿ والقائلين لإخوانهم هلمَّ[1] إلينا ﴾ (الأحزاب : ١٨) . وحيّ ، بمعنى : أقبل ، ومنه قول المؤذن : حيّ على الفلاح ، وقد تلحق بها « هَلَ » التي للحث والعجلة ، كقول لبيد :

يتمارى في الذي قلت له ولقد يسمع قولي : حيَهَّلْ

ومن هذا الضرب : إيهِ ، أي زد في حديثك . وبَسٌ : اكتفِ ، وكذلك : قَدْكَ ، وقطْكَ ، وتَيْد : اتئد . وويَهاً : أغرِ .

ب ـ اسم فعل مضارع :

مثل : آه : أتوجع ، وأفٍ : أتضجر ، وأخٍ : أتكرّه ، وواهاً : أتعجب ، ومثلها : وا ، كقول الراجز التميمي :

وا بأبي أنتِ وفوكِ الأشنبُ كأنما ذُرَّ عليه الزَّرنَبُ[2]

ومنه : وَيْ ، بمعنى : أتعجب ، كقوله تعالى : «وَيْ[3] ، كأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ (القصص : ٨٢) ، وكقول زيد بن عمرو بن نفيل القرشي :

وَيْ كأنْ مَنْ يكن له نَشَبٌ يُحْـ ـبَبْ ، ومن يفتقِرْ يعِشْ عَيشَ ضُرِ

وقد تلحق بها كاف الخطاب ، كقول عنترة :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمَها قيلُ الفوارسِ ويْكَ عنترَ أقْدم

ومنه : بَجَلْ ، بمعنى يكفي .

---

(١) هذه لهجة الحجاز ، ولهجة تميم : هلم ، للمفرد والمذكر ، وهلما ، للمثنى ، وهلموا للجمع ، وهلمي للأنثى ، و . . .

(٢) الفم الأشنب : الذي عذب ماؤه ، ورقت أسنانه . والزرنب : نبت في البادية طيب الرائحة .

(٣) رسمها في القرآن : وَيكأن . ورسمناها في المتن كما ترى لتوضيح موضع الشاهد ، على أن أحد النحاة ، وهو أبو الحسن الأخفش ، يرى أنها هنا مركبة من : وَيْكَ ، و « أن » .

ج ـ اسم فعل ماض :

مثل : هيهات ، اسم الفعل : بَعُدَ . كقول جرير :

فهيهات هيهات العقيقُ وَمنْ به   وهيهاتَ خِلٌّ بالعقيقِ نواصِلُهْ

وشتان ، بمعنى : افترق ، كقول الأعشى :

شتّانَ مايومي على كورِها   ويومُ حيّانَ أخي جابِرِ

وسرعان ، بمعنى : سَرُع ، فإذا قلت : سَرعانَماانفعلت . أي : ما أسرع ماانفعلت : قال بشر بن أبي خازم :

أتخطبُ فيهم بعد قتل رجالهم   لسَرْعان هذا ، والدماء تَصَبَّبُ

ومن أمثلة العرب المشهورة : سَرْعان ذا إهالةً[1] .

ومثله : وَشْكانَ ، فهو اسم للفعل : وشُكَ ، وبطىءانَ ، اسم للفعل : بَطُؤَ .

٢ ـ اسم الفعل المنقول :

وهناك أسماء أفعال لم تكن في أصل وضعها أسماء أفعال ، ولكنها نُقلت عن :

آ ـ جار ومجرور :

مثل : إليكَ عني ، أي : تَنَحَّ ، وعليكَ الرجلَ ، أي : الزمه . قال الشاعر :

عليك نفسَك هذبها فمن ملكتْ   قيادَهُ النفسُ عاش الدهرَ مذموما

ب ـ أو ظرف :

مثل : دونك الكتابَ ، أي خذه ، ومثله : عندك الكتابَ ، ونحو : وراءك . أي : تنَحَّ ، ومكانَكَ . أي اثبت ، قال عمرو بن الأطنابة :

وقولي كلما جشأت وجاشت   مكانَكِ تُحمدي أو تَستريحي[2]

---

(١) ويروى : سَرعان ذي إهالة . والإهالة الدسم . و « ذا » اسم إشارة فاعل لاسم الفعل ، وإهالةً : تمييز . وللمثل حكاية يمكن الرجوع إليها في جمهرة أمثال العرب للعسكري ١/٥١٩ ، رقم المثل /٩٤٢/ .

(٢) جشأت : ارتفعت من شدة الفزع . وفاعل : جشأت وجاشت ، نفسُه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ مكانكم أنتم وشركاؤكم ﴾ (يونس : ٢٨) .

ج ـ أو عن مصدر :

مثل : بَلْهَ ، بمعنى : دع . قال كعب بن مالك يصف ماتفعله سيوفهم في الحرب :

تَـذَرُ الجمـامِـمَ ضـاحيـاً هـامـاتُهـا بَلْـهَ الأكـفَّ ، كـأنهـا لـم تَخْلَـقِ

وهو منقول عن مصدر لم يسمع فعله ، فإذا نونته كان مفعولاً مطلقاً ، وإذا لم تنونه ، فهو اسم فعل أمر منقول عن مصدر ، نحو : بَلهاً الأمرَ . أي : دعه . فهو هنا مفعول مطلق أهمل فعله وناب عنه ، لأنه منون ، ولكنه في بيت كعب اسم فعل أمر ، لأنه لم ينون .

ومثله في هذا : رُوَيدَ ، فهو منقول عن مصدر للفعل : أرْودَ ، وكان يجب أن يكون : إرْواداً ، إلا أنه رُخم وصُغْر ، فصار : رويداً ، فإذا نونته كان مفعولاً مطلقاً ، كما في قول ودَّاك بن ثُميل المازني :

رويداً بني شيبانَ ، بعضَ وعيدِكمْ تـلاقـوا غـداً خيلـي علـى سَفَـوانِ

د ـ أو عن حرف :

كقولهم : هاكَ الليرةَ ، أي خذها ، فأصله هنا « ها » وهي حرف تنبيه . وتطابق المخاطب ، فتقول للمخاطب المذكر : هاءَ أو هاكَ الليرة ، وللمخاطبة المؤنثة : هاءِ أو هاكِ الليرة ، وللاثنين : هاؤما ، أو هاكما الليرة ، ولجماعة الذكور : هاؤم أو هاؤم الليرة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ هاؤم اقرأوا كتابِيَهْ ﴾ (الحاقة : ١٩) ، وتقول لجماعة الإناث : هاؤنَّ ، أو هاكنَّ الليرة .

وهذه المنقولات جميعاً لاتكون إلا أسماء أفعال للأمر : بخلاف المرتجلة التي تكون للأمر والمضارع والماضي .

٣ ـ اسم الفعل القياسي :

أسماء الأفعال كلها سماعية ، ماخلا نوعاً واحداً قياسياً يأتي على وزن « فَعالِ » من الفعل الثلاثي ، مثل : حَذارِ ، ونزال ، كقول ربيعة بن مقروم الضبي :

فدعوا : نزالِ ، فكنتُ أولَ نازلٍ وعـــلامَ أركبُـــهُ إذا لـــم أنـــزِلِ

وجاء شاذاً من غير الثلاثي قولهم :. بدارِ ، من بادَر ، ودَراكِ ، من أَدْرَكَ .

٢ ـ أحكام أسماء الأفعال

١ ـ بناؤها :

اسم الفعل مبني لأنه تضمن معنى حرف الأمر ، وهو اللام ، فقولنا : صَهْ ، يعني : لتسكت ، ومَهْ ، يعني : لتكفف ، فلما كان معنى اللام سارياً فيها بنيت .

ثم لحقت بها أسماء الأفعال الماضية والمضارعة وحملت عليها ، وإن لم يكن فيها معنى لام الأمر[١] .

٢ ـ عملها :

آ ـ وتعمل هذه الأسماء عمل الأفعال ، فترفع الفاعل ، كقول جرير السابق : فهيهاتَ العقيقُ ، وقول الأعشى السابق : شتان مايومي على كورها ويومُ حيانَ[٢] . وتنصب المفعول به كقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » (المائدة : ١٠٥) . وكقول الكميت بن زيد[٣] :

نَعـاءِ جُـذاماً غيـرَ مـوتٍ ولا قتـلِ ولكـنْ فـراقـاً للـدّعـائـمِ والأصـلِ

(١) هذا رأي بعضهم ، أما غيره فيقول : أنها بنيت لأنها وقعت موقع الأفعال المبنية . وهو خلاف لاقيمة له .

(٢) ينكر الأصمعي من القدماء أن يقال : شتان ما بين فلان وفلان . وهذا تحجر لاداعي له إلا قلة استقرائه لكلام الفصحاء ، فقد جاء هذا في كلام لحسان بن ثابت ، والأحوص ، وأبي الأسود ، والبعيث ، وجميل بثينة ، وغيرهم . انظر لسان العرب (شتت) .

(٣) نسب في الإنصاف إلى جرير . المسألة ٧٢ ص ٢٧٩ .

ب ـ ويجزم المضارع إذا وقع جواباً لطلبها : كقولك : صَهْ تسلمْ ، ومَهْ تسترِحْ ، ومثله ما مرَّ بنا في قول عمرو بن الإطنابة وهو قوله : . . . مكانكِ تحمدي .

ج ـ على أن المضارع لاينصب إذا وقع جواباً لطلبها معطوفاً مصدره بفاء السببية ، فلا يقال : صَهْ فتَسْلمَ ، ولا : مَهْ فتستريحَ . لأن هذه الفاء ـ كما علمت ـ تعطف مصدراً مؤولاً بعدها على مصدر منتزع من فعل قبلها ، وأسماء الأفعال ليست بذات مصادر ، ولذلك لايجوز العطف ، ولايجوز النصب .

د ـ وهي في عملها أضعف من الفعل ، ولذلك لايجوز أن يتقدم عليها مفعولها ، فلا يقال : الكتابَ دونك ، إلا في ضرورة الشعر : كقول الراجز الجاهلي ، وهوأحد بني أسيد بن عمرو بن تميم :

يٰـأيهـا المـائـحُ دَلْـوي دونكـا　　إنـي رأيـتُ النـاس يَحْمَـدونكـا

فقوله : دلوي ، مفعول به مقدم لاسم فعل الأمر « دونك » وقد ذهب بعض النحاة في تأويل إعراب « دَلْوي » مذهباً بعيداً لايوافق منطق اللغة ، ولا أساليب الشعر .

٣ ـ تنوينها :

ينونْ بعضها وجوباً لأنه نكرة ، مثل : واهاً ، وويَهْاً . وبعضها لاينون البتة ، كتلك التي تبنى قياساً على « فَعالِ » . ويجوز في بعضها الآخر التنوين وعدمه ، مثل : صه ، ومه ، وأفِ ، وإيهِ .

٤ ـ مطابقتها :

وهي تلازم حالاً واحدة في الإفراد والجمع والتذكير ، تقول : إيهِ يافلان ، وإيهِ يارجلان ، وإيهِ ياقومُ ، وإيهِ يافلانةُ ، وهكذا . إلا « هاء » التي رأيناها قبل قليل تطابق المخاطب ، وما اتصلت به كاف الخطاب ، مثل : إليك عني ، وإليكم عني .

شواهد للتدريب

١ ـ قال البعيث المجاشعي :

وشتـانَ مـابيني وبيـن ابـنِ خـالـدٍ　　أميـةَ فـي الـرزق الـذي يَتَقَسَّـمُ

٢ ـ قال نُجْبةُ بن جنادة العذري :

وقد تراخت بنا عنها نوى قُذُفٌ　　هيهاتَ مُصْبَحُها من بعد مُمْساها

٣ ـ قال ذو الرمة :

إذا قـال حـادينـا لتشبيـه نبـأةٍ　　صَـهٍ لـم تكُـنْ إلا دويَّ المسـامـعِ

٤ ـ قال ابن هَرْمة :

تمشي القطوفُ إذا غنى الحداةُ بها　　مَشْيَ الجوادِ ، فَبلهَ الجلَّةَ النُجُبا[1]

٥ ـ قال الأحوص :

تَـذَكَّـرُ أيـامـاً مضيْـنَ مـن الصبـا　　وهيهـاتَ هيهـاتًـا إليـكَ رجـوعُهـا

٦ ـ قال الشاعر :

صَـهْ لاتكلَّـمْ لحمّـادٍ بـداهيـةٍ　　عليكَ عينٌ من الأجذاعِ والقَصَبِ

☆ ☆ ☆

(١) القطوف : البطيء من الدواب .

مايعمل عمل الفعل من الأسماء

مر بنا في بحث العامل النحوي أن هناك أسماء تُحمل على الفعل في العمل ، لأنها تشبهه في دلالته على الحدث ، أو في دلالته على الحدث والزمان معاً ، وهذه الأسماء هي :

١ ـ اسم الفعل : وقد مر بنا الكلام عليه .

٢ ـ المصدر .

٣ ـ المشتقات : وهي اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبه ، واسم التفضيل .

ودونك تفصيل الحديث عن المصدر والمشتقات .

١ ـ عمل المصدر واسمه

المصدر اسم يدل على حدث كالفعل ، ولكنه يختلف عنه في أنه لا يحدد زماناً معيناً في الدلالة ، فنحو : ضرْبٌ ، ونجاحٌ ، وكتابةٌ ، يدل على حدث واقع ، ولكن لايعرف متى وقع .

وهو يعمل لأنه يشبه الفعل وفيه حروفه ودلالته على الحدث ، إذ ينصب مفعولاً به ، كقول أبي الأسود الدؤلي :

نظرتُ إلى عنوانه فنبذتُهُ كنبذِكَ نَعْلاً أخلقتْ من نِعالكا

فكأنه قال : كما تنبذُ نعلاً أخلقت . وينصب بعض الفضلات الأخرى ، كالمفعول لأجله ، مثل : مجيئك رغبةً في العلم يعود عليك بجليل الفوائد . والمفعول المطلق ، مثل : تعليمك الأطفال تعليماً حسناً جهادٌ وبطولة . والحال ، مثل : خروجك من البيت مبكراً يدل على نشاطك . وقد يرفع الفاعل ، كما في قول الفرزدق :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرةٍ نَفْيَ الدراهمِ تَنْقادُ الصياريفِ[1]

أي : كما ينفي الدراهمَ تَنْقادُ الصيارفِ . ومثله قول الأقيشر الأسدي :

أفنى تِلادي وما جمعتُ من نَشَبٍ قرعُ القواقيزِ أفواهُ الأباريقِ[2]

أي : أفنى تلادي ونشبي أن تقرع القواقيزَ أفواهُ الأباريقِ .

والخلاصة أن المصدر يعمل عمل فعله ، ولكنه دونه في ذلك ، ولا بد له من أن يستوفيَ أحد شرطين ، حتى يقوى على العمل :

١ ـ الأول : أن يكون بدلاً من اللفظ بفعله ، وذلك في الجملة الإنشائية التي تكون للأمر أو للدعاء ، كقول الشاعر :

على حينَ ألهى الناسَ جُلُّ أمورِهمْ فنَدْلاً زريقُ المالَ ندْلَ الثعالبِ[3]

فبدلاً من أن يقول : اندل يا زريقُ المالَ ، قال: ندلاً يا زريقُ المالَ .

٢ ـ والثاني : أن يصح تقديره بفعله مع أحد الأحرف المصدرية الثلاثة : أنْ ، الناصبة للمضارع ، وما ، المصدرية ، وأنْ ، المخففة من الثقيلة . كما توضح لك الأمثلة التالية :

ـ أعجبني فهمُكَ الدرسَ .

ـ التقدير هنا : أعجبني أن تفهمَ الدرس .

ـ نبذت عنوانه كنبذك نعلاً أخلقت .

التقدير هنا : نبذته كما تنبذ نعلاً أخلقت .

ـ علمت ضربك زيداً .

والتقدير : علمت أن قد ضربتَ زيداً .

ومثله قول القطامي :

فلما بدا حِرمانُها الضيفَ لم يكن علي مُناخُ السوءِ ضربةَ لازبِ

أي : فلما بدا أن ستحرمُ الضيفَ .

---

(١) يداها : أي يدا الناقة . والهاجرة : وقت اشتداد الحر عند الظهيرة .

(٢) التلاد : المال القديم ، الموروث وغيره ، والنشب : المال الثابت ، كاالدار والقواقيز : جمع مفرده قاقوزة ، وهي قدح الخمرة .

(٣) الندل : الاختلاس .

فإذا استوفى المصدر أحد هذين الشرطين عمل ، سواءٌ أكان مفرداً أم جمعاً ، معرفاً بأل أم مجرداً منها ، إلا أنه ـ كما بدا في الأمثلة والشواهد ـ يغلب عليه أن يكون مضافاً ، وهو الكثير الشائع ، وقد يكون منوناً ، كما في قوله تعالى : ﴿ أو إطعامٌ في يوم ذي مسغبة ، يتيماً ذا مَقْرَبَة ﴾ (البلد : ١٤ ـ ١٥) ، وأقل منه أن يكون معرفاً بأل ، كقول المرار الأسدي :

لقد علمتْ أولى المغيرةِ أنني ضربتُ فلم أنكُلْ عن الضربِ مِسْمعا

أي فلم أنكل عن أن أضربَ مسمعاً . أوأن يكون جمعاً . كما في قول الشماخ :

وواعَدْتَني ما لا أحاولُ نَفْعَهُ مواعيدَ عرقوبٍ أخاهُ بيَثْرِبِ

هذا هو عمل المصدر ، وهناك مايسمى في مصطلح النحاة اسم المصدر ، وهو ماكانت له دلالة المصدر ، إلا أنه أقل أحرفاً منه ، فقولك : تسليم ، مصدر للفعل : سلم ، أما قولك : سلام ، فهو اسم له .

والمصدر واسمه سواء في العمل ، وكذلك في استيفاء الشرطين السابقين ، وله من الشواهد الفصاح مايشهد بذلك : كقول القطامي :

أكفراً بعد رد الموتِ عني وبعد عطائِكَ المئةَ الرتاعا

فقوله : عطاء ، اسم للمصدر : إعطاء ، وقد عمل عمل الفعل ، لأنه يصح تقديره بالفعل مسبوقاً بحرف مصدري ، تقول : وبعد أن أعطيتني المئةَ الرتاعَ . ومثله قول ذي الرمة :

أطاعت بك الواشين حتى كأنما كلامك إياها عليكَ حرامُ

فالكلام اسم للمصدر : تكليم . وقد عمل عمل الفعل .

تنبيه :

يرى بعض النحويين أن الشرطين اللذين ذُكرا لعمل المصدر ، ليسا بلازمين ، ولكنهما غالبان على المصدر العامل ، واستدل على ذلك بأنه يعمل أحياناً دون أن يستوفيَهما ، نحو : ضربي زيداً قائماً . وأكلي الحلوى واقفاً . وإن تعظيمك غيرَك حَسَنٌ . وكان إكرامك أخاك مبرة . ففي هذه المواضع

لاتقع الأحرف المصدرية الثلاثة والفعل .

والحق أنه لايقال : أنْ اضرب زيداً قائماً ، لأن ذلك غير مسموع ولكن الذي مُثِّلَ به في العبارتين الاخيرتين يحتاج إلى مزيد من التوضيح ، فالأصل فيهما مبتدأ وخبر ، إذ كانت الأولى قبل دخول : إنَّ ، تعظيمُكَ غيرَك حسن . وكانت الثانية قبل : كان ، إكرامُك أخاك مبرة .

وهذا الأصل يبيح لك أن تقيم مُقامَهها مصدراً مؤولاً ، فتقول : أن تعظم أخاك حسن ، وأن تكرمه مبرة ، فلما دخلت « إن » و « كان » صار التقدير في الظاهر ممتنعاً .

٢ ـ عمل اسم الفاعل

اسم الفاعل أقوى على العمل من المصدر ، لأنه يشبه الفعل المضارع في اللفظ ، وفي المعنى ، أما شبهه إياه في اللفظ فيتجلى في أنه يكون على وزن « فاعل » في الثلاثي ، وهذه الصيغة تشبه « يفعل » في الحركات والإيقاع ، ويصاغ من فوق الثلاثي على وزن مضارعه نفسه بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة ، فقولك : مُخْرِج ، يشبه في لفظه : يُخْرِجُ .

وأما الشبه المعنوي فيظهر في دلالة اسم الفاعل على الحدث ، والفاعل والزمان الحاضر ، أو المستقبل ، أو الدائم .

هذا الشبه الكبير سبب في قدرة اسم الفاعل على العمل ، فهو يرفع الفاعل ، وينصب المفعول به ، وبعضَ الفضلات الأخرى ، ويعمل في شبه الجملة .

ولكنه مع هذا كله لايبلغ مرتبة الفعل في ذلك ، لأنه ـ كما رأينا من قبل ـ فرع عليه ، ولا بد له من شروط يستوفيها حتى يكون قادراً على العمل ، فما هذه الشروط ؟

آ ـ عمله موصولاً بأل :

ويرى النحاة أنه يعمل بلا شروط إذا وُصِلَ بأل ، لأنه يؤول معها بالفعل صراحة ، ولأنها تقوم مقام الاسم الموصول ، كما ترى في قول ذي الرمة :

ألا أيهذا الباخِعُ الوجْدُ نَفْسَهُ   لشيءٍ نَحَتْهُ عن يديْهِ المقادِرُ

فاسم الفاعل : باخع ، رفع فاعلاً هو الوجد ، ونصب مفعولاً به هو : نفسه ، لأنه وصِلَ بأل ، فكأنه قال : أيهذا الذي يبْخَعُ الوجْدُ نفْسَه . ومن ذلك قول القطامي :

الضاربون عُمَيْراً عن ديارِهِمُ   بالتل ، يومَ عميرٌ ظالمٌ عادي

كأنه قال : الذين ضربوا عميراً . ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ فويلٌ للقاسية قلوبُهُمْ من ذكرِ الله ﴾ (الزمر : ٢٢) . فكأنه قال : ويل للذين قست قلوبُهم .

ب ـ عمله مجرداً من « أل » :

وإذا لم يكن موصولاً بها وجب أن يستوفيَ أربعة شروط مجتمعةً، هي :

١ ـ أن يدل على الحال ، أو الاستقبال ، أو الاستمرار[1] :

وهي الأزمنة الثلاثة التي يدل عليها الفعل المضارع ، فإذا قلت : مالك تمشي ساحباً ذيولَ الفخار ، جاء اسم الفاعل : ساحباً ، دالاً على الزمن الحاضر ، ولذلك حق له أن ينصب مفعولاً به ، وهو ذيول ، وتأمل قوله تعالى : ﴿ فلعلك تاركٌ بعضَ مايوحى إليك ، وضائقٌ به صدرُك ﴾ (هود : ١٢) ، تجد اسم الفاعل : تارك : يدل على الاستقبال ، فكأنه قال : ستترك ومثله : ضائق ، ولهذا نصب الأول مفعولاً به ، ورفع الثاني فاعلاً .

٢ ـ أن يكون معتمداً على استفهام أو نفي أو مبتدأ ، أو موصوف ، أو صاحب حال :

ويعني هذا أن يسبق اسم الفاعل باستفهام أو نفي ، أو يقع في الإعراب خبراً أو صفة أو حالاً ، كما في هذه الأمثلة :

---

(١) لايشترط هذا إلا في نصب المفعول به ، عند بعض النحاة .

ـ قال ذو الرمة :

أحــادِرَةٌ دمــوعَــكَ دارُ مَــيٍّ   وهــائِجَــةٌ صَبَــابَتَــكَ الــرسُــومُ

فقد نصب اسم الفاعل « حادرة » مفعولاً به ، هو دموعك ، ورفع فاعلاً هو : دار[1] ، ومثله : هائجة ، في العمل ، لأنهما اعتمدا على الاستفهام .

ـ قال الأبيردُ الرِياحي :

أحقــاً عبــادَ الله أنْ لســتُ لاقيــاً   بُــرَيْـداً طَـوالَ الـدهـرِ مـالألأ العَفْـرُ

فاسم الفاعل « لاقياً » نصب مفعولاً به هو : بريداً ، لأنه اعتمد على نفي . ومثله أن تقول : ماضائر أخاك رفعُ الحجابِ بيننا .

ـ وإذا عدت إلى قوله تعالى : ﴿ لعلك تاركٌ بعض مايوحى إليك ﴾ وجدت اسم الفاعل وقع خبراً ، وسبق ما يشبه المبتدأ ، وهو اسم : لعل . ومثله قولك : إنه لحامل أعباءَ الآخرين . . أو : هو حامل أعباءَ الآخرين .

ـ قال سحيم عبد بني الحسحاس :

وجـدتُهمـا يـومـاً ـ وللصيـد غـرة ـ   تـدقـان مسكـاً مـائـلاً بُـرْقُعـاهُـمـا

فاسم الفاعل « مائلاً » رفع فاعلاً ، هو : برقعاهما ، لأنه اعتمد على صاحب حال ، وهو الضمير في الفعل « تدقان » الذي يعود إلى الفتاتين اللتين يصفهما .

على أنه قد يحذف الموصوف ، ولكن حذفه لايعدو اللفظ ، لأن معناه يظل قائماً في الكلام ، انظر إلى قوله تعالى : ﴿ والذين يدعون من دونه ، لايستجيبون لهم بشيء ، إلا كباسطِ كفيه إلى الماءِ ليبلغَ فاه ﴾ (الرعد : ١٤) ، فقوله : باسطِ كفيه ، اعتمد على موصوف محذوف ، هو : رجل ، والتقدير : إلا كرجل باسط كفيه ، ومثله قول الأعشى :

كنـاطـحٍ صخـرةً يـومـاً ليـوهِنَهـا   فلم يَضِرْها وأوهى قرنَهُ الوَعِلُ

والتقدير : كوعل ناطح صخرة .

---

(١) هو فاعل سد مسد خبر المبتدأ : حادرة .

والمعطوف على مااعتمد شيئاً مما تقدم ينصب أو يرفع مثله ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ ثم إنكم أيها الضالّون المكذبون ، لآكلون من شجر من زقوم ، فمالئون منها البطون ﴾ (الواقعة : ٥١ ـ ٥٢) فقوله « مالئون » معطوف على اسم الفاعل : آكلون ، وهو خبر (إن) ، أي اعتمد ما أصله المبتدأ ، ولذلك نصب المعطوف عليه مفعولاً به ، هو : البطون .

٣ ـ ألا يكون مصغراً :

لأنه إذا صغر فقد الصلة بينه وبين الفعل المضارع ، لأن التصغير ـ كما هو معروف ـ من خصائص الأسماء ، فلا يجوز أن تقول : أخوك كويتِبٌ وظيفَتَهُ .

٤ ـ ألا يكون موصوفاً تحول الصفةُ بينه وبين معموله :

لأن الفصل بين اسم الفاعل ومعموله مما يضعفه عن العمل ، وعلى هذا لايقال : أنت كاتب جيد وظيفتك . إلا أنهم نقلوا بيتاً لبشر بن أبي خازم يخالف هذا الأصل ، وهو قوله :

إذا فـاقِـدٌ خَطْبـاءُ فَـرْخيْـنِ رَجَّعـتْ ذكرتُ سليمى في الخليط المزايل[1]

فزعموا أن « فرخين » مفعول به لفعل محذوف ، تقديره : فقدت . وليس مفعولاً به لاسم الفاعل : (فاقد) ، لأنه وصف بـ : خَطْباء .

واسم الفاعل كالمصدر يعمل جمعاً ومثنىً ومفرداً ، كقوله تعالى : ﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ﴾ (الأحزاب : ٣٥) ، ومثله قول عنترة :

الشـاتِمَـيْ عـرضـي ولـم أشتمْهـا والنـاذريـن إذا لـم القَهُمـا دَمـي

ولاسم الفاعل صيغ تفيد المبالغة سنُلمّ بها في قسم الصرف ، تعمل مثله ، لأنها تدل على الحدث ، وعلى الزمن المستمر ، كما يدل الفعل المضارع في بعض الأحيان ، انظر قول سعد بن ناشب :

فيـا لَـرزامٍ رشّحـوا بـي مُقَـدَّمـاً إلى الحرب خَواضاً إليها الكتائبا

(١) الفاقد : المرأة التي فقدت ولدها . الخطباء : المصابة بالخطب . رجعت الحمامة : صدر عنها أصوات تدل على أسى وحزن ، أو قالت ـ إذا كانت امرأة ـ : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فقوله : خواضاً ، صيغة مبالغة لاسم الفاعل : خائض ، وقد نصبت مفعولاً به « الكتائب » ، لأنها اعتمدت موصوفاً محذوفاً ، والتقدير : رشحوا بي رجلاً مقدماً خواضاً الكتائب . ومن هذا قول أبي طالب يرثي أبا أمية المخزومي :

ضروبٌ بنصل السيفِ سُوقَ سِمانِها إذا عـدمـوا زاداً فـإنـك عـاقـرُ

تابع معمول اسم الفاعل :

يجوز أن يأتي المفعول به لاسم الفاعل مضافاً إليه ، تقول مثلاً : هذا قاتل أخيك . والأصل هذا قاتلٌ أخاك . فإذا أضيف جاز لنا في تابعه الجر على اللفظ ، والنصب على المعنى ، تقول : هذا قاتلُ أخيك البائسِ أو البائسَ . وهذا قاتل أخيك وأبيك أو وأباك . وعلى هذا قول الفرزدق :

قُعودٌ لدى الأبوابِ طُلَّابُ حاجةٍ عَوانٍ من الحاجاتِ أو حاجةٍ بكرا

فقد عطف « حاجةً » على : حاجةٍ ، ونصبها على المعنى ، ومنه أيضاً قول الشاعر :

هـل أنـت بـاعـثُ دينـارٍ لحـاجتنـا أو عبدَ ربٍّ أخـا عـونِ بـن مخـراقِ

٣ ـ عمل اسم المفعول

ويعمل اسم المفعول عمل المبني للمجهول ، فيرفع نائب فاعل ، وينصب مفعولاً به إذا كان فعله متعدياً لأكثر من مفعول واحد ، كما ينصب الفضلات التي ينصبها اسم الفاعل ، تقول : هذا رجلٌ محمودةٌ سيرتُهُ . فترفع « سيرته » على أنها نائبُ فاعلٍ ، عمل فيها اسم المفعول : محمودة . وتقول أيضاً : هذا فقير مكسوٌّ ثوباً . فتنصب « ثوباً » على أنه مفعول به لاسم المفعول : مكسو . وتقول : إنك لمقصودٌ رغبةً في نوالك . وهو مرغوب فيه رغبةً بالغة . وهكذا . . . فاسم المفعول نصب مفعولاً لأجله في العبارة الأولى ، ومفعولاً مطلقاً في الثانية .

ولابد له من أن يستوفيَ الشروط التي عرفناها في اسم الفاعل[1] ، كماتوضح لك الشواهد التالية :

قال جرير :

أصبحتَ للمنبرِ المعمورِ مجلسُهُ زَيْناً ، وَزيْنَ قِبابِ المُلْكِ والحُجَرِ

اسم المفعول هنا هو قوله : « المعمور » وقد وصل بأل ، ولذلك رفع نائب فاعل هو : مجلسه ، فكأنه قال : للمنبر الذي عُمِر مجلسه .

وقال تعالى : ﴿ ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ ﴾ (هود : ١٠٣) .

أما اسم المفعول هنا ، وهو : مجموع ، فلم يوصل بأل ، ولكنه اعتمد على موصوف ، هو قوله : يوم . ولذلك رفع نائب فاعل هو : الناس .

وقال النابغة الذبياني :

ألم أقسِمْ عليكَ لتُخْبِرَنّي أمحمول على النعشِ الهُمامُ

وهنا اعتمد على : استفهام : أمحمول . ورفع نائب فاعل : الهمام .

وقد يتحول نائب الفاعل إلى تمييز ، كما في قول الشاعر :

ولي جلساءُ ما أمَلُّ حديثَهُمْ ألِبّاءُ مأمونون غيباً ومَشْهَدا

فقوله : غيباً ، تمييز محول عن نائب فاعل ، لأن الأصل : مأمونٌ غَيْبُهم . كما يمكن أن يتحول إلى مضاف إليه ، كقولك : فلانٌ محمودُ السيرةِ ، مأمونُ الجانبِ . والأصل : محمودةٌ سيرته ، مأمون جانبُهُ . وهذا كثير جداً .

٤ ـ عمل الصفة المشبهة

تُحْمَلُ الصفة المشبهة في العمل على اسم الفاعل ، لأنها تشبهه في الدلالة على الحدث وفاعله ، أما صلتها بالفعل المضارع فغير بيّنة ، لأن أوزانها تختلف لفظاً عن صيغه ، ولكنها مع ذلك تشبهه في الدلالة على

(١) كذلك لايشترط فيه أن يدل على الحال أو الاستقبال في حال رفعه نائب فاعل .

الاستمرار ، ومن أجل ذلك اقتصر عملها على رفع الفاعل ، وكثر انتقاله إلى التمييز ، والمضاف إليه . تقول : فلان كريمٌ طبْعُهُ ، حَسنٌ خُلُقُهُ ، طيبٌ قلبُهْ فكأنك قلت : فلان كَرُمَ خلقُه ، وحَسُنَ طبعه ، وطاب قلبه . وانظر إلى عملها في قول النابغة الذبياني :

وهبتِ الريحُ من تِلقاء ذي أُرُلِ   تُزجي سحاباً قليلاً ماؤه شَبِما[1]

فكأنه قال : قل ماؤه . وفي قول حسان :

بيض الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُم   شم الأنوف من الطرازِ الأول

أي : كرمت أحسابهم .

وقد يتحول فاعلها ـ كما قلنا ـ إلى تمييز ، كما يتحول فاعل الفعل أحياناً ، تقول : فلان كريمٌ خلقاً ، حسن طبعاً ، طيب قلباً . فهذا يشبه قولك : كَرُم خلقاً ، وحَسُنَ طبعاً ، وطاب قلباً .

وكثيراً مايضاف معمولها إليها ، فيكون في الإعراب مضافاً إليه ، وفي المعنى فاعلاً ، تقول : فلان طيب القلب ، حسن الطبع ، كريم الخلق .

وتحدث النحاة فأطالوا عن ظاهرة نادرة الوقوع ، وهي مجيء معمولها معرفاً بأل ، ومنصوباً ، كما في قول الحارث بن ظالم :

فما قومي بثعلبةَ بنِ سعدٍ   ولا بفُزارةَ الشُّعْرِ الرقابا

فقوله : الشعر ، جمع مفرده : أشعر ، كأحمر ، وحُمر ، وقوله : الرقاب ، منصوب في اللفظ بعد الصفة المشبهة ، وهو في المعنى فاعل ، لأنه يقدر بقولك : ولابفُزارةَ الشعرِ رقابُهم . أي : الذين كثر شعر رقابهم . فعلام نصب ؟

أنقول : إنه تمييز ؟ لايصح هذا لأن التمييز يجب أن يكون نكرة لامعرفة ، أهو إذاً مفعول به ؟ لايصح أيضاً لأن الصفة المشبهة تعمل عمل الفعل اللازم الذي لاينصب مفعولاً به .

ومن أجل هذا قال النحاة : إنه شبه المفعول به ، لأنهم قاسوه على عمل اسم الفاعل في مثل قولك : الضارب الرجل .

---

(١) ذو أرل : موضع . تزجي : تسوق . شبم : بارد .

ولاتعمل الصفة المشبهة إلا إذا اعتمدت على ماذكرناه في اسمي الفاعل والمفعول ، أو كانت محلاة بأل ، ولايشترط فيها أن تدل على الحال أو الاستقبال ، لأنها تدل على ثبوت واستمرار ، وهذا من دلالة الفعل المضارع أحياناً ، إلا أنه يشترط فيها مالم يشترط في اسم الفاعل ، فلا بد أن يكون فاعلها غير أجنبي ، على حين قد يكون أجنبياً في اسم الفاعل ، تأمل العبارتين التاليتين :

سعيد ضاربٌ سميراً .

سعيد كريمٌ طبعُهُ .

فطبع سعيد ليس أجنبياً منفصلاً عنه ، ولكن سميراً ليس سعيداً نفسه ، وإنما هو أجنبي منفصل عنه .

٥ ـ عمل اسم التفضيل

واسم التفضيل يرفع فاعلاً ظاهراً بشروط :

١ ـ أن يسبق بنفي أو مايشبه النفي .

٢ ـ أن يكون مرفوعه أجنبياً .

٣ ـ أن يكون مفضلاً على نفسه .

وقد اجتمعت هذه الشروط الثلاثة في قولك : لاترى في الناس رفيقاً أولى به الفضلُ من الصديق . . . فقوله : « الفضلُ » هو الفاعل ، والعامل فيه اسم التفضيل « أولى » والفضل الذي هو الفاعل مفضل على نفسه ، وهو أجنبي عن الصديق والرفيق ، ومثل هذا قولهم : ما رأيت رجلاً أحسنَ في عينيه الكحلُ منه في عيني سعيد . ولايجوز أن تقول : رأيت رجلاً أكرَم منه أبوه[1] ، لأن اسم التفضيل هنا لم يستوف شروط العمل .

ويرى النحويون أن اسم التفضيل ضعيف الشبه بالفعل ، ولهذا كان عمله ضعيفاً ، فهو لايرفع الفاعل إلا بالشروط التي ألممنا بها قبل قليل ، وإذا اختل

---

(١) إلا إذا جعلنا : أبوه ، مبتدأ مؤخراً ، وأكرمُ : بالرفع ، خبراً له .

شرط واحد منها بطل عمله، ثم إنهم متفقون جميعاً على أنه لاينصب مفعولاً به.

ولكنهم رأوا في كلام العرب الفصيح مايخالف هذا الأصل الذي وجدوا عليه الكثير الشائع من نصوص اللغة، كقول العباس بن مرداس:

فلم أرَ مِثْلَ الحيّ حياً مُصَبَّحاً ولامثلَنا يومَ التقينا فوارسا

أكرَّ وأحمى للحقيقةِ منهمُ وأضْرَبَ منا بالسيوفِ القَوانسا

فالظاهر من البيتين أن: القوانس، مفعول به لاسم التفضيل: أضرب منا، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ إن ربك هو أعلم مَنْ يضل عن سبيله ﴾ (الأنعام: ١١٧)، فقوله: «من» يبدو مفعولاً به لاسم التفضيل: أعلم. ويمكن أن يكون مثله قوله تعالى: ﴿ الله أعلم حيثُ يجعل رسالته ﴾ (الأنعام: ١٢٤) أي: أعلمُ المكانَ الذي يجعله فيه.

ولكن النحاة ينكرون هذا تمسكاً بالقاعدة التي وصلوا إليها، ويذهبون إلى أن كلاً من «القوانس» في قول الشاعر، و «مَنْ» في الآية، مفعول به لفعل محذوف تقديره في الأول: نضرب، وفي الثاني: يعلم.

ولم تكن بهم حاجة إلى مثل هذا، لأن المعنى يشير بصراحة إلى أن اسم التفضيل هوالذي يعمل فيما قدروا له فعلاً غير مستعمل.

والذي يدل على تعسفهم أنهم يجيزون أن تلحق لام التقوية معمول اسم التفضيل، ويمثلون لذلك بقولهم: أنا أضرب منك لزيدٍ. ويبيحون أن تلحق الباء الزائدة بعده بمعمولٍ يكون مفعولاً به للفعل منه، مثل: أنا أعلم به منك. كما يقولون: فلان يعلم بالنبأ.

والمعروف أن لام التقوية تدخل على معمول اسم الفاعل والمصدر، تقول هذا ضارب لأخيه، وتقول: ضربي لأخيك شديد. وذلك يدل على أن عمل اسم التفضيل في المفعول به يشبه عمل اسم الفاعل والمصدر، إلا أنه أقل منهما في ذلك، لأن النصوص الفصيحة المستقراة توضح ذلك وتبينه.

أما الشروط التي يسوقونها في رفع اسم التفضيل للفاعل، فيبدوا أنها

غير صارمة ، إذ أن أحد شيوخ سيبويه[1] ، نقل عن بعض العرب أنهم يقولون : رأيت رجلاً أفضلَ منه أبوه . فيرفعون به فاعلاً غير أجنبي ، ولا يسبق بنفي ، ولا يفضل على نفسه في حالين ، ويؤيد هذا قول الشاعر منصور النمري يصف قطيع الإبل :

فجـال قليـلاً واتقـانـي بخَيـرِه   سنـامـاً وأمـلاه مـن النَّـيّ كـاهِلُـهْ

فقوله : كاهله ، فاعل لاسم التفضيل : أملاه ، المعطوف على : خيره . ولكن النحاة يقدرون له فعلاً محذوفاً هو : امتلأ .

شواهد للتدريب

١ ـ قال النابغة الذبياني :

واهجرْهُمُ هَجْرَ الصديقِ صديقَهُ   حتـى تـلاقِيَهُـمْ عليـكَ شِحـاحـا

٢ ـ قال قيس بن ذَرِيح :

وإنـك لـو أبلغتَهـا قيلَـك : اسلمـي   طوتْ حزناً وارفَضَّ منها المدامعُ

٣ ـ قال الحارث بن خالد المخزومي :

أظلـومُ إن مصـابكـم رجـلاً   أهـدى السـلامَ تحيـةً ظُلْـمُ

٤ ـ قال أحد الشعراء :

السـالـكُ الثغـرَ مَخْشِيـاً مـوارِدُهُ   فـي كـل إنْـيٍ قضـاه الله ينتعـلُ

٥ ـ قال لقيط بن يعمر :

بـل أيهـا الـراكـبُ المُـزجـي مطيتـه   إلـى الجـزيـرةِ مُـرتـاداً ومنتجِعـا

٦ ـ قال كثير عزة :

وكنـت إذا لاقيتُهـنَّ كـأننـي   مخـالطـةٌ عقلـي سُـلافُ شَمـولِ

٧ ـ قال كعب بن سعد الغنوي :

جَموعٌ خِلالَ الخيرِ من كل جانبٍ   إذا جـاءَ جَيَّـاءٌ بهـن ذَهـوبُ

(١) هو يونس بن حبيب .

٨ ـ قال امرؤ القيس :

وأنـازِلُ البطـلَ الكـريـةَ نـزالُـهُ ... وإذا أنـاضِـلُ لاتطيـش سِهـامـي

٩ ـ قال كثير عزة :

فلـو كـان مـابـي مـن جِبـال لهـدهـا ... وإن كان في الدنيا شديداً هدُودُها

١٠ ـ ﴿ ولاتكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبُهُ ﴾ (البقرة : ٢٨٣) .

١١ ـ ﴿ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ﴾ (الزمر : ٢١) .

١٢ ـ وقال ابن هَرْمة :

فـإنـي وتَـركـي نـدى الأكـرمـين ... وقَـدْحـي بكفـي زَنْـداً شحـاحـاً

كتـاركـةٍ بيضَهـا بـالعَـراءِ ... ومُلْبَسـةٍ بيـض أخـرى جنـاحـا[1]

١٣ ـ وقال الفرزدق :

إنـي حلفـتُ بـرافعيـن أكفَّهُـم ... بيـن الحطيـمِ وبيـن حـوضـي زَمْـزَمِ

١٤ ـ قال أبو ذؤيب :

نهيتـك عـن طـلابـك أمَّ عمـرٍو ... بعـاقبـة وأنـت إذٍ صحيـحُ

☆ ☆ ☆

(١) يقصد بها النعامة .

القسم الثاني

المرفوعات

أولاً : المبتدأ والخبر

آ ـ ما المبتدأ والخبر :

إذا قلت لصاحبك : الكتابُ ، أشعرته بأنك تريد أن تتحدث إليه عن الكتاب ، فيتوَقَّعُ منك أن تخبره عنه خبراً ما . فإذا قلت : مفيد . بيّنت ما أردته ، وعرف السامع ماقصدت إليه .

ولكن كيف تمّ لك وله هذا كله ؟ والجواب عن ذلك يحتاج إلى شيء من التفصيل .

إن المبتدأ هو مانتحدث عنه . وإن الخبر هو الحديث الذي نسوقه عن المبتدأ . وهذا واضح في الجمل التالية :

ـ الأرض واسعة .

ـ أحمدُ مسافر .

ـ العملُ سهل .

وعلى الرغم من أن المبتدأ والخبر اثنان نرى الفائدة المعنوية منهما لاتتم إلا بعد إدراك ثلاث دلالات :

١ ـ دلالة المبتدأ : وهي دلالة الكلمة على المعنى المَنوطِ بها ، وهي دلالة عرفية معجمية : الأرض ، أحمد ، العمل .

٢ ـ دلالة الخبر : وهي كذلك دلالة عرفية تُعرف من البيئة أو من المعجم : واسعة ، مسافر ، سهل .

٣ ـ العلاقة بينهما : وهي دلالة نحوية تركيبية ، ولولا هي لاستقل المبتدأ عن الخبر ولانقطعت صلة بعضهما ببعض .

فإذا قلت : الجدار متهدمٌ . كان لابد من فهم معنى « الجدار » وهو الحائط المبني من الحجارة ، أو مايقوم مقامها ، ولابد من فهم معنى « متهدم » وهو المتداعي أو المنهار . ثم لابد بعد ذلك من معرفة الصلة أو

العلاقة بين « جدار » و « متهدم » وهي أن التهدم منسوب أو مسند إلى الجدار .

هذه هي العلاقة التي يدرسها علم النحو ، ولكن لابد من أن تكون دلالتا المبتدأ والخبر متناسبتين بحيث يمكن أن تقوم بينهما علاقة إسناد ، إذ لايجوز مثلاً أن تقول : الحائط ذكي . الذكاء فأر . لأن دلالة كل منهما لاتناسب الأخرى .

والعلاقة التي تربط بين المبتدأ والخبر في الجملة العربية علاقة ذهنية لا لفظية ، إذ لايقوم بينهما فعلُ كونٍ مساعد ، كما في كثير من اللغات القديمة والحديثة ، ولايشترط أن يكون المبتدأ هو السابق ليُعرف برتبته أو موقعه في الجملة .

فليس المبتدأ مبتدأ لأنه واقع في أول الجملة ، وليس الخبر خبراً لأنه واقع بعده ، بل المبتدأ مبتدأ لأنه منسوب أو مسند إليه ، والخبر خبر لأنه منسوب أو مسند . فلو قلت : الأرضُ البحرُ الكتابُ السماءُ . لكان قولك هذا لغواً لاكلاماً مستقيماً ، لأنك لم تزِدْ على أن أوردتَ ألفاظاً متوالية ذات دلالات عُرفية معجمية من دون أن تربط بينها بعلاقة نحوية ، كعلاقة الإسناد .

ومن ها هنا كان الخبر في علاقته بالمبتدأ واحداً من ثلاثة أشياء :

١ ـ أن يكون شيئاً هو المبتدأ نفسه ، مثل : العملُ سهلٌ . وخاتمك ذهبٌ . وهذا بحرٌ .

٢ ـ أن يكون زمانَ المبتدأ ، مثل : العمل صباحاً ، والرحيلُ ليلاً ، والانطلاق في الساعة العاشرة .

٣ ـ أن يكون مكانه ، مثل : أخوك هنا . والكرةُ تحت الطاولة ، والكتاب على الرف .

ب ـ أشكال المبتدأ :

وللمبتدأ في اللغة العربية عدة أشكال ، هي :

١ ـ اسم ظاهر :

مثل : « الإيمان بضع وسبعون شعبة » ومثل : « الأرض كوكب يدور حول الشمس . الغدُ شبحٌ مبهم . البحتريُّ شاعر مُجيد .

٢ ـ ضمير رفع منفصل :

وفي كثير من الجمل الاسمية يكون المبتدأ ضميرَ رفعٍ منفصلاً ، أي واحداً من هذه الضمائر : أنا ، نحن ، أنت ، أنتما ، أنتمْ ، أنتنّ ، هو ، هي ، هما ، هم ، هُنّ[1] . مثل : ﴿ أنا أكثر منك مالاً ﴾ (الكهف : ٣٤) ﴿ ودخل جنته وهو ظالمٌ لنفسه ﴾ (الكهف : ٣٥) ﴿ قال الحواريون : نحنُ أنصارُ الله ﴾ (آل عمران : ٥٢) ﴿ لأنتم أشدُّ رهبة في صدورهم من الله ﴾ (الحشر : ١٣) .

٣ ـ مصدر مؤول :

أي أن لفظ المبتدأ يستخرج من حرف مصدري وما دخل عليه ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ وإن تصبروا خيرٌ لكم ﴾ (النساء : ٢٥) فالمبتدأ المستخرج من (أن) المصدرية والفعل (تصبروا) هو : صَبْرُكم . وعلى هذا يكون تقدير الكلام : صبركم خيرٌ لكم . ومثله قوله تعالى : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعةً ﴾ (فصلت : ٣٩) أي : ومن آياته رؤيتُك الأرضَ خاشعة . . . وهذا كثير في الكلام العربي القديم والحديث ، منه : ﴿ وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ (الأعراف : ٤٣) أي لولا هدايةُ الله . ومنه : ﴿ وإن تعفوا أقربُ للتقوى ﴾ (البقرة : ٢٣٧) أي عفوُكم أقرب للتقوى .

٤ ـ جملة محكية :

وأحياناً لايُراد من الجملة مافيها من حكم أو قضية ، بل يرادُ لفظها فحسب ، كأن تكون اسمَ علم مثلاً ، فقد لُقب شاعر قديم بـ « تأبط شراً » . فلو قلت : تأبط شراً شاعرٌ جاهلي مشهورٌ . كانت الجملة المحكية (تأبط

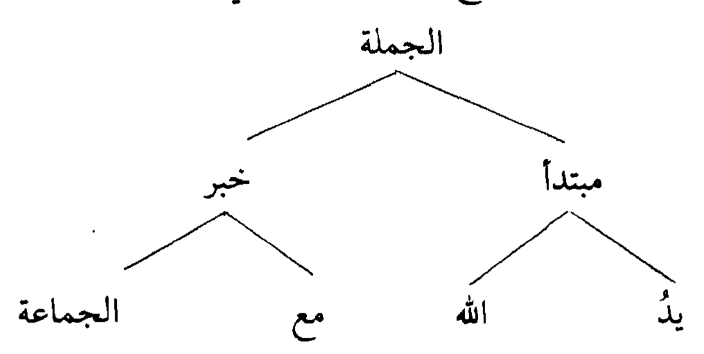
---

(١) أجاز بعض القدماء أن يقع الضمير المتصل أيضاً مبتدأ نيابة عن الضمير المنفصل ، في مثل : لولاك ولولاه ، ولولاها ، و . . . وهذا لايجوز إلا في ضرورة الشعر .

شراً) مبتدأ ، لأن المقصود منها : الرجل الملقب بهذا اللقب . وكان العرب يقولون في مَثَلٍ لهم : « زعموا » مطية الكذب ، أي : هذه الكلمة أو هذه العبارة مطية الكذب . وجاء في الحديث النبوي : « لاحول ولاقوة إلا بالله » كنزٌ من كنوز الجنة . ويعرب مثل هذا الكلام كما يلي : تأبط شراً : مبتدأ مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على آخره ، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الجملة المحكية . شاعر : خبر مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

ج ـ المبتدأ المتمم :

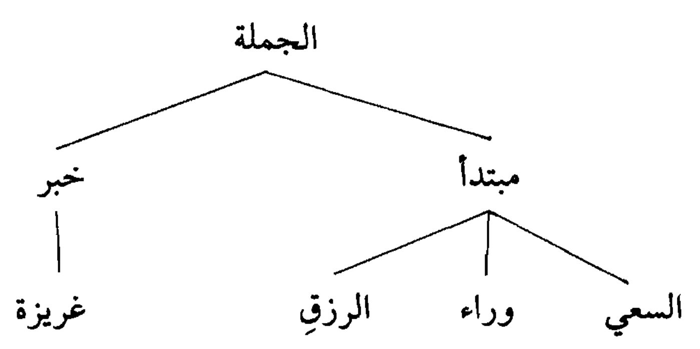
على أن المبتدأ قد يكون غير بسيط ، بل متمماً بلفظ أو أكثر ، مثل : يدُ الله مع الجماعةَ . فالمبتدأ من حيث المعنى هو : (يدُ الله) ولكنه مؤلف من عنصرين هما لفظ المبتدأ (يدُ) ومايتممه ، وهوالمضاف إليه ، أي لفظ الجلالة (الله) ، وذلك كما يوضح لك المشجّر التالي :



وقد يكون اللفظ المتمم للمبتدأ صفة ، مثّل : المدرّس الجديد حاضر . والعمل الخالص نادر . وقد يكون هناك صفة ومضاف إليه ، مثل : كتابُ النحوِ الجديدُ سهلٌ . وبيتُك القديمُ واسعٌ . . .

وربما جاءت الصفة جملة فعلية كما في قولك : عملٌ يقربك من النجاح خير لك من المال . وقصيدةٌ تطربك وتُشجيك أفضل من الاستسلام للخمول .

وقد يكون المتمم شبه جملة . مثل : الصدق في القول منجاة . والسعيُ وراء الرزق غريزةُ . فمثل الجملة الأخيرة تشجّر كما يلي :



ويتضح كل من التشجير أن المبتدأ من حيث المعنى هو (السعي وراء الرزق) ، ولكنه يحلل إلى لفظ المبتدأ : السعي . والظرف : وراء . والمضاف إليه : الرزق . وقد تأتي الصفة اسماً موصولاً ، وفي هذه الحال يتمم المبتدأ مجموع الاسم الموصول وصلته ، مثل : الرجل الذي رأيناه أمسِ حاضرٌ . والدرسُ الذي قرأناهُ البارحةَ سَهْلٌ .

د ـ الخبر المتمم :

وكما يأتي المبتدأ متمماً بعناصر تركيبيةٍ خاصة كذلك يتمم الخبر أحياناً بالعناصر نفسها ، فقد يتممه المضاف إليه ، مثل : ﴿ الله نورُ السمواتِ والأرض ﴾ (النور : ٣٥) ومثل : الجهادُ أفضلُ الأعمالِ . فالخبر في الآية هو : نورُ السمواتِ والأرض . وفي الجملة الثانية : أفضلُ الأعمال .

وقد تتممه الصفة ، مثل : الصدق صفةٌ حميدة . أو الصفة والمضاف إليه ، مثل : اللغة سمةُ الإنسانِ الوحيدةُ . أو شبه جملة ، كالجار والمجرور مثل : الجمهور معجب بإنشاد الشاعر . والبحث عميقٌ بشموله وإحاطته . أو ظرف مثل : الطيور مغردةٌ فوق الأشجار . والطائرة محلقة بين الغيوم .

وقد يكون المبتدأ مفرداً والخبر مركباً من عدة عناصر ، كقول الشاعر :

فيا قبرَ مَعْنٍ ، أنتَ (أولُ حفرةٍ   من الأرض خُطَّت للسماحةِ مضجعا)

فجميع ما أُحيط بقوسين خبر للمبتدأ (أنت) . ولكننا في الإعراب التقليدي نجعل (أول) وحدها هي الخبر ، وتعرب مابعدها إعراباً مستقلاً عنها .

هـ ـ إتمام المبتدأ والخبر :

وغالباً مايرد المبتدأ والخبر متممين ، كقول الشاعر :

أرز لبنـانَ أيكـةٌ فـي ذرانـا والفـراتـانِ مـاؤنـا والنيـلُ

فالمبتدأ : أرزُ لبنان ، والخبر : أيكة في ذرانا[1] . وتقول : عيد الأضحى عابسٌ في وجه الأطفالِ هناك . فالمبتدأ هو عيد الأضحى . وخبره مابقي من التركيب .

و ـ أشكال الخبر :

وللخبر تشكلات لفظية أكثر من تشكلات المبتدأ عدداً ونوعاً ، ويمكن أن توزع في ثلاثة أنواع : الخبر المفرد ، والخبر الجملة ، والخبر شبه جملة .

١ ـ الخبر المفرد

يقصد المصطلح « مفرد » هنا أن الخبر مؤلف من كلمة واحدة[2] لاجملة ، ولاشبه جملة ، ولكنه ـ مع ذلك ـ لايكون على صورة واحدة ، بل تتنوع صوره الشكلية كما يلي :

ا ـ اسم ظاهر :

وهذه الصورة هي الغالبة على صوره الأخرى ، تقول : هذا بحرٌ ، وذاك نهرٌ ، وخالك سعيدٌ ـ وعمك قادمٌ . وقد يكون هذا الاسم الظاهر جامداً يدل على ذات كما في قوله تعالى : ﴿ الله نورُ السموات والأرض ﴾ (النور : ٣٥)

---

(١) تقول في الإعراب : أرز : مبتدأ مرفوع . لبنان مضاف إليه مجرور ، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف . أيكة : خبر مرفوع . في : حرف حر . ذرا : اسم مجرور بفي وعلامة جره الكسرة المقدرة على الألف . و(نا) ضمير متصل في محل جر مضاف إليه ، وشبه الجملة معلقة بصفة محذوفة لـ (يكة) .

(٢) المصطلح (مفرد) يستعمل في علمي النحو والصرف ، ففي العلم الأول يعني مايُقابل الجملة وشبه الجملة ، أما في العلم الثاني فيعني مايقابل المثنى والجمع .

وقوله : ﴿ إنما أنا بشرٌ مثلكم ﴾ (الكهف : ١١٠) أو يدل على حدث ، مثل : علاجك الرياضةُ ، ودواؤك المشيُ ، وخيرُ الأعمالِ تقوى الله .

وقد يكون وصفاً مشتقاً ، كقوله تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر ﴾ (الغاشية : ٢١) وكقول أبي تمام : « السيف أصدق أنباءٍ من الكتبِ » وتقول : عملك جيد ، وذكرك حسنٌ ، وأنت مصدّق[١] ، ويغلب عليه أن يكون نكره ، ولكنه قد يُعرّف ليفيد الحصر أو غيره من المعاني الأسلوبية ، كالجملتين : علاجُك الرياضة ، ودواؤك المشيُ ، أي ليس لك علاج إلا الرياضة والمشي ، ومن مجيئه معرفة قول طرفة بن العبد :

أنا الرجلُ الضَرْبُ الذي تعرفونه خَشاش كرأس الحية المتوقّدِ[٢]

وقول المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي مَنْ به صَمَمُ

لايفيد تعريف الخبر في هذين البيتين حصراً ، يل يُفيد الشهرة بصفة خاصة . وفي كثير من الحالات يفصل بين المبتدأ والخبر المعرفين ضمير يقال له ضمير الفصل . لأنه يميز بين الخبر والصفة ، مثل : ﴿ وأولئك همُ المفلحون ﴾ (البقرة : ٥) وتقول : هذا هو الحق . وذاك هو العملُ الصحيح . وتلك هي الحديقة . وهذا الضمير لا محل له من الإعراب لأنه مجرد فاصلٍ بين المبتدا والخبر ، إلا أنه يؤكد معنى الحصر .

٢ ـ ضمير منفصل :

وهذا قليل ، تقول : ما الشاعر إلا أنت ، وما المجاهد إلا هو . وما الخطيب إلا أنا ، وإنما المقصود هو .

---

(١) المشتقات في علم النحو تختلف عما في علم الصرف ، فهي في العلم الأول تعنى ماشابه الفعل وعمل بعض عمله ، وهي أربعة مشتقات : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهه ، واسم التفضيل . ويلحق بها الاسم المنسوب ، والجامد المؤول بالمشتق . ويضيف علم الصرف إلى هذه : اسم الآلة ، واسمي الزمان والمكان .

(٢) الضرب : الخفيف اللحم . خشاش : دخّال في الأمور بخفة وسرعة ويقظة .

٣ ـ مصدر مؤول :

وهذا كثير كقوله ﷺ : « حقُ الله على عباده (أن يعبدوه) أي عبادتهم له . ومثله : ﴿ جزاؤهم (أنّ عليهم لعنةَ الله) ﴾ (آل عمران : ٨٧) أي كون لعنةِ الله عليم . ومثل : وحَسْبُكَ (أنه المثال الذي احتذى عليه شوقي)[١] أي كونه المثال .

٤ ـ جملة محكية :

كما لو قلت : ما الشاعرُ إلا (تأبط شراً) . وكما جاء في الحديث الشريف : « الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبة ، أفضلها (لا إلٰه إلا الله) » . أي أفضلها هذه الشهادة أو : هذه العبارة .

٢ ـ الخبر جملة

وإذا كان الخبر جملة لم يخرج على أن يكون جملة فعلية ، أو جملةاسمية ، مثل : ﴿ قالوا أأنت (فعلت هذا بآلهتنا) يا إبراهيم ﴾ (الأنبياء : ٦٢) ﴿ كلتا الجنتين (آتت أُكُلَها) ولم تظلم منه شيئاً ﴾ (الكهف : ٣٣) ﴿ الذين كفروا (أعمالهم كسراب بقيعة) ﴾ (النور : ٢٩) ﴿ الزجاجة ﴿ كأنها كوكبٌ دريٌ) ﴾ (النور : ٣٥) ففي الآيتين الأوليين جاء الخبر جملة فعلية في الأخيرتين جاء جملة اسمية .

وإذا أعدت النظر في الجمل الخبرية وجدت في كل منها ضميراً يعود إلى لفظ المبتدأ ، سواء أكان الضمير بارزاً أم كان مستتراً . ففي الجملة الأولى تجد التاء في (فعلت) . وفي الثانية تجد ضميراً مستّراً في الفعل (آتت) وضميراً بارزاً . في (أكلها) . وفي الثالثة تجد الضمير في (أعمالهم) وتجد في الرابعة ضميراً في (كأنها) وهذا الضمير يسمى « الرابط » ولابد لكل جملة خبرية من رابط .

تصور أنك سمعت من يقول :

ـ أبي (يؤذي الشتاءُ) .

(١) مصطفى صادق الرافعي . وحي القلم : ٣/ ٢٦٧ .

ـ كتابي (ذهبَ رفيقي) .

ألا تجد الكلام مضطرباً غير سِوِيّ ؟ إن سبب ذلك خلو الجملة الواقعة بعد المبتدأ من رابط ، ومن السهولة أن تجعل الجملتين سويتين بوضع ضمير في كل منهما ، كأن تقول :

ـ أبي (يؤذيه الشتاء) .

ـ كتابي (ذهب به رفيقي) .

على أن الرابط ليس ضميراً فحسب ، فقد يأتي على قلةٍ رابط من نوع آخر ، هو اسم الإشارة الذي يشير إلى المبتدأ ، مثل : ﴿ ولباسُ التقوى (ذلك خيرٌ) ﴾[1] . (الأعراف : ٢٦) ومثل : ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ (الواقعة : ١٠ ـ ١١) وقد يكون الرابط إعادة المبتدأ بلفظه ، مثل : فأصحابُ الميمنة (ما أصحاب الميمنة)[2] وأصحاب المشأمة (ما أصحاب المشأمة) ﴾ (الواقعة : ٨ ـ ٩) . أو يكون الرابط إعادة المبتدأ بلفظ أعمّ منه ، مثل : أخوك نعم الرجلُ[3] . وابنتُك نعمتِ الطالبةَ . فـ (الرجلُ) هو الجنس الذي ينتمي إليه المبتدأ . فهو مشمول به ، ولذلك أعيد المبتدأ بغير لفظه . أي بلفظ يشتمل عليه .

وقد يكون الرابط مفهوماً من سياق الكلام ، كما لو قلت : الكُتبُ كتابٌ بدرهم . أي كتاب منها بدرهم .

---

(١) ذا : اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع : مبتدأ . وخير : خبر مرفوع . وجملة (ذلك خير) جملة خبرية محلها الرفع ، خبر المبتدأ (لباس) .

(٢) ما : اسم استفهام مبنى على السكون في محل رفع خبر مقدم (وهذا أفضل من جعلها مبتدأ) . أصحابُ : مبتدأ وهو مضاف إليه ، والجملة الاسمية خبر المبتدأ الأول : أصحابُ .

(٣) نعم : فعل ماض جامد لإنشاء المدح . الرجلُ : فاعل مرفوع . والجملة خبر المبتدأ أخوك .

٣ ـ الخبر شبه جملة

شبه الجملة إما إن تكون ظرفاً ، وإما أن تكون جاراً ومجروراً ، مثل : ﴿ يدُ الله فوق أيديهم ﴾ (الفتح : ١٠) و﴿ والجنة تحت أقدام الأمهات ﴾ . ﴿وقلِ : الحقُ من ربكم ﴾ (الكهف : ٢٩) و ﴿ قل : الروحُ من أمر ربي ﴾ (الإسراء : ٨٥) .

وقولنا هنا « إن الخبر شبه جمله » مجاز ، لأن الخبر الحقيقي مضمر في الكلام وتتعلق به شبه الجملة ، وبهذا تكون جزءاً من الخبر لا الخبر كله . ويقدر الخبر في مثل هذه الشواهد باسمِ فاعل مشتق من الكون العام ، أي بـ « كائن » . وإن شئت قدّرته : موجود .

وههنا ملاحظة :

هي إذا كان المبتدأ من أسماء الذوات التي تشغَلُ حيّزاً من الوجود جاءت شبه الجملة المتعلقة بخبره دالة على المكان ، مثل : المفتاحُ في يدك . والسيارة أمامَ الباب . ولايمكن أن تكون في مثل هذه الحال دالة على الزمان ، فلا يُقال : المفتاح صباحاً . والسيارة ليلاً أو نهاراً . إلا إذا كانت العبارة تدل على حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ، كعبارة امرىء القيس حين سمع بمقتل أبيه : « اليوم خمرٌ وغداً أمر » . أي اليوم شرب الخمر ، وكذلك كانوا يقولون : الليلةَ الهلالَ . أي الليلةَ ظهورُ الهلال . وإلا إذا كان الظرف مخصصاً بالوصف أو الإضافة أوالعلمية ، مثل : نحن في شهرِ رمضان . والناسُ في تشرين ، وأنت في يوم العيد .

أما إذا كان المبتدأ مصدراً فمن الجائز أن تكون شبه الجملة المتعلقة بخبره دالة على الزمان أو دالة على المكان ، لأن المصدر يدل على حدثٍ ، وكما يحتاجِ الحدث إلى مكان يحتاج إلى زمان تقول : العملُ صباحاً . والصومُ غداً . والإقامةُ هنا . والركضُ في الملعب .

٤ ـ الخبر المتعدد

وقد يُخبر عن المبتدأ الواحد بأكثر من خبر ، لأن الخبر كما هو معروف ـ حكم يطلق على المبتدأ ، ومن المقبول عقلاً أن يطلق على الشيء أكثر من حكم . تقول : « هذا الرجلُ طيبُ النفس ، جميلُ الخلق ، نقي الضمير ، يحب الناس ، يتمنى لهم الخير . . . » فالكلمات : طيب ، جميل ، نقي ، والجملتان : يحب الناس ، يتمنى لهم الخير . إخبار عن المبتدأ « هذا » . وقد اتضح لك أن من الممكن أن تكون الأخبار متنوعة : مفردة وجملة .

وقد يكون الخبر متعدداً لفظاً ، ولكنه في المعنى شيء واحد ، كقولهم : الرمانُ حلوٌ حامض . فهو ليس حلواً خالصاً ، ولاحامضاً خالصا ، ولكنه يجمع بين الحلاوة والحموضة ، أي أنه : مُزٌّ . ولذلك يكون (حلو حامض) خبراً تعدد لفظه ، وتوحّد معناه ، ومنه قول حميد بن ثور يصف ذئباً :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا ، فهو يقظانُ نائمٌ[1]

أي هو بين اليقظة والنوم ، ليس بنائمٍ ، ولايقظان ، ولكنه نائم يقظان في وقت واحد .

٥ ـ الخبر المقترن بالفاء

وفي مواضع كثيرة يقترن الخبر بالفاء ، منها :

١ ـ إذا وقع المبتدأ بعد (أمّا) ، كقول الشاعر :

فلم أرَ كالمعروفِ أمّا مَذاقُهُ ... فحلو ، وأما وَجْهُهُ فجميلُ

فالخبر (حلوٌ) أخبر عن (مذاقه) والخبر (جميل) أخبر عن (وجهه) ، وقد اقترن كل منهما بالفاء لوقوع مبتدئه بعد (أمّا) وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد .

٢ ـ وإذا تضمن المبتدأ معنى الشرط ، وذلك بأن يكون اسماً موصولا صلته جملة فعلية لا اسمية ، سواء أكانت منطوقة أم كانت محذوفة تتعلق بها

---

(١) ورد في كلام ابن عقيل أن الخبرين منفصلان ، وليسا مثل : حلو حامض (١/ ٢٥٩) والبيت من قصيدة عينية ، ويروى : فهو يقظان هاجعُ .

شبه الجملة ، مثل : ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ (محمد : ٤) ومثله : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليلِ والنهارِ سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ (البقرة : ٢٧٤) ومنه : ﴿ ومابكم من نعمةٍ فمن الله ﴾ (النحل : ٥٣) أي ماستقر بكم من نعمة فمن الله .

٣ ـ ويتضمن المبتدأ معنى الشرط أيضاً إذا كان نكرة موصوفه بفعل أو بشبه جملة مثل : كل طالب يحسن القيام بواجبه فلا بُدّ من نجاحه . ومثل : كلّ عاملٍ هنا فله أجره .

ز ـ إعراب المبتدأ والخبر :

إن الحركة الإعرابية الأصيلة للمبتدأ والخبر هي الضمة ، لأنهما مرفوعان ، ولكن هذه قد تكون غير ظاهرة في النطق . لأنها إما أن تكون ثقيلة على آخر حروف الكلمة أو متعذرة الظهور عليه ، مثل : الوادي مرعى الأغنام . فالضمة حذفت بعد الياء في « الوادي » لثقلها . وبعد الألف في « مرعى » لتعذر ظهورها . وفي هذه الحال يكون إعراب المبتدأ أو الخبر تقديرياً ، تقول :

الوادي : مبتدأ مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء . منع من ظهورها الثقل .

مرعى : خبر مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء . منع من ظهورها التعذر .

وقد يكون لفظ المبتدأ أو الخبر اسماً مبنياً ، وفي هذه الحال يكون الإعراب محلياً ، مثل : كيف أنت ؟ فكيف : اسم استفهام مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم . وأنت : ضمير رفع منفصل مبنى على الفتح في محل رفع مبتدأ مؤخر .

على أن الضمة ليست هي الحركة الإعرابية الوحيدة لكل من المبتدأ والخبر ، فقد يكونان مجرورين لفظاً بحرف من حروف الجر الزائدة . وتفصيل ذلك مايلي :

١ ـ جر المبتدأ بالباء الزائدة :

يجر المبتدأ بالباءِ الزائدةِ إذا كان لفظه « حسب » أو وقع بعد « إذا » الفجائية ، كقوله ﷺ : « بِحَسْب ابن آدمَ لُقيماتٌ يقمنَ صُلْبه » وقول الأشعر الأسدي :

بحسبك في القومِ أن يعلموا ... بـأنـك فيهـمْ غنـي مُضِـرْ

ومثل : خرجت فإذا بصديقٍ قديم ينتظرني . ويكون الإعراب في الموضعين كما يلي :

بحسبك أو بصديق : الباء حرف جر زائد ، والاسم المجرور به مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ . على أن الباء الزائدة قد تدخل على مابعد « حَسْبُ » كقول عمران بن حطان :

فـاعْمَـلْ فـإنـك مَنْعِـيٌّ بـواحـدةٍ ... حَسْبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِ

وفي هذه الحال تكون « حسب » خبراً مقدماً ، ويكون مادخلت عليه الباء مبتدأ مؤخراً . وليس من اللازم أن تزيد الباء في مثل هذه الحال ، لأن زيادتها جائزة لاواجبة ، وكثيراً مايأتي الكلام من دونها ، كقوله تعالى : ﴿ حَسْبُهم جهنَمُ يَصْلَوْنها ﴾ (المجادلة : ٨) وقوله : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حَسْبُه ﴾ (الطلاق : ٣) ويُقال : خرجت فإذا صديق قديم ينتظرني[١] .

٢ ـ جره بـ « من » الزائدة :

ويجر المبتدأ كذلك بـ « من » الزائدة : وفي هذه الحال لابد له من استيفاء شرطين :

الأول : أن تكون الجملة منفية أو استفهامية وأداة الاستفهام « هل » .

الثاني : أن يكون لفظ المبتدأ نكرة لامعرفة ، كقوله تعالى : ﴿ والظالمون مالهم (من وليٍّ) ولا نصير ﴾ (الشورى : ٨) وقوله : ﴿ هل (من خالقٍ) غيرُ الله يرزوقكم ﴾ (فاطر : ٣) .

---

(١) يشبه حسبك في وقوعها مبتدأ مايلي : فصارك ، وقصاراك ، وغايتك ، وكفايتك ، وشرعك يقال : قُصاراك أن تفعل كذا . أي حسبك . ومثلها بقية الكلمات .

٣ ـ جره بـ (رّب) :

وكثيراً مايُجر المبتدأ بربَّ ، ويشترط فيه هنا أن يكون نكرة أيضاً ، كقولهم : رُبَّ أخٍ لك لم تلدْهُ أمُّك . و« رُبَّ مبلَّغٍ أوعى من سامعٍ » و « يارُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ يوم القيامة » . « وربَّ عَجلةٍ وهبتْ ريثاً » . ويُعرب المبتدأ هنا على الشكل التالي :

رُبّ : حرف جر شبيه بالزائد .

أخٍ : اسمٌ مجرورٌ لفظاً مرفوع محلاً ، مبتدأ .

وقد تحذف « رُبّ » بعد واو يُقال لها واو ربّ ، وهي من حيث الإعراب استئنافية[1] ، كقول امرىء القيس :

وليلٍ كموجِ البحر أرخى سدولَهُ   علـيّ بـأنـواعِ الهمـومِ ليبتلـي

فالواو واو رُبّ ، حرف استئناف . وليلٍ : اسم مجرور برُبّ المحذوفة لفظاً ، مرفوع محلاً ، مبتدأ .

٤ ـ جر الخبر بالباء الزائدة :

وكذلك يُجر خبر المبتدأ أحياناً بباء زائدة إذا وقع في حيز النفي ، ولاسيما إذا كانت أداة النفي « ما » كما في ﴿ وما ربُّك بظلامٍ للعبيد ﴾ (فصلت : ٤٦) ﴿ ومالله بغافلٍ عما تعملون ﴾ (آل عمران : ٩٩) ﴿ ما أنا بباسطٍ يدي إليك لأقتلك ﴾ (المائدة : ٢٨) ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ (الأنعام : ١٠٤) ومنه قول امرىء القيس :

ألا أيهـا الليـلُ الطـويـل ألا انجلـي   بصبْحٍ ، وما الإصباحُ (منك بأَمْثَلِ)

وقد تكون أداة النفي « لا » وهذا قليل ، كقول سواد بن قارب :

وكـن لـي شفيعـاً يـوم لاذو شفـاعـةٍ   بمغـنٍ فتيـلاً عـن سـوادِ بـن قـاربِ

ويُعرب الخبر في مثل هذه العبارات كمايلي :

بظلام : الباء حرف جر زائد . ظلام : اسم مجرور لفظاً بالباء الزائدة ،

---

(١) لما كان القدماء لا يقولون بواو استئنافية لم يكن في مُكنتهم إلا أن يعربوها حرف عطف .

مرفوع محلاً ، مبتدأ[1] .

ح ـ تعريف المبتدأ وتنكيره :

قلنا في تحديد المبتدأ : إنه مانتحدث عنه . وهذا يقتضي أن يكون معروفاً ، إذ لامعنى لأن نتحدث عن شيءٍ مبهم الدلالة ، غير واضح في ذهن السامع ومن هنا كان الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة كما ترى في الأمثلة التالية :

ـ ﴿ النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ (الأحزاب : ٦) المبتدأ معرف بـ « أل » العهدية فجاز للاسم أن يكون مبتدأ .

ـ سعادة أبيك أن يراك ناجحاً في الحياة . أضيفت النكرة « سعادة » إلى معرفه « أبيك » فصارت معرفة ، وجاز أن تكون مبتدأ .

ـ بلى ، أنا مشتاق وعندي لوعة . المبتدأ « أنا » ضمير ، والضمير معرفة .

ـ هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهم . المبتدأ « هذا » اسم إشارة ، وهو معرفة .

ـ الذين يعملون سيجدون نتيجة جهودهم . المبتدأ هنا اسم موصول ، وهو معرفة .

ـ دمشق عاصمة الأمويين الزاهرة . المبتدأ اسم علم ، وهو معرفة .

وكما جاز أن يُعرف المبتدأ بـ « أل » العهدية التي تعرف الاسم ، كذلك يجوز أن يكون محلى بـ « أل » الجنسية ، وإن لم يَصِرْ بها معرفة محضة ، نقول : السعادة حلم الإنسان . والأسد أقوى الوحوش . والمرأة أقرب من الرجل إلى نفوس الأطفال . والجامعة أعلى مستوى من المدرسة .

هذا هو الأصل العام ، ولكن قد تقع النكرة مبتدأ أيضاً ، ولذلك حالات

(١) يمكن أن تُعرب « ما » في الآيات القرآنية : نافية تعمل عمل (ليس) . وعلى هذا تكون الباء زائدة في خبر (ما) لا في خبر المبتدأ ، لأن القرآن نزل بلغة الحجاز كما هو معروف ، ولكن هذا لا يجوز مع شعراء نجد وغيرهم الذين ليسوا من الحجاز .

كثيرة تُربي على الأربعين يمكن اختصارها ، ويمكن الاكتفاء بالحالات التالية منها :

١ ـ النكرة المخصصة :

آ ـ وتخصص النكرة بالوصف ، وذلك مثل : سؤالٌ حائرٌ يتواثب في ذهني ، ولكني لاأريد البوح به . معطف ثمينٌ ضعفتُ أمام الرغبةِ في امتلاكه . عيدٌ شاحبٌ مرّ على الناسِ ولم يحمل إليهم إلا رائحة التدمير . ومنه قول الشاعر :

قليـــلٌ منـــكَ يكفينـــي ، ولكـــن قليلـــكَ لايُقـــال لـــه : قليـــلُ

ب ـ وتخصص النكرة أيضاً إذا أضيفت إلى نكرة مثلها ، مثل : خمسُ صلواتٍ كتبهنُ الله عليكم . قطعة قماش تستر جسده الناحل . قراءة مجلة تخفف عنك الشعور بالوحدة . عمل ساعة من النهار يجدد نشاطك .

ج ـ وتخصص النكرة أيضاً بتصغيرها ، مثل : دريهمٌ خير من لاشيء . كليب يداعب طفلاً . لأن التصغير فيه معنى الوصف . فكأنك قلت : كلب صغير يُداعب طفلاً .

د ـ وقد يجتمع على النكرة أكثر من مخصص ، كأن تكون موصوفة ومصغرة في آنٍ واحد ، مثل : قُميَر شاحبٌ يطل على الأرضِ ، أو مضافة وموصوفة مثل : قطعة قماشٍ مهترئة تستر جسده الناحل .

٢ ـ النكرة المعممة :

آ ـ وتعمم النكرة إذا سبقت بنفي ، مثل : ما أحدٌ خيرٌ من أحد . ماخِلٌ لنا .

ب ـ إذا سبقت باستفهام ، مثل : ﴿ أإلٰهٌ مع الله ﴾ (النمل : ٦٠) هل فتى فيكم ؟

ج ـ أو جُرّت برّب ، مثل : ربّ رميةٍ من غير رام . وربّ عجلة تَهَبُ رَيْثاً .

د ـ أو وقعت بعد « لولا » مثل :

لـولا اصطبـارٌ لأودى كـل ذي مِقَـةٍ لمـا استقلـتْ مطـايـاهـن للظَّعَـنِ

و ـ وإذا كانت النكرة عامة في الأصل جاز أن تكون مبتدأ ، كأن تكون اسم شرط ، أو اسم استفهام ، أو « كم » الخبرية ، مثل « ومن يفعل ذلك يلقَ أثاماً » (الفرقان : ٦٨) ﴿ ومايدريك ؟ لعله يزكى » (عبس : ٣) وكقول أبي تمام :

كم بين حيطانها من فارسٍ بطل قاني الذوائب من آني دمٍ سَرِبِ[١]

٣ ـ أن تكون النكرة عاملة :

كأن يتعلق بها جار ومجرور أو ظرف ، كقوله ﷺ : « أمرٌ بمعروفٍ صدقة ، ونهيٌ عن منكر صدقه » أو تنصب مفعولاً به أو ترفع فاعلاً أو نائبه ، مثل : إطعام ستين مسكيناً فدية الإفطار . أشاعرٌ أبوك بما يحدث ؟ أمحمولٌ على النعش الهمام ؟

٤ ـ سَبْقه بشبه جملة مختصة :

ويجوز أن يكون المبتدأ نكرة محضة إذا كان خبره شبه جملة مختصة متقدمة عليه ، مثل : ﴿ ولكم في القِصاص حياةٌ ﴾ (البقرة : ١٧٩) ولأخي مالٌ . وعنده مكتبة . ومثل : ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ (يوسف : ٨٦) ﴿ ولكل أجلٍ كتابٌ ﴾ (الرعد : ٣٨) .

ومعنى أن تكون شبه الجملة مختصة أن يكون الاسم المجرور بحرف الجر ، أو بإضافة الاسم أو الظرف إليه مما يصح وقوعه مبتدأ .

فالمجرور في الآية ضمير المخاطب ، ويمكن أن يقع مبتدأ في جملة ما ، كأن يقال : أنتم الأكرمون . وهو في الجملة التالية : « أخي » ويمكن أن يكون مبتدأ ، مثل : أخي عالمٌ . وكذلك « كل ذي علم » و « كل أجل » . ولكن لايجوز أن تقول : في بيتٍ مكتبة . أو : عند رجلٍ كتابٌ . لأن « بيت » و « رجل » لايمكن أن يكونا مبتدأين .

---

(١) تعرب (مَنْ) في الآية الأولى : اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ . وتعرب (ما) في الآية التالية : اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ . وتعرب (كم) في بيت أبي تمام : (كم) الخبرية مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ .

٥ ـ أن تكون النكرة بمعنى الفعل أو فيها معنى إنشائي :

كالدعاء ، مثل : ﴿ سلامٌ عليكم بما صبرتم ﴾ (الرعد : ٢٤) ومثل ﴿ ويلٌ لكل هُمَزَةٍ لُمَزَة ﴾ (الهمزة : ١) أو التعجب ، كقول الشاعر :

عجبٌ لتلك قضيةً وإقامتي   فيكم على تلك القضية أعجب

٦ ـ أن تقع بعد واو الحال :

مثل : أقبل وسيفٌ في يده . نام وابتسامة تعلو محياه ، ومنه قول الشاعر :

سَرَيْنا ونجمٌ قد أضاءَ فمذ بدا   محياكَ أخفى ضوْؤهُ كل شارق .

وقد تكون واو الحال مقدره غير ظاهره ، كقول الشاعر الحماسي :

تركتُ ضأني تود الذئبَ راعيَها   وأنّها لاتراني آخر الأبد

الذئبُ يطرقها في الدهر واحدةً   وكلَّ يوم تراني (مُدْيةٌ بيدي)

٧ ـ أن تفيد التنوع والتقسيم :

كقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ (عبس : ٣٨ ـ ٤٠) ومنه قول امرىء القيس :

فأقبلتُ زحفاً على الركبتينِ   فثوبٌ لبستُ وثوبٌ أجرُّ

أي : فثوبٌ لبسته ، وثوبٌ أجره . وتقول : الحياة خبرة ومعاناة ، فيومٌ لك ويومٌ عليك . وكان العرب يقولون : شهرٌ ثرى ، وشهرٌ ترى ، وشهرٌ مَرْعى . وكل هذه النكرات مبتدآت لأنها أفادت التنوع والتقسيم .

٨ ـ إذا عطفتَ عليها نكرة موصوفة :

كقوله تعالى : ﴿ طاعة وقولٌ معروف ﴾ (محمد : ٢١) هذه المواقع ـ ومالم أذكره من أمثالها[1] ـ ترتد إلى شيء واحدٍ ، هو «الإفادة» ، فإن أفادت النكرة جاز الابتداء بها ، وإن لم تفد لم يجز .

---

(١) ذكرنا في هذه الفقرات ما يزيد على خمسة عشر موضعاً ، وقد وصل بها بعضهم إلى ما يزيد على أربعين .

ط ـ رتبة المبتدأ والخبر :

تعني الرتبة في النحو العربي نظام تركيب الكلمات في الجملة ، فالمبتدأ مثلاً له موقع ، والخبر له موقع أيضاً ، ولكل جزء من أجزاء الجملة حُدّد له موقع خاص ينزل به ، وهيكل الجملة الاسمية من حيث الترتيب هو :

المبتدأ + الخبر

ومعظم مامر بك من أمثلة يدل على هذا .

والرابط الذي يجمع بين المبتدأ والخبر في اللغة العربية رابط ذهني لالفظي ، فليس ثمة فعلُ كونٍ يربط بينهما ، كما هي الحال في الإنجليزية والفرنسية . فأنت تقول : السماء صافية ، والنجوم متلألئه . ولاتقول السماء تكون صافية ـ أو النجوم هي طالعة .

وخلو الجملة الاسمية من فعل كون رابط أتاح للمتكلم ، ولاسيما المبدع ، أن يتصرف في موقع المبتدأ والخبر . فيقدم الخبر حيناً ، ويؤخره حيناً آخر ، لغرض أسلوبي تعبيري دقيق ، كأن ينقل إحساسه بشيء ما ، أو اهتمامه به ، فإذا قال : الحياة تعب ، كان شعوره بتعب الحياة بسيطاً طبيعياً ، ولكنه لو قال : تعبٌ الحياةُ ، لأومأ إلى شِدّة إحساسه بتعب الحياة ، لأن الخبر المقدم يدل على اهتمام القائل به .

وتتضح القيمة التعبيرية لتقديم الخبر على المبتدأ في السياق العام ، تأمل قوله تعالى ، يتحدث عن المنافقين ويرد على تآمرهم : ﴿ هم الذين يقولون : لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، و (ولله خزائن السموات والأرض) ، ولكن المنافقين لايفقهوه ﴾ (المنافقون : ٧) فلماذا قدم شبه الجملة الخبرية (لله) على المبتدأ (خزائن السماوات) ؟ إن في ذلك رداً على قولهم : لاتنفقوا على من عند رسول الله . . . وتقديم الخبر هنا يفيد الحصر ، فليست خزائن السماوات والأرض إلا لله . هو صاحب المال والإنفاق ، فإذا تخلوا عن ضعاف المسلمين فالله يغنيهم . هذا هو المعنى الذي يحمله تقديم

الخبر على المبتدأ ، ولو قال : خزائن السماوات والأرض لله . لكان الرد يفتقر إلى الحصر ، ولما كان مناسباً للمقام .

فالتقديم والتأخير في الجملة العربية إذن وسيلة تعبيرية ذات أهمية ، غير أنهما في بعض الأحيان يفقدان قيمتهما التعبيرية لأنهما يكونان واجباً لا اختياراً . يقتضيهما التركيب في العبارة العربية ، فمرة يكون من الواجب تقديم المبتدأ ، ومرة أخرى يكون تقديم الخبر هو الواجب .

١ ـ وجوب تقديم المبتدأ :

آ ـ إذا كان المبتدأ لفظاً من ألفاظ الصدارة ، كأن يكون اسماً من أسماء الشرط أو الاستفهام ، أو « ما » التعجبية ، أو « كم » الخبرية ، كقول زهير :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَفِرْهُ ، ومن لايتق الشتمَ يُشتم

ومثل : مَنْ دَرَّبَكَ على قيادة السيارة ؟ وكم خبيراً أشرف على بناء هذا المستشفى ؟ وما أحسن أن يكون لنا هدف نسعى إلى تحقيقه . وكم في هذه الحياة من مظلومين . وأيُّ الأعمال أحب إلى الله ؟

ب ـ أن يكون المبتدأ مقصوراً على الخبر ، ويكون القصر أو الحصر بأحد أسلوبين : ما . . . إلا . أو (إنما) . فمن الأول قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ (آل عمران : ١٤٤) وقول المتنبي :

وما أنا إلا سمهريٌّ حملته فزيّن معروضاً وراع مسددا

إذ لايجوز هنا أن تقول : وما إلا رسول محمد . ومن الأسلوب الثاني : قوله تعالى : ﴿ فذكر ، إنما أنت مذكر ﴾ (الغاشية : ٣١) وقوله : ﴿ إنما أنا بشرٌ مثلكم ﴾ (الكهف : ١١٠) فلا يجوز أن يقال : إنما بشر أنا . إلا للدلالة على معنى آخر .

ج ـ أن يكون المبتدأ مقترناً بلام الابتداء ، مثل : ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ (الضحى : ٤) وتقول ميسون :

لبيتٌ تخفق الأرواح فيه أحب إليَّ من قصرٍ مُنيفِ

د ـ ويقدم المبتدأ وجوباً إذا أحدث تأخيره لَبْساً بينه وبين خبره ، فيقدم

ليزول اللبس ، ويحصل هذا إذا كان كل من المبتدأ والخبر معرفة[1] وليس في الكلام قرينة تحدد المبتدأ وتميزه من الخبر ، كقولك : عليٌّ أخوك . أو : شريكي عليٌّ . فالمقدم في الجملتين هوالمبتدأ ، والمؤخر هو الخبر .

ولكن إذا كان هناك دليل على المبتدأ ، وعلى الخبر جاز تقديم الخبر ، لزوال اللبس بالدليل ، كقول أبي تمام يصف قلم الوزير :

لعابُ الأفاعي القاتلاتِ لعابُهُ وأرْيُ الجنى اشتارتْهُ أيْدٍ عواسلُ

فإن القصد من البيت هو تشبيه لعاب القلم ، أي حبرهُ ، بلعاب الأفاعي ، ولذلك كان من البيّن أن (لعابه) هو المبتدأ وهو مؤخر كما ترى ، وكان (لعاب الأفاعي) خبراً مقدماً وإن كانا متساويين في التعريف .

هـ ـ أن يقع في الخبر فاءُ جواباً لأما ، أو جواباً لاسم موصول وقع مبتدأ . كقول الشاعر :

ولم أرَ كالمعروف أما مذاقه فحلوٌ ، وأما وجهه فجميل

وقوله تعالى : ﴿ الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذابٍ أليم ﴾ (التوبة : ٣٤) .

و ـ أن يكون في الخبر باء زائدة حين يقع بعد « ما » النافية : « وما ربك بظلام للعبيد . . . »

٢ ـ وجوب تقديم الخبر :

ويقدم الخبر وجوباً في المواضع التالية :

آ ـ إذا كان من ألفاظ الصدارة ، مثل : كيف حالك ؟ وأين مَتْجرك ؟ ومتى سفرك ؟ وما شأنك ؟ [2]

ب ـ إذا كان المبتدأ نكرة غير مفيدة أُخْبر عنها بظرف أو بجارٍ ومجرور ، مثل : في يدي كتاب . وعندي صديق . ولي وطرٌ . وثمة خيرٌ . وههنا

(١) ويضيف النحاة أيضاً : إذا كان نكرة صالحة للابتداء بها ، ويأتون بجمل ركيكة جداً ليست من العربية في شيء .

(٢) تعرب أسماء الاستفهام الواردة في الجمل الأربع خبراً مقدماً وجوباً ، وما بعدها مبتدأ .

راحة . أما إذا كانت النكرة مفيدة ، كأن تكون موصوفة أو مضافة ، فحينئذ يكون تقديم الخبر جائزاً لاواجباً ، مثل : له مالٌ وفير . وفي حديقته شجرة ليمونٍ . إذ يمكن أن نقول : مالٌ وفير له . وشجرة ليمون في حديقته .

ج ـ إذا كان في المبتدأ ضمير يعود إلى بعض الخبر . وحينئذ تقتضي قواعد الجملة العربية تقديم الخبر ليعود الضمير من المبتدأ إلى متقدم عليه ، ولو وقع المبتدأ في موقعه لعاد الضمير إلى متأخر في اللفظ وفي الرتبة ، كقوله تعالى : ﴿ أم على قلوبٍ أقفالُها ﴾ (محمد : ٢٤) فالضمير (ها) يعود إلى (القلوب) وهو بعض الخبر (على قلوب) . وكقول نصيب أو المجنون :

أهابكِ إجلالاً ومابكِ قدرةٌ علـيَّ ، ولكنْ مِلْءُ عينِ حبيبُها

الضمير (ها) يعود إلى (عين) وهو بعض الخبر .

ي ـ المبتدأ المحذوف :

لما كان الغرض من الكلام هو إيصال مافي النفس إلى المخاطب كان من الطبيعي أن يحذف المتكلم من كلامه لفظ المبتدأ إذا كان الموقف أو سياق التركيب يدل عليه . ولهذا الحذف مستويان : حذف جائز ، وحذف واجب .

١ ـ حذف المبتدأ جوازاً :

ـ إذا سمعت صوتَ صديق لك من وراء حاجز . فقد تدفعك الفرحة بقدومه إلى أن تقول : عبدُ الله . أي هذا عبد الله . وإذا قُدِّمت إليك صورة تعرف صاحبها فقد تقول : أحمد . أي هذا أحمد . وإذا أطلعك أحد رفاقك على عمل قام به ، ويتسم بالدقة والمهارة . فقد تقول : جيد ، أو : ذكي ، أو : ماهر . أي عملك جيد ، أو : أنت ذكي ، أو أنت ماهر . وإذا قدم إليك أحد زملائك خدمة ماقلت له : مشكور . أي أنت مشكور .

ـ هذا في اللغة اليومية الدارجة ، أما في اللغة الأدبية الراقية فيكثر حذف المبتدأ إذا كان في السياق مايدل عليه ، ولاسيما في لغة الحوار المتبادل ، كما ترى في هذا الحوار بين فرعون وموسى : ﴿ قال فرعون : ومارَبُّ العالمين ؟ قال : ربُّ السماوات والأرض وما بينهما ﴾ (الشعراء : ٢٣ ، ٢٤) . فقد

ذكر المبتدأ في جملة السؤال ، فجاز حذفه في جملة الجواب ، فلم يقل موسى : ربُّ العالمين ربُّ السماوات . ولم يقل أيضاً : هو ربُّ السماوات . بل اكتفى بذكر الخبر لأن سياق التركيب يدل على المبتدأ . ومثل ذلك قول القطامي :

ولما تنازعنا الحديثَ سألتُها مَنِ الحيُّ ؟ قالت : مَعْشَرٌ من محارب

أيّ : الحيُّ معشرٌ من محارب .

ـ ويحذف المبتدأ أيضاً في غير لغة الحوار ، وذلك إذا سبق له ذكر في الكلام ، كما ترى في هذه الآية : ﴿ لايسأمُ الإنسان من دعاء الخير . وإن مسّه الشر فيؤوس قنوط ﴾ (فصلت : ٤٩) . أي : فهو يؤوس قنوط . ومثله : ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ﴾ . (الشورى : ٣٦) أي : فهو متاع الحياة الدنيا . ومثله فيما جاء من قصة أهل الكهف : ﴿ سيقولون : ثلاثةٌ رابُعم كلبهم ﴾ (الكهف : ٢٢) أي : هم ثلاثة .

ـ ويجوز كذلك حذف المبتدأ من غير أن يرِد له ذكر سابق في الكلام ، وذلك حين يكون ضميراً للمتكلم أو للمخاطب ، وهذا واضح في الآية : ﴿ وبَشَّروهُ بغلامٍ عليم ، فأقبلت امرأتُه في صَرّةٍ فصكت وجهها . وقالت : عجوزٌ عقيم ﴾ (الذاريات : ٢٨ ، ٢٩) أي : أنا عجوز عقيم .

ومنه ماجاء في مَثَلٍ قديم للعرب هو : « مُحسنةٌ فهيلي » . أي : أنتِ محسنةٌ . ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

تقول ابنةُ الكعبي يومَ لقيتُها أمنطلق في الجيش أم متثاقِلُ

أي : أأنت منطلق .

ـ ومن أساليب حذف المبتدا في اللغة العربية قولُهم : مامنهم ماتَ حتفَ أنفِهِ ، وقولهم : منا يفعلُ كذا ، ومنا من لايفعلُهُ . أي : مامنهم أحدٌ مات حتفَ أنفه ، ومنا منْ يفعلُ ، ومنا منْ لايفعلُ . . . ومن ذلك قولُ ذي الرمة :

فظلوا ومنهم دمْعُهُ سابِقٌ له وآخر يثني دمْعَةَ العيْنِ بالهَمْلِ

وقول حكيم بن معية :

لو قلت : مافي قومها لم تِيْثَم يفْضُلَها في حَسَبٍ وميسَمِ

فتقدير الأول : ومنهم مَنْ دمعُهُ ... والثاني : مافي قومها أحدٌ يفضُلُها .

٢ ـ حذف المبتدأ وجوباً :

ويحذف المبتدأ وجوباً في حالات خاصة ، استقرتَ نظاماً راسخاً في الجملة العربية ، وهذه الحالات هي :

ـ إذا كان الخبر مصدراً نائباً عن فعله ، وذلك كما ترى في قوله تعالى : ﴿ الطلاقُ مرتان : فإمساك بمعروفٍ ، أو تَسريحٌ بإحسانٍ ﴾ (البقرة : ٢٢٩) فالخبر هو : « إمساك » ، وهو كما ترى مصدر حلّ محلَّ فعْله ، والأصل : فلتمسكوهُنّ بمعروف . وتقدير الكلام : الطلاق مرتان : فواجبكم إمساك بمعروف[١] . ومن هذا القبيل أيضاً قوله تعالى : ﴿ بل سوّلتْ لكم أنفسكم أمراً ، فصَبْرٌ جميل ﴾ (يوسف : ١٨ ، و٨٣) . أي فشأني صبر جميل . ومنه أيضاً قول منذر بن درهم :

فقالت حَنانٌ ، ما أتى بك ههنا   أذو نسب أم أنت بالحيِّ عارفُ

أي : شأني حنانٌ عليك . وكان بعض الفصحاء إذا سئل : كيف أصبحت يقول : حمدُ الله ، وثناءٌ عليه . أي شأني كذلك[٢] .

ـ إذا كان الخبرُ في الأصل نعتاً قُطعَ عن موصوفه لغرضٍ دلالي ، كالمدح أو الذم أو الترحم ، أو لفت النظر إلى قيمة صفة من الصفات ، كأن تقول : قرأتُ ديوان المتنبي الشاعر الفيلسوفِ الفارسُ . برفع (الفارس) ، فأنت ترى أن هذه الصفة كانت في الأصل نعتاً للمتنبي ، ولكنه قطع عنه ليلفت الانتباه إلى قيمة وصفه بالفروسية ، وبهذا يكون التقدير : هو الفارسُ ، وتقول :

(١) يمكن أن نلتمس في بعض هذه العبارات وجهاً آخر لا يخالف المعنى ، كأن نذهب إلى حذف الخبر ، مثل : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام » . (البقرة : ١٩٧) أي فعليه فدية .

(٢) يجوز في كثير من هذه المواضع النصب ، كأن تقول : حناناً ، أو صبراً جميلاً ، أو : إمساكاً بمعروف . ولكن في هذه الحال يختلف المعنى ، ففي النصب يكون معنى طلب القيام بالعمل ، أما في الرفع فيدل على أن الحدث حاصل ومستقر .

اضطررت إلى العيشِ في بيئةٍ متخلفةٍ رديئةٍ مختلةُ النظام. أي هي مختلة النظام.

ـ ويحذف المبتدأ وجوباً أيضاً إذا كان خبره مشعراً بالقسم، مثل: في ذمّتي لاسافرَنّ. أي في ذمّتي يمينٌ أو قسمٌ، أو عَهْدٌ[1].

ك ـ الخبر المحذوف:

وكذلك يحذف الخبر جوازاً ووجوباً . . .

١ ـ حذفه جوازاً:

فإذا دل عليه شيء في المقام، أو في السياق جاز حذفه، انظر في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الجنةَ التي وُعد المتقون، تجري من تحتها الأنهار، أُكلُها دائمٌ وظِلُّها ﴾ (الرعد: ٣٥) أي: وظلها دائمٌ كذلك. ولكنه لما كان مماثلاً للخبر المذكور (دائم) جاز حذفه وحَسُنَ.

ومثله قول الشاعر:

وليس قولُكَ مَنْ هذا؟ بضائرِهِ العُرْب تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ

أي: والعجم يعرفون أيضاً. وكقول المتنبي:

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والسيفُ والرمحُ والقِرطاس والقلم

أي: والسيف والرمح . . . تعرفني أيضاً. وتقول: هل مِنْ فارسٍ؟ وهل من مقاتل كما في قول الشاعر:

أسِرْبَ القطا هل من معيرٍ جناحَهُ لعلي إلى من قد هَوِيتُ أطيرُ

أي: هل من معير جناحه موجود فيكِ.

وكثيراً مايحذف خبر المبتدأ المجرور بـ (رب)، كقول جميل بثينة:

ولَرُبَّ عارضةٍ علينا وَصْلَها بالجدِّ تخلِطُهُ بقولِ الهازلِ

أي: ولرب عارضة علينا وصلها موجودة. ومثله قول هند بنت عتبة:

يارُبَّ قائلةٍ غداً يالهفَ أمَّ معاوية

أي: رب قائلة غداً موجودة.

---

(١) ذكر النحاة موضعين آخرين: أحدهما في جملة المدح والذم، والثاني بعد (ولا سيما)، ولكل منهما وجه آخر، فلا حاجة بنا إلى ذكرهما.

٢ ـ حذفه وجوباً :

ويحذف وجوباً في عدة مواضع :

١ ـ أن يكون لفظ المبتدأ من ألفاظ القسم الصريحة ، أي التي تستعمل في الأصل لليمين ، وإذا استعملت في غيره احتاجت إلى قرينة ، مثل : لعمرك ، لعمري ، يمينُ الله ، أيمُ الله .

وازن بين الجمل التالية :

ـ لعمرُكَ لأسافرنّ = ليمينُ الله لأسافرنَّ .

ـ عهدُ الله لأسافرنّ .

ـ ﴿ وأوفوا بعهدِ الله إذا عاهدتم ﴾ (النحل : ٩١) .

نلاحظ أن (عهد الله) استعملت مرة للقسم ، ومرة أخرى لغير القسم ، فهي إذاً ليست نصاً صريحاً في القسم ، أما (لعمرك) فهي للقسم الصريح لأنها لاتستعمل في غيره إلا بقرينة ومثله : يمين ، وأيم .

فإذا كان المبتدأ نصّاً في القسم صريحاً وجب حذف الخبر كما رأيت في الجملة المزدوجة الأولى ، وتقديره : قسمي . أما إذا كان نصاً غيرَ صريح في القسم كما في الجملة الثانية، جاز لك حذفه، كما رأيت، وجاز ذكره، كما في:

عهدُ الله عليّ لأسافرنّ . أو = عليّ عهدُ الله لأسافرنّ .

فقد ذُكر شيء من الخبر وهو شبه الجملة (عليّ) .

٢ ـ ويحذف الخبر وجوباً أيضاً إذا كان كوناً عاماً وأَخبر عن مبتدأ واقع بعد (لولا) ، كقوله تعالى : ﴿ لولا كلمة الفصلِ لقُضي بينهم ﴾ (الشورى : ٢١) إذ التقدير : لولا كلمة الفصل موجودة ، أو كائنة . وتقول : لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلّهُمُ . ولولا أنت لم أبلغ ماأتمنى . ولولا الحياءُ لعادني استعبارُ . أما إذا كان الخبر كوناً خاصاً فيجب ذكره إلا إذا دل عليه دليل . فقد جاء في الحديث النبوي : « لولا قومُك حديثو عهدٍ بالاسلام لبنيتُ الكعبة على قواعد إبراهيم » .

ومنه قول الإمام الشافعي :

ولولا الشعرُ بالعلماء يُزري   لكنتُ اليومَ أشعرَ من لبيدِ

وكقول المعري :

يـذيـبُ الـرعـبُ منه كـل عَضْـبٍ فلـولا الغِمْـدُ يمسكـه لسـالا

وعدّ منه بعض النحويين[1] قوله تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ﴾ (النساء : ٨٣) وقوله : ﴿ ولولا فضلُ الله عليكَ ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ﴾ (النساء : ١١٣) إذ ذُكر هنا جزء من الخبر ، وهو شبه الجملة (عليكم) و (عليك) .

٣ ـ أن يقع بعد المبتدأ اسم معطوف بواوبمعنى (مع) ، مثل : أنتَ وشأنُك . كل رجلٍ وعملُه . أي : أنت وشأنك متروكان ، وكلُّ رجلٍ وعملُه مقترنان . فمثل هذا الكلام تام لا يحتاج إلى خبر ، إذ يعني : أنت مع شأنك . وكل رجل مع صنيعته .

وإذا لم تكن الواو بمعنى (مع) فإن الكلام لايتم معنىً بغير الخبر ، كأن يقال مثلاً : أنت وأخوك متشابهان . والصيفُ والشتاءُ فصلانِ من فصول السنة . والمتنبي والمعري شاعران عربيان .

٤ ـ أن تسُدَّ مسد الخبر حالٌ لاتصلح أن تكون خبراً للمبتدأ المذكور . وفي هذه الحال يكون المبتدأ مصدراً مضافاً إلى معموله ، أو اسمَ تفضيل مُضافاً إلى مصدرٍ صريح أو مصدر مؤول ، تقول : علمي بأخيك ذا مالٍ . وعهدي به مسافراً . فالحال (ذا) في الجملة الأولى لاتصلح أن تكون خبراً للمبتدأ (علمي) ، لأن (ذا مال) غيرُ العلم . وكذلك لاتصلح (مسافراً) أن تكون خبراً للعهد . ومن ذلك قول الراجز رؤبة :

ورَأْيُ عينـيَّ الفتـى أخـاكـا يُعطـي الجـزيـلَ فعليـك ذاكـا

فالمبتدأ (رأيُ) لاخبر له ، لأن الجملة (يعطي الجزيل) حال سدت مسد الخبر .

ولعلك لاحظت أن المبتدأ جاء في الشواهد السابقة مصدراً ، أما الأمثلة والشواهد التي جاء فيها المبتدأ اسم تفضيل فمنها قول الرسول ﷺ : « أقربُ

(١) انظر ابن الشجري . الأمالي : ٢/ ٢١١ .

مايكون الإنسان من ربه وهو ساجد » ومنه قول الشاعر :

خيرُ اقترابي من المولى حليفَ رضاً وشرُّ بُعدي عنهُ وهو غضبان

ففي الحديث النبوي أضيف اسم التفضيل إلى مصدر مؤول (ما يكون) وأغنت الجملة الحالية (وهو ساجد) عن الخبر . وفي البيت أضيف اسم التفضيل في السطرين إلى مصدر صريح (اقترابي) و (بُعدي) . وأغنت الحال عن الخبر في الشطر الأول (حليف رضاً) وفي الشطر الثاني أغنت عنه الجملة الحالية (وهو غضبان) .

ل ـ الساد مسد الخبر :

وهذا من المواضع التي يحذف فيها الخبر وجوباً لاستغناء الكلام عنه بفاعل أونائب فاعل ، كما استغنى الكلام عنه بالحال . ولكننا جعلناه في فقرةٍ خاصة لتشعب فروعه وقواعده . انظر في الأمثلة التالية :

١ ـ أقادر أخوك على متابعة العمل ؟ ← ماقادرٌ أخوك على متابعة العمل .

٢ ـ أمحمودٌ العملُ في مثل هذه البيئة ؟ ← مامحمودٌ العملُ في مثل هذهِ البيئة .

٣ ـ هل عسير عليك إرضاءُ مرْؤوسيك ؟ ← ماعسير عليك إرضاء مرؤوسيك .

الملاحظة الأولى هنا هي أن المبتدأ جاء وصفاً أو اسماً مشتقاً قام مقام فعله . إذ يمكن أن تَستبدل به فعله فتقول : أيقدر أخوك على متابعة العمل . وأيُحمد العمل . . . وهل يعسر عليك . . .

والملاحظة الثانية أن المبتدأ سُبق باستفهام أو بنفي[1] .

والملاحظة الثالثة أنه وقع بعده فاعل(أخوك ، إرضاء) أو نائب فاعل (العمل) ، فتم المعنى بهما . ولم يعد في الكلام حاجة إلى ذكر الخبر .

---

(١) أجاز بعض النحاة ذلك من دون نفي أو استفهام ، وليس هذا المذهب بشيء .

ولذلك يقال : فاعل أو نائب فاعل ـ أغنى عن الخبر[1] .

ومن هذا الاسلوب قول عمر بن أبي ربيعة :

أبا كرةَ في الظاعنين رميمُ ولم يُشفَ متبولُ الفؤادِ سقيم

وقول ذي الرمة :

أحادِرةٌ دموعَك دارُ ميٍّ وهائجةٌ صبابَتكَ الرسومُ

وقول النابغة :

ألم أقسم عليك لتخبرني أمحمولٌ على النعش الهُمامُ

ويلاحظ في هذه الأمثلة والشواهد أن طرفي الإسناد متطابقان في العدد ، فالمبتدأ مفرد ، لا مثنى ولاجمع ، وكذلك فاعله أو نائب فاعله . ومن هنا يمكن أن تلتمس وجهاً آخر في الإعراب . فتذهب إلى أن الوصف خبرٌ مقدم ، و(أخوك) أو (العمل) أو . . . مبتدأ مؤخر . كما لوقلت في غير الوصف : أصخرةٌ أنا ؟ أبحرٌ هذا ؟

إلا أننا نجد في بعض الأحيان جملاً لايتطابق فيها طرفا الإسناد في العدد . كقول الشاعر :

أمنجزٌ أنتمُ وَعداً وَثِقتُ به أم اقتفيتم جميعاً نهجَ عُرْقوبِ[2]

وقول الآخر :

أقاطنٌ قومُ سلمى أم نَووْا ظَعَناً إن يظعنوا فعجيبٌ عيشُ من قَطَنا

فالمتبدأ (منجز) و(قاطن) مفرد ، والفاعل (أنتم) و (قوم) جمع أو اسم جمع .

ولهذا لابد لنا هنا من جعل الأول مبتدأ ، ومابعده معموله . ولايمكن أن نجعل الأول خبراً مقدماً والثاني مبتدأ مؤخراً ، لأننا إن فعلنا ذلك جعلنا المبتدأ

(١) اعراب أقادر أخوك : الهمزة حرف استفهام . قادر : مبتدأ مرفوع . أخو : فاعل اسم الفاعل أغنى عن الخبر . والكاف : ضمير منفصل في محل جر مضاف إليه . وكذلك تعرب أشباه هذه الجملة .

(٢) عرقوب : رجل عرف بخلف الوعد .

جمعاً أو اسم جمع . وجعلنا الخبر مفرداً ، وهذا لايجوز ، إذ لايقال : الناسُ جاءَ . والرؤساء اجتمع . والمعلمون ذهبَ .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ وإن تعجبْ فعجبٌ قولُهُمْ : أئذا كنا تُراباً أئنا لفي خلقٍ جديدٍ ؟ أولئك الذين كفروا بربهم ، وأولئك الأغلالُ في أعناقهم ، وأولئك أصحاب النارِ هم فيها خالدون ﴾ (الرعد : ٥) .

٢ ـ ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وماربك بظلام للعبيد . . . ﴾ (فصلت : ٤٦) .

٣ ـ ﴿ ويقول الذين كفروا : لولا أنزل عليه آية من ربه ، إنما أنت منذر ، ولكل قوم هادٍ ﴾ (الرعد : ٧) .

٤ ـ ﴿ ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم ، وإن الظالمين لهم عذابٌ أليم ﴾ (الشورى : ٢١) .

٥ ـ ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى ، لقضي بينهم . . .﴾ (الشورى : ١٤) .

٦ ـ ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ، ثم يعودون لما قالوا : فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ﴾ (المجادلة : ٣) .

٧ ـ ﴿ فلما رأوه عارضاً مستقبلَ أوديتهم ، قالوا : هذا عارضٌ ممطرنا ، بل هو مااستعجلتم به ، ريحٌ فيها عذاب أليم ﴾ (الأحقاف : ٢٤) .

٨ ـ ﴿ وقالوا : اتخذ الرحمنُ ولداً ، سبحانه ، بل عبادٌ مكرمون ﴾ (الأنبياء : ٢٦) .

٩ ـ ﴿ قول معروف ومغفرة خيرٌ من صدقة يتبعها أذى ﴾ (البقرة : ٢٦٣) .

١٠ ـ ﴿ وآية لهم أنّا حملنا ذريتهم في الفُلْك المشحون ﴾ (يس : ٤١)

١١ ـ ﴿ وهو الغفور الودود ، ذو العرشِ المجيدُ ، فعّالٌ لِما يريد ﴾
(البروج : ١٥)

١٢ ـ وقول عروة بن حزام :

أناسيةٌ عفراءُ ذكري وإنما   تركتُ لها ذكراً بكل مكانِ
يقولُ لي الأصحابُ إذ يعذلونني   أشوقٌ عراقي وأنتَ يماني

١٣ ـ قال امرؤ القيس :

فتملأ بيتنا أقِطاً وسَمْناً   وحسبُكَ من غنىً شِبَعٌ ورِيُّ

☆ ☆ ☆

ثانياً : نواسخ المبتدأ والخبر

١ ـ النواسخ الفعلية

الأفعال الناقصة

آ ـ لماذا سميت ناقصة :

ترتبط هذه الطائفة من الأفعال بالجملة الاسمية ، فتحدد فيها معنىً فرعياً تضيفه إلى الإسناد ،وإذا كان الفعل العربي في الأصل يدل على حدث وزمان دلالة مباشرة واضحة بحيث يمكن أن ينعقد منه ومن الاسم بعده إسناد ذو دلالة تامة إذا لم يكن متعدياً ، فإن دلالة هذه الأفعال على الحدث لاتتضح إلا بأخبارها ، ولبيان ذلك وإيضاحه لاحظ هاتين الجملتين :

ـ نامَ الصبيُّ .

ـ كان الصبيُّ نائماً .

في الجملة الأولى أسند الفعل « نامَ » إلى الصبي ، وفي الثانية أسند إليه اسم الفاعل « نائم » . ففي الجملتين تخبر عن الصبي بالنوم ، إلا أن معنى النوم مُضمَّن في الفعل « نامَ » وليس من خارجه ، ولكنه ليس مضمناً في الفعل « كان » أو في الفعل « أصبح » أو « صار » أو في أي فعل من أفعال هذه الزمرة ولو استعمل بدلاً من « كان » هنا . وهذا يعني أن دلالة « كان » وأخواتها على الحدث غير ظاهرة فيها بل في غيرها ، لأن الإسناد حاصل من دونها كما يحصل بوجودها . أما معاني مصادرها ، كالكينونة ، والصيرورة ـ والإصباح ، والإمساء ، فليست بيّنة ، ولو بانت في التركيب لوجب أن يكون الإسناد بينها وبين مايليها من الأسماء تام الدلالة .

يضاف إلى ذلك أن لهذه الأفعال وظيفةً تنويعية في الجملة الاسمية . فلو قلت :

ـ الصبي نائمٌ .

لكان المعنى أن النوم حاصل من الصبي . وهذا معنى عام مجمل ، فإذا قلت : كان الصبي نائماً ، أو : أصبح الصبي نائماً . أو : بات الصبي نائماً . أو : ظل الصبي نائماً . نوّعَت في الدلالة العامة ، فأفدت في الجملة الأولى أن النوم كان فيما مضى ، ولكنه الآن غيرُ حاصل . وأفدت في الجمل الأخرى أن النوم حصل في الصباح ، أو في الليل ، أو في النهار . وهذا التنويع في وظائف هذه الأفعال يجعلها تشبه الأدوات ، كأدوات الاستفهام ، والتمني ، والترجي ، وأمثالها ، كما لو قلت : هل الصبي نائم ؟ ليت الصبيَّ نائم ، ولعل الصبي نائم ، فتفيده معاني أسلوبية فرعية إلى المعنى العام ، وهو الإسناد .

وإذن ، فإنها تختلف في سلوكها عن سائر الأفعال التي تسمى تامة ، مما يجعلها ناقصة عنها دلالة واستعمالاً ، أما من حيث الدلالة ، فقد رأيت أن دلالتها على الحدث غير بيّنة ، أما من حيث الاستعمال فإنها دوماً بحاجة إلى اسمين : مرفوعٍ ومنصوب ، ولايمكن أن تكتفي بمرفوعها كغيرها من الأفعال التامة اللازمة .

وهذه الأفعال أربعة أقسام :

١ ـ كان وأخواتها .

٢ ـ أفعال المقاربة .

٣ ـ أفعال الرجاء .

٤ ـ أفعال الشروع .



١ ـ كان وأخواتها

تتألف هذه المجموعة من زمرٍ ثلاث ، هي :

١ ـ كان ، صار ، أصبح ، أضحى ، أمسى ، بات ، ظل .

٢ ـ مازال ، مابَرِح ، مافتِىء ،ماانفكَّ .

٣ ـ مادامَ ، ليس .

ولكل زمرة خصائص نحوية وصرفية تختلف فيها عن الأخرى ، وسوف نتحدث في الفقرات التالية عن كل زمرة ، ونبين سماتها الدقيقة .

آ ـ الزمرة الأولى

١ ـ معاني أفعالها :

لاتكاد تزيد معاني الأفعال في هذه الزمرة على ثلاثة معانٍ عامة هي :

ـ اتصاف الاسم بالمعنى الذي يدل عليه الخبر في زمنٍ مّا . وهذا أحد معاني « كان » دون غيرها ، تقول : كان أخوك ضابطاً . أي أنه اتصف بكونه ضابطاً في الزمان الماضي . وتقول : سيكون أخوك ضابطاً . فتدل على أنه سوف يتصف بكونه ضابطاً في المستقبل .

ـ الصيرورة : وهو معنى الأفعال : صار ، وأصبح ، وأضحى ، وأمسى ، وبات . وهو أيضاً أحد معاني « كان » ، و « ظل » . وتعني « الصيرورة » التحول من حال إلى حال . تقولُ : صار الصعبُ سهلاً ، وأضحى الصبي شاباً ، وأمسى الجندي ضابطاً ، وأصبح الكلامُ همساً . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فطوعتْ له نفسه قتل أخيه فأصبح من الخاسرين ﴾ (المائدة : ٣٠) وقوله : ﴿ قد سألها قوم قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ (المائدة : ١٠٢) . ومن مجيء (كان) بمعنى : صار ، قوله تعالى : ﴿ وفتحت السماءُ فكانت أبواباً ، وسيرت الجبال فكانت سراباً ﴾ (النبأ : ١٩ ، ٢٠)، ومنه أيضاً : ﴿ فإذا انشقت السماءُ فكانت وردة

كالدهان ﴾ . (الرحمن : ٣٧) ومنه قول جرير ، يرثي ولده :

فارقتني حين كفَّ الدهرُ من بصري وحين كنتُ كعظم الرِّمَّةِ البالي

وقول عمرو بن أحمر الباهلي :

بتيهاءَ قَفْرٍ والمطيُّ كأنها قطا الحَزْنِ قد كانت فراخاً بيوضُها

ومما جاءت فيه (ظل) بمعنى (صار) قوله تعالى : ﴿ وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ (النحل : ٥٨) أي : صار وجهه مسوداً . ومن مجيء (بات) بهذا المعنى قولهم : بات الطريق مختصراً . وبات الضعيف قوياً .

ـ الاستمرار والدوام : وتفيده « كان » أحياناً ، و « ظل » ، قال تعالى : ﴿ إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ (النساء : ١) و ﴿ إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ (النساء : ٢٤) وتقول : ظلت الحضارة العربية قروناً طويلة قبساً لرواد الفكر .

هذه هي المعاني العامة الثلاثة لأفعال هذه الزمرة ، وهناك معانٍ فرعية يختلف فيها بعضها عن بعض ، إذ تظهر فيها معاني جذورها التي اشتقت منها ، فالفعل (أصبح) مثلاً يدل على أن اسمه اتصف بمعنى خبره وقت الصباح ، و (أضحى) يدل على ذلك وقت الضحى ، و (أمسى) في المساء ، تقول : أصبح السامرون مرهقين . وأضحى العامل نشيطاً ، وأمسى القومُ سعداء .

أما (ظل) فيدل على أن اسمه يتصف بمعنى خبره طوال النهار ، مثل : ظَلِلْتُ مرتاحاً حتى غربت الشمس . وهذا واضح في قول عنترة :

ولقد أبيتُ على الطوى وأَظَلُّهُ حتى أنال بهِ كريمَ المأكلِ

وفي قول رجل من بني عقيل :

ألم تعلمي ماظَلْتُ[1] بالقومِ واقفاً على طللٍ أضحتْ معارفه قَفْرا

(١) إذا فك إدغام (ظل) وأسند إلى ضمير رفع متحرك صار : ظَلِلْتُ . بكسر أولى اللامين ، وفي هذه الحال يجوز حذف اللام الأولى ، فيصير : ظَلْتُ . كما في قوله : « لو نشاء لجعلناه حُطاماً فظَلْتُمْ تفكهون » . (الواقعة : ٦٥) . وقوله : « وانظر إلى إلٰهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً » . (طه : ٩٧) . ويجوز أيضاً كسر

فعنترة قد يقضي ليله جائعاً ، ويظل نهاره على الجوع ، والعقيلي ظل طوال نهاره واقفاً بقومه على طلل درستْ معالمُهُ .

أما « بات » فيدل عل أن اسمه يتصف بمعنى خبره في الليل ، كما ترى في قول جرير :

تَبيتُ ليلَك ذا وَجْدٍ تُخامرُهُ كأن في القلب أطرافَ المساميرِ

٢ ـ استعمالها أفعالاً تامة :

وكما تستعمل هذه الأفعال ناقصةً تستعمل أيضاً تامة ، وهذا يرجع إلى الدلالة الذاتية التي تكون لها في التركيب ، فإن عاد إليها معنى جذرها كانت تامة ، كأن يدل الفعل (كان) على حصول شيء أو وقوعه ، كما في العبارة الشائعة : ما شاءَ الله كان . أي : حَصَلَ . وكما في قول الربيع الفزاري :

إذا كان الشتاءُ فأدفئوني فإن الشيخَ يهدِمُهُ الشتاءُ

وقول عبد الله بن أبي عيينة :

مالا يكون فلا يكون بحيلةٍ أبداً ، وماهو كائن سيكونُ

وأن يدل الفعل « أصبح » على الدخول في الصباح ، والفعل « أمسى » على الدخول في المساء ، والفعل « أضحى » على الدخول في الضحى ، كقوله : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ (الروم : ١٧) وكقول عبد الواسع بن أسامة :

ومن فَعَلاتي أنني حسنُ القِرى إذا الليلةُ الشهباءُ أضحى جليدُها

وأن يدل الفعل « صار » على الوصول إلى الشيء ، أو المآلِ إليه ، كما في قوله : ﴿ وإلى الله تصيرُ الأمور ﴾ (الشورى : ٥٣) وكما في الحديث النبوي : « . . . صارَ أهلُ الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار » ، وكما في قول الأبيض العنسي :

وذي أملٍ يرجو تُراثي وإنَّ ما يَصيرُ له مني غداً تعليلُ[١]

الظاء . وقد جاء منه شيء قليل .

(١) هناك الفعل : صار يصور . وهو واوي بمعنى : ضَمَّ . وهو فعل متعدٍ ليس بلازم ، تقول : صار سميرٌ أشياءَهُ بعضَها إلى بعض . ومنه قوله تعالى : « فخذ

وأن يدل الفعل « بات » على قضاء الليل ، كقولك : بت في بيت فلان ، وبات الناسُ في العراء ، وأبيتُ في الفندق . ومنه قول امرىء القيس :

تطاولَ ليلُكَ بالإثْمِدِ   وباتَ الخَليُّ ولم تَرْقُدِ

وأن يدل الفعل « ظل » على الدوام ، مثل : ظل العملُ . أي : دامَ . وتقول : ظل البردُ . وظل اليومُ ، أي : دام ظله .

٣ ـ خصائصها الصرفية :

وأفعال هذه الزمرة تستعمل ماضية ومضارِعةً وأمراً ، يَقِلُّ ذلك في بعضها ويكثر في آخر ، فالفعل (كان) أكثرها استخداماً في ذلك كله ، ولاسيما في صيغة الأمر . كما ترى في هذه الشواهد : ﴿ ومن يكنِ الشيطانُ له قريناً فساء قريناً ﴾ (النساء : ٣٨) و ﴿ قالوا : تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكونَ حَرَضاً أو تكونَ من الهالكين ﴾ (يوسف : ٨٥) و ﴿ فخذ ما آتيتُك وكن من الشاكرين ﴾ (الأعراف : ١٤٤) و ﴿ قلنا : يانارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ (الأنبياء : ٦٩) .

ومما جاء مضارعاً ناقصاً في الفصيح من الكلام الفعل ﴿ ظَلَّ) كما ترى في قوله تعالى : ﴿ قالوا : نعبدُ أصناماً فنظل لها عاكفين ﴾ (الشعراء : ٧١) وفي قوله : ﴿ إن يَشَأْ يسكنِ الريحَ فيَظْلَلْنَ رواكدَ على ظهره ﴾ (الشورى : ٣٣) . وكذلك الفعل (أصبح) كما في قوله : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبحُ الأرض مخضرةً ﴾ (الحج : ٦٣) وتقول : سوف يصير الطريق ممهداً . وسوف يضحي كل شيء حسناً ، وسوف تمسي الخيرات وافرة . وقال تعالى : ﴿ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴾ (الفرقان : ٦٤) . ويمكن أن تقول : صر نبيلاً ، وأصبح محباً ، وأضحِ مستعداً ، وأمسي مشاركاً ، وظِلَّ محبباً ، وبِتْ كما نريد .

أما استخدام المصدر ناقصاً ، أو اسم الفاعل ، فلم يصل إلينا من ذلك غير ما أورده النحاة في « كان » كقول الشاعر :

أربعةً من الطيرِ فَصُرْهُنَّ إليك » . (البقرة : ٢٦٠)

ببذلٍ وحِلمٍ سادَ في قومه الفتى   وكـونُـكَ إيـاهُ عليـك عسيـرُ[1]

وقولُ الآخر :

وما كل من يبدي البشاشةَ كائناً   أخـاك إذا لـم تُلْفِـهِ لـك منجـدا

على أن القياس يجيز لنا أن نسلك هذا المسلك في سائر أفعال هذه الزمرة ، وإن كان النص الفعلي لم يأت بذلك .

٤ ـ أفعال ملحقة بـ « صار » :

وهناك أيضاً أفعالٌ أخرى ، هي في الأصل تامة ، ولكنها تستعمل بمعنى « صار » لابمعنى جذورها ، فتكون ناقصة ، وهي عَشَرةُ أفعال ، هي : رجع ، وعادَ ، وغدا ، وراح ، وآضَ ، وقَعَدَ ، وحارَ ، وتحوَّلَ ، وارتدَّ ، واستحالَ . تقول : غدا الجوُّ حاراً ، وعاد الصغيرُ كبيراً ، وكما جاء في الحديث النبوي : « لاترجعوا بعدي كفاراً » أي : لاتصيروا . ومثله قول قيس بن رفاعة :

لتَـرجعُـنَّ أحـاديثـاً مُلَعَّنَـةً   لهْوَ المقيمِ ولهوَ المدلجِ الساري

أي : لتصيرُنَّ . وقال العجاج :

ربيتُـهُ حتـى إذا تَمَعْـدَدَا   وآضَ نَهْـداً كـالحصـانِ أجـردا

كان جزائي بالعصا أن أُجْلدا

أي : وصار نهداً . وقال لبيد بن ربيعة :

ومـا المرءُ إلا كـالشهـاب وضـوئـه   يحـورُ رمـاداً بعـد إذ هـو سـاطـعُ

أي : يصيرُ رماداً . وجاء في القرآن الكريم : ﴿ فلما أن جاءه البشير ألقاهُ على وجهه فارتدَّ بصيراً ﴾ (يوسف : ٩٦) أي : فصار بصيراً[2] . وقال امرؤ القيس :

وبُـدِّلْـتُ قَـرْحـاً دامـيـاً بعـد صحـةٍ   فيـالِـك مـن نُعْمـى تحـولْـنَ أبـؤسـاً

---

(١) منع بعض النحاة أن يكون للفعل الناقص مصدر ، وجعل المرفوع في مثل هذه التراكيب فاعلاً ، وجعل المنصوب مفعولاً به .

(٢) انظر : الجمل على البيضاوي : ٢/٤٧٣ وجعلها أبو حيان والعكبري حالاً . انظر : البحر المحيط : ٥/٢٤٦ ، وإملاء ما من به الرحمن : ٢/٥٩ .

أي : صرن أبؤساً . ونُقل من كلام العرب القديم قول بعضهم : « أرهف شَفْرَتَهُ حتى قعدتْ كأنها حربة » . أي : صارت كأنها حربة[1] . وقال بعضهم : « قَعَدَ لايُسْأَلُ حاجةً إلا قضاها » . وحمل على ذلك بعض النحويين قوله تعالى : ﴿ لاتجعل مع الله إلهاً آخر فتقعدَ مذموماً مخذولاً ﴾ (الإسراء : ٢٢) ورفضه آخرون[2] .

٥ ـ خصائص « كان » :

وتختص « كان » من دون أخواتها بما يلي :

آ ـ ظاهرة الحذف في جملتها :

ـ حذف اسمها :

قد يستغنى عن ذكر اسمها لدلالة السياق عليه ، كقول العرب القدماء : « من كذبَ كان شراً له » . ومنه قوله تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يُسْرفوا ولم يَقْتُروا وكان بين ذلك قَواماً ﴾ (الفرقان : ٦٧) أي : وكان إنفاقهم قواماً بين ذلك . ومثله : ﴿ فإن يتوبوا يكُ خيراً لهم ﴾ (التوبة : ٧٤) أي : يك ذاك خيراً لهم .

ـ حذف (كان) واسمها :

ويكثر هذا بعد (إن) و (لو) الشرطيتين ، كما ترى في قول النعمان بن المنذر :

قد قيل ماقيل إن صدقاً وإن كذباً ... فما اعتذارُكَ من قولٍ إذا قيلا

والأصل : إن كان ماقيل صدقاً ، وإن كان ماقيل كذباً . ومثله قول النابغة :

حدِبتْ عليَّ بطونُ ضنّةَ كلُّها ... إن ظالماً فيهم وإن مظلوماً

---

(١) ذكر سيبويه أنهم استعملوا الفعل (جاء) بمعنى : صار . ومثل له بقوله : ما جاءت حاجتَكَ ؟ أي : ما صارت حاجتك . فـ « ما » استفهام مبتدأ . خبره الجملة (جاءت حاجتك) . ويجوز رفع (حاجتك) اسماً لجاءت . وجعل « ما » خبراً مقدماً . انظر : سيبويه : ١/ ٥٠ ومنهج السالك : ٥٣ .

(٢) انظر : الكشاف : ٢/ ٢٥٧ والبحر المحيط : ٦/ ٢٢ .

أي : إن كنت ظالماً فيهم وإن كنت مظلوماً . وجاء في الأثر : « الناسُ مَجْزيون بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » . أي : إن كان ماعملوه خيراً فجزاؤهم خيرٌ ، وإن كان ماعملوه شراً فجزاؤهم شر . وقيل أيضاً : التمس ولو خاتماً من حديد . أي : ولو كان الملتمس خاتماً من حديد .

ـ حذف « كان » وخبرها :

وكذلك تحذف « كان » وخبرها ، ويبقى من جملتها الاسم وحده ، وذلك بعد أداتي الشرط : إن ، ولو . من ذلك قو هدبة بن خشرم :

فإن تـك فـي أمـوالنـا لانَضِـق بهـا ذراعـاً ، وإن صبـرٌ فنصبـر للصبـرِ

والأصل : وإن كان فيها صبر . وتقول : ذا كم حظنا من الحياة إن خيرٌ نلنا السعادة ، وإن شرٌّ أصابتنا التعاسة . وتقول : تكلمْ ولو هَذْرٌ . أي : ولو كان في كلامك هذرٌ .

ـ حذفها مع اسمها وخبرها :

ويكون هذا في لغة الحوار ـ عادةً ـ كما ترى في قول الشاعر :

قـالـت بنـاتُ العـمِّ يـاسلمـى وإِنْ كـان فقيـراً مُعْـدِمـاً قـالـتْ : وإِنْ

أي : وإن كان المعنيُّ فقيراً معدماً .

ـ حذفها وحدها :

وقد تحذف « كان » وحدها ، ويبقى عملها في الاسم والخبر ، كقولهم : أما أنت منطلقاً انطلقتُ معك . وهذه الجملة مبنية على كلام سمع من فصحاء العرب ، والأصل فيه :

لأنْ كنتَ منطلقاً انطلقتُ معك .

ومعناه : لكونك منطلقاً انطلقتُ معك . ثم حذفت اللام الجارة قبل المصدر المؤول ، وهذا جائز قياساً ، وحذفت « كان » دون اسمها ، وعَوَّض عنها « ما » الزائدة ، فصار الكلام على هذه الصورة :

أَنْ ما تَ منطلقاً انطلقتُ معك .

ثم أدغمت النون بالميم ، كما تقتضي القواعد الصوتية ، واستبدل بالضمير المتصل ضمير منفصل حتى يمكن نطقه ، فصار الكلام :

أما أنت منطلقاً انطلقت معك .

وقد جاء منه في الشعر قول العباس بن مِرْداس :

أبـا خـراشـةَ أمـا أنـت ذا نَفَـرٍ فـإن قـومـيَ لـم تـأكُلهُـمُ الضبُـعُ

ب ـ زيادةُ « كان » :

ومن خصائصها أيضاً أنها قد تقع في الكلام زائدة ، ويكثر هذا بعد « ما » التعجبية ، كما ترى في قول امرىء القيس :

أرى أم عمـرٍو دمعهـا قـد تحـدَّرا بكـاءً على عمرٍو وما كـان أصبـرا

وقول عروة بن أذينة :

حجبـت تحيتَهـا فقلـتُ لصـاحبـي مـاكـان أكثـرهـا لنـا وأقلَّهـا

وقد تقع بين شيئين متلازمين ، كالفعل والفاعل ، مثل :

ولبسـتُ سـربـالَ الشبـابِ أزورُهـا ولنعـم ـ كـانَ ـ شبيبـةُ المحتـالِ

أو الجار والمجرور ، مثل :

جيـاد بنـي أبـي بكـرٍ تسـامـى علـى ـ كـان ـ المسـوَّمـةِ العِـرابِ

أو الصفة والموصوف ، مثل :

في غرف الجنة العليا التي وجَبتْ لهم هناك بسعيٍ ـ كـان ـ مشكـور

أو : المعطوف والمعطوف عليه ، كقول الفرزدق :

فـي لُجـةٍ غمـرتْ أبـاكَ بحـورُهـا فـي الجـاهليـةِ ـ كـانَ ـ والإسـلام

ولعلك لاحظت أنها جاءت في جميع المواضع بلفظ الماضي ، وأنها مجردة من الضمائر ، إلا أنها وقعت بلفظ المضارع في قول أم عقيل بن أبي طالب :

أنـت ـ تكـونُ ـ مـاجـدٌ نبيـلُ إذا تَهُـبُّ شَمْـأَلٌ بَليـلُ

واتصل بها ضمير الرفع في قول الفرزدق :

فكيـف إذا مـررت بـدارِ قـومٍ وجيـرانٍ لنـا ـ كـانـوا ـ كـرامِ[1]

---

(١) الحق أن في البيتين زيغاً إعرابياً فاضطر النحاة إلى تخريجهما على هذا الوجه . وزعم النحاة أن (أصبح) و (أمسى) تزيدان أيضاً ، وقال آخرون بزيادة (أضحى) ، وجعل بعضهم زيادة الأفعال الناقصة قياساً .

ج ـ سقوط نونها :

وتسقط نون « يكون » إذا كان مجزوماً وتلاه حرف متحرك لا ساكن ، ويشترط ألا يكون هذا المتحرك ضميراً ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إنها إن تَكُ مثقالَ ذرةٍ من خردلٍ ﴾ (لقمان : ١٦) ، وقوله : ﴿ فلا تَكُ في مِرْيةٍ مما يعبدُ هؤلاء ﴾ (هود : ١٠٩) وقوله : ﴿ ألم يكُ نطفةً من مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾ وسقوط النون جائز لا واجب ، إذ يمكن أن يقال : لم يكن عملُك سهلاً .

ومن الخطأ أن يقال : لم يكُ الرجلُ حاضراً . لأن الحرف الذي يلي النون ساكن لامتحرك . ولايقال أيضاً : لايَكُهُ . لأن المتحرك ضمير .

ويعرب ألم يَكُ نطفةً ، مثلاً ، كما يلي :

يكُ : فعل مضارع ناقص ، مجزوم وعلامة جزمه السكون ، الظاهر على النون المحذوفة للتخفيف . واسمه ضمير مستتر جوازاً تقديره : هو .

ب ـ الزمرةُ الثانية

١ ـ معاني الأفعال :

على الرغم من اختلاف أفعال هذه الزمرة في اللفظ تجدها تتفق في معناها ، وهو أن اسمها يتصف بمعنى خبرها اتصافاً يستمر إلى زمنٍ ما ، أو إلى زمن التكلم ، تقول : مازال الجو بارداً حتى طلعت الشمس ، ومابرِح الحقلُ أخضر حتى جاء الحر ، ومافتئت الحضارة العربية عزاً للعرب . وما انفك الشعر العربي يطربنا بإيقاعه . وقد ألحق بهذه الأفعال الفعلِ « وَنَى يَني » ، فقد يستعمل مثلها أحياناً ، تقول : ماونى الجو ممطراً ، قال الشاعر :

لايَنـي الحُبُّ شيمـةَ الحِـبِّ مـادا مَ ، فــلا تحسبَنَّــهُ ذا ارعــواءِ

٢ ـ لزوم النفي أو شبهه :

ولاتستعمل هذه الأفعالُ ناقصة إلا إذا سبقت بنفي أو شبهه ، ومامَرَّ بك من أمثلة يدل على ذلك . إلا أن النفي قد يكون بـ « ما » أو بـ « لا » ، كما تقدم ، أو بـ « لن » مثل : ﴿ لن نبرحَ عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾

(طه : ٩١) . أو بـ « لم » أو « لما » وقد يكون بالفعل « ليس » ، مثل : لست تبرحُ ميالاً إلى العمل الجاد ، وكقول المتوكل الليثي :

فلست بِزائلٍ مادمتُ حياً   مُسِراً من تذكرها هياماً

وقد يكون بالاسم « غير » ، تقول : الشتاء غيرُ زائلٍ قاسياً ، ومن ذلك قول الشاعر :

غيرُ منفكٍ أسيرَ هَوىً   كلُّ وانٍ ليس يعتبرُ

وقد يغني عن النفي الفعل المكفوف « قلّما » ، مثل : قلما يفتأ أخي ذاكراً لك ، قال الشاعر :

قلما يبرحُ المطيعُ هَواهُ   وَجِلاً ذا كآبةٍ وغَرامِ

وقد يُفصل بلغة الشعر بين النفي والفعل الناقص بفعل قلبي ، مثل : أرى ، أو : خلت ، وأمثالهما ، قال إبراهيم بن هَرْمة :

ولاأراها تزالُ ظالمةً   تحدث بي قرحةً وتنكؤها

أي : وأراها لاتزال ظالمةً . ومثله قول الشاعر الذي أنشده خلف الأحمر :

ماخلتني زلتُ بعدكم ضَمِناً   أشكو إليكم حُمُوَّةَ الألمِ

أي : خلتني مازلت بعدكم ضمناً . ولكن قد تحذف كلمة النفي من العبارة لفظاً ، وتبقى معنىً ، ولاسيما بعد القسم ، كما في قوله تعالى : ﴿ تالله تفتأ تذكر يوسف ﴾ (يوسف : ٨٥) أي : لاتفتأ . ومثله قول امرىء القيس :

فقلتُ : يمينُ الله أبرحُ قاعداً   ولو قطّعوا رأسي لديكِ وأوصالي

ومما حذفت منه كلمة النفي من غير قسم قول خداش بن زهير :

وأبرحُ ماأدامَ الله قومي   بحمدِ الله منتطقاً مجيداً

ولعلك لاحظت أن الأفعال الناقصة التي حذفت قبلها أداة النفي كانت أفعالاً مضارعة ، وقل أن تكون ماضية ، حتى إن بعضهم جعل الحذف شاذاً قبل الماضي ، كما في هذا البيت :

لَعَمْرُ أبي الدهماءِ زالتْ عزيزةً   على قومها مافتَّلَ الزَّنْدَ قادحُ

هذا هو حديث النفي ، أما شبهه فمنه الدعاءُ ، كما في قول ذي الرمة :

ألا ياأسلمي يادار مي على البلى ولازال منهلاً بجرعائك القَطْرُ

ومنه النهي ، كما في قول الشاعر :

صاحِ شمّرْ ولاتَزَلْ ذاكرَ المو تِ فنسيانُهُ ضلال مبينُ

وتقول في الدعاء : لازال خيرُك وافراً . ولابرح مالك كثيراً ، ولافتىء عمرك طويلاً . وتقول في النهي : لاتبرح مكباً على العمل ، ولاتزل متقدماً على أقرانك .

وههنا ملاحظة ، هي أن بعض الشُداة من المعربين يظنون أن « مازال » كله فعل ناقص ، وهذا غير صحيح ، لأن المركبات نوعان :

١ ـ نوع يفقد فيه كل جزء من جزأيه معناه الأصلي ، وهذا يُعَد بعد التركيب كلمة واحدة ، مثل : لولا . فأصلها : لو ، الامتناعية ، و « لا » النافية . فلما ركبتا فَقَدَ كل من الجزأين مدلوله السابق .

٢ ـ ونوع يحتفظ فيه كل جزء من جزأيه بمعناه ، كالتركيب الإسنادي ، والتركيب الإضافي . ومنه الأفعال الناقصة المسبوقة بنفي أو شبهه . ذلك أن « ما » لم تفقد معنى النفي .

أضف إلى ذلك أن « ما » قد يُستبدل بها : لا ، أو : ليس ، أو : غير ، فهل يعقل أن يقال مثلاً إن : لستَ تبرحُ . كلها فعل ناقص واحد ؟

شيء آخر يمكن أن يستدل به هنا ، هوأن هذه الأفعال قد تسبق بأداة النهي « لا » ، مثل : لاتزلْ مخلصاً لمحبيك . فلو كانت « لا » جزءاً من الفعل لما كان ثمةَ مسوِّغ لجزمه ، لأن جزء الشيء ، لايعمل في نظيره الجزء الآخر في المركبات من هذا النوع .

٣ ـ خصائصها الصرفية :

وتتصرف هذه الأفعال تصرفاً ناقصاً أقل من تصرف الزمرة الأولى ، فلا يأتي منها فعل الأمر بسبب لزوم النفي لها ، بل يأتي منها الماضي والمضارع ، وقد بان لك هذا في كثير من الشواهد المتقدمة .

ويعمل منها أيضاً اسم الفاعل ، كما في قول الحسين بن مطير :

قضى الله يا أسماءُ أن لستُ زائلاً أحبك حتّى يغمض الجَفْنَ مُغْمِضُ

فـ « زائلاً » اسم فاعل من (زالَ) الناقص ، واسمه ضمير مستتر فيه تقديره : أنا . وجملة « أحبك » في محل نصب ، خبر له . ومن هذا قول الآخر :

عسيرٌ تـوقيـك الهـوى غيـرَ بـارحٍ مُعِلّـلَ نفـسٍ بـاختـلاسـةِ نـاظـرِ

فـ « بارح» اسم فاعل من (برحَ) ، واسمه ضمير مستتر فيه تقديره : أنت . وخبره : معللَ . . وقد مرَّ بنا من قبلُ قولُ الشاعر :

غيـر منفـكِ أسيـر هـوىً كـلُّ وانٍ ليـس يَعْتبـرُ

ومن الطبيعي ألا يكون لهذه الأفعال مصدر عامل ، لأن النفي لايركب مع المصدر في هذه الأفعال ، وعلى هذا يتحدد تصريفها بثلاثة أشياء : الماضي ، والمضارع ، واسم الفاعل .

٤ ـ استعمالها تامة :

وتكون هذه الأفعال تامة إذا اكتفت بمرفوعها وعبرت عن معاني جذورها ، كأن يفيد الفعل « زال » معنى الزوال مثل : مازالَ أثر المروءةِ من نفوسنا . وفي هذه الحال يكون مضارعه « يَزُولُ » لا « يَزالُ » . أو أن يعبّر الفعل « بَرِحَ » عن معنى التَرْك والمغادرة ، تقول : لا أريدُ أن أبرحَ هذا المكان . وكما في قوله تعالى : ﴿ فلن أبرحَ الأرضَ حتى يأذنَ لي أبي ﴾ (يوسف : ٨٠) أي : لن أفارقَ الأرضَ . ومثله قول أبي ذؤيب :

فتلـك التـي لايبـرحُ القلـبَ حُبُّهـا ولاذكـرُهـا مـا أَرْزَمْـت أمُّ حـائـلِ[١]

ويقال أيضاً : بَرِحَ الخفاءُ ، إذا ظهر . أو أن يعبر الفعل « انفك » عن الانفصال أو الانحلال ، تقول : انفكَّ العَظْمُ ، أي انفصل عن موضعه . وتقول : ما انفكّتِ عقدةُ فلانٍ . أي لم تَنْحلَّ .

أما الفعل « فتىء » فلا يستعمل إلا ناقصاً .

---

(١) أرزمت : حنت . وأم حائل : الناقة .

ج ـ الزمرة الثالثة

١ ـ معنى الفعلين :

أما « مادام » فيدل على أن اسمه يتصف بمعنى خبره مدةً محدودة ، مثل : تنفعك الرياضة مادمتَ فتىً أو شاباً . ويحسُنُ أن تلمَّ بلغة ثانية مادمت قادراً على ذلك . وليس بين معناهُ ناقصاً ومعناهُ تاماً كبيرُ فرقٍ ، ومن أجل ذلك اختلف النحاة والمعربون في توجيهه في بعض النصوص القرآنية . فهو ناقص عند بعضهم في الآية : ﴿ . . . لايؤدِّه إليك إلا مادمتَ عليهِ قائماً ﴾ (آل عمران : ٧٥) وأجاز آخر أن يكون تاماً[١] . وكذلك اختلفوا في : ﴿ وأوصاني بالصلاةِ والزكاةِ مادمتُ حياً ﴾ (مريم : ٣١)[٢] .

على أنه يتعيَّنُ كونه تاماً حين يتضمَّن معنى البقاء ، كما في الآية : ﴿ . . . خالدين فيها مادامت السماواتُ والأرض ﴾ (هود : ١٠٧) أي : مابقيت السماوات والأرض .

أما « ليس » فتنفي أن يكون اسمها متصفاً بمعنى خبرها في الزمن الحاضر ، كما في قوله تعالى : « فليس له اليومَ ههنا حميم ﴾ (الحاقة : ٣٥) ومثله : ﴿ قال : ياقومُ ليس بي ضلالة ﴾ (الأعراف : ٦١) وكثيراً ماتدل على المستقبل ، إذ كثر ذلك في آيات القرآن الكريم حتى ليكادُ يساوي دلالتها على الحال ، من ذلك قوله : ﴿ ألا يومَ يأتيهم ليس مصروفاً عنهم ﴾ (هود : ٨) وقوله : ﴿ إن موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب ﴾ (هود : ٨١) وقوله : ﴿ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة ﴾ (النور : ٢٩) . وقد تدل على زمن عام مستمر مثل : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (الشورى : ١١) ومثل : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ (النجم : ٣٩) . أما دلالتها على الماضي فلاتثبتها النصوص المنقولة ـ فيما

---

(١) انظر : البحر المحيط : ٢/ ٥٠٠ والعكبري : ١/ ١٤٠ إذ جعل « ما » مصدرية غير زمانية ، وهذا يعني أن الفعل عنده تام لا ناقص .

(٢) انظر في هذا : مشكل إعراب القرآن : ٢/ ٥٦ ، وشرح المفصل : ٧/ ١١٤ إذ نص على أنها لا تكون ناقصة إلا إذا سبقت بفعل مضارع .

وقفنا عليه ـ ولكن النحويين يجيزونها قياساً ، ويشترطون وجود قرينة ، مثل : ليسَ النومُ مريحاً أمسِ . وليست دارنا واسعةً في العام المنصرم . ويستعمل عادةً في مثل هذا المعنَى فعل الكون منفياً ، يقال : لم يكن نومنا مريحاً أمسِ ، وماكانت دارنا واسعة في العام المنصرم .

٢ ـ لزوم « ما » قبل « دام » :

ولايكون الفعل « دامَ » ناقصاً إلا إذا سبقته « ما » المصدرية الزمانية ـ وتسمى في معظم كتب النحو : مصدرية ظرفية ـ وهذا يعني أنه لابد من تأويله بمصدر ذي موقع إعرابي ، وإليك مثالاً معرباً ، هو : سنبقى في المصيف مادام الجو حاراً .

- ـ ما : مصدرية زمانية :
- ـ دام : فعل ماض ناقص .
- ـ الجو : اسمها مرفوع بها ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .
- ـ حاراً : خبرها منصوب بها .

والمصدر المؤول في محل نصب ، نائب عن ظرف الزمان ، يتعلق بالفعل « نبقى » ، وعلة إعرابه نائباً عن ظرف زمان أن أصل التركيب : سنبقى في المصيف مدةَ دوامِ الجو حاراً . فحذف الظرف « مدة » وناب عنه المضاف إليه ، وهو : دوام . ثم حُوّل المصدر الصريح إلى مصدر مؤول[١] .

٣ ـ الخصائص الصرفية :

ويختلف هذان الفعلان عن سائر الأفعال الناقصة التي مرت في أنهما فعلان جامدان على صورة الماضي[٢] ، وعلى الرغم من أن « ليس » لاتكاد

(١) نقول هذا لتقريب القاعدة وشرحها . أما الواقع فهو أن المصدر المؤول هنا أسبق من الصريح .

(٢) رأى بعضهم أن (ما دامَ) يأتي منه المضارع أحياناً ، واحتج بقول العرب : « أدومُ لك ما تدومُ لي » . وليس ما ذهب إليه بصحيح ، لأن « ما تدوم » تناظر « أدومُ » وتماثلها ، وهي غير مسبوقة بـ « ما » المصدرية الزمانية ، ولذلك تكون تامة لا ناقصة .

تدل على زمن مضى ، بل على الحاضر أوالمستقبل ، جعلها النحاةُ في زمرة الأفعال الماضية لأن لها صورتها الشكلية ، وخصائصها الصرفية ، إذ تلحق بها تاء التأنيث : ليستْ ، وتاء الفاعل : لستَ ، لستُ ، لستِ ، وتبنى على الفتح[1] .

د ـ سلوك هذه الأفعال في التركيب

وأفعال هذه الزمر الثلاث تتشابه في سلوكها التركيبي العام ، ويتميز بعضها من بعض بخصائص تركيبية سوف نجلوها في هذه الفقرة .

١ ـ ماتتشابه فيه :

تتشابه هذه الأفعال في الخصائص التركيبية التالية :

١ ـ تدخل على الجملة الاسمية فتغيّر من إعراب ركنيها ، إذ ترفع المبتدأ وتنصب الخبر ، ويسمى الأول حينئذٍ اسمها ، ويسمى الثاني خبرها . وهذه التسمية مجرد اصطلاح لايدل على واقع ، لأن الخبر ليس خبرها حقاً ، بل هو خبر اسمها ، لأنه يخبر عنه لا عنها .

٢ ـ لاتدخل على جملة اسمية مبتدؤها من أسماء الصدارة ، كأن يكون اسم استفهام ، أواسم شرط ، أو « كم » الخبرية ، أو « ما » التعجبية ، لاحظ الجمل التالية :

ـ مَنْ جاءَ ؟ ← لايقال : كان مَنْ جاء ؟

ـ كم لنا من أمجاد ← لايقال : صار كم لنا من أمجاد .

ـ ما أكرمَ أخاك ← لايقال : بات ما أكرمَ أخاك .

وإذا دخلت على جملة شرطية مثل : صار مَنْ يعملْ يربحْ . كان اسمها ضميراً يدل على الشأن ، لا « مَنْ » الشرطية التي تليها ، إذ المعنى هنا : صار الشأنُ ، أو صارت الحالُ مَن يعمل يربح . وعلى هذا تحافظ الجملة الشرطية على استقلالها الإعرابي . فيكون اسم الشرط فيها ـ وهو : من ـ مبتدأ .

(١) انظر ما كتبناه عن « ليس » في قسم الصرف .

٣ ـ لاتدخل على جملة اسمية خبر المبتدأ فيها جملة إنشائية ، كما ترى فيما يلي :

- سعيدُ أكرِمْهُ ← لايقال : كان سعيد أكرمه .
- خالدٌ هل سألته ← لايقال : بات خالدٌ هل سألته .
- أبوك ما أعلمه ← لايقال : صار أبوك ماأعلمه .
- عمك لعله نائم ← لايقال : أضحى عمك لعله نائم .
- الخ . . .

وقد خرج على هذه القاعدة قول رجل من نهشل :

وكوني بالمكارم ذكّريني ودِلِّي دَلَّ ماجدةٍ صَناعِ

فتأوله النحاة ، والتمسوا له وجهاً آخر(١) .

٤ ـ يجوز تقديم أخبارها على أسمائها ، تقول : كان سخياً أبوك ، وظل نشيطاً ولدُك ، وسأعمل مادام متاحاً ليَ العملُ ، قال تعالى : ﴿ وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين ﴾ (الروم : ٤٧) وقال عمرو بن أحمر الباهلي :

بتيهاءَ قفرٍ والمطيُّ كأنها قطا الحَزْنِ قد كانتْ فراخاً بيوضُها

وقال ذو الرمة :

ألا ياأسلمي يا دارميّ على البلا ولا زالَ منهلاً بجرعائك القَطْرُ

ونسب إلى السموءل هذا البيت :

سلي إن جهلتِ الناسَ عنا وعنهمُ فليس سواءً عالمٌ وجهولُ

وقال آخر :

لاطيب للعيشِ مادامتْ منغّصَةً لذاتُهُ بادّكار الموت والهَرَمِ(٢)

هذا هو الجائز ، وهناك حالات يجب فيها تقديم الاسم على الخبر أو العكس ، وهي حالات مرت بنا وشُرحت في بحث المبتدأ والخبر ، ولانرى

---

(١) انظر : ابن عصفور . شرح الجمل : ١/ ٣٨٠ .

(٢) منع بعض النحويين تقديم خبر « ما دام » على اسمها ، قال ابن مُعْطِ :

ولا يجوز أن تقدم الخَبَرْ على اسم « مادامَ » وجاز في الأُخَرْ

كما نسب إلى الكوفيين منع تقديم خبر « ليس » ، لأنها جامدة .

داعياً لذكرها هنا ، ولكن من الممكن أن نستشهد ونمثّلَ لبعض حالاتها . قال تعالى : ﴿ ماكان صلاتهم عند البيت إلا مُكاءً وتَصْدية ﴾[1] . (الأنفال : ٣٥) . ففي هذه الآية لايجوز تقديم الخبر « مكاء » لوقوعه بعد أداة الحصر . وقال تعالى : ﴿ فما كانَ جوابَ قومه إلا أن قالوا . . . ﴾ (العنكبوت : ٢٤) إذ وجب تقديم الخبر لوقوع الاسم ـ وهوالمصدر المؤول ـ بعد أداة الحصر . وتقول : كان أبي رفيقي في الرحلة . فتقدم الاسم وجوباً لخلوه وخلو الخبر من علامة إعرابٍ ظاهرة ، والتقديم والتأخير في مثل هذا يؤدي إلى الالتباس ، ولذلك وجب التزام الرتبة . وتقول : كان في السيارة صاحبُها . فتؤخر الاسم وجوباً لأن فيه ضميراً يعود إلى بعض الخبر . وهكذا .

٢ ـ ماتختلف فيه :

ويتميز بعضها من بعض بمايلي :

١ ـ إن مالزمته « ما » النافية أو المصدرية لايجوز أن تتقدم أخبارها عليها ، وكذلك « ليس » . فلا يقال مثلاً : كريماً مازال أبوك . وغنياً مادام عمك ، وسهلاً ليس عملك . أما أفعال الزمرة الأولى فيجوز تقديم أخبارها عليها ، لأنها أفعال متصرفة كما عرفت ، يقال : كريماً كان أبوك . وغنياً صار عمك ، وسهلاً بات عملك ، وقبساً ظلت حضارة العرب .

غير أن أفعال الزمرة الأولى إذا دخل علّيها ماله صدر الجملة امتنع تقديم أخبارها عليها ، كأن يدخل عليها أداة شرط ، أو استفهام ، أو « ما » النافية ، ولام التوكيد ، مثل : هل صار عملك سهلاً ؟ وإن صار الجو دافئاً خرجت . و ﴿ ما كانت أمُّكِ بغياً ﴾ (مريم : ٢٨) ولأكونَنَّ معكَ . فلا يقال في مثل هذا : سهلاً هل صار عملك ، وهكذا .

وكذلك يمنع تقديم أخبارها عليها إذا وقع الفعل الناقص بعد « أَنْ » المصدرية ، أو كان واقعاً في الجملة موقع الصفة ، مثل : يروقني أن يكونَ

---

(١) المُكاءُ : الصفير . والفعل منه : مَكا يمكو . مثل : دعا يدعو . والتصدية : التصفيق ، والفعل منه : صَدَّى يُصَدِّي ، مثل : مَنّى يُمنّي .

أبوك حاضراً . وهٰذا صديق كانٰ وفياً . فلا يقال : يروقني حاضراً أن يكون أبوك . ولا : هذا صديقٌ وفياً كان .

٢ ـ قد يقع خبر « كان » جملة فعلية فعلها ماض ، كقوله تعالى : ﴿ إن كان قميصه قُد من قُبُلٍ فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ (يوسف : ٢٦) ، وقال الفرزدق :

وكنـا ورثنـاهُ علـى عهـدِ تُبَّـعٍ طـويلاً سـواريـهِ شـديـداً دعـائِمُـهْ

وقال زهير :

وكـان طـوى كشحـاً علـى مُسْتكنّـةٍ فـلا هـو أبـداهـا ولـم يتجمجـمِ[1]

ولايجوز ذلك فيما لزمته « ما » النافية أو المصدرية ، ولا في « صار » وما جاء في معناها ، كأصبح ، وأمسى ، وأضحى ، وظل ، وبات . إلا إذا قيدت اتصاف اسمها بمعنى خبرها بزمن خاص يدل عليه جذرها . فلا يقال مثلاً : صار الطفلُ كتبَ . ولا : مازال الطفلُ قَعَدَ . ولا : أضحى الطفلُ كَبِر ، ولا : ظَلَّ الرجلُ نامَ . أما قول النابغة الذبياني :

أمست خلاءً وأمسى أهلها احتملوا أَخْنى عليها الذي أَخْنى على لبدِ

فإن الفعل « أمسى » يقيد احتمال الأهل بالمساء ، ولذلك جاز أن يقع الفعل الماضي خبراً له .

أما « ليس فقد نقل فيها عن العرب قولهم : « ليس خلقَ الله مثله » . فجلعه النحاة ركيزةً لإجازة وقوع خبرها جملة ماضوية .

٣ ـ تنفرد « ليس » و « كان » المنفية بجواز أن يأتي الخبر فيها مجروراً بالباء الزائدة ، كقوله تعالى : ﴿ أليس الله بكافٍ عبدَهُ ﴾ (الزمر : ٣٦) وكقول الشنفرى :

وإن مُدَّتِ الأيدي إلى الزادِ لم أكنْ بـأعجلهـم إذ أجشـعُ القـومِ أَعْجَـلُ

(١) يقدر بعض النحويين « قد » قبل الفعل الماضي الواقع خبراً للفعل الماضي الناقص ، لأنه فعل ماض ، ولا يجوز ـ فيما يرى ـ أن يخبر عنه إلا باسم أو بما ضارعه وهو الفعل المضارع . فإذا قلت : كان زيد قام . أغنى عنه في رأيه : زيد قام . والحق أن الجملتين ليستا سواءً من حيث الدلالة على الزمان .

٤ ـ يجوز أن يكون أفعال الزمرة الأولى اسماً من أسماء الصدارة ، وأن يتقدم عليها ، مثل : أين كنتَ ؟ وكيف صرتَ ؟ وكم بات أجرك ؟ وكيف ظلِلْتَ نهارَك ؟ وأيَّ بطلٍ صار ولدك ؟ وماتكن يكن ولدك ، ومثلَ من تكن أكن . ولايكون كذلك خبر الزمرتين الأخريين .

٥ ـ لايجوز أن تقع أداة الحصر « إلا » بعد الأسماء في جمل الزمرة الثانية ، ولا بعد « مادام » فلا يقال : مازال أخوك إلا مجداً . وقد خرج على ذلك قول ذي الرمة :

مــراجيــجُ مــاتنفــك إلا مُنــاخــةً على الخَسْفِ أو نرمي بها بلداً قفراً

على حين يجوز ذلك في الأفعال الأخرى ، تقول : ليس الطيبُ إلا المسكَ . وماكنتَ إلا الموجه لنا .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم ، وكانوا أشدَّ منهم قوة ، وماكان الله ليعجزه من شيءٍ في السماوات ولا في الأرض ، إنه كان عليماً قديراً ﴾ (فاطر : ٤٤) .

٢ ـ ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك : إن كنتُن تردنَ الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعْكنَّ وأسرّحْكنَّ سراحاً جميلاً ﴾ (الأحزاب : ٢٨) .

٣ ـ قال أبو دواد الإيادي :

أليس جهلاً بذي شيبٍ تَذَكّرُهُ مَلهى ليالٍ خلتْ منهُ وأَعْوامِ



٢ ـ أفعال المقاربة

يطلق هذا المصطلح على ثلاثة أفعال هي : كادَ ، وأوشك ، وكَرَبَ[1] . وهي في جملة الأفعال الناقصة لأنها تدخل على جملة مستقلة التكوين ، فتضيف إلى إسنادها معنى فرعياًهو قرب حصول الخبر ، كما سوف نرى ، وعلى الرغم من كونها أفعالاً فإن الإسناد في جملتها لايتم إلا بذكر الخبر ، على غرار مارأينا في « كان » وأخواتها .

آ ـ لماذا سميت أفعال المقاربة :

من ملاحظة الفرق بين الجملتين :

ـ المطرُ يَهْطُلُ .

ـ كادَ المطرُ يهطل .

يتبين لك سبب إطلاق هذا المصطلح على هذه الأفعال ، فالجملة الأولى تدلُّ على أن المطر في حال هطولٍ وقت التكلم ، أما الجملة الثانية فتدل على أن المطر لم يهطل ، ولكن علائم الجو تدل على قرب هطوله .

فالفعل « كاد » أضاف إلى إسناد الجملة معنىً فرعياً هو أن حدث الخبر لم يحصل ، ولكن حصوله باتَ قريباً[2] . ومن هذا قوله تعالى : ﴿ يكادُ زيتُها

---

(١) أضاف بعضهم الفعل « ألَمَّ » ودليله الحديث النبوي : « لولا أنه شيءٌ قضاه الله لألَمَّ أن يذهب ببصره » . ويمكن أن يضاف إليها الفعل « يريد » في قوله : « فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض » (الكهف : ٧٧) فقد فسره معظم المفسرين بمعنى (قَرُب) . انظر القرطبي : ١١/ ٢٥ . والكشاف : ٢/ ٢٦٧ .

(٢) ذهب بعضهم إلى أنّ « كاد » تأتي بالمعاني التالية :

آ ـ التوكيد : مثلُ : « ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها » . (النور : ٤١) ومثله قول زيد الخيل :

سريع إلى الهيجاء شاكِ سلاحَهُ ... فما إنْ يكادُ قِرنُهُ يتنفس

والذي أراه أن معنى المقاربة نفسه يفيد في مثل هذين التوكيد .

ب ـ النفي : كقول بعض العرب : « أكاد أبرحُ منزلي » أي : لا أبرحه .

يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾ (النور : ٣٥) فالزيت لايضيء ولكنه يكاد . على أنه في مواضع قليلة يدل الكلام على حصول الخبر ، كما في قوله : ﴿ فذبحوها وماكادوا يفعلون ﴾ (البقرة : ٧١) أي ذبحوها وكادوا لا يذبحونها .

ب ـ عمل هذه الأفعال :

وعمل هذه الأفعال لايختلف عن عمل « كان » وأخواتها ، وإن كانت تباينها في الخصائص التركيبية ـ كما سوف ترى ـ فهي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر ، وعلى هذا يكون إعراب الجملة السابقة كما يلي :

ـ كاد : فعل ماض ناقص من أفعال المقاربة ، مبني على الفتح الظاهر .

ـ المطرُ : اسم « كاد » مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

ـ يهطل : فعل مضارع مرفوع ، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره : هو . وجملة « يهطل » في محل نصبٍ ، خبر كاد .

ويقال مثل هذا تماماً في إعراب : أوشك الزادُ أن ينفد . وكَرَبَ الهمُّ يَزولُ .

ج ـ خصائصها التركيبية :

١ ـ لعلك لاحظت من الأمثلة المتقدمة أن خبر « كاد » وأختيها : كربَ ، وأوشكَ ، لايأتي اسماً ظاهراً ، ولاضميراً متصلاً ، ولاشبه جملة ـ كما رأيت في أخبار « كان » وأخواتها ـ بل لابد له من أن يكون أحد شيئين :

ـ جملة فعلية فعلها مضارع .

ج ـ الإرادة : كما في قوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » . (طه : ١٥) أي : أريد أن أخفيها . ومن هذا قولهم : لا أفعل ذلك ولا أكاد . أي : ولا أريد .

انظر في هذا كله : تفسير الطبري : ١٦/ ١٥١ ، وتفسير الرازي الكبير : ٢٢/ ٢١ ـ ٢٢ هذا وقد جعل ابن الحاجب الفعلين : كَرَبَ وأوشك ، من أفعال الشروع . انظر : شرح الفريد : ص : ٣٢٠ .

ـ مصدر مؤول من « أَنْ » والفعل المضارع[1] .

وذلك كما ترى في الشواهد التالية :

ـ قال تعالى : « فذبحوها وماكادوا يفعلون » (البقرة : ٧١) .

ـ وقال عمر بن أبي ربيعة :

فلاتحرمي نفساً عليكِ مُضِيقةً وقد كَرَبَتْ من شدة الوجد تطلعُ

ـ وقال جرير :

إذا جهل الشقي ولم يقدر ببعض الأمر أوشك أن يصابا

فخبر « كادوا » في الآية جملة « يفعلون » ، وخبر « كَرَبَ » في بيت عمر جملة « تطلع » وخبر « أوشك » في بيت جرير المصدر المؤول « أن يصابا » .

على أنه يغلب على خبري « كاد ، وكرب » أن يكونا جملتين فعليتين مضارعتين لامصدراً مؤولاً[2] ، ويغلب على خبر « أوشك » أن يكون مصدراً مؤولاً لاجملة ، إلا أن العكس ليس ببعيد ، أعني أن يقع خبر : كاد ، وكرب ، مصدراً مؤولاً ، ويقع خبر : أوشك ، جملة فعلية فعلها مضارع .

وذلك كما ترى في الشواهد التالية :

ـ قال الرسول أو عمر بن الخطاب : « ماكدت أن أصلي العصر حتى كادت الشمسُ أن تغرب » .

ـ وقال أبو زيد الأسلمي :

سقاها ذوو الأحلام سَجْلاً على الظما وقد كربت أعناقها أن تَقَطَّعا

ـ وقال أمية بن أبي الصلت :

---

(١) هذا يعني أن إسقاط الفعل الناقص لا يَرْجع بالجملة إلى تركيبٍ اسميٍ سليم ، مثل : أوشك المطرُ أن يهطُلَ . إذ لا يقال : المطرُ أن يهطُلَ . فَمثل هذا التركيب تأباه العربية ، ولذلك قيل : إن الأصل : المطر ذو هطولٍ . ثم حذف المضاف « ذو » ، وحل محله المضاف إليه ، فصارت الجملة : المطرُ هطولٌ . ثم تحول المصدر الصريح إلى مصدر مؤول . وهذا كله تأويل ، ولا ترضاه العربية .

(٢) لم يقع خبر « كاد » في القرآن إلا جملة فعلية فعلها مضارع .

يـوشـك مــن فـرَّ مــن منيتـه فـي بعـضِ غـرّاتِـهِ يـوافقُهـا

٢ ـ وهناك ملاحظة أخرى هي أن الخبر في جمل هذه الأفعال لابد من أن يرفع فيه الفعلُ المضارع ضميرَ اسمه ، وهذا يعني أن أسماء أفعال المقاربة فاعلة في المعنى[1] ، وذلك كما ترى في قوله تعالى : ﴿ يكاد البرق يَخْطَفُ أبصارهم ﴾ . (البقرة : ٢٠) فالبرق اسم « يكاد » من حيث الإعراب ، وجملة « يخطف أبصارهم » خبره ، وفاعل « يخطف » ضمير مستتر تقديره : هو ، يعود إلى البرق ، فالبرقُ في المعنى هو الفاعل للفعل : يخطف . وهذا كثير في الكلام بل هو الأصل ، من ذلك قوله : ﴿ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ (النور : ٤٣) وقول الكلحبة اليربوعي :

كــرب القلــبُ مــن جَــواهُ يــذوبُ حين قـال الـوشـاةُ : هنـد غضـوبُ

ومن القليل النادر أن يرفع فعل الجملة الخبرية فاعلاً غير ضمير اسمه ، كما ترى في قول ذي الرمة يتحدث عن الربع :

وأسقيــه حتــى كــاد ممــا أبثُّــهُ تكلمنــي أحجــارُهُ ومــلاعِبُــهُ

فخبر « كاد » جملة : تكلمني أحجاره . والفاعل فيها هو : الأحجار . لا ضمير الربع[2] .

٣ ـ ومن خصائص هذه الأفعال أن من الممكن حذف أخبارها إذا دل عليها دليل ، وذلك كما ترى في الحديث النبوي : « من تأنَّى أصابَ أو كادَ ، ومن عجل أخطأ أو كاد » ، ومن ذلك قول الحطيئة :

مـاكـان ذنبـيَ فـي جـارٍ جعلـت لـه عيشاً ، وقد ذاقَ طعمَ الموت أو كَرَبا

فالتقدير في الحديث : أصاب أو كاد يصيبُ ، وأخطأ أو كاد يخطىء . والتقدير في البيت : ذاقَ طعم الموت أو كرب يذوقه .

٤ ـ ويجوز أن يتقدم خبرها على اسمها إذا لم يكن مصدراً مؤولاً ،

---

(١) قلت : في المعنى لا في الإعراب .

(٢) منع هذا بعضهم ، وذهبوا إلى أن فاعل « تكلمني » ضمير مستتر يرجع إلى الطلل الذي هو اسم « كاد » في المعنى . أما « أحجاره » فبدل اشتمال منه لا فاعل . وهذا التقدير غير مستقيم ، ولو صح لكان يلزم أن يقول : يكلمني .

تقول : كاد يذهب البردُ ، والأصل : كاد البردُ يذهبُ . ومنه قول القطامي :

ولاكـردِّك مـالـي بعـدمـا كـربَـتْ تُبـدي الشنـاءةَ أعـدائـي وحُسّـادي

فجملة « تبدي الشناءةَ » في محل نصبٍ ، خبر مقدم للفعل : كرب . وأعدائي اسمه .

أما إذا كان الخبر مصدراً مؤولاً فلا يَحْسُن أن يتقدم عليه ، ولذلك يعدون « أوشك » فعلاً تاماً في مثل : أوشك أن يتوقف العملُ ، كما سوف ترى .

٥ ـ ولايجوز أن يتقدم الخبر على فعل من هذه الأفعال ـ فلا يقال : يسقط من يدك كادَ الكأسُ . ولا : أن يفوزَ أوشك فريقُنا .

د ـ استخدامُ هذه الأفعال تامة :

وتأتي الأفعال الثلاثة تامة أحياناً ، ولكنها تختلف في ذلك . أما (كاد) و (كرَبَ) فلا يأتيان تامين إلا ويكون لكل منهما معنى وتصريف غير المعنى والتصريف اللذين لهما وهما ناقصان ، إذ يكون معنى (كاد) إرادةَ مضرةِ الآخرين لا المقاربة ، وتكون صورة المضارع « يكيد » لا « يكادُ » ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ لاتقصُصْ رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ﴾ (يوسف : ٥) أي : فيوقعوا بك الشر بكيدهم . وأما « كرب » التام فله عدة معان أهمها مااشتق من الكرْبِ ، وهو شدة الحزن والغم ، وفي هذا المعنى يكون له فعل مضارع هو : يكرُبُ . أما : كرَبَ ، الناقص فلا مضارع له . ومن هنا يكون في العربية فعلان بصورة « كاد » ، وفعلان بصورة «كَرَبَ » ، أحدهما تام ، والثاني ناقص ، والناقص فيهما لايُستعمل تاماً .

أما « أوشك » فيستخدم تاماً بالمعنى نفسه ، إلا أن سلوكه في التركيب يختلف وهو تام عن سلوكه وهو ناقص ، فإذا كان تاماً لزم صورة واحدة هي الإفراد والتذكير ، تقول : العامل أوشك أن يتم عملَه . والعاملة أوشك أن يتم عملها ، والعاملان أوشك أن يتم عملاهما . والعمال أشوك أن تتم أعمالهم . وعلة ذلك أن الفعل « أوشك » يعمل فيما بعده ، والتقدير : العمال أوشك تمامُ عملهم . وأمثال ذلك .

وإذا كان ناقصاً طابق ماقبله ، ولحقت به الضمائر تقول : العاملة أوشكت أن تتم عملها ، والعاملان أوشكا أن يتما عمليهما . والعمال أوشكوا أن يتموا أعمالهم ، والعاملات أوشكن أن يتممنَ أعمالهنّ . لأن اسم الفعل الناقص حينئذٍ لابد له من أن يكون ضميراً مطابقاً لما قبله .

هـ ـ الخصائص الصرفية :

وكذلك يختلف بعض هذه الأفعال عن بعض في التصريف ، فالفعل « كاد » يكثر استعماله في صيغة المضارع[1] ، مثل : ﴿ تكاد السماوات يتفطرن منه ﴾ (مريم : ٩٠) ومثله قول ذي الرمة :

إذا غيّر النأيُ المحبين لم يكَدْ رَسيسُ الهوى من حب مَيَّةَ يَبْرَحُ

ويأتي منه اسم الفاعل في نادر من الكلام ، ولايكون إلا في لغة الشعر ، كما في قول كثير عَزة :

أموتُ أسىً يومَ الرِّجام وإنني يقيناً لرَهْنٌ بالذي أنا كائدُ

أي : بالذي أنا كائدٌ ألقَاهُ . فحذف جملة الخبر .

وكذلك يأتي الفعل « أوشك » في صيغة المضارع ، وقد مرَّ بنا منه قبل قليل قول أمية :

يوشك من فرَّ من منيته في بعض غِراته يوافقها

وأتى منه صيغة اسم الفاعل في الشعر ، كقول كثير عزة :

فإنك موشك ألاّ تَراها وتَغْدو دونَ غاضرةَ العوادي

وقول ابي سهل الهذلي :

فموشكةٌ أرضنا أن تعودَ خلافَ الأنيسِ وُحوشاً يَبابا

وجاء منه اسم التفضيل في قول الشاعر ، وذلك أكثر ندرة :

ومامُخْدَرٌ وَرْدٌ عليه مَهابةٌ يصيدُ الرجالَ كلَّ يوم ينازلُ

بأوشكَ منه أن يساور قِرْنَهُ إذا شالَ عن خفض العوالي الأسافِلُ

---

(١) جاء في القرآن الكريم عشر آيات فيها « كاد » بصيغة الماضي ، وأربع عشرة فيها « يكاد » بصيغة المضارع .

أما « كرب » ففعل جامد ، لايأتي منه غير الماضي ، وذهب بعضهم إلى أنه جاء منه اسم الفاعل في قول قيس بن خفاف :

أبنــيَّ إِنّ أبــاك كــارِبُ يــومِــهِ   فـإذا دُعيتَ إلـى المكـارم فـاعجَـلِ

وذكر أن اسم « كارب » ضمير مستتر فيه ، وخبره محذوف ، وقدر الكلام : إن أباك كارِبٌ يموتُ في يومِهِ . وأنكر آخر هذا المذهب ، ورأى أن « كارب » في البيت اسم فاعل من « كرب » التام ، الذي يعني ـ فيما يعنيه ـ القرب ، وقدر المعنى : إن أباك قريبٌ يومُه .

ومهما يكن من شيء فإن مجيء اسم التفضيل من « أوشك » ، واسم الفاعل من « كرب » من النادر الشاذ .



٣ ـ أفعال الرجاء

آ ـ ما هي وما وظيفتها ؟ :

تتألف هذه الزمرة من ثلاثة أفعال تختلف من حيث كثرة استخدامها وقلته ، هي : عسى ، وحَرى ، واخلولق . فأكثرها استخداماً « عسى » ، حتى إن القرآن لم يستخدم غيرها ، وندر في الكلام استعمال أختيها .

ووظيفة هذه الأفعال أن تدخل على جملة اسمية فتضيف إليها معنى فرعياً هو الرجاء أو الرغبة في حصول الخبر ، لاحظ الفرق بين الجملتين التاليتين :

ـ المطرُ يهطلُ .

ـ عسى المطرُ أن يهطل .

ففي الجملة الأولى تقرير فحواه أن المطر كان في حالة هطول وقت التكلم ، أما الجملة الثانية فتعني أن المطر لايهطل الآن ، ولكن المتكلم يرجو هطوله .

وواضح من المثال السابق أن هطول المطر ليس بعيد المنال ، بل متوقع الحصول ، وأنه لم يحصل في الماضي ، ولا في الحاضر ، بل سيحصل ـ إن حصل ـ في المستقبل ، وهذا يعني أن هذه الأفعال تخالف « كان » التي تحدد زمن الجملة الاسمية بالماضي ، لأنها تحدده بالمستقبل ، على الرغم من أننا نعربها أفعالاً ماضية .

نخرج من هذا كله بالنتيجة التالية :

١ ـ أفعال الرجاء كالأدوات تكسب الجملة الاسمية دلالتين : معنى الرجاء ، والمستقبل .

٢ ـ الرجاء هو إظهار الرغبة في حصول شيء يمكن حصوله .

على أنها قد تخرج إلى معنى آخر غير الرجاء ، كالإشفاق من وقوع أمرٍ غيرِ مستحب ، كأن يقال : لاتخالف القانون فعسى ذلك أن يوقعك في

مأزق[1] . أو إلى الجواز والاحتمال ، تقول : عسى الذي تمد إليه يدَ الأخوة والمحبة أن يكون من عدوك . أي : يجوز أو يحتمل ذلك[2] .

أما وظيفتها الإعرابية فلا تختلف عن وظيفة أفعال المقاربة وغيرها من الأفعال الناسخة ، فهي رافعة للمبتدأ ، ناصبة للخبر ، مثل : ﴿ عسى ربك أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ (النساء : ٨٤) . وتقول : حرى الكرب أن يزولَ ، واخلولق الغريب أن يرجع إلى وطنه .

ب ـ خصائصها التركيبية :

ولاتختلف الخصائص التركيبية لهذه الأفعال عن خصائص أفعال المقاربة ، إذ لابد من أن يكون خبرها مصدراً مؤولاً ، كما ترى في الشاهدين التاليين والمثالين اللذين بعدهما :

ـ ﴿ عسى ربكم أن يُهلك عدوَّكم ﴾ (الأعراف : ١٢٩) .

عسى الله بعدَ النأي أن يصقب النوى ... ويُجْمَعَ شملٌ بعدها وسُرورُ

ـ حرى القانون أن يطول جميع الناس .

ـ اخلولق الموسم أن يكون خيراً من المواسم السابقة .

ولكن قد يأتي خبر « عسى » خاصةً جملة فعلية فعلها المضارع من دون « أَنْ » وهذا قليل ، كقول هدبة بن خشرم :

عسى الكربُ الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريبُ

(١) يرى كثير من الذين عُنوا بالقرآن تفسيراً أو إعراباً أن « عسى » من الله تعالى واجبة ، وإن كانت في كلام المخلوقين رجاءً وطمعاً ، لأن الله لا تعرض له الشكوك ، ويرى آخرون أنها من الله رجاء أيضاً ، ولكن حصول الشك فيها لا للقائل . انظر في هذا : البرهان في علوم القرآن : ٤/ ١٨٥ ، والتفسير الكبير : ٦/ ٢٨ .

(٢) ومن ذلك قوله تعالى ـ وهي فيه فعل تام لا ناقص ـ : « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » . (البقرة : ٢١٦) وقوله : « لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساءٍ عسى أن يكنَّ خيراً منهنَّ » . (الحجرات : ١١) .

وقول الآخر :

عسى الله يغني عن بلاد ابن قادرٍ بِمُنْهِمِرٍ جَوْنِ الربابِ سَكوبِ

وقول الآخر :

فأمّا كيّسٌ فنجا ولكنْ عسى يَغْتَرُّ بي حَمِقٌ لئيمُ

وهناك لغة قديمة جاء فيها خبر « عسى » اسماً ظاهراً ، من ذلك قولهم : عسى الغوير أبؤساً[1] . وقال الراجز :

أكثرتَ في العذلِ ملحاً دائماً لاتكثرنْ إني عَسَيْتُ صائما

ويغلب على الفعل المضارع في الخبر أن يرفع ضمير الاسم ، كما ترى في الشواهد السابقة ، إلا أنه قد يرفع اسماً ظاهراً يَمُتُّ إلى الاسم بعلاقة أو سبب ، كقول البرج التميمي :

وماذا عسى الحجاجُ يبلغ جَهْدُهُ إذا نحن جاوزنا حفيرَ زيادِ

فالجملة الخبرية هي : يبلغ جهده . والفاعل فيها ليس ضمير الحجاج ، بل شيء ذو علاقة به ، هو : جهده . ومثله قول هدبة السابق :

يكونُ وراءه فرج قريب

فإن شئت جعلت « فرج » فاعلاً لـ «يكونُ » التا ، أو اسماً له وهوناقص ، وإن شئت جعل مرفوع « يكون » ضميراً مستتراً يعود إلى « الكرب » ، وجملة « وراءه فرج قريب » خبره .

ج ـ الخصائص الصرفية :

أفعال الرجاء الثلاثة جامدة ، لايأتي منها إلا الماضي ، فلا مضارع لها[2] ولا أمر ، ولامصدر ولامشتقات ، ومن أجل ذلك جعل بعض النحاة « عسى » حرفاً ولم يقتنع بأدلة فعليتها . أو : لكن يحول دون الأخذ بهذا الرأي مظاهر صرفية ، فقد تلحق بهذه الكلمات ضمائر الرفع ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض ﴾ (محمد : ٢٢)

(١) ينسب هذا القول إلى الزباء ، وهي قبل الإسلام بثلاثة قرون .
(٢) حكى بعض النحاة مضارعاً للفعل (عسى) ، هو : يعسي .

وتقول قياساً على ذلك : اخلولقت أن تنجح . وحريتم أن تقودوا الناس إلى النصر . ويقال : عسينا ، وعَسَوْا ، وعَسَيْتَ ، وعَسَيْتما ، وعسيتم ، وعَسَتْ ، وعستا[1] . ويقاس عليها الفعلان : حرى واخلولق .

إنها إذن أفعال ماضية أحالها التطور إلى أن تستخدم استخدام الأدوات ، فزال معناها الأصلي ، وجمدت على صورة الماضي ، ولكن لم تَزُلْ عنها خصائصها الصرفية الأخرى ، وهي اتصال الضماشر بها .

د ـ استعمالها تامة :

لاحظ قوله تعالى :

ـ ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ (البقرة : ٢١٦) .

هل يمكن أن تكون « عسى » هنا ناقصة ؟ إن كانت كذلك فأين اسمها ؟

الحق أنها ليست ناقصة ، بل هي فعل تام بمعنى : يجوز ، والمصدر المؤول بعدها في محل رفعٍ ، فاعلٌ لها . ويتبين لك في هذه الجملة أنه لم يقع بعد الفعل « كره » اسم ظاهر ، بل وقع بعده ضمير رفع ، هو واو الجماعة ، وهذه الواو ضمير متصل لابد له من أن يتصل بعامله ، وهو هنا الفعل مما يحتم كونه فاعلاً له ، ولايمكن أن يكون اسماً للفعل « عسى » . والقول نفسه يقال في إعراب « عسى » من قوله تعالى : ﴿ لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ﴾[2] (الحجرات : ١١) .

---

(١) إذا اتصلت بضمير رفع متحرك جاز فتح السين ـ وهو الأصل ـ وجاز كسرها حملاً على : عسِيَ ، كخشِي يخشى . وذكروا لهذه صفة مشبهة هي : عَسٍ ، مثل : عَمٍ ، وشجٍ .

(٢) يرى ابن مالك أن المصدر المؤول في محل رفع بعسى ، وقد سد مسد اسمها وخبرها في مثل هذا التركيب . انظر : شرح عمدة الحافظ : ٨١٩ . ويفهم من كلام سيبويه(٣/١٥٧) أن المصدر المؤول بعد « عسى » في مثل : عسيتَ أن تفعل . في محل نصب مفعول به ، لأن « عسى » هنا ضمن معنى الفعل« قارب » ، وأوّله بقوله : قاربت ذاك .

ولكن لاحظ العبارة التالية :

ـ عسى أن يفوز فريقنا .

وقع هنا بعد الفعل « يفوز » اسم مرفوع ظاهر هو : فريقنا . فهل هو فاعل له ، أم هو اسم للفعل : عسى ؟

في مثل هذه العبارة يمكن أن تقول : إن « عسى » فعل تام ، والمصدر المؤول فاعله ، وفريقنا : فاعل للفعل : يفوز . ويمكن أيضاً أن تجعل « عسى » . فعلاً ناقصاً ، وتجعل اسمه « فريقنا » ، وتجعل خبره المصدر المؤول : أن يفوز . وتقدر الأصل : على فريقنا أن يفوز .

إلا أن القول بكونها ناقصة قد يؤدي إلى تراكيب ضعيفة من حيث الأسلوب ، إذ يفرض أن تلحق ضمائر التثنية والجمع والتأنيث بفعل المصدر المؤول ، تقول : عسى أن يفوزا الفريقان ، وعسى أن ينجحوا أولادُنا ، وعسى أن ينجحْنَ الطالبات . لأن التقدير في هذه الجمل : عسى الفريقان أن يفوزا . وعسى أولادنا أن ينجحوا ، وعسى الطالباتُ أن ينجحْنَ .

إذن ، هناك نوعان من التركيب :

الأول : أن يلي (عسى) مباشرة مصدر مؤول لايرفع الفعل اسماً ظاهراً ، وفي هذه الحال لابد من القول بتمام « عسى » .

الثاني : أن يلي (عسى) مباشرة مصدر مؤول ، ويرفع فيه الفعل اسماً ظاهراً ، ولك فيه هناك وجهان ، كما رأيت ، والقول بالتمام أيسر .

والآن لاحظ الجملة التالية :

ـ عسى أن يشخّص الطبيبُ المرضَ .

هنا رفع الفعل اسماً ظاهراً ، فهل يمكن أن تكون « عسى » ناقصة كما أمكن في الجملة السابقة ؟ هب ذلك جائزاً ، فإلامَ يفضي هذا ؟ سوف يكون الطبيب اسمها ، والمرض مفعولاً به للفعل : يشخص . ويؤدي ذلك إلى الفصل بين الفعل والمفعول به باسم (عسى) ، وهو أجنبي عن الفعل ومفعوله ، وذلك لا يجوز ، ومن هنا وجب أن تكون (عسى) تامة في مثل هذا التركيب ، والمصدر المؤول فاعلاً لها ، والطبيب : فاعل الفعل :

يشخص . وإذن ، فإن (عسى) يجب أن تكون تامة في موضعين : إذا باشرها مصدر مؤول لم يرفع فعله اسماً ظاهراً ، وإذا باشرها مصدر مؤول ونصب فعله مفعولاً به . ويجوز أن تكون تامة وناقصة إن رفع الفعل في المصدر المؤول اسماً ظاهـراً ولم ينصب مفعولاً به .

وما قيل عن « عسى » يقال مثله عن « اخلولق »[1] .

☆ ☆ ☆

(١) قد تكون « عسى » حرفاً مثل « لعل » ، فتنصب الأول وترفع الثاني ، ويكون اسمها ضميراً متصلاً ، كما في قول الشاعر :

فقلـتُ : عساهـا نـارُ كـأسٍ ، وعلَّهـا تَشَكّـى فـآتـي نحـوهـا فـأجيـرُهـا

وتقول : عساك أن تفعلَ ، وعساني أراك ، وعساه يرى وجه الصواب ، وعسانا أن نصل في الوقت المناسب .

٤ ـ أفعال الشروع

آ ـ ماهي وما وظيفتها ؟ :

هي أفعال كثيرة تُرْبي على خمسة عَشَرَ فعلاً تدخل على الجملة الاسمية وتضيف إلى إسنادها معنىً جديداً هو الشروع بالعمل ، وهي : شرع ، وأنشأ ، وطفِقَ ، وأخذ ، وجعل ، وعَلِق ، وهَبَّ ، وقامَ ، وقَعَدَ ، وأقبل ، وقاربَ ، ونشِب ، وطار ، وقرب ، ودنا ، وانبرى ، وهلهلَ . وازن بين الجملتين التاليتين ، وسوف ترى معنى « الشروع » واضحاً في الجملة الثانية :

ـ المرأةُ تلومُ زوجها .

ـ أخذت المرأةُ تلومُ زوجها .

على أن هذه الأفعال تختلف قلةً وكثرة من حيث الاستعمال ، وقد ورد منها في القرآن الكريم الفعل « طفِقَ » ، كقوله تعالى : ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ (الأعراف : ٢٢) ، وجاء في الشعر « أخذ » كقول الشاعر :

وأخـذتُ أسـألُ والـرسـومُ تجيبني إلا اعتبــارَ إجــابــةٍ وسُــؤالِ

وجاء أيضاً : علق ، وأنشأ ، وهب ، وجعل ، وهلهل ، كما سوف ترى .

يضاف إلى ذلك الدلالة الزمانية ، فعلى الرغم من مجيء هذه الأفعال بصورة الفعل الماضي ، نراها تدل على الزمان الحاضر ، كما هو واضح لك فيما تقدم من أمثلة ، ثم إنها أفعال جامدة لايأتي منها إلا الفعل الماضي(١) ، وقد ذكر بعض اللغويين أنَّ الفعلين « جعل ، وطفق » جاءا بصيغة المضارع بهذا المعنى ، ونقلوا عن القدماء قولهم : « إن البعيرَ ليهرَمُ ، حتى يجعلُ إذا شربَ الماء مجه » .

---

(١) هذا إذا كانت بمعنى الشروع ، فإذا كانت بمعنى جذورها كانت متصرفة .

ب ـ خصائصها التركيبية :

لهذه الأفعال خاصة تركيبية تختلف قليلاً عما مَرَّ بنا من أفعالٍ ناقصة ، تتجسَّدُ في ظاهرتين ، هما :

١ ـ أن يكون الخبر جملة فعلية فعلها مضارع ، ولايكون مصدراً مؤولاً[١] ، أو نوعاً آخر من أنواع البِنَى والتراكيب[٢] .

٢ ـ أن يكون فاعل الفعل المضارع في جملة الخبر ضميراً بارزاً أو مستتراً يرجع إلى اسم فعل الشروع ، وذلك كما ترى في قوله تعالى : ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ (الأعراف : ٢٢) ، ففاعل الفعل « يخصف » ـ وهو جزءٌ من جملة الخبر ـ يرفع فاعلاً هو الضمير البارز المتصل به ، أعني ألف الاثنين التي تعود إلى اسم « طفق » . ومثل ذلك قول الشاعر :

أراك عَلِقْتَ تظلِمُ من أجرنا ... وظُلْمُ الجارِ إذلالُ المجيرِ

ففي الفعل « تظلم » ضمير مستتر تقديره « أنت » ، وهو يعود إلى التاء في « علقتَ » ، أو هو نفسه في الدلالة على اسم « علق » ، أي المخاطب . ومثل ذلك قول الآخر :

وطئنا ديار المعتدين فهلهلتْ ... نفوسهمُ قبلَ الإماتةِ تزهَقُ

في الفعل : تزهقُ ، ضمير مستتر يعود إلى « نفوسهم » ، وهو اسم فعل « هلهلت » .

وقد يرفع الفعل المضارع في جملة الخبرِ فاعلاً ظاهراً يمتُّ إلى اسم فعل الشروع بسبب ، كما ترى في قول عمر بن أحمر الباهلي :

وقد جعلتُ إذا ماقمتُ يثقلني ... ثوبي فأنهض نهضَ الشارب الثَّمِلِ

(١) ذكر أبو حيان في (منهج السالك : ٧٠) أنه وقف على شاهد جاء فيه الخبر مصدراً مؤولاً ، وأنه نسي موضعه .

(٢) منع بعضهم هذا ، وقدر للفعل « يثقل » فاعلاً غير ظاهر ، وجعل « ثوبي » بدلاً منه . وهذا رأي ضعيف ، لأن البدل هو المقصود بالحكم ، وذلك يعني ـ في النهاية ـ أنه فاعل . وإذا قدر الفاعل « أنا » وثوبي بدل اشتمال وجب أن لا يكون الفعل المضارع بصيغة الغائب .

فقوله : ثوبي . هوفاعل الفعل : يثقل ، وهو جزء من جملة الخبر .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم ﴾ (يونس : ٢)

٢ ـ قال عبد الله بن رواحة :

ماكان أسعدَ من أجابَكَ آخذاً   بهداكَ مجتنباً هَوىً وعِنادا

٣ ـ قال عبد الله بن أبي عيينة :

مالايكونُ فلا يكونُ بحيلةٍ   أبداً وماهو كائنٌ سيكونُ

٤ ـ قال النابغة الذبياني :

فإن أَكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمتَهُ   وإن تَكُ ذا عُتبى فمثلك يعتبُ

٥ ـ قالت الخنساء :

تبكي خناسُ فماَ تنفكُّ ما عمرتْ   لها عليه رنينٌ وهي مِفْتار

٦ ـ قال عدي بن زيد :

ثم أضحَوْا كأنهمْ وَرَقٌ جفّ فألْوَتْ به الصّبا والدَّبورُ

٧ ـ وقال الربيع الفزاري :

أصبحتُ لا أحملُ السلاحَ ولا   أملكُ رأسَ البعيرِ إن نفرا

٨ ـ قال سواد بن قارب :

وكان مُضِلّي من هُدِيت برُشْدِهِ   فالله مُغوٍ عادَ بالرشدِ آمرا

٩ ـ قال كعب :

قطعْتُ إذا ما الآلُ آضَ كأنه   سيوفٌ تَنَحّى تارةً ثم تلتقي

١٠ ـ قال ذو الرمة :

حتى إذا اصفرَّ قرنُ الشمسِ أو كربتْ   أمسى وقد جد في حوبائهِ القَرَبُ

١١ ـ قال ذؤيب بن كعب :

أنشأتَ تطلبُ خُطَّةً عَنَتاً   وتركتَها ومَشَدُّها رَأبُ

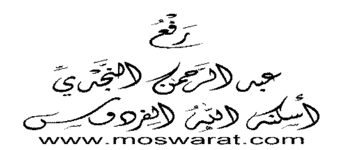
١٢ ـ قال الشاعر :

ولو سُئل الناسُ الترابَ لأوشكوا ـ إذا قيـل هـاتـوا ـ أن يملـوا ويمنعـوا

١٣ ـ قال الشاعر :

عسى فـرجٌ يـأتـي بـه الله إنـه   له كلَّ يومٍ في خليقته أَمْرُ





ب ـ الأفعال التامة الناسخة

١ ـ أفعال الظنِّ واليقين[١]

آ ـ ماهي ومادلالاتها ؟ :

هذه مجموعة أخرى من الأفعال تدخل في جملة « النواسخ » الفعلية ، لأنها تختص بالدخول على الجملة الاسمية ، كالأفعال : كان ، وكاد ، وعسى ، وشرع ، وما يماثلها ، وإن كانت تختلف عنها في الخصائص التركيبية والنحوية .

وتنقسم بحسب دلالتها ثلاثة أقسام :

١ ـ أفعال اليقين :

وهي أربعة أفعال : دَرَى ، وجدَ ، ألفى ، تعلَّمْ[٢] . فهذه الأفعال تجتمع في أنها تدل على الجزم بالشيء والاعتقاد بنسبة شيءٍ إلى شيء آخر دون أن يلابس هذا الاعتقاد شيء من الشك أو الظن ، كما ترى في :

« إن أباكَ ليدري ماذا تفعلُ ، ويجدُ الكفَّ عنه خيراً لك ، فإذا ألفيتَ رأيه صحيحاً فتعلَّمْ أن عليك اتباعه ، لأنَّ الرجوع عن الخطأ خير من التمادي فيه » .

---

(١) وتسمى أيضاً أفعال القلوب ، أي الأفعال التي تحدث في النفس لا في عالم الحس ، ولكن أفعال القلوب من حيث التعدّية واللزوم أنواع ، وليست كلها ناسخة للابتداء ، فمنها ما يكون لازماً ، مثل : حزن ، وسئم ، وفرح ، وجبن . ومنها ما يتعدى إلى مفعول به واحد مثل عرف ، وفهم ، وكره ، وأحب ، وأدرك ، وتصوَّرَ . ومنها ما يتعدى إلى مفعولين مثل : ظن ، وحسب ، وعلم ، ودرى .

(٢) إذا كان بمعنى « اعلمْ » ، لا بمعنى اكتساب معرفةٍ ما . فهو بالمعنى الأول مثل : درى ، ووجد ، ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ، كقول زيادبن سيار :

تعلَّمْ شفاءَ النفسِ قَهْرَ عَدُوِّها ... فبالغ بلطفٍ في التحيل والمكرِ

فدلالتها في هذا النص واحدة هي الاعتقاد أو اليقين ، وبهذا المعنى تتماثل في سلوكها التركيبي ـ كما سوف نرى ـ فتدخل على جملة اسمية فتنصب ركنيها بعد أن كانا مرفوعين ، وإذا جاء الفعل « وجد » بمعنى رؤية الشيء المبحوث عنه كان له سلوك آخر ، تقول : وجدت أخي . ووجدت الكتابَ . ومثله الفعل « ألفى » إذا كان بمعنى الرؤية ، تقول : ألفيتُ أباك . وكذلك يتغير سلوك الفعل « تعلمْ » إذا كان بمعنى اكتساب معرفة شيء ما ، مثل : تعلمْ السباحةَ وركوبَ السيارة .

٢ ـ أفعال الظن[١] :

وهي خمسة أفعال : زعمَ ، عَدَّ[٢] ، حجا[٣] ، جعلَ ، هَبْ[٤] . والظن نوع من الاعتقاد ولكنه يخلو من الجزم واليقين ، إذ يلابسه الشك واحتمال النقيض . وبعض هذه الأفعال ـ وهو زعمَ ـ قد يدل على الشك في مواضع كثيرة من الكلام ، والشك دون الظن ، لأنه تردُّدٌ بين شيئين لايملك العقل أن يرجح أحدهما على الآخر .

وتستخدم هذه الأفعال بكثرة ، من ذلك قول ابنِ الدمينة :

وقد زعموا أن المحبَّ إذا دنا يَمَلُّ ، وأن النأيَ يَشْفي من الوجدِ

وقول جرير يمدح عمر بن عبد العزيز :

ممن يَعُدُّكَ تكفي فَقْدَ والدِهِ كالفرخ في العُشِّ لم يدرجْ ولم يَطِرِ

وقول تميم بن أبي بن مقبل :

قد كنتُ أحجو أبا عمرٍو أخاثقةٍ حتى ألمتْ بنا يوماً مُلماتُ

(١) وتسمى أيضاً : أفعال الرُجحان . والظن والرجحان متقاربا المعنى .
(٢) يُختلف في هذا الفعل ، فيجعله بعضهم متعدياً لواحد ، فهو بحسب هذا الزعم ليس من الأفعال الناسخة .
(٣) ربما كان ابن مالك صاحب الألفية أول من ذكر هذا الفعل في جملة الأفعال الناسخة .
(٤) يضاف إليها الفعل (تقول) إذا سبق باستفهام ، مثل : أتقولُ الدارَ قريبةً . أي : أتظن .

وقوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عبادُ الرحمن إناثاً ﴾ (الزخرف : ١٤) أي : حَسِبوا الملائكة إناثاً . وقول عقبة الأسدي :

فهبْهـا أمـةً هلكـتْ ضَيـاعـاً   يـزيـدُ أميـرُهـا وأبـو يـزيـدِ

فإذا جاء واحد منها بغير هذا المعنى كان له سلوك آخر في التركيب ، كأن يكون الفعل « هَبْ » أمراً من الفعل : وهَب ، يَهَبُ ، فحينئذٍ ينصب مفعولاً واحداً ولايكون من جملة النواسخ ، تقول : هَبْ بعض مالك للمؤسسات الخيرية . أو كأن يكون الفعل « عَدَّ » دالاً على العَدِّ ، مثل : عددتُ الكتبَ فوجدتُها عشرين كتاباً .

٣ ـ ما يترجح بين اليقين والظن :

وهذه زمرة ثالثة من الأفعال تكون لليقين في موضع ، وللظن في آخر ، إلا أن اثنين منها ، وهما : علم ، ورأى[١] ، يغلب عليهما أن يكونا لليقين ، على حين يغلب على ثلاثة أخرى أن تكون للظن ، وهي : ظن ، وحسب ، وخال .

ولنبدأ حديث الفعلين : علم ، ورأى .

أما الأول فيكون دالاً على اليقين غالباً ، وهذا هو معنى جذره في الأصل ، تقول : علمتُ الصدقَ منجاةً . ومن ذلك : ﴿ إنا لنعلمُ أن منكم مكذبين ﴾ (الحاقة : ٤٩) ولكنه قد يدل على الظن ، كما في قوله تعالى : ﴿ فإن علمتموهنَّ مؤمنات فلا تَرجعوهنّ إلى الكفار ﴾ (الممتحنة : ١٠) أي : إن ظننتموهن مؤمنات .

وأما الفعل « رأى » فقد يرتد في معناه إلى « الرؤية » القلبية ، أي الحكم على شيءٍ مّا واعتقاده ، وفي هذه الحال يكون دالاً على اليقين ، مثل : رأيتُ النظامَ خيراً من الفوضى في حياة الناس . وقد تكون الرؤية القلبية هذه غير يقين ، بل هي ظن ورجحان ، مثل : يرى المحزونُ ليله طويلاً . أي : يظنه .

(١) ومثلهما عندي الفعل « شعَرَ » في مثل قوله : « أموات غير أحياءٍ وما يشعرون أيان يُبْعثون » . (النحل : ٢١) وانظر أيضاً سورة النمل ، الآية : ٦٥ . فهو في مثل هذا التعبير لا يختلف عن « يعلم » ، والجملة التي تليه سدت مسد مفعوليه .

وقد جاء المعنيان كلاهما في قوله تعالى : ﴿ إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ﴾ (الممتحنة : ١٠ ﴾ أي : أنهم يظنون البعث بعيداً ، ونعلمه قريباً .

وقد يُبنىٰ الفعل « أرى » للمجهول ، وفي هذه الحال لايكون إلا بمعنى الظن[١] ، تقول : أتُرى المشروعَ موفقاً ؟ أترى القعودَ خيراً أم العملَ ؟ وأُرى سبيلك وعراً . أترى أباك يسافر غداً ؟ أتُرانا نربح الحرب[٢] ؟

أما الأفعال الثلاثة الأخرى فدلالتها في الكلام على الظن أكثر شيوعاً من دلالتها على اليقين ، فالفعل « حسب » للظن في قول زفر بن الحارث :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمةً عشيةَ لاقينا جذام وحميرا

ولليقين في قول لبيد بن ربيعة :

حسبت التقى والجود خير تجارة رَباحاً إذا مالمرء أصبح ثاقلا

وأما « ظن » فالأصل فيه أن يدل على الرجحان ، كقولك : ظننتُ الشبابَ يدومُ . وظننتُ القمر بازغاً . ولكنه استخدم لليقين في مواضع كثيرة من القرآن وغيره ، كما في قوله : ﴿ وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم ﴾ (يونس : ٢٢) وقوله : ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ

---

(١) النحاة فريقان في عمل هذا الفعل : منهم من يرى أنه ينصب ثلاثة مفعولات ، أولها تحول إلى نائب فاعل ، وهو الضمير المستتر في « أُرى » وبقي الثاني والثالث كما هما ، ومنهم من يرى أنه مضارع للفعل « أرى » الذي ينصب ثلاثة مفعولات ، ولكنه لما ضُمّن معنى الفعل : «ظنَّ » صار ينصب مثله مفعولين فقط ، ومن هنا يرون أن الضمير المستتر في « أُرى » ليس نائب فاعل ، لأنه لو كان كذلك لأدى إلى نتيجة تخالف ظاهرة التضمين ، وهي أنه ينصب مفعولات ثلاثة ، بل الضمير فاعل . والرأي الثاني مرجوح ، والأول هو الصحيح .

(٢) من معاني الفعل « رأى » ما يدل على إبداء الرأي أو إعماله ، وهو معنى قريب من معنى اليقين ، كما في قول طرفة :

وقال : ألا ماذا ترون بشاربٍ شديدٍ علينا بغيُهُ متعمّدِ

ومن معانية « الرؤيا » ، وهو ما يراه النائم في حُلُمه . وهو في هذه المعاني ينصب مفعولين اثنين . فإن كان بمعنى : أبصر ، أو بمعنى : أصاب رئته . فإنه يتعدى إلى مفعول واحد .

بما رحُبت ، وضاقت عليهم أنفُسُهم ، وظنوا أنه لاملجأ من الله إلا إليه ﴾ (التوبة : ١١٨) .

ومثله الفعل « خال » ، يكون للظن مثل : خلتُ الجو دافئاً . ويكون لليقين كما في قول النمر بن تولب :

دعـانـي الغـوانـي عمهـنَّ وخلتنـي لِيَ اسم فلا أُدْعى به وهو أول[1]

ب ـ وظيفة هذه الأفعال :

لاحظ الجمل التالية :

١ ـ الناسُ نيامٌ . ← أحسبُ الناس نياماً .

٢ ـ كتابك كبيرٌ . ← أظن كتابك كبيراً .

٣ ـ دارك واسعة . ← علمتُ دارك واسعةً .

الجمل التي قبل السهم يدل كل منها على تقرير ، أو نسبة ثابتة . فإسناد النوم إلى الناس في الجملة الأولى لاشك فيه ولايحتمل النقيض ، وكذلك نسبة الكبر إلى الكتاب في الثانية ، ونسبة السعة إلى الدار في الثالثة . ولكن بعد دخول الفعل (أحسب) على الجملة الأولى تغيرت دلالة العبارة ، إذ لم تعد نسبة النوم إلى الناس مؤكدة ، بل هي رجحان ، وقد تحتمل النقيض ، لأنها اعتقاد يلابسه شك ، وكذلك الشأن في الجملة الثانية بعد دخول الفعل (ظن) عليها . أما الجملة الثالثة فإن الفعل (علم) يؤكد نسبة السعة إلى الدار ويجعلها يقيناً لاشك فيه .

ذلك يعني أن هذه الطائفة من الأفعال تضيف معنى جديداً إلى الإسناد ،

(١) هذه هي الأفعال المشهورة في هذا الباب ، وقد ذُكر غيرها في بعض كتب النحو واللغة ، منها : عرف ، أبصر ، أصاب ، صادف ، غادر ، توهم ، تبين ، تيقن ، شعر ، اعتقد ، تمنى ، وَدَّ . وذكر آخرون ـ منهم الأخفش والفارسي ـ الفعل « سمع » في مثل : سمعت الناسَ يبكون . وأضاف بعضهم أيضاً الفعل « ضرب » في مثل : ﴿ واضرب لهم مثلاً أصحابَ القرية ﴾ . وكثير من هذه الأفعال إذا حذف تحول المنصوبان بعده إلى مبتدأ وخبر .

فإما أن تضيف الشك في نسبة المسند إلى المسند إليه ، وإما أن تضيف الظن ، أو اليقين .

وهي مع ذلك تختلف عن « كان » وأخواتها ـ باستثناء صارَ ـ في أن حذفها من الجملة أحياناً قد يشوّه المعنى ، وذلك كما ترى في الجمل التالية :

١ ـ ظننتُ السراب ماءً ← السرابُ ماءٌ .

٢ ـ حسبت القمر شمساً ← القمر شمس .

٣ ـ خلت النار كوكباً هاوياً ← النارُ كوكبٌ هاوٍ .

لأن الظن قد يجمع بين شيئين لايجتمعان في الواقع ، كالظن بأن السراب ماء حقاً ، أو أن القمر هو الشمس ، فإذا حذف الفعل وزال معنى الظن صارت نسبة المسند إلى المسند إليه على سبيل الحقيقة لا الظن ، ولهذا تبدو العبارة مشوهة[١] .

هذا من الناحية الدلالية ، أما وظيفة هذه الأفعال الإعرابية والتركيبية فهي أن تحول الجملة الاسمية إلى جملة فعلية ، وتحول ركنيها : المبتدأ والخبر ، إلى مفعول به أول[٢] ، ومفعول به ثانٍ . غير أنها لاتدخل عليهما مباشرة ، بل لابد لها من إضافة فاعل إليها ، وهذا مايمثله الهيكل التركيبي التالي :

ـ فعل الظن + فاعل + مفعول به أول + مفعول به ثان .

↓ (مفعول به أول) ماكان مبتدأ ↓ (مفعول به ثان) ماكان خبراً

وبهذا تختلف عن الأفعال الناسخة الأخرى التي تباشر المبتدأ والخبر ،

---

(١) ولهذا أنكر بعض النحويين ـ وهو السهيلي ـ أن يكون المفعولان في هذه الأفعال أصلهما المبتدأ والخبر .

(٢) هذا من حيث البنية التركيبية ، أما من حيث المعنى فليس المنصوب الأول مفعولاً به ، لأنك إذا قلت : ظننت محمداً حاضراً . فإن (محمداً) ليس هو المظنون ليكون مفعولاً به ، بل هو المظنون فيه ، لأنه لا يظن . وكذلك : علمت زيداً حاضراً . فإن (زيداً) ليس هو المعلوم ، بل المعلوم حضوره . وهذا يعني أن تأثير الفعل من هذه الزمرة لا يقع على المنصوب الأول ، بل على معنى المنصوب الثاني .

فأفعال الظن لاينعقد إسناد منها ومما كان مبتدأ ، كما يحصل في غيرها من النواسخ الفعلية ، بل ينعقد الإسناد منها ومن فاعلها .

ج ـ خصائصها الصرفية :

أفعال هذه الطائفة متصرفة ماخلا : تعلمْ ، وهَبْ . فإنهما جامدان على صيغة الأمر ، ولما كانت الأفعال الأخرى تامة متصرفة فإن ما يشتق منها أو يتصرف يعمل عملها . وقد مرت بنا أمثلة كثيرة جاءت فيها هذه الأفعال بصيغة الماضي ، ونضيف إليها هنا قول خداش بن زهير :

رأيت الله أكبر كل شيءٍ　　　محاولةً وأكثرهم جنودا

وقول أبي أمية الحنفي :

زعمتني شيخاً ولست بشيخٍ　　　إنما الشيخ من يدبُّ دبيبا

وجاءت أيضاً في كثير من شواهدنا أفعالٌ مضارعة من هذه الطائفة ، ونضيف إليها هنا قول النعمان بن بشير الأنصاري :

فلا تعدُدِ المولى شريكك في الغنى　　　ولكنما المولى شريكك في العُدْمِ

وقول عبد الله بن عتبة :

فذق هجرها قد كنت تزعم أنه　　　رشادٌ ، ألا ياربما كذب الزعمُ

ويمكن أن تقع في صيغة الأمر ، كما في قوله : ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴾ (البقرة : ٢٠٣) ولكن ذلك قليل في الأفعال الأخرى غير (علم) وغير الفعلين اللذين جمدا على صيغة الأمر : تعلمْ ، وهَبْ .

ومن الممكن أيضاً أن تعمل مصادر الأفعال المتصرفة منها عملها ، فتنصب مفعولين ، كأن تقول : متى ظنُك أخاك حاضراً ؟ وعلم الإنسانِ وطنه حراً يساعده على الاستقرار . ودرايةُ الإنسانِ وطنه حراً تساعده على ذلك .

وكذلك يعمل اسما الفاعل والمفعول ، مثل : لعلك ظانٌّ أخاك خيراً منك . وإنك لعالم أخاك خيراً منك . وإنك لدارٍ أخاك خيراً منك . وإنه لمعلومٌ نفعُك عاماً . وإنه لمظنون أخوك خيراً منك ، وإنه لمدريّ أخوك خيراً منك .

وإذا صح أن عمل المصادر والمشتقات في هذه الطائفة نادر في النصوص المروية فإن من الممكن الأخذ به ، والتمثيل له ، ولاسيما في الأفعال : علم ، وظن ، ودرى[1] .

د ـ **الخصائص التركيبية :**

١ ـ قلنا من قبل : إن هذه الأفعال تدخل على الجملة الاسمية ، فتجعل مبتدأها مفعولاً به أول ، وتجعل خبرها مفعولاً به ثانياً . إلا أنها لاتدخل على جملة من هذا النوع ، فهي مثلاً لايمكن أن تدخل على الجملة الاسمية التي تتصدرها (لولا) أو (إذا) الفجائية ، كالجملتين التاليتين :

ـ لولا المشقة ساد الناس كلهم .

ـ فألقاها فإذا هي حية تسعى .

فلا يقال مثلاً : لولا عَلمَ المرءُ المشقةَ ساد الناس كلهم . أو : فألقاها فإذا ظنها حية تسعى . وكذلك لاتدخل على جملة اسمية فيها معنى الدعاء أو التعجب ، مثل هذه الجمل :

ـ طوبى للعاملين .

ـ ويل للمتخاذلين .

ـ لله دَرُّ فلان .

ـ ما أجمل البدر .

٢ ـ وإذا دخل الفعل من هذه الطائفة على جملة اسمية كان له فيها أحد مسلكين :

ـ فإما أن يجعلها جزءاً من جملته ، ويجعل ركنيها تابعين له في الإعراب .

ـ وإما أن تبقى الجملة الاسمية محافظة على علاقاتها السابقة . وذلك

---

(١) أما مصدر الفعل « شعر » فكثير ما يعمل في اسم ظاهر ، إذ نقل الكسائي عن العرب شيئاً من ذلك ، كقولهم : ليت شعري فلاناً ما صنع . انظر : تاج العروس : (شعر) .

كما ترى في المثالين التاليين :

- بناؤك شامخٌ . ← ظننتُ بناءَك شامخاً .

- أصديقٌ أنتَ أم عدوّ . ← علمتُ أصديقٌ أنت أم عدو .

٣ - وفي المسلك الأول يتشكل المفعول الثاني بما يتشكل به خبر المبتدأ ، فيكون اسماً ظاهراً ، مثل : ظننتُ الحياةَ صراعاً . وعلمت الأجر كبيراً . وقد يكون جملة ، مثل : زعمتَ أخاك يحضر مجالسنا ، وحَجَوتُ منزلك غرفُه واسعة . وقد يكون شبه جملة ، مثل : علمت الراحةَ في العمل . وأظن النبل في نفع الآخرين . وأرى النجاحَ في استقرار النفس .

٤ - وفي المسلك الثاني لابد من أن تكون الجملة مبدوءة بأداة استفهام ، أو بأداة نفي : ما ، لا ، إنْ . أو باللام المشعرة بالقسم ، أولام الابتداء . أو بالأداة : لعل . مثل : ﴿ لنعلمَ أيُّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾ (الكهف : ١٢) ﴿ وظنوا مالهم من محيص ﴾ (فصلت : ٤٨) ولقد علمتُ لتأتيَنَّ منيتي . دريتُ لعملٌ جادٌ خير من التقاعس . ﴿ لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ (الطلاق : ١) وتقوم الجملة ههنا مقام مفعولي فعل الظن أو اليقين .

ويتألف الكلام هنا من بنيتين متراكبتين : بنية أساسية سابقة مستقلة في علاقاتها الإعرابية والتركيبية ، هي في الجملة الثانية من الجملتين اللتين مثلنا بهما : أصديق أنت أم عدو . وبنية طارئة دخلت في التركيب لغرض معنوي جديد ، ويمكن أن نصور البنية الكلية بما يلي :

علمتُ	أصديق أنت أم عدو

يتضح لك من هذا أن الجملة الثانية تستقل بعلاقاتها النحوية عن الأولى ، وإنما تتحدد علاقتها بها في أنها وقعت موقع المفعولين اللذين يحتاج إليهما الفعل (علم) . أي أن المبتدأ (أنت) ظل مبتدأ ولم يتحول إلى مفعول به أول ، وأن الخبر ظل خبراً (صديق) ، ولم يتحول إلى مفعول به ثانٍ .

ويكثر هذا بعد الفعل (درى) خاصة ، كما ترى في قول عنترة :

لوكان يدري ما المحاورةُ اشتكى ولكـان لـو علـم الكـلامَ مكلمـي

وفي قول كثير عزة :

ومـا كنـت أدري قبـل عـزة مـاالبكـا ولامـوجعـات القلـب حتـى تـولَّـتِ

٥ ـ وقد يسد المصدر المؤول مسد المفعولين[١] ، وهذا هو الكثير الشائع في الأفعال : علم ، وزعم ، وتعلَّمْ . ويقل في : هَبْ[٢] . ويتساوى في : ظَنَّ ، وحسبَ ، مع غيره من التراكيب . تقول : علمت أن أمورك صعبة . ويزعم فلان أنه يقابل الرئيس ، وتعلم أن للعمل لذة ، وهب أنك نجحت ، وتظن أن السماءَ تمطر ذهباً ، وحسبت أن مع العسر يسراً . فالمصدر المؤول من « أَنَّ » وخبرها سد مسد مفعولي الفعل (علم) أو (زعم) أو غيرهما[٣] . وقد يكون المصدر المؤول من (أَنْ) والفعل ، كما في قوله تعالى : ﴿ إن ظنا أن يقيما حدود الله ﴾ (البقرة : ٢٣٠)[٤] .

٦ ـ ومن خصائص هذه الأفعال أن يأتي فاعل بعضها ومفعوله واحداً ، أو يكـون أولهمـا ضميـراً للمتكلـم ، والثـانـي ضميـراً للمتكلميـن ، يقـال : حسبتني ، وظننتني ، ورأيتني ، وزعمتني ، أو يقال : علمتنا ، أو رأيتنا ، أو زعمتنا ، ولايقال في الأفعال الأخرى مثل : ضربتني ، أو قتلتُنا . بل يقال :

---

(١) ذهب الأخفش والمازني والمبرد إلى أن المصدر المؤول لا يسد إلا مسد المفعول الأول ، أما المفعول الثاني فمقدر ، تقول في تقدير : علمت أن الحياة صراع . علمت صراع الحياة حاصلاً ، أو : واقعاً .

(٢) منع بعضهم أن يكون أن يجيء مفعولا الفعل (هب) مصدراً مؤولاً . وهذا مبني على استقراء ناقص ، فقد جاء مثل ذلك في كلام منقول عن عمر بن الخطاب .

(٣) قد يقال لك : أتظن أخاك ناجحاً ؟ فتجيب : أظن ذاك . فاسم الإشارة (ذا) هنا لا يسد مسد المفعولين ، كما قال بعض النحاة ، بل هو مفعول مطلق ناب عن مصدر الفعل ، والتقدير : أظن ذاك الظن .

(٤) قد يتحول المصدر الأول من (أَنَّ) إلى جملة إذا دخلت اللام المزحلقة على الخبر ، لاحظ مايلي :

ظننتُ أَنَّ العمل مريحٌ ـــ ظننتُ إن العمل لمريحٌ .

ومن ذلك : « والله يعلم إنك لرسوله » . (المنافقون : ١) .

ضربت نفسي . وقتلتُ غيري[1] . قال تعالى : ﴿ إني أراني أعصر خمراً ﴾ (يوسف : ٣٦) وقال المتنبي :

مـاكنـتُ أحسبنـي أحيـا إلـى زمـن　　يسـيء بـي فيـه عبـد وهـو محمـودُ

☆ ☆ ☆

(١) جاء ذلك في فعلين من غير هذا الباب ، هما : عدم ، وفقد . يقال : عدمتني ، وفقدتني . ولم يجيء في غيرهما ، فلا يصح أن يقاس عليهما .

٢ ـ أفعال التحويل

آ ـ ما هي وما وظيفتها ؟ :

هذه طائفة أخرى من الأفعال الناسخة ، يلحقها النحاة بأخوات (ظن) لأنها تامة مثلها ، وتختص بالدخول على المبتدأ والخبر وبنسخ الابتداء ، وهي : صَيَّرَ ، جعل ، اتخذ (تَخِذَ) ، ترك ، رَدَّ ، وَهَبَ .

أما وظيفتها الدلالية فهي تحويل ماكان مبتدأً من حال إلى حالٍ أخرى ، مثل : صَيَّرتُ الورقَ دفتراً . وجعلتُ الفحمَ ناراً ، واتخذتُ أحمدَ صديقاً . وتركتُ الخيالَ واقعاً ملموساً . ورددْتُ الصعبَ سهلاً ، ووهبني الله فداءَك .

على أن أثرها الدلالي في إسناد الخبر إلى المبتدأ أكبر من أثر (كان) وأخواتها ـ ماخلا (صار) ـ لأنها تفيد التحويل ولاتقتصر على تحديد الزمان ، ومن أجل ذلك نرى بعض العبارات تتشوه إذا نحن أسقطنا منها فعل التحويل ، انظر مثلاً إلى قول عبد الله بن الزَبير :

رمى الحدثان نسوة آل حربٍ بمقدار سَمَدْنَ له سُمودا[1]
فرَدّ شعورهَنَّ السود، بيضاً وردّ وجوهَهُنَّ البيض سودا

فلو أسقطت الفعل (رَدّ) لصارت العبارة الأولى : شعورُهن السودُ بيضٌ . وصارت العبارة الثانية : وجوههنَّ البيضُ سودٌ . ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ﴾ (البقرة : ١٠٩) ، إذ تصير الجملة بعد حذف الفعل (يردونكم) أنتم من بعد إيمانكم كفارٌ . وهذا مخالف للحقيقة .

ب ـ خصائصها الصرفية :

أفعال التحويل متصرفة ، يأتي منها الماضي والمضارع والأمر ، ويعمل كل واحد منها العمل نفسه ، ولنتخذ الفعل (جعل) نموذجاً لها في هذه

(١) سمدن : حزن وتحيرّنَ .

الفقرة ، فهو ماضٍ في قوله تعالى : ﴿ هو الذي جعلَ الشمسَ ضياءً والقمر نوراً ﴾ (يونس : ٥) وفي قوله : ﴿ ولو شاء ربك لجعلَ الناسَ أمةً واحدة ﴾ (هود: ١١٨) . وهو مضارع في قوله : ﴿ فكيف تتقون ـ إن كفرتم ـ يوماً يجعلُ الولدانَ شيباً ﴾ (المزمل : ١٧) وهو أمر في قوله : ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذريّاتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ (الفرقان : ٧٤) ومثله الفعل (اتخذ) ، فهو ماضٍ في قوله : (واتخذوا آياتي وماأنذروا هزوا ﴾ (الكهف : ٥٦) ومضارع في : ﴿ قل : أغيرَ الله أتخذ ولياً ﴾ (الأنعام : ١٤) وأمر في ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ﴾ (فاطر : ٦) .

وتعمل مصادرها أيضاً مثل عملها ، تقول : أعجبني تركك الورقَ دفتراً ، وجعلك البحثَ كتاباً ، وردُّك الصعبَ سهلاً ، واتخاذك أباك صديقاً ، وهبتك نفسك فداءَ الوطن .

وتعمل كذلك مشتقاتها العاملة ، كاسم الفاعل ، كما ترى في قوله : ﴿ وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جُرُزاً ﴾ (الكهف : ٨) وفي هذه الحال قد يظهر المفعول الأول بصورة المضاف إليه إضافة لفظية ، كما في قوله : ﴿ قال : إني جاعلك للناس إماماً ﴾ (البقرة : ١٢٤) ومثله : ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً ﴾ (فاطر : ١) ويمكن أن يقال : أمتَخذٌ أخوك خليلاً ؟ أمصيَّرٌ عمُّك وزيراً ؟ أمتروكٌ الصعبُ سهلاً ؟ . ولعلك رأيت هنا أن المفعول الأول تحول إلى نائب فاعل مُغنٍ عن خبر المبتدأ ، على حين حافظ المفعول الثاني على نصبه .

ج ـ خصائصها التركيبية :

وتختلف هذه الأفعال من حيث التركيب عن (ظن) وأخواتها اختلافاً كبيراً فهي مثلاً لاتدخل على مبتدإٍ ذي صدارة ، إذ لايقال : جعلتُ مَنْ ذهبَ ؟ ولايمكن أن تسد الجملة مسدَّ مفعوليها ، وكذلك لايقع المصدر المؤول بعدها موقع المفعولين ، ولايمكن أن يكون فاعلها نفس مفعولها الأول .

إلا أنها تشبهها في الأشكال التي يكون عليها المفعول الثاني ، فقد يكون اسماً ظاهراً كقول أمية بن أبي الصلت :

وربيتـــه حتـــى إذا مـــاتـــركتـــه أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه

وقد يكون جملة كقول أبي صخر الهذلي :

لقد تركتني أغبط الوحش أن أرى أليفَيْـن منهـا لايـروعهمـا الـزجـر

وكقـولـه تعـالـى : ﴿ وتـركنـا بعضهـم يـومئـذ يمـوج فـي بعـض ﴾ (الكهـف : ٩٩) وقـد يكـون شبـه جملـة ، كقـولـه : « أم نجعـل المتقيـن كـالفجـار » (ص : ٢٨) وقـولـه : ﴿ أفنجعـل المسلميـن كـالمجـرميـن ﴾ (القلم : ٣٥) وقد يكون مصدراً مؤولاً ، كقوله : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ (الواقعة : ٨٢) .



٢ ـ النواسخ الحرفية

ا ـ الأحرف التي تعمل عمل « ليس »

في اللغة العربية أربعة أحرف تعمل عمل « ليس » ، فترفع المبتدأ ، وتنصب الخبر ، وهي : ما ، لا ، إنْ ، لاتَ . ولكل منها خصائص تركيبية يجب أن تتوافر في الجملة حتى تعمل عمل « ليس » ، وإلا كانت نافية لا عمل لها ، ودونك تفصيل الحديث عن كل منها .

١ ـ ما

تشبه « ما » ليس من وجهين : فهي أولاً أداة نفي ، وهي ثانياً تدل على أن اسمها لايتصف بمعنى خبرها في الزمن الحاضر ، أو في المستقبل ، فمن دلالتها على الحال قوله تعالى : ﴿ فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمي فعليها ، وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ (الأنعام : ١٠٤) ومثله أيضاً : ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ (الأنعام : ١٠٧) وقوله : ﴿ إن ماتوعدون لآت ، وما أنتم بمعجزين ﴾ (الأنعام : ١٣٤) وقال النابغة الذبياني :

لعمري ـ وماعمري عليَّ بهيّنٍ ـ لقد نطقتْ بُطْلاً عليَّ الأقارِعُ

ومن دلالتها على المستقبل ماجاء في قوله تعالى : ﴿ ما أنا بباسطٍ إليك يدي لأقتلك ﴾ (المائدة : ٢٨) ومثله : ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ﴾ (المائدة : ٣٧) . ومثله : ﴿ قالوا : إن هي إلا حياتنا الدنيا ، ومانحن بمبعوثين ﴾ (الأنعام : ٢٩) .

ولكنها تختلف عنها في خصائصها التركيبية ، فغالباً ماتقع الباء الجارة زائدة في خبرها ، وقلّ أن تستعمل من دون باء زائدة ، وهذا واضح فيما سقناه من شواهد قبل قليل ، ويكفي أن تعرف أن في القرآن ثلاث آيات فقط جاءت فيها « ما » دون أن تزيد الباء في خبرها ، على حين جاءت في مئات الآيات

بالباء الزائدة ، وقَلَّ مثل هذا في الشعر العربي القديم . أما « ليس » فأكثر ماتستعمل من دون باء .

عمل « ما » :

قلنا : إن الغالب على استعمال « ما » إذا لم ينتقض نفيها بأداة الحصر « إلا » أن تقع الباء زائدة في خبرها ، مثل : ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (فصلت : ٤٦) ، ومثل : ﴿ وماصاحبكم بمجنون ﴾ (التكوير : ٢٢) . وفي تراكيب قليلة سقطت الباء من الخبر ، فاختلفت في إعرابه لهجات العرب القدماء ، فرفعه سكان نجد وتهامة ، ونصبه سكان الحجاز . وسوف نتحدث هنا عن اللهجتين :

آ ـ لهجة نجد وتهامة[1] :

تعامل هذه اللهجة « ما » معاملة الحرف المهمل الذي لايعمل شيئاً فيما بعده ، ولهذا يبقى مابعدها مبتدأ وخبراً ، لاحظ مايلي :

ـ الأرضُ منبسطة ← ماالأرضُ منبسطةٌ .

ـ الجوُّ دافىءٌ ← ما الجوُّ دافىءٌ .

وتعرب الجملة كما يلي :

ما : نافية لاعمل لها .

الأرضُ : مبتدأ مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

منبسطة : خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

ولهذه اللغة شواهد غير قليلة ، منها قول أشجع السُّلَمي :

وما أنا من رُزْءٍ وإن جَلَّ جازعٌ   ولابسرورٍ بعد موتك فارحُ

وقول الآخر :

لشتان ماأنوي وينوي بنو أبي   جميعاً ، فما هذان مستويانِ

(١) ينسبها النحاة إلى قبيلة تميم ، ويسمونها : (ما) التميمية . ولعل هذا من قبيل التغليب ، والواقع أن منطقتي نجد وتهامة على هذه اللهجة . انظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٧/ ٢٧٩ .

وقول الآخر :

ما كُلُّ قوليَ مَشْروحٌ لكم فخذوا   ماتعرفون ومالم تعرفوا فدعوا

وهذه اللغة تطابق نظام اللغة العربية العام وقياسها ، لأن (ما) حرف غير مختص ، أي أنه لايلزم الأسماء دون الأفعال ، ولا الأفعال دون الأسماء ، وكل حرف غير مختص لايعمل ، كحروف العطف ، و(هل) ، وهمزة الاستفهام ، على حين تعمل الحروف المختصة ، كحروف الجر التي تختص بالأسماء ، و (أن) و (لن) اللذين يختصان بالفعل المضارع ، و (إِنْ) و (إذ ما) ، اللذين يختصان أيضاً بالمضارع .

ب ـ لهجة الحجاز :

أما الحجازيون فيجعلون « ما » عاملة عملَ « ليس » ، فهي تشبهها كما رأينا في دلالتها على نفي ما في الحال أو مافي المستقبل ، وتشبهها أيضاً في خصائصها التركيبية العامة من حيث إنها تدخل على المبتدأ والخبر ، ومن حيث وقوع الباء في خبرها ، وقد جاءت هذه اللهجة في القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وقُلْنَ : حاشَ لله ، ماهذا بشراً ﴾ (يوسف : ٣١) وقوله : ﴿ ماهُنَّ أمهاتِهم ﴾ (المجادلة : ٢) ، وهي نادرة الوقوع في الشعر ، منها مارواه النحاة من قول الشاعر :

أبناؤها متكنِّفون أباهمُ   حَنِقو الصدورِ وماهمُ أولادَها[1]

وقول الآخر :

وما كلُّ من يُبدي البشاشةَ كائناً   أخاك إذا لم تُلْفِهِ لك منجدا

وقول الآخر :

ما الحازمُ الشهمُ مِقْداماً ولابطلاً   إن لم يكن للهوى بالحقّ غَلّابا

على أن هذه اللغة لاتستوي في كل تركيب ، ولابد لها من شروط حتى يستقيم للأداة « ما » عمل « ليس » . فما هذه الشروط ؟

ج ـ شروط عمل « ما » :

(١) الضمير في (أبناؤها) يرجع إلى الكتيبة . والأب هنا : القائد .

هناك ثلاثة شروط لعمل « ما » ، هي :

١ ـ ألا يتقدم الخبر على الاسم .

٢ ـ ألا ينتقض نفيها بأداة الحصر « إلّا » .

٣ ـ ألا تقع « إن » الزائدة بعدها .

وإذا عدت إلى ماسقناه من شواهد قبل قليل رأيتها استوفت جميع هذه الشروط ، ولكن إذا اختل واحد منها أهملت « ما » ، وعجزت عن العمل ، وصرتَ إلى اللهجة النجدية السابقة . لاحظ الجمل التالية :

١ ـ مامسيءٌ من أعتبَ .

٢ ـ ماصعبٌ عملُكَ .

٣ ـ ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ ﴾ (آل عمران : ١٤٤)

٤ ـ ﴿ ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا ﴾ (يس : ١٥)

٥ ـ ما إِنْ أخوك كريمٌ .

٦ ـ ما إِنْ عملُك صَعْبٌ .

في الجملتين : الأولى والثانية تقدم خبر المبتدأ على المبتدأ ، ولذلك بطل عمل « ما » ، وفي الجملتين : الثالثة والرابعة ، انتقض نفي « ما » بأداة الحصر ، فبطل عملها أيضاً ، وفي الخامسة والسادسة وقعت « إن » زائدة بعدها فتم إبطال عملها .

واختلف النحويون في عمل « ما » حين يكون الخبر بعدها مجروراً بالباء الزائدة ، وهو الغالب عليه ، كما قلنا ، فذهب بعضهم ، كأبي علي الفارسي ، والزمخشري ، إلى أنها في هذه الحال عاملة عمل « ليس » وجوباً ، لأن الباء ـ في زعمهما ـ لاتزاد في خبر (ما) المهملة ، وذهب آخرون إلى أن زيادة الباء في الخبر جائزة بعد (ما) المهملة ، والعاملة .

وما ذهب إليه الفريق الأول ليس بشيء ، وعلة ذلك أن الباء تزاد في الخبر المنفي لا الخبر المنصوب ، ويوضح لك مايلي هذه الظاهرة :

١ ـ نجد الباء في النصوص المنقولة عن لغة نجد ـ وهي التي لاتُعمل « ما » ـ زائدة في الخبر ، كقول الفرزدق التميمي :

لعمرك ما مَعْنٌ بتاركِ حقِه ولامنسيءٌ مَعْنٌ ولا متيسر

٢ ـ ونجد الباء كذلك زائدةً في خبر (ما) التي بطل عملها ، كزيادتها في الخبر المتقدم على الاسم ، نحو قول الشاعر :

أما والله أنْ لو كنتَ حراً وما بالحرِ أنت ولا العتيقِ

وكزيادتها بعد (ما) التي زيدت بعدها (إنْ) ، كما في قول المتنخل الهذلي :

لعَمْرُكَ ما إن أبو مالكٍ بِواهٍ ولابضعيفٍ قُواه

٣ ـ وأقوى من هذه الأدلة أن الباء تزيد في الخبر المنفي ، بعد أداةٍ غير عاملة بإجماع النحويين ، كالأداة « هل » حين تتضمن معنى النفي ، وهذا واضح في قول الفرزدق :

يقول إذا اقلولى عليها وأقردت ألا هل أخو عيشٍ لذيذٍ بدائم(١)

من هذا كله يتبين لنا أن الباء لاتجزم بعمل « ما » لأنها تزاد ـ كما قلنا ـ في الخبر المنفي لا في الخبر المنصوب .

وثمة ظاهرة أخرى لابد من الإلمام بها ، وهي أن الشروط الثلاثة التي أوردها النحاة ليست مما أُجْمِعَ عليها ، فقد ذكر بعضهم أن « ما » تعمل وإن تقدم في جملتها الخبر على المبتدأ ، وأنشدوا هذا البيت نصباً للفرزدق :

فأصبحوا قد أعادَ الله نعمتَهم إذ همْ قريش وإذ ما مِثْلَهُمْ بشَرُ

ونسبوا إلى يونس بن حبيب أنه كان يجيز إعمالها وإن نُقض نفيها بأداة الحصر « إلا » ، وساقوا شاهداً على ذلك قول الشاعر :

وما الدهرُ إلا مَنْجنوناً بأهله وماصاحبُ الحاجاتِ إلا معذَّبا(٢)

وكذلك ذكر بعضهم أنها تعمل وإن زيدت بعدها « إن » ، ونسبوا إلى يعقوب بن السكيت ـ أحد اللغويين القدماء ـ أنه أنشد هذا البيت نصباً :

بني غُدانة ما إن أنتم ذهباً ولاصريفاً ولكن أنتم الخزفُ

---

(١) الضمير المستتر في « يقول » يرجع إلى الرجل الكلبي ، واقلولى : علا ظهر الأتان . أقردت : لصقت بالأرض .

(٢) المنجنون : الدولاب .

غير أن النحويين الذين أوجبوا الشروط الثلاثة المتقدمة ، تأولوا الأبيات ، وأنكروا أن تكون دليلاً على بطلانها ، فمنها مايرتد إلى قاعدةٍ أخرى ، كبيت الفرزدق : فأصحبوا . . . إذ أن كلمة « مثل » ليست منصوبة لأنها خبر « ما » بل هي مبنية على الفتح ، لأنها اسم مبهم أضيف إلى مبني .

ومنها مايرتد إلى رواية أخرى نقلها الرواة ، كالبيتين الآخرين ، إذ يروى الأول :

أرى الدهرَ إلا مجنوناً بأهله

ويروى الثاني : ما أنتم ذهبٌ ، كما مر بنا .

كما أنهم ـ عند التسليم بالرواية المخالفة للشروط ـ قدموا بعض التوجيهات التي من شأنها أن تسلك بالقاعدة والشروط مسلك الاطراد .

٢ ـ لا

وهذه أداة أخرى تعمل عمل « ليس » على قلة وندرة ، ولكنّ هذا لايُعرف في لغة النثر ، بل هو مقصور على لغة الشعر ، وسبب ذلك ـ في رَأي النحاة ـ أن شبه « لا » بـ « ليس » ضعيف ، لأنها للنفي المطلق غير المقيد بزمن ، فهي ليست مثل « ما » و « ليس » تنفي مافي الحال أو مافي المستقبل .

ولا بد من استيفائها ثلاثة شروط حتى يصح عملها على الرغم من قلته ، هي :

١ ـ ألا ينتقص نفيها بـ « إلا » .

٢ ـ ألا يتقدم المبتدأ على الخبر .

٣ ـ أن يكون المبتدأ والخبر نكرتين .

ولم يُسمع عملها صراحةً ـ وهي مستوفية هذه الشروط ـ إلا في بيتين أوردهما النحاة من دون أن يذكروا لهما قائلاً معروفاً ، أولهما قول الشاعر :

تعز فلا شيءٌ على الأرض باقياً ولا وَزَرٌ مما قضى الله واقيا

وثانيهما قول الآخر :

نصرتكَ إذ لاصاحبٌ غيرَ خاذلٍ فبوِّئتَ حصناً بالكُماةِ حصينا

وقدّروا خبراً منصوباً في قول سعد بن مالك :

مَـنْ صَـدَّ عـن نيـرانِهـا   فـأنـا ابـنُ قيـس لابَـراحُ

أي : لابراحٌ كائناً لي ، وحمل بعضهم على ذلك أيضاً قول سواد بن قارب :

وكن لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ   بمغـنٍ فتيـلاً عـن سـواد بـن قـارب

فزعم أن الباء زائدة في (بمغن) وأن (مغن) مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر « لا » . وواضح أن البيتين الأخيرين لايدلان صراحة على عمل « لا » في الخبر .

ولكن يبدو أن الشرط الثالث لم يكن مكيناً في نفوس النحاة ، إذ أجاز بعضهم[1] أن تعمل إذا كان اسمها معرفة ، واحتج بقول النابغة الجعدي :

وحلّـت سـوادَ القلـبِ لا أنـا بـاغيـاً   سـواهـا ، ولاعـن حبهـا متـراخيـاً

وجعله آخر قياساً سائغاً[2] ، وقد استخدم المتنبي هذا الأسلوب في قوله :

إذا الجودُ لم يُرْزقْ خلاصاً من الأذى   فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقياً

٣ ـ إنْ

الاستعمال الكثير لهذا الحرف أن يأتي منتقضاً نفيه بـ « إلا » ، كقوله تعالى : ﴿ إن هذا إلا ملك كريم ﴾ (يوسف : ٣١) وقوله : ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ (إبراهيم : ١٠) ولكن جاءت في تراكيب قليلة من دون أن ينتقض نفيها ، فعملت عمل « ليس » ، لأنها تشبهها في نفي ما في الحال أو نفي مافي المستقبل .

ولابد لها من أن تستوفي شرطين من الشروط الثلاثة التي مرت بنا في بحث « ما » ، حتى تقوى على العمل ، هما :

١ ـ ألا يتقدم المبتدأ على الخبر .

---

(١) هو ابن جني في كتاب : التمام .
(٢) هو أبو حيان في شرح التسهيل .

٣ ـ ألا ينتقض نفيها بـ « إلا » .

وكلاهما مستوفىً في قول الشاعر :

إن المرءُ ميتاً بانقضاءِ حياته ولكنْ بأن يُبْغى عليه فيُخذلا

وفي قول الآخر :

إن هو مستولياً على أحدٍ إلا على أضعف المجانينِ

ونقلوا عن العرب : إن ذلك نافِعَك ولا ضارَّك . وإن أحدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية .

٤ ـ « لات » النافية

وهذا حرف رابع يختلف النحاة في طبيعته[١] ، ويشترط فيه مالم يشترط في الأحرف السابقة ، إذ لابد أن يكون اسمه وخبره من أسماء الأحيان ، نحو : حين ، وساعة ، وأوان ، كقوله تعالى : ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ فنادَوْا ولاتَ حينَ مَناص ﴾ (ص : ٣) ، وكقول محمد بن عيسى التميمي ، أو المهلهل بن مالك الكِناني :

ندمَ البغاةُ ولاتَ ساعةَ مندمٍ والبغيُ مرتعُ مبتغيهِ وخيمُ

أي : وليس الحين حينَ مناصٍ ، وليست الساعةُ ساعةَ مندم . ومن ذلك يروى للأعشى :

لاتَ هَنّا ذكرى جبيرةَ أو مَنْ جاء منها بطائفِ الأهوالِ[٢]

(١) ذهب بعضهم إلى أنها مركبة من « لا » العاملة عمل « ليس » ، وتاء التأنيث ، إجراءً لها مُجرى « ليست » ، أو لحقتها عند بعضهم التاء إجراء لها مجرى : ثُمة ، وقال الأخفش : هي النافية للجنس ، تعمل عمل « إن » ، وقال آخرون : لات ، فِعل ، وقال آخرون : التاء أصل ، وكتابتها ، لا تحين ، وقد قرئت الآية بنصب : حين ، ورفعها ، وتكلم النحاة عليها واختلفوا ، وقد يجر ما بعدها ، كقول أبي زبيد الطائي :

طلبوا صلحنَا ولاتَ أوانٍ فأجبنا أن ليس حينَ بقاءِ

ومن ذهب إلى أنها نافية للجنس ، والتاء للتأنيث عصام الدين الإسفراييني في (شرح الفريد) ص : ٢٥٧ .

(٢) هنّا : حين ، والمعنى : ليس الوقت وقت ذكر جبيرة .

الأحرف المشبهة بالفعل

في العربية أدوات تدخل على الجملة الاسمية المؤلفة من مبتدأ وخبر ، فتنصب أولهما ، وترفع الثاني ، هي : إنَّ ، أنَّ ، كأنَّ ، لكنَّ ، ليت ، لعلَّ ، لا .

وقد شبهها النحاة بالفعل ، للأسباب الآتية :

١ ـ **عملها** : فكما أن الفعل المتعدي إلى مفعول واحد يرفع فاعلاً وينصب مفعولاً ، كذلك تنصب هذه الأحرف وترفع ، فكل أداة منها تعمل في الاسم عملين : النصب والرفع ، وكذلك الفعل .

٢ ـ **بناؤها** : وتبنى هذه الأدوات ـ ماعدا « لا » ـ على الفتح ، كما يبنى الفعل الماضي تماماً .

٣ ـ **أصولها** : ولا يتألف كل منها من أقل من ثلاثة أحرف ـ ماعدا « لا » أيضا ـ كالفعل الثلاثي .

٤ ـ **معانيها** : وتؤدي خمسة معانٍ يؤديها في العربية الفعل عادةً ، وهي : التوكيد ، الذي تؤديه « إنَّ ، وأنَّ » ، والتشبيه في « كأنَّ » والاستدراك في « لكنَّ » ، والتمني في « ليت » والترجي في « لعَلَّ » .

٥ ـ **دخول نون الوقاية عليها** : وتدخل عليها نون الوقاية كما تدخل على الأفعال : إنني ، أنني ، كأنني ، لكنني ، ليتني ، لعلني ، ويكثر في الأخيرة أن تأتي بغيرها ، كقول الشاعر :

وإنـي لمهـد نظـرةً قِبَـلَ التـي لعلـي وإن شطـت نـواهـا أزورُهـا

ومثلها : إنَّ ، وأنَّ ، وكأنَّ ، ولكنَّ .

١ ـ عملها

١ ـ عملها العام :

قلنا : إن هذه الأحرف تنصب المبتدأ ، وترفع الخبر[١] ، كقولك : إن خالداً سيفُ الله . والمعطوفات على أسمائها تنصب مثلها ، مثل : ليت أخاك وأباك يلتقيان في دمشق .

على أنه يجوز رفع المعطوف على اسم : إنَّ ، أو أنَّ ، أو لكنَّ ، بعد مجيء الخبر ، تقول : إن سعيداً هنا وأخوه . أي : وأخوه هنا . وتكون الواو عاطفة جملة على جملة . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ . . . أن الله بريءٌ من المشركين ورسولُه ﴾ (براءة : ٣) أي : ورسولُه بريء أيضاً .

وكذلك يجوز النصب والرفع في المعطوف على اسم إحدى هذه الأدوات الثلاث قبل مجيء الخبر . تقول : إن أخاك وأبوك هنا . ومنه قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا ، والصابئون ، والنصارى ، مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (المائدة : ٦٩) فقوله : الصابئون ، معطوف على محل اسم « إن » وهو الرفع[٢] .

ومن هذا قول ضابىء البرجمي في إحدى روايتيه :

فمن يكُ أمسى في المدينة رحله ... فإني وقيارٌ بها لغريبُ

ويروى : وقياراً .

---

(١) يرى بعض النحاة ان عملها مقتصر على نصب المبتدأ ، أما الخبر فيبقى مرفوعاً بما كان مرفوعاً به قبل أن تدخل في الكلام ، والخلاف هنا صناعي نظري . يضاف إلى ذلك أن « ليت » قد تنصب المبتدأ والخبر ، كما كان يحدث في بعض اللهجات القديمة ، وقد نسبت هذه اللهجة إلى غير قبيلة . انظر : ابن سلام : ٦٥ ، والموشح : ٣٤٠ . وخزانة الأدب : ٤/ ٢٩١ .

(٢) وللنحاة رأي آخر ، وهو أن تكون الواو اعتراضية ، وما بعدها مبتدأ ، وخبره مقدر ، والجملة معترضة .

٢ ـ تخفيفها وعملها :

وإذا خففت : إن ، وأن ، وكأنَّ ، ولكنَّ ، يكون عملها على الشكل التالي :

آ ـ عمل « إن » المخففة :

إذا خففت فالأكثر إهمالها ، وتلحق بخبرها اللام الفارقة[1] ، نحو : إنْ سعيدٌ لكريم . ويجوز إعمالها فلا تلزمها اللام ، مثل : إنْ سعيداً كريمٌ .

ويكثر دخول « إن » المهملة على النواسخ من الأفعال : كان ، كاد ، ظن ، وأخواتها ، وتلحق اللام الفارقة المعمول الثاني لهذه الأفعال ، مثل : ﴿ وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هدى الله ﴾ (البقرة : ١٤٣) ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليُزرلقونكَ بأبصارهم ﴾ (القلم : ٥١) ﴿ إن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾ (الأعراف : ١٠٢) ﴿ ما أنت إلا بشر مثلنا ، وإن نظنك لمن الكاذبين ﴾ (الشعراء : ١٨٦) ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين ﴾ (الشعراء : ٩٧) .

ويقل دخولها على غير النواسخ ، كقول العرب : إنْ يَزينك لنفسُك ، وإن يشينُكَ لهيَهْ . وكقول عاتكة بنت زيد ، زوج الزبير ، لقاتل زوجها :

شَلَّت يمينُك إنْ قتلتَ لمسلماً حلتْ عليك عقوبةُ المتعمِدِ

وقد تحذف اللام الفارقة في الشعر ، إن كان الكلام يدل على أنَّ « إِنْ » فيه مخففة لانافية ، كقول الطرماح بن حكيم :

أنا ابنُ أباةِ الضيم من آل مالكِ وإنْ مالكٌ كانت كرامَ المعادنِ

ب ـ عمل « أَنَّ » المخففة :

إذا خففت « أن » بقي عملها ، إلا أن اسمها يكون ضمير شأن ، أو ضميراً ليس للشأن ، وخبرها جملة ، نحو قولك : علمتُ أنْ سعيدٌ كريمٌ . والتقدير : علمت أنه سعيد وكريم . إي أن الشأن أو الحقيقة ، سعيد كريم ،

(١) سميت هذه اللام فارقة لأنها تَفْرُقُ بين « إن » النافية التي تعمل عمل « ليس » ، و« إنْ » المخففة .

ومثله قوله تعالى : ﴿ ونعلم أن قد صَدَقْتَنا ﴾ (المائدة : ١١٣) أي أنك قد صدقتنا . ومثله : ﴿ فلما خرَّ تبينت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين ﴾ (سبأ : ١٤) أي أنهم لو كانوا . . . ففي المثال الأول جاء اسمها ضمير شأن ، وفي الآيتين جاء ضميراً لغير الشأن .

وقد ورد في كلام العرب شواهد ظهر فيها اسم « أن » المخففة ضميراً بارزاً ، كقول جنوب بنت العجلان ترثي أخاها :

لقد علم الضيفُ والمرملون إذا اغبرَّ أفقٌ وهبتْ شمالا
بأنْكَ ربيعٌ وغيثٌ مريعٌ وأنْكَ هناك تكون الثمالا

وتسبق « أن » المخففة بفعل من أفعال اليقين[1] ، كما ترى في قول جنوب السابق وفي قول الأعشى الآتي :

في فتيةٍ كسيوفِ الهندِ قد علموا أنْ هالكٌ كلُّ مَنْ يحفى وينتعِلُ

ومثله قول تميم بن أبي بن مقبل :

ألم تعلمي أن لايذِمُّ فُجاءتي دخيلي إذا اغبرَّ العِضاهُ المُجَلَّحُ[2]

أما الجملة التي تكون خبراً لـ « أنْ » فلا تخلو أن تكون اسمية أو فعلية ، فإن كانت اسمية لم تحتج إلى كلام وتفصيل ، أما إن كانت فعلية فمن الواجب أن يكون بينها وبين « أَنْ » فاصلٌ من إحدى هذه الأدوات : قد ، التسويف ، النفي ، لو . إلا إذا كان الفعل جامداً أو للدعاء ، فإنه لا يحتاج إلى فاصل . انظر إلى هذه الشواهد : ﴿ ونعلم أنْ قد صدقتنا ﴾ (المائدة : ١١٣) ﴿ علم

(١) اختلف النحاة في وقوع (أن) المخففة بعد ما لا يفيد اليقين ، كما في قول الفرزدق :

أبيت أمنّي النفسَ أن سوفَ نلتقي وهل هو مقدورَ لنفسي لقاؤها

وقول كثير :

تمنيك نفسٌ أن ستدنو ، ولو دنتْ دنت وهي لا بالوصل يدنو سُرورُها

والصحيح جوازه ، لأن (أنَّ) المثقلة يجوز وقوعها في مثل هذا .

(٢) الدخيل : هنا خاصة الرجل وصحبه . والعضاه : شجر ذو شوك . والمُجَلَّحُ : الذي أكل حتى لم يترك منه شيء ، واغبراره وأكله كناية عن القحط . يمدح نفسه بأنَّ صديقه إذا فاجأه وقت القحط يجد عنده ما يريد .

أنْ سيكون منكم مرضى ﴾ (المزمل : ٢٠) وقال جرير :

زعم الفرزدقُ أنْ سيقتُل مِربَعاً ... أبشِرْ بطولِ سلامةٍ يامِرْبَعُ[١]

﴿ أيحسبُ الإنسانُ أنْ لن نجمع عظامه ﴾ (القيامة : ٣) . ﴿ أيحسب أنْ لم يَرَهُ أحد ﴾ (البلد : ٧) . ﴿ أوَ لمْ يهدِ للذين يرثون الأرضَ من بعد أهلها أنْ لو نشاءُ أصبناهمْ بذنوبهم ﴾ (الأعراف : ١٠٠) ففي هذه الشواهد جاءت الفواصل بين « أن » والجملة الفعلية ، لأن أفعالها متصرفة[٢] ، وليست للدعاء ، أما قوله تعالى : ﴿ وأنْ ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ (النجم : ٣٩) فلم يقم فاصل بينها وبين الجملة الفعلية ، لأن « ليس » فعل جامد . ومثل ذلك قول زهير بن أبي سُلمى :

تالله قد علمت سَراةُ بني ... ذبيانَ عامَ الحبس والأصْرِ

أنْ نعم معترك الجياع إذا ... خَبَّ السفيرُ وسابىءُ الخمرِ[٣]

وقال تعالى : ﴿ والخامسة أنْ غَضِبَ الله عليها ﴾ (النور : ٩) في قراءة من قرأ بتخفيف « أنّ » .

ج ـ عمل « كأن » المخففة :

وهذه الأداة في تخفيفها تشبه « أنَّ » من حيث بقاء عملها ، ويكون اسمها ضميراً ، للشأن أو لغيره ، فإن كان للشأن وجب أن يكون خبرها جملة ، لأن ضمير الشان لايفسر ـ على الأكثر ـ إلا بجملة ، مثل : كأنْ أخوك يثق بك . أي : كأن الشأن . . .

(١) مِرْبع ، لقب لراوي جرير ، واسمه وعوعة بن سعيد .

(٢) من النحاة من يرون أن الفصل غالب لا واجب ، ويحتجون بقول النابغة الذبياني :

فلما رأى أن ثَمَّر الله مالَهُ ... وأثَّل موجوداً وسَدَّ مَفَاقِرَهْ

وبأمثاله من الشواهد . ورأى غيرهم أنّ (أنْ هنا مصدرية لا مخففة ، فلا حجة فيه على جواز عدم الفصل .

(٣) السفير : الورق تطيره الريح . وخب : أسرع في المشي . وسابىء الخمر : مشتريها .

وإن لم يكن ضمير شأن جاز أن يكون الخبر جملة، وجاز أن يكون مفرداً، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ فجعلناها حصيداً كأنْ لم تَغْنَ بالأمس ﴾ (يونس : ٢٤)، والتقدير : كأنها لم تَغْنَ . ومن الثاني قول باغت بن صريم اليشكري[١] :

ويوماً توافينا بوجه مُقَسَّمٍ كأنْ ظبيةٌ تعطو إلى وارقِ السَّلَمْ[٢]

أي : كأنها ظبية[٣] .

د ـ عمل « لكن » المخففة :

إذا خُفِّفت بطل عملها، ودخلت على الجملتين : الاسمية والفعلية، مثل : الحديقةُ جميلةٌ لكنْ أشجارها صغيرة . وذهبوا لكنْ بقي سعيدٌ . ومنه قول زهير :

إن ابنَ وَرْقاءَ لاتُخشى بوادِرُهُ لكنْ وقائِعُهُ في الحرب تُنْتَظَرُ

٣ ـ اتصال « ما » بها وعملها :

ومما يتعلق بعمل الأحرف المشبهة اتصال « ما » غير الموصولة بها، فإذا اتصلت كفَّتْها عن العمل، وأزالت اختصاصها بالأسماء، إلا « ليت »، فإنها يجوز فيها الإعمال والإهمال، مثل : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (الحجرات : ١٠) ﴿ إنما يخشى الله من عبادِه العلماءُ ﴾ (فاطر : ٢٨) ﴿ كأنما يساقون إلى الموت ﴾ (الأنفال : ٦) . ﴿ يوحى إليَّ أنما إلٰهكم إلٰهٌ

(١) نسبه صاحب الإنصاف إلى زيد بن أرقم اليشكري، ونسبه صاحب الدرر اللوامع إلى علياء بن أرقم اليشكري . انظر الإنصاف المسألة ٢٤، والدرر اللوامع ١/ ١٢١ .

(٢) تعطو : تتطاول، والسلم : شجر معروف بالبادية .

(٣) وبعض العرب يظهر اسم « كأن » المخففة، كقول الشاعر :

ووجه مشرق النحر كأنْ ثدييهِ حُقَّانِ

فقد روى سيبويه البيت على وجهين، مرة : كأن ثدياه حقان (الكتاب ١/ ٢٨١)، ومرة : كأن ثدييه حقان، (نفسه ١/ ٤٨٣) وقاس عليه كلاماً نقل إليه عن العرب في إعمال « إنَّ » حين تخفف .

واحد ﴾ (الكهف : ١١٠)، وقال امرؤ القيس :

ولكنمــا أسعــى لمجــدٍ مُــؤثَّــلٍ وقد يدرك المجدَ المؤثَّلَ أمثالي

فهـذه الأدوات دخلـت فـي الشـواهـد علـى الجمـل الاسميـة والجمـل الفعلية ، وبطل عملها ، لاتصال « ما » بها .

أما « ليت » فيجوز إعمالها إذا اتصلت بها « ما »، ويجوز إهمالها ، كقول النابغة الذبياني :

قـالـت ألا ليتمـا هـذا الحمـامَ لنـا إلــى حمــامتنــا أو نصفــه فقَــدِ

وقد ذكر سيبويه أن رؤبة بن العجاج ـ وهو أحد من يحتج بهم من الفصحاء ـ كان ينشد هذا البيت رفعاً ، ولذلك عَدَّ إهمال « ليت » حسناً .

٢ ـ أخبارها

الكلام على أخبار هذه الأدوات لايختلف كثيراً عما مَرَّ بنا في خبر المبتدأ وإليك بيانه :

١ ـ نوع الخبر :

قد يكون مفرداً ، مثل : إن سعيداً كريمٌ ، أو جملة نحو : ليت سعيداً يزورنا ، وكقول زهير :

إن الخليـطَ أجَـدَّ البيـنُ فـانفـرقـا وعُلِّـقَ القَلْبُ مـن أسمـاءَ مـاعَلِقـا

وقد يكون محذوفاً تتعلق به شبه جملة مثل : إن سعيداً في الدار ، وإن القمرَ بين الغيوم ، وقد يكون مصدراً مؤولاً ، مثل : إن الرجولةَ أن تقوم بالواجب ، والتقدير : إن الرجولة قيامُك بالواجب . وجاء مصدراً مؤولا أيضاً مع (لعل) : قال متمم بن نويرة :

لعلــك يــومــاً أن تُلِــمَّ ملمــة عليك من اللائي يدعنك أجْدَعا

ومنه الحديث النبوي : « . . . فلعل بعضكم أن يكون ألحنَ بحجته من بعض . . . »

حذف الخبر جوازاً :

ويحذف جوازاً إذا دل عليه دليل ، ولاسيما في جواب السؤال ، مثل : أتذهب معنا ؟ ليتني ، أو لعلي ، ومنه قول الأعشى :

إنَّ محـــلاً وإن مُـــرْتَحـــلاً وإن فـي السَّفْـرِ إذ مضـوا مَهَـلاً

والتقدير : إن لنا محلاً ، وإن لنا مرتحلاً . ومثله قول الأخطل :

خَـلا أن حياً مـن قـريشٍ تفضلـوا على الناسِ ، أو أن الأكارِمَ نهشلا

أي : أن الأكارم نهشلاً تفضلوا كذلك[1] .

وكثيراً مايحذف خبر « لا » النافية للجنس كقولهم : لابأسَ ، لا ضَيْر ، لابُدَّ منه . لا إله إلا الله[2] .

٣ ـ حذف الخبر وجوباً :

ويحذف الخبر وجوباً إذا كان كوناً عاماً ، كما رأينا في خبر المبتدأ ، نحو : إن الأرضَ في الفضاء . وإن السعادة في القناعة . ويحذف وجوباً أيضاً في العبارة المسموعة : ليت شعري ، كقول مالك بن الريب :

ألا ليـت شعـري هـل أبيتَـنَّ ليلـةً بجنب الغضى أزجي القِلاصَ النواجِيا

وتقديره : ليت علمي بمبيتي حاصل .

٤ ـ تأخير الخبر :

ولايجوز أن يتقدم الخبر على الاسم ، إلا إذا كان كوناً عاماً تتعلق به شبه جملة ، نحو : إن في القناعة كنزاً ، وإن في البّيان سحراً .

٣ ـ كسر همزة إِنَّ وفتحها

تستعمل « إن » مكسورة الهمزة حيناً ، ومفتوحة حيناً آخر ، ولذلك

---

(١) وقد يحذف اسمها في الشعر ، كما في قول المتنبي :

وإن بهـــا وإن بـــه لنقصـــاً وأنت لها النهايةُ في الكمالِ

(٢) والتقدير : لا إله موجود إلا الله . ولفظ الجلالة بدل من محل « لا » واسمها ، أو من الضمير المستتر في الخبر المقدر .

ثلاث حالات : ففي مواضع من الكلام لاتكون إلا مكسورة ، وفي أخرى لاتكون إلا مفتوحة ، وفي غيرها يجوز الكسر والفتح ، وذلك على الشكل التالي :

آ ـ متى يجب كسر همزة « إن » :

تكسر همزة « إن » وجوباً في المواضع الآتية :

١ ـ إذا وقعت في أول الكلام ، مبتدأ بها أصلاً أو مستأنفاً بها كلام جديد ، مثل : إن أخاك قادم . ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ﴾ (البقرة : ١٤) مرِض حتى إنهم لايرجونه . جاء سعيدٌ بل إنه لم يجىء . وقال الحطيئة :

دعِ المكارمَ لاترحلْ لبُغيتها ... واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

ففي الجملة الأولى وقعت في ابتداء الكلام ، وكذلك في الآية ، حيث وقعت بعد أداة تنبيه ، وفي المثال الثالث وقعت بعد « حتى » ، وهي هنا حرف ابتداء ، ومعنى هذا أن الكلام بعدها مستأنف ، وكذلك وقوعها في المثال الرابع بعد « بل » التي هي هنا حرف ابتداء يفيد الإضراب الإبطالي ، أما في بيت الحطيئة فقد وقعت بعد الفاء التعليلية المستأنفة .

٢ ـ إذا تصدرت جملة محكية بعد القول ، نحو : ﴿ قال : إنه يقول . إنها بقرة صفراء فاقعٌ لونُها ﴾ (البقرة : ٦٦) .

٣ ـ إذا تصدرت جملة جواب القسم ، مثل : والله إني لذاهب ، ومثل : ﴿ لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون ﴾ (يوسف : ١٤) .

٤ ـ إذا تصدرت جملة صلة الموصول ، كقوله تعالى : ﴿ وآتيناه من الكنوز ما إنَّ مفاتحه لتنوءُ بالعُصبة أولي القوة ﴾ (القصص : ٧٦) .

٥ ـ إذا وقعت بعد واو الحال مباشِرة إياها ، كقوله : ﴿ كما أخرجك ربُّك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ (الأنفال : ٥) .

٦ ـ إذا وقعت في خبرها اللام المؤكدة ، وهي التي تسمى اللام المزحلقة ، نحو : ﴿ والله يعلم إنك لرسول الله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ (المنافقون : ١) .

٧ ـ بعد « حيث » كقولك : قعدت حيث إن أخاك قاعدٌ .

ب ـ متى يجب فتح همزتها :

ويجب فتح الهمزة إذا سُبك منها ومما يليها مصدر ، وقد يكون هذا المصدر رفعاً ، أو نصباً ، أو جراً .

١ ـ يكون رفعاً إذا كان فاعلاً مثل : ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلناه ﴾ (العنكبوت : ٥) ، أي : أوَ لَم يكفِهم إنزالنا إياه . أو كان نائباً عن الفاعل : مثل : ﴿ قل أوحيَ إلي أنه استمع نَفَرٌ من الجن ﴾ (الجن : ١) أي : أوحي إلي استماعُ نفرٍ من الجن . أو مبتدأ ، مثل : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض . . . ﴾ (فصلت : ٣٩) ، وتقديره : ومن آياته رؤيتك الأرض . أو خبراً عن اسم معنى ، مثل : ظني أنك مسافرٌ .

٢ ـ ويكون نصباً إذا وقع مفعولاً به ، مثل : عرفتُ أنك مسافر ، أي : عرفت سفرَك . أو خبراً لفعل ناقص إذا كان اسمه اسمَ معنى ، مثل : كان ظني أنك مسافر . أو إذا عطف المصدر المسبوك على اسم منصوب ، مثل : ﴿ اذكروا نعمَتي التي أنعمتُ عليكم ، وأني فضلتكم على العالمين ﴾ (البقرة : ٤٧) ، أي : اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم . أو كان بدلاً من اسم منصوب مثل : ﴿ وإذ يعِدُكمُ الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾ (الأنفال : ٧) وتقديره : يعدكم إحدى الطائفتين كونها لكم .

٣ ـ ويكون جراً إذا سُبق بحرف جر ، مثل : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ (الحج : ٦٢) أو وقع مضافاً إليه مثل : ﴿ إنه لحقٌ مثل ما أنكم تنطقون ﴾ (الذاريات : ٢٣) ، أي : مثل نطقكم .

ج ـ متى يجوز الكسر والفتح :

وهناك مواضع يجوز فيها كسر الهمزة وفتحها ، وهي :

١ ـ إذا وقعت بعد الفاء الرابطة لجواب الشرط ، مثل : من يعملْ بجد فإنه يصل إلى ما يريد . فالكسر على معنى : فهو يصل . والفتح على تقدير : فوصوله حاصل ، ومما جاءت فيه مفتوحة الهمزة قوله تعالى : ﴿ ألم يعلموا

أنه من يحادد الله ورسوله فأنَّ له نار جهنم خالداً فيها ﴾ (التوبة : ٦٣) .

٢ ـ بعد « إذا » الفجائية كهذا البيت الذي سمعه سيبويه من بعض الأعراب :

وكنت أرى زيداً ـ كما قيل ـ سيداً إذا إنــه عبــدُ القفــا واللهــازم

فقد أنشده الأعرابي بكسر همزة « إنَّ » ، وتقديره على هذا : إذا هو عبد القفا . ويجوز فتح الهمزة ، ويكون التقدير : إذا عبوديته ظاهرة .

٣ ـ أن تقع في صدر جملة للتعليل غير مسبوقة بفاء ، كقوله : ﴿إنا كنا من قبل ندعوه ، أنه هو البر الرحيم ﴾[1] (الطور : ٢٨) ، فالفتح على تقدير : لبره ورحمته . والكسر على تقدير : فهو البر الرحيم .

٤ ـ أن تقع في صدر جواب القسم ، على أن يكون لفظ القسم : حلفت ، أو أقسمت ، أو ماشابههما وليس في خبرها اللام المزحلقة ، مثل : حلفتُ أني آتٍ . فالكسر على أن الجملة جواب القسم[2] ، والفتح على تقدير حرف الجر « على » .

٤ ـ وقوع اللام في خبر « ان » أو اسمها

يجوز أن تدخل لام الابتداء على خبر « إنَّ » المكسورة الهمزة ، كقولك : إن البحر لهائجٌ . والأصل في هذه اللام أن تدخل على المبتدا ، فلما دخلته « إنَّ » التقى مؤكدان ، فبقيت فيه « إن » وزحلقت اللام إلى الخبر ، ولذلك سميت المزحلقة .

ويشترط لدخولها عليه أن يكون الخبر مؤخراً ، ومثبتاً ، وغير ماضٍ . مثل : إنَّ ربي لسميع الدعاء ﴾ (إبراهيم : ٣٩) . ﴿ إن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة ﴾ (النحل : ١٢٤) ﴿ إنك لعلى خلقٍ عظيم ﴾ (القلم : ٤)[3] .

---

(١) قراءة الجمهور بالكسر ، وقرأ نافع والكسائي بالفتح .

(٢) لا يرى بعض النحاة غير هذا المذهب ويمنع غيره .

(٣) أجاز بعضهم دخول اللام على الخبر إذا كان ماضياً جامداً ، مثل : إن زيداً لنعم

وقد تدخل هذه اللام على اسم « إنَّ » إذا تأخر عن الخبر ، مثل : إنَّ من البيانِ لسحراً . ﴿ إن في ذلك لعبرةً ﴾ (النازعات : ٢٦) ، وتدخل على ضمير الفصل مثل : ﴿ إن هذا لهو القصصَ الحق ﴾[(١)] (آل عمران : ٦٢) .

٥ ـ الكلام عى « لا » النافية للجنس[(٢)]

١ ـ معناها :

إذا قلت : لا رجلَ في الدار . دلت « لا » على استغراقِ نفي وجود جنس الرجال ، أي ليس في الدار أحد يتصف بأنه رجل ، ولكن قد يوجد فيها أولاد ونساء و . . . وإذا قلت : لاكتابَ على الطاولة . دلَّ ذلك على أنه لايوجد شيءٌ من جنس الكتب على الطاولة ، وقد يكون عليها دفاتر أو أقلام ، ومثل هذا قول الرسول ﷺ : « لاخيرَ في صُحْبةِ مَنْ لايرى لك مثل ماترى له » .

« لا » إذاً تنفي الجنس ، وتفيد استغراق نفيه ، ولذلك لايقال : لاكتابَ على الطاولة بل كتابان ، ولا رجلَ في الدار بل رجلان ، أو رجال كثيرون .

٢ ـ عملها وشروطه :

وهي محمولةٌ في العمل على « إنَّ » كما يحمل الضد على ضده ، فتنصب المبتدأ ، وترفع الخبر ، ولكن على وفق شروط خاصة ، هي :

الرجل . وأجاز آخرون دخولها على الماضي المقرون بـ (قد) مثل : إن زيداً لقد قام .

(١) أجاز بعض النحاة دخول اللام على أخبار بعض أخوات « إن » ، ولديهم شواهد قليلة ، منها قراءةُ سعيد بن جبير : « إلا أنهم ليأكلون الطعام » (الفرقان : ٢٠) والقراءة اليوم بكسر همزة « إن » ، ومنها قول الراجز أبي حزام العكلي :

ألـم تكـنْ حَلَفْـتَ بـالله العَلـي ... أنَّ مطـايـاكَ لمـن خيـرِ المَطـي

وقول الشاعر : ولكنني من حبها لعميدُ

(٢) الحق أن النفي ليس للجنس ـ كما سوف ترى ـ ولكن لفظي كينونته أو وجوده . فقولنا : لا رجلَ في الدار . يعني : لا وجودَ رجل في الدار . فالنفي لايتعلق بلفظ اسمها وحده ، بل بمضمون الجملة كلها ، ويمثلها هذا الرسم : (لا (رجلَ في الدار)) .

آ ـ أن يكون اسمها وخبرها نكرتين ، مثل قول الفرزدق :

فـلا قـومَ شَـرٌّ منهـمُ غيـرَ أنهـم　　تظنهـمُ أمثـالَ تُـركٍ وكـابِـلِ

وقد يكون خبرها في ظاهره مضافاً إلى معرفة ، ولكنه نكرة على الرغم من ذلك ، كأن يكون اسماً مغرقاً في التنكير ، فلا تكسبه الإضافة حينئذٍ تعريفاً ، كقول الفرزدق :

شـآميـةٌ غبـراءُ لاغـولَ غيـرُهـا　　إليها من الدنيا الغَرورِ انصرامُها

فقوله : غيرُها خبر« لا » ، وهو كما ترى مضاف إلى الضمير ، ومع ذلك لم يكتسب منه التعريف ، لأن « غير » اسم مغرقٌ في التنكير .

وكذلك قد يكون اسمها من هذا الضرب ، قال ذو الرمة :

هي الدارُ إذ ميٌّ لأهلك جيرةٌ　　ليـالـيَ لا أمثـالهـنَّ ليـاليـا

فقوله : أمثالهن . اسم « لا » ، وهو نكرة على الرغم من إضافته إلى الضمير ، لأن « مثل » وجمعها ، مغرقان في النكير .

ب ـ أن يكون اسمها معرفة مؤولة بنكرة : وذلك أن يكون اسم علم ، لم يُرَد منه مسمى معين محدد ، بل يقصد منه كلُّ مَنْ يشبه المسمى به في الصفات ، وذلك كقول الرسول ﷺ . « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » فالعلمان : كسرى ، وقيصر ، الواردان بعد « لا » لايعينان واحداً ، وإنما أريد منهما الشيوع ، فكأنه قال : فلا ملكَ بعدهما يسمى قيصر أو كسرى .

وقد ورد اسم « لا » في بعض النصوص كالمعرفة في الظاهر ، من ذلك ماقاله الخليفة عمر (رضي الله عنه) : قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لها . وقال أبو سفيان : « لا قريشَ بعد اليوم . وقيل : لابصرةَ لكم . وقال الفرزدق :

لتمنعـه قيـسٌ ولا قيـسَ عنـده　　إذا مادعا أو يرتقي في السلالمِ

وقال عبد الله بن الزُّبير :

أرى الحاجات عند أبي خبيبٍ　　نكِـدْنَ ولا أميـةَ فـي البـلاد

ففي هذه النصوص نجد الأعلام كأنها معارف ، لأنها توهم الإشارة إلى معيَّنٍ مُحدَّد ، إلا أن أسماء العلم في بعض الأحيان تخرج عن هذا إلى

الشيوع ، فإذا قلتَ : مررتُ بعدنانَ وعدْنانٍ آخر ، فثاني العلمين هنا ليس معرفة ، لأنك أردت : مررت بعدنان وبرجلٍ يشبهه . وكذلك في النصوص السابقة ، فقول عمر السابق لايعني أنه يريد الإمام علياً نفسه ، ولكنه نفى أن يكون لهذه القضية رجل يقدر على حلها ، وإن كانت له صفات علي ، فكأنه قال : قضية لايحلها علي ولا غيره من المتفقهين الأفذاذ . وكذلك يمكن أن يؤول قول أبي سفيان : لامثلَ قريش بعد اليوم . وهكذا الأمثلة الأخرى .

ج ـ والشرط الثالث لعمل « لا » ألا يفصل بينها وبين اسمها بفاصل ، فهناك أحرف تلازم ماتعمل فيه ، ولاتنفصل عنه ، منها « لا » النافية للجنس ، و « من » الزائدة ، و « رُبَّ » ، وهي جميعاً تلازم النكرات ، فلا يقال : لا فيها رجلَ . ولا : مامن فيها رجلٍ ، ولا : رب فيها رجلٍ . وإذا فصل بين « لا » واسمها رفع على الابتداء ، وكررتْ في الجملة بعد العطف ، كقوله تعالى : ﴿ لافيها غَوْلٌ ولاهم عنها يُنْزَفون ﴾ (الصافات : ٤٧) .

د ـ وآخر هذه الشروط ألا يدخلَ عليها حرف الجر ، فإذا دخل أبطل عملها ، وجر اسمها الذي كان مبنياً على الفتح ، أو منصوباً ، كما في قول ابن ميادة :

وارتشْنَ حين أردْنَ أن يرميننا نبلاً بلا ريشٍ ولا بقِداحِ[1]

فالأصل : نبلاً لاريشَ لها . فلما دخلت الباء بطل عمل « لا » وبقي العمل للباء . وكذلك تقول : غضب فلانٌ من لاشيءٍ .

هـ ـ إذا تكررت « لا » جاز إعمالها وإهمالهما ، وجاز إعمالُ الأولى وإهمالُ الثانية ، والعكس ، قال مجنون ليلى :

أظنُّ هواها تاركي بِمَضَلَّةٍ من الأرضِ لا مالٌ لديَّ ولا أهْلُ

ومنه قوله تعالى : ﴿ ياعبادِ لا خوفٌ عليكم ، ولا أنتم تحزنون ﴾ (الزخرف : ٦٨) .

---

(١) ارتاش السهم : ركب عليه الريش . ويقصد بالنبل أعينهنّ .

فقد أهملَ « لا » فَرُفع ما بعدها على الابتداء . وقال أنس بن العباس بن مرداس :

لانسَبَ اليومَ ولا خُلةً ... اتسع الخَرْقُ على الراقع

فقد أعمل الأولى وأهمل الثانية ، و « خلَةً » معطوف على اسم « لا » ، فانتصب بالعطف عليه ، لأن محله النصب . وقال همام بن مرة :

هذا لعَمْرُكم الصَّغارُ بعينِهِ ... لا أمَّ لي إن كان ذاك ولا أبُ

أعمل الأولى وأهمل الثانية كذلك ، وأبٌ : مرفوع لأنه مبتدأ ، وخبره مضمر وجوباً لأنه كون عام ، والتقدير : ولا أبٌ كائنٌ لي[1] . وقال أمية بن أبي الصلت :

فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها ... ولا حَيْنٌ ، ولا فيها مُليمُ

أهمل الأولى وأعمل الثانية ، وعلى هذا يكون « لغو » مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر « الثانية » .

٣ ـ أحوال اسمها وخبرها :

١ ـ إعراب اسمها وبناؤه :

يكون اسمها معرباً منصوباً إذا كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف ، مثل : لا غلامَ رجلٍ حاضرٌ . ويكون مبنياً على ما تكون علامة النصب فيه إذا كان غير مضاف أو شبيهٍ بالمضاف ، تأمل هذه العبارة : لا كتابَ على الطاولة . تجدْ كلمة : كتاب ، مبنية على الفتح ، لأنها اسم معرب علامة النصب فيه الفتحة . وانظر إلى ماقال جرير :

بأي بلاءٍ يا نميرُ بنَ عامرٍ ... وأنت ذُنابى ، لايَدَيْنِ ولا صَدْرُ

فقد بنيت فيه الكلمة « يدين » على الياء ، لأنها مثنى ، علامة النصب فيها الياء . وانظر أيضاً إلى قول الشاعر :

يحْشرُ الناس لابنينَ ولا آ ... باءَ إلا وقد عَنَتْهُمْ شؤونُ

---

(١) ولك أن تعرب « أب » اسماً معطوفاً على محل « لا » واسمها : ومحلهما الرفع على الابتداء كما مَرَّ من قبل .

فقوله : بنين ، ملحق بجمع المذكر السالم ، وعلامة النصب فيه الياء ، ولذلك تراه هنا مبنياً عليها بعد « لا » .

أما جمع المؤنث السالم فعلامة النصب فيه كسرة تنوب عن الفتحة ، فإذا وقع اسماً لـِ « لا » النافية للجنس ، كان لك فيه وجهان : أولهما أن تبنيه على الكسر ، والثاني أن تبنيه على الفتح . وقد سُمع بيتٌ للشاعر سلامة بن جندل بالوجهين كليهما ، وهو قوله :

أودى الشبابُ الذي مجدٌ عواقِبُهُ فيه نَلَذُّ ، ولا لذّاتِ للشيبِ[1]

٢ ـ تابع اسمها :

إذا نعت اسمها المبني أو عطف عليه جاز في التابع النصب على اللفظ ، والرفع على محل « لا » واسمها ، لأن محلهما الرفع على الابتداء ، نحو : لارجلَ في الدارِ وامرأةً ، ولا رجلَ سفيهاً عندنا ، أو لارجل في الدارِ وامرأةٌ ، ولا رجلَ سفيهٌ عندنا ، وعلى الوجه الأول قول الشاعر :

فلا أبَ وابناً مثلَ مروانَ وابنِهِ إذا هو بالمجدِ ارتدى وتأزَّرا

ويجوز فيه وجه ثالث وهو البناء على الفتح إذا كان متصلاً به غير منفصلٍ عنه بفاصل ، نحو : لارجلَ سفيهَ عندنا .

أما إذا كان معرباً فليس فه إلا الوجهان : الأول والثاني ، نحو : لاطالبَ علمٍ كسولاً عندنا ، ويجوز كسولٌ . ولاطالباً علماً كسولاً أو كسولٌ عندنا .

على أن نصب النعت بعد اسمها المعرب أقوى ، وأصح قياساً .

٣ ـ حذف خبرها :

وكثيراً مايحذف خبرها إذا دل عليه دليل ، كقوله تعالى : ﴿ قالوا : لا ضيرَ إنا إلى ربنا منقلبون ﴾ (الشعراء : ٥٠) ، وكقوله ﷺ : « يا أهلَ الجنة لاموتَ ، ويا أهل النار : لاموت » ، أما إذا لم يدل عليه دليل فلا بد من ذكره ، كالحديث : لا أحدَ أغْيرُ من الله ، والحديث : لا فقرَ أشدُّ من الجهل ،

(١) يرى المبرد أن المثنى والجمع السالم لا يبنيان مع « لا » بل هما معربان ، لأنهما لا يكونان مع ما قبلهما اسماً واحداً . وهناك من يرى أن اسم « لا » معرب ، مفرداً كان أو غير مفرد . انظر المقتضب ٣٦٦/٤ ، وابن يعيش ١٠٦/٢ .

ولا مالَ أعزُّ من العقل ، ولا وحشةَ أشدُّ من العجب .

ـ حذف اسمها :

أما اسمها فحذفه نادر ، كقولهم ، لاعليك . أي : لا بأس عليك .

ملاحظة :

من مشكلات تراكيبها قوله : لا أبالك ، ولا أخا لك ، كقول الشاعر :

وتترك أخرى فردةً لاأخا لها

فقد جرى هذا في كلامهم مجرى المثل لكثرته ، ولم يتفق النحاة على رأي في تعليل هذا التركيب ، فقال بعضهم :

١ ـ أبَ : اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب ، والألف بعدها زائدة لإشباع الحركة . ولك : معلقان بخبر محذوف ، وهو ارجح الآراء .

٢ ـ وقال آخرون : أبا : اسم « لا » منصوب معرب ، وعلامة نصبه الالف لأنه من الأسماء الخمسة . واللام في (لك) زائدة . والكاف ، مضاف إليه . واستدل هذا الفريق بقول العرب أحياناً : لا أباك ، كقول أبي حية النميري :

أبالموت الذي لا بُدَّ أني ملاقٍ لا أباكِ تخوفيني

٣ ـ وذهب فريق ثالث : إلى أن (أبا) اسم (لا) مبني على فتح مقدر على الألف ، وعومل هنا معاملة الاسم المقصور ، وهو لهجة بعض القبائل ، وعليه قول الشاعر :

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

ولك : معلقان بالخبر .

شواهد للتدريب

١ ـ قال النمر بن تولِب :

وأعلمُ أنْ ستدركني المنايا فإلاَّ أتَّبِعْها تتبعني

٢ ـ قال الأبيرِد يرثي أخاه بُرَيْداً :

كأنْ لم يصاحِبْنا بُرَيْدٌ بغبطةٍ ولم تأتنا يوماً بأخبارِه البُشْرُ

٣ ـ قال عروة بن حزام :

وياليت أنا الدهرَ في غيرِ ريبةٍ خَليّانِ نَرْعى القَفْرَ مُؤتَلِقانِ

٤ ـ وقال :

فيا ليت محيانا جميعاً وليتنا إذا نحـن متنـا ضمنـا كفنـانِ

٥ ـ قال عمر بن أبي ربيعة :

وفي الصبر عمن لا يؤاتيك راحةٌ ولكنـه لا صَبْـرَ عنـدي ولا لُـبُّ

٦ ـ ﴿ وإن الـذيـن يحـادون الله ورسـولـه أولـئـك فـي الأذليـن ﴾ (المجادلة : ٢٠)

٧ ـ « لاهجرةَ بعد الفتح ، ولكنْ جهادٌ ونية » حديث نبوي . رياض الصالحين . ص: ٢١ / باب النية .

٨ ـ قال الشاعر :

فقـام يـذود النـاس عنهـا بسيفـه وقال : ألا ، لامن سبيل إلى هندِ

٩ ـ ﴿ قال : إنما العلمُ عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ، ولكني أراكم قوماً تجهلون ﴾ (الأحقاف : ٢٣) .



ثالثاً : الفاعـل

١ ـ ما الفاعل ؟ :

هو ما أسند إليه فعل مبني للمعلوم ، أو مايشبهه ، متقدم عليه ، نحو : ذهبَ الصيفُ ، وجاءَ الخريفُ ، وهو نوعان : فاعل حقيقي ، وفاعل غير حقيقي ، أما الأول فهو الذي فعل الفعل وأحدثه ، مثل : أكل الصبيُّ الطعامَ ، وسافر الرجلُ إلى بلدٍ بعيد . أما الثاني فليس هو الذي فعل الفعل ، بل أحدثه غيره ، أما هو فقد أسند الفعل إليه لأنه تلبَّس به ، أو قام الفعل به ، مثل : ذابَ الحديدُ ، وتغيرت بعدنا البلادُ ، وبعدتْ عنا الديارُ ، وتمزَّقَ الكتابُ .

ومن هذا النوع قول العرب القدماء : أماتَ الرجلُ ، أي : كثر الموتُ في أولاده . وأجربَ القومُ . أي كثر الجربُ في إبلهم ، وأقوى الناسُ ، أي قويت جِمالهم .

ولهذا كله وجب أن نميز في الكلام بين نوعين من الفاعل :

١ ـ الفاعل النحوي .

٢ ـ والفاعل الحقيقي .

أما الأول فما أسند إليه فعل مبني للمعلوم أو شبهه ، سواء أقام بالفعل أم قام الفعل به ، وهو مرفوع بالفعل نفسه في الحالين[1] . وأما الثاني فهو الذي

---

(١) بين النحاة اختلاف في رافع الفاعل غير الحقيقي ، وهم في ذلك على ثلاثة مذاهب :

١ ـ الأول : يرفع بالفعل نفسه لا لأنه فاعله في الحقيقة بل لأنه حديث عنه ، وعلى هذا سيبويه .

٢ ـ الثاني : يرفع بالفعل نفسه لأنه فاعل في المعنى ، فإذا قلت : تحركت النخلة . عنيت : أنها ظهر منها ما يشبه فعل المتحرك بإرادته واختياره ، وعلى هذا الكسائي .

أحدث الحدث ، وقد يكون غير فاعل في العرف النحوي ، بل يكون مضافاً إليه ، أو تمييزاً ، أو مفعولاً به ، كما سوف نرى .

٢ ـ أشكال الفاعل :

وللفاعل في الكلام أشكال متعددة ، فقد يكون اسماً ظاهراً ، وقد يكون ضميراً ، وقد يكون مصدراً مؤولاً ، أو جملة محكية أو غير محكية ، وإليك تفصيل ذلك وتوضحيه :

آ ـ الفاعل اسم ظاهر :

وهذا هو الأصل ـ في زعم النحاة ـ وماسواهُ محمولٌ عليه ، وهو الأكثر في الاستعمال ، وقد تقدمت عليه أمثلة كثيرة في الفقرة السابقة . وهو أوضحُ من أن نحتج له .

ب ـ الفاعل ضمير :

ويكون الفاعل ضميراً متصلاً أو منفصلاً ، ومجيئه متصلاً هو الكثير ، والضمائر التي تقع فاعلاً هي :

ـ تاء الفاعل مثل : كَرُمتَ ، وعَظُمتِ ، وقرأتُ .

ـ نون النسوة ، مثل : كَرُمْنَ ، وعظمن .

ـ « نا » الدالة على المتكلمين : قرأْنا ، وذهبنا .

ـ واو الجماعة ، مثل : كتبوا ، وعلموا ، وناموا .

ألف الاثنين ، مثل : كتبا ، اكتبا ، لا تكتبا .

ـ ياء المؤنثة المخاطبة ، مثل : تكتبين ، اكتبي .

أما الضمير المنفصل فيقع فاعلاً في أسلوب الحصر ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ وما يعلم جنودَ ربِكَ إلا هو ﴾ (المدثر : ٣١) وفي قول عمرو بن

---

٣ ـ الثالث : يرفع بالفعل نفسه استعارة لا أصالة ، فكما جاز أن تستعار الحركة للنخلة وهي ليست لها جاز كذلك أن ترفع بالفعل : تحركت . وهو ليس لها ، ولكن استعير لها .

انظر في هذا : الزجاجي : اشتقاق أسماء الله . ص : ٢٤١ والصيمري : التبصرة والتذكرة : ١٠٧/١ .

معد يكرب :

قد علمتْ سلمى وجاراتُها ... ماقَطَّر الفارسَ إلا أنا

وفي قول الفرزدق :

أنا الذائدُ الحامي الذمارَ وإنما ... يدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلي

ويقع كذلك الضمير المنفصل فاعلاً في مثل قول الشاعر :

إذا أنت لم تنفع فضُرَّ فإنما ... يُرَجَّى الفتى كيما يَضُرَّ وينفعا

وفي مثل قول السموءل :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس إلى حسن الثناء سبيلُ[1]

ج ـ الفاعل مصدر مؤول :

ويكثر مجيء الفاعل مصدراً مؤولاً من « أَنْ » والفعل ، أو « أَنَّ » والخبر ، أو « ما » والفعل . من ذلك قوله تعالى : ﴿ أو لم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم لذكر الله ﴾ (الحديد : ١٦) أي : ألم يأنِ لهم خشوعُ قلوبهم . وقوله : ﴿ أو لم يكفِهِمْ أنا أنزلنا عليك الكتابَ يُتْلى عليهم ﴾ (العنكبوت : ٥١) أي : ألم يكفهم إنزالُنا الكتابَ . وقال سَلَمةُ الجُعْفي :

وهَوَّنَ وجدي أنني سوفَ أغتدي ... على إِثْرِهِ يوماً وإن نُفِّسَ العُمْرُ

أي : هون وجدي اغتدائي على إثره . . . وقال الشاعر الآخر :

يسُرُّ المرءَ ماذهَبَ الليالي ... وكان ذهابُهُنَّ له ذهابا

أي : يسر المرءَ ذهابُ الليالي . وهذا كثير جداً ، إلا أنه قد يحذف الحرف المصدري في الشعر ، كما في قول الشاعر :

وما راعني إلا يسيرُ بشُرْطةٍ ... وعهدي به قيناً يَفُشُّ بكيرِ

أي : وما راعني إلا سَيْرُه بشرطة .

د ـ الفاعل جملة :

وفي بعض الأحيان يوحي إليك التركيب أن جملةً مّا يجب أن تكون

(١) الضمير هنا هو الفاعل وليس مؤكداً لفاعل مستتر ، لأن القول بهذا يؤدي إلى القول بأن المحذوف الفعل والفاعل معاً . ولكن لما حذف الفعل وحده ظهر الفاعل المستتر فيه ضميراً منفصلاً .

فاعلاً ، كما ترى في قوله : ﴿ أفلم يَهْدِ لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون ﴾ (طه : ١٢٨) فالجملة : كم أهلكنا قبلهم من القرون . فاعل للفعل : يَهْد . ويمكن أن تؤولها بمفرد تقديره : ألم يهدِ لهم كثرةُ إهلاكنا القرون قبلهم . ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم ﴾ (إبراهيم : ٤٥) فجملة : كيف فعلنا بهم . فاعل للفعل : تبيّن . والتقدير : تبين لكم كيفيةُ فعلِنا[١] .

وقد يكون الفاعل جملة محكية يُراد منها لفظها لا إسنادها ، كأن تقول مثلاً : أعجبني من كلام الحكماءِ : « ليس كلُّ مايلمع ذهبًا » . أي : أعجبني هذا القولُ . وتقول أيضاً : أعجبني من صور امرىء القيس الشعرية : « هو قيدُ الأوابدِ » . أي : أعجبتني هذه الصورة .

وقد تكون الجملة المحكية اسم علم ، مثل : تأبط شراً ، وبَرَق نحرُهُ . نحو : قال تأبط شراً . وأمثال ذلك .

٣ ـ استتار الفاعل :

وقد يضمر الفاعل في نفس المتكلم فلا يذكره للعلم به ، وإضماره هذا ضربان :

آ ـ إضمار جائز :

وذلك إذا كان تقديره : هو ، أو هي . تقول : الصيفُ عادَ ، والأيامُ توالتْ ، وليلى تعصِرُ العنب . ففاعل الفعل : عاد ، مستتر جوازاً تقديره : هو . وفاعلا : توالت ، وتعصر ، مستتران جوازاً أيضاً ، تقدير كل منهما : هي . وفي هذه الحال يغلب أن يعود الضمير إلى اسم مذكور في الكلام ، كما رأيت في الجمل المذكورة . إلا أنه قد يضمر ولايعود إلى مذكور ، بل يعود إلى شيءٍ يوحي به الكلام ، كما ترى في قول حاتم الطائي :

(١) جمهور النحاة يمنع أن تكون الجملة فاعلاً ، ويقدرون فاعلاً لا يحتاج إليه الكلام ، فتقدير الجملة الأولى عندهم : أفلم يهد لهم الهَدْيُ كم أهلكنا . وتقدير الثانية : وتبين لهم التبيينُ كيف . . .

أمـاويَّ مـايغنـي الثـراءُ عـن الفتـى إذا حشرجتْ يوماً وضاقَ بها الصدْرُ

فالفاعل ، وهو الضمير المستتر في الفعل « حشرجت » لايعود إلى اسم مذكور ، لأن المقام العام يدل على أنه يريد : حشرجتِ النفسُ . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذٍ تنظرون ﴾ (الواقعة : ٨٣ ، ٨٤) أي : النفس أو الروح ، ومثله : ﴿ كلا إذا بلغت التراقي ﴾ (القيامة : ٢٦) ومثله أيضاً : ﴿ حتى توارت في الحجاب ﴾ (ص : ٣٢) أي : الشمس .

ب ـ إضماره وجوباً :

ويضمر الفاعل وجوباً إذا كان تقديره : انتَ ، في الفعل المضارع ، وفعل الأمر ، مثل : رأيتُك تضحكُ . ومثل : قم بواجبك . أو كان تقديره : أنا ، في الفعل المضارع ، مثل : أعملُ صباحَ مساءَ . أو كان تقديره : نحن . في الفعل المضارع ، مثل : نزولُ كما زال آباؤنا .

ج ـ فيمَ يستتر الفاعل ؟ :

ويذهب النحاة إلى أن الفاعل يستتر في الفعل ، وفي المشتقات ، كاسم الفاعل ، والصفة المشبهة ، ويختلفون في جواز استتاره في المصدر ، فمنعه بعضهم لأن المصدر عندهم اسم جامد ، وأجازه آخرون لأنه يؤول بمشتق وإنْ كان جامداً .

ومعنى استتاره في هذه الكلمات أن المتكلم يمكن أن يضمر الفاعل ويقدره المعرب فيها ، لأنها تدل عليه دلالةً طبيعية ، ولايعني أن الفاعل يستتر فيها استتاراً مادياً . فإذا قلت : الربيعُ عَمَّ الربوعَ . كان في الفعل « عمَّ » دلالة بيّنةٌ على الفاعل . وكذلك لو قلت : الربيع ضاحِكٌ في ديارِنا .

د ـ مالا يحتاج إلى فاعل :

وقد يكون الفعل غير محتاج إلى فاعل البتة ، ولهذا صورتان تركيبيتان :

الأولى : أن يقع الفعل توكيداً لفظياً لفعل آخر ، كما لو قلت : اترك اترك التدخين . فالفعل (اترك) الثاني لايقدر له فاعل ، لأنه توكيد للفعل السابق . ومثله : اصبر اصبر على المكاره .

والصورة الثانية أن تكفَّهُ « ما » عن العمل ، وحينئذٍ يدخل على فعل مثله ، كما في الأفعال : طالما ، وشد ما ، وكثر ما ، وأمثالها . تقول : طالما اشتقت إليك . وشد ما أحسُّ باللوعة[1] .

العامل في الفاعل :

يعمل في الفاعل مجموعة عوامل نحوية ، هي : الفعل ، والمصدر ، واسم الفعل ، واسم الفاعل ، والصلة المشبهة ، واسم التفضيل ، وقد يعمل فيه الاسم الجامدُ إذا أُوِّل بمشتق .

١ ـ أما الفعل فهو أقوى هذه العوامل ، وأكثرها انتشاراً في الكلام ، تقول : أفاق الناسُ مبكرين ، وذهبَ الرعاةُ إلى المراعي ، وتأنّقَ الدوحُ للطيور المغردة . ولابد للفعل هنا من أن يكون مبنياً للمعلوم[2] ومتقدماً على الفاعل ، وذلك كما رأيت في الأمثلة المتقدمة .

٢ ـ أما المصدر فعمله قليل في الفاعل الصريح ، من ذلك قول الشاعر :

فــزججتُهــا بِمــزَجَّــةٍ زجَّ القلـوصِ أبـو مَـزَاده

فقوله : أبو . فاعل مرفوع ، والعامل فيه المصدر (زجّ) ، وتقدير الكلام : كما يزجُّ القلوصَ أبو مزاده . ومن ذلك قول الفرزدق يصف سرعة ناقته :

تنفي يداها الحصى في كلِّ هاجرةٍ نفـيَ الـدراهـمِ تَنْقـادُ الصيـاريـفِ

أي : كما ينفي الدراهمَ تنقادُ الصياريفِ .

٣ ـ ويعمل اسم الفعل في الفاعل عمل الفعل ، وذلك كما ترى في قول نُجْبة بنُ جُنادة العذري :

وقد تراخَتْ بنا عنها نَوى قُذُفٌ هيهاتَ مُصْبَحُها من بعد مُمْساها

---

(١) لمثل هذه الأفعال توجيه آخر ، هو أن تكون (ما) مصدرية لا زائدة كافة ، وفي هذا التوجيه يكون المصدر المؤول هو الفاعل ، وحينئذٍ تحسن كتابة (ما) مستقلة : طال ما اشتقت إليك .

(٢) سوف يمر بك في بحث (نائب الفاعل) أن هناك أفعالاً مبنية للمجهول دوماً ، يعد المرفوع بها فاعلاً لا نائب فاعل .

فقوله : مصبحها . فاعل مرفوع ، ورافعه اسم الفعل : هيهات ، ويعني : بَعُدَ . وتقول : شتانَ عملُنا وعملُ آبائنا . أي افترقَ . وتقول : سَرْعانَ انفعالُكَ . أي : أسرع انفعالك .

٤ ـ أما اسم الفاعل فعمله كثير في الفاعل ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ ثم يُخرج به زرعاً مختلفاً ألوانُهُ ﴾ (الزمر : ٢١) فألوانُه : فاعل مرفوع ، والعامل فيه اسم الفاعل (مختلفاً) . ومثله : ﴿ فويلٌ للقاسيةِ قلوبُهم من ذكر الله ﴾ (الزمر : ٢٢) ﴿ ودانيةً عليهم ظِلالُها ﴾ (الإنسان : ١٤) . وقال سحيمٌ العبدُ :

وجدتُهما يوماً وللصيدِ غِرَّةٌ تدِقّانِ مِسْكاً مائلاً بُرْقُعاهما

٥ ـ وكذلك تِرفع الصفة المشبهة فاعلاً في كثير من النصوص ، كما في قول النابغة :

وهبتِ الريحُ من تلقاءِ ذي أُرُلٍ تُزْجي سحاباً قليلاً ماؤه شبما

فـ (ماؤه) فاعل للصفة المشبهة : قليلاً . ومثله قول كثير عزة :

فلو كان مابي من جبالٍ لهدَّها وإن كان في الدنيا شديداً هدودُها

٦ ـ ويرفع اسم التفضيل فاعلاً على قلةٍ ، وذلك كما ترى في قول حاتم الطائي يصف قطيع الجمال :

فجالَ قليلاً واتقاني بخيرِهِ سناماً وأملاهُ من النَّيِّ كاهِلُهْ

فقوله : كاهله . فاعل لاسم التفضيل : أملاه[1] . وتقول : مارأيت رجلاً أبغض إليه الشرُّ منه إلى أبيك .

٧ ـ وقد يكون الاسم الجامد واقعاً موقع المشتق ، ومتضمناً دلالته ، وفي هذه الحال يرفع مثله فاعلاً ، كما لو قلت : أعرفُ رجلاً صَخْراً قلبُهُ . أي : قاسياً قلبُه . فقد تضمن الاسم الجامد (صخر) معنى المشتق ، فعمل عمله . وتقول : مررنا بقومٍ حاتمٍ سيدُهم . أي : كريمٍ سيدُهم[2] .

---

(١) يشترط جمهور النحاة لعمل اسم التفضيل شروطاً لم تستوفَ في بيت حاتم ، وسوف يمر بك الحديث المفصل عنها في عمل المشتقات .

(٢) جعل ابن مالك ما يرفع بالاسم المنسوب فاعلاً . انظر : شرح عمدة الحافظ .

٥ ـ حذف العامل :

وكثيراً مايحذف عامل الفاعل حَذْفاً لفظياً من ظاهر الكلام ، ويبقى أثره الدلالي والإعرابي ، ويقع هذا في الكلام على مستويين :

آ ـ الحذف الجائز :

فقد يحذف عامل الفاعل حذفاً جائزاً ، ويكثر هذا في لغة الحوار ، أو في جواب السؤال ، كما ترى في هذا الحوار :

ـ أأنت الذي نظر في قضية المتهمَيْنِ ؟

ـ لا ، بل زميلٌ جديدٌ لي .

ـ ومن حاكمهما إذاً ؟

ـ أقدمُ القضاةِ وأكثرهُم علماً .

فـ « زميلٌ » و « أقدمُ » فاعلان ، حذف فِعل كل منهما ، لأن سياق الحوار يدل عليه ، وتقدير الأول : بل نظر زميلٌ جديد لي . وتقدير الثاني : حاكمهما أقدم القضاة . ومن هذا قوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم : مَن خلقهم ؟ ليقولُنَّ : الله ﴾ (الزخرف : ٨٧) أي : خلقنا الله .

ب ـ الحذف الواجب :

ويحذف وجوباً إذا وقع الفاعل بعد أداة شرط وفسَّر الفعلَ المحذوف فعلٌ مذكور بعد الفاعل ، كما في قوله تعالى : ﴿ وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلامَ الله ﴾ (التوبة : ٦) فـ (أحدٌ) فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعده ، وهو : استجار[1] . وفي قوله : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾[2] وفي قول الغطمّش الضبي :

ص : ١٨٢ . وأضاف آخرون إلى العوامل السابقة شبه الجملة في مثل : في الدار أحمدُ .

(١) يرى بعض النحاة القدماء أن المرفوع بعد (إن) الشرطية خاصة يمكن أن يكون مبتدأ في مثل هذا الموقع .

(٢) جمهور النحاة على أن (إذا) تضاف إلى جملة فعلية ، ويجيز بعضهم أن يكون المرفوع بعدها مبتدأ ، وهذا يعني جواز إضافتها إلى جملة اسمية .

أخـلايَ لـو غيرُ الحِمـامِ أصـابكـم عتبتُ ولكنْ ماعلى الموتِ مَعْتَبُ

وفي قول عدي بن زيد :

فمتــى واغِــلٌ يَنُبْهــمُ يحيــو هُ وتعطِفْ عليه كـأسُ السـاقـي

وقول بعضهم :

فمن نحنُ نؤمِّنهُ يَبِتْ وهو آمِنٌ ومَـنْ لانُجِـرْهُ يُمْسِ منا مُفَزَّعـا

وقول الآخر :

صعْـدَةٌ نـابتـةٌ فـي حـائـرٍ أينمـا الـرِّيـحُ تميلْهـا تَمِـلْ

فالأسماء المرفوعة الواقعة بعد أدوات الشرط : إذا ، ولو ، ومتى ، ومَنْ ، وأينما ، يعرب كل منها فاعلاً مرفوعاً لفعل محذوف يفسره المذكور بعده .

٦ ـ **الفاعل المجرور** :

الفاعل في الأصل مرفوع ، كما رأيت في الأمثلة المتقدمة والشواهد التي مرت بك ، إلا أن له حالات يجر فيها لفظه ، ويبقى محله الرفع ، وذلك إذا تقدم عليه عامل جر زائد ، كما أنه في بعض التراكيب يقع في صورة المضاف إليه ، وفي هذه الحال لايكون مرفوع المحل ، ودونك بيان ذلك وتفصيله :

١ ـ جره بـ « مِن » الزائدة :

قد يجر الفاعل بحرف الجر « من » ، حين يكون زائداً ، كما ترى في قول جرير :

وقــد زعمُــوا أن الفــزردقَ حيــةٌ ومـا قَتَـلَ الحيـاتِ مـن أحـد قبلـي

وهذا في القرآن كثير من ذلك : ﴿ ماجاءنا من بشيرٍ ولانذير ﴾ (المائدة : ١٩) ﴿ وماتسقط من ورقةٍ إلا يعلمها ﴾ . (الأنعام : ٥٩) ﴿ هل يراكم من أحد ﴾ . (التوبة : ١٢٧) . ﴿ ومايَعْزُبُ عن ربك من مثقالِ ذرةٍ ﴾ (يونس : ٦١) .

على أنه لابد لذلك من شرطين اثنين ، الأول : أن تكون الجملة مبدوءة بنفي أو نهي أو استفهام أداته « هل » والثاني : أن يكون الفاعل المجرور نكرة

لامعرفة ، كما رأيت في الشواهد السابقة ، وكما ترى في قولهم : هل جاء من أحد ، و قولهم : لايذهب من أحد . أما قولك : ماشربت من الماء . فإن « مِن » فيه ليست زائدة ، لأن مجرورها معرفة لانكرة .

٢ ـ الباء الزائدة :

تجره جوازاً إذا كان فعله « كفى » اللازم ، وهو الذي يكون بمعنى : حَسْبُ ، أو يكفي . كما في قوله تعالى : ﴿ كفى بالله بيني وبينكم شهيداً ﴾ (العنكبوت : ٥٢) ﴿ كفى بالله وكيلاً ﴾ (النساء : ٨١) .

وكما في قول بشر بن أبي خازم :

ثوى في مُلحَدٍ لابد منه   كفى بالموتِ نأياً واغترابا

أما إذا كان « كفى » متعدياً إلى مفعولين وبمعنى أغنى عن شيء ، أو حل محل آخر في القيام بالفعل ، فإن الباء لاتزيد في فاعله ، كقوله تعالى : ﴿ وكفى الله المؤمنينَ القتالَ ﴾ (الأحزاب : ٢٥) و ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ (الحجر : ٩٥) .

وزيادة الباء هنا جائزة لا واجبة ، يدل على ذلك قول سحيم عبد بني الحسحاس :

عميرةَ وَدِّعْ إن تجهزتَ غازيا   كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فلم يزد الباء في قوله : الشيب ، الذي هو فاعل لفعل « كفى » ومثله قول عدي بن زيد :

كفى زاجراً للمرء أيامُ دهره   تروحُ له بالواعظات وتغتدي

وتجره وجوباً إذا كان العامل فيه فعلَ التعجب الذي يكون على صورة الأمر ، مثل : أكرم بخالدٍ . وقد مرَّ بنا هذا[١] .

---

(١) يرى بعضهم أن الفعل في (أكرم بخالد) ليس فعلاً ماضياً كما يقال ، بل هو فعل أمر ، وعلى هذا المذهب تكون الباء أصلية لا زائدة . هذا ، وقد تقع الباء زائدة في الفاعل للضرورة الشعرية ، كما في قول قيس بن زهير :

ألم يأتيكَ والأنباءُ تنْمي   بما لاقت لَبُونُ بني زيادِ

٣ ـ اللام الزائدة :

كمـا فـي قـولـه تعـالـى : ﴿ هيهـات هيهـات لمـا تـوعـدون ﴾ (المؤمنون : ٢٣) ، أي : بَعُدَ ماتوعدون .

٤ ـ الإضافة :

وقد يأتي الفاعل مجروراً بالإضافة ، كقولك : كتابتُك الوظيفة حسنة فالكاف في : كتابتك ، ضمير متصل ، أضيف إليه المصدر ، وهو في المعنى فاعل ، ومثله قولك : ضربكَ المذنبَ قد يُجْديه .

٧ ـ موقع الفاعل في الجملة :

في اللغة العربية ثلاث وسائل تعبيرية لتمييز الفاعل من المفعول به ، وهي : الإعراب ، والمطابقة ، والرتبة .

وتفسير ذلك أن للجملة الفعلية بنيةً خاصة ذاتَ هيكلٍ عامٍ يعيه المتكلم ، والكاتب ، والشاعر ، هو كما يلي :

الفعل + الفاعل + والمفعول به + المتممات الأخرى .

مثل : يزورُ السائحون دمشقَ بغيةَ الاطلاعِ على آثارها التاريخية .

ويتضح من هذا الهيكل أن الفاعل يقع بعد الفعل ، وقبل المفعول به ، غيرَ أن اتباعَ ذلك ليس بلازم في كل جملة ، فقد يتقدم عليه المفعول به ، ويصير الهيكل كما يلي :

الفعل + المفعول به + الفاعل ، . . .

وذلك كما ترى في مثل : ﴿ لن ينالَ اللهَ لحومُها ﴾ (الحج : ٣٧) ﴿ وإذا مَسَّ الإنسانَ ضُرٌّ دعا ربَّه منيباً إليه ﴾ (الزمر : ٨) ، وسبب هذه المرانة في الجملة العربية أن نظام الجملة البنيوي ـ أو الرتبة ـ ليس هو الوسيلة الوحيدة لتمييز الفاعل من المفعول ، كما هو الشأن في لغةٍ كالإنكليزية ، بل إن الإعراب والمطابقة يشار كانه في هذا . انظر في الجملتين التاليتين :

١ ـ شكر خالدٌ سعيداً .

٢ ـ شكر خالداً سعيدٌ .

إن بنية الجملة لم تتغير فيها مواقع الكلمات ، ومع ذلك نستطيع أن نعرف أن « خالداً » فاعل في الجملة الأولى ، مفعول في الجملة الثانية ، بسبب الحركة الإعرابية التي يتميز بها كل من الفاعل والمفعول به . ولكن انظر في الجملتين التاليتين :

١ ـ أعانت ليلى يحيى .

٢ ـ أعانت يحيى ليلى .

زالت هنا قرينةُ الإعراب ، ومع ذلك نعرف أن (ليلى) فاعل في الجملتين ، وأن (يحيى) هو المفعول به ، وسبب ذلك قرينةُ المطابقة بين الفعل والفاعل ، فتاء التأنيث التي لحقت الفعل (أعانَ) تدل على أن الفاعل مؤنث لا مذكر . ولكن تأمل هذه الجمل :

١ ـ صادفَ أبي أخي .

٢ ـ قابل موسى أبي .

٣ ـ واجهَ هذا ذاك .

٤ ـ قابلت ليلى سلمى .

٥ ـ تحب عمتي ليلى .

في هذه الجمل زالت قرينتا الإعراب والمطابقة ، ولم يبق في الجمل إلا وسيلة تعبيرية واحدة تميز الفاعل من المفعول به ، هي وسيلة الرتبة ، فالفاعل في كل منها هو المتقدم ، والمفعول به هو المتأخر .

تلك هي السمةُ العامة التي نجدها في نظام التركيب العربي ، ويتضح لك فيها شيئان ، الأول : أن هناك أصلاً عاماً هو وقوع الفاعل قبل المفعول به . والثاني : أن بنية الجملة تسمح بتقديم المفعول به على الفاعل إذا كانت هناك قرينة مميزة ، كالإعراب أوالمطابقة[1] . ولكنَّ هناك مايمنع التقديم والتأخير أحياناً ، ويجعل المتكلم أو الأديب مضطراً إلى التزام الرتبة ، إذ قد يجب

---

(١) هناك قرينة ثالثة هي واقع الحال ، كما يتضح لك في مثل : أكل الكمثرى يحيى . واشترى الكوسا يحيى . فالفاعل هنا (يحيى) وإن وقع متأخراً ، لأن الواقع لا يسمح بأن يكون الكوسا أو الكمثرى فاعلاً .

تقديم الفاعل ، وقد يجب تأخيره .

آ ـ متى يجب تقديمه على المفعول به :

ـ إذا زالت من الكلام قرينتا الإعراب والمطابقة ، كما عرفت من قبل .

ـ إذا كان الفاعل والمفعول ضميرين متصلين ، مثل : قابلتُهُ ، وأعنتُهُ .

ـ إذا كان الفاعل ضميراً متصلاً وكان المفعول به اسماً ظاهراً مثل : قابلتُ أباك . وصادفتُ زهيراً . وعرفتُ صديقَك .

ـ أن يحصر الفعل في المفعول به ، نحو : مالقي زيدٌ إلا خالداً .

ب ـ متى يجب تأخيره على المفعول به :

ـ إذا اتصل به ضمير يعود إلى المفعول به ، مثل : أخذَ القوسَ باريها .
فالضمير (ها) في الفاعل (باري) يعود إلى (القوس) ، وهو مفعول به . لأن الضمير في العربية يرجع إلى متقدم عليه في اللفظ والرتبة ، أو إلى متقدم عليه في اللفظ دون الرتبة . فإذا قلنا : أخذ باريها القوسَ . عاد الضمير إلى متأخر عليه في اللفظ والرتبة ، وهذا لايجوز في العربية . ومن هنا أخطأ سليط بن سعد في قوله :

جـزى بنـوه أبـا الغيـلانِ عـن كِبَـرٍ وحسـنِ فعـلٍ كمـا يجـزى سِنِمّـارُ

لأن الضمير الواقع في الفاعل المتقدم (بنوه) يعود إلى المفعول به المتأخر لفظاً ورتبة (أبا) .

وكذلك أخطأ حسان بن ثابت في قوله :

ولو أن مجداً أخلدَ الدهرَ واحداً من الناس أبقى مَجْدُهُ الدهرَ مطعِما

فقد عاد الضمير من الفاعل المتقدم (مجده) إلى المفعول به المتأخر لفظاً ورتبة (مطعماً)[1] . والتعبير السليم ماجاء في قوله تعالى : ﴿ وإذ ابتلى

(١) إذا رجع الضمير من المفعول به المتقدم لفظاً إلى الفاعل جاز ، لأنه يعود الى متأخر لفظَ ، ولكن متقدم رتبة ، كما في قول عنترة :

وبـدتْ فقلـتُ : البـدرُ ليلـةَ تِمِّـهِ قد قَلَّدَتْهُ نجومَها الجوزاءُ

وقول جرير :

جاء الخلافةَ أو كانتَ له قدراً كما أتى ربَّهُ موسى على قَدَرِ

إبراهيمَ ربه بكلمات ﴾ (البقرة : ١٢٤) ، وقوله : ﴿ هذا يومُ ينفعُ الصادقين صدقُهم ﴾ (المائدة : ١١٩) وقوله : ﴿ يوم يأتي بعضُ آيات ربك لاينفعُ نفساً إيمانُها ﴾ (الأنعام : ١٥٨) وتقولُ : لايضيرُ الإنسانَ فقرُهُ مع رجاحةِ عقله .

ـ ويجب تأخير الفاعل أيضاً إذا كان اسماً ظاهراً والمفعول به ضميراً ، نحو : راعه تلاطمُ الأمواج ، وأعجبه جمالُ الربيع ، وفتنته الطبيعةُ الخلابة .

ـ أن يحصر الفعل في الفاعل ، كقوله تعالى : ﴿ ومايعلم تأويلَهُ إلا الله ﴾ (آل عمران : ٧) وكقول ذي الرمة :

ألا طـرقتنـا ميـةُ بنـةُ منـذرٍ فمـا أرَّقَ النُـوامَ إلا سـلامُهـا[1]

٨ ـ مطابقة الفعل للفاعل جنساً :

يطابق الفعل فاعله في التذكير والتأنيث عادة ، تقول : ذهب سميرٌ ، وجاءت فاطمةُ ، ولكن هذه المطابقة ليست واجبة في العربية دوماً ، فيجوز مثلاً أن تقول : طلع الشمسُ ، واجتمعت العرب . فقد ذكَّرتَ الفعل في المثال الأول وفاعله مؤنث ، وأنثته في الثاني وفاعله مذكر .

ولهذه المطابقة ثلاث حالات هي :

١ ـ وجوب تذكير الفعل :

ـ يجب تذكيره إذا كان الفاعل مذكراً ، ويستوي هنا أن يكون مفرداً ، مثل : درس التلميذ . وأن يكون مثنى ، مثل : سهر التلميذان ، وأن يكون جمع مذكرٍ سالماً ، مثل : نام المرهَقون .

ـ ويجب تذكيره إذا كان الفاعل مؤنثاً ، حقيقةً أو مجازاً ، وفصل بينهما أداة الحصر « إلا » ، تقول : ما جاء إلا أمُّك ، ولا ذهب إلا أختُك ، أما في الشعر فقد جاء الفعل مؤنثاً مع المؤنث ، فحُمل على الضرورة ، قال ذو الرمة :

---

(١) وينشد البيت أيضاً : فما أرق النيام . انظر : التصريف الملوكي . ص : ٨٧ ـ ٨٨ .

كــأنَّــهُ جَمَــلٌ هِــمٌّ ومــابقيــتْ إلا النحيــزةُ والألــواحُ والعَصَــبُ[1]

ويدور في كتب النحو القديمة رجزٌ يحمل على الضرورة أيضاً ، وهو قول الشاعر :

مــا بــرِئــتْ مــن ريبــةٍ وذَمٍّ فــي حَــرْبِنــا إلاَّ بنــاتُ العَــمِّ

وكان على الأول أن يقول : وما بقي إلى النحيزة ، وكان على الثاني أن يقول : مابرىء إلا بنات العم[2] .

٢ ـ وجوب تأنيثه :

ـ ويؤنث وجوباً إذا كان فاعله مؤنثاً حقيقةً ، وظاهراً متصلاً به ، سواء أكان مفرداً مثل : ذهبتْ دعدٌ ، أم مثنى ، مثل : ذهبت الطالبتان . أم جمعَ مؤنثٍ سالماً ، مثل : ذهبت الطالبات . ولهذا أخطأ لبيد بن ربيعة في قوله :

تمنــى ابنتــايَ أن يعيــش أبــوهمــا وهــل أنــا إلا مــن ربيعــة أو مُضَــرْ

ـ ويجب تأنيثه إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً يرجع إلى مؤنث حقيقةً أو مجازاً ، نحو : دعدٌ ذهبت ، والشمس طلعت .

ـ ويجب تأنيثه كذلك إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً أو متصلاً يرجع إلى جمع مؤنث سالم ، أو جمع تكسير لمؤنث ـ، أو جمع مذكر لغير العقلاء ، مثل : الطالبات جاءت ، أو جئن ، والجمال سارت أو سِرْنَ .

٣ ـ جواز المطابقة وغيرها :

وهناك حالات يجوز لنا فيها أن نجعل الفعل والفاعل متطابقين في الجنس ، كما يجوز أن نخالف بينهما فيه ، وذلك كما يلي :

ـ إذا كان الفاعل مؤنثاً تأنيثاً غير حقيقي ، نحو : طلع الشمسُ . فالشمسُ ، مؤنث مجازي ، ولذلك جاز أن يكون فعلها مذكراً ، وأن يكون

---

(١) النحيزة : الطبيعة . والهِمُّ من الجمال وغيرها : الكبير الفاني .

(٢) قرأ الحسن البصري : ﴿ فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنُهم ﴾ (الأحقاف : ٢٥) أما القراء الآخرون فقرأوا : ﴿ لا يُرى إلا مساكنهم ﴾ وقرأ غيره : ﴿ إن كانت إلا صيحةٌ واحدةٌ ﴾ . (يس : ٢٩) ولهذا جعلها بعض النحويين سائغة جائزة لا ضرورة ، ولكنه قال بقلتها .

مؤنثاً مثلها ، فنقول : طلعت الشمس . ومن هذا قوله تعالى : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه ﴾ (البقرة : ٢٧٥) .

ويجوز أن نقول : جاءت الطلحات ، وجاء الطلحات . لأن « الطلحات » مؤنث لفظي لا حقيقي ، وعلى هذا جاز أن يطابق الفعل فاعله جنساً ، وأن يخالفه .

ـ إذا كان بين الفعل والفاعل المؤنث فاصل ما ، نحو : جاء عند الماءِ الطالباتُ . ومنه : ﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ ﴾ (هود : ٦٧) ﴿ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ (الممتحنة : ١٢) .

ـ إذا كان الفاعل جمع تكسير ، مثل : حضرتِ الرجالُ ، وجاءتِ الطلابُ . ويجوز أن يقال أيضاً : حضر الرجال ، وجاء الطلابُ .

ـ ويجوز تذكير فعل المدح أو الذم وتأنيثه إذا كان فاعله مؤنثاً حقيقةً أو مجازاً ، نحو ، نعم المرأة هندٌ . ونعمَ الدارُ دارُك ، ونعمتِ الدار دارُك .

ـ وكذلك إذا كان الفاعل ملحقاً بأحد الجمعين السالمين : المذكر والمؤنث ، تقول : جاء البنون ، وجاءت البنون ، وجاء البنات ، وجاءت البنات ، وعليه قول النابغة الذبياني :

قالتْ بنو عامر خالوا بني أسدٍ يابؤسَ للجَهْلِ ضراراً لأقوامِ

وقول عبد بن الطبيب :

فبكى بناتي شَجْوَهُنَّ وزوجتي والظاعنون إليَّ ثم تَصدَّعوا

ـ إذا كان الفاعل اسم جمع ، أو اسم جنس جمعي ، كقوله تعالى : ﴿ كذَّبتْ قومُ نوحٍ ﴾ (الشعراء : ١٠٥) وقوله : ﴿ كذّب به قومك وهو الحق ﴾ (الأنعام : ٦٦) ، فقوله : قوم ، اسم جمع . أما مثال اسم الجنس الجمعي ، فكقولهم : تأبى العَرب الضيم ، ويأبى العرب الضيم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قالت الأعراب : آمنا ﴾ (الحجرات : ١٤)[1] .

---

(١) قد تجتمع علتان لجواز التأنيث والتذكير كقوله : ﴿ أفمن حَقَّ عليه كلمةُ العذاب ﴾ . (الزمر : ١٩) فالفاعل مؤنث مجازي ، وبينه وبين الفعل فاصل هو شبه الجملة (عليه) ومثله : ﴿ فأصابهم سيئات ما عملوا ﴾ . (النحل : ٣٤) .

٤ ـ **مطابقة الفعل للفاعل عدداً** :

اللغة الشائعة أن يكون الفعل مفرداً مهما يكن الفاعل من حيث العدد ، تقول : جاء الطالبُ ، وجاء الطالبان ، وجاء الطلاب .

على أن بعض القبائل اليمنية القديمة ، كالحارث بن كعب ، وأزد شنوءة[1] . كانت تطابق بين الفعل وفاعله في العدد ، تقول مثلاً : جاء الفارسُ ، وجاءا الفارسان ، وجاؤوا الفرسانُ ، ولهذه اللغة شواهد فصيحة يُحتج بها ، من ذلك قول أحيحة بن الجلاح الأنصاري :

يلومونني في اشتراء النخيـ ـلِ ، قومي ، فكلهم يَعْذِلُ

وقول الفرزدق التميمي :

ولكنْ ديافيٌ أبوه وأمُّه بحَوْرانَ يَعْصِرْن السليطَ أقارِبُهْ[2]

وقول عبيد الله بن قيس الرُّقيات القرشي :

تولى قتالَ المارقينَ بنفسه وقد أسلماه مُبْعَدٌ وحميمُ

وليست هذه اللغة مقصورة على الشعر حتى يقال إنها ضرورة ، فقد سُمع بعض الأعراب يقول : أكلوني البراغيث . كما جاء منها في القرآن قوله تعالى : ﴿ وأسرّوا النجوى الذين ظلموا ﴾ (الأنبياء : ٣) وقوله : ﴿ ثم عموا وصموا كثير منهم ﴾ (المائدة : ٧١) .

على أن نحاة كثيرين قد خاضوا في تأويل الآيتين ، ولهم في ذلك آراء وتخريجات لاتخرج عن إطار الآراء الظنية ، يفرون بها من وقوع هذه اللغة في القرآن الكريم[3] ، مع أنها كانت لغة كثير من الفصحاء .

---

(١) ونسبت أيضاً إلى قبيلة طيء ، وكانت تسكن في نجد ، ولكنها من أصل يمني . ويبدو أن هذه اللغة كانت أكثر شيوعاً في القبائل العربية . لورودها بكثرة في الشعر . وفي الحديث النبوي ، وأقوال الصحابة .

(٢) ديافي : نسبة إلى « دياف » وهي قرية شآمية . والسليط : الزيت . هجا رجلاً فجعله ممن يعملون ليكسبوا قوتهم ، ونفى أن يكون كالعرب الذين يعيشون على الانتجاع والغزو .

(٣) انظر آراءهم في الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ٢٦٨/١١ ، والبحر المحيط ، لأبي حيان٦/ ٢٩٦ .

ونقل حديث شريف اكتسب بين النحاة شهرة واسعة ، وهو : « يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل ، وملائكة بالنهار » ، فقد رواه على هذه اللغة مالك ، ومسلم ، والبخاري ، والنَّسائي[(١)] . وسمى ابن مالك اللغة كلها باسم : لغة : « يتعاقبون فيكم »[(٢)] بدل قولهم : لغة : « أكلوني البراغيث » ، والحق أن في لغة الحديث أشياء كثيرة منها ، سواء أكان المرفوع فاعلاً أم نائب فاعل ، من ذلك ماجاء في حديث وائل بن حجر : « ووقعتا ركبتاه قبل أن تقعاكفاه » . ومن ذلك أيضاً الحديث : « يَخْرجن العواتقُ وذوات الحجور » ومنه قول عمر للرسول : « ذُئرنَ النساءُ على أزواجهنَّ » أي : اجترأن .

يتبين من هذا أن لغة : أكلوني البراغيث . أو : يتعاقبون فيكم ، كانت أعم من أن تكون لغة يمنية خاصة ، ولكن هذا لايعني أن تستعمل في اللغة المكتوبة أو المنطوقة في أيامنا هذه ، فهي لغة منقرضة لاداعي لإحيائها اليوم .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لايَحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ﴾ (النساء : ١٩) .

٢ ـ ﴿ قل من يرزقكم من السماوات والأرض ؟ قل : الله ﴾ (سبأ : ٢٤) .

٣ ـ ﴿ لو أنتم تملكون خزائن رحمةِ ربيّ إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾ (الإسراء : ١٠٠) .

٤ ـ ﴿ أتأتون الفاحشة ، ماسبقكم بها من أحد ﴾ (الأعراف : ٨٠) .

٥ ـ ﴿ إذا حضَرَ القسمةَ أولو القُربى واليتامى والمساكينَ . . . ﴾ (النساء : ٨) .

---

(١) انظر : الموطأ : ١٢٣ ، السفر : ٨٥ ، وصحيح مسلم : ٥/ ١٣٣ ، والتجريد الصريح : ١/ ٥٥ ، وسنن النسائي : ١/ ٢٤٠ .

(٢) انظر من كتبه مثلاً : شرح عمدة الحافظ . ص : ٥٣٧ ، ٥٤٠ .

٦ ـ ﴿ يومَ لاينفعُ الظالمين معذرتُهم ﴾ (غافر : ٥٢) .

٧ ـ ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾ (فاطر : ٢٨) .

٨ ـ ﴿ وقال نسوة في المدينة : امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴾ (يوسف : ٣٠) .

٩ ـ ﴿ فهل ينظرون إلا الساعةَ أن تأتيهم بغتةً فقد جاء أشراطُها ﴾ (محمد :١٨) .

١٠ ـ قال النابغة :

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي تستك منها المسامعُ

١١ ـ قال كثير عزة :

كفى حزناً للعين أن ردَّ طرفها لعَزَّةَ عيرٌ آذنت بقُفولِ

١٢ ـ قال امرؤ القيس :

أغَرّك مني أن حبك قاتلي ... وأنك مهما تأمري القلبَ يفعلِ

١٣ ـ قال أنيف بن حكم :

أبى لهمُ أن يعرفوا الضيمَ أنهم ... بنو ناتقٍ[1] كانت كثيراً عيالُها

فلما التقينا بيّنَ السيفُ بيننا ... لسائلةٍ عنا حفيٌّ سُؤالُها

١٤ ـ قال أعشى باهلة :

مِرْدى[2] حروبٍ ونورٌ يستضاء به ... كما أضاءَ سوادَ الظلمةِ القمرُ

١٥ ـ قال إياس بن القائف :

فأكرم أخاك الدهرَ مادمتما معاً ... كفى بالممات فرقةً وتدانيا

١٦ ـ قال عبيد الله بن قيس الرقيات :

تولى قتال المارقين بنفسه ... وقد أسلماه مبعدٌ وحميمُ

١٧ ـ قال محمد بن عبد الله العتبي :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرضن عني بالخدود النواضرِ

---

(١) الناتق : المرأة إذا كثر ولدها .

(٢) المردى : حجرة يرمى بها في الحرب . والمراد بها هنا وصف الممدوح بالشجاعة . أي : هو شجاع قوي يُرمى به المقاتلون .

١٨ ـ قال المتنبي :

ولـو غيـرُ الأمير غـزا كـلاباً   ثنـاهُ عـن شمـوسهـمُ ضبـابُ



رابعاً : نائب الفاعل[1]

آ ـ ماهو ؟ :

قد يحذف الفاعل من الكلام لدواعٍ يقتضيها الموقف الاجتماعي أو الحال الذهنية[2] ، فقد يكون في ذكره خطر علىٰ المتكلم ، أو على غيره ، كأن يخفي القائل اسم الفاعل خوفاً منه أو خوفاً عليه ، وقد يخفيه لأنه لايعرفه أو لأنه نسيه ، وفي هذه الحال يُبنى الفعل للمجهول[3] ، وينوب عن الفاعل المفعول به غالباً[3] ، كما ترى في هاتين الجملتين :

١ ـ قَرَّبَ الخَدَمُ المائدةَ .

٢ ـ قُرِّبَتِ المائدةُ .

وتقول على غرار هذا : قُرِىء الكتاب ، وأُجيزَ البحثُ ، ونيلتِ الدرجةُ . ومن هنا يكون نائب الفاعل هو ما أسند إليه فعل مبني للمجهول أو شبهه متقدم عليه .

---

(١) تسمية هذا الباب « نائب فاعل » ، متأخرة ، أول من أطلقها ـ فيما أرجح ـ ابن مالك . وكان يقال من قبل : مالم يسم فاعله . أو : المفعول الذي لم يسم فاعله .

(٢) هناك أفعال لا تستعمل إلا مبنية للمجهول منها : عُني ، جُنَّ ، بُهت ، زُكم ، زُهي ، امتُقع ، أُغمي عليه ، حُمَّ ، فلج ، أُهتر ، استُهْتر ، أولع ، طُلَّ ، غُمَّ ، شُدِه ، دهش ، نفست المرأة ، شغف ، أغري ، أغرم ، أهرع ، نتج . ويرى كثير من النحاة أن المرفوع بعد هذه الأفعال فاعل لا نائب فاعل . وهناك أفعال أخرى يكثر بناؤها للمجهول ، منها : توفي ، عُمّر ، اضطر ، شغل عنه ، شهر في الناس ، نكب . والمرفوع بعد هذه الأفعال فاعل لا نائب فاعل .

(٣) ليس هنا موضع الحديث عن بناء الفعل للمجهول ، لأن ذلك بحث صرفي لا نحوي ، وقد تناولناه في قسم الصرف .

ب ـ أشكاله :

ونائب الفاعل أقل تنوعاً من الفاعلْ من حيث الشكل البنيوي ، فإما أن يكون اسماً ظاهراً ـ وهذا هو الأصل الشائع ـ مثل : أطلبِ الموتَ توهَبْ لك الحياةُ . ومثل : ﴿ خُلق الإنسانُ ضعيفاً ﴾ (النساء : ٢٨) ﴿ وأزلفتِ الجنةُ للمتقين ﴾ (الشعراء : ٩٠) وإما أن يكون ضميراً متصلاً أو منفصلاً ، مثال الأول : حييتَ من صديق . فالتاء ضمير متصل مبني على الفتح في محل رفع ، نائب فاعل . ومثله : ﴿ ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه ﴾ (الأنعام : ٢٨) فواو الجماعة في (رُدوا) وفي (نُهوا) ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع ، نائبَ فاعل . ومثال مجيئه ضميراً منفصلاً قولنا : ماعوقِبَ إلا أنت . وما عُرِف إلا هو .

ويندر أن يقع مصدراً مؤولاً ، مثل : أُريدَ أن يُقتحمَ السور . أي : اريدَ أقتحامُ السور . ومثل : عُلِمَ أنك هنا . أي : عُلمَ وجودُك هنا .

ولكنه يجيء جملة بعد أفعال القول ، ولاسيما الفعل « قال » إذا بني للمجهول ، مثل : ﴿ وقيل : يا أرضُ ابلعي ماءكِ ﴾ (هود : ٤٤) فالكلام بعد (قيل) في محل رفعٍ ، نائب فاعل .

وقد يكون شبه جملة ، ويشترط هنا أن يكون الفعل لازماً لامتعدياً ، وذلك كما في قولك : فُرِح يومُ لقائك . وسير في ركابك . وعيش في كنفك . وسوف ترى مزيداً من التفصيل في هذا في الفقرة الأخيرة من البحث ، وتقول في إعراب شبه الجملة هنا : في ركابك : الجار والمجرور في محل رفع نائب فاعل . ولايُعلق الجار والمجرور والظرف بالفعل أو بغيره في مثل هذا التركيب ، لأن تعليقهما يعني أنهما جزء من الفعل ، وهما في الحقيقة قائمان قيام المسند إليه ، وهو مستقل عن الفعل .

ج ـ العامل في نائب الفاعل :

وكذلك تقل عوامل نائب الفاعل عن عوامل الفاعل ، وهي :

١ ـ الفعل :

ويشترط فيه أن يكون مبنياً للمجهول ، وأن يكون ماضياً أو مضارعاً ، أما فعل الأمر فلا يبنى للمجهول ، ولا يرفع نائب فاعل ، تقول : قُضي الأمرُ ، وفُقِدَ الكتابُ ، ودُفعَ المالُ لمستحقيه ، وتقول : يُباعُ البيتُ ، وتُشترى الأرضُ ، ويُختصرُ الجهدُ . ويجوز حذفه في مثل : ﴿ إذا الشمسُ كوِّرت ﴾ (التكوير : ١) .

٢ ـ اسم المفعول :

وكثيراً مايكون عامله اسم المفعول ، كقوله تعالى : ﴿ ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ ﴾ (هود : ١٠٣) وقوله : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكينِ والعاملينَ عليهاوالمؤلَّفةِ قلوبُهم ﴾ (التوبة : ٦٠) وقول جرير :

أصبحتَ للمنبرِ المعمورِ مجلسُه زيناً ، وزينَ قِبابِ الملكِ والحُجَرِ

٣ ـ الاسم المنسوب :

وتقول : هذا الثوبُ دمشقيٌّ نسجُهُ . فـ (نسجه) نائب فاعل ، والعامل فيه (دمشقي) . وتقول : هذا الطفلُ مصريٌّ أبوه ، وسورية أمُّه ، وعراقيٌّ جَدُّهُ . وتقول : عرفتُ رجلاً يمنياً أصلُهُ[١] .

د ـماينوب عن الفاعل :

ينوب عن الفاعل واحد من أربعة أشياء تختلف في ذلك كثرة وقلة ، وهي : المفعول به ، والمفعول المطلق أو المصدر ، والمفعول فيه أو الظرف ، والجار والمجرور . وإليك تفصيل ذلك :

١ ـ نيابة المفعول به عن الفاعل :

ينوب المفعول به عن الفاعل بكثرة في الكلام ، وشواهده فوق أن

(١) جعل بعضهم المصدر أيضاً من عوامل نائب الفاعل ، واحتج بقول عائشة : « إن رسول الله ﷺ أمر بقتل الأبتر وذو الطُفْيتين » برفع (ذو) لأنه معطوف على موضع (الأبتر) ، وهو نائب فاعل في المعنى . والحديث في مسلم برواية أخرى . والأبتر : الحية القصيرة الذنب . والطفيتان : خطان أبيضان على ظهر الثعبان .

تُحصى ، مثل : ﴿ لايُقبل منها شفاعةٌ ﴾ (البقرة : ٤٨) ﴿ فاليوم لايؤخذ منكم فديةٌ ﴾ (الحديد : ١٥) ﴿ زُين للذين كفروا الحياةُ الدنيا ﴾ (البقرة : ٢١٢) .

وهو أولى مافي الجملة بالنيابة عن الفاعل ، فإذا كان فيها لاينوب غيره عنه ، وذلك كما ترى في الجمل المزدوجة التالية :

١ ـ أكل سميرٌ التفاحةَ صباحاً ← أكلتِ التفاحةُ صباحاً .

٢ ـ ضربتُ المذنبَ بالعصا ← ضُرِب المذنبُ بالعصا .

٣ ـ ناضلنا العدوَّ مناضلةً شديدة ← نوضِلَ العدوُّ مناضلةً شديدة .

ففي كل من هذه الجمل مفعول به ، وظرف ، أو جار ومجرور ، أو مصدر ، ومع ذلك لم ينب عن الفاعل فيها غير المفعول به[1] .

وإذا كان في الجملة أكثر من مفعول واحد ناب المفعول الأول[2] عن الفاعل ، وبقي ما بعده مفعولاً كما هو ، وذلك كما ترى في الجملتين التاليتين :

ـ ظننتُ الثعلبَ أسداً ← ظُن الثعلبُ أسداً .

---

(١) أجاز بعض النحاة كالكوفيين والأخفش وابن مالك أن ينوب غير المفعول مع وجوده ، وبين أيديهم شواهد من قراءات القرآن والشعر ، من ذلك قراءة يزيد بن القعقاع المدني : « ليُجْزى قوماً بما كانوا يكسبون » . (الجاثية : ١٤) وقول الراجز :

أتيحَ لي من العِدا نذيرا ... بِه وُقيتُ الشرَّ مستطيرا

وقول جرير :

ولو وَلدت قُفَيْرةُ جَرْوَ كلبٍ ... لسُبَّ بذلك الجروِ الكلابا

ففي هذه الشواهد ناب الجار والمجرور ـ فيما يزعمون ـ عن الفاعل وحافظ المفعول به على إعرابه وهو النصب .

(٢) وقد ينوب غيره إذا أُمِن اللبس ، ولا سيما في الأفعال التي تشبه : كسا ، وأعطى . مثل : أُعْطيَ الفقيرُ مالاً . ويجوز . أعطي الفقيرَ مالٌ . ومثل : كسيَ الفقيرُ ثوباً . ويجوز : كسي الفقيرَ ثوبٌ . وأجاز ابن مالك مثل هذا في باب (ظن) أيضاً ، والمشهور منعه .

ـ نبّأتُ الناسَ الثعلبَ أسداً ← نبىء الناسُ الثعلبَ أسداً .

ومن هذا قول عنترة :

نبئتُ عمراً غيرَ شاكرِ نعمتي والكفرُ مَخْبأةٌ لنفسِ المنعم

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ عُلّمنا منطقَ الطيرِ وأوتينا من كل شيء ﴾ (النمل : ٢٧) .

٢ ـ نيابة الجار والمجرور :

وإذا خلا الكلام من المفعول به ، وذلك حين يكون فعل الجملة لازماً ، ناب عن الفاعل الجار والمجرور أو غيره ، ويشترط في حرف الجر شرطان :

ـ أن يكون متصرفاً :

وتصرف حرف الجر أن يكون صالحاً لجر الأسماء الظاهرة والضمائر ، وألا يكون مقتصراً على جر نوع خاص من الأسماء ، فحرف الجر « حتى » مثلاً لايمكن أن يكون هو ومجروره نائب فاعل ، لأنه يقتصر على جر الأسماء الظاهرة دون الضمائر ، ومثله حرف الجر « رُبَّ » لاقتصاره على جر النكرات دون المعارف ، ومثلهما أحرف القسم وأحرف الاستثناء ومذ ومنذ ، لأن الأولى مقصورة على جر المقسم به ، ولأن الثانية مقصورة على جر المستثنى ، ولأن الأخيرين مقصوران على جر أسماء الزمان . وما سوى هذه الأحرف يمكن أن تكون هي ومجرورها نائب فاعل ، كحرف الجر « في » ومجروره مثلاً في قوله تعالى : ﴿ فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذٍ يومٌ عسير ﴾ (المدثر : ٨) وحرف الجر « على » ومجروره في قوله : ﴿ وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ﴾ (التوبة : ٨٧) والباء ومجرورها في قول الفرزدق :

غلاماً أبوه المستجارُ بقبره وصعصعةُ الفكاكُ من كان عانيا

ـ ألا يكون للتعليل :

والشرط الثاني ألا يكون حرف الجر للتعليل ، كاللام ومجرورها في مثل : فُرِح لقدومك . لأنها تفيد التعليل . و « في » ومجرورها في قولك : عوتبتُ في سفري وحدي . أي بسبب سفري وحدي . و « على » ومجرورها في مثل : كوفئتَ على نجاحِك . ومن ذلك قول الفرزدق أو غيره :

يغضي حياءً ويُغضى من مهابته فما يكلَّمُ إلا حين يبتسِمُ

فقوله : من مهابته . تعليل للفعل : يُغضى ، ولهذا لايجوز أن يكون في محل رفعٍ ، نائب فاعل .

وسبب ذلك ـ فيما يزعم النحاة ـ أن التعليل كلام مستأنف ، حتى لكأنه جواب لسؤال مقدر ، ومن هنا لايمكن أن يكون الجار والمجرور في هذه الحال نائب فاعل ، لأنه حينئذٍ سيكون من جملة الفعل المبني للمعلوم لا من جملة أخرى مستأنفة مقدرة .

وإلى جانب هذين الشرطين هناك شرط ثالث ، ولكنه في الاسم المجرور لا في حرف الجر ، وهو أن يكون مختصّاً ، أي : أن يكون محدّد الدلالة لا شائعاً ، أو أن يكون موصوفاً ، أو مضافاً ، وذلك كما ترى في قوله : ﴿ ولما جاءت رسُلنا لوطاً سيء بهم ﴾ (هود : ٧٧) فالمجرور هنا ضمير يعود إلى الرسل ، فهو محدد الدلالة غير شائع . ومثل ذلك قوله : ﴿ يومَ ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً ﴾ (النبأ : ١٨) ومما جاء مضافاً « ثمره » في قوله تعالى : ﴿ وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها ﴾ (الكهف : ٤٢) وتقول : قُعِد في مكانٍ ضيقٍ . ووُقِف على حَبْلٍ رفيعٍ . واستُنْجدَ برجلٍ شهمٍ .

٣ ـ نيابة الظرف عن الفاعل :

ويشترط في ظرف الزمان أو المكان لينوب عن الفاعل أن يكون متصرفاً ومختصاً ، ويعني تصرفه أن تكون له القدرة على أن يكون في الكلام مبتدأ ، أو فاعلاً ، أو نائب فاعل ، أو مضافاً إليه ، أو ماشابه ذلك من الوظائف ، وألا يكون جامداً مقصوراً على وظيفة واحدة هي الظرفية ، أو مايشبهها وهو الجر بحرف الجر . ولهذا لاتقع الظروف التالية نائب فاعل لجمودها : عند ، إذا ، ثَمَّ ، مَعَ ، قَطُّ ، عَوْضُ ، وما كان جامداً مثلها ، أما (يوم) و (أمام) فظرفان متصرفان يمكن أن يكونا نائب فاعل .

أما اختصاص الظرف فأن يكون دالاً على شيء مُحدَّد غير مبهم ، فإذا كان زماناً يجب أن تكون له بداية ونهاية محددتان ، كأن يكون علماً مثل :

رمضان ، وشعبان ، أو مضافاً مثل : يوم السبت ، أو الأحد ، أو معرفاً بأل مثل : اليوم . أو نكرة موصوفة مثلْ : يوم واحد . وإذا كان مكاناً يحدد بالوصف أو بالإضافة ، تقول : جيءَ يومُ السبتِ . ووُقف أمامُ الجمهورِ . وصِيم رمضانُ . ولايقال : وُقِف حينٌ ، وجلس أمامٌ . لأن الظرفين مبهمان لامتصرفان .

٤ ـ نيابة المصدر عن الفاعل :

وينوب المفعول المطلق عن الفاعل أيضاً إذا كان متصرفاً مختصاً . فمن المصادر ماكان جامداً لايكون في الكلام إلا مفعولاً مطلقاً مثل : معاذَ ، وسبحان ، ولبيك ، ودواليك ، فأمثال هذه المصادر لايمكن أن تقع نائب فاعل لجمودها ، واختصاص المصدر أن يكون محدداً بالوصف أو بالإضافة ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ فإذا نُفخ في الصور نفخةٌ واحدة ﴾ (الحاقة : ١٣) وتقول : قُعد القعودُ الطويلُ ، ونيم نومُ الهادئين الوادعين .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ (النحل : ٥٨) .

٢ ـ ﴿ وجُمِعَ الشمسُ والقمر ﴾ (القيامة : ٩) .

٣ ـ ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو رُدوها ﴾ (النساء : ٨٦)

٤ ـ ﴿ وإذا قيل لهم : لاتفسدوا في الأرض . قالوا : إنما نحن مصلحون ﴾ (البقرة : ١١) .

٥ ـ ﴿ فقاتل في سبيل الله لاتُكلف إلى نفسَك ﴾ (النساء : ٨٤) .

٦ ـ ﴿ وإذا الجبال سُيرت ، وإذا العشار عطلت ، وإذا الوحوش حشرت، وإذا البحار سجرت، وإذا النفوس زوجت . . ﴾ (التكوير : ٣،٧)

٧ ـ قال النابغة :

ألم أقسم عليك لتخبرنّي أمحمولٌ على النعشِ الهُمامَ

٨ ـ قال جرير :

تقول لك الثكلى المصابُ حليلُها أبا مالك هل في الظعائن مَعْزَلُ

٩ ـ قال كثير عزة :

قضى كل ذي دَيْن فوفّى غريمه وعـزة ممطـولٌ مُعَنّـى غـريمُهـا

١٠ ـ قال حميد بن ثور :

وهل أنا إن عللت نفسي بِسَرْحة من السرح مسدودٌ عليَّ طريقُ

١١ ـ قال طرفة بن العبد :

فيالك من ذي حاجة حيل دونها وماكل مايهوى امرؤ هو نائله



القسم الثالث

المنصـــوبـات

١ ـ اللازم والمتعدي من الأفعال

آ ـ مفهوم اللزوم والتعدية :

لما كان الفعل يدل على حدث كان من الطبيعي أن يحتاج إلى مجموعة من الوظائف تتمم معناه ، فما نكاد نسمع بوقوع حدثٍ ما حتى تتواثب في أذهاننا عدة أسئلة حوله :

١ ـ من أحدثه ؟

٢ ـ وعلى من أحدثه ؟

٣ ـ وكيف أحدثه ؟

٤ ـ ولماذا أحدثه ؟

٥ ـ ومتى أو أين أحدثه ؟

٦ ـ وهل أحدثه حقاً ؟

٧ ـ وكم مرة أحدثه ؟

٨ ـ الخ . . .

وجواب كل سؤال من الأسئلة السابقة إنما هو تحديدٌ لوظيفةٍ من الوظائف الخاصة بالفعل ، كالفاعليه ، والمفعولية ، وأمثالهما .

والأفعال المتصرفة كلها في حاجة إلى هذه الوظائف باستثناء وظيفة واحدة هي : التعدية ، إذ لاتحتاج إليها جميع الأفعال ، وهذا يرجع إلى دلالة الفعل نفسه لا إلى صيغته أو زمانه ، فدلالة الفعل « أَكَلَ » بحاجة إلى بعدين لابد منهما ، هما : الآكل ، والمأكول . أما الفعل « نام » فلا يحتاج إلى غير بعدٍ واحد هو النائم، ولذلك يُسمى الفعل الأول متعدياً ، ويسمى الثاني لازماً.

وأشباه الفعلين « أكل » و « نام » كثيرة جداً في اللغة العربية . فمن أشباه الأول : ضرب ، وفهم ، وسمع ، وحمل ، ومن أشباه الثاني : مشى ، وذهب ، وسار .

ولمزيد من توضيح مفهوم التعدية نؤثـر أن نضع بجانب كل فعل مما يـأتـي حقليـن : يتضمـن أولهمـا وظيفـة الفـاعـل ، ويتضمـن الثـانـي وظيفـة المفعول :

أكَلَ	الأسدُ	فريستَه
سمِعَ	الناسُ	الأخبارَ
رأى	الطفلُ	أمَّه

نام	الطفلُ
رحل	الناسُ
أقبل	الطلابُ

لعلك لاحظت ان الأفعال الثلاثة الأولى تجاوزت بمعانيها ـ أو تعدت ـ حدود الحقل الأول ، وحقل الفاعل ، لتصل بمعانيها إلى الحقل الثاني ، حقل المفعول به ، إذ لايتم معنى «أكل » إلا بمعرفة الفاعل والمفعول ، وقل مثل ذلك في الفعلين : سمع ، ورأى . أما الأفعال الثلاثة الأخرى فلم يتجاوز معنى واحد منها الحقل الأول ، بل اكتفى بالفاعل وتم به معناه .

والذي يؤكد أن وظيفة التعدية ترتبط بمعنى الفعل شيئان :

١ ـ الأول : أن بعض الأفعال تكون لازمة بمعنى ، ومتعدية بمعنى آخر ، كالفعل « جاز » ، تقول : جازالقولُ يجوز جوازاً ، بمعنى : صَحَّ وقُبِلَ . فهو ـ كما ترى ـ لازم . وتقول : جازَ الواديَ . إذا قطعه وتجاوزه . فهوهنا متعدٍ . ومثله الفعل : « حجا » تقول : حجا في المكان . أقام . فهو هنا لازم . وتقول : حجا الشيءَ ، إذا حفظه ، فهو هنا متعدٍ . ومثل هذين الفعلين كثير جداً في أفعل العربية .

٢ ـ والثاني : أن الفعل إذا حُمِّل أو ضُمِّن معنى فعلٍ آخر أخذ حكمه ، فإن كان متعدياً تعدى مثله ، وإن كان لازماً لزم مثله ، فالفعل : « عزمَ » لازم ، عزمتُ على الأمرِ ، إذا جددتُ فيه . ولكنه حين ضُمن معنى الفعل المتعدي : « نوى » تعدى مثله ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ ولا تَعْزموا عقدةَ النِكاحَ ﴾ (البقرة : ٢٣٥) وكذلك الفعل « ألا يألو » لازم حين يكون بمعناه الأصيل وهو : قَصّر ، أو تهاوَنَ . تقول : إن فلاناً لايألو في المساعدة . أي لايقصر فيها . ولكنه قد يضمّن معنى الفعل « منع » فيتعدى إلى مفعولين ، تقول : لا آلو فلاناً نصحاً . أي لا أمنعه نصحاً . والفعل « كفر » يتعدى إلى

مفعول واحد إذا كان بمعنى : سَتَر ، أوغطى . أما إذا ضمن معنى (حُرِمَ) فيتعدى إلى مفعولين مثله ، كقوله تعالى : ﴿ ومايَفْعلوا من خيرٍ فلن يُكْفروه ﴾ (آل عمران : ١١٥) ومثل هذا كثيرٌ أيضاً في النصوص العربية .

نخلص من هذا كله إلى أن الفعل المتصرف قد يتعدى فاعله إلى المفعول به ، وقد يكون قاصراً في معناه على فاعله[١] ، غير أن النوعين كليهما في حاجة إلى وظائف أخرى ، كالحال ، والظرفية ، والسببية ، والتوكيد ، وبيان النوع ، وأمثال ذلك ، كما ترى في الجملتين التاليتين :

١ ـ ذهبت البارحةَ إلى البيت إيثاراً للراحة ، معتمداً على ما أملكه في بيتي من وسائلها .

٢ ـ كتبتُ الوظيفةَ البارحةَ في البيت إيثاراً للجد ، معتمداً على العمل والدأب .

فالفعل (ذهب) في الجملة الأولى لازم ، لم ينصب مفعولاً به ، ولكنه نصب مفعولاً فيه وهو (البارحة) ، ومفعولاً له ، وهو (إيثاراً) وحالاً ، وهو (معتمداً) . وهو قادر لو غيرنا بنية الجملة على أن ينصب غير ذلك من المنصوبات ماخلا المفعول به . أما الفعل « كتبَ » في الجملة الثانية فهو متعدٍّ ، وقد نصب مانصبه الفعل السابق ، وزاد عليه أنه نصب مفعولاً به هو : الوظيفة .

ب ـ الفعل اللازم

آ ـ صيغ الفعل اللازم :

تبين لنا في الفقرة السابقة أن الفعل اللازم هو الذي لايحتاج معناه إلى أن يقع على مفعول به ، وتبين لنا أن ذلك لايرجع إلى شكله الصرفي ولا إلى زمانه ، بل ينحصر في دلالته .

---

(١) هناك أفعال تتعدى بنفسها وبحرف الجر كالفعل : شكر ، تقول : شكرتُ فلاناً ، و شكرت لفلان . وكالفعل : نصح ، تقول : نصحت فلاناً ونصحت لفلان . وهي ليست بالكثيرة .

ولكننا لانستطيع أن نغفل الملامح الشكلية للفعل اللازم ، إذ هناك أبنية خاصة يغلب عليها أن تكون أفعالها لازمة ، وهي :

١ ـ فَعُل يَفْعُل :

وإنما تأتي الأفعال لازمة على هذه الصيغة لأنها تدل على اكتساب فاعلها صفة أو خلقة فطرية ، كالجمال ، والنبل ، والشرف ، والظرف ، والنحافة ، مثل : جَمُلَ الغلامُ ، ونبُلَ المقصِدُ ، وشرُفَ المنزلُ ، وظرُفت الفتاة ونَحُفت[1] .

٢ ـ انفعل :

وتدل هذه الصيغة على المطاوعة لفعل ثلاثي متعدٍ ، مثل : قطعتُ الخيطَ فانقطع ، وكسرت الزجاجَ فانكسرَ ، وخدعتُ العدو فانخدع .

٣ ـ افعلّ .

وتدل هذه الصيغة على لون ، مثل : احمرَّ البُسْرُ ، واسودَّ الحقل ، واخضرَّ العشبُ ، وابيضَّ الشعرُ ، واغبرَّ الجوُّ .

٤ ـ افْعَلَلَّ :

وأفعال هذه الصيغة لازمة ، مثل : اقشعرَّ البدنُ ، واشمأزَّ الناسُ . اضمَحلَّ السحابُ ، واطمأَنَّت النفسُ ، واكفهرَّ الجو ، وادلهمَّ الظلامُ .

٥ ـ افْعَنْلَلَ وما يضاهيها :

تقول : احرنْجم الناسُ ، أي اجتمعوا . وافرنقعوا ، أي تفرقوا ، وتقول : اِقعنسس الجملُ ، إذا رفض الانقياد . واسلنقى المريضُ ، إذا نام على ظهره .

أما المعاني التي يغلب على أفعالها اللزوم فهي :

١ ـ أفعال المطاوعة : وقد مَرّ بنا منها صيغة (انفعل) ، وهناك صيغ أخرى تستعمل للمطاوعة وغيرها ، وتكون لازمة إذا كانت مطاوعةً لفعل ثلاثي متعدٍ لواحد ، مثل افتعل ، وتفاعَلَ ، وتفعلل ، تقول : اجتمع القومُ ،

---

(١) روى الخليل أن العرب تقول : رَحُبَتْك الدارُ . فيجعلون (رحُب متعدياً . ولعل الأصل : رحبت بك الدارُ . ثم حذفوا الباء ، من باب نزع الخافض .

وتباعدَ الأحبةُ . وامتدَّتِ الطرقُ ، وتوفَّر الخبَز ، وتبعثر الناسُ ، وتزلزلَ الركنُ .

٢ ـ ماكان من الأفعال على « فعِل يفعَلُ » : إذا دل على لون ، أو عيب ظاهر ، أو حلية ظاهرة ، أو حال لها ثبوت طويل ، مثل : خضِرت الأرضُ ، وعَوِرت العينُ ، أو كحِلت ، وسمِنَ الغلامُ ، وفرِحَ الولدُ ، ووسِخَ بدنهُ ، ودَنِسَ العِرْضُ .

٣ ـ مادل من الأفعال على « صيرورة » أو « تحول » أو « انتساب » ـ فأمثلة الصيرورة : أورقَ الشجرُ ، أي صارَ ذا ورق . وأثمرت الشجرةُ . وأغدَّ البعيرُ ، وأقلسَ الرجلُ ، وأجدب المكانُ . ومثل ذلك : تشيَّع الرجلُ ، وتهوَّدَ ، وتَمَجَّسَ ، وتحجر الطينُ . وأمثلة التحول : استنسر البغاثُ ، واستأسدَ الضعيفُ ، واستنوق الجمل ، واستفيلت الدابة . ومن أمثلة الانتساب : تَمَعْددَ الأعرابي ، أي : انتسب إلى قبيلة معد . وتحنبل ، أو تشفع ، أو تحنف ، أي انتسب إلى مذهب ابن حنبل ، أو الشافعي ، أو أبي حنيفة ، وتمصَّر الشاميُّ .

وهناك أفعال لازمة كثيرة ليست على واحدة من هذه الصيغ ، كالأفعال : صبر ، وركض ، وذهب ، وسار ، ومشى ، وعدا ، وجرى ، ورحل ، وسافر ، ونأى ، وخرج ، ودخَل ، ونام ، وقام ، وهبَّ ، ونهض ، وبان ، وظهر ، ونشأ ، ووقع ، وسقط ، وصَحّ ، و . . . والميزان الذي يحدد لزوم الفعل هو دلالته .

على أن هناك أفعالاً تستعمل لازمة ومتعدية من دون أن يتغير المعنى ، كالفعل « رَجَعَ » ، تقول : رَجَعَ المسافِرُ . ورجعتُ المسافِرَ . قال : تعالى : ﴿ فرجع موسى إلى قومه غضبانَ أسِفاً ﴾ (طه : ٨٦) وقال : ﴿ فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ﴾ (طه : ٤٠) فقد استعمل في الآية الأولى لازماً ، واستعمل متعدياً في الثانية . ومثله الفعل « وَقَفَ » ، فهو فعل لازم في قولك : وقف الموكبُ أمام الناسَ . وفعل متعدٌ في قولك : وقفتُ السيارةَ ببطء . ومثلهما الفعل : زادَ . تقول : زادَ السيلُ . وتقول : زادَني الله علماً . والفعل : هاج . تقول : هاج الشرُّ بين الناس . قال جرير :

هـاج الهـوى لفـؤادِك المهتـاجِ فـانظـر بتـوضـحَ بـاكـرَ الأحـداج

فهو هنا فعل لازم ، ولكن يتعدى إلى مفعول واحد في مثل : هاجني الشوق إلى أمي .

ب ـ تعدي الفعل اللازم بحرف جر :

الفعل اللازم إذاً لايقوى على أن يوصِل أثره إلى المفعول به مباشرة ، فلا يقال : ذهبتُ المدرسةَ . ومشيتُ الحديقةَ . كما يقال مثلاً : رأيتُ المدرسةَ ، وأحببتُ الحديقةَ . ولهذا يستعين أبناءُ اللغة بحرف من حروف الجر ليكون مقوياً للفعل وأداة توصل أثره إلى الاسم ، تقول مثلاً : ذهبتُ إلى المدرسة ، ومشيتُ في الحديقةِ أو إلى الحديقةِ .

وكذلك لايقال : مررتُ البيتَ . بل : مررت بالبيتِ . ولايقال : صبرتُ الأذى ، بل : على الأذى . ولا يقال : سافرتُ دمشقَ ، بل : إلى دمشقَ . وهكذا .

إلا أن حرف الجر قد يسقط من التركيب ، وحينئذٍ ينتصب الاسم المجرور تشبهاً بالمفعول به ، ويعرب حينئذٍ كما يلي : اسم منصوب بنزع الخافض .

لاحظ قول جرير :

تمرون الديارَ ولم تعوجوا كـلامكـمُ علـيَّ إذاً حَـرامُ

فالأصل : تمرون بالديارِ ، ولكن سقطت الباء الجارة ، فانتصب الديار بنزع الخافض . ومثله قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومَه سبعين رجلاً ﴾ (الأعراف : ١٥٥) والأصل فيه : اختار من قومه سبعين رجلاً . فلما سقط حرف الجر انتصب الاسم بعده بنزع الخافض . ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية :

لَـدْنٌ بهـزِّ الكـفِّ يعسِـلُ متنُـهُ فيـه ، كمـا عَسَـلَ الطـريـقَ الثعلـبُ

والأصل : كما عَسَلَ في الطريقِ الثعلبُ[1] .

---

(١) عسل في الطريق : عدا واهتز في عدوه .

وسقوط حرف جر في كل مامر ليس بقياس ، بل هو سماعي اعتباطي ، ولكن يجوز سقوطه قياساً إذا كان مجروره مصدراً مؤولاً من (أن) وفعلها ، أو (أنَّ) وخبرها ، تقول : اضطررت أن أعملَ . والأصل : اضطررت إلى أن أعمل . ويعرب المصدر المؤول بعد حذف الجر كما يلي : والمصدر المؤول في محل جر بحرف جر محذوف قياساً[1] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لعلك باخعٌ نفسَكَ ألا يكونوا مؤمنين ﴾ (الشعراء : ٣) أي : على ألا يكونوا مؤمنين .

ج ـ محل الجار والمجرور :

مادام الاسم المجرور يلحق به أثر الفعل اللازم بوساطة حرف الجر ، فلماذا لايكون هو ومجروره في محل نصب ؟

لقد ذهب إلى هذا نحوي كبير في القرن الرابع للهجرة[2] ، فأجاز أن يعطف على الجار والمجرور بالنصب ، وتمثل بقوله : مررت بك وزيداً .

إلا أن هذا المذهب غير مسلم به ، ولم يسمع في الكلام الفصيح مثله ، وإنما هو محض قياس ذهني حملت عليه اللغة ، أضف إلى ذلك أن بعض النحويين يردّه ، ويقصّر العطف بالنصب على محل المجرور بحرف جر زائد[3] .

د ـ تحويل الفعل اللازم إلى متعد :

هناك عدة وسائل لجعل الفعل اللازم متعدياً ، وهي ثلاثة أنواع :

الأول : أن تبقى بنية الفعل كما هي ، ولكنْ يزيد حرف جر مناسب بعده يوصل أثره إلى الاسم المراد . ويسمى هذا النوع من التعدية ، التعدية بحرف جر .

والنوع الثاني : أن تتغير بنية الفعل إما بإضافة وإما بتغيير حركاته .

---

(١) ويرى بعضهم أنه منصوب بنزع الخافض ، وما ذهبنا إليه أقرب إلى الصحة .

(٢) هو ابن في كتابه الخصائص : ١/١٠٢ .

(٣) انظر : مغني اللبيب . (أقسام العطف) .

والنوع الثالث : أن يضمَّن الفعل اللازم معنى فعل متعدٍ .

ولما كنا قد تحدثنا في الفقرة السابقة عن النوع الأول والثالث فإننا سنتحدث هنا عن النوع الثاني فقط .

وإليك بيانه :

١ ـ زيادة همزة في أول الفعل :

وهذا يعني تحويل (فَعلَ) إلى (أَفْعَلَ) ، لاحظ الجملتين التاليتين :

١ ـ ضحكَ الغلامُ .

٢ ـ أضحكتُ الغلامَ .

لقد تحول الفعل اللازم في الجملة الأولى إلى متعدٍ في الجملة الثانية . ولهذا تسمى هذه الهمزة همزة النقل ، لأنها تنقل معنى الفعل من اللزوم إلى التعدية ، أو لأنها تنقل معنى الفعل إلى مفعول به . ولعلك لاحظت أن الفاعل في الجملة الأولى صار مفعولاً به في الثانية ، ومثل ذلك هذه الأزواج من الجمل :

١ ـ ماتَ الهرُّ ← أماتَ البردُ الهرَّ .

٢ ـ خرجَ الطالبُ ← أخرجَ المعلمُ الطالبَ .

٣ ـ قعد الطفلُ ← أقعدتُ الطفلَ .

ولكن قد ينعكس الأمر ، فيكون الفعل متعدياً وهو مجرد من الهمزة ، مثل : قشَعتِ الريحُ السحابَ ، ولازماً وهي مزيدةٌ فيه ، مثل : أقشعَ السحابُ . ومن ذلك : كببتُ الرجلَ على وجهه ، وأكبَّ الرجلُ على وجهه . وجَفَلْتُ الطائرَ ، وأجفل الطائرُ . ونسلتُ ريشَ الطائرِ ، وأنسل ريشُهُ .

٢ ـ تضعيف عين الفعل :

وبذلك تتحول (فَعلَ) إلى (فَعَّلَ) ، إذ تستطيع أن تجعل الفعلين اللازمين : صبرِ ، وفرِحَ ، متعديين بوسيلة التضعيف ، فتقول : صَبَّرتُ الجَزوعَ . وفرَّحتُ الطفلَ . وكذلك تقول : نَزَّلَ الله القرآنَ . ودَرَّبْتُ الفريقَ . وصَحَّحْتُ الخبرَ ، وقوَّيتُ صحةَ النبأ .

٣ ـ زيادة ألف بعد فاء الفعل :

أي بتحويل (فَعلَ) إلى (فاعَلَ) ، كتحويل الفعلين اللازمين : جلسَ ، ومشى . تقول : جالستُ الأميرَ . وماشيتُ الموكب . وتقول أيضاً : ناهضْتُ المعتديَ ، وقاومتُ الخصمَ ، وسايرتُ الناسَ ، وصابرتُ فلاناً .

٤ ـ زيادة الألف والسين والتاء :

وذلك بتحويل (فَعلَ) إلى (استفعلَ) ، تقول : قَبُحَ الشيءُ ، وحَسُنَ غيرُهُ . فهما كما ترى فعلان لازمان من باب (فَعُلَ) ، ولكنك تجعلهما متعديين بزيادة الألف والسين والتاء ، تقول : استقبحتُ الشيءَ ، واستحسنتُ غيرَهُ . واستحضرتُ قوايَ ، واستطبتُ العملَ ، واستبطأتُ الموعدَ .

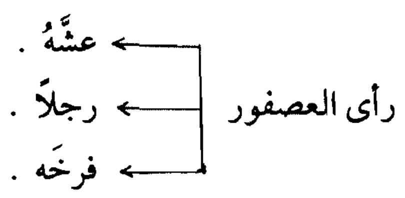
وقد يستخدم مع الفعل الواحد جميع الأساليب السابقة ، كالفعل : نزل ، تقول : نزلَ الرجلُ . وأنزلته ، ونزّلته ، ونازلته ، واستنزلتُه ، ونَزَلْتُه أَنْزُلُه .



٢ ـ الفعل المتعدي والمفعول به

آ ـ ماالمفعول به ؟ :

رأينا في البحث السابق أن الفعل المتعدي هو الذي لايتم منه ومن فاعله كلام ، بل لابد له من اسم آخر يتجاوز فاعله إليه ، ويوقع فعله به ، ويقال لهذا الاسم : مفعول به . لاحظ الجملة التالية :



فالفعل « رأى » في حاجة إلى مفعول يحدث به ، ويقع عليه ، ولو أنك وقفت عند فاعله فقلت : رأى العصفورُ . لرأيت نفسك تتطلع إلى معرفة موضوع الرؤية أو مفعولها ، لأن الكلام لم يتم عندك ، ولم يُغْنِك ماقيل عما تتوقعُه ومن هنا كان « حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى إليه حاله مع الفاعل »[1] . فكما أن الفاعل لايُستغنى عنه كذلك لايستغنى عن المفعول المتعدي إذا أريد بيان الموقع الذي وقع عليه .

والمفعول به نوعان ، وذلك بحسب الفعل المتعدي الواقع عليه ، أما النوع الأول فهو الذي يُحدث فيه الفاعلُ أثراً مّا ، كأثر الضرب أو الجرح أو التمزيق ، أو الفتح ، أو ما شابه هذا ، مثل : فتح العربُ الأندلسَ . ومَزَّقَ الكاتبُ أوراقَهُ ، وجرحَ الفارسُ خصمه . والنوع الثاني لايؤثر فيه فعل الفاعل ، لأن الفعل نفسي مثلاً ، كأفعال الظن ، وأفعال اليقين ، تقول : عرفتُ صديقَكَ . وعلمتُ الخبرَ صحيحاً . وظننتُ نظمَ الشعرِ سهلاً .

(١) انظر : دلائل الإعجاز : ١٠٩ (تحقيق : د . داية) .

ب ـ أشكالُ المفعول به :

وللمفعول به عدة أشكال لفظية ، فقد يكون اسماً ظاهراً ، وقد يكون ضميراً ، وقد يكون مصدراً مؤولاً ، وقد يكون جملة أو كلاماً مؤلفاً من عدة جمل .

١ ـ المفعول به اسم ظاهر :

هذه الصورة هي الصورة الأصيلة ، وماسواها فرع عليها في زعم النحاة ، وقد مر بنا منها جمل كثيرة ونضيف هنا مايلي : حمى الشعبُ وطنَهُ ، ودفعَ عنه الأعداءَ . ، وحقق أمانيَهُ في الكرامةِ والحريةِ . فالأسماء : وطنه ، والأعداء وأمانيَه . مفعولات بها .

٢ ـ المفعول به ضمير :

ويجيء المفعول به ضميراً متصلاً ، أو ضميراً منفصلاً ، فإذا اتصل ضمير النصب بفعلٍ متعدٍ ولم يكن ضميرَ مصدرِه أو ضمير ظرفه كان مفعولاً به ، وذلك كما ترى في قولنا : تعلَّمْنا تجارِبُنا مالا نتعلمه من الكتب . فالضميران : « نا » في تعلمنا ، والهاء في « نتعلمه » اتصل كل منهما بفعل متعدٍ ، ولذلك كان مفعولاً به لذلك الفعل ، لأنه ليس بضمير المصدر ، ولا بضمير الظرف . أما إذا قلت : هذا صبرٌ لايصبِرُهُ أحد . فإن الهاء في (يصبره) ليست مفعولاً به ، بل مفعول مطلق ، لأنها تعود إلى (صبر) وهو مصدر . وإذا قلت : تلك مسافة طويلة مشيتُها . أو قلت : رمضانَ صمته . فإن الضميرين : (ها) في مشيتها ، والهاء في (صمته) ليسا مفعولين بهما ، بل هما ظرفان .

أما الضمير المنفصل فغالباً ما يكون « إيّا » ، مثل : « إياكَ نَعْبُدُ » و « إياكَ نخافُ » و « إياكم نحب » و « إياهم نريدُ » ولكن من الجائز أن يكون من ضمائر الرفع إذا ناب أحدها عن ضمير النصب ، كما في مثل : إذا أنتَ رآك أحدٌ فلا تُفْضِ إليه بالأسرار . والأصل : إذا رآك أحدٌ . ولكن حذف الفعل : رأى . وحده دون مفعوله وهو الضمير المتصل ، فصار الكلامُ هكذا : إذاكَ

أحدٌ . . . ولما كان الضمير المتصل لايلفظ وحده استبدل به ضمير منفصل ، وهو : أنت .

٣ ـ المفعول به مصدر مؤول :

ويجيء المفعول به مصدراً مؤولاً ، والأحرف المصدرية التي يمكن أن تستعمل هنا أربعة هي بحسب كثرتها : أَنْ ، وأَنَّ ، ولو ، وما . فمن أمثلة الأول قولك : « أصبحتُ كعاصرِ الحجرِ يريدُ أن يشربَ منه »[1] . أي : يريد الشُرْبَ منه . وتقول : أفضِّل أن أسافرَ هذا الأسبوع . أي : أفضل السفرَ . وتقول : أرجو أن أراكَ هذه الليلة . أي : أرجو رؤيتك . وتأبى المروءةُ أن نتهاون مع العدو . أي : تأبى تهاوننا .

ومن أمثلة « أَنَّ » قولك : أظن أن سفرَك قريبٌ . والتقدير : أظن قربَ سفرك حاصلاً . ومثل ذلك : علمتُ أن الخبر صحيح . وأحسب أن أخاك حاضرٌ . ومنه قول الحارث بن هشام :

وعلمتُ أَنّي إن أقاتل واحداً أُقْتَلْ ولايَضْرُرْ عدوي مشهدي

والتقدير : علمت قَتْلي حاصلاً إن قاتلت واحداً .

أما « لو » المصدرية فتقع غالباً بعد الفعل « وَدَّ » أو ماشابهه معنى ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَدّوا لو تكفرون ﴾ (الممتحنة : ٢) أي : ودُّوا كفركم . وقوله : ﴿ يودُّ المجرمُ لو يفْتدي من عذابِ يومئذٍ ببنيه ﴾ (المعارج : ١١) وتقول : تمنيتُ لو أطيرُ إلى المدينةِ طيران الحمائم .

ويقل وقوع المفعول به مصدراً مؤولاً من « ما » المصدرية ومايليها ، من ذلك ماجاء في قوله تعالى : ﴿ وَدُّوا ماعَنِتُّم ﴾ (آل عمران : ١١٨) أي : ودوا عنتكم .

٤ ـ المفعول به جملة :

ويقع المفعول به جملة بعد أفعال الظن أو اليقين أوالتحويل ، وفي هذه الحال إما أن تقع الجملة موقع المفعول الثاني ، أو موقع المفعول الثالث ،

---

(١) الجملة لمصطفى صادق الرافعي . من : وحي القلم :٢/١٠٧ .

وإما أن تسد مسد المفعولين : الأول والثاني ، أو الثاني والثالث . وإليك أمثلة محللة :

قال المتنبي :

ماكنتُ أحسبني أحيا إلى زَمَنٍ   يُسيءُ بي فيه عبدٌ وهو محمودُ

فالجملة الفعلية : أحيا إلى زمنٍ، فعلية وقعت موقع المفعول به الثاني للفعل أحسب .

ـ أعْلَمْتُ أخاك العمل يبدأ غداً .

جملة : يبدأ غداً جملة فعلية وقعت موقع المفعول الثالث للفعل : أَعْلَمَ .

ـ لاأدري ما أصنعُ .

جملة (ما أصنع) جملة فعلية سدت مسد مفعولي الفعل : أدري .

ـ أعْلَمْتُ أخاك كيف يصنع ؟

جملة : كيف يصنع ، سدت مسد المفعولين : الثاني والثالث للفعل (أعلم) .

هذا مايتعلق بأفعال الظن واليقين ـ أو أفعال القلوب ، كما تسمى ـ أما فعل التحويل فلا تقع الجملة إلا ثاني مفعوليه ، وذلك كما ترى في قول الشاعر :

تركتُ ضأني تودُّ الذئبَ راعيها   وأنها لا تَراني آخرَ الأبدِ

فالجملة الفعلية : تود الذئب راعيها ، وقعت موقع المفعول به الثاني لفعل التحويل (ترك) .

٥ ـ المفعول به كلام :

يراد بالكلام في المصطلح النحوي ما أدى معنى تاماً ، سواء أكان جملة واحدة أم كان عدة جمل ، ويكون المفعول به كلاماً بعد الفعل « قال » ، كما ترى في قول الشاعر :

حين قال : انتهيتُ . قلنا : بدأنا   نحمل العبءَ وحدنا والصعابا

فالجملة : انتهيت . مفعول به للفعل (قال) ، وهي كلام لأنها أدت

معنى تاماً . والجملة المركبة : بدأنا نحمل العبء وحدنا . كلام أيضاً ، وهي مفعول به . ومما جاء فيه المفعول به عدة جمل قوله تعالى : ﴿ إذ قال لأهله : امكثوا ، إني آنستُ ناراً ، لعلي آتيكُم منها بقبس ، أو أجد على النار هدى ﴾ (طه : ١٠) .

ج ـ العامل في المفعول به :

يعمل في المفعول به عدة عوامل ، هي الفعل ، واسم الفعل والمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول .

١ ـ أما الفعل فهو الأصل في العمل ، ولابد من أن يكون فعلاً متعدياً ، وقد مرت بنا عنه أمثلة وشواهد كثيرة .

٢ ـ وأما اسم الفعل فأمثلته وشواهده كثيرة أيضاً في نصوص العربية ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسَكُمْ ﴾ (المائدة : ١٠٥) فـ (أنفسكم) مفعول به لاسم الفعل المنقول : عليكم . ومن ذلك أيضاً قول كعب بن مالك :

تذرُ الجماجِمَ ضاحياً هاماتُها ... بَلْهَ الأكفَّ كأنها لم تُخْلقِ

فالأكف مفعول به لاسم الفعل : بله .

٣ ـ وعمل المصدر في المفعول به كثيرٌ أيضاً كما في قوله تعالى : ﴿ إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكمُ العجلَ ﴾ (البقرة : ٥٤) وقوله : ﴿ سنكتبُ ماقالوا وقَتْلَهُمُ الأنبياءَ ﴾ (آل عمران : ١٨١) وتقول : مِن أقبحِ الأعمالِ ذكرُكَ الناسَ بما يكرهون .

٤ ـ ويعمل اسم الفاعل ، وصيغ مبالغته ، تقول : إني خائفٌ عليكَ نوائبَ الأيام . وإني لآخذٌ كلَّ حقٍ لي . وقال سعد بن ناشب :

فيالرزام رشحوا بي مقدَّماً ... إلى الحرب خَوّاضاً إليها الكتائبا

فصيغة المبالغة (خواضاً) نصبت المفعول به (الكتائب) . وقال طرفة :

ثم زادوا أنهم في قومهم ... غُفُر ذَنْبَهُمُ غيرُ فُجُرْ

فقوله : غُفُرْ . جمع : غفور . وهي صيغة مبالغة لاسم الفاعل : غافر . وقد نصب مفعولاً به هو : ذنبهم .

٥ ـ وينصب اسم المفعول مفعولاً به إذا كان فعله متعدياً لمفعولين أو لثلاثة ، تقول : هذا البطلُ ممنوحٌ جائزةً . وهذا الطفلُ مكسوّ ثوباً جميلاً[١] .

د ـ جَرُّ المفعول به :

المفعول به منصوب في الأصل ، ولكنه كثيراً مايقع في الكلام مجروراً بحرف جر زائد . أو مجروراً بالإضافة :

أما أحرف الجر الزائدة التي تجره فهي ثلاثة : مِنْ ، والباء ، واللام .

١ ـ جره بـ (من) :

يجر المفعول به بـ (من) بشرطين : الأول أن تسبق (من) بنفي أو نهي أو استفهام ، والثاني : أن يكون نكرة لامعرفة . مثل : ماقرأت من شيء . أي : ماقرأت شيئاً ومثل : لاتفعل من شيء . وهل صادفت من أحد . قال جرير :

وما لاقيتُ ويلك من كريمٍ ... ينامُ كما تنام عن التراث

٢ ـ جره بالباء :

ويجر بالباء إذا كان الفعل المتعدي : « كفى » ، أو سمع ، أوعلم ، أو أمسك ، أو . . . مثل : « كفى بالمرءِ إثماً أن يحدّث بكل ماسمع » . وقول المتنبي :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً ... وحسبُ المنايا أن يكن أمانيا

أي : كفاك داءً رؤيتك الموتَ شافياً . وتقول : سمعت بالخبر ، وعلمت بالنبأ ، وأمسكت بالقلم[٢] .

---

(١) يمنع النحاة أن ينصب اسم التفضيل مفعولاً به ، ولكن عثر بعضهم على شعر يخالف منعهم فتأولوه كعادتهم ،أما الصفة المشبهة فيرون أنها قد تنصب ما يشبه المفعول به ، ويتمثلون بقولهم : إنه الحسنُ الوجهَ .

(٢) هذه العبارات تختلف عن : ظننتُ بزيد . وسوف ترى مزيداً من التفصيل عنها بعد قليل .

٣ ـ جره باللام :

ويجر بلامٍ يقال لها لام التقوية بعد المصدر واسم الفاعل أو إذا تقدم على فعله المتعدي ، وذلك مثل : سمعت بقراءتِك للبحثِ ، ولعلك متابعٌ للقراءةِ فيه . فاللام في : للبحث ، وللقراءة . لام التقوية ، وهي حرف جر زائد عند بعض النحاة[1] ، والمجرور بها مفعول به منصوب محلاً . أما قوله تعالى : ﴿ وفي نسختها هدى ورحمةٌ للذين هم لربهم يرهبون ﴾ (الأعراف : ١٥٤) فقد تقدم فيه المفعول به (ربهم) على فعله المتعدي : يرهبون . ولذلك جاز أن يجر المفعول به بلام التقوية .

٤ ـ جره بالإضافة :

وكثيراً مايقع المفعول به مضافاً إليه من حيث الإعراب ، أو العلاقات التركيبية ، ويكون ذلك إذا كان عامله اسم الفاعل ، لاحظ العبارتين التاليتين :

ـ هذا السبّاحُ قاهرٌ أمواجَ البحرِ .

ـ هذا السباحُ قاهرُ أمواجِ البحرِ .

إن اسم الفاعل (قاهر) لحق به التنوين في الجملة الأولى ، ولذلك نصب المفعول به نصباً مباشراً (أمواجَ) . ولكنه في الجملة الثانية سقط تنوينه فجُر مفعوله (أمواج) به أو بالإضافة . ومن هنا يتبين لك أن تنوين اسم الفاعل يؤدي إلى نصب الاسم بعده على المفعولية ، وأن إسقاط التنوين يؤدي إلى تحويل المفعول به إلى مضاف إليه .

وممايدل على أن المضاف إليه في مثل هذه العبارات مفعول به في المعنى أنه يجوز وصفه أو توكيده أو العطف عليه أوالإبدال منه بكلمة منصوبة ، كما ترى في الجمل التالية :

ـ هذا قاهرُ الأبطالِ الأشداءَ .

ـ هذا قاهرُ الأبطالِ كلَّهم .

ـ هذا قاهرُ الأبطالِ والأشداءَ .

(١) ويرى آخرون أنها ليست بزائدة .

ـ هذا قاهرُ صديقِك سميراً .

ومما جاء في الشعر من ذلك قول الفرزدق :

قعودٌ لدى الأبواب طلابُ حاجةٍ عوانٍ من الحاجاتِ أوحاجةً بكرا

هـ ـ تعدد المفعول به :

مر بنا من قبل أن الفعل المتعدي قد يتعدى إلى مفعول واحد ، كالأفعال : سمع ، وأخذ ، ولبس ، وأكل ، وضرب ، وقتل ، وفهم ، وأمثالها . وقد يتعدى إلى مفعولين ، كأفعال الظن واليقين ، وأفعال التحويل ، وقد يتعدى إلى ثلاثة كالأفعال : أعلم ، وأنبأ ، ونبّأ ، وأخبر ، وخبّر ، وأرى ، . . . وقد تحدثنا عن أفعال الظن واليقين والتحويل في باب النواسخ ، ويكفينا هنا أن نذكر بها تذكيراً ليس غير .

١ ـ ماينصب مفعولاً واحداً :

يصعب حصر الأفعال التي تتعدى إلى مفعول واحد ، وعلامتها أن تقبل ضميراً متصلاً للغيبة أو للمخاطب أو للمتكلم ، وذلك كأفعال الحواس ، مثل : سمع[1] ، وأبصر ، وشم ، وذاقَ ، ولمس ، فهو متعدّ لأنك إذ يمكن أن تقول : سمعَهُ ، وأبصرك ، وشمها . ومثلها : قرأ ، وكسر ، وفهم . ويشترط في هذا ألا يكون ضمير المصدر أو ضمير الظرف . وقد بينا هذا من قبل .

٢ ـ ماينصب مفعولين :

وهذه الأفعال نوعان : أولهما ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ، وهي أفعال الظن واليقين والتحويل ، والثاني ينصب مفعولين ليس أصلهما كذلك ، وهي ماكان مفعولها الأول غير المفعول الثاني مثال النوع الأول : ﴿ وما أظن الساعةَ قائمةً ﴾ (الكهف : ٣٦) وكقول الكميت :

بـــأي كتـــابٍ أم بـــأيـــة سنـــةٍ تـرى حُبَّهـم عـاراً علـيَّ وتحسَـبُ

---

(١) قد يتعدى الفعل (سمع) إلى مفعولين ، ويشترط في الثاني أن يكون مما يُسمع ، مثل : سمعتُ أحمدَ يقول كذا .

وكقول امرىء القيس :

ونشربُ حتى نحسَبَ الخيلَ حولنا نِقاداً وحتى نحسَبَ الجونَ أشقرا[1]

ويلحق بأخوات (ظن) الفعل (تقول) أحياناً ، فينصب مفعولين ، كما ترى في قول عمرو بن معد يكرب :

علامَ تقولُ الرمحَ يثقلُ عاتقي إذا أنا لم أطعُنْ إذا الخيل كرت

وكقول عمر بن أبي ربيعة :

أما الرحيلُ فدون بعد غدٍ فمتى تقولُ الدارَ تجمعنا

وواضح من هذين الشاهد أن الفعل (تقول) استوفى ثلاثة شروط ، هي :

١ ـ هو فعل مضارع .

٢ ـ وهو مسند إلى المخاطب .

٣ ـ وهومتصل باستفهام .

وقد يحذف مفعولا (ظنّ) اقتصاراً ويغني عنهما شبه جملة ، مثل : ظننتُ بزيدٍ . أي جعلتُ ظني فيه . فالباءُ إذن أصلية لازائدة ، لأنها دلت على معنى غير التوكيد ، وهوالظرفية . ولو كانت زائدة لوجب ذكر اسم آخر ليكون مفعولاً ثانياً . وأما النوع الثاني فمنه الأفعال : أعطى ، وكسا ، ومنح ، وسقى ، وأطعمَ ، و . . . تقول : أعطيتُ أخي كتاباً ، ومنحته جائزة ، وكسوته ثوباً ، وسقيته شراباً لذيذاً ، وأطعمتُه تفاحةً حمراءَ .

٣ ـ ماينصب ثلاثة مفعولات :

وهناك أفعال تنصب مفعولات ثلاثة هيّ : أَرى ، وأَعْلَمَ ، وأنبأ ، وأخبرَ ، ونبَّأَ ، وخَبَّرَ ، وحَدَّثَ[2] ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ كذلك يريهُم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم ﴾ (البقرة : ١٦٧) وقوله : ﴿ إذ يريكهمُ الله في

(١) عولج هذا النوع بتفصيل في باب النواسخ ، فليرجع إليه .

(٢) ألحق الأخفش ما أمكن نقله بالهمزة من باب (ظننت) قياساً ، مثل : أَظْننتُ عمراً زيداً قائماً . وأزعمتُ بكراً خالداً منطلقاً . وذكر الحريري أن منها أيضاً الفعل : عَلَّم ، الذي نقل بالتضعيف .

منامك قليلاً ، ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ﴾ (الأنفال : ٤٣) . وغالباً ما يقع المفعول الأول نائب فاعل في : أنبأ ، ونبّأ ، وخبّر ،كما ترى في قول النابغة الذبياني :

نُبِّئتُ نُعْماً على الهجرانِ عاتبةً   سَقْياً ورَعْياً لذاك العاتب الزاري

وقول العوام بن عقبة :

وخُبِّرْتُ سوداءَ الغميمِ مريضةً   فأقبلتُ من أهلي بمصرَ أعودُها

وقد يأتي الفعل مبنياً للمعلوم ، ويكون مفعوله الأول اسماً ظاهراً ، ثم يسد المصدر المؤول مسد المفعولين الآخرين ، كقول عبد الله بن مسلم :

يخبّر الناسَ أَنَّ الأجرَ همتُهُ   وما أتى طالباً للأجرِ محتسبا

على أن هذه الأفعال قد تتعدى إلى مفعول واحدٍ ، ثم يغني عن المفعولين الآخرين شبه جملة ، وذلك كما ترى في قوله تعالى : ﴿ أنبئهم بأسمائهم ﴾ (البقرة : ٣١) ﴿ هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ﴾ (الكهف : ١٣) ﴿ أم لم يُنبأ بما في صحف موسى ﴾ (النجم : ٣٦) . وقد يحذف حرف الجر ، وينتصب ما بعده بنزع الخافض ، وقد اجتمع الأسلوبان في قوله تعالى : ﴿ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ، فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرَّفَ بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت : من أنبأك هذا ؟ قال : نبّأني العليمُ الخبير ﴾ (التحريم : ٣) .

و ـ موقع المفعول به من الجملة :

كنا ذكرنا في مبحث الفاعل أن نظام الجملة العربية ـ أو مايسمّى الرتبة ـ إنما هو على الشكل التالي :

الفعل + الفاعل + المفعول به + المتممات الأخرى .

وهذا يعني أن رتبة المفعول به بعد الفاعل في الجملة ، إلا أن نظام اللغة العربية لايُلْزِم المتكلم أو الكاتب أن يتقيد في كل جملة بهذه الرتبة ، إذ يُسْمح له أن يقدّم المفعول على الفاعل إن كان في التقديم معنى إضافي أو بلاغي ، ومثل هذا التقديم كثير جداً في النصوص الفصيحة والعبارات الدارجة ، من

ذلك قولهم ماحكَّ جلدَكَ مثلُ ظفرِك . وجاء منه في القرآن الكريم أشياء كثيرة ، كقوله : ﴿ وإذا مَسَّ الإنسانَ ضُرٌّ دعا رَبَّهُ منيباً إليه ﴾ (الزمر : ٨) وقوله : ﴿ سرابيلُهم من قطِرانٍ وتَغْشى وجوهَهُمُ النارُ ﴾ (إبراهيم : ٥٠) .

بل يجوز أن يتقدمَ المفعول على فعله نفسه ، ولهذا دلالةٌ فرعية بالغةُ الأهمية ، تقول مثلاً : تفاحةً أكلَ الطفلُ ، وماءً شرِبَ الرجلُ . ومنه قوله تعالى : ﴿ فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ﴾ (المائدة : ٧٠) .

إلا أن هذه الحرية في التقديم والتأخير ليست مطلقة ، بل هناك حالات لابد فيها من التزام الرتبة بين المفعول والفاعل ، وحالات أخرى لابد فيها من مخالفة الرتبة . ودونك تفصيل ذلك .

١ ـ وجوب تقديم الفاعل :

يجب تقديم الفاعل على المفعول في الحالات التالية[١] :

ـ إذا فُقدت قرينتا الإعراب والمطابقة من الجملة ، مثل : عرف أبي صديقي . وقابلت ليلى سلمى .

ـ إذا كان الفاعل والمفعول ضميرين مثل : قابلتُهُ ، وسوّيتُها ، وعلّماني .

ـ إذا كان الفاعل ضميراً والمفعول به اسماً ظاهراً مثل : كتبتُ الواجبَ .

ـ إذا كان الفعل محصوراً في المفعول به ، مثل : ما أخذَ أخوك إلا كتابَهُ ، ومانالَ الفائزُ إلا جائزةً واحدةً .

٢ ـ وجوب تقديم المفعول :

ويقدم المفعول به وجوباً على الفاعل في المواضع التالية :

ـ إذا كان المفعول به ضميراً والفاعل اسماً ظاهراً ، مثل : سرَّني عَمُلك ، وأحيانا نجاحُك في الانتخابات .

ـ إذا كان في الفاعل ضمير يعود على المفعول به ، تقول : أخذَ الكتابَ صاحبُه . ونال الجائزةَ مستحقُها ، وأصابَ الهدفَ راميه .

---

(١) مر ذلك بنا في بحث الفاعل ، ونعيده هنا موجزاً .

ـ إذا حصر الفعل في الفاعل ، تقول : ما نال الجائزةَ إلا المستحقُّ . وهل أكل الطعامَ غيرُك . قال زهير :

وهل يُنْبِتُ الخطيَّ إلا وشيجُهُ   وتُغْرَسُ إلا في منابِتها النَّخلُ

وفي بعض الحالات أيضاً يجب تقديم المفعول على فعله نفسه وجوباً ، وذلك :

ـ إذا كان من أسماء الصدارة : أي اسم استفهام ، أو اسم شرط ، وكم ، الخبرية ، مثل : مَنْ رأيتَ ؟ وكم كتاباً اشتريتَ ؟ وما تأكلْ يُفدْك . وكم من الأبطال فقدنا في المعركة ، ومن ذلك (ماذا) في قول المتنبي :

ماذا لقيتُ من الدنيا ؟ وأَعْجَبُهُ   أني بما أنا شاكٍ منه محسودُ

ـ إذا كان معمولاً لجواب (أما) ، ولايفصل بينها وبين الجواب غيره ، كما في قوله تعالى : ﴿ فأما اليتيمَ فلا تقهر ، وأما السائل فلا تَنْهر ﴾ (الضحى : ٩ ، ١٠) وكما في قول كثير عزة :

فما أنصفت أما النساءَ فبغّضت   إليَّ ، وأما بالنوالِ فضَنَّتِ

٣ ـ تقديم المفعولات بعضها على بعض :

رأينا قبل قليل أن المفعولين إما أن يكون أصلهما مبتدأ وخبراً ، وإما ألا يكونا كذلك ، وفي أصل الجملة العربية يتقدم المفعول الذي أصله المبتدأ على الذي أصله الخبر ، مثل : ظننتُ خالداً ذا مالٍ . وعلمتُ الدرس سهَلاً .

وإذا لم يكونا في الأصل مبتدأ وخبراً قدُم المفعول الذي يكون في المعنى فاعلاً ، مثل : كسوتُ الفقيرَ ثوباً ، وأعطيتُ المحتاج مالاً . فالفقير والمحتاج فاعلان في المعنى ، لأن الأول اكتسى الثوب ، ولأن الثاني أخذ المال .

هذا هو الأصل ، ومن الجائز تقديم أحدهما على الآخر ، كأن تقول : ظننت كريماً أخاك . وكسوتُ ثوباً الفقيرَ . إلا إذا :

ـ كان أحدهما ضميراً والآخر اسماً ظاهراً ، مثل : ظننتهُ أخاك . فيجب تقديم الضمير على الاسم الظاهر .

ـ أو كان أحدهما يحمل ضميراً يعود إلى الآخر ، فيجب تقديمه لئلا

يعود الضمير إلى متأخر ، مثل : منحتُ الجائزةَ صاحبَها .

ـ أو إذا حدث لَبْس فيهما ، فإذا قلت : ظننتُ الأميرَ أباك . وجب تقديم « الأمير » لأنه هو المظنون ، أما إذا كان الأب هوالمظنون فالوجه أن تقول : ظننتُ أباك الأميرَ .

ـ أو إذا حصر الفعل في أحدهما ، وحينئذٍ يجب تقديم الآخر مثل : ماظننتُ الأميرَ إلا أباك . ما أعطيت المالَ إلا خالداً .

ز ـ حذف المفعول به من الكلام :

لاحظ العبارات التالية :

١ ـ ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ (الضحى : ٦ ، ٨) .

٢ ـ ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ﴾ (الزمر : ٩) .

في الجمل الثلاث الأولى نجد الأفعال : آوى ، هدى ، أغنى . لم تذكر لها مفعولات مع أنها أفعال متعدية ، ولو أنك حاولت ذكر مفعول به لكل منها لسهل عليك ذكره وتحديده ، سوف تقول : فآواك ، فهداك ، فأغناكَ . ولن تقول شيئاً آخر ، لأن السياق يدل عليه بوضوح . أما ماجاء في الآية رقم (٢) فإنه يختلف عن ذلك ، لاحظ الفعل (يعلمون) المكرر ، هل تستطيع أن تحدد له مفعولاً به خاصاً ؟ قد تقدر مفعولات كثيرة يقبلها السياق ولكنك لاتستطيع أن تجزم بواحد دون الآخر كما فعلت في الآيات الواقعة في رقم (١) . وسبب ذلك أن الفعل (يعلمون) لايُراد معرفة مفعوله ، بل المراد حصوله فقط ، حتى كأن معنى الآية : هل يستوي من له علم ومن ليس له علم .

من هذين المثالين تجد حذف المفعول به على ضربين :

١ ـ فقد يحذف من الكلام وهو مُراد ، مطلوب ، إلا أن سياق الكلام يدل عليه ، ويشير إليه بتحديد من دون أن يلتبس بغيره ، ويقال لهذا الحذف : **حذفُ اختصار** . أي أن المفعول به حذف من الكلام اختصاراً وإيجازاً . وهذا

كثير في الكلام ، كحذف مفعول الفعل (شاء) في قوله : ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾ (الأنعام : ٣٥) أي : لوشاء جَمْعهم لجمعهم . وقوله : ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ (الأنفال : ٣٥) أي : لو شاء جَمعهم لجمعهم . وقوله ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ (الأنفال : ٣١) أي : لو شئنا القولَ لقلنا مثل هذا . وقوله : ﴿ لو شاءَ لهداكم ﴾ (النحل : ٩) أي : لو شاء هدايتكم لهداكم . ومن هذا قول البحتري في المديح :

شجْـوُ حُسّـادِه وغيـظُ عِـداهُ　　أن يَـرى مُبْصِـرٌ ويسمـعَ واعِ

أي : أن يرى مبصر محاسِنَهُ ، ويسمع واعٍ أخبارَهُ . وقول طفيل الغَنوي :

همُ خلطونا بالنفوسِ وألجؤوا　　إلـى حُجُـراتٍ أدفـأتْ وأَظَلَّـتِ

أي : ألجؤونا إلى حجرات أدفأتنا وأظلتنا .

٢ ـ وقد يحذف المفعول به من الكلام وهو غير مُرادٍ ولامطلوب ، بل المراد وقوع الحدث ليس غير ويقال لهذا الحذف : **حذف اقتصار** ، وهذا أيضاً كثير في الكلام ، كما ترى في قول أبي كبير الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي　　أمـات وأحيـا والـذي أمـره الأمـرُ

فالأفعال : أبكى ، وأضحك ، وأمات ، وأحيا . متعدية ، ولكن مفعولاتها لم تذكر في البيت ، لأن ذكرها غير مهم ، ولايؤدي وظيفة في الكلام ، بل المهم حصول الأحداث فحسب ، كأن الشاعر قال : أما والذي له القدرة على الإبكاء ، والإضحاك والإماتة والإحياء . وليس بمهم أن يكون أمات أو أبكى واحداً من الناس دون غيره . ومن هذا الضرب قوله تعالى : ﴿ والله يقبض ويبسط ، وإليه ترجعون ﴾ (البقرة : ٢٤٥) وقوله : ﴿ والله يعلم وأنتم لاتعلمون) (النور : ١٩) .

والفعل المتعدي إلى مفعولين كالمتعدي إلى مفعول واحد في الحذف[١] . إذ يجوز أن يحذف أحد المفعولين إذا دلَّ عليه دليل ، كقول عنترة :

---

(١) إذا كان مفعولاه في الأصل مبتدأ وخبراً فلا يجوز حذف أحدهما اقتصاراً ، إذ لا يستغنى بأحدهما عن الثاني ، كما لا يستغني المبتدأ أو الخبر عن صاحبه .

ولقد نزلتِ فلا تظني غَيْرَهُ   مني بمنزلةِ المُحبِ المُكْرَمُ

أي : فلا تظني غيرَهُ حاصلاً .

ح ـ الإلغاء والتعليق :

هناك مصطلحان في الدرس النحوي ، أولهما الإلغاء ، والثاني التعليق . ففي بعض المواضع يُفَرَّغ الفعل من القدرة على العمل ، فيلغى عمله ، وأحياناً يصادِفُ من الكلمات مايحول بينه وبين التأثير في لفظ مابعده ، فلا يعمل في لفظه ، ولكنه لايَبطلُ عمله بطلاناً تاماً ، بل يَنْصَبُّ على المحل . فيقال للظاهرة آنذاك : تعليق . وعلى هذا يكون التعليق وقف عمل الفعل في ظاهر اللفظ وبقاءه في المحل ، ولايعلق إلا أفعال القلوب . أما الإلغاء فهو إبطال العمل في اللفظ وفي المحل . وإليك مواضع كل منهما :

آ ـ الإلغاء :

ـ يلغى عمل الفعل القلبي إذا توسط معموليه مثل : زيدٌ ـ ظننتُ ـ كريم . ويجوز بل يرجح الإعمال ، فيقال : زيداً ظننتُ كريماً .

ـ ويلغى أيضاً إذا تأخر عنهما مثل : زيدٌ كريمٌ ظننتُ . والرفع هنا أرجح ، ويجوز النصب .

ب ـ التعليق :

ـ ويعلق الفعل القلبي عن العمل في اللفظ إذا وليه ماله الصدارة كأسماء الاستفهام ، واللام المشعرة بالقسم ، ولام الإبتداء . نحو : علمتُ كيف تكتب . علمتُ لتنجحَنَّ في مسعاك . علمتُ لطالبٌ جادٌ خير من طالب مهمل(١) ، ومنه قول عنترة :

لو كان يَدْري ما المحاورةُ اشتكى   ولكان لو علم الكلامَ مكلمي

---

(١) حملوا « لعل » على الاستفهام في تعليق الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ وما يدريك لعله يزَّكى ﴾ (عبس : ٣) وقوله : ﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ . (الطلاق : ١) .

وقوله تعالى : ﴿ قلتم : ماندري مالساعة ، إن نظن إلاظناً ، وما نحن بمستيقنين ﴾ (الدخان : ٣٢) .

ـ ويعلق أيضاً إذا وليه أدوات النفي مثل : إنْ ، ما ، لا . نحو قوله تعالى : ﴿ لقد علمتَ ماهؤلاء ينطقون ﴾ (الأنبياء : ٦٥) ﴿ وظنوا مالهم من محيص ﴾ (فصلت : ٤٨) .

ولما كان التعليق لايمنع الفعل القلبي من العمل في المحل جاز أن يعطف بالنصب على المحل الذي عمله فيه ، كقول كُثَيِّرِ عزة :

وما كنتُ أدري قبل عزَّةَ ما البكا ولا مُوجعاتِ القلبِ حتى تولَّتِ

فقد عطف : موجعاتِ ، على موضع الجملة : ما البكا .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل ، وجعلنا بينهما زرعاً ﴾ (الكهف : ٣٢) .

٢ ـ ولولا دفعُ الله الناسَ بعضهم ببعض لهدمت صوامعُ وبيع يذكر فيها اسم الله ﴾ .

٣ ـ ﴿ وإذ قال ربك للملائكة : إني جاعِلٌ في الأرضِ خليفةً ، قالوا : أتجعلُ فيها مَنْ ﴾ (البقرة : ٣٠) .

٤ ـ ﴿ أفحكمَ الجاهلية يبغون ﴾ (المائدة : ٥٠) .

٥ ـ ﴿ قم : فأنذرْ ، وربك فكبّر ، وثيابك فطهر ، والرُجزَ فاهجر ﴾ (المدثر : ٢ ، ٥) .

٦ ـ ﴿ ولما ورد ماء مَدْينَ وجد عليه أمةً من الناس يَسْقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودانِ ، قال : ماخطبكما ؟ قالتا : لانَسْقي حتى يُصْدِرَ الرِعاء ، وأبونا شيخ كبير ﴾ (القصص : ٣٢) .

٧ ـ « أتدرون ماالغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكرهُ » . (حديث نبوي : رياض الصالحين : ٤٤٧) .

٨ ـ قال كثير عزة :

ودِدْتُ ـ وماتغني الوِدادةُ ؟ ـ أنني بما في ضمير العامريةِ عالمُ

٩ ـ قال حميد بن ثور :

حمى ظِلَّها شِكسُ الخليقةِ خائفٌ عليهـا غَـرامَ الطـامعيـن شفيـقُ

١٠ ـ قال زهير :

رأيت المنايا خبطَ عشواءَ مَن تصب تمتْـهُ ، ومَـنْ تخطـىء يعمَّـرْ فيهـرمِ

١١ ـ قال قيس بن ذريح :

وإنـك لـو أبلغتهـا قيلَـك : اسلمـي طوت حَزَناً وارفضَّ منها المدامعُ

١٢ ـ قال المتنبي :

ومن يجعلِ الضرغامَ للصيدِ بازه تصيَّـده الضـرغـامُ فيمـا تصيَّـدا

١٣ ـ وقال :

غدرتَ ياموتُ كم أفنيتَ من عددٍ بمن أصبتَ وكم أسْكتَّ من لجبِ

١٤ ـ قال شاعر :

كفى بالمرءِ عيباً أن تَراهُ لـه وجـه وليس لـه لسـانُ

١٥ ـ قال شاعر آخر :

فقالت : ما حياتُك ؟ قلت : حُلْمٌ مـن الأشـواقِ أوثـر أن أطيلَـهْ

ط ـ من أساليب المفعول به :

المفعول به ركن مهم من أركان الكلام ، ووظيفته في الجملة العربية ـ من حيث أداء المعنى ـ لا تقل أهمية عن وظائف الفاعل والمبتدأ والخبر ، وقد أدت كثرة استعماله على ألسنة العرب إلى التخفف من لفظ عامله أحياناً ، لانحصار المعنى في المفعول نفسه ، فإذا قلت : الحفرةَ ، كان اهتمامك منحصراً في إنقاذ المخاطب أو تنبيهه من الوقوع في الحفرة ، وتقديره : احذر الحفرة . والفعل « احذر » يعرف من السياق العام ، وإن لم يذكر .

وهذه الأساليب التي يحذف فيها عمل المفعول به نوعان : سماعي ،

وقياسي ، والقياسي ينحصر في أبواب الإغراء والتحذير ، والاختصاص ، والاشتغال .

١ ـ حذف عامل المفعول به سماعاً :

هناك أقوال أُثرت عن العرب ، وسمعت منهم ، لاتستعمل الآن ، ولكنها تفيد اللغويين والأدباء في القياس عليها ، واستحداث أساليب جديدة على غرارها . وهي إما مثل شاع بين العرب ، وإما قول لم يجر مجرى المثل ، ويحذف العامل وجوباً فيها جميعاً .

فمن أمثالهم : الكلابَ على البقر[1] ، أي أرسل الكلابَ على البقر ومنها : كلَّ شيءٍ ولاشتيمة حر . أي : ائت كلَّ شيء ولا تأتِ شتيمة حر . ومنها : كليهما وتمراً ، أي : أريد كليهما وأريد تمراً[2] . ومنها : أمرَ مبكياتِك لا أمرَ مضحكاتك . أي إلزمي . وأهلَكَ والليلَ ، أي اذكر أهلك وبُعدهم عنك ، واحذر الليلَ وظلمته ، وهذا ولازَعماتِك . أي : هذا هو الحقُّ ، ولا أتوهَّم زعماتك . وقد يستعمل الشعراء هذه الأمثال كما قد تكون هي نفسها قطعاً من بيت شعر ، قال ذو الرمة :

لقد خطَّ روميٌّ ولا زعماتِهِ لعُتْبَةَ خطاً لم تُطَبَّق مفاصِلُهْ

ومن أقوالهم في غير الأمثال : أهلاً وسهلاً . أي لقيت أهلاً ونزلت سهلاً . ويكثر في الشعر العربي قولهم : عذيرك من فلان . وهي مفعول به لفعل مضمر تقديره : هات من يعذرك ، كقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

أريد حِباءَهُ ويريدُ قتلي عَذيرَكَ من خليلِك من مُرادِ

وقد يحذف الفعل المتعدي من الكلام لدلالة السياق عليه ، ويكثر هذا في جملة الجواب إذا ورد ذكره في جملة السؤال ، كما ترى في قول الأعشى :

قالت سمية من مدحـ ـتَ ؟ فقلتُ : مسروقَ بن وائلْ

أي : مدحتُ مسروقَ بن وائل .

---

(١) انظر جمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ١٦٩ ، والميداني ٢/ ١٤٣ برقم ٣٠٣٧ .
(٢) الميداني ٢/ ١٥١ برقم ٣٠٨٠ .

٢ ـ أساليب الإغراء والتحذير :

وهذا اسلوب عربي فصيح يراد منه الإغراء حيناً ، والتحذير طوراً ، فإذا قلت : المطالعةَ المطالعةَ . أردت من المخاطب أن يلزم المطالعة ويعنى بها ، فأنت هنا تغريه بشيء وتحببه إليه ، وإذا قلت : الحفرةَ الحفرةَ . أردت منه أن يحذر الحفرة وأن يتجنبها .

والمغرى به والمحذَّر منه كلاهما مفعول به لفعل مضمر ، تقديره : الزم ، أو احذر . إلا أن هذا الفعل يضمر وجوباً في ثلاثة وجوه :

١ ـ إذا تكرر المفعول به ، مثل : العملَ العملَ ، أو : الكسلَ الكسلَ .

٢ ـ إذا عطف عليه ، مثل : العملَ والنجاحَ ، أو الكسلَ والرسوبَ .

٣ ـ إذا كان ضميراً مثل : إياك من الكسل .

وفي غير هذه الوجوه يجوز إظهاره ، مثل :

احذر الحفرةَ ، والزم العملَ . الخ . . .

٣ ـ أسلوب الاختصاص :

وسمي بالاختصاص لتقدير الفعل « أخص » ، ويقدر أحياناً الفعل : أعني . وذلك بعد إسناد شيء إلى ضمير المتكلم : أنا ، نحن . مثل : نحن ـ أبناءَ يعربٍ ـ أنصرُ الناس عوداً . وقد يكون بعد ضمير المخاطب ، وهو قليل . أما ضمير الغائب فلَا يجوز استعماله في هذا الاسلوب .

فالضمير « نحن » ينصرف معناه إلى غير محدد ، ولذلك كان قولك : أبناءَ يعرب . محدِّداً له وموضحاً . فكأنك قلت : نحن ـ أعني أبناءَ يعربٍ ـ أنصَرُ الناس عوداً . إلا أن الفعل لايظهر ولايستعمل ، لعلم المخاطب به .

ويشترط في المفعول به هنا أن يكون معرفاً بأل أو مضافاً إلى معرف بها ، أو علماً أو مضافاً إلى علم ، مثل : نحن ـ الموقعين ـ نطلب إنصافنا . ونحن ـ أصحاب التواقيع ـ نطلب إنصافنا . وكقول الراجز :

بنا تميماً يكشف الضبَابُ

وكقول الآخر :

نحن بني ضَبّةَ أصحابُ الجمل

والشكلان الأخيران قليلان في هذا الأسلوب .

وقد يكون لفظ : أيُّها ، أيَّتُها ، مثل : إننا فعلنا ذلك أيَّتُها الجماعة . وتقدير الكلام ، إننا فعلنا ذلك ، وأعني أيتها الجماعة . فـ « أيَّةُ » مفعول به لفعل محذوف وجوباً تقديره أعني ، مبني على الضم في محل نصب . و « ها » أداة تنبيه ، و « الجماعة » صفة لِـ « أي » مرفوعة على اللفظ .

وجملة الاختصاص معترضة إذا وقعت بين متلازمين ، واستئنافية إذا وقعت في آخر الكلام . وكونها استئنافية قليل جداً .

٤ ـ الاشتغال :

وسمي هذا الباب بالاشتغال لانشغال العامل المتعدي بالعمل في ضمير المفعول ، أو بما يلابس ضميره ، كقولنا : نَفْسَك أكرمْها . وثوبَك نظِّفه . فالفعل (أكرمْ) شغل بـ « ها » ، وهي ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به ، يعود على « نفسك » ، ونفسك في المعنى مفعول به ، وكذلك شغل الفعل « نظف » بضمير الثوب ، ولهذا لايمكن لكل من الفعلين : أكرم ، ونظف ، أن يعمل في الاسم المتقدم عليه ، فقُدر فعل آخر قبلهما يجب إضماره ، ولو ظهر لقلنا : أكرم نفسك أكرمها . ونظف ثوبك نظفه . وللاشتغال في كلام العرب شواهد فصيحة ، كقوله تعالى : ﴿ والظالمين أعدَّ لهم عذاباً أليماً ﴾ (الانسان : ٣١) ﴿ والقمر قدرناه منازلَ ﴾ (يس : ٣٩) ، وكقول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضاقَ عنا ونحن البحرَ نملؤه سفينا

وإذا قلنا : عَدوَّكَ ألجمْ لسانَهُ . شَغَلْنا الفعل (ألجم) بما يلابسه المفعول في المعنى ، وهو « عدوك » ولهذا نقدر في مثل هذه الحال فعلاً يلائم المعنى فنقول : أخْرِسْ عدوَّك ألجم لسانه[1] .

(١) لنحاة الكوفة في هذا رأي جدير بالتقدير ، ولست أدري لم يحجم المعاصرون عن الأخذ به ، فهؤلاء يجعلون الاسم منصوباً بما عاد عليه من ذكره ، أي لما كان ضميره الذي شغل به الفعل في محل نصب كان الاسم منصوباً . وهي نظرة لغوية جيدة ، تخلص الباب من تقديرات قبيحة .

وللاشتغال تفريعات نوجزها فيما يلي :

١ ـ وجوب النصب :

يجب نصب الاسم المشتغل عنه إذا وقع بعد الأدوات التي تختص بالفعل ، كأدوات الشرط ، والتحضيض ، والاستفهام باستثناء الهمزة ، مثل : إنْ أخاكَ لقيته فبلغه تحياتي . هلاّ عيوبَك سترتها . هل الدرسَ حفظتَهُ ؟

٢ ـ ترجيح النصب ؟

ويجوز مع النصب الرفعِ على الابتداء ، ولكن النصب يرجح ، وذلك إذا كان الاسم المشتغل عنه واقعاً قبل فعل طلبي كالأمر والنهي والدعاء ، أو بعد الهمزة خاصة من أدوات الاستفهام ، مثل : ثوبَك نظفه . أخاك لا تؤذه . سعيداً سامحه الله . أأخاك لقيته ؟

وإن كان في صدر الكلام فعل عمل النصب في غيره ، فعطفت عليه فعلاً آخر ، كان النصب في معموله أرجح وأوجه ـ نحو : رأيتُ أباك ، وأخاك أكرمته ، ومن الفصيح قوله تعالى : ﴿ يُدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهما عذاباً أليماً ﴾ (الإنسان : ٧٦) ومنه قول الربيع بن ضَبُع الفزاري :

أصبحتُ لا أحملُ السلاحَ ولا ... أملــكُ رأسَ البعيــرِ إن نَفــرا
والـذئـبَ أخشـاهُ إن مـررتُ بـه ... وحدي ، وأخشى الرياحَ والمطرا

٣ ـ ترجيح الرفع :

وفي غير هذه الحالات يجوز رفع المفعول به في المعنى على الابتداء ، وتصير الجملة الفعلية خبره ، مثل : عبدُ الله أكرمته ، والماءُ شربته ، والرفع هنا مرجح عند النحاة ، ويجيزون النصب ، مثل : محموداً رأيته ، وسعيداً قابلته .

شواهد للتدريب

١ ـ قال مسكين الدارمي :

أخـاكَ أخـاكَ إن مَـنْ لا أخـا لـه ... كسـاعٍ إلـى الهيجـا بغيـر سـلاح

٢ ـ ﴿ والأنعامَ خلقها لكم ، فيها دِفءٌ ومنافعُ ، ومنها تأكلون ﴾ (النحل : ٥) .

٣ ـ قال جرير :

أثعلبةَ الفوارسِ أم رياحاً عدلتَ بهم طُهَيَّةَ والخشابا

٤ ـ قال عمرو بن الأهتم :

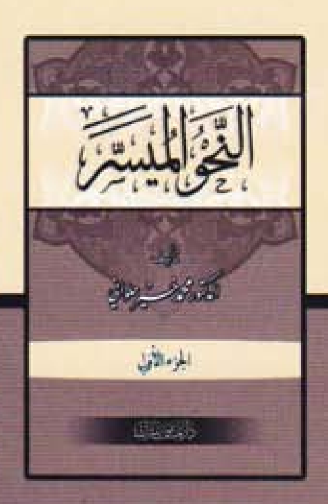
إنا بني مِنقَرٍ قومٌ ذوو حَسَبٍ فينا سَراةُ بني سَعْدٍ وناديها

تم بحمده تعالى الجزء الأول
ويليه الجزء الثاني




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


النحو الميسر




ISBN 978-9933-498-90-0
9 789933 498900

النحو الميسر

تأليف

الدكتور محمد خير حلواني

الجزء الثاني



النحو الميسر

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

1435 هـ - 2013 م

يطلب من :





دمشق - شارع الجمهورية - ص.ب: 4971
هاتف: 00963112227209 - تلفاكس: 00963112229820
E-mail: dar.almamoun@gmail.com

ISBN 978-9933-498-90-0



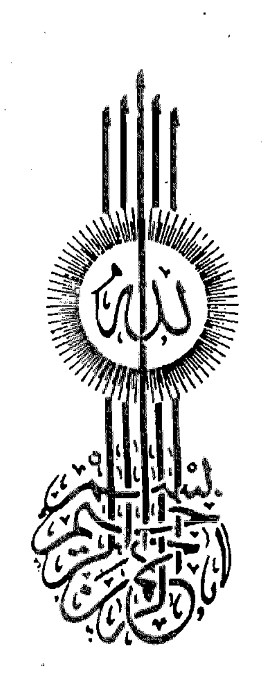
النحو الميسر - 2/1 جزء - المؤلف / الدكتور محمد خير الحلواني





الجزء الثاني

دار المأمون للتراث


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المفعول فيه

آ ـ ماهو ؟ :

تدل وقائع الحياة على أن الحدث يقع في حدود المكان والزمان ، ولا يمكن أن ينفك عنهما ، إذ لايستطيع الفكر البشري أن يتصور حدثاً مجرداً لايحده مكان ، ولايحيط به زمان .

ولما كانت اللغة هي الوعاء الصوتي للفكر البشري كان لابد من أن تتضمن كلمات تدل على مكان الحدث ، وكلمات أخرى تدل على زمانه ، ومن هنا اشتمل المعجم العربي مثلاً على أمثال : فوق ، وتحت ، وأمام ، وخلف ، ووراء ، وقُدام ، وشرق ، وغرب ، وشَمال وجنوب ، ويمين ويسار ، من أسماء المكان ، وعلى أمثال : صباح ومساءِ ، وظهر وعصر ، ونهار وليل ، ووقت وزمان ، وحين ويوم ، وساعة ولحظة ، من أسماء الزمان .

على أن المتكلم لايلزم نفسه دوماً بذكر مكان الحدث أو زمانه ، لأسباب ترجع إلى ملابسات كثيرة ، تأمل مثلاً هذه الجمل :

١ ـ وقفتُ أمامَ النهرِ عندَ طلوعِ الفجر .

٢ ـ استقبلتُ أخي عشيةَ يومِ الجمعة .

٣ ـ سار الموكبُ بينَ جموعِ المحبين .

٤ ـ لبستِ الأرضُ حلةً خضراءَ زاهية .

في الجملة الأولى وقع الحدث ـ وهو الوقوف ـ في مكان وزمان محددين ، هما : أمامَ النهر . وعندَ طلوعِ الفجر . ولكن حدث الجملة الثانية وهو الاستقبال لم يذكر مكانُه ، بل اكتُفي بتحديد زمانه وهو : عشية يوم الجمعة . وعلى عكس ذلك ماجاء في الجملة الثالثة ، إذ ذكر مكان الحدث

وهو (بينَ) وأهمل ذكر الزمان ، أما في الجملة الأخيرة فقد أهمل ذكر المكان والزمان معاً ؟

هذا هو واقع التعبير اللغوي في جميع اللغات ، ولكن ماتعريف الظرف في علم النحو ؟ « إنه الاسم الذي يدل على مكان الحدث أو زمانه ، يصلح لكل حدث ، ويُعْرَف ، بتضمنه معنى حرف الجر (في) ، وبصلاحية وقوعه خبراً في الجملة » .

ولتوضيح ذلك انظر الجملتين التاليتين :

١ ـ سافرتُ يومَ الأحدِ .

٢ ـ دخلتُ البيتَ .

أما (يوم) فهو ظرف زمان ، لأنه يدل على زمان الحدث وهو (السفر) ، ويصلح زماناً أيضاً لأحداث أخرى ، تقول : جئتُ يومَ الأحدِ ، وسهرتُ طويلاً يومَ الأحد ، وخرجتُ إلى الملعبِ يومَ الأحد ، وهكذا . وهو يتضمن معنى (في) بوضوح ، حتى ليمكن أن تقول : سافرتُ في يوم الأحد . من دون أن يتغير المعنى . ويصلح أن يقع خبراً ، مثل : السفرُ يومَ الأحد . فالظرف (يومَ) هنا هو جزء من خبر المبتدأ وهو : السفر ، ويقدر بـِ : السفرُ موقوتٌ يومَ الأحد .

أما (البيت) فليس بظرف مكان ، وإن كان يوهم أنه مكان للدخول ، لأنه لايصلح مكاناً لكل حدث ، فلا يقال مثلاً : جلستُ البيتَ . أو : نمتُ البيتَ ، أو : كتبتُ البيتَ . وإنما هو خاصٌّ بالفعل (دخل) دون غيره . ولايصلح أن يقع خبراً فلا يقال : الدخولُ البيتَ ، أو : القعود البيت . أو : النوم البيت .

هذا هو مفهوم الظرف ، وهو كما رأيت نوعان : ظرف زمان ، وظرف مكان ، وإليك تفصيل الحديث عن كل منهما ؟

ب ـ ظرف الزمان :

إن ظرف الزمان يدل على الوقت الذي حصل فيه الحدث أواستغرقه ،

وهذا يعني أنه ضربان :

ـ **الأول** : محدَّدٌ ، ويصلح أن يكون جواباً لاسم الاستفهام (متى) ، مثل : (صباحاً ، ومساءً ، ويومَ الأربعاء ، و . . .) في قولنا : أمارسُ الرياضة صباحاً . وأخرج مع أسرتي مساءً إلى المتنزّهات . وأتوقفُ عن العملِ يومَ الأربعاء .

ـ **الثاني** : معدود ، أو يمكن عَدُّهُ ، ويصلح أن يكون جواباً لاسم الاستفهام (كم) ، مثل : أقمتُ في هذه المدينة سنتين . ونمتُ ساعتين ، ومثله قوله تعالى : ﴿ قال قائل منهم : كم لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يومٍ ﴾ (الكهف : ١٩) .

وهذا النوع يدل على استمرار الحدث واستغراقه للزمان كله كما هو واضح في الأمثلة المتقدمة ، ولكنه في بعض الأحيان لايدل على ذلك ، إذ يقع الحدث في جزء من الوقت لا فيه كله مثل : صمتُ شهراً . أي : في الأيام دون الليالي . ومثل : سريتُ ثلاثة أيام . أي : في الليالي دون الأيام .

ومن ظروف الزمان ماهو مبهم ، وهو مادل على زمان غير محدد ، ليس له بداية معلومة ولانهاية معينة ، كالظروف : حيناً ، وزمناً ، وأمداً ، وسنواتٍ ، وساعاتٍ ، مثل : أقمتُ هنا حيناً ، وفي بغداد زمناً ، وقرأتُ في الحديقة ساعاتٍ .

ومنها ماهو مختص محدد ، تعرف بدايتة ونهايته ، فقد يكُونُ علماً على وقت خاص ، كأسماء الشهور : رمضان ، وشعبان ، ومحرم ، وصفر ، أو : تشرين ، وكانون ، وآذار ، وحزيران[1] . ومن أعلام الأوقات : سَحَرُ ، وغُدوةُ ، وبُكرةُ ، إذا أريد بها وقت معلوم ـ كما سوف ترى ـ . وقد يكون مضافاً إلى شيء معلوم ، مثل : زمنَ الشتاء ، أو : يومَ السبتِ . أو معرفاً بـ (أل) ، مثل : اليوم ، وهذا الصباح ، وتلك الليلة . أو يكون نكرة معدودة مثل : سرتُ ساعةً واحدة ، ومكثت في الفندقِ يومين .

(١) وإن كانت غير عربية اللفظ .

ج ـ ظرف المكان :

وينقسم ظرف المكان أيضاً من حيث وظيفته الدلالية قسمين :

الأول : مايدل على مقدار ، ويصلح أن يكون جواباً للأداة « كم » ، كالفرسخ ، والميل ، والباع ، والكيلومتر . مثل : ركضَ الرياضي ميلين . ومشى الموكبُ فرسخاً .

والثاني : مايدل على مكان حصول الفعل ، ويصلح أن يكون جواباً للأداة « أين » ، كأسماء الجهات ومايلحق بها ، مثل : سرتُ شَمالاً . ووقفتُ يمينَ الطريقِ . وارتفعت الطيارةُ فوقَ السحاب . ﴿ وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ (يوسف : ٢٥) ، ومن هذا النوع : ناحية كذا ، وذات اليمين ، وذات الشمال ، وجنبَ كذا ، وموضع كذا ، وحذاءَك ، وإزاءَك ، وحواليك ، وأقطارَ البلاد ، ووَسْط كذا ، وقبالة كذا ، وجنابتيه وجنبيه ، قال الأعشى :

نحن الفوارسُ يوم الحنو ضاحيةً جنبي فطيمة لاميل ولا عزُلُ

وتقول : لي قِبَلَك حاجة . وإن بدلَك سميراً ، أي أن مكانك سمير وتقول : اتجهت نحوَ الشمالِ أو قصدَه . وتقول : وقفت ثَمَّ أو ثمة . ووقفت هناك أو هنالك . وأقمت حيث تقيم أسرتي .

ولايقع اسم المكان ظرفاً[1] إلا إذا كان مبهماً ، أي ليس له شكل ، ولايقع ضمن حدود ذات هيئة ، كالظروف : فوق ، وتحت ، ويمين وشمال ، وأمام وخلف ، وأمثالها ، مثل : ﴿ وفوقَ كل ذي علم عليمٌ ﴾ (يوسف : ٧٦) ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينةٍ غصباً ﴾ (الكهف : ١٨) ﴿ اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضاً ﴾ (يوسف : ٩) .

---

(١) للكلمة معنى ووظيفة ، أما المعنى فملازم لها حيثما كانت ، أفي تركيب هي أم مستقلة ، أما الوظيفة فتعني علاقتها بكلمات أخرى في التركيب ، كأن تكون فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو حالاً . فالكلمة قد يكون معناها« مكاناً » ما ، كالحديقة ، والشارع ، والنافذة ، ولكن لا يمكن أن تكون لها وظيفة نحوية كـ « الظرف » . ومن هنا تكون الدلالة على المكان معنىً ، أما الظرف فوظيفة نحوية لا دلالة .

أما اسم المكان المختص ـ وهو ذو الشكل والهيئة ـ فلا يقع في الكلام ظرفاً ، كالدار ، والغرفة ، والمسجد ، والمدرسة ، والجامعة ، ومكة ، ودمشق ، وبغداد ، والبحر ، والنهر ، وأمثال ذلك ، فلا يقال مثلاً : نمتُ الغرفةَ ، كما يقال نمتُ فوقَ السرير . ولايقال قعدتُ المدرسةَ . كما يقال : قعدتُ بينَ الأشجار . ولايقال : وقفتُ الجامعةَ . كما يقال : وقفتُ أمامَ الناسِ[1] .

وهناك ظروف مكان تشتق من لفظ العامل فيها ، ويشترط أن تكون مثله في الرجوع إلى أصل واحدٍ في اللفظ والمعنى ، وأن تكون الميم زائدة في أولها ، مثل : قعدتُ مقعد الخطيب ، وجلستُ مجلسَ الحاكم ، وذهبتُ مذهبَ أخي ، ورميتُ مرماهُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وأنا كنا نقعد منها مقاعدَ للسمع ﴾ (الجن : ٩) وتقول أيضاً : اضطجعتُ مضجعَ الراعي .

ولايجوز أن يكون العامل من لفظ مغاير للظرف ، فلا يقال : نمتُ مقعدَ الراعي ، أو جلستُ مقعدَكَ ، أو أقمتُ مجلسك . ولكن شَذّت عبارات قديمة ، وخرجت على هذه القاعدة ، فإذا أرادوا أن يصفوا أحداً بالسمو ، قالوا : هو مَناطَ الثريا ، وإذا أرادوا تحقيره قالوا : هو منا مَزْجرَ الكلب . وإذا أرادوا وصفه بشدة القرب قالوا : هو مني مقعدَ القابلة . وإذا أردوا الحديث عن شدة كتمان السر قالوا : هو مَعْقِدَ الإزارِ .

د ـ مايصلح أن يكون للزمان و المكان :

هناك كلمات مبهمة تصلح أن تكون في الكلام ظرف زمان وظرف مكان ، وذلك بحسب ماتضاف إليه ، فإن أضيفت إلى اسم مكان كانت ظرف مكان ، وإذا أضيفت إلى اسم زمان أو إلى حدث كانت ظرف زمان ، وذلك كما ترى في الجمل التالية :

---

(١) قيل : ذهبتُ الشامَ ، وتوجهت مكةَ . وسكنت الدارَ ، ونزلت البلدَ ، ودخلت الحديقةَ . وهذه كلها ليست ظروفاً ، بل هي أسماء منصوبة بنزع الخافض . وهناك آراء أخرى ، فقيل هي : مفعول به ، وقيل : ظرف ، وقيل : شبيهة بالمفعول به .

١ ـ البلبلُ بينَ الأغصان . (ظرف مكان) .

الاحتفال بين الساعة الثانية والساعة الرابعة . (ظرف زمان) .

٢ ـ ﴿ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنّة ﴾ (التحريم : ١١) (ظرف مكان) .

الصبرُ عند الصدمةِ الأولى . (ظرف زمان) .

٣ ـ وقفتُ في الصف بعدَك وقبلَ سعيد . (ظرف مكان) .

جاء أخي بعد الظهر وقبل العصر . (ظرف زمان) .

٤ ـ لي حاجة لدنك . (ظرف مكان) .

تذكر رعايةَ والديك لك لدن أنت صغير . (ظرف زمان) .

٥ ـ مشى معَ المقاتلين . (ظرف مكان) .

خرج مع الصباح . (ظرف زمان) .

وهكذا رأيت مجيء : بين ، وعند ، وقبل ، وبعد ، ولدن ، ومع ، مرة للمكان ، ومرة للزمان ، بحسب ما أضيفت إليه[١] .

هـ ـ المتصرف والجامد من الظروف :

يختلف معنى الكلمة الذاتي عن وظيفتها النحوية في الجملة المركبة ، فكلمة (البحرُ) التي تعني مايقابل البر في دلالتها الذاتية ، قد يوظفها المتكلم وظائف متعددة في التركيب ، إذ تكون فاعلاً ، أو مفعولاً به ، أو مبتدأ ، أو خبراً ، أو مضافاً إليه ، أو . . . وكذلك الكلمات التي تدل على زمان أو مكان ، مثل : يوم ، ونهار ، وليل ، وأمثالها تقول مثلاً : يومُك سعيدٌ . والنهارُ طويل في الصيف . وليلتُنا هذه كعروس من الزنج . وتقول أيضاً : هذا يومٌ جميل ، وهذا نهارٌ سعيد . وهذه ليلةٌ حلوة . وتقول : أحبُّ يومَ الثُلاثاء . وأتمنّى لك نهاراً سعيداً . وجعلَ الله ليلَتك هادئة . وهكذا جاءت أسماء الزمان الثلاثة مبتدأ مرةً ، وخبراً مرة أخرى ، ومفعولاً به مرة ثالثة .

---

(١) ذكر بعضهم أن (ثَم ، وحيث ، وهنالك) قد تستعار للزمان أيضاً ، وجعل من ذلك : ﴿ هنالك دعا زكريا ربه ﴾ . (آل عمران : ٣٨) . انظر : الكشاف : ٤٢٧/١ .

ويمكن أن تأتي في وظائف أخرى لو أردنا الإطالة وكثرة الأمثلة .

على أن هناك أسماء تدل على الزمان أو المكان لاوظيفة لها إلا الظرفية ، فلا تقع مبتدأ ، ولاخبراً ، ولاشيئاً آخر من هذه الوظائف النحوية ، ماخلا الظرفية ، لنأخذ مثلاً الكلمات : قَطُّ ، وأينَ ، وإذا . ولنحاول أن نضعها في جمل ، فهل نستطيع زحزحتها عن وظيفة الظرف ؟ نقول : مارأيتُ مثلَ هذا قَطُّ . ولم يكذب فلانٌ قَطُّ . ولم تطأ قدمايَ قَطُّ هذا المكان . ونقول : أينَ المروءاتُ العربية ؟ وأينَ ماضينا المجيد ؟ أين عزتُنا وكرامتنا ؟ ونقول : أراكَ إذا انتصف النهارُ . وأسبح إذا تحسَّنَ الجو . وأسافرُ إذا استوفيتُ شروطَ السفر .

في هذه العبارات ترى (قَطُّ) تعني : أبداً ، وتدل على استغراق الزمن الماضي ، وهي في الجمل كلها ظرف زمان . وترى (أينَ) تعني سؤالاً عن مكانٍ ، وهي في العبارات الثلاث ظرف مكان ، وترى (إذا) تدل على الحين : أراك حين ينتصف النهار ، وأسبح حين يتحسن الجو . وأسافر حين أستوفي الشروط . وهي في الجمل الثلاث ظرف زمان . ذلك يعني أن هذه الكلمات لاتقع إلا ظروفاً .

ومن هنا كان هناك ضربان من الظروف :

أولهما : متصرف ، وهو ماجاء في التراكيب اللغوية متنوع الوظيفة النحوية ولم يجمد على وظيفة واحدة هي الظرفية ، منه : يوم وليل ، ونهار وصباح ومساء وضحى وساعة ، وأمثالها من أسماء الزمان ، ومثل : أمام ، وخلف ، وبين ، ودون ، وقدام ، والميل ، والفرسخ ، من ظروف المكان .

وثانيهما : جامد ، وهو ماجمد على وظيفة نحوية واحدة لايتعداها ، فيكون ظرف مكان ، مثل : أينَ ، وأنّى ، وثَمَّ ، وهنا ، ولدى ، وحيثُ ، وفوقَ ، وحَوْلَ ، وحَوالَيْ(١) ، أو يكون ظرف زمان ، مثل : قطُّ ، وعَوْضُ ، ومتى ، وأيانَ ، وإذا ، ولمّا ، وذاتَ مساءٍ(٢) ، وذا صباح ، وبينا ، وبينما .

(١) لا يراد بهذا الظرف معنى التثنية بل مجرد الالتفاف والإحاطة .

(٢) إذا وقعت (ذات) مضافة إلى مكان تصرفت ، تقول : بيتُك ذاتُ الشِمال .

و منها ما يجمد على صورة الظرف : زماناً حيناً ، ومكاناً حيناً آخر ، مثل : عند ، ولَدُنْ ، وقبل ، وبعد .

غير أن تصرف الظروف يختلف قلة وكثرة ، فأسماء الزمانِ مثلاً أكثر تصرفاً من أسماء المكان ، ويكفي أن توازن بين (المساء) و (خلف) لتجد هذا الاختلاف ، فالأول يمكن أن يشغَلَ كثيراً من الوظائف النحوية ، على حين يقل تصرف الثاني ، فيقع فاعلاً مثلاً ، كما في قول ذي الرمة :

وصحراءَ يحمي خلفُها ما أمامَها ولايختطيها الدهرَ إلا مخاطِرُ

وقد يقع بدلاً من مرفوع ، كما في قول لبيد يصف ناقته :

فغدتْ كلا الفرجَيْنِ تحسَبُ أنه مولى المخافةِ : خَلْفُها وأمامُها

وقد تقع نائب فاعل ، كما في قولك : وُقِفَ خلفُ الصفوفِ . وقد تقع مبتدأ مثل : خلفُ الصفوف خيرٌ من قدامها . وعلى الرغم من هذه المواقع تجد استخدام (خلف) في النصوص المنقولة يكاد يقتصر على الظرفية المكانية . أما (المساء) فتجد استخدامه في النصوص في مواقع كثيرة تكاد ترْبي على استخدامه ظرفاً .

وكذلك يختلف جمود الجامد من الظروف ، فهناك مالايكون إلا ظرفاً ، مثل : قطُّ ، وعوضُ ، وإذا(١) ، وبينا ، وبينما ، وذات مساء ، وذا صباح ، و . . . ومنها مايكون ظرفاً ، ويجوز وقوعه مجروراً بحرف جر(٢) ، مثل : عند ، لدن(٣) ، وقبل ، وبعد ، ومتى ، وأين . مثل : ﴿ وما النصرُ إلا من عندِ الله ﴾ (الأنفال : ١٠) ﴿ قال : ربِّ هَبْ لي من لدنك ذريةً طيبة إنك سميع الدعاء ﴾ (آل عمران : ٣٨) ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ﴾ (يوسف : ١٠٩) ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعدِ ميثاقه ﴾ (البقرة : ٢٧) ويقال : حتى متى ، وإلى متى ، ومن أين اتجهت .

---

(١) يرى بعضهم أنها قد تتصرف . فتكون مبتدأ ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ إذا وقعت الواقعة . . . ﴾ .

(٢) يغلب على حرف الجر هنا أن يكون (من) كما سوف ترى في الشواهد التالية .

(٣) لم تقع في القرآن الكريم إلا مجرورة بـ (من) .

ومن الظروف مايكون جامداً في معنى ، متصرفاً في معنى آخر ، كالظروف الزمانية : سَحَرَ ، بُكرةَ ، غُدْوةَ ، ضَحوةَ ، عَتَمةَ ، فإذا أريدَ بها وقت خاص دون غيره كانت جامدة على الظرفية ، وإذا أريد بها وقت عام غير محدد تصرفت . فمثلاً : سَحَرَ . قد يراد بها سحرُ ليلة خاصة دون غيرها ، وقد يراد منها وقت السحر من كل ليلة . تقول : جئتك سَحَرَ[1] . أي سحرَ ليلتنا التي نحن فيها . وتقول : لقيتك غُدوةَ ، وبُكرةَ ، وضحوةَ ، وعتمةَ . وتقول أيضاً : السحرُ خيرٌ من الظهيرة .

و ـ العامل في الظرف :

يعمل في الظرف مايعمل في جميع المنصوبات ، ولكنه أكثر تأثراً بالعوامل من غيره ، إذ يعمل فيه الفعل ، وشبه الفعل ، ومافيه رائحة الفعل ، كما يقول بعض النحاة .

١ ـ أما عمل الفعل فيه فقد مر بنا في هذه الصفحات شواهد وأمثلة كثيرة عليه ، ونضيف هنا قوله تعالى : ﴿ أعدَّ لهم جناتٍ تجري تحتَها الأنهارُ ﴾ (التوبة : ١٠٠) وقوله : ﴿ فاضربوا فوقَ الأعناقَ ﴾ (الأنفالَ : ١١) .

٢ ـ وأما شبه الفعل فهو :

ـ اسم الفعل ، مثل : حَذارِ من البردِ ليلاً . وصَهِ الآنَ . وهيهاتَ النصرُ اليومَ .

ـ المصدر ، مثل : وقوفُك عندَ الحديقةِ لايخلو من تهاون . وسيُرك فوقَ الرصيفِ سلوك حضاري . وسفُرك غداً ييسّر أعمالك .

ـ اسم الفاعل ، مثل : هل من مُسافرٍ معي ؟ ﴿ ولا تقولَنَّ لشيءٍ إني فاعِلٌ ذلك غداً ﴾ (الكهف : ٢٣) .

ـ اسم المفعول ، مثل : ﴿ ولو ترى إذِ الظالمون موقوفونَ عندَ ربهم ﴾ (سبأ : ٣١) . وأراكَ مرهَقاً هذا اليومَ .

---

(١) يشترط أن يكون مجرداً من (أل) والإضافة .

ـ الصفة المشبهة : كان حاتم كريماً حينَ الحاجةِ ، وشُجاعاً وقت الشدة .

ـ اسم التفضيل : السيفُ أصدقُ من الكتاب حينَ يداهمنا العدو . وقال أوس بن حجر :

فإنا وجدنا العرضَ أحوجَ ساعةً إلى الصونِ من رَيْطٍ مُلاءٍ مُسَهَّمِ

ـ اسم جامد فيه معنى المشتق ، مثل : أنت أيوبٌ عندَالبلاءِ .
أي : أنت شبيه بأيوب في الصبر عند البلاء . ومثله : أنت أخٌ لي وقتَ الحاجة .

٣ ـ وأما ما فيه رائحة الفعل فهو المعنى الذي يكون في حَرْفٍ من أحرف المعاني ، كأدوات النفي ، والتشبيه ، مثلاً ، كما ترى في قول كعب بن زهير :

وماسُعادُ غَداةَ البينِ إذ رحلوا إلا أَغَنُّ غضيض الطرفِ مكحول

فأداة النفي (ما) هي الناصبة للظرف (غَداةَ) ، والمعنى : انتفى عن سُعادَ وقتَ الفراقِ إلا أن تكون كالظبي الأغن . وتقول : كأنَّك غداةَ القتالِ أسدٌ . أي : إنك تشبه الأسد غداة القتال .

٤ ـ وقد يحذف عامل الظرف من ظاهر الكلام ، وهذا الحذف على ضربين : حذف جائز ، وحذف واجب :

آ ـ حذف العامل جوازاً :

يحذف جوازاً إذا قام في الكلام دليل عليه ، كأن يكون العامل مذكوراً في جملة السؤال ، فيحذف من جملة الجواب ، مثل :

ـ كم سنةً أقمت هنا ؟

ـ سنتين .

ـ ومتى جئتَ ؟

ـ منذُ أُنشئت الجامعة .

فالتقدير في الموضعين : أقمت سنتين . وجئت منذ أنشئت الجامعة .

ب ـ حذف العامل وجوباً :

ويحذف العامل وجوباً إذا كان كوناً عاماً ، أو إذا كان حذفه واجباً لتفسيره بعاملٍ مذكور .

* إذا كان كوناً عاماً :

والكون العام هو مجرد الوجود في مكانٍ مّا أو في وقتٍ ما ، ويقدر حينئذٍ بواحدٍ من العواملِ التالية : موجود ، كائن ، مستقر ، استقرَّ . . . وذلك كما ترى في الأمثلة التالية :

١ ـ الجنةُ تحتَ أقدام الأمهات .

الظرف « تحت » يحدد مكان الجنة ، ولايمكن تعليقه بها ، لأنها ليست فعلاً ولا شبيهة بالفعل ، وهذا يعني أن المعلَّق به محذوف ، ولما كانت (الجنة) مبتدأ ولم يذكر له في الجملة خبر كان العامل المعلَّق به خبراً واجب الحذف ، لأنه كون عام ، والتقدير : الجنةُ كائنةٌ تحت أقدامِ الأمهات . ومثل هذه الجملة قوله تعالى : ﴿ وفوقَ كل ذي علم عليم ﴾ (يوسف : ٧٦) والعصفورُ فوقَ الشجرةِ . ونحنُ أمامَ الحاكم . والمالُ عندَ صاحبه . والسفرُ بعدَ الساعةِ الواحدة .

٢ ـ عصفورٌ فوقَ الأغصانِ خيرٌ من عصفورٍ وراءَ القضبان .

الظرفان : فوق ، ووراء . يحدد مكان العصفور ، ولايمكن تعليقهما به ، لأن لفظ (عصفور) ليس بفعل ولا من أشباه الفعل ، وعلى هذا يكون التعليق بمحذوف ، ولما كان (عصفور) مبتدأ ذكر خبره وهو (خير) فلا حاجة بالكلام إلى تقدير خبر ، ولكن (عصفور) نكرة ، والنكرة بحاجة إلى صفة ، ولهذا يكون عامل الظرف المحذوف هو الصفة المقدرة ، والتقدير : عصفور موجودٌ فوق الأغصان خير من عصفور موجودٍ وراء القضبان . وكلما وقع الظرف بعد نكرة بحاجة إلى صفة قدر المعلق به صفة ، مثل : بطلٌ وَسْطَ المعركةِ خيرٌ من جبانٍ خلفَ الستائر . يافارساً بين الغبار تقدم . ومنه قوله تعالى : ﴿ رب إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غيرِ ذي زرع عندَ بيتك المحرم ﴾ (إبراهيم : ٣٧) .

٣ ـ هذا كتابُك فوقَ الطاولة .

الظرف (فوق) هنا يحدد مكان (كتابك) ، وكتابك : معرفة لانكرة ، وأشباه الجمل كالجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال ، إذا لم تكن المعرفة أو النكرة بحاجة إلى خبر أو صلة موصول ولهذا يعلق الظرف (فوقَ) بحالٍ محذوفةً من (كتابك) ، وتقدير الكلام : هذا كتابك موجوداً فوقَ الطاولة . وتقول : هذا قلمك إِزاءَ كتابِك . وتلك الكرةُ عندَ باب الحديقة . فهاهم الأطفالُ أولاءِ حولَ أبيهم .

٤ ـ عرفتُ الذي معك .

الظرف (مع) هنا يحدد مكان (الذي) ، ولايمكن تعليقه به ، ولما كان (الذي) اسماً موصولاً يحتاج إلى صلة موصول كان لابد من تقدير فعلٍ يدل على الوجود أو الكون العام ، ولهذا يعلق الظرف (مع) بالفعل : استقرَّ ، وأصل الجملة : عرفتُ الذي استقرَّ معك . ومثله : قوله تعالى : ﴿ يعلمُ مابين أيديهم وما خلفهم ﴾ (البقرة : ٢٥٥) وقوله : ﴿ ماعندكم ينفذ وماعند الله باقٍ ﴾ (النحل : ٩٦) .

* ويحذف العامل وجوباً أيضاً في باب الاشتغال ، مثل : يومَ الخميس عملتُ فيه . والأصل : عملتُ يومَ الخميس عملت فيه . ولكن وجب حذف (عملت) الأول لتفسيره بالفعل (عملت) الثاني . فبقي الظرف (يومَ) من دون عامل ظاهرٍ لوجوب حذفه ومثل ذلك : يوم الجمعةِ استرحتُ فيه . ويومَ السبتِ زرتُ فيه أبي[1] .

ح ـ إعراب الظرف وبناؤه :

وليست الظروف كلها سواءً في الظاهرة الإعرابية ، وفي استجابتها لتأثير العامل فيها ، فهي ثلاثة أقسام : ظرف معرب كغيره من الأسماء المتمكنة ،

(١) هناك عبارة قديمة يذكرها النحاة هي : حينئذٍ ، الآن . ويجعلون حذف عاملي الظرفين : حين ، والآن ، محذوفين وجوباً ، والتقدير : حدث ذلك حينئذٍ . واسمع الآن . ولما كانت هذه العبارة مما انقرض من الأساليب أمكن الاستغناء عن ذكرها . ولكن يمكن القياس عليها اليوم في لغة القصص والمسرحيات .

وظرف مبني لأنه غير متمكن ، وظرف يعرب مرة ويبنى مرة بحسب طبيعة التركيب الذي يدخل فيه .

١ ـ الظرف المعرب :

عرفت في قسم البناء والإعراب الفرق بين الاسم المعرب والاسم المبني ، وسوف تكون هذه الفقرة ممارسةً للقواعد التي مرت بك هناك . فالظروف المعربة نفسها قسمان : ظرف معرب إعراباً تاماً ، وظرف ناقص الإعراب لأنه ممنوع من الصرف . أما النوع الأول فمثل : صباح وضحى ، ومساء ، وظهر ، وليل ، ويوم ، ونهار ، وحين ، ومدة ، وعندَ ، وبدلَ ، وزمن ، وإزاءَ ، ونحو ، وحولَ ، وَوسْطَ ، وأمثالها . فهذه الظروف تقع منصوبة منونة إلا إذا أضيفت ، فحينئذٍ يسقط التنوين للإضافة لا للبناء . تقول : أميل إلى السيرِ ليلاً إزاءَ البحر . وأعملُ يوماً وأرتاح يوماً . إني لألقاك حيناً بعدَ حينٍ . الخ . . .

أما الظروف الممنوعة من الصرف فهي : سحرَ ، وعشيةَ ، وغُدوة ، وبُكْرَةَ ، وضَحْوة ، وعَتَمَةَ .

أما « سَحَرَ » فتمنع من الصرف للعلمية والعَدْل ، وذلك إذا قصد بها تسمية زمن خاصٍ ، تقول : أجيئُك اليومَ سَحَرَ . والأصل : أجيئك اليومَ في السحرِ ، فعدل عن ذلك إلى (سحَرَ) فهي معرفة رغم تجردها من أل والاضافة .

وأما الباقيات من الظروف فقد منعت من الصرف للعلمية والتأنيث ، تقول : لقيتُك أمس غدوةَ ، أو بُكرةَ ، أو عشيةَ ، أو عتمةَ(١) . وتقول أيضاً : سهرتُ البارحةَ إلىَ غُدْوَةَ أو بُكرةَ(٢) .

٢ ـ الظرف المبني :

والظرف المبني أنواع من حيث بناؤه ، فمنه ماهو مبني على السكون ، مثل : إذا ، وإذ ، ومذْ ، ولما ، ولدنْ ، ولدى ، وهنا ، وأنّى ، وبينا . ومنه

---

(١) العتمة : الثلث الأول من الليل .

(٢) ومن هذه الظروف (أمس) في لهجة تميم .

مابني على الفتح مثل : أينَ ، وأيانَ ، والآنَ ، وريْثَ ، وثَمَّ ، وثَمَّةَ ، وماركب تركيباً مزجياً مثل : صباحَ مساءَ ، ويومَ يومَ ، وبينَ بينَ . ومنه مابني على الضم مثل : منذُ ، وقَدُّ ، وعَوْضُ[1] ، وحيثُ .

تقول : اجلس حيثُ ينتهي بك المجلس . وما رأيتُه منذُ افترقنا . وقال الشاعر :

ما جئتُهُ قَطُّ أبغي عنده فَرَجاً إلا انقلبتُ بيأسٍ حين أنقلبُ

وتقول : لن نتفرقَ عوضُ .

٣ ـ الظرف الذي يعرب ويبنى :

هذه الظروف ثلاثة أقسام : الغايات ، والمبهمات ، وأمس . أما الغايات فمنها : قبل ، وبعد ، وأول ، ووراء ، وأمام ، وفوق ، وتحت ، وعل . وهي تبنى على الضم إذا قطعت عن الإضافة لفظاً ، وبقي المضاف إليه منوياً ، مثل : ﴿ آلآنَ وقد عصيتَ قَبْلُ وكنتَ من المفسدين ﴾ (يونس : ٩١) فالظرف (قبل) مبني على الضم في محل نصب . وسبب ذلك أن المضاف إليه محذوف لفظاً ، ومُرادٌ معنىً ، إذ إنَّ معنى الجملة : آلآنَ تؤمنُ وقد عصيتَ قبلَ ذلك . فإذا أعدتَ المضاف إليه إلى اللفظ أُعرب الظرف وانتصب . ومثل ذلك : ﴿ حتى إذا أثخنتموهم فشُدُّوا الوَثاقَ فإمّا مناً بعدُ وإما فِداءً ﴾ (محمد : ٤) كذلك بني الظرف (بعد) هنا على الضم لأن وراءه مضافاً إلى محذوفاً في اللفظ دون المعنى ، والتقدير : فإما مناً بعدَ شدِّ الوثاقِ وإما فداءً . وهكذا تقول أيضاً : مَنْ يدخلُ أولُ ؟ ومن يقف أمامُ ؟ وماذا ترى فوقُ وتحتُ ؟ . وجميع هذه الغايات تعربُ إذا ذكر المضاف إليه ، أو كان معناه غير مُراد ، كقول الشاعر :

وساغَ لي الشرابُ وكنتُ قبلاً أكاد أَغَصُّ بالماءِ الفراتِ

وأما المبهمات فمنها : حين ، ودونَ ، وبين ، ويومَ ، ومدة ، ووقتَ ، وزمنَ ، فإذا أضيفت إلى جملة ، ولاسيما إذا كانت جملة فعلية فعلها

---

(١) وقد تبنى على الفتح أو على الكسر في لهجات عربية .

ماض أو أضيفت إلى اسم مبني ، بنيتِ على الفتح جوازاً لا وجوباً ، مثل : نمتُ حينَ نمتَ . فالأحسن في مثل هذا التركيب أن تقول في إعراب (حين) : ظرف زمان مبني على الفتح في محل نصب . وكذلك يحسن أن تفعل في إعراب هذه الظروف في مثل : جئتُ يومَ جئتَ . وقف دونَ ذلك . وسرت بينَهما . ولك أن تقول : إنها معربة ، لأن الإعراب جائز لا واجب .

وأما (أمس) فتبنى على الكسر إذا أريد بها اليوم الذي يسبق اليوم الذي نحن فيه ، ويشترَط ألا تكون معرفة بأل ، تقول : جئتُ أمسِ . فأمس : ظرف زمان مبني على الكسر في محل نصب . فإن لم يُرَدْ منه زمن معين في الماضي ، أو عرف بأل ، أُعربَ[1] . وقد يبنى على الكسر في سياقٍ لايدل فيه دلالة واضحة على اليوم الذي يسبق يومك الذي أنت فيه ، وذلك كما ترى في قول زياد الأعجم :

رأيتُـكَ أمسِ خيـرَ بني مَعـدٍّ وأنت اليومَ خيرٌ منكَ أمسِ

طـ ـ ماينوب عن الظرف :

رأينا من قبل أن الظرف ينبغي أن تكون دلالته الذاتية مكاناً ، أو زماناً ، إلا أن التركيب قد يقيم مقام الظرف مايخلو من الدلالة على الزمان أوالمكان ، وقد تبين من استقراء النصوص أن هناك ستة أشياء تنوب في التركيب عن الظرف ، هي :

١ ـ ما يضاف إلى الظرف :

من ذلك : كل ، وبعض ، وغير ، وجميع ، وعامة ، وذات ، وذا ، ووجه ، وأول ، وآخر ، ونصف ، وثلث ، وأمثال ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ واقعدوا لهم كلَّ مرصد ﴾ (التوبة : ٥) وقوله : ﴿ ويومَ تقومُ الساعةُ يقسم المجرمون مالبثوا غيرَ ساعة ﴾ (الروم : ٥٥) وقوله . ﴿ آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وَجْهَ النهارِ ، واكفروا آخره ﴾ (آل عمران : ٧٢) وقوله :

---

(١) جاء مبنيّاً مع تعريفه في بعض الشواهد ، كقول الشاعر :

وإنـي وقفـتُ اليـومَ والأمـسِ قبلـه ببابك حتى كادت الشمسُ تغربُ

﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمالِ ﴾ (الكهف : ١٨) وتقول : مشيت بعضَ النهار ، وسهرتُ معظمَ الليلِ أو عامةَ الليل أو كلَّهُ .

٢ ـ صفة الظرف :

وكثيراً مايحذف الموصوفُ وتحل صفته محله ، فإذا وقع الظرف في الكلام موصوفاً جاز أن يُحذف من الكلام و أن تنوب عنه صفته ، لاحظ الجملتين التاليتين :

١ ـ قعدتُ عندَكَ زمناً طويلاً .

٢ ـ قعدتُ عندك طويلاً .

لعلك لاحظت أن (طويلاً) كانت صفة للزمن في الجملة الأولى ، ثم صارت نائباً عن الظرف في الجملة الثانية . ولاحظ أيضاً هاتين الجملتين :

١ ـ قعدتُ مكاناً شرقيَّ المنزلِ .

٢ ـ قعدتُ شرقيَّ المنزل .

ومن هذا قول جرير :

أقامَ قليلاً ثم باحَ بحاجةٍ إلينا ودمع العين بالماء واشلُ

وقول الأعشى :

فشك غير طويلٍ ثم قال له اقتل أسيرك إني مانعٌ جاري

والتقدير في البيتين : أقام زمناً قليلاً . فشك زمناً غيرَ طويل .

٣ ـ الإشارة إلى الظروف :

وينوب اسم الإشارة عن الظرف حين يقع الظرف نفسه بدلاً منه ، تقول : أقمتُ هذه السنةَ في أوربا . واستمتعت هذه الساعةَ بقراءة بحثٍ لطيف . وسوف أسافرُ هذا العامَ إلى لندن .

٤ ـ العدد :

وذلك حين يكون الظرف معدوده ، وذلك بأن يُجر بالإضافة إليه ، أو ينصب على أنه تمييز للعدد ، كقوله : ﴿ فإنها محرَّمة عليهم أربعينَ سنةً ﴾ (المائدة : ٢٦) وقوله : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألفَ

سنةٍ ﴾ (العنكبوت : ١٤) وتقول : عاش أبي مئةَ سنةٍ . وعاش عمي ثمانين عاماً .

٥ ـ المصدر :

وتكثر نيابةُ المصدر عن ظرف الزمان ، وتقل نيابته عن ظرف المكان ، ولابد هنا من أن يكون المصدر متضمناً معنى الظرف . كقولك : خرجتِ من بيتي شُروقَ الشمس . والأصل : وقتَ شروقِ الشمس . ثم حذف المضاف وحل محله المضافَ إليه ، ومثل ذلك قولك : ألقاكَ منصرَفَنا من الجامعة . أي : وقت انصرافنا . وتقول : أنامُ خفوقَ النجم . ومنه قوله تعالى : ﴿ ومن الليل فسبحه وإدبارَ النجوم ﴾ (الطور : ٤٩) أيَ : وقتَ إدبار النجوم . ومنه قول شاعر من بني أسد يخاطب البرق :

لمعتَ اغتذاءَ الطيرِ والقومُ هُجَّعٌ   فهيَّجـتَ أسقـامـاً وأنـت سليـمُ

أي : لمعتَ وقتَ اغتذاء الطير .

وكثيراً مايكون المصدر النائب عن الظرف مؤولاً من « ما » المصدرية الزمانية ومايقع بعدها من الأفعال ، مثل : سأذكر ولدي ماحنتِ امرأةٌ إلى ولدها الغائب . والتقدير : سأذكر ولدي حنينَ امرأةٍ إلى ولدها . فالمصدر المؤول في محل نصب ، نائب عن ظرف الزمان . والأصل : مدةَ حنينِ امرأةٍ . . .

وقد يحدد المصدر الزمن الذي ينوب عنه ، كما رأيت في معظم الأمثلة السابقة ، وقد يبين مقداره ، تقول مثلاً : مكثت عنده غمضة عين . ومشيتُ في الطريق صلاة ركعتين . وانتظرتُهُ نَحْرَ شاةٍ . وقد يحدد مكانه مثل : قعدتُ قربَ النافذة .

٦ ـ ألفاظ مسموعة :

وهذه قليلة ، جعلها النحاة نائبة عن ظروف الزمان لأنها تتضمن معنى (في) كالكلمات : حقاً ، وغيرَ ، في (غيرَ شك) و (جَهْدَ) في (جَهْدَ رأي) . قال عبد يغوث :

أحقـاً عبـادَ الله أن لسـتُ سـامعـاً   نشيـدَ الـرِعـاءِ المعـزِبيـنَ المتـاليـا

وقول عون بن عبد الله الهذلي :

وأول مـــانفـــارق غيـــرَ شـــكٍ   نفـــارقُ مـــايقـــول المـــرجئـــونـــا

وتقول : غيرَ شك أنني سألاقيك . وجَهْدَ رأيي أنه سيأتي . إذ التقدير : أفي حَقٍّ أني لست سامعاً . وفي غيرِ شك ، وفي جهد رأيي .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ إنما النسيءُ زيادةٌ في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ﴾ (التوبة : ٣٧) .

٢ ـ ﴿ أو تكون لك جنة من نخيلٍ وعنب ، فتُفَجِّرَ الأنهارَ خلالَها تفجيراً ﴾ (الإسراء : ٩١) .

٣ ـ ﴿ فتلك مساكنُهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلاً ﴾ (القصص : ٥٨) .

٤ ـ ﴿ فإذا انسلخ الأشهرُ الحرمُ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ (التوبة : ٥) .

٥ ـ ﴿ قال : إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تَأْجُرَني ثماني حجج ﴾ (القصص : ٢٨) .

٦ ـ قال الأحوص :

وإن بني حرب كما قد علمتمُ   مَناطَ الثريا قد تعلَّتْ نجومُها

٧ ـ قال أبو فراس الحمداني :

باتت تقلبه الأكفُّ (م)   سحـــابـــةَ الليـــلِ الطـــويـــلِ

٨ ـ قال ابن الدمينة :

لكِ الله إني واصلٌ ماوصلتني   ومُثْـنٍ بمـــا أوليتنـــي ومثيـــبُ

٩ ـ وقال كثير عزة :

كـــأنهـــمُ قَصْـــراً مصـــابيـــحُ راهـــبٍ   بَمـــوْزَنَ روّى بـــالسليـــط ذُبـــالَهـــا[1]

(١) قصراً : عشياً . يقال : جئتُك قصراً ، وسافر أبي قصراً .

المفعول لأجله[1]

آ ـ ماهو وما وظيفته ؟ :

المفعول لأجله أسلوب من أساليب التعليل الكثيرة في اللغة العربية ، فإذا قلت : جئتكُ اليومَ رغبةً في الاستماع إليك . كان قولك (رغبةً) مبنياً لسبب المجيء ومعللاً له .

على أن الأصل في التعليل أن يكون بحرف من حروف الجر ، كما هي الحال في اللغات الأخرى ، وحروف الجر التي تفيد التعليل كثيرة ، هي : اللام ، والباء ، ومن ، وفي ، وعلى ، والكاف . مثال ذلك : يؤُمُّ الناسُ الشواطئَ للاستجمام . لم يقْوَ أخي على الكلام من شدةِ انفعاله .

إلا أن اللغة العربية تضيف إلى هذا الأسلوب الشائع في اللغات الأخرى أسلوباً آخر ربما كانت تنفرد به ، هوالتعبير عن علة وقوع الحدث بالمصدر[2] ، ولكن تشترط فيه أن يكون متحداً مع الحدث في شيئين : في الفاعل ، وفي الزمان . وتوضيح ذلك في العبارة التالية :

ـ خرج الناسُ من ديارهم حذَر الموت .

تتألف هذه الجملة من الحدث : خرجَ ، وفاعله (الناسُ) ، ومن المصدر (حذرَ) الذي يبين سبب وقوع الحدث . ومن جار ومجرور ، ومضاف إليه . وحين تعود لتنظر في الحدث والمصدر تجد أن فاعل الخروج وفاعل الحذر ، واحد ، هو الناس ، فهم الذين خرجوا وهم الذين حذروا الموت ، وتجد أيضاً أنهما وقعا في زمن واحد ، فالحذر كان يملأ نفوسهم وقت الخروج من ديارهم .

---

(١) يقال له : المفعول من أجله . والمفعول له . وينكر بعض النحاة هذا الباب . فيرده بعضهم إلى المفعول المطلق المبين للنوع .، ويرده آخرون إلى الحال .

(٢) ذكر سيبويه أن المفعول لأجله ينتصب على إسقاط حرف الجر المفيد للتعليل . انظر : الكتاب : ١/ ٣٦٩ .

ومن هنا يعرفِ المفعول لأجله بأنه مَصْدر منصوب يعلل حدثاً مّا ويتحد معه في الفاعل والزمان .

ويغلب عليه أن يكون مصدراً قلْبياً لاعلاجياً ، كالمصادر : رغبة ، حذر ، خشية ، ندم ، خوف ، قصد ، مخافة ، حرص ، رحمة ، طمع ، ابتغاء ، إرادة ، طلب ، اطمئنان ، جبن ، الخ . . . فإذا لم يكن قلبياً جُرّ بحرف الجر غالباً ، تقول : أذهب إلى النادي للسباحة ، ويهاجر الناس لجمع المال ، ونعبِّدُ الطُرُقَ لسيرِ السياراتِ . ويجوز أن يكون غير قلبي على قلة ، تقول : ضربتُ المذنبَ تأديباً له ، وفعلتُ ذلك إصلاحاً لسلوكه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي[1] . . . ﴾ (الممتحنة : ١) ولكن لايكاد الناس يقولون : جئتك قراءةً للعلم ، أو : خضت المعركة قتلاً للأعداء .

ب ـ شكل المفعول لأجله :

يأتي المفعول لأجله على ثلاثة أشكال ، هي :

١ ـ أن يكون مجرداً من (أل) والإضافة :

وهذا هو الكثير ، ويغلب عليه أن يكون منصوباً ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾ (السجدة : ١٦) وفي قول الحارث بن هشام :

فصفحتُ عنهم والأحبةُ فيهمُ   طمعاً لهم بعقاب يومٍ سَرْمَدِ

وقد يجر باللام جوازاً على قلة ، وفي هذه الحال لايعرب مفعولاً لأجله بل جاراً ومجروراً[2] ، كقول تأبط شراً :

(١) يرجح أن يكون هذا على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، إذ الأصل ـ فيما أرى ـ : ضربته بغيةَ تأديبٍ له ، وفعلتُ ذلك إرادةَ إصلاحٍ لسلوكه ، وخرجتم إرادة جهادٍ في سبيلي .

(٢) يرى بعضهم أن الجار والمجرور في محل نصب ، مفعول لأجله . انظر : ابن يعيش : ١/٥٣ وشرح الفريد : ٢٦٨ .

لتَقْـرَعِـنَّ علـيَّ السِـنَّ مـن نَـدَمٍ   إذا تـذكـرتِ يـومـاً بعـض أخـلاقـي

أي : لتقرعن السن ندماً . ومثله قول الراجز :

من أمَّكمْ لرغبةٍ فيكم جُبِرْ   ومن تكونوا ناصريه ينتصِرْ

أي : من أمكم رغبةً فيكم . . .

٢ ـ أن يكون مضافاً :

ويكثر مجيء المفعول لأجله مضافاً في القرآن والشعر ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاق﴾ (الإسراء : ٣١) وقوله : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاةِ الله ﴾ (البقرة : ٢٠٧) وكقول حاتم الطائي :

وأغفـر عـوراءَ الكـريـم ادخـارَهُ   وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقول الآخر :

كريمٌ يغضُّ الطرفَ فضلَ حيائِهِ   ويـدنـو وأطـرافُ الـرمـاحِ دَوانِ

ويجيء في هذه الحال مجروراً بحرف جر بالقدر الذي يجيء فيه منصوباً ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وإن منها لما يهبط من خشيةِ الله ﴾ (البقرة : ٧٤) ، وقوله : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشيةِ الله ﴾ (الحشر : ٢١) وقال أبو فراس :

أبيـتُ معنّـىً مـن مخـافـةِ عَتْبـه   وأصبح محزوناً وأمسي مُروَّعا

٣ ـ أن يكون معرفاً بـ (أل) :

ويأتي المفعول لأجله معرفاً بأل ، وهذا قليل ، من ذلك قول قريط بن أنيف :

فليـت لـي بهـمُ قـومـاً إذا ركبـوا   شدوا الإغارةَ فرساناً وركبانا

أي : شَدُّوا للإغارةَ . والشد : الإسراع . ومن ذلك قول الراجزْ :

لا أقعـدُ الجبـنَ عـن الهيجـاءِ   ولـو تـوالـتْ زُمَـرُ الأعـداءِ

أي : لا أقعد عن الهيجاء للجبنِ .

على أنه في هذه الحال يكثر جره بحرف جر للتعليل ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ واخفض لهما جناحَ الذل من الرحمةِ ﴾ (الإسراء : ٢٤) أي :

رحمةً لهما . ويعرب في هذه الحال ـ كما قلنا من قبل ـ جاراً ومجروراً ، لامفعولاً لأجله ، ولايقدر الجار والمجرور في موضع نصب ، خلافاً لما جاء في بعض كتب النحو ، إذ ليس كل تعليل مفعولاً لأجله .

ج ـ التعليل بالجار والمجرور :

مرّ بنا سابقاً أن التعليل يكون عادة بحرف الجر ، ولكن العربية استخدمت أسلوباً آخر فيه هوالمصدر المنصوب ، وكان ذلك في حدودٍ هي إلى الضيق أقربُ منها إلى السعة ، إذ يجب أن يكون المصدرُ متحداً مع الحدث العامل فيه في الفاعل والزمان ، فإذا اختل شرط من ذلك عادت العربية حينئذٍ إلى التعليل بحرف الجر ، وذلك كما ترى في الفقرات التالية :

١ ـ اختلال شرط المصدرية :

قد تكون علة التعليل شيئاً مادياً ، أو ما تعبر عنه كلمة ليست بمصدر كالأنام ، في قوله تعالى : ﴿ والأرضَ وضعها للأنام ﴾ (الرحمن : ١٠) أي : من أجلهم . وكالهِرة في قول الرسول ﷺ : « دخلت امرأةٌ النارَ في هرةٍ حبستها . . . » أي : كانت الهرة سبب دخولها النار . وفي هذه الحال يجب استخدام حرف الجر لإفادة التعليل ، ولايمكن النصب ، لأن النصب وقفٌ على المصدر في هذا الأسلوب التعليلي . ومثل ذلك ماتراه في قول المقنع الكندي :

يعاتبني في الدَّين قومي وإنما ديوني في أشياءَ تكسبهم حمداً
وفي جفنةٍ مايُغْلق البابُ دونها مكللةٍ لحماً مدفقةٍ ثَرْدا

فأشياء ، وجفنة ، ليسا بمصدرين ، ولذلك جرا بحرف الجر (في) الذي يفيد التعليل . والتقدير : دُيونيَ حاصلة بسبب أشياء . . . وجفنة . . . ومثل ذلك قول امرىء القيس :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفاني ـ ولم أطلبْ ـ قليلٌ من المالِ

فقوله : أدنى . اسم تفضيل لامصدر ، ولذلك جر باللام التعليلية[1] .

---

(١) إذا جاء المصدر مؤولاً جُر بحرف جر ظاهر ، مثل : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم ﴾ . (الرعد : ٢٤) ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ . (الكهف : ٧٣) =

ويجر وجوباً أيضاً إذا كان الاسم المعلَّل للحدث ضميرَ المصدر لا المصدر نفسه ، مثل : رجاؤُكَ جئتُ له .

٢ ـ اختلال الاتحاد في الفاعل :

وقد يكون فاعل المصدر المعلِل غير فاعل الحدث ، وفي هذه الحال لاينصب بل يجر بحرف جر ، تقول : أحببتُ صديقَكَ لمحبتِك له . ففاعل الحدث هنا هوالمتكلم ، أي التاء من (أحببتُ) ، وفاعل المصدر هو المخاطب ، فلما اختلفا جُرَّ باللام . وتقول قياساً على هذا : سأقرأ معك البحث لرغبتك في ذلك . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيباتٍ أحلت لهم ﴾ (النساء : ١٦٠) وقوله : ﴿ مماخطيئاتِهم أغرقوا ﴾ (نوح : ٢٥) وقوله : فبما رحمةٍ من الله لنتَ لهم ﴾ (آل عمران : ١٥٩) وهذا كثير .

إلا أن بعض النحاة أجازوا النصب مع عدم الاتحاد في الفاعل ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ هو الذي يريكم البرقَ خوفاً وطمعاً ﴾ (الرعد : ١٢) فإن فاعل الحدث (يريكم) هو الله ، أما فاعل الخوف فهو المخاطبون من الناس ، ومع ذلك نصب المصدر ، ولم يجر بحرف جر . واحتج آخرون بقوله : ﴿ هذا يومٌ ينفعُ الصادقينَ صِدْقَهم ﴾ (المائدة : ١١٩) بنصب المصدر (صدقهم) ، والتقدير : لصدقهم . واحتج فريق آخر بقول علي بن أبي طالب يتحدث عن إبليس : « فأعطاهُ الله النَظِرة استحقاقاً للسخط ، واستتماماً للبلية » . وعلى الرغم من وضوح هذه الشواهد تأوّلها نحاة آخرون ليجعلوها ضمن القاعدة التي استنتجت من نصوص كثيرة جداً .

= وتقول : أحببته لأنه مخلص . أو جر بحرف جر مقدر مثل : أعجبني هذا البحث أنه ذو شمول . أي : لأنه ذو شمول . وقد أجاز بعض النحاة أن يكون الأخير منصوباً بنزع الخافض ، كما أجاز سيبويه أن يكون النصب لأنه مفعول لأجله . انظر : كتابه : ١/٣٩٠ . وانظر أيضاً : همع الهوامع : ١/١٩٥ ، وشرح الأشموني : ٢/٩١ ، وشرح الفريد : ٢٦٩ .

٣ ـ اختلال الاتحاد في الزمان :

وقد يكون زمن الحدث غير زمن المصدر المعلل ، وفي هذه الحال لايجوز النصب ، بل يكون الجر وجوباً ، كقول امرىء القيس :

فجئتُ وقد نَضَّتْ لنوم ثيابها لدى السترِ إلاّ لِبْسَةَ المتفضِّلِ

فنَضْو الثياب ـ أي خلعُها ـ يكون قبل النوم لا في زمنه ، ومن هنا كان فاعل الحدث مختلفاً عن فاعل المصدر ، ولذلك وجب الجر بحرف الجر .

هذا ، وقد يكون في الجملة اختلال شرطين أو أكثر ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليمّ بأنهم كذبوا بآياتنا ﴾ (الأعراف : ١٣٦) فالحدث هنا هو (أغرقناهم) وقوله (أنهم كذبوا بآياتنا) هو علة الحدث ، وقد اختل في هذه الآية ثلاثة شروط هي :

ـ فاعل أغرقنا : الله . وفاعل التكذيب : الكافرون .

ـ زمن الإغراق بعد زمن التكذيب لا في وقته .

ـ اختل أيضاً شرط المصدرية إذ المعلل هنا مصدر مؤول لاصريح .

لهذا كله جر المصدر المؤول بالباء التعليلية . ومثل هذا قول الأعرج المينيّ :

تلومُ على أن أعطيَ الوَرْدَ لِقْحةً وماتستوي والوَرْدَ ساعةَ نفزعُ

إذ جاء المعلل مصدراً مؤولاً لاصريحاً (أن أعطيَ) ، وفاعل اللوم زوجُ الشاعر التي تلومه على سُقياه حصانه الوَرْدَ الحليبَ ، وفاعل الإعطاء الشاعر . ومثل ذلك أيضاً : ﴿ فأهلكناهم بذنوبهم ﴾ (الأنعام : ٦) فالذنب ليس مصدراً بل اسم ، وفاعل الذنب غير فاعل الإهلاك ، وزمناهمامختلفان أيضاً .

شواهد للتدريب

ـ ﴿أُدعوه خوفاً وطمعاً ، إن رحمة ربي قريب من المحسنين﴾[1] (الأعراف : ٥٦)

---

(١) يرى بعض النحاة أن (خوفاً) حال ، وليس ببعيد ، والمعنى الفرعي يختلف بذلك .

٢ ـ ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مَرضاةِ الله ، وتثبيتاً من أنفسهم ، كمثل جنة بربوة ﴾ (البقرة : ٢٦٥) .

٣ ـ قال مضرس المزني :

تهيّجني للوصلِ أيامنا الأُلى مـررنَ علينـا والـزمـانُ وريـقُ

٤ ـ مما ينسب إلى الفرزدق :

يغضي حياءً ويغضى من مهابته فمـا يكلّـم إلا حيـن يبتسـمُ

٥ ـ قال قيس بن الملوح :

فما أُشرِفُ الأيفاعَ إلا صبابةً ولا أنشدُ الأشعارَ إلا تداوياً

٦ ـ قال جعفر بن علبة :

فلا تحسبي أني تخشعتُ بعدكم لشيء ولا أني من الموت أفرقُ

ولكـن عـرتنـي مـن هـواكِ صبـابـةٌ كما كنتُ ألقى منك إذ أنا مطلق

٧ ـ قال أبو صخر الهذلي :

وإنــي لتعــرونــي لــذكــراكِ هِــزَّةٌ كمـا انتفـض العصفـورُ بللـه القطـرُ

☆ ☆ ☆

المفعول المطلق

آ ـ ماهو ؟ :

هو مصدر منصوب يعمل فيه فعل أو شبهه وغالباً مايذكر معه ويكون من لفظه ، وهو كثير الاستعمال في الكلام : شعره ونثره ، من ذلك ماجاء في قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل : ينسفها ربي نسفاً ﴾ (طه : ١٠٥) فقوله : نسفاً . مصدر ، لأنه يدل على الحدث[١] ، وقد ذكر معه عامله ، وهوالفعل المضارع (ينسف) ، وهو ـ كما ترى ـ من لفظه نفسه . ومثله قوله : ﴿ يابني ، لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ﴾ (يوسف : ٥) وقول أبي فراس :

دعِ العبراتِ تنهمر انهماراً ونارَ الشوقِ تستعرُ استعارا[٢]

ب ـ العامل فيه :

يعمل في المفعول المطلق مايلي :

١ ـ الفعل :

ويشترط فيه أن يكون تاماً متصرفاً ، إذ لاتعمل فيه الأفعال الناقصة ، ولا الأفعال الجامدة ، فلا يقال : كان أخي كريماً كوناً . ولا : أصبح الضعيفُ قوياً إصباحاً . والأفعال الجامدة لا مصادر لها أصلاً حتى يكون لها مفعول مطلق . ومن هنا يقتصر العمل في هذا المصدر المنصوب على الفعل التام المتصرف ، كالفعل (بَدَّل) في قوله : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من

(١) تحدثنا عن المصدر بتفصيل في قسم الصرف .

(٢) يرى النحاة أن المفعول المطلق هو المفعول الحقيقي للفاعل ، فإذا قلت : ضرب زيدٌ المذنبَ ضرباً مبرحاً . فإن (زيداً) ـ وهو الفاعل ـ صنع الضرب ، ولكنه لم يوجد (المذنبَ) ، بل أحدث فعل الضرب به . ولهذا لا يكون (المذنب) مفعولاً للفاعل ، كما كان الضرب مفعولاً له .

ينتظر ، ومابدّلوا تبديلاً ﴾ (الأحزاب : ٢٣) ، والفعلين : مات ، وتقومُ ، في بيت أبي تمام :

فتىً مات بين الطعنِ والضربِ ميتةً تقومُ مقامَ النصرِ إن فاته النصرُ

٢ ـ المصدر :

ويعمل المصدر أيضاً في المفعول المطلق ، وفي هذه الحال يغلب أن يكون العاملُ والمعمول من لفظ واحد ، ومعنى واحد أيضاً ، كقولك : « من صفات المرأة الجيدة أن تكون قادرةً على تربيةِ أبنائها تربيةً سليمة » فقولك : تربيةً ، هو المفعول المطلق المعمول فيه ، وقولك : تربية . هو المصدر العامل . وتقول أيضاً : « وقوعُ الجملة في سياق النص وقوعاً صحيحاً يعد من أسباب الفصاحة » وقال عروة بن حزام :

فويلي على عفراءَ ويلاً كأنه على الكِبْدِ والأحشاءِ حَدُّ سِنانِ

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ قال : اذهب ، فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً ﴾ (الإسراء : ٦٢) .

٣ ـ المشتقات :

ويعمل في المفعول المطلق الأسماء المشتقة التي تعمل عمل أفعالها ماخلا اسم التفضيل ، وأكثرها عملاً فيه اسم الفاعل ، وذلك كما ترى من عمل (كادح) في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الإنسانُ إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً فملاقيه ﴾ (الانشقاق : ٦) وعمل (معذِّب) في قوله : ﴿ لمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ﴾ (الأعراف : ١٦٤) ، وعمل (ماشية) في قول سحيم :

وماشيةٍ مشيَ القَطاةِ اتبعتُها من السترِ تخشى أهلها أن تَكَلَّما

وتقول في عمل اسم المفعول : جاؤوا به محمولاً على الأيدي حملاً . وإنك لمشكورٌ شكراً تستحقه . وتقول في عمل الصفة المشبهة : إنه قديمٌ قِدَمَ الإنسان . وأراكَ فَرِحاً فَرَحاً غامراً ، وقال النابغة الجعدي :

وأراني طرِباً في إثرِهم طَرَبَ الوالهِ أو كالمختبَلْ

ج ـ أشكاله :

يغلب على المفعول المطلق أن يكون مصدراً صريحاً ، وقد تنوب عنه أشياء سوف نتحدث عنها في فقرة تالية ، وسنكتفي هنا بالحديث عن أشكال هذا المصدر الصريح ، فقد يكون نكرة مجردة من أل والإضافة كما في قوله : ﴿ قلتم : ماندري ماالساعةُ ، إن نظن إلا ظناً ، ومانحن بمستيقنين ﴾ (الدخان : ٣٢) وقد يكون معرفاً بأداة التعريف « أل » ، كقوله : ﴿ فيعذبه الله العذابَ الأكبرَ ﴾ (الغاشية : ٢٤) ، وقد يكون مضافاً ، مثل : ﴿ وقد مكروا مكرَهم ، وعند الله مكرهم ﴾ (إبراهيم : ٤٦) وقوله : ﴿ ومن أراد الآخرةَ وسعى لها سعيَها ﴾ (الإسراء : ١٩) ، ومن النادر مجيئه مجروراً بـ « رُبَّ » ، كقول الشاعر :

ألـم تعلمَـنْ يـارَبِّ أَنْ رُبَّ دعـوةٍ   دعـوتُـك فيهـا مخلِصـاً لـو أُجـابُهـا

د ـ وظائف المفعول المطلق :

وللمفعول المطلق في الكلام وظائف دلالية على شيءٍ غير قليل من الأهمية ، وهي تنحصر في أربعة :

١ ـ التأكيد المجرد :

التأكيد معنى عام في المفعول المطلق ، ولكنه قد يختلط بمعنى آخر ، كما سوف نرى ، وقد يكون تأكيداً مجرداً غير مشوب بشيء. وفي هذه الحال يكون المفعول المطلق مبهماً لايعني غير التوكيد ، ولذلك لايثنى ولايجمع ، لأن في التثنية والجمع معنى إضافياً هو العدد ، ولايوصف ولايضاف ، لأن في الوصف والإضافة معنى التخصيص والنوع . وخير مايوضح معنى التوكيد المجرد قوله تعالى : ﴿ وكلَّمَ الله موسى تكليماً ﴾ (النساء : ١٦٤) فالمفعول المطلق (تكليماً) قام هنا بوظيفة دلالية بالغة الأهمية ، فلولا هو لظن كثير من الناس أن تكليم الله لموسى لم يكن حقيقة بل كان بالوحي ، أو بوساطةٍ أخرى من وسائطه ، ومن هنا كان ذكر المفعول المطلق بعد الفعل قاطعاً بأن الكلام حقيقة لامجاز . ومثل هذا قوله : « ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً »

(نوح : ١٨) فالمصدر (إخراجاً) إنما ذكر هنا توكيداً ، لأن حدث الإخراج من القبور شيء يستغرب به العقل البشري ، فكان توكيده بالمفعول المطلق مما يستدعيه المقام ، وهذا كثير .

٢ ـ التأكيد مع بيان النوع :

قلنا : إن المصدر الواقع مفعولاً مطلقاً يكون للتوكيد المجرد إذا كان مبهماً غير موصوف ولامضاف ، فإذا وصف أو أضيف صار له معنى آخر يطغى على معنى التوكيد أو يكاد ، هو « بيان النوع » ، انظر في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً ﴾ (التحريم : ٨) فـ (نصوحاً) صفة للمفعول المطلق : توبةً . وقد أضافت هذه الصفة معنى خاصاً ، هو تحديد نوع التوبة ، إذ هناك أنواع من التوبة : نصوح ، ظاهرية ، عميقة ، مخلصة ، الخ . . . ومن ذلك أيضاً قوله : ﴿ فتقبلها ربها بقَبولٍ حسنٍ ، وأنبتها نباتاً حسناً ﴾ (آل عمران : ٣٧) .

ويتضح بيان النوع في المفعول المطلق المضاف أكثر مما يتضح في الموصوف ، تقول : وقفتُ أمام الآثار العربية في الأندلس وِقْفَةَ الحائرِ المعجب . وتقول : اعطف على الفقير عطفَ الأخ على أخيه . وقال أشجع السُلَمي :

أحِنَّ إلى الحجاز وساكنيه   حنينَ الألفِ فارقه القرينُ

٣ ـ التأكيد مع بيان العدد :

وكما يطغى بيان النوع في موضع يطغى أيضاً بيان العدد في موضع آخر ، كما ترى في قول الشاعر :

وقد طابق الشيبُ الكتابَ فحرّمتْ   على فيكَ تحريميْنِ إن كنتَ مسلما

فقوله : تحريمين . يؤكد التحريم أولاً ، ثم يبين أنه اثنان لا واحد . ومثله قول الرسول ﷺ : « إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير فريضة » .

٤ ـ النيابة عن فعله :

وقد يستخدم المفعول المطلق نيابة عن فعله ، ولايؤدي من المعاني غير

ما يؤديه فعله ، فلو قلت لصاحبك : صبراً ، أو : مهلاً . فأنت لاتريد غير معنى الفعلين : اصبر ، وتمهّل . وإذا قلت له : لاكسلاً ولاتوانياً . أردت معنى الفعلين : لاتكسل ولاتتوان . وإذا قلت له : أخجلاً وأنت في سن الشباب . أردت : أتخجل وأنت كذلك . وفي هذه الحال لايكون للمفعول المطلق معنى التوكيد أو بيان النوع أو العدد ، بل لايكون له إلا معنى فعله .

هـ ـماينوب عن المصدر

الأصل في المفعول المطلق أن يكون مصدراً من لفظ العامل فيه ، إلاَّ أن هناك حالاتٍ لايكون فيهامصدراً ، وينوب عنه فيها مايلي :

١ ـ اسم المصدر :

وهو مادلَّ على معنى المصدر الأصيل ، وكان أقلَّ أحرفاً منه مثل : سلَّمتَ سلاماً . فـ « سلاماً » ليس مصدراً للفعل « سلم » لأن مصدره « تسليم » ومثل : أرضيته رضاً . إذ ناب « رضاً » وهو اسم مصدر ، عن « إرضاء » وهو المصدر الأصيل للفعل « أرضى » . ومنه قوله تعالى : ﴿ والله أنبتكمْ من الأرض نباتاً ﴾ (نوح : ١٧) ، فقد حلَّ فيه اسمُ المصدر « نباتاً » محلَّ المصدر « إنباتاً » ، ومنه أيضاً قول شقران مولى سَلامان يمدح قومه :

ثِقالُ الجِفانِ والحلومِ ، رحاهمُ رحى الماءِ يكتالون كيلا غَذَمْذما

أي : يكتالون اكتيالاً كثيراً بلا حساب .

٢ ـ مرادفه أو مقاربه :

تقول : نأى أخي بعداً ، وجاء قدوماً ، فالبعد مرادف للنأي ، والقدوم هنا مرادف للمجيء ، فبدلاً من أن يقال : نأى أخي نأياً ، قيل : بُعْداً . وتقول أيضاً : قعدتُ جلوساً ، فالجلوس مقارب للقعود لامرادف له ، لأن القعود يكون من قيام ، أما الجلوس فيكون من اتكاء ، ومن المقارب للمصدر قول الراجز :

يعجبه السَّخونُ والبَرودُ والتَمْرُ حبُاً ماله مَزيدُ

٣ ـ ملاقيه في الاشتقاق :

وهذا يختلف عن اسم المصدر ، لأنه قد يكون أكثر أحرفاً من المصدر الأصيل ، فالفعل « تَبَتَّلَ » مصدره « تبتُّل » ولذلك كان « تبتيلاً » في قوله تعالى : ﴿ وتبتَّلَ إليه تبتيلاً ﴾ (المزمل : ٨) ملاقياً للمصدر بالاشتقاق .

ومثله قول امرىء القيس :

فصِرنا إلى الحسنى ورقَّ كلامُنَا ورُضْتُ فذلتْ صعبةً أيَّ إذلالِ

فقد ناب « إذلال » مناب « ذُل »[١] .

٤ ـ صفته :

مثل أكلتُ كثيراً ، والأصل أكلت أكلاً كثيراً ، فلمَّا حذف المصدر نابت عنه صفته ، ومن هذا قولُ ذي الرمة :

تبسَّمَ إيماضَ الغمامةِ ، جَنَّها رواقٌ من الظلماءِ في منطقٍ نَزْرِ

والأصل : تبسَّمَ تبسُّماً مثل إيماضِ الغمامة . فحذف المصدر « تبسُّماً » ، فصارت صفته مفعولاً مطلقاً نيابةً عنه ، وصار الكلام : تبسَّمَ مثلَ إيماضِ الغمامة ، ثم حذف المضاف « مثلَ » وحلَّ محلّه المضافُ إليه ، وهذا كثيرٌ في العربية ، كقولك : اسألِ الجامعةَ . أي طلابَ الجامعةِ ، وسيمر بك هذا في بحث المضاف إليه .

٥ ـ كلّ ، وبعض ، وأي ، وحقّ :

إذا أضيفت إلى مصدر الفعل المذكور أو شبهه ، كقول المجنون :

وقَدْ يجمعُ الله الشتيتينِ بعدما يَظُنَّانِ كل الظنّ أن لا تلاقيا

وكبيت امرىء القيس السابق . . . أيَّ إذلالِ . وكقوله تعالى : ﴿ والذين آتيناهم الكتابَ يتلونَهُ حقَّ تلاوته ﴾ (البقرة : ١٢١) . ومنه : ﴿ ولاتبسطها كلَّ البسط ﴾ (الإسراء : ٢٩) ﴿ ومزقناهم كلَّ ممزَّق ﴾ (سبأ : ١٩) .

---

(١) يرى بعض النحاة أنّ «تبتيلاً » وأشباهه منصوب بفعل محذوف من لفظه .

٦ ـ نوعه :

كقولك : رجعَ القهقرى ، وقعدَ القرفصاءَ ، فالقهقرى ، ليست مصدر الفعل رجع ، ولكنها نابت عنه ، وبيَّنت نوعه ، وكذلك القرفصاءَ ، ومثل ذلك كلمة « الهوينى » في قول الأعشى :

غـرَّاءُ فـرعـاءُ مصقـولٌ عـوارضُهـا تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحِلُ

٧ ـ عدده :

مثل : ﴿ إن تستغفرْ لهم سبعينَ مرَّةً فلن يغفِرَ الله لهم ﴾ (التوبة : ٨٠) . وجئت إلى بيتك ثلاثاً .

٨ ـ آلته :

وهي التي يستعان بها على الحدث ، كقولك : رميتُهُ سهماً ، وضربته سوطاً ، وأصله : رميته رمياً بالسهمِ ، وضربته ضرباً بالسوط .

٩ ـ ضميرُه :

وذلك أنْ يعودَ الضمير إلى مصدرٍ أو اسم مصدرٍ متقدم عليه ، قدْ يكون مفعولاً مطلقاً في إعرابه ، كقوله تعالى : ﴿ فمن يكفرْ بعدُ منكم ، فإني أعذّبُه عذاباً لاأعذبه أحداً من العالمين ﴾ (المائدة : ١١٥) فالضمير في « لا أعذبه » يعود إلى اسم المصدر « عذاباً » . وهو من حيث الموقعُ الإعرابيُّ مفعولٌ مطلق ، ولكن انظر إلى قول مجنون ليلى :

وكم قائلٍ قد قالَ تُبْ ، فعصيتُهُ وتلـك لعَمَـري تـوبـةٌ لا أتـوبهـا

فالضمير في « لا أتوبها » يعود إلى « توبةٌ » ، وهي مصدرٌ وقع خبراً لاسم الإشارة ، ومع هذا يعربُ الضميرُ « ها » مفعولاً مطلقاً ، وكأنه قال : لا أتوبُ توبةً مثلها ، ومثله قول عبد الله بن همام السلولي :

وآب الهدى حقاً إلى مستقره بخيـر إيـابِ آبَـهُ ورجـوعِ

١٠ ـ الإشارة إليه :

مثل : أترفضُ هذا الرفضَ ؟ وتأبى ذاكَ الإباءَ ؟ فاسما الإشارة « هذا » و « ذاك » يشيران إلى مصدرين بعدهما ، والأصل : أترفضُ الرفضَ هذا ؟ وتأبى الإباءَ ذاك ؟

١١ ـ بعض أسماءِ الشرطِ والاستفهام :

فمن أسماء الشرط : ما ، مهما ، أي ، ومِن أسماءِ الاستفهام : ما ، أي . وذلك إذا دلَّت هذه الأسماء على حدث ، مثل : أيَّ عمل تعملْ تربح . ماتعملْ تربحْ . مهما تعملْ تربحْ . « ما » و « مهما » هنا معناهما كمعنى « أي » . وتقول مستفهماً : أيَّ ضربٍ ضربتَهُ ؟ أو ماضربتَهُ ؟ وكلاهما بمعنىً واحد .

و ـ حذف عامله :

النحاة متفقون على أنه يجوز حذف عامل المفعول المطلق غير المؤكد إذا دلَّ عليه دليلٌ ، فإذا قيل لك : أما نمتَ ؟ تقول : بلى ، نوماً هادئاً . أي : نمت نوماً هادئاً . كما تقول للقادم من الحج : حجاً مبروراً . أي حججت حجاً مبروراً .

ولكنهم مختلفون في جواز حذف عامله حين يكون مؤكداً ، فالذين منعوا الحذف قالوا : لايجوز حذفه لأن المفعول المطلق إنما ذكر لتوكيده وتقرير معناه ، والحذف لايجتمع مع التوكيد ، وهذه حجة ذهنية لا لغوية ، فقد جاء المجيزون بأمثلةٍ مسموعة مثل : إنما أنت سيراً ، وأنت رحيلاً رحيلاً ، وسقياً ورعياً .

على أن هناك مواضع يجب فيها حذف العامل ، وذلك كما يلي :

١ ـ في الطلب :

إذا ناب المصدر عن فعله ، وكان إنشائياً طلبياً وجب حذف عامله ، كأن يكون للأمر ، مثل : صبراً على الشدائد . وإقداماً في سبيل النجاح . أي : اصبر على الشدائد . وأقدم في سبيل النجاح . أو أن يكون نهياً كقولك : لاتوانياً ولاتقاعساً . أو دعاءً مثل : سَقْياً لك ، وبُعْداً لفلان ، وسُحقاً للظالم ، وخيبة له .

ومن أنواع الانشاء الطلبي الاستفهام ، ويشترط فيه هنا أن يدل على توبيخ أو تعجب أو توجع . مثال الأول : أكسلاً وقد جَدَّ الناس ؟ ومثال

الثاني : أبُؤساً وضعفَ جسد . ومثال الثالث قول سحيم عبد بني الحسحاس :

أشوقاً ولما يمضِ لي غيرُ ليلةٍ فكيف إذا خبَّ المطيُّ بنا عَشْرا ؟

٢ ـ في المصادر السماعية :

وهناك مصادر كثيرة سمعت من العرب ، ولم تُسمع أفعالها التي عملت فيها ، وهي كثيرة : مثل : معاذ الله ، سبحانَ الله ، لبيك ، سعديك ، حنانيك ، دواليك ، وسُمع منهم مثل هذه العبارات : سمعاً وطاعةً ، أفعله وكرامةً ومسرةً ، لا أفعلُهُ ولا كيداً ولاهماً . أي : لاأفعله ولا أكاد أفعله ، ولا أهم بفعله . وسمع : اغتديتُ ولا اغتداءَ الغراب ، واهتديتُ ولا اهتداءَ القطا . وإنما حذف الفعل هنا ـ أي في المعطوفات ـ لدلالة الحال على الفعل المقدر ، وإغنائها عنه .

٣ ـ في التفصيل :

وإذا جاء المصدر مفصلاً لمجمل قبله حذف مصدره وجوباً ، كقوله تعالى : ﴿ ... فشدوا الوثاقَ فإما مناً بَعْدُ وإما فداء ﴾ (محمد : ٤) . فقوله : مَنّاً . تفصيل لقوله : شدوا الوثاق . وقال الشاعر :

لأجهـدَنَّ فـإمـا دَرْءَ مَفْسـدةٍ تُخْشى ، وإما بلوغَ السُؤْلِ والأَمَلِ

٤ ـ في توكيد مضمون جملة :

من مصادر التوكيد قولهم : حقاً ، وعُرْفاً ، وحتماً ، وقَطْعاً ، ويقيناً ، والبتّةَ . مثل : هذا عمل عظيمٌ حقاً . وكقوله تعالى : ﴿ ذلك عيسى بن مريمَ قولَ الحقِّ ﴾ (مريم : ٣٤) . ومثل : لا أراهُ البتَّةَ ولا ألتقي به ، ومثل : سيجيءُ البردُ حتماً ، وسألتقي بأخي يقيناً . وسوف يكون لك نصيب في هذا قطعاً .

وتستعمل هذه المصادر لتأكيد مدلول الجملة إذا كان المتكلم يشك في تصديق المخاطب ، أو كان يعرف أن المخاطب ينكر عليه مايقول ، فيزيل شكه أو إنكاره بالمصدر المؤكد[1] .

---

(١) ويجعلها النحاة قسمين : قسماً يكون فيه مضمون الجملة والمصدر بمعنى واحد ، مثل : له عليَّ ألف ليرةٍ ، اعترافاً . فالجملة نفسها اعتراف ، ولهذا كان ذكر =

٥ ـ إذا كان المصدر مكرراً ، أو محصوراً ، أو مستفهماً عنه ، وعامله خبر عن اسم عين :

مثل : أنت سيراً سيراً . ما أنت إلا سيراً . إنما أنت سيراً . أأنت سيراً .

وإنما نصبت هذه المصادر لأنها لاتصلح أن تكون أخباراً لما قبلها ، إلا على سبيل المجاز ، فلا يقال على وجه الحقيقة : أنت سيرٌ سيرٌ ، أو ما أنت إلا سيرٌ . لأن المخاطب ليس « السير » نفسه ، بل هو صاحبه . ولكن إذا أريدت المبالغة في الأخبار قيل : أنت سيرٌ ، كقول الخنساء :

ترتع مارتعت حتى إذا ادّكرتْ ... فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ

٦ ـ إذا كان المصدر فعلاً علاجياً تشبيهياً بعد جملة مشتملةٍ عليه وعلى صاحبه :

وهذه تحتاج إلى شرح وتوضيح لغموضها في كتب النحو :

معنى : فعل علاجي . أن يكون الحدَثُ عملاً حسياً ظاهراً ، وأن يكون طارئاً غيرَ ثابت ، كالضرب ، والصياح ، والشتم ، الخ . . . ويقابله المعنوي الذي ليس بعمل ظاهر .

والمثل الذي يدور في كتب النحو على هذه الظاهرة هو : مررتُ به فإذا له بكاءٌ بكاءَ ثكلى . فالمصدر العلاجي : بكاءٌ ، وهو تشبيهي لأنه أضيف إلى الثكلى ، والجملة التي سبقته هي : له بكاءٌ ، وقد اشتملت على لفظ المصدر ومعناه ، كما اشتملت على صاحبه ، أي على الذي أوقع الحدث ، وهو الضمير المستتر في المصدر الذي وقع مبتدأ : بكاءٌ ، وهو يعود إلى ضمير الغائب في قوله : له . وتقدر الجملة : مررت به فإذا هو يبكي بكاءَ ثكلى .

فإذا قلت : بكاؤهُ بكاءُ ثكلى . لاتنصب المصدرَ على أنه مفعول مطلق ، لأنه يفتقر إلى جملة تسبقه وتشتمل على لفظه ومعناه . وإذا قلت : في

= المصدر بعدها توكيداً لنفسه . وقسماً آخر يكون فيه مضمون الجملة بمعنى غير معنى المصدر ، مثل : هو أخي حقاً . فالجملة تحتمل الحقيقة وتحتمل المجاز ، ولذلك كان المصدر مؤكداً للحقيقة ودافعاً للمجاز ، ويسميه النحاة : مؤكداً لغيره .

الدار بكاءً بكاءً ثكلى . لا تنصبه أيضاً ، لأن الجملة التي قبله لا تشتمل على صاحبه ، إذ لا يُعرف مَن الباكي . وإذا قلت : ألممتُ به فإذا له ذكاءٌ ذكاءُ الفلاسفة . فإنك لاتنصب « ذكاء » على أنه مفعول مطلق ، لأنه معنوي لا علاجي .

وهذا التركيب عربي فصيح ، قال النابغة الذبياني :

مقذوفةٍ بدَخيس النحضِ بازِلُها له صريفٌ صريفَ القَعْوِ بالمَسَدِ[1]

ومن الطبيعي أن يحذف عامل المفعول المطلق في مثل هذا التركيب ، لأن الجملة التي سبقته تدل عليه دلالة كاملة ، فهي تغني عنه ، وتوجب حذفه ، لأنها بمعناه[2] .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات الظانين بالله ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ (الفتح : ٦) .

٢ ـ ﴿ وماقَدَرُوا الله حَقَّ قدره ﴾ (الزمر : ٦٧) .

٣ ـ ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون ﴾ (الشعراء : ٢٢٧).

٤ ـ ﴿ قال فرعون : آمنتم به قبل أن آذن لكم ، إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة ﴾ (الأعراف : ١٢٣) .

٥ ـ ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ (النور : ٤) .

---

(١) يصف ناقة . النحض : اللحم . ودخيسه : ما تداخل منه وتراكب . والبازل : سن تخرج في العام التاسع من عمر الناقة . والصريف : صوت أنيابها إذا حكت بعضها ببعض ، نشاطاً أو إعياء . والقَعْو : ما تدور فيه البكرة إذا كان من خشب . والمسد : حبل من ليف أو جلد . وصفها بالقوة والنشاط ، حتى كأنها قذفت باللحم قذفاً لتراكمه عليها .

(٢) ويجوز فيما تمت شروط نصبه الرفع على البدل .

٦ ـ « فقبحاً لكم وترَحاً حين صرتم هدفاً يرمى ، وفيئاً ينتهب » (الإمام علي بن أبي طالب)

٧ ـ قال القطامي :

وخيرُ الأمر ما استقبلت منه   وليس بأن تَتَبَّعَهُ اتباعاً

٨ ـ وقال الخريمي :

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته   عليه ، ولكنْ ساحةُ الصبرِ أوسعُ

٩ ـ وقال خالد بن عتبة الهذلي :

فلا تجزَعَنْ من سيرةٍ أنتَ سرتَها   فأول راضٍ سيرةً من يسيرُها

١٠ ـ وقال أعشى همدان :

على حين ألهى الناسَ جل أمورهم   فندلاً زُرَيْقُ المالَ نَدْلَ الثعالبِ

١١ ـ وقال النابغة :

نبئتُ نُعماً على الهجرانِ عاتبةً   سَقْياً ورَعْياً لذاك العاتبِ الزاري

١٢ ـ وقال جرير :

أعبداً حلَّ في شُعبى غريباً   ألؤماً لا أبالك واغترابا

١٣ ـ وقال سحيم عبد بني الحسحاس :

إذا شُق بُرد شق بالبرد بُرْقُعٌ   دواليك حتى كلنا غيرُ لابسِ

١٤ ـ وقال آخر :

أبا منذر أفنيت فاستبقِ بعضنا   حنانيك بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ

☆ ☆ ☆

المفعول معه

آ ـ ماهو :

التعبير عن فكرةِ المعية حاجة من حاجات الإنسان الفكرية ، ولذلك تعددت أساليبه وأنماطه في اللغات المختلفة ، وفي اللغة الواحدة ، كماهو بيِّن في وقائعِ لغتنا العربية ، غير أن الأداة الأصيلة للتعبير عن المعية هي « مع » حتى اشتُقَّ منها المعنى المجرد (معية) . فما المعنى المنوط بها ؟

مر بنا من قبل أن (مع) ظرف زمان أو مكان ، بحسب ماتضاف إليه ، وأبرز ما تتضمنه من دلالات ذاتية هو المصاحبة ، تقول : سافرتُ مع أخي . أي أن سفري حصل بصحبة أخي . وقال جميل بثنية .

أبيــتُ مــع الهُــلاّكِ ضيفــاً لأهلهــا وأهلي قريبٌ موسعونَ ذوو فَضلِ

أي : أبيت بصحبة الصعاليكِ المحتاجين في بيت أهلها . وإذا أردت أن تدل رجلاً على مكانٍ مّا ، يمكن أن تقول له : سِرْ مع سورِ هذه الحديقةِ إلى نهايته ثم اتجه شمالاً . أو : سر مع الشاطىء ميلاً واحداً ثم اتجه يميناً .

وواضح من هذه الأمثلة أن ما بعد (مع) قد يشترك في الحدث مع ماقبلها ، فالأخ سافر . والهُلاّك باتوا مع الشاعر ، إلا أن ذلك ليس بلازم في كل جملة ، إذ قد يقع الحدث مما قبل (مع) ولايشترك فيه مابعدها ، فسور الحديقة ، والشاطىء ، لايسيران ، ولكن السيرَ سيقع حذاءَهما .

وهذا يعني أن (مع) تدل على المصاحبة لا على المشاركة ، فإذا اشترك مابعدها في الحدث فإن ذلك لم يكن من دلالتها ، بل من دلالة السياق العام .

بعد هذا الجلاء لمعنى (مع) نقول لك : إن هناك واواً تحل محلها ، وتدلّ دلالتها ، يقال لها واو المعية ، ومن الممكن أن نعود إلى ماسبق من أمثلة لنستبدل بالأداة « مع » واواً فنقول :

ـ سافرتُ وأخي .

ـ أبيتُ والهلاكَ ضيفاً لأهلها .

ـ سِرْ وسورَ الحديقةِ إلى نهايته .

ـ سِرْ وشاطئَ البحرِ ميلاً .

غير أن هذه الواو كثيراً ماتلتبس بواو أخرى هي واو العطف ، ونرى من الأفضل تمييز بعضهما من بعض ، فإذا قلت :

ـ اختصم سَعْدٌ وعليٌّ .

فإن الواو هنا لاتدل على مصاحبةِ البتة ، بل تدل على أن علياً حدث منه اختصام مثلما حدث من سعد ، فهما مشتركان فيه ، ولم يقم به سعد بصحبة علي حتى كأن اختصام علي لايهم المتكلم والسامع ، فالفعل (اختصم) لابد فيه من اثنين على الأقل ولا يمكن أن يقع من فاعل واحد .

إن واو العطف إذا تفيد إشراك مابعدها في الحدث الذي أحدثه ماقبلها ، أو إشراكه في وقوع الحدث عليه أو ماشاكل ذلك ، كما في مثل : قرأتُ الجريدةَ والمجلةَ . وعرفتُ أخاك وأباك . وأعمل صباحاً ومساءً . أما واو المعية فهي للمصاحبة لا للمشاركة ، فإذا كانت الجملة تدل على مشاركة مابعدها في الحدث فإن هذه الدلالة لم تكن من واو المعية ، بل من سياق الكلام(١) .

وإذا عدتَ إلى الأمثلة السابقة وجدت واو المعية واقعة في الكلام بعد جملة تشتمل على فعل ، ووجدت المفعول معه ليس عُمدةً في الكلام بل هو فضلة ، ولهذا قالوا في تعريف المفعول معه مايلي :

« هو اسم فضلة يقع بعد واو بمعنى (مع) تتقدم عيه جملة تامة فيها فعل أوشبه فعل » .

ومعنى كونه فضله أن معنى الكلام لايتوقف على ذكره ، فإذا قلت :

---

(١) في دلالة واو المعية اختلاف بين النحاة رأينا ألا نعرضه هنا ، وقد عرضناه في كتابنا : الواضح ، ص : ٢٨٠ (الطبعة الثالثة) . وانظر : الخصائص : ٣١٣/١ . وشرح الكافية : ١٧٧/١ وشرح المفصل : ٤٨/٢ ، والمقرب : ١٥٨/١ ، والتسهيل : ٩٩ .

مشيتُ والحديقةَ . كان من الممكن القول : مشيتُ . من دون ذكر الحديقة . ولكنك إذا قلت : اختصم زيد ورشيد . كان من غير الممكن الاستغناء عن (رشيد) لأنه ليس بفضلة ، ولايتم معنى الكلام من دونه : (اختصم زيد) لأن الاختصام يحتاج إلى أكثر من واحد .

ب ـ العامل في المفعول معه :

يعمل في المفعول معه مايعمل في المفعولات الأخرى[1] ، وهو الفعل وأشباهه ، فمما عمل فيه الفعل قوله تعالى : ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ﴾ . (يونس : ٧١) وقول الشاعر ، وهو أبو تمام :

ذريني وأهوالَ الزمانَ أُفانِها فأهوالُهُ العظمى تليها رغائبه[2]

وكانوا يقولون قديماً : جاء البردُ والطياليسةَ . أي معها . وهي أوشحة توضع على الكتف من دون خياطة . ويقولون : استوى الماءُ والخشبةَ . وتقول الآن : بدأتِ الحربُ والشتاءَ .

أما عمل اسم الفعل والمصدر والمشتقات فيبدو أنها نادرة أو معدومة ، فما في كتب النحاة منها أمثلة من صنعهم مثل : هو سائر والنيلَ ، ونائمٌ والليلَ ، وتقول : نزالِ والصباحَ . وأعجبني سيرُك وحافةَ النهر .

إلا أن هناك عوامل أخرى تحمل معنى الفعل جاء بعدها المفعول معه ، مثل (حَسْبُ) في قول جرير :

إذا كانتِ الهيجاءُ وانشقتِ العصا فحسبُكَ والضحاكَ سيفٌ مهندُ

فالمبتدأ (حَسْبُكَ) هو العامل في المفعول معه لأنه يعني : كافيك .

ومما يعمل فيه أيضاً اسما الاستفهام « ما » و «كيف » ، وذلك كما ترى في قول أسامة بن الحارث الهذلي :

فما أنا والسيرَ في متلفٍ يُبرِّحُ بالذكر الضابطِ[3]

---

(١) هذا هو الرأي الشائع ومنهم من يرى الواو هي العامل .

(٢) لا معنى لجعل الواو عاطفة في هذا البيت .

(٣) المتلف : القفر الذي يُتلف من يسير فيه . والذكر الضابط : الجمل القوي . ويبرّح : يجهد .

ويقال : كيفَ أنت ورحلةً إلى أوربا ؟ وكانوا يقولون قديماً : كيف أنت وقصعةً من ثريد ؟

وقد أوجب النحاة هنا تقدير فعلٍ مثل : تصنعُ ، أو تكون . أي : ماأصنعُ والسيرَ ، وكيف تصنع ورحلةً . . . وعلى هذا تكون (ما) الاستفهامية في قول أسامة السابق مفعولاً مطلقاً ، والتقدير : أيَّ صنع أصنع مع السير . ويكون الضمير (أنا) فاعلاً لفعل محذوف ، وقد كان في الأصل ضميراً مستتراً في الفعل (أصنع) فلما حذف الفعل ظهر الفاعل(١) .

ج ـ حالات الاسم بعد الواو :

ولالتباس واو العطف بواو المعية نرى أن نذكر الحالات التالية :

١ ـ وجوب المعية :

وذلك إذا كان معنى المشاركة ممتنعاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ﴾ (يونس : ٧١) ففي هذه الآية يمتنع معنى المشاركة ، فلو كانت الواو عاطفة لكان من اللازم أن يكون المعنى : أجمعوا أمركم وأجمعوا شركاءكم . ولما كان لايقال : أَجْمعوا شركاءكم ، أو : أَجْمِعوا الناسَ . كان من اللازم أن تكون الواو للمعية لا للعطف ، والمعنى : أجمعوا أمركم بمصاحبة شركائكم .

وكذلك يمتنع العطف وتجب المعية في مثل : سرتُ والفراتَ . ومشيتُ والجبلَ . لأن العطف يجعل الفرات والجبل يمشيان مع المتكلم .

٢ ـ وجوب العطف :

ويجب العطف إذا لم تسبق الواو بجملة فيها فعل أو مايشبه الفعل ، كما ترى في قول جميل بثينة :

وأنت امرؤ من أهل نجدٍ وأهلُنا تَهامٍ ، فما النجديُّ و المتغوِّرُ

فالواو في (والمتغوِّرُ) عاطفة لا للمعية ، لأن ماقبلها جملة اسمية لا

(١) ويجوز وجه آخر هو تقدير (كان) الناقصة . و (أنا) اسمها ، و (ما) في محل نصب ، خبرها .

فعل فيها . وتقول : أنتَ وشأنُك .

ويجب العطف أيضاً إذا لم يكن مابعد الواو فضلة كما في مثل : تقابل خالدٌ وسعيدٌ . فالاسم (سعيد) لايمكن الاستغناء عنه لأن المقابلة لاتكون من أقل من اثنين . ومثل ذلك : تصارعَ عليٌّ وخالدٌ . وتشارك زيدٌ وعمارٌ .

ويجب العطف كذلك في كل موضع لايصح فيه معنى المعية مثل : أتيتُك للعلمِ والمعونةِ . وقرأتُ بحثك برويَّةٍ وإمعانٍ .

٣ ـ ترجيح أحدهما :

وقد يرجح في موضع العطف ، وترجح في آخر المعية ، وذلك لاعتباراتٍ تركيبية ، فلو قلت :

ـ ذهبت ومحموداً (ومحمودٌ) .

ـ ومررتُ بك ومحموداً (ومحمودٍ) .

لكانت المعية أرجح من العطف ، لأن اعتبار الواو عاطفة يجعل (محموداً) في الجملة الأولى معطوفاً على الضمير المتصل المرفوع ، وفي مثل هذه الحال يجب الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بضمير منفصل للتوكيد ، أو بغيره . مثل : ذهبتُ أنا ومحمودٌ . وذهبتُ اليومَ ومحمودٌ . فلما لم تستوفِ الجملة هذا الشرط قَبُحَ العطف ، ورجحت المعية .

أما في الجملة الثانية فاعتبار الواو عاطفة يؤدي إلى عطف اسم ظاهر وهو : محمود ، على ضمير متصل مجرور هو الكاف في (بك) ، وهذا قبيح ، لأن عطفاً من هذا النوع يتطلب إعادة العامل ، تقول : مررت بك وبأحمد . وقعدت بينك وبينَ أحمد . ومن هنا كانت المعية راجحة .

أما إذا استوفت الجملة شرط العطف ، ولم يكن ثمة مانع معنوي منه ، كان العطف أرجح من المعية لأنه أكثر استخداماً في الكلام ، مثل : رأيتُك أنا وصديقي . وهذا كتابُك وكتاب عمك .

٤ ـ حالة أخرى :

وهناك حالة أخرى يتضمنها هذا الرجز .

علفتُهـــا تبنـــاً ومـــاءً بـــارداً   حتى شتت همالةً عيناها[1]

فما إعراب الواو هنا ؟

لو كانت حرف عطف ، وكان المعطوف بها(ماءً) على (تبناً) لأدى ذلك إلى التقدير التالي : علفتُها تبناً وعلفتُها ماءً . لأن العطف يعني إعادة العامل وتقديره . ولما كان الماءُ لايعلف عَلْفاً كان هذا الوجه غير جائز .

ومن هنا كان في إعراب الواو ثلاثة أوجه ، هي :

آ ـ الواو عاطفةٌ جملة على جملة ، لامفرداً على مفرد ، وذلك بتقدير فعل آخر هو : سقيتُها ، ويكون الكلام في الأصل : علفتُها تبناً وسقيتُها ماءً .

ب ـ الواو عاطفة مفرداً (ماءً) على مفرد (تبناً) ولكن الفعل (علف) مضمن معنى فعل مناسب يتعدى إلى الماء والتبن ، مثل : منحتها ، أو أعطيتها .

ج ـ الواو للمعية ، والتقدير : علفتها تبناً بصحبة الماء البارد .

والرأي الثالث ضعيف ، لأن معنى المعية شديد التكلف ، وأرجح الآراء هو الثاني ، وقد جاء في اللغة من ذلك شيء كثير كان فيه مابعد الواو معطوفاً في حال الرفع ولايمكن جعله مفعولاً معه ، كقول لبيد بن ربيعة :

فعَلا فروعُ الأيهُقانِ وأَطْفَلت   بالجَهْلتينِ ظِباؤها ونَعامُها[2]

فقد عطف النعام على الظباء ، مع أن النعام لاتُطفل بل تُفْرِخُ أو تبيض .

ومثله قول الراجز :

شَرابُ ألبانٍ وتمرٍ وأَقِطْ[3]

فعطف (تمرٍ) على (ألبانٍ) مع أن التمر لايشرب ، وكذلك عطف الأقط على (ألبان) مع أنه لايشرب أيضاً . وعلى هذا الأساس يجب حمل ماكان منصوباً على العطف لا على المعية ، كما في قول عبيد بن حصين الراعي :

---

(١) يصف الشاعر ناقته . وشتت : بدت وظهرت .

(٢) الأيهقان : نبت . أطفلت : صارت ذات طفل . والجلهتان : طرفا الوادي .

(٣) الأقط : طعام يتخذ من اللبن المخيض .

إذا ما الغانياتُ برزن يوماً وزَجَّجْنَ الحواجبَ والعيونا[1]

وقول الآخر :

تراه كأن الله يجدعُ أَنْفَهُ وعينيه إِن مولاه ثاب له وَفْرُ

شواهد للتدريب

١ ـ قال كعبُ بن جعيل :

وكان وإياها كحرَّانَ لم يُفِقْ عنِ الماءِ إذ لاقاهُ حتى تقدَّدا

٢ ـ قال المخبل :

يازِبْرِقانُ أخابني خَلَفٍ ماأنتَ ـ وَيْبَ أبيكَ ـ والفَخْرُ

٣ ـ قال الشاعر :

فكونوا أنتمُ وبني أبيكم مكان الكليتين من الطحالِ

٤ ـ وقال المتنخل الهذلي :

ومـاأنت الغداةَ وذكر سلمى وأضحى الرأسُ منكَ إلى اشمطاطِ

☆ ☆ ☆

(١) يقال : زجَّجتِ المرأةُ حاجبيها إذا جعلتهما دقيقين . والعيون لا تزجج .

المستثنى

آ ـ ماهو ؟ :

الاستثناء أسلوب شائع في اللغات البشرية ، وفي هذا دليلٌ على أنه تعبير عن حاجة فكرية إنسانية ، وإن كانت اللغات تختلف في أساليب التركيب ، وفي استيفاء عناصر هذه الأساليب ، ولننظر في قول شوقي التالي لنعرف طبيعته ومكوناته في اللغة العربية :

نامتِ الأعينُ إلا مُقْلةً تسكبُ الدمعَ وترعى مضجعَكْ

في الشطر الأول من هذا البيت جملة استثناء ، نراها تتكون من إسناد النوم إلى الأعين : نامتِ الأعينُ . وهذا الإسناد يقال له (حكمٌ) ، وهو : نومُ الأعين . أما (الأعينُ). التي نامت فيقال لها : (المستثنى منه) . إلا أن مقلة واحدةً لم تنم ، وهذا يعني أن الحكم السابق لم يصدق فيها ، بل هي خارجة عنه ، ولذلك يقال لها (المستثنى) . والذي أدى هذا المعنى ـ وهو الاستثناء ـ الأداة (إلا) ، ولهذا يقال لها : (الأداة) .

فمكونات الاستثناء في اللغة العربية إذن أربعة : الحكم ، والمستثنى منه ، والمستثنى ، والأداة .

وسمي المستثنى (مستثنى) لأنه كما رأيتَ يخرج من حكم المستثنى منه ، ولهذا يكون تعريفه : « هواسم يخرج من حكم ماقبله بوساطة أداةٍ يقال لها : أداة الاستثناء » .

ب ـ أنواع الاستثناء :

ويتنوع الاستثناء على وفق اعتبارين ، أولهما طبيعة العلاقة بين المستثنى والمستثنى منه ، وثانيهما ذكر المستثنى منه أو حذفه . فبحسب الاعتبار الأول هناك نجد نوعين : الأول متصل ، والثاني منقطع . ونجد بحسب الاعتبار

الثاني أيضاً نوعين آخرين ، هما : التام ، والمفرَّغ . وإليك الحديث عن كل منهما .

١ ـ الاستثناء المتصل :

انظر في الجملتين التاليتين :

ـ قرأتُ القصائدَ إلا قصيدةً .

ـ ﴿ قُمِ الليلَ إلا قليلاً ﴾ (المزمل : ١)

تلاحظ أن المستثنى منه في الجملة الأولى متعدِّد ، أي يتألف من أفراد يستقل بعضهما عن بعض ، فلكل قصيدة استقلالها الخاص ، وهي فرد واحد من أفراد المجموع . أما المستثنى ـ وهو قصيدة ـ فإنه فرد من هذه الأفراد ، أو بعض منها .

ولكن هذا يختلف في الجملة الثانية ، إذ ليس المستثنى منه ـ وهو الليل ـ متعدداً ، ولايتألف من أفراد مستقلٍ بعضُهما عن بعض ، بل هو (كل) يتألف من (أجزاء) : أوله ، وسطه ، آخره ، جزء كبير منه ، جزء صغير ، الخ . . . والمستثنى ـ وهو « قليلاً » ـ أحد هذه الأجزاء .

ومن هنا يمكن أن نقول : إن المستثنى في الجملة الأولى بعض من المستثنى منه ، وهو في الجملة الثانية جزء من المستثنى منه . وحين يكون المستثنى بعضاً او جزءاً من المستثنى منه يقال للاستثناء : استثناء متصل .

٢ ـ الاستثناء المنقطع :

وهو عكس المتصل ، أي أن المستثنى فيه ليس بعضاً ولا جُزْءاً من المستثنى منه ، مثل :

ـ دخلتُ البيت فلم أجد أحداً إلا ورقةً كتب فيها كلمات تخبرني أين هم . فالمستثنى ـ وهو الورقة ـ ليست بعضاً ولا جزءاً من (أحداً) ـ وهو المستثنى منه ـ ومثله : دخل المسافرون الطائرةَ إلا أمتعتَهم . ومن ذلك قول النابغة :

وقفتُ فيها أصيلاً كي أسائلها　　عَيَّتْ جواباً وما بالربع من أحدِ

إلا أواريَّ لأيـــاً مـــا أبيّنهـــا والنؤيُ كالحوض بالمظلومةِ الجَلَدِ[1]

فالأواريّ ـ وهي محابس الخيل ـ ليست بعضاً ولا جزءاً من (أحد) .

على أن ذلك لايعني انعدام الصلة بين المستثنى والمستثنى منه البتة . إذ لابد من علاقة سببية ما ، فلا يقال مثلاً : عوت الذئابُ إلا البلبلَ . لأنه لاعلاقة بين المستثنى والمستثنى منه .

٣ ـ الاستثناء التام :

هوماذكر فيه المستثنى منه ، كما ترى في قول شوقي :

قـد يهـونُ العمـرُ إلا سـاعـةً وتهـونُ الأرضُ إلا مـوضعـا

فإذا ذكر المستثنى منه تمت أركان الأسلوب الاستثنائي ، إذ لايحذف منها أحياناً إلا هو ، وهذا ماسوف تراه في الفقرة التالية :

٤ ـ الاستثناء المفرغ :

ويقال للاستثناء : مفرَّغ ، إذا :

ـ حذف منه المستثنى منه .

ـ وسبقت جملته بنفي ، أو نهي ، أو استفهام . كما ترى في قوله تعالى : ﴿ إن أَتَّبِعُ إلا ما يوحى إليَّ ، وما أنا إلا نذيرٌ مبين ﴾ (الأحقاف : ٨٩) ففي هذه الآية جملتا استثناءٍ ، بدئت أولاهما بحرف النفي (إنْ) وبدئت ثانيتهما بحرف النفي (ما) وسقط من كل منهما المستثنى منه ، وتقديره في الأولى : شيئاً ، أي : لا أتبع شيئاً إلا مايوحي إلي . وتقديره في الثانية : شيء ، أي : ما أنا شيء إلا نذير[2] . ومن ذلك أيضاً قول أبي ذؤيب الهذلي :

هـل الـدهـر إلا ليلـةٌ ونهـارُهـا وإلا طلـوعُ الشمـسِ ثـم غِيـارُهـا

لقد بدأت جملة الاستثناء بأداة استفهام (هل) وسقط المستثنى منه

(١) النؤي : مجرى يحفر حول الخيمة . والمظلومة : الأرض المحفورة . والجَلَد : الصلبة .

(٢) فضلت أن أجعل (ما) مهملة لا عاملة لئلا تكون صورة التقدير في الجملتين واحدة .

وتقديره : هل الدهرُ شيء إلا ليلةٌ . وتقول : لاتَلْقَ إلا صديقَك . فتبدأ الجملة بأداة النهي : لا ، وتحذفُ المستثنى منه ، وتقديره : أحداً . أي : لاتلقَ أحداً إلا صديقك .

ولكن ههنا ملاحظة ، فقد يكون النفي بغير أداةٍ من أدوات النفي ، بل يكون بمعنى الفعل نفسه ، وقد كثر في ذلك مجيء الفعل (أبى) ومضارعه (يأبى) ، لأن معناه : لم يرضَ . وذلك واضح في قوله تعالى : « فأبى الظالمون إلا كفوراً » (الإسراء : ٩٩) وقوله : ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ﴾ (التوبة : ٣٢) فمعنى الفعل في الجملتين يغني عن أداة النفي ، وقد سقط المستثنى منه ، والتقدير في الأولى : أبى الظالمون أي شيء إلا نفوراً ، وكذلك تقدير الثانية .

ج ـ إعراب المستثنى :

لانريد أن ندخل في متاهات الحديث عن العامل في المستثنى ، فليس في الآراء المذكورة في ذلك رأي واحد يخلو من النقض أو الاعتراض ، ويكفي أن نعرف ان المستثنى قد يكون منصوباً ، وقد يكون تابعاً في حركة إعرابه للمستثنى منه ، وقد يتأثر تأثراً مباشراً بما قبل « إلا » من العوامل . إنها إذن حالات ثلاث ، ولكل منها حديث :

١ ـ المستثنى المنصوب :

ينصب المستثنى في الحالات التالية :

ـ إذا كان الاستثناء تاماً ، لم ينقص شيء من أركانه ، وكان موجَباً ، أي غير مسبوق بنفي أو نهي أو استفهام ، وذلك واضحٌ في قول أبي فراس :

تناسانيَ الأصحابُ إلا عصابةً ستلحقُ بالأخرى غداً وتحولُ

وهذا كثير في الكلام الفصيح ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ الأخلاءُ يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عَدُوٌّ إلا المتقين ﴾ (الزخرف : ٦٧) وقوله : ﴿ فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم ﴾ (الأنبياء : ٥٨) .

ـ وينصب المستثنى أيضاً إذا جاء المستثنى قبل المستثنى منه في الجملة ،

وهذا ـ على قلته ـ موجود في النصوص الأدبية ، والكلام اليومي ، من ذلك قول الكميت بن زيد :

ومـالـيَ إلاّ آلَ أحمـدَ شيعـةٌ ومالِيَ إلا مذهبَ الحقِّ مذهبُ

فأصل الجملة الأولى : ماليَ شيعةٌ إلا آلَ أحمد . وأصل الثانية : ماليَ مذهبٌ إلا مذهبَ الحق . ثم قدم المستثنى على المستثنى منه ، وهذا يؤدي إلى نصبه . ومن ذلك أيضاً قول كعب بن مالك :

النـاسُ أَلْـبٌ علينـا فيـكَ ليـس لنـا إلا السيـوفَ وأطـرافَ القنـاوَزَرُ[1]

ـ وينصب غالباً إذا كطان الاستثناء منقطعاً ، مثل : مافي الدارِ أحدٌ إلا الأمتعةَ . على أن لهجات العرب القديمة لم تكن واحدةً في هذا ، إذ كان بعضهم يجعل ما بعد (إلا) تابعاً للمستثنى منه إذا كانت الجملة غير موجَبة . ويحسن أن نُبقي الآن على لغة واحدة ، هي لغة النصب ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ مالهم به من علمٍ إلا اتباعَ ا لظن ﴾ (النساء : ١٥٧) .

٢ ـ المستثنى منصوب أو تابع :

ولنا في الاستثناء التام غير الموجَب وجهان : الأول نصب المستثنى ، والثاني جعله بدلاً من المستثنى منه ، والبدل يتبع المبدل منه في الرفع ، والجر ، والنصب ، وذلك مثل :

ـ لم تنم الأعينُ إلا عيناً (عَيْنٌ) .

ـ لا أطالبُ بالأجرِ إلا المكافأةَ (المكافأةِ) .

ـ ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودةَ في القربى ﴾ (الشورى : ٢٣) .

وقد كثر جعله بدلاً في قراءة القرآن التي نحن عليها الآن ، من ذلك : ﴿ لم يكن لهم شهداءُ إلا أنفسُهم ﴾ (النور : ٦) ﴿ مافعلوه إلا قليلٌ منهم ﴾ وجاء منصوباً على الاستثناء في قوله : ﴿ ولايلتفتْ منكم أحدٌ إلا امرأتَك ﴾ (هود : ٨١) . وإذا فُصل بين المستثنى والمستثنى منه بكلام طويل رجح

---

(١) جاء بعض هذا غير منصوب ، كما في قول حسان بن ثابت :

فـإنهـم يـرجـون منـه شفـاعـةً إذا لـم يكـن إلا النبيـون شـافـعُ

النصب على البدلية ، تقول : لم يُسافر أحد من إخوتك الكثيرين منذ سنوات إلا محموداً . وذلك لبعد المسافة بين البدل والمبدل منه .

وجاء في الشعر من هذا مايحتاجُ إلى شيء من النظر والتأمل ، كقول الأخطل :

وفي الصريمةِ منهم منزلٌ خَلَقٌ   عافٍ تغيَّرَ إلا النُّؤْيُ والوتِدُ

فالجملة في هذا الاستثناء التام موجَبة ، ليست مسبوقة بنفي ولا بنهي ولا باستفهام ، ومع ذلك جاء المستثنى غير منصوب كما يقتضي نظام الأسلوب الاستثنائي ، بل جاء مرفوعاً ، فجلعه النحاة بدلاً من المستثنى منه ، وهو الضمير المستتر في الفعل (تغيّر) ، وهو يعود إلى المنزل ، وكأنه قال : تغير المنزلُ إلا النؤي . وإنما فعلوا ذلك لأنهم ذهبوا إلى أن الفعل (تغيَّر) نفسه فيه معنى النفي ، لأنه يعني : لم يبقَ ، أو : لم يستمرَّ. وفعلوا مثل ذلك في قول الشاعر :

لـدَم ضـائـعٍ تغيَّـبَ عنـه   أقـربـوهُ إلا الصَّبـا والـدبـورُ

فالفعل (تغيَّب) عندهم يعني : لم يحضر ، أو : لم يوجد . ومثل هذه التأويلات بعيدة عن المنهاج العلمي ، وتتيح لنا أشياء كثيرة لايقبلها الكلام(١) .

٣ ـ مابعد « إلا » في الاستثناء المفرغ :

قلنا من قبل : إن الاستثناء المفرغ ماحذف منه المستثنى منه ، وسُبق بنفي أو شبهه ، وتفرغ فيه الفعل أو مايقوم مقامه قبل « إلا » للعمل فيما بعدها ، ولذلك يعرب بعد (إلا) بحسب علاقته بما قبلها ، وتعرب (إلا) هنا أداة حصر ، لا أداة استثناء . فقد يكون الاسم بعد (إلا) فاعلاً ، مثل : ﴿ ومايعلم تأويلَهُ إلا الله ﴾ (آل عمران : ٧) وقد يكون مفعولاً به ، مثل :

(١) يمكن أن يحمل هذا على وجه خالٍ من التكلف ، وهو أن (إلا) بمعنى : لكنْ . وما بعدها مبتدأ وخبره مقدر ، ومثله قوله ﷺ : « كل أمتي معافىً إلا المجاهرون » . ولهذا غير شاهد . انظر كتابنا : المختار من أبواب النحو : ص : ٣٥١ ـ ٣٥٢ .

﴿ إنْ أتبعُ إلا مايوحى إليَّ ﴾ (الأحقاف : ٩) وقد يكون مفعولاً فيه ظرف زمان ، مثل : ﴿ لم يلبثوا إلا ساعةً من نهار ﴾ (الأحقاف : ٣٥) و ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشيةً أو ضحاها ﴾ (النازعات : ٤٦) ، وقد يكون خبراً للمبتدأ ، مثل : ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ ﴾ (آل عمران : ١٤٤) و : هل الدهرُ إلا ليلةٌ ونهارُها . وقد يكون نائب فاعل ، مثل : ﴿ فهل يُهْلَكُ إلا القومُ الفاسقون ﴾ (الأحقاف : ٣٥) ، وهذا كثير .

إلا أن النحاة نصواعلى أنه لايمكن أن يكون الاسم بعد أداة الحصر مفعولاً مطلقاً للتوكيد ، أو مفعولاً معه ، أو حالاً مؤكدة . وهذا يعني جواز مجيء المفعول المطلق والحال لغير التوكيد . فلا يقال مثلاً : ما أكلتُ الطعامَ إلا أكلاً . ولايعيثون في الأرض إلا مفسدين . وما سرتُ إلا والنهرَ .

وماقاله النحاة ليس بدقيق ، فقد جاء في قوله تعالى : ﴿ قلتم ماندري ما الساعةُ ، إن نظن إلا ظناً ﴾ (الجاثية : ٣٢) ، وقال الأعشى :

أحـل لـه الشيـبُ أثقـالـهُ وما اغتره الشيبُ إلا اغتراراً

على أن النحاة لم يقبلوا هذا على ظاهره ، بل أوّلوه على طريقتهم ليوافق القاعدة[1] .

٤ ـ المستثنى بعد « إلا » المكررة :

وتكرر « إلا » في الكلام على ضربين : فإما أن تكرر بغيةَ التوكيد ، وإما أن تكرر بغية التعبير عن استثناء آخر في الجملة . لاحظ الجمل الثلاث التالية :

ـ ملأتُ الكؤوسَ إلا كأساً إلا كأسَكَ .

ـ ملأتُ الكؤوسَ إلا كأسَك وإلا كأسَ أخيك .

ـ جاء الناسُ إلا سعداً إلا خالداً .

في الجملة الأولى تكررت (إلا) ، وكانت (كأسك) هي نفس (كأساً) الواقعة بعد الأولى ولذلك يمكن إسقاط (إلا) الثانية ، فتصير الجملة : مأت الكؤوسَ إلا كأساً كأسَك . وبهذا يكون ما بعد (إلا) الثانية

(١) انظر في هذا : كتابنا (المختار من أبواب النحو) ص : ٣٤٨ .

بدلاً مما بعد (إلا) الأولى . و (إلا) الثانية زائدة للتوكيد .

أما في الجملة الثانية فالكأسان مختلفان ، ولذلك وقعت واو العطف قبل الأداة الثانية ، ومع ذلك يمكن إسقاط (إلا) الثانية هذه ، فتقول : ملأتُ الكؤوس إلا كأسك وكأسَ أخيك . وهذا يعني أنها زائدة للتوكيد أيضاً .

غير أنها في الجملة الثالثة تؤدي من المعنى ماتؤديه (إلا) الأولى ، فالناس جاؤوا ، ولكن سعداً وخالداً لم يجيئا ، ولذلك لايمكن حذف (إلا) الثانية لأدائها معنى الاستثناء وتقول : له عليَّ مئة درهم إلا عشرة إلا اثنين . فالعشرة مستثناء من المئة ، والاثنان مستثنيان من العشرة .

وأنت ترى أن الاسم الواقع بعد (إلا) الأولى أو الثانية خضع للنظام الذي مر بنا من قبل ، وليس فيه أي جديد . هذا إذا كان المستثنى تاماً . فإذا كان مفرغاً شُغِلَ العامل بواحد ، ونصب غيره ، تقول : ماجاء إلا زيدٌ إلا سعداً .

د ـ أدوات الاستثناء :

أدوات الاستثناء تسع ، هي : إلاّ ، غير ، سوى ، خلا ، عدا ، حاشا ، ليس ، لايكون ، بيد وهي كما ترى مختلفة ، فبعضها حرف ، وبعضها : اسمٌ ، وبعضها : فعلٌ ، ولنتحدَّثْ عن كلٍّ منها .

١ ـ إلاَّ :

هي أمُّ أدوات الاستثناء ، وأكثرها استعمالاً ، إلاَّ أنها في بعض الأحيان تخرج عن معنى الاستثناء إلى معنى آخر ، ونحن مضطرون هنا إلى أن نذكر معانيها كلَّها لأنها تدخل في البحث .

ـ الاستثناء : وهو أهم معانيها . إذ يكون مابعدها خارجاً من حكم ماقبلها مثل : هربَ الناسُ إلاَّ أخاك .

ـ الحصر : وذلك إذا جعلتَ الحدثَ مقصوراً على مابعدها ، وفي هذه الحال يكون الاستثناء مفرغاً ، وقد مرَّت بك أمثلته الكثيرة ، وهي هنا تشبه أداة الاستثناء السابقة من حيث الدلالة ، لأن مابعدها يخرج من حكم ماقبلها ، إلا

أن هذا ليس هو المهم في استعمالها ، فالغاية منها أن تجعل الحدث الذي يسبقها مقصوراً على مابعدها ، تأمل قول النابغة :

أبـــى الله إلاَّ عـــدْلَـــه ووفـــاءَهُ   فلا النكر معروفٌ ، ولا العُرفُ ضائعُ

فمعنى جملة الاستثناء هنا هو : أبى الله كل شيءٍ إلاَّ عدْلَهُ ، فالعدلُ يخرج من حكم ماقبله ، ولكن ليس هذا هوالمهم ، بل المهم التعبير عن قَصْر نفي الإباء على العدل والوفاء .

وأحياناً يأتي بعد أداة الحصر جملة مؤولة بمفرد ، كقول الأعشى :

لم تمش ميلاً ، ولم تركب على جملٍ ولـم تـرَ الشمـس إلاَّ دونهـا الكِلَـلُ

وتأويلها هنا : أي لم تر الشمس إلاَّ مظللة بالكلَّة . ومثله قولهم : ماتكلم فلانٌ إلا قال خيراً . أي : إلا قائلاً خيراً ، وكقوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾ (الشعراء : ٢٠٨) . أي منذرين إياها ، وإعراب الجملة في مثل هذا : في موضع نصب على الحال .

ـ **الاستدراك** : وهذا موضع آخر لاتكون فيه « إلاَّ » أداة استثناء وإنما تكون فيه بمعنى لكن ، ولايكون مابعدها خارجاً من حكم ماقبلها ، والكلام قبلها تامٌ كامل المعنى ، كما في قوله تعالى : ﴿ ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ (طه : ٣٠٢) ، أي ما أنزلناه لشقائك ، لكن انزلناه تذكرة[1] .

ـ **بمعنى « غير »** : وكذلك لايخرج مابعدها عن حكم ماقبلها في هذه الحال ولكنها تؤدي معنى « غير » تأمل قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا ﴾ (الأنبياء : ٢٢) ، فهل يمكن أن يكون معنى « إلاَّ » الاستثناء ؟ لو كان كذلك لصار المعنى كما يلي : لو كان فيهما آلهة ليس الله معهم لفسدتا . وهذا يعني أنَّ الفساد حصل لأنَّ الله لم يكن مع الآلهة ، ولو كان معهم لما حصل الفساد ، وهذا معنى لاتؤديه الآيةُ ، لأن معناها : لو كان في

(١) للنحاة في إعراب إلاَّ تذكرة : كلام واختلاف . انظر تفسير القرطبي ١١/١٦٩ ، والبحر المحيط : ٦/ ٢٢٥ ، وانظر كتابنا : المختار من أبواب النحو ص : ٣٣٢ وما بعدها .

السماء والأرض آلهةٌ أخرى غيرُ الله لفسدتا ، وبهذا لاتكون « إلاَّ للاستثناء ، بل بمعنى « غير »[1] .

وإعراب « إلاَّ » هنا يختلف عن إعرابها في المواضع الأخرى ، إذ تكون هي وما بعدها صفةً لجمع بصيغة التنكير ، كما في الآية السابقة ، فالموصوف فيها قوله : « آلهة » والصفة قوله : « إلاَّ الله » ، وقد يبدوا غريباً جداً وصف النكرة بالمعرفة ، إلاَّ أن هذا محضُ صناعة نحوية ، وتفصيل ذلك أنَّ « إلاَّ » وحدها هي الصفة في المعنى ، لأنها بمعنى « غير » ، ولكنها حرف لايتحمل الإعرابَ ، فانتقل إلى الكلمة بعدها ، وهذا التعليل هو الوجه الذي يُقبل به ، وهو الوجه الذي أرادوه .

٢ ـ غير ، سوى :

وهذان اسمان ، ولذلك يعربان إعراب الاسم الذي بعد « إلاَّ » ، نحو : جاء الناسُ غيرَ خالدٍ ، فغير اسم منصوبٌ على الاستثناء ، و « خالد » الذي هو المستثنى في المعنى صار مضافاً إليه في اللفظ ، وتستطيع فَهْمَ هذا إذا وازنت بين الجمل الآتية :

رأيت الناسَ إلا خالداً = رأيت الناسَ غير خالدٍ = رأيت الناسَ سوى خالدٍ .

حملتُ أمتعتي إلا الكتبَ = حملت أمتعتي غيرَ الكتب = حملت أمتعتي سوى الكتب .

ماجاء إلا خالدٌ = ماجاء غيرُ خالدٍ = ماجاء سوى خالدٍ .

و « غير وسوى » في هذا التركيب اسمان معربان ، تظهر فيه الحركات

---

(١) ذهب الإمام الرازي إلى أن (إلا) قد تكون بمعنى (بعد) ، واستدل على ذلك بالآيتين : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ﴾ . (النساء : ٢٢) ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ . (الدخان : ٥٦) أي : بعد ما قد سلف ، وبعد الموتة الأولى . انظر : التفسير الكبير : ١٢/١٠ وذكر سيبويه أنها قد تأتي بمعنى حتى . انظر : الكتاب : ٢/ ٣٤٢ .

على « غير » وتقدر على « سوى »[1] .

وكثيراً ما يكون الاستثناء بـ « غير » منقطعاً ، كقول النابغة الذبياني في مديح الغسانيين :

ولاعَيْبَ فيهمْ ، غير أنَّ سيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

فكون سيوفهم بهن فلول من القراع ليس من جنس العيب ، ومثله قول النابغة الجعدي :

فتىً كملت خيراتُه غير أنه جوادٌ فلا يبقي من المال باقيا

٣ ـ خلا ، عدا ، حاشا :

وهذه الأدوات تؤدي معنى الاستثناء ، تقول : جاء القومُ خلا زيداً ، أو زيدٍ ، ومررتُ بهم عدا أخاك أو أخيك ، وسرق الأولاد حاشا أخاك أو أخيك .

فمعنى هذه الأدوات كما ترى لايختلف عن معنى « غير » و « إلا » ، ولكنها من حيث الإعراب لاتعرب أدوات استثناء ، ولا اسماءً منصوبة على الاستثناء ، وإنما تُعرب كما يلي :

ـ جاء القومُ عدا زيداً ، أو خلا زيداً ، أو : حاشا زيداً .

عدا أو خلا أو حاشا : فعل ماضٍ جامدٌ ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره هو « على غير المألوف » ، يعود إلى مصدر منتزع من الفعل المتقدم « جاء » . والتقدير : عدا مجيئُهم زيداً[2] .

وزيداً : مفعول به منصوب .

وجملة : عدا زيداً : في محل نصب ، حال[3] .

وهناك صورة أخرى لهذه الأدوات ، وهي أن يكونَ مابعدها مجروراً ، فتكون حروفَ جرّ ، مثل : جاء القوم عدا زيدٍ ، خلا زيدٍ ، حاشا زيدٍ .

---

(١) يرى جمهور البصريين أن « سوى » ظرف مكان ، فإذا قلت : لا أبتغي جاراً سواك . كان المعنى : لا أبتغي جاراً مكانك . ولهم في هذا كلامٌ طويل .

(٢) هناك آراء أخرى ليست بذات شأن .

(٣) لم تلحق « قد » الجملة لأن فعلها جامد .

والجار والمجرور يتعلقان بالفعل المتقدم عليها[١] .

وثمّة صورة ثالثة لاستعمالها ، وهي أن تدخل عليها « ما » المصدرية . وحينئذٍ لاتكون إلا أفعالاً تنصب مابعدها ، لأن « ما » المصدرية تكاد تختص بالدخول على الأفعال ، تقول : جاء القومُ ماخلا زيداً ، وما عدا زيداً ، وماحاشا زيداً . وتعرب كما يلي :

ما : مصدرية .

خلا ، عدا ، حاشا : فعل ماضٍ جامد ، والفاعل ضمير مستتر . . . الخ والمصدر المؤول في محل نصب حال . والتقدير : جاء القومُ مجاوزين زيداً ، والجملة صلة الموصول الحرفي ، لامحل لها من الإعراب . وقد قدَّر المصدر ـ كما ترى ـ اسم فاعل لأن الأفعال الجامدة ليس لها مصادر .

وقد يحذف الفعل وتبقى اختصاراً وتخفيفاً في النطق ، كما في قول العرب : « كل شيءٍ مَهَهٌ ـ أي سهلٌ ـ ما النساءَ ، وذكرَهُنَّ » والتقدير : ماخلا النساء وذكرهُنّ . والتقدير : ماخلا النساء وذكرهُنّ .

٤ ـ ليس لايكون :

وهذان فعلان ناقصان ، إلا أنهما في الاستثناء يستتر اسمهما وجوباً . تقول : جاء الناسُ ليس زيداً ، أو لايكون زيداً ، وجاء في الحديث النبوي : « يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانةَ والكذب » ، ومنه قول تأبّط شراً :

لاشيءَ أسرعُ مني ليس ذا عُذَرٍ   وذا جناحٍ بجنبِ الرَّيْدِ خفَّاقِ[٢]

٥ ـ بَيْدَ :

وهي ملحقة بأدوات الاستثناء ، وليست أصيلة فيها ، لأنها لاتتصرف كما تتصرف « غير ، وسوى » مثلاً ، إذْ يشترط في استعمالها أن يكون الاستثناء منقطعاً ، وأن يأتي بعدها مصدرٌ مؤول مجرور بالإضافة مثل : ذهبت

(١) يرى بعضهم أنها حروف جر شبيهة بالزائدة ، وما بعدها مجرور لفظاً ، منصوب محلاً على الاستثناء ، وليس ببعيد ، لأنها لا توصل معنى الفعل إلى مجرورها ، وبهذا تشبه « ربَّ » . ولكن النحاة الثقات لا يقولون بذلك .

(٢) عذر : جمع عذرة ، وهي ناصية الفرس . الرَيْدُ : أعلى الجبل .

إلى الشاطىء بَيْدَ أني لم أُطِلْ الوقفةَ ،

هـ ـ وقوع الجملة بعد « إلا » :

يكثر مجيء الجملة بعد « إلا » حين تكون أداة حصر في الاستثناء المفرغ ، وتكون فعلية أو اسمية ، وتعرب حالاً وإن وقعت بعد نكرة ، لأن مافي أسلوب الاستثناء المفرغ من نفي أو نهي أو استفهام يجعل النكرة عامة صالحة أن تكون صاحبة حال ، وذلك كما ترى في قوله تعالى : ﴿ وماأهلكنا من قريةٍ إلا لها منذرون ﴾ (الشعراء : ٢٠٨) وقوله : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾ (الحجر : ٤) ، وتقول : ماتحدث فلان إلا قال خيراً .

وإذا لم يكن الاستثناء مفرغاً فمن النادر مجيء الجملة بعد (إلا) ، وذلك كما ترى في قوله : ﴿ لستَ عليهم بمصيطر ، إلا من تولى وكفر ، فيعذبه الله العذابَ الأكبر ﴾ (الغاشية : ٢٢ ، ٢٤) . فـ(مَنْ) مبتدأ ، وجملة (يعذبه الله) خبره . والفاء زائدة . وقد ذهب بعض النحاة إلى أن الجملة هنا في محل نصب ، مستثنى بإلا . وذهب آخرون إلى أنها استئنافية ، والراي الثاني هو الصواب ، لأن (إلا) هنا بمعنى (لكنْ) التي تفيد الاستدراك[1] .

شواهد للتدريب

١ ـ « كل شيءٍ هالكٌ إلا وَجْهَهُ ﴾ (القصص : ٨٨) .

٢ ـ ﴿ ويأبى الله إلا أن يُتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (التوبة : ٣٢) .

٣ ـ ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم من سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ (الحجر : ٤٢) .

---

(١) انظر : مزيداً من التفصيل في هذه الجملة في كتابنا : المختار من أبواب النحو : ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .

٤ ـ ﴿ إن يتخذونك إلا هُزُواً ﴾ (الأنبياء : ٣٦) .

٥ ـ ﴿ الذين خرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله ﴾ (الحج : ٤٠) .

٦ ـ ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس ﴾ (يونس : ٩٨) .

٧ ـ قال ذو الرمة :

هل الناسُ إلا نحن أم هل لغيرنا بني خِنْدِفٍ إلا العواريَّ مِنْبَرُ

٨ ـ قال الأخطل :

رأيت الناس ماحاشا قريشاً فإنا نحن أفضلهم فَعالا

٩ ـ قال النابغة :

فما وجدتُ بها شيئاً ألوذُ به إلا الثمامَ وإلا موقدَ النار

١٠ ـ قال عمرو بن معد يكرب :

وكلّ أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

١١ ـ قال ذو الرمة :

ألا طرقتنا مَيّةُ بنةُ منذرٍ فما أرّق النوامَ إلا سلامُها

١٢ ـ قال أحدهم :

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهونُ غيرَ شماتةِ الحسّادِ

١٣ ـ وقال آخر :

لكل داءٍ دواءٌ يستطب به إلا الحماقةَ أعيتْ من يداويها

١٤ ـ قال زهير :

وما الحربُ إلا ماعلمتم وذقتم وماهو عنها بالحديث المرجَّمِ

١٥ ـ قال الفرزدق :

حاشا قريشاً فإن الله فضلهم على البرية بالإسلام والدين

١٦ ـ قال شاعر :

أبحناحيهم قتلاً وأسراً عدا الشمطاءِ والطفلِ الصغيرِ

الحال

من الممكن أن أخبر عن « عُمَر » بالمجيء ، فأقول :

عُمر جاءَ . أو : جاء عُمَر .

وهذا خبر محض لم يظهر فيه إلا شيء واحد هو إسناد المجيء إلى عمر ، فإذا أردتُ أن أضيف إلى الإسناد معنىً فرعياً ، كأن أبيّن هيئة (عمر) وقت المجيء كان لابد من إضافة عنصر لفظي آخر يؤدي هذا المعنى فأقول :

ـ جاء عُمَرُ راكباً .

أو ـ عمرُ جاءَ راكباً .

فالإخبار عن (عمر) في هاتين الجملتين لم يقتصر على المجيء المجرد ، بل التبس به معنى آخر هو المجيء في حالة ركوب ، بل إن المجيء المجرد لم يعد هو المقصودَ في الجملة ، فالمخاطب يعلم أن عمر جاء ، ولكنه لايعرف الحال التي جاء فيها ، فإذا أدخلت على الجملة أداة نفي نَفَتِ الحال ولم تنفِ المجيء ، تقول :

ماجاء عُمر راكباً

فهذه الجملة لاتنفي مجيء عمر المجرد ، بل تنفي أن يكون جاء في حالة ركوب ، وبهذا يكون المجيء حاصلاً ، ولكن الوكوب غير حاصل .

وإذا عدت إلى الجملة السابقة وجدت فيها ثلاثة مكوِّنات لابُدَّ منها في التعبير عن الحال ، هي :

١ ـ الحال : وهي التي تبيّنُ الهيئةَ[١] ، وهي في الجملة (راكباً) .

---

(١) قد تكون الحال للتوكيد أو للتوطئة فلا تبين الهيئة فحسب ، وسوف نتحدث عن هذا بتفصيل بعد قليل . هذا والحال منصوبة ، ولكنها قد تجر بالباء الزائدة وهذا قليل ، منه قول الشاعر :

فمــا رجعــت بخــائبــةٍ ركــابٌ   حكيـمُ بـنُ المسيّـب مُنتهـاهـا

٢ ـ صاحب الحال : وهو الذي تبيّن الحالُ هيئتَهُ ، وهو في الجملة (عمر) .

٣ ـ الحدث أو العامل في الحال : وهو في الجملة (جاء) .

ولابد للحال من صاحبٍ وعامل ، ولابد لها من أن تقع في جملة تامة العناصر ، سواء أكانت جملة فعلية أم كانت جملة اسمية ، فمن وقوعها في جملة قولك : بدتِ السماءُ صافيةً ، وغردتِ الأطيارُ سعيدةً بجمالِ الحدائق ، وخرج الناسُ من بيوتهم مبكرين . ومن وقوعها في جملة اسمية قوله تعالى : « فتلك بيوتُهم خاويةً ﴾ (النمل : ٥٢) ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً ﴾ (الأنعام : ١٥٣) ومثله قولك : هو لك خالصاً . وعَهْدي بك شاباً . وكأنَّ هذا أبي متحدثاً ، وأنت زيد معروفاً[1] .

وسوف نوزّع بحث الحال هذا في ثلاثة أقسام : قسمٍ لبحث الحال نفسها ، وقسمٍ لبحث صاحبها ، وقسم لبحث العامل فيها .



أي : فما رجعت : خائبةً .

(١) هناك كلمات تقع حالاً في معظم استعمالاتها وهي : جميعاً ، معاً ، قاطبةً ، طُرّاً ، كافةً ، عامَّةً ، هنيئاً ، قَضَّهم بقضيضهم ، الجماءَ الغفيرَ ، كابراً عن كابر ، فصاعداً ، فنازلاً .

١ ـ الحال

يُناط بالحال عدة وظائف ، وكنا قد اقتصرنا في التمهيد على ذكر وظيفة واحدة لها ، تاركين لهذه الفقرة الحديث المفصل عنها ، فما هي ؟ .

آ ـ وظائف الحال

١ ـ بيان الهيئة :

آ ـ هذه الوظيفة أهم وظائف الحال[1] ، فهي تدل على الهيئة التي كان عليها الفاعل أو المفعول به أو غيرهما وقت وقوع الحدث ، فإذا قلتَ : جاءَ عبدُ الله مسرعاً . فالحال (مسرعاً) تدل على هيئة الفاعل وقت المجيء ، وإذا أنت أسقطتها من الجملة انعدمت الدلالة على الهيئة ، وحينئذٍ لايُعرف كيف جاءَ عبد الله ، أمسرعاً أم بطيئاً .

ب ـ غير أن الحال أحياناً لا تبين هيئة صاحبها نفسه ، بل هيئة شيء آخر ذي علاقةٍ به ، مثل : أقبلَ علينا سعدٌ باسماً ثغرُهُ ، مشرِقةً أساريرُه ، حسناً هندامُه . فالحال الأولى (باسماً) لاتبين هيئة (سعد) صراحةً ، بل تبين هيئة (ثغره) . والحال الثانية (مشرقة) تبين هيئة الأسارير لاهيئة سعد ، والحال الثالثة (حسناً) تبيّن هيئة (هندامه) .

فإذا بينت الحال هيئة صاحبها قيل لها« حال حقيقة » ، وإذا بينت هيئة شيءٍ آخر ذي علاقة بصاحبها قيل لها : « حال سببية » . ويختلف النوعان من حيث العلاقة بصاحب الحال ، فالحقيقة تطابق صاحبها في العدد والجنس-،

(١) وهي التي تذكر في تعريف الحال ، وذلك كما ترى في قول ابن مالك :
الحالُ وصفٌ فَضْلَةٌ منتصبُ   مُفْهِمُ في حالِ ، كفرداً أذهبُ

فإذا كان مفرداً أُفردت ، مثل : أقبل خالدٌ ضاحكاً . وإن كان مثنى ثنيت ، مثل جاء القائدان ضاحكين . وإن كان جمعاً جمعت ، مثل : جاء القادةُ مُسرعينَ . وإن كان مذكراً ذكرت ، وإن كان مؤنثاً أنثت ، مثل : عادتْ زينبُ حزينةً .

أما الحال السببية فلا تطابق صاحبها ، بل تطابق الشيء الذي تبين هيئته في التذكير والتأنيث ، فقد رأيتَ قبل قليل أن الحال (مشرقة) لم تطابق صاحبَ الحال (سعداً) في التذكير ، بل طابقت في التأنيث مابينت هيئة وهو « أساريره » . وتقول أيضاً : يعملُ أبي في هذه الشركة منصرفةً همتُه إلى رفع مستواها . أما في العدد فلا تطابقه وجوباً ، بل قد تلزم الإفراد كما رأيت فيما سبق ، وقد تطابقه كما في قوله تعالى : ﴿ خُشّعاً أبصارُهم يخرجون من الأجداث ﴾[1](القمر : ٧) .

ج ـ ولما كانت الوظيفةُ الأساسية للحال تبيين الهيئة غلب عليها أن تكون دالّةً على صفةٍ متحولة غيرِ ثابتة ، ويسميها النحاة في هذه الصورة الدلالية « متنقلة » . ويغلب عليها ألا تكون خلقة أو سجية في صاحبها ، ولاصفة ملازمةً له في كل وقت ، بل ينبغي لها أن تكون صفة عارضة زائلة تصف حالة من حالات صاحبها وقت وقوع الحدث ، فلا يقال مثلاً : أقبل علينا سعدٌ قصيراً أبيضَ دميماً . لأن هذه الصفات خلقة ثابتة في سعد ، وليست خاصة به وقت وقوع الحدث .

على أن الحال قد تقع في الكلام دالة على صفة ثابتة أو على خلقة ، ويرجع هذا أحياناً إلى دلالة العامل في الحال ، إذ قد يقتضي حالاً من هذا النوع ، كأن يكون العامل مثلاً واحداً من هذه الأفعال : خُلق ، وُلد ، نشأ ، وما في معانيها ، تقول : خُلِقَ فلان طويلاً جَعْدَ الشعرِ نبيلاً . وتقول : وُلد فلانٌ دميماً قبيحَ المنظر . وقد قيل : ولد بشارُ بن بُرْدٍ أعمى لم يَرَ الدنيا قط . ويقال : نشأ عنترةُ في البادية عبداً أسودَ شجاعاً

---

(١) في عامل الحال (خشعاً) غير قول .

وقد يكون معنى الثبوت ناجماً من وظيفة الحال أو دلالتها المعجمية ، فإن كانت للتأكيد ـ كما سوف ترى ـ أو كان سياق التركيب اللغوي ذا علاقات خاصة أفادت الحال معنى الثبوت ، كما في قوله : ﴿ وسلام عليه يومَ وُلدَ ويومَ يموتُ ويوم يُبْعَثُ حياً ﴾ (مريم : ١٥) فالحال (حياً) مؤكدة لعاملها (يبعث) ، وتدل على ثبوت . ومن ذلك قوله : « وهذا بعلي شيخاً ﴾ (هود : ٧٢) .

وقد تكتسب الحال معنى الثبوت من سياق الحال العامة وسياق التركيب اللغوي ، لامن دلالة العامل ، ولا من وظيفة الحال نفسها ، ويتضح لك هذا في قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾ (آل عمران : ١٨) . فالحال (قائماً) ليس لهامن دلالتها المعجمية مايدل على ثبوت ، ولكن نسبة القيام بالقسط إلى الله لايمكن أن تكون عرضية غير ثابتة .

د ـ وفي بعض التراكيب يرتكز معنى الكلام كله على وظيفة الحال ، بحيث يكون بيان الهيئة بؤرةَ المعنى ، ولايمكن الاستغناء عنه وإلا صار الكلام إلى حالٍ من التشويه وعكس المراد ، وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ وماخلقنا السماواتِ والأرضَ ومابينهما لاعبين ﴾ (الدخان : ٣٨) فالحال (لاعبين) هي بؤرة الكلام ، وهي المقصودة بالنفي ، لأن المعنى : ماكنا نلعب حين خلقنا السماوات والأرض . فإذا حذفتها صار الكلام : وما خلقنا السماوات والأرض ومابينهما . وهذا معنى لايُراد من الآية ، بل يراد عكسه . ومثل ذلك أيضاً قوله : ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاةِ قاموا كُسالى ﴾ (النساء : ١٤٢) .

وإنما يكون بيانُ الهيئة بؤرة الدلالة في الجملة إذا كانت منفية أو بصيغة النهي ، مثل : ماجاء سعدٌ راكباً . إذ لايمكن إسقاط الحال هنا ، لأن المعنى حينئذٍ يصير إلى غير المقصود من الكلام . وتقول أيضاً : لاتتحدث إلى أبيك غاضباً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لاتقربوا الصلاة وأنتم سَكارى ﴾ (النساء : ٤٣) .

وقد يَكون بيان الهيئة بؤرة الجملة من دون نفي أو نهي كما رأيت في الآية الأخيرة : قاموا كسالى . وكما ترى في الحديث الذي جاء على لسان جابر ، بن عبد الله الخزرجي الأنصاري : « نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحيوانِ نسيئةً اثنين بواحد »[1] .

٢ ـ الحال الموطئة :

وفي بعض الأحيان لاتحمل الحال نفسها معنى بيان الهيئة ، بل تحمله صفةٌ تقترن بها ، وتصبح جزءاً منها ، وبهذا تكون وظيفة الحال في الجملة أن تذكر لتقترن بها صفتها ، أي تنتقل بؤرة المعنى من الحال إلى صفتها ، وهذا واضح في العبارة التالية

ـ يبدو لي أبوك رجلاً طيباً .

فمن الواضح هنا أن وصف الرجل بالطيبة هو مرتكز المعنى ، فلو أنك حذفت الصفة (طيباً) وقلت : يبدو لي أبوك رجلاً . لما كان لهذا الكلام معنى ، فالمخاطب يعرف أن أباه رجل لا امرأة ولا صبي ، وبهذا لم تفده شيئاً يجهله في أبيه .

ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ (يوسف : ٢) فالصفة (عربياً) هي التي تبين هيئة صاحب الحال ، وهي المقصودة في الكلام ، فالمخاطبون لايُرجى عقلهم لكونه نزلَ الكتابُ على النبي قرآناً فحسب ، بل لكونه نزل عربياً يفهمونه ، ويقدرون على النفوذ إلى أغراضه ومراميه ، ويدركون أسراره وبلاغته . ومثل ذلك أيضاً قوله : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثَّل لها بشراً سَوِيّاً ﴾ (مريم : ١٧) .

٣ ـ الحال مؤكِّدة :

وقد تضيف الحال إلى وظيفتها الأساسية ـ وهي بيان الهيئة ـ معنىً فرعياً آخر هو التوكيد ، ويكون المؤكد في هذه الحال واحداً من ثلاثة : عامل الحال ، أو صاحبها ، أو مضمون الجملة المتقدمة على الحال .

---

(١) انظر : مسند الإمام أحمد : ٣/ ٣١٠ .

آ ـ مؤكدة للعامل :

قد تأتي الحال ومعناها كمعنى عاملها أو مقارب له ، وبهذا يعاد المعنى مرتين : مرةً بلفظ العامل ، وأخرى بلفظ الحال ، وهذا هو سرُّ دلالتها على التوكيد ، وذلك مثل : ﴿ فتبسَّم ضاحكاً من قولها ﴾ (النمل : ١٩) فالعامل هو الفعل (تبسم) والحال (ضاحك) ، والمعنيان متقاربان . وتقول : بعثه الله حَيّاً . وولى جيش العدو مُدْبراً . ومنه قول أبي طالب :

والله لـن يصلـوا إليـك بجمعهـم حتـى أُوَسَّـدَ فـي التـرابِ دفينـا

وقد يشتق لفظ الحال من لفظ العامل فيتقارَبُ بذلك اللفظان والمعنيان ، وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ وسخّر لكمُ الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ والنجومَ مُسخَّراتٍ بأمره ﴾ (النحل : ١٢) . وقد تكون الحال جملة ، وتؤدي معنى العامل نفسه ، كقولك : توليتم وأنتم منهزمون . أو : فررتم وأنتم مدبرون .

ب ـ مؤكدة لصاحبها :

وقد يتقارب معناها من معنى صاحبها ويُفهم منه ، فإذا قلت : جاء التلاميذُ . فُهم معنى الشمول من الجمع (التلاميذ) ، ولكن يُخشى احتمالُ المجاز ، أي أن يكون بعض التلاميذ لم يجيء ، فإذا قلت : جاء التلاميذُ كافةً . أو : طُرّاً ، أو : قاطبةً ، أو جميعاً . دُفع بالحال احتمال المجاز ، وهذا هو معنى التوكيد الذي فيها[1] . وقال تعالى : ﴿ ولو شاء لآمَنَ مَنْ في الأرض كلُّهم جميعاً ﴾ (يونس : ٩٩) .

ج ـ مؤكدة لمضمون جملة :

وقد تؤكد الحال مضمون جملة متقدمة عليها ، وهذا ـ وإن كان قليلاً في الكلام ـ وارد في نصوص اللغة الفصيحة ، مثل : أنت عبدُ الله معروفاً . فالحال (معروفاً) أكد كون المخاطب عبد الله[2] . وقال سالم بن دارة :

أنـا ابـنُ دارةَ معـروفـاً بهمـا نسبـي وهـل بـدارةَ ـ يـالنـاسِ ـ مـن عـارِ

---

(١) وهذا يشبه اسم التوكيد (كل) في مثل : جاء التلاميذ كلهم .

(٢) وهذا يشبه المفعول المطلق المؤكد لمضمون جملة مثل : أنت أخي حقاً .

فالشاعر يعتز بنسبه إلى أمه (دارة) ، ويؤكد بقوله (معروفاً) أنه ابنُها[١] .

ويشترط في الجملة المؤكدة أن يكون جزءاها معرفتين ، وأن يكونا اسمين جامدين ، كما رأيت في المثل ، وفي الشاهد الشعري[٢] .

ب ـ أشكال الحال

وللحال ثلاثة أشكال ، فقد تكون اسماً مفرداً ، وقد تكون جملة ، وقد تكون شبه جملة : أي جاراً ومجروراً أو ظرفاً .

١ ـ الحال اسم مفرد

١ ـ اسم مشتق :

ويغلب على الحال أن تكون اسماً مشتقاً مما يشبه الفعل ، أي اسمَ فاعلٍ ، أو اسمَ مفعولٍ ، أو صفةً مشبهةً ، أو اسمَ تفضيل ، أو صيغة من صيغ المبالغة ، أو يكون ملحقاً بالمشتقات كالاسم المنسوب .

فمن مجيئها اسمَ فاعلٍ قوله تعالى : ﴿ هو الحقُّ مُصدِّقاً لما بين يديه ﴾

(١) اختلف النحاة في عامل هذه الحال فقيل : المبتدأ مضمناً معنى التنبيه ، وقيل : الخبر مؤولاً بمسمى ، وقيل : هو محذوف وجوباً . انظر : المطالع السعيدة . للسيوطي ص : ٣٥٨ . وقد يكون عامل الحالّ هو العامل في صاحبها مثل : جاء سعد راكباً . وقد يكون غيره ، مثل : هذا بعلي شيخاً . فالعامل في (بعلي) الابتداء . والعامل في الحال اسم الإشارة أو التنبيه . ومثل : لمية موحشاً طللُ . فصاحب (طلل) مرفوع بالابتداء ، والحال (موحشاً) منصوبة بخبره المحذوف .

(٢) من الأحوال ما توافق عاملها في الزمن مثل : هذا أخوك مقبلاً ، ويقال لها (المقارنة) وفيها ما سيقع في المستقبل ، مثل : جاء أخوك ومعه تذكرة سفرٍ مسافراً بها غداً . ويقال لها (المقدَّرة) ومنها ما يكون في الماضي مثل : نام أخوك منذ ساعةٍ متعباً . ويقال لها (المحكية) .

(فاطر : ٣١) وقوله : ﴿ ومانرسِلُ المرسَلين إلا مُبَشّرين ومنذرين ﴾ (الكهف : ٥٦) وتقول : أتاك الربيعُ الطلْق يختالُ ضاحكاً . وما أَتى الرجلُ طالباً للأجرِ محتسباً . فالأحوال في هذه الجمل كلها أسماء فاعلين : مصدقاً ، مبشرين ، ضاحكاً ، طالباً ، محتسباً .

ومن مجيئها اسمَ مفعول قول الشاعر :

فهَـلاّ أَعَـدُّونـي لمثلـي تفـاقَـدوا وفي الأرضِ مَبْثوثاً شجاعٌ وعَقْرَبُ

فقوله : مبثوثاً . هو الحال ، وهو اسم مشتق بصيغة اسم المفعول . وتقول : عاد العمالُ مع المساءِ مَكْدودينَ مُتْعَبين . أو تقول : عاد المنافقون مخذولين مدحورين . وقال تعالى : ﴿ ثم جعلنا له جهنم يَصْلاها مَذْموماً مدحوراً ﴾ (الإسراء : ١٨) .

وتجيء الحال كذلك صفة مشبهة ، كقول الشاعر :

تَـرَنَّـحَ السَّـوْطُ فـي يُمْنـى مُعَـذِّبِهـا سَكْـرانَ مـن دمهـا المسفـوحِ رَيّـانـا

فسكران وريان حالان ، وهما ـ من الناحية الصرفية ـ اسمان مشتقان .

وتجيء اسم تفضيل مثل : يظهر لي هذا الحوضُ أَوْسعَ من ذاك . وتجيء صيغة من صيغ المبالغة كقوله : ﴿ وإذا بطشتُم بطشْتُمْ جبارين ﴾ (الشعراء : ١٣٠) .

أو تجيء اسماً منسوباً ، تقول : تبدو لي عربياً . وتقول : أتميمّياً مرةً وقيسيّاً مرةً أخرى .

تلك هي السمة الغالبة للحال ، ولاتأتي على صور المشتقات الصرفية الأخرى التي لاتشبه الفعل ، فلا تكون مثلاً : اسمَ آلةٍ ، ولا اسمَ مكان ، ولا اسم زمان ، إلا على الصور التي تكون فيه اسماً جامداً كما سوف ترى .

٢ ـ الحال اسم جامد :

وقوع الحال اسماً جامداً كثير في متن اللغة[١] ، ولكنه ليس بكثرة

(١) يجعل النحاة مجيء الحال اسماً جامداً فرعاً لا أصلاً ، لأن الأصل فيها أن تكون اسماً مشتقاً ، وسبب ذلك أنها وصفٌ لصاحبها ، وكل ما فيه معنى الوصف ينبغي

وقوعها اسماً مشتقاً ، وهو ـ مع ذلك ـ ذو شعبتين : فمرة تكون اسماً جامداً مؤولاً بمشتق ، وطوراً تكون اسماً جامداً لايؤول بمشتق ، ودونك الحديث عنهما بتفصيل :

آ ـ اسم جامد مؤول بمشتق :

ولهذا عدة حالات هي :

١ ـ أن تقع موقعَ المشبه به :

وهذا كثير في الشعر والنثر الأدبي ، تقول : حملتُ تاريخيَ وِساماً على صدري ، وطرحتُ الذُلَّ شِلْواً في الأرض ، ولسوف أذوقُ الموت عسلاً ، وارتديت الشعرَ بُرْدةً . فـ « وساماً ، وشلواً ، وعسلاً ، وبردة » أسماء جامدة ، ولكنها مؤولة باسم مشتق يُنتزع من معانيها فكأنك قلت : حملتُ تاريخي مفتخراً أو مباهياً له ، وطرحتُ الذل قتيلاً ، ولسوف أذوق الموت متلذذاً به ، أو حُلْواً ، وارتديت الشعر مزيناً لي ، وهذه الأحوال كلها مشبه بها ، فكأن المعنى : حملت تاريخي كالوسام ، وطرحت الذل كالشِلْو ، وأذوق الموت كالعسل ، وارتديت الشعر كالبردة ، وقد جاء مثل هذه التراكيب في الشعر الحديث ، كقول شوقي يصف الطيارة :

حَمَلَ الفولاذَ ريشاً وجرى ... في عَنانينِ له : نارٍ وماء

وقول أبي ريشة :

واطرحي الكبرياءَ شِلْواً مُدَمَّى ... تحت أقدامِ دهرِكِ السكّير[١]

٢ ـ أن تدل الحال على مفاعلة :

وذلك مثل قولهم : سلمتُه المالَ يداً بيدٍ . أي : مُقابَضةً . وتؤول : باسم الفاعل : مقابِضَيْنِ . ومثل : قابلته وجهاً لوجهٍ . أي : مواجهةً .

أن يكون مشتقاً كالنعت ، والخبر ، والحال . لأن الوصف يدل على شيء في الموصوف . وتلك هي وظيفة الحال . أما الاسم الجامد فيدل على (كل) ، ولذلك لا يوصف به في الأصل .

(١) في بيت أبي ريشة هذا علة أخرى لجواز مجيء الحال اسماً جامداً هو أنها وصفت باسم مشتق .

وكلمته فاهُ إلى فيَّ . أي : مشافهةً . وهو جاري بيتاً لبيتٍ ، أي : مُلاصَقةً . وسايرته جنباً إلى جنب ، أي : ملاصقة .

وواضح من هذه الأمثلة أن الحال في المعنى هي مجموع الكلمتين ، إلا أن الإعراب هنا لايجاري المعنى الوظيفي ، ولذلك نقول في إعراب أمثال هذه الكلمات مايلي :

يداً : حال منصوبة ، وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة .

بيد : جار ومجرور ، معلقان بصفة محذوفة لـِ (يداً) . أي : يداً كائنةً أو موجودةً بيد . وهكذا تُعرب أمثالها من الأحوال[1] .

٣ ـ أن تدل على سعر :

وكذلك تكون الحال اسماً جامداً مؤولاً بمشتق إذا دلت على سعر ، تقول : اشتريتُ القماشَ متراً بدينار . واشتريتُ الأرضَ فداناً بألفِ دينار . وبيع الحليبُ لتراً بدرهم . ففي هذه الأمثلة وقعت الحال جامدة : متراً فداناً ، لتراً . ولكنها يمكن تأويلها بمشتق ، كأن يكون اسم مفعول : مُسعَّراً أو مسعَّرةً .

٤ ـ أن تدل على ترتيب :

وذلك بأن يذكر في البدء المجموع كله ، ثم يذكر بعده من أجزائه مايدل على ترتيب ، وذلك مثل : دخل الطلابُ قاعة المحاضرات ثلاثةً ثلاثةً . اصعدِ السلم درجةً درجةً . افتح الصناديقَ صندوقاً صندوقاً . واللفظان المكرران هما الحال في المعنى . أما في الإعراب فأولهما هو الحّال ، ويعرب الثاني معطوفاً عليه بحرف عطف محذوف هو الفاء[2] . ويؤول الاسم الجامد في كل ماذكر من أمثلة بالاسم المشتق : مرتّبين .

---

(١) يجب الانتباه إلى أن بعض أشباه الجمل قد يعلق بحال لا بصفة ، وذلك إذا كان ما قبله معرفة مثل : فاه إلى فيَّ . وهذه الأحوال تنوب عن المصدر والمصدر ينوب عن المشتق : فاه إلى فيّ ـــ مشافهةً ـــ مشافهاً .

(٢) اختيرت الفاء هنا لدلالتها على الترتيب والمعاقبة . وقيل : اللفظ الثاني توكيد لفظي ، وهذا رأي مرجوح ، لأن الكلام خالٍ من معنى التوكيد الصريح .

٥ ـ أن تكون الحال مصدراً :

وكثر في متن اللغة مجيء الحال مصدراً ، حتى زعم أحد النحاة أن ذلك أكثر من مجيئها اسماً مشتقاً ، تقول : جاء الناسُ ركضاً . ويؤول المصدر هنا باسم الفاعل : راكضين . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرُّعاً وخُفيةً ﴾ (الأعراف : ٥٥) أي : متضرعين . ومثله : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، فقال لها وللأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين ﴾ (فصلت : ١١) أي : ائتيا طائعتين أوكارهتين ، وتقول : أتى الناس سَعْياً ، وتصدقتُ بالمالِ سراً ، ودعوت الناس جهراً ، ولقيت أخي فَجْأةً ، وصادفني بَغْتَةً . وكل هذه المصادر مؤولة بأسماءٍ مشتقة ملائمةٍ لها(١) .

ب ـ الحال اسم جامد غير مؤول بمشتق :

ولهذا النوع أيضاً عدة حالات ، هي :

١ ـ أن توصف الحال بمشتقٍ ظاهرٍ أو مقدَّر : مثل : ﴿ فتمثل لها بشراً سَوِياً ﴾ (مريم : ١٧) (إنا أنزلناه قرآناً عربياً) (يوسف : ٢) وهي الحال الموطئة .

٢ ـ أن تدل على عدد : مثل ﴿ فتم ميقاتُ ربه أربعين ليلةً ﴾ (الأعراف : ١٤٢) .

---

(١) ليس هذا الرأي موضع إجماع النحاة ، بل ثمة مذهبان في هذه المصادر ، وكل مذهب منهما ذو شعبتين أو أكثر ، فالذين يذهبون إلى أنها أحوال فريقان : يرى الأول أنها مؤولة بمشتق ، وهو ما عرضناه في متن الكتاب . ويرى الثاني أنها على حذف المضاف وإحلال المضاف إليه محله إذ الأصل في قولنا : جاء فلان ركضاً : جاء ذا ركضٍ . والذين يرون أنها ليست حالاً بل هي مفعول مطلق يختلفون في تقدير العامل المحذوف ، فبعضهم يقدره فعلاً : يركض ركضاً ، وآخرون يقدرونه اسمَ فاعلٍ واقعاً حالاً : جاء فلان راكضاً ركضاً . وآخرون يجعلون مما قارب العامل في المعنى ، لأن (جاء) مثلاً قريبة المعنى من (ركضَ) وهذا عندهم مثل : قعد جلوساً . ويرى آخرون أن التقدير : جاء فلان مجيءَ ركضٍ . ثم حذف المضاف وناب عنه المضاف إليه .

٣ ـ أن تدل على طور وتفصيل : مثل : هذا البحثُ كتاباً خير منه مقالةً . وهذه الأرضُ حقلاً خير منها حديقةً . على تقدير أن البحث كان مقالة ثم وُسِّع حتى صار كتاباً . وأن الأرض كانت قبلُ حقلاً ثم حولت إلى حديقة .

٤ ـ أن تكون الحال نوعاً من أنواع صاحبها ، مثل : هذا مالُك ذهباً ، وخذ أوراقَك دفتراً . وتسلَّم قماشَك ثوباً .

٥ ـ أن يكون صاحبها نوعاً من أنواعها ، مثل : ﴿ وتنحتون الجبالَ بيوتاً ﴾ (الأعراف : ٧٤) ﴿ أأسجد لمن خلقت طيناً ﴾ (الإسراء : ٦١) .

٣ ـ الحال بين التنكير والتعريف :

من الأمثلة والشواهد الكثيرة التي مرت بك يتبيَّنُ لك أن الحال في جُلِّ استعمالاتها تكون نكرة : راكباً ، ضاحكاً ، ماشياً ، مقبلاً ، الخ . . . ومن الفضول أن نسوقَ على هذه الظاهرة الشائعة شاهداً أومثالاً ، إلا أن الشيءَ المهم الذي يجب أن نعرفه هو أن الحال قد تقع شبه معرفة في الظاهر ، ولكنها في الحقيقة نكرة .

من ذلك أن لفظ الحال قد يكون مضافاً إضافةً لفظية[1] ، كما في قول الشاعر ، وهو شعبةُ بن قمير :

إذا ماجئتُ زائرَهم دعاني ... شريدُهم وهل لهمُ شريدُ

فقوله : زائر . حال ، وهو مضاف إلى الضّمير ، ومع ذلك لم يكتسب تعريفاً ، والتقدير : إذا ماجئتُ زائراً إياهم . وتقول : يبدو سَعْد بين أصدقائه طويلَ القامةِ ، حسنَ الشكل ، جَيّدَ السلوك .

وقد يكون لفظ الحال من الأسماء المغرقة في التنكير ، فيحافظ على تنكيره وإن أضيف إضافة معنوية مثل : انقضَّ الطائرُ مِثْلَ النسر . فـ (مثل) حال ، وهو هنا نكرة وإن أضيف إلى (النسر) . وتقول : يظهر سعيدٌ مثلَ أبيه في الرجال .

---

(١) الإضافة اللفظية لا يكتسب فيها المضاف تعريفاً من المضاف إليه . انظر بحث : المضاف إليه في هذا الكتاب .

على أن الحال قد تقع معرفة صريحة : ولكن ذلك لايعدو الظاهر من اللفظ ، أما في الواقع فإنها تبقى كالنكرة في التأويل والقصد ، من ذلك قولهم : جاؤوا الجماءَ الغفير[١] . فالجماءَ : حال وهي اسم معرف بأل ، ولكن القصد : جاؤوا جميعاً . ويقال : دخلوا الأولَ فالأولَ . أي : مرتبين . ويقال : أقبل عمك وَحْدَه . أي : منفرداً . ومن ذلك قول لبيد :

فأرسلها العِراكَ ولم يَذُدْها ولم يشفِق على نَغَصِ الدِّخال[٢]

أي : معاركةً . ويقال : رجع القاصدُ عَوْدَهُ على بَدْئه . أي : عائداً . ويقولون : سأفعلُ هذا جَهْدي . أو : طاقتي . أي : جاهداً أو طائقاً . وقال ذو الرمة :

فيالكِ من دارٍ تحمَّلَ أهلُها أيادي سباً بعدي وطال احتيالها[٣]

فقوله : أيادي سباً : حال . وتأويله : مبدَّدين .

وفي غير هذه الأمثلة التي حملتها المدوَّنة اللغوية لاتقع المعرفة حالاً ، فلا ينتصب (الباكي) مثلاً على الحال في قولك : جاء الطفل الباكي . بل يرتفع على أنه صفة . وكذلك لاينتصب (المسكين) على الحال في مثل : ذهبَ الرجلُ المسكين[٤] .

٢ ـ الحال جملة

هذا هو الشكل الثاني للحال ، وهو في كثرته لايقل عن الشكل الأول ، وهو أقرب منه إلى البساطة واليسر في خصائصه الأسلوبية العامة ، فما هذه الخصائص ؟

(١) الجماء : الكثير ، وهي مؤنث الأجم . والغفير : الذي يغطي وجه الأرض كثرة .

(٢) العراك : ازدحام الإبل عند ورود الماء . والنَغَص : مصدر ، وهو عدم إتمام الشرب . والدِخال : أن يجعل الراعي بعيره يشرب مرة ثانية .

(٣) طال احتيالها : طال مرور السنين والأحوال عليها .

(٤) نسب إلى الكوفيين تجويزهم وقوع المعرفة حالاً في مثل : زيدٌ الشاعرَ أحسنُ منه الخطيبَ .

١ ـ الخصائص الأسلوبية العامة :

١ ـ جملة خبرية :

لابد لجملة الحال ـ فعليةً كانت أو اسمية ـ من أن تكون جملة خبرية ، والنحاة مجمعون على أنها لاتكون إنشائية[1] . لأنها ضربٌ من الوصف ، وصيغ الإنشاء لايوصف بها .

٢ ـ لاتتصدرها أدوات الشرط والاستقبال :

وأدوات الشرط نوعان : امتناعية ، وهي : لو ، لولا ، لوما . وغير امتناعية ، وهي : إن ، إذا ، وأخواتهما . وأدوات الاستقبال : سوف ، والسين ، ولن[2] ، وأَنْ ، وإذن ، وكي .

٣ ـ مسبوقة بمعرفة :

ولما كانت الجمل تقوم مقام النكرات كانت أحوالاً بعد المعارف ، ولكن يشترط هنا أن تكون فضلة ، أي ليست خبراً للمعرفة ، وألا تكون صلة للموصول .

٤ ـ أن يكون فيها رابط :

ولابد لها من رابط يربطها بصاحبها ، وهو إما ضمير فيها يعود إلى صاحبها ، وإما واو يقال لها واو الحال أو واو الابتداء ، وقد يجتمعان معاً .

ودونك الجملة التالية التي تتحقق فيها جميع هذه الخصائص :

﴿ وجاؤوا أباهم عشاءً يبكون ﴾ (يوسف : ١٦) .

فجملة (يبكون) حال ، وقد استوفت الخصائص الأسلوبية التالية :

ـ هي أولاً جملة خبرية لا إنشائية .

---

(١) الجمل الإنشائية نوعان : إنشاء طلبي ، وهو ما كان أمراً أو نهياً أو دعاءً أو حضاً أو عرضاً أو استفهاماً أو نداء أو تمنياً أو ترجياً . وغير طلبي وهو ما كان تعجباً أو قسماً أو مدحاً أو ذماً . وهذه الأنواع كلها لا تقع حالاً ، وفي وقوع صيغة التعجب حالاً خلاف .

(٢) يحتمل قد تتصدرها إحدى هذه الثلاث إذا كانت حالاً مقدرة ، مثل : جاء أخوك معه كتاب سيقرؤه غداً . أو : لن يقرأه غداً .

ـ خلت من أدوات الشرط والاستقبال .

ـ وقعت بعد معرفة وهي ضمير الغائبين الذي يتصل بالفعل (جاء) ، وهو واو الجماعة ، ولاتقع موقع الخبر ، ولم تسبق باسم موصول يجعلها صلة له .

ـ فيها رابط يربطها بالمعرفة ، وهو الضمير المتصل بالفعل (يبكي) وهو واو الجماعة أيضاً .

تلك هي الخصائص الأسلوبية العامة ، وهناك خصائص خاصة بكل شكل من أشكال الجملة ، سنفصل فيه القول في الفقرات التالية :

٢ ـ الحال جملة فعلية :

وكثيراً ماتكون الحال جملة فعلية فعلها مضارع ، أو فعلها ماض ، وتختلف سماتها التركيبية بحسب نوع الفعل ، وهذا ماسوف نبسطه في هذه الفقرة .

آ ـ فعلها مضارع :

تتعدد أشكال الجملة الحالية ذات الفعل المضارع ، وذلك على الصورة التالية :

١ ـ جملة مثبتة خالية من أدوات النفي ، مثل : وقفتُ أسألُ عنك . مالك تكتُم شيئاً في نفسك ؟ مابالك تخفي عني أسرارك ؟ فالجمل الفعلية الثلاث خلت من واو الحال ، وارتبطت بصاحب الحال المعرَّف(١) بضمير ، وتستطيع أن تستبدل بها أسماءً مشتقة فتقول : وقفتُ سائلاً عنك . مالك كاتماً شيئاً في نفسك ، مابالك مخفياً عني أسرارك .

وهذا يعني أن الجملة المضارعية المثبتة الخالية من (قد) تقع حالاً ، ويكون الرابط فيها ضميراً غالباً ، وقد ترتبط على قلة بواو الحال ، كقول عنترة :

---

(١) أصحاب الأحوال في الجمل الثلاث هي : تاء الفاعل في : وقفتُ . وكان الخطاب في : مالك ، وما بالك . وهي كلها ضمائر ، والضمير معرفة .

عُلِّقْتُها عَرَضاً وأقتلُ قَوْمَها

وقول عبد الله بن همام السلولي :

فلما خَشِيتُ أظافيرَهُمْ   نجوتُ وأَرْهَنُهُمْ مالكا[1]

٢ ـ جملة مضارعية مثبتة مسبوقة بـ (قد) : وفي هذه الحال لابد من اقترانها بواو الحال ، والشواهد على هذا قليلة جداً تكاد تنحصر في قوله تعالى : ﴿ ياقومِ لمَ تؤذونني وقد تعلمون أني رسولُ الله إليكم ﴾ (الصف : ٥) .

٣ ـ جملة مضارعية منفية : فإن كان النفي بالأداتين : (لا) أو (ما) ، غلب على جملة الحال أن تخلو من الواو[2] . كما ترى في قول الشاعر :

عهدتُكَ ماتَصْبو وفيك شبيبةٌ   فمالك بعد الشيبِ صَبّاً متيَّماً

وفي قول الآخر :

مَضَوْا لايريدونَ الرَّواحَ وغالَهُمْ   من الدهرِ أسبابٌ جَرَيْنَ على قَدْرِ

وإن كان أداة النفي (لم) أو (لما) غلب عليها أن تسبق بواو الحال ، مثل : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتِكم مَثَلُ الذين خَلَوْا من قبلكم ﴾ (البقرة : ١١٤) وقال عنترة :

ولقد خشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ   للحرب دائرةٌ على ابنيْ ضَمْضَمِ

---

(١) الأظافير : هنا الأسلحة . وقد تأول النحاة هذا البيت وأمثاله على أحد وجهين : الأول أن الواو للحال ، ولكنها لم تدخل على الفعل المضارع بل على جملة اسمية حذف منها المبتدأ والتقدير : عُلّقتها وأنا أقتل قومها . نجوت وأنا أرهنهم مالكاً . والوجه الثاني ـ وهو لعبد القاهر الجرجاني ـ أن الواو عاطفة ، والفعل المضارع معطوف على الفعل الماضي قبله . وهو مضارع لفظاً ماضٍ معنىً . والوجهان لا يستويان في بيت عنترة إذا استوى الوجه الثاني في بيت السلولي .

(٢) تقع الواو أحياناً في هذا التركيب بعد (كان) التامة أو ما يشبهها ، كقول الشاعر :

أقادوا من دمي وتوعّدوني   وكنت وما ينهنهني الوعيدُ

وتقول : صرتُ أمشي وما أدري أين أضع رجلي . وانظر : دلائل الإعجاز (داية) ص : ١٤٧ .

لقد اقترنت جملة الحال في الموضعين بالواو ، ولكن ذلك ليس بواجب ، فقد جاءت غير مقترنة بها في قوله تعالى : ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضلٍ** لم يمسسهم سوء ﴾ (آل : عمران : ١٧٤) ولكن اقتران الجملة الحالية مع (لما) هو الكثير .

ب ـ فعلها ماض :

وإذا وقعت الجملة الماضوية حالاً غلب عليها أن تسبق بـ (قد) ، لأن هذه الأداة تقرب زمن الفعل الماضي من الحاضر ، ولهذه الظاهرة التركيبية شواهد كثيرة ، من ذلك قول النابغة الذبياني :

وقفتُ بربع الدار قد غيَّر البلى معالمها والسارياتُ الهواطِلُ

وقول عبد الشارق الجهَني :

فآبوا بالرماحِ مكسَّراتٍ وأُبْنا بالسيوفِ قد انحنيا

وتأتي في مواضع أخرى من دون (قد) ، كأن تقع بعد أداة الحصر ، مثل : ﴿ مايأتيهم من رسولٍ إلا كانوا به يستهزئون ﴾ (الحجر : ١١) « مايأتيهم من ذكر من ربهم محدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ (الأنبياء : ٢) . أو كأن تكون ممثلة لإحدى حالتين يكون عليهما صاحب الحال ، مثل قولك : أحبُّ ولدي نفعني أو ضرني ، وأحبه غاب أو حضر . ومن ذلك قول الشاعر :

كن للخليلِ نصيراً جار أو عدلا ولاتشحَّ عليه جاد أو بخلا

وقد جاءت في نصوص فصيحة غير هذه ، كما في قوله تعالى : ﴿ هذه بضاعُتنا رُدَّتْ إلينا ﴾ (يوسف : ٦٥) وقوله : ﴿ أو جاؤوكم حَصِرت صدورهم ﴾ (النساء : ٩٠) وقول أبي كبير الهذلي :

وإني لتعروني لذكراكِ هِزَّة كما انتفض العصفورُ بلله القَطْرُ

فقدر النحاة « قدْ » واعتدوا البنية الأصلية لهذه الجمل كما يلي : قد ردت إلينا . قد حصرت صدورهم[1] . قد بلله القطر . والحق أنه ليس كل فعل

(١) وفي الآية آراء أخرى . انظر : التفسير الكبير للرازي : ١٠/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

ماضٍ يمكن أن يقع موقع الحال ، فلا يقال مثلاً : وقفت سألتُ عنك . أو : جئتُ حصر صدري ، أو : قمتُ تثاقلتُ . إذ لابد له من علاقات خاصة في التركيب تحوّل من دلالته على الماضي ، وتربط بينه وبين عامله برباط زماني خاص ، فالعامل في « هذه بضاعتنا ردت إلينا » ـ وهو اسم الإشارة ـ يجعل زمن الفعل : ردت ، للحال ، فكأنه قال : هذه بضاعتنا مردودةً إلينا[1] .

أما واو الحال فأحياناً تمتنع مع الجملة الماضوية ، وأحياناً تجب ، فهي تمتنع مثلاً إذا وقع الفعل الماضي بعد أداة الحصر ، فمن الخطأ أن يقال : ماتكلم العاقِلُ إلا وقال خيراً . والصواب حذف الواو فيقال : إلا قال خيراً ، كما مر بنا قبل قليل في آيتين قرآنيتين ، ومن هنا خَطّأ النحاة قول زهير :

نِعْـمَ امـرأً هـرمٌ لـم تَعْـرُ نـائبـةٌ ... إلا وكـان لمـرتـاعٍ بهـا وَزَرا

وكان عليه أن يقول : إلا كان وَزَراً .

وتمتنع الواو كذلك في مثل : أحب السفرَ أتعبَ أو لم يتعب . وتمتنع كذلك في أفعال الاستثناء في مثل : جاء الناسُ ليس زيداً ، أو : خلا زيداً ، أو عدا أو حاشا زيداً .

ولكنها تجب في الجملة الحالية الماضوية إذا خلت من ضمير صاحبها ، كما في مثل أتيتُ وقد طلعت الشمسُ ، أو : أتيتُ وما انقطع المطرُ ، ومنه قول امرىء القيس :

فجئـت وقَـدْ نَضـتْ لنـومٍ ثيـابَهـا ... لـدى ٱلسِتْـرِ إلا لِبْسـةَ المتفضِّـلِ

وتجوز ـ أو تغلب ـ مع الفعل الجامد « ليس » إذا لم يكن للاستثناء ، مثل : أتاني وليس معه شيء ، وخرج إلى القتال وليس لديه سلاح . وقال الراجز :

إذا جـرى فـي كفّـه الـرِّشـاءُ ... خَلّـى القليـبَ ليـس فيـه المـاءُ

فلم يدخل عليها الواو .

وجاء في بعض النصوص مايخالف ظاهرة هذا النظام ، من ذلك قوله :

---

(١) ويجوز أن تكون جملة (ردت إلينا) استئنافية .

﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ (الشعراء : ١١١) وقوله : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ (البقرة : ٢٨) . فقد دخلت الواو مباشرة على الفعل الماضي ، فقدر النحاة بعدها « قد » ، وليس تقديرهم ببعيد لظهور أثرها في بنية التركيب .

٣ ـ الحال جملة اسمية :

ومجيء الحال جملة اسمية كثير جداً أيضاً ، ولها صور ثلاث : مقترنة بواو الحال وجوباً ، ومجردة منها وجوباً ، ومقترنة بها أو مجردة منها جوازاً .

١ ـ أما الصورة الأولى فذات شكل تركيبي خاص ، إذ يكون مبتدأ الجملة ضميراً لا اسماً ظاهراً ، وهو رابط الجملة الحالية بصاحبها ، مثل : خرج الباغي وهو مخذول . ودخلتُ الحفل وأنا فرح . وأقاما عندنا وهما سعيدان ، ورأيتك وأنت مع أبيك . ومنه في القرآن : ﴿ خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴾ (البقرة : ٢٤٣) ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ﴾ (الكهف : ٣٥) .

ويجب اقتران الواو بها أيضاً إذا كانت خالية من ضمير صاحبها ، مثل : دخلتُ البيت والناسُ نيام ، ثم خرجت منه وهم أيقاظ . ومثل قول المجنون :

مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي فهل ليَ إلى ليلى الغداةَ سبيلُ

وقول امرىء القيس :

وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتها بمنجردٍ قَيدِ الأوابدِ هَيْكَلِ(١)

(١) قد يَخلو مثل هذه الجملة من واو الحال ، كما في قول الهذلي :

ثم انصببنا جبالُ الصُفرِ مُعْرضة عن اليسار وعن أيماننا جدد

والتقدير : وجبال الصفر معرضة . أو يقدر ضمير رابط : عن اليسار منا . انظر في هذا : ابن جني : التمام في تفسير أشعار هذيل ، ص : ١٢١ ـ ١٢٢ . ومثل هذه الجملة مشكل ، لأنه لا يؤوّل بمفرد كما تؤول الجمل الحالية الأخرى ، فلو قلنا : جئتُ والشمس طالعة ، أو : جئت وقد طلعت الشمس . لما كان للجملة بعد الواو تأويل بمفرد . ولذلك تَمحّل النحاة في تأويلها ، فجعلها ابن جني من قبيل الحال السببية ، وقدرها : جئت طالعةً الشمسُ عند =

٢ ـ وأما الصورة الثانية ـ وهي التي تمتنع فيها الواو ـ فتختلف فيها العلاقات ، إذ تكون جملة الحال مؤكدة لمضمون جملة سابقة ، كما في قولك : أنت سعد لاشكَّ ، أي : غيرَ مشكوك في ذلك . ومنه قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتابُ لاريبَ . . . ﴾ (البقرة : ٢) وقوله : ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه ﴾ (الرعد : ٤١) . فمثل هذه الجمل لاتقترن بواو الحال ، فلا يقال : ذلك الكتاب ولاريب فيه . ولا يقال : والله يحكم ولامعقب لحكمه . إلا إذا نوينا في هذه الجملة أن نجعل جملة (لامعقب لحكمه) معطوفة على جملة (يحكم)[1] .

٣ ـ وفي الصورة الثالثة تفاوت في كثرة الاستعمال وقلته ، ففي بعض التراكيب يكثر اقتران الجملة الحالية بالواو ، وفي بعضها الآخر يقل . فإذا كان مبتدأ الجملة وخبرها اسمين ظاهرين كثر اقترانها بالواو ، تقول : أكلمه وطرفي مطرق ، ويكلمني وعيناه جريئتان . وقال تعالى : ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلمٍ وأهلها مصلحون ﴾ (هود : ١١٧) وقال : ﴿ وماكنا مهلكي القرى إلاَّ وأهلها ظالمون ﴾ (القصص : ٥٩) ففي هذه الجمل الاسمية الحالية استخدمت واو الحال ، مع أن في الجمل ضمائر تربط جملة الحال بصاحبها ، لأن ذلك هو الكثير ، ولكنه ليس بواجب ، إذ يجوز الاستغناء بالضمير عن الواو ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

وتضحي فتيتُ المسكِ فوقَ فراشِها نؤومُ الضحى لم تنتطِقْ عن تفضُّلِ

ومثله قوله طرفة بن العبد :

ثـم راحـو عَبَـق المسـكِ بهـمْ يُلْحِفون الأرضَ هُدّابَ الأُزُرْ

= مجيئي . وأولها غيره بـ (مبكراً) . وقال آخرون : ليست حالاً بل مفعولٌ معه . وذهب الزمخشري إلى أن هذه الجملة الحالية حكمها حكم الظرف . انظر : مغني اللبيب : ٢/٤٦٥ (طبعة محيي الدين عبد الحميد والأشباه والنظائر : ٢/٨٢ .

(١) يضيف النحاة إلى ذلك الجملة المعطوفة على الحال ، مثل : ﴿ فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون ﴾ . (الأعراف : ٤) . وهذه ليست بجملة حال صريحة .

ومثله أيضاً قوله تعالى : ﴿ ويومَ القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهُمْ مسودَّةٌ ﴾ (الزمر : ٦٠) .

وثمة صورة على خلافها إذ يكثر فيها حذف الواو ويقل استخدامها ، وذلك حين يكون الخبر شبه جملة متقدمة على المبتدأ ، مثل : جاءني في يده كتاب . ورأيته عليه ثياب بيض . فمن الممكن أن نقول هنا : جاء وفي يده كتاب ، ورأيته وعليه ثياب بيض ، ولكن الصورة الأولى أكثر ، قال ابن الدمينة :

أحقاً عبادَ الله أن لستُ وارداً ... ولا صادراً إلا عليَّ رقيبُ

وقال وائلة بن خليفة السدوسي :

لقد صَبَرَتْ للذل أعوادُ منبرٍ ... تقومُ عليها في يديك قضيبُ

هذه هي الحال في سماتها الأسلوبية العامة والخاصة ، وقد بقي علينا أن نتحدث عن صاحبها ، وعن عاملها[1] .

☆ ☆ ☆

(١) لم نفرد لشبه الجملة فقرة خاصة في وقوعها حالاً ، كما يفعل بعض النحاة القدماء أو المعاصرين ، لأن شبه الجملة بذاتها لا تكون حالاً ، بل الحال محذوفة وهي معلقة بها ، وعلى هذا تكون جزءاً من الحال . مثل : خرج على قومه في زينته . وجاءته إحداهما تمشي على استحياء . وهذا أخوك بين الأزهار . واقتحم الجند الموقع بلا خوف ، وأقبل علينا في أحسن سمت . وكأن النجوم على صدر السماء قلائد ماس على غانية . فهذه العبارات وأمثالها حذفت منها الحال لفظاً ، وبقيت شبه الجملة ـ ظرفاً كانت أو جاراً ومجروراً ـ تدل عليها وتتعلق بها .

٢ ـ صاحب الحال

١ ـ ماصاحبُ الحال ؟ :

مَرَّ بنا هذا المصطلح غير مرة ، وآن لنا أن نجلوه في هذه الفقرات ، وأبسط مايقال في تعريفه هو أنه الذي تبيّن الحال هيئته وقت وقوع الحدث ، مثل (أحمد) في قولك : جاء أحمد ماشياً . و(عثمان) في : مضى عثمانُ غاضباً . و(الطفل) في : ضُرِب الطفلُ مُذنباً .

وقد يكون اثنين كما في قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم الشمسَ والقمرَ دائبين ﴾ (إبراهيم : ٣٣) وقد يكون جماعة مثل : ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ (الزمر : ٧٥) .

وكما يكون اسماً ظاهراً يكون ضميراً منفصلاً أو متصلاً أو مستتراً ، مثل : هذا أنت حاملاً أعباءَ غيرك ، وهذا هو منشداً شعرَ جرير ، فالضميران المنفصلان : أنت ، وهو . صاحبا الحالين : حاملاً ، ومنشداً . وتقول : جئتُ مُؤَمِّلاً ، وسافرتُ مطمئناً ، وجاؤوا فرحين ، وذهبن مستبشرات . وتقول أيضاً : أخوك يقرأ هادئاً ، وعبدُ الله ينام هانئاً ، وزيدٌ يعمل نشيطاً .

وقد تكون الجملةُ مُلْبِسة ، فلا تدري فيها منْ صاحب الحال ، أهو المفعول به أم هو الفاعل ، كما في قولنا : قابلتُ أخاك مبتسماً . فمن الممكن أن يكون المبتسم فاعل المقابلة الذي تمثله تاء الفاعل ، ومن الممكن أيضاً أن يكون المبتسم المفعول به (أخاك) ، فإن كان الأول كان تأويل الجملة : قابلت أخاك وأنا مبتسم . وإن كان صاحب الحال هو الثاني كان التأويل : قابلت أخاك وهو مبتسم ، وكلٌّ صحيح مقبول .

وقد تأتي الحال وتبيّن هيئة الفاعل والمفعول معاً ، كما لو قلت : قابلت أخاك فرحَيْنِ . ومن ذلك قول عنترة :

متى ماتَلْقني فَرْدَيْنِ تَرْجُفْ   روانِـفُ أليتيـك وتُستطـارا

فالحال (فردين) لها صاحبان ، هما الفاعل ، وهو هنا ضمير مستتر في الفعل (تَلْقَ) وتقديره : أنت . والمفعول به ، وهو هنا ياء المتكلم المتصلة بالفعل نفسِه .

وقد يكون لصاحب الحال حالان أو أكثر ، إذ تعدد الحال مثلما يتعدد الخبر والصفة ، تقول : خرج اللصُّ من البيت خائفاً وَجِلاً يحسب كل حركةٍ موجهةً عليه . فاللص هنا هو صاحب الحال ، والأحوال ثلاثة هي : خائفاً ، ووجلاً ، والجملة الفعلية : يحسب كل حركة . . .

وقد يكون في الجملة الواحدة صاحبان وحالان ، مثل : لقيتُ زيداً داخلاً إلى القاعة خارجاً منها . وتأويل ذلك : لقيت زيداً وهو يدخل إلى القاعة وأنا أخرج منها .

وقد يضمر صاحب الحال فلا يذكر في الجملة ، وهذا يختلف عن الضمير الذي يستتر في الفعل جوازاً أو وجوباً ، إذ قد يكون مفعولاً به ، كما في قوله تعالى : ﴿ أهذا الذي بعثَ الله رسولاً ﴾[1](الفرقان : ٤١) .

موقع صاحب الحال في الجملة :

ويقع صاحب الحال في مواقع متنوعة من الجملة العربية ، ولكن يغلب عليه أن يكون فاعلاً أو مفعولاً به ، غير أنه لايقتصر عليهما ـ كما يرى بعض النحاة ـ فالعربية حافلة بجمل وقع فيها خبراً ، ومبتدأ ، ومجروراً بالحرف أو بالمضاف . ودونك أمثلة وشواهد على مواقعه الوظيفية من الجملة :

١ ـ اختال الربيعُ ضاحكاً .	صاحب الحال فاعل .
٢ ـ سُجِن زيدٌ متهماً بالرشوة .	صاحب الحال نائب فاعل .
٣ ـ أكلتُ الطعامَ بارداً .	صاحب الحال مفعول به .
٤ ـ هذا ابنُ عمي وزيراً .	صاحب الحال خبر .

(١) وقد تضمر الحال نفسها ،ولا سيما إذا كانت فعلَ القولِ أو أحد مشتقاته ، وهذا أسلوب قرآني خاص مثل : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم ﴾ . أي : يقولون لهم . أو : قائلين لهم . ومثل هذا كثير جداً في القرآن .

٥ ـ أخوك جندياً أحسن منه معلماً . صاحب الحال مبتدأ .
٦ ـ سررتُ بالمدينةِ حافلةً بالناس . صاحب الحال مجرور بحرف الجر .
٧ ـ إلى الله مرجعُ الناسِ جميعاً . صاحب الحال مجرور بالمضاف .
٨ ـ يابؤسَ للحرب ضراراً لأقوام . صاحب الحال منادى .

وهناك نظام خاص في مجيء صاحب الحال مضافاً إليه ، فمن استقراء النصوص اللغوية يتبين أن ذلك لا يكون إلا إذا استوفت الجملة واحداً من شروط ثلاثة :

١ ـ أن يكون المضاف اسماً مشتقاً أو مصدراً ، مثل : إنه آكلُ الطعامِ بارداً ، وهو ناظمُ الشعرِ جزلاً . وإلى الله مرجعكم جميعاً . ومنه قول مالك بن الريب :

تقول ابنتي : إن انطلاقك واحداً إلى الروع يوماً تاركي لا أباليا

٢ ـ أن يكون المضاف جزءاً من المضاف إليه بحيث يمكن إسقاط المضاف وإحلال المضاف إليه محله ، كما في قوله تعالى : ﴿ ونزعنا مافي صدورهم من غلٍ إخواناً ﴾ (الحجر : ٤٧) إذ يمكن أن يقال : ونزعنا مافيهم من غلٍ إخواناً ، والصدور جزء منهم .

٣ ـ أن يكون المضاف كالجزء من المضاف إليه ويمكن إسقاطه أيضاً ، كما في قوله : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع مِلة إبراهيم حنيفاً ﴾ (النحل : ١٢٣) فالملة ليست جزءاً من إبراهيم ، ولكنها كالجزء ، ومن الممكن إسقاطها من دون أن يختل المعنى : اتبع إبراهيم حنيفاً .

فإذا لم يستوف التركيب واحداً من هذه الشروط لم يجز أن يقع المضاف إليه صاحب حال ، فلا يقال مثلاً : قرأتُ كتابَ هندٍ ضاحكةً . لأن (الكتاب) ليس بمشتق ، ولا بمصدر ، ولا جزءٍ من هند ، ولا كالجزء .

٣ ـ صاحب الحال بين التعريف والتنكير :

والغالب على صاحب الحال أن يكون معرفة ، لأنه يشبه المبتدأ أو مايُخبر عنه ، كاسم (إن) واسم (كان) ، والمخبر عنه ينبغي له أن يكون

معروفاً بين المتكلم والمخاطب حتى يكون للكلام بينهما قيمة ، والشواهد السابقة تؤكد لك هذا ، فقد جاء فيها صاحب الحال إما اسمَ علم مثل : أحمد ، وعثمان ، وعمر ، وسعد ، وعبد الله . وإما معرفاً بأل أو بالإضافة ، أو بالنداء ، ولا نرى بنا حاجة لالتماس شواهد جديدة على ذلك .

ولكنه قد يكون نكرة في بعض الجمل مثلما يكون المبتدأ نكرة أيضاً ، وتتشابه مسوغات التنكير بين الطرفين وإن كانت لاتتماثل ، وهذه المسوغات هي :

١ ـ أن يكون صاحب الحال نكرة مُخَصَّصة لامحضة ، كأن تكون موصوفة مثل : مر بنا رجلٌ قصير ضاحكاً ، ومنه قول الشاعر :

نجَّيتَ ياربِّ نوحاً واستجبتَ له في فُلُكٍ ماخرٍ في اليم مشحونا

فصاحب الحال : فُلك ماخر . وهونكرة مخصصة بالوصف . وقد تخصص النكرة بإضافتها إلى نكرة ، مثل : ﴿ وحشرنا عليهم كل شيءٍ قُبُلاً ﴾ (الأنعام : ١١١) ومثل : ﴿ في أربعةِ أيام سواءً للسائلين ﴾ (فصلت : ١٠) . وتخصص النكرة أيضاً إذا عملت ، فيصح أن تقع صاحب حال ، مثل : أتيتُ بناظم شعراً مستعداً للمشاركة في الحفل . وقبضتُ على قاتلٍ أخاه متلبساً في الجَريمة . وتخصص أيضاً إذا سبقت بنفي أونهي أو استفهام ، مثل : « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾ (الحجر : ٤) وكقول الشاعر :

لايركَنَنْ أحدٌ إلى الإحجامِ يومَ الوغى متخوفاً لحمامِ

وكقول الآخر :

يا صاح هل حُمّ عينٌ باقياً فترى لنفسك العذرَ في إبعادها الأملا

وتخصص النكرة أيضاً إذا عطفت عليها معرفة ، أو عطفت هي نفسها على معرفة ، مثل : مَرَّبنا طالبٌ وزيدٌ مسرعين . أو : مَرَّ بنا زيدٌ وطالبٌ مسرعين .

٢ ـ قد يكون صاحب الحال نكرة محضة أو مخصصة ، إلا أن خصائص التركيب وعلاقات الكلمات تسمح بذلك ، من هذا أن تكون الحال في الأصل

صفة لصاحب الحال ، ولكنها تقدمت عليها في الجملة ، ولما كانت الصفة في نظام العربية لاتقع إلا بعد موصوفها لم يكن بُدٌّ من تحولها إلى حال ، كما في قول ذي الرمة :

وتحتَ العوالي في القنا مُستظلةً ظِبـاءٌ أعـارتْهـا العيـونَ الجـآذِرُ

وأصل الكلام : وتحت العوالي في القنا ظباءٌ مُسْتَظِلَّةٌ . فعلى هذا تكون (مستظلة) صفة للظباء ، ثم قدمت عليها فصارت حالاً . ومثل ذلك بيت كثيّر عزّة المشهور :

لميــة مــوحشــاً طَلَــلُ يلــوحَ كــأنــه خَلَــلُ

وأصله : لمية طللٌ موحشٌ . ومثله أيضاً :

وبـالجسـم منـي بيّنـاً لـو علمتِـهِ شحوبٌ وإن تستشهدي العينَ تشهدِ

أي : وبالجسم مني شحوبٌ بيّنٌ .

ومن هذا أن تكون الحال جملة مقرونة بواو الحال ، كما في قوله تعـالـى : ﴿ أو كـالـذي مـر علـى قـريـةٍ وهـي خـاويـةٌ علـى عـروشهـا ﴾ (البقرة : ٢٥٩) فصاحب الحال هنا (قرية) وهي نكرة محضة ، وإنما جاز ذلك لأن الحال جملة مقرونة بالواو .

٣ ـ وورد صاحب الحال في بعض مانقل من النصوص نكرةً بلا مُسوِّغ ، كالحديث المشهور : « صلى رسول الله ﷺ قاعداً ، وصلى وراءه رجالٌ قياماً » فصاحب الحال وهو (رجال) نكرة محضة ، وليس لها مسوغ واضح لتكون كذلك ، ومنه مانقل من كلام العرب القدماء أيضاً : « عليه مئةٌ بيضاً » .

٤ ـ موقع الحالِ من صاحبها :

يقتضي نظامُ الرتبة في اللغة العربية أن يكون الترتيب على الشكل الآتي :

عامل الحال + صاحب الحال + الحال .

↓ ↓ ↓

مثل : عاد الجيشُ ظافراً .

إلا أنه قد تعرض عوارضُ تركيبية أو دلالية تغيّر من هذا النظام ، فإذا كنت حريصاً على أن تخبر عن الهيئة جاز لك أن تقدم الحال على صاحبها ، فتقول : عاد ظافراً الجيشُ . أو أن تقول : ظافراً عادَ الجيش .

ولكن الآمرَ لايظل في إطار الجواز ، بل قد يتعداه إلى وجوب التأخير أو التقديم ، وعلى هذا تكون لدينا حالتان : حالة يجب فيها تقديم الحال على صاحبها ، وحال أخرى يجب فيها تأخيرها عنه .

آ ـ وجوب تقديمها :

يجب تقديم الحال على صاحبها ـ وهذا مخالف لنظام الرتبة ـ في الحالات التالية :

١ ـ أن يكون صاحب الحال واقعاً بعد أداة الحصر ، مثل : ماعاش هانئاً إلا الجَهولُ . وما خرج مُغْضَباً إلا عليٌّ .

٢ ـ أن تكون الحال من أسماء الصدارة ، كأن تكون (كيف) الاستفهامية أو الشرطية ، مثل : كيفَ تَمَّ لك الأمرُ ؟ وكيف استقبلك زيد ؟ وكيفما تقعدْ أقعدْ .

٣ ـ أن تكون الحال في الأصل صفة نكرة لصاحب الحال ، وهذا مامَرّ بك من قبل ، كما في : لمية موحشاً طللُ .

ب ـ وجوب تأخيرها :

ويجب الحفاظ على الرتبة وتقديم صاحب الحال على الحال في الحالات التالية :

١ ـ أن تقع الحال بعد أداة الحصر ، مثل : ماخرجَ عليٌّ إلا مغضباً . وماتحدثَ العاقلُ إلا قال خيراً .

٢ ـ أن يكون صاحب الحال مضافاً إليه ، مثل : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ﴾ (الحجرات : ١٢) .

٣ ـ أن تكون الحال جملة مقرونة بالواو ، مثل : أتيتَ والناسُ فوضى . وعدتَ وهم منظمون . فإن لم تكن مقرونة بواو جاز أن تتقدم على صاحبها ، مثل : جاء يسعى أخوك .

٤ ـ إذا كان عاملها حرفاً من حروف المعاني ، مثل : كأن أخاك مقبلاً أبوك . أو كان فعلاً جامداً ، مثل : ما أطيبَ زيداً رئيساً .

ويزعم بعض النحاة أن الحال لايمكن أن تتقدم على صاحبها إذ كان مجروراً بحرف جر ، ويمنع أن يقال : مررتُ مزهرةً بالحديقة ، والحق أن هذا قليل ، ولكن ليس بممنوع ، فقد جاء منه في النثر وفي الشعر ، فمن شواهده النثرية قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناسِ . . . ﴾ (سبأ : ٢٨) ومن الشواهد الشعرية قول الشاعر :

لئن كان بردُ الماءِ هيمانَ صادياً إلـــيَّ حبيبـــاً إنهـــا لحبيـــبُ

ففي الآية جاءت الحال (كافة) من (الناس) . وجاءت في البيت من الضمير المجرور بـ (إلى)[1] .



(١) حجة الذين يمنعون تقدم الحال على صاحبها المجرور في مثل : مررت راكباً بزيد . أن العامل لم يصل إلى(زيد) مباشرة حتى يصل إلى الحال مباشرة .

٣ ـ عامل الحال

١ ـ مايعمل في الحال :

يعمل في الحال عوامل كثيرة يمكن أن توزع في زمر ثلاث هي :

١ ـ الفعل : متصرفاً كان أو جامد ، ولكن يشترط أن يكون تاماً لا ناقصاً .

٢ ـ شبه الفعل : كالمصدر ، واسم الفاعل ، واسم الفعل ، وما أشبهها .

٣ ـ مافيه معنى الفعل : كأسماء الاستفهام ، وأحرف المعاني ، وأسماء الإشارة .

وقد كثر ماقدمناه من شواهد وأمثلة كان عامل الحال فيها الفعل المتصرف ، أما الفعل الجامد التام فكفعل التعجب في مثل قولك : ماأجملَ السماء متلألئةً بالنجوم . وما أخشنَ الليلَ مظلماً بارداً . وما أقبح الإنسانَ ظالماً لأخيه الإنسان .

ومن النادر العثور على شاهد شعري أو غيره عمل فيه المصدر في الحال ، ومن هذا القليل قوله تعالى : ﴿ إلى الله مرجعكم جميعاً ﴾ (المائدة : ٤٨) ويمكن أن يقال : من الخير لنا ثباتنا أمامَ أبطالاً صناديد . ويروقني اقتحامُك المكارهَ صابراً .

أما عمل اسم الفاعل في المصدر فمن شواهده القرآنية : ﴿ وكلُّهم آتيه يوم القيامةِ فرداً ﴾ (مريم : ٩٥) ومن شواهده الشعرية قول النابغة :

أمن آل ميةَ رائحٌ أو مغتدي عجلانَ ذا زادٍ وغير مُزَوَّدِ

وتقول في عمل اسم الفعل : نَزالِ مسرعاً . وحيَّ على العمل نشيطاً .

ويعمل اسم الاستفهام (ما) في الحال بكثرة إذا دخل في أحد التركيبين التاليين : مالك ، ومابالُكَ . كقوله تعالى : ﴿ فمالهم عن التذكرةِ معرضين ﴾

(المدثر : ٤٩) وتقول : بالك متقاعساً . وأكثر منه عمل اسم الإشارة في الحال ، من ذلك : ﴿ فتلك بيوتُهم خاويةً ﴾ (النمل : ٥٢) ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾ (الأنعام : ١٥٣) وقال إبراهيم بن هَرْمة :

بـالله ربـك إن دخلـتَ فقـل لـه هـذا ابـنُ هـرمـةَ واقفـاً بـالبـابِ

ومن عمل حروف المعاني عمل (كأنَّ) في قول أنيف بن جَبَلة يصف حصاناً :

وإذا اعترضْتَ به استوتْ أقطارُهُ وكـأنَّـهُ مستـدبـراً متصـوِّبُ

ويقال أيضاً : ليت هذا أخوك متحدثاً . ولعله عنترة غاضباً .

٢ ـ ذكر العامل وحذفه :

ويغلب على النصوص أن يذكر فيها عامل الحال ، ولكن من الممكن الجائز حذفه إذا دل عليه دليل في السياق ، كما ترى في الحوار التالي :

ـ كيف جئتَ إلينا اليومَ ؟

ـ ماشياً .

أي : جئت ماشياً . وإنما جاز له أن يحذف العامل (جئت) لأنه ذكر في جملة السؤال ، فصار حراً إن شاء ذكره وإن شاء أضمره . ومما حذف فيه العامل قوله تعالى : ﴿ وقوموا لله قانتين ، فإن خفتم فرجالاً أو رُكباناً ﴾ (البقرة : ٢٣٩) أي : فإن خفتم فصلوا رجالاً أو ركباناً .

إلا أن ثمة عوامل تعمل في الحال لايجوز حذفها ، وهي التي فيها معنى الفعل ، كاسم الإشارة ، واسم الاستفهام ، وأحرف المعاني .

على أن هناك أنواعاً من التراكيب يحذف فيها عامل الحال حذفاً واجباً ، وهي :

١ ـ أن تكون الحال مؤكدة لمضمون جملة ، مثل : أنا ابن دارة معروفاً . وهذا أبوك عطوفاً . ويقدره النحاة هنا : عُرف ، أو عُلم ، أو أُحِقَّ .

٢ ـ أن تدل الحال على نقص أو زيادة متدرجة ، مثل : ادفع في هذا عشر ليرات فصاعداً ، أو : فنازلاً .

٣ ـ أن تدل الحال على توبيخ ، مثل : أغافلاً وقد امتلأ رأسك شيباً .
أي : أترى غافلاً . ومثل : ألاهياً والناس جادون ؟

٤ ـ أن تنوب الحال عن العامل فيها ، مثل : هنيئاً لكَ العيدُ . أي : ثبت لك العيدُ هنيئاً .

٥ ـ أن تنوب الحال عن الخبر في الجملة الاسمية ، ولهذا بنية تركيبية خاصة ، فلابُد أن يكون المبتدأ اسم تفضيل أضيف إلى مصدر مؤول أو يكون مصدراً أضيف إلى فاعله ، فمن الأول : أحسنُ مايكونُ عبدُالله قائماً . ومن الثاني : أكلي الطعامَ متعجلاً أو : واقفاً . ويقدره النحاة هنا : إذا كان ، أو : إذ كان . و (كان) في هذا الموضع تامة لا ناقصة .

٣ ـ موقع الحال من عاملها :

قلنا من قبل إن تركيب الحال أن يكون على الشكل التالي :

العامل + صاحب الحال + الحال

وذكرنا أن هذه الرتبة ليست جامدة صلبة ، فمن الجائز أن نقدم بعض هذه المكوِّنات على بعض لغرض دلالي ، كأن نقول مثلاً :

ـ بارداً أكلتُ الطعامَ .
ـ كئيباً خرجَ زيدٌ من هنا .
ـ ماشياً أخوك ذاهبٌ .

ولكن يشترط في تقديم الحال على عاملها أن يكون فعلاً متصرفاً غيرَ جامد ، كما رأيت في الفعلين : أكل ، وخرج . أو أن يكون اسماً مشتقاً جارياً على الفعل ، أي فيه معنى الفعل وحروفه ودلالته ، ويقبل علامات الجمع والتثنية والتأنيث ، كاسم الفاعل : ذاهب .

ومع كل ذلك يظل تقديم الحال على عاملها قليلاً جداً ، ومن هذا القليل قوله تعالى : ﴿ خُشَّعاً أبصارُهم يخرجون من الأجداثِ . . . ﴾ (القمر : ٧) أي : يخرجون من الأجداث خشعاً أبصارهم[١] . وجاء في مثل عربي قديم :

(١) وقيل : إن العامل في الحال الفعل : يدعو . في الآية السابقة . وهو بعيد . =

شتّى تؤوبُ الحلبة[1] .

وإذا كان عاملها فعلاً غير متصرف امتنع تقديمها عليه ، فلا تقول مثلاً : مضيئاً ما أجملَ البدر . لأن فعل التعجب (أجمل) جامد .

وهناك أيضاً علاقات تركيبية خاصة تمنع من تقديم الحال على عاملها وإن كان فعلاً متصرفاً ، هي :

١ ـ أن يكون العامل فعلاً متصرفاً واقعاً بعد حرف مصدري : (أَنْ) أو (ما) في مثل : أحب أن أراك نشيطاً . وفرحتُ بعد ماعدتُ سليماً .

٢ ـ أن يقترن الفعل المتصرف بلام التوكيد (أو : لام الابتداء ، أو اللام المزحلقة) . مثل : إني لأراك كئيباً . وإنك لتقاتل باسلاً بطلاً . أو أن يقترن بلام جواب القسم ، مثل : والله لتخرجَنَّ عزيزاً .

٣ ـ أن يكون العامل اسماً مشتقاً جارياً على الفعل موصولاً بأل ، مثل : أبوك هو المكرمك زائراً .

فلا يقال مثلاً: أحب نشيطاً أن أراك، ولا : فرحت سليماً بعدما عدت، ولا : إني كئيباً لأراك ، وهكذا . لأن لام الابتداء ولام جواب القسم والحرف المصدري وأل الموصولة لايتقدم عليها معمول ماتصلت به من العوامل.

ومن الطبيعي أن يمتنع تقديم الحال على عاملها إذا كان حرفاً من حروف المعاني ، أو اسم إشارة أو اسم استفهام ، أو كان غير فعل متصرف ، ولكنهم أجازوا أن يقال : ثمرُ نخلك بُسْراً أطيبُ منه رُطباً[2] . على الرغم من أن اسم التفضيل مشتق غير متصرف ، لأن مثل هذه العبارة مسموعة ، ثم إنها تعبر عن تحوّل شيء من حال إلى حال .

= وكان الكسائي والفراء لا يجيزان تقديم الحال على عاملها أو على صاحبها إذا كان صاحبها اسماً ظاهراً ، لأن ذلك يؤدي إلى تقديم الضمير على ما يعود إليه .

(١) من البديهي أن تتقدم الحال على عاملها وجوباً إذا كانت من أسماء الصدارة مثل : (كيف) وقد ذكرنا هذا في فقرة تقديمها على صاحبها .

(٢) البسر : ثمر النخل قبل أن يلين ويحلو . والرطب : هو البسر بعد أن يلين ويحلو ، وقبل أن يصير تمراً .

٤ ـ تعدد الحال[1]

قلنا من قبل : إن الحال تتعدد مثلما يتعدد الصفة والخبر ، لأنها في دلالتها العامة وصف لصاحبها ، ولكنها في تعددها ذات أنواع من حيث علاقتها بالعامل أو بالصاحب ، ويمكن أن نحصر هذه الأنواع في ثلاثة أشكال ، هي :

١ ـ الحال المترادفة :

ويقال للحال مترادفة إذا تعددت وكان صاحبها واحداً ، وفي هذه الحال يكون العامل واحداً أيضاً ، ويقال لها مترادفة لأن بعضها يأتي في رِدْف بعض ، فهي تتوالى متتابعة ، مثل : عاد الطلابُ من الرحلة فرِحين نشِطين تعلو وجوهَهم علامات الفرح الغامرة . ومثل : اقتحم الجيش مناطق العدو مدمّراً كل مافيها من عتاد حربي ، مزيلاً كل أثر له ، منتقلاً من موضع إلى آخر .

ويجب ألا يكون بعضها مناقضاً لبعض ، فلا يقال مثلاً : بدا لي أخوك شجاعاً جباناً ، أو : جميلاً قبيحاً ، أو : قصيراً طويلاً . إلا إذا أريد من ذلك التنوع ، فحينئذٍ تقع الحال الثانية معطوفة بحرف عطف ، مثل : جاء الناسُ مُشاةً وراكبين . ويجيء المسافرون مزوَّدين وغيرَ مزوَّدين . وقال قريط بن أنيف :

قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زَرافاتٍ ووُحدانا

ومثله قوله : ﴿ فإن خفتم فرجّالاً أو ركباناً ﴾ (البقرة : ٢٣٩) و : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ (الإنسان : ٣) وتقول : جئتُ راكباً لا ماشياً ، فتعطف بحرف النفي (لا) .

٢ ـ الحال المتداخلة :

وقد تتعدد الحال على نحو آخر ، فيكون العامل في الحال الثانية لفظ

(١) أخرنا هذه الفقرة لأنها تفهم على صورة أصح بعد الإحاطة بصاحب الحال وعاملها .

الحال الأولى ، ويكون صاحبها مااستتر في الحال السابقة . مثل : جاء الطفلُ ضاحكاً مسروراً . فالحال الأولى (ضاحكاً) عمل فيها الفعل (جاء) وصاحبها (الطفل) . أما الحال الثانية (مسروراً) فالعامل فيها لفظ الحال الأولى (ضاحكاً) ، وصاحبها ضمير مستتر في اسم الفاعل (ضاحكاً) . فكأنك حيال جملتين لاجملة واحدة :

ـ جاء الطفل ضاحكاً .

ـ يضحك الطفلُ مسروراً .

وتتضح لك الحال المتداخلة في قوله تعالى : ﴿ مايأتيهم من ذكرٍ من ربهم مُحْدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون لاهيةً قلوبهم ﴾ (الأنبياء : ٢ ، ٣) .

فالحال الأول هي الجملة الفعلية : استمعوه . وتوؤل بـ (مستمعين) ، والعامل فيها الفعل : يأتي . وصاحب الحال : ذكر ، وهو نكرة مخصصة بالوصف .

والحال الثانية هي الجملة الاسمية : هم يلعبون . وتؤول بـ : لاعبين . والعامل فيها الفعل : استمعوا . وصاحب الحال واو الجماعة .

والحال الثالثة : لاهيةً . وهي حال سببية . والعامل فيها الفعل : يلعبون . وصاحبها واو الجماعة المتصلة بالعامل .

وهكذا تتداخل الأحوال بعضها في بعض مع تعددها ، وبذلك تختلف عن الأحوال المترادفة .

٣ ـ المتعددة لفظاً :

وقد تتعدد الحال لفظاً لا معنىً ، وقد مرَّ بك مثل هذا في بحث الخبر ، تقول مثلاً : أكلت البرتقالةَ حلوةً حامضةً . أي هي بين الحلاوة والحموضة ، فهي مزَّة . وبهذا تكون الحال المتعددةُ بلفظها دالةً على معنى واحد ، هو : المزّ . وتقول : أكلتُ الطعامَ بارداً ساخناً . أي معتدلاً .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقةُ وأنتم تنظرون ﴾ (البقرة : ٥٥) .

٢ ـ ﴿ ولله يسجد من في السماوات والأرضِ طَوْعاً وكَرهاً ﴾ (الرعد : ١٥) .

٣ ـ ﴿ للفقراءِ الذين أُحْصِروا في سبيل الله ، لايستطيعون ضرباً في الأرض ، يَحْسَبُهُمُ الجاهلُ أغنياءَ من التعفف ، تعرِفُهم بسيماهم ، لايسألون الناسَ إلحافاً . . . ﴾ (البقرة : ٢٧٣) .

٤ ـ ﴿ وماقَدَرُوا الله حقَّ قدره ، والأرضُ جميعاً قبضتُهُ يوم القيامة ، والسماواتُ مطوياتٍ بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (الزمر : ٦٧) .

٥ ـ ﴿ فاستجاب لكم أني مُمِدُّكم بألفٍ من الملائكةِ مُرْدِفين ﴾ (الأنفال : ٩) .

٦ ـ ﴿ فإن طبن لكم عن شيءٍ نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾ (النساء : ٤) .

٧ ـ ﴿ لو اطلعتَ عليهم لوليتَ منهم فراراً ، ولملئت منهم رعباً ﴾ (الكهف : ١٨) .

٨ ـ قال ذو الرمة :

تقول عجوز مَدْرَجي مُتروِّحاً ... على بابها من عند أهلي وغاديا

٩ ـ قال بلعاء بن قيس :

بضربةٍ لم تكن مني مخالسةً ... ولاتَعَجَّلتُها جُبْناً ولا فَرَقا

١٠ ـ قال المخبل السعدي :

وأحييتَ لي ذكري وماكان خاملاً ... ولكنَّ بعض الذكر أنبهُ من بعض

١١ ـ قال الشاعر :

فهلاّ أعدوني لمثلي تفاقدوا ... وفي الأرضِ مبثوثاً شجاعٌ وعقربُ

١٢ ـ وقال غيره :

يمضون قد كسروا السيوف إلى الوغى   متبسّمين وفيهم استبشارُ

١٣ ـ وقال عنترة :

لما رأيتُ القومَ أقبل جمعهم   يتذامرون كررتُ غيرَ مُذَمَّمِ

☆ ☆ ☆

التمييز

١ ـ مفهوم التمييز :

آ ـ قد تكون الجملة تامة التكوين ، فيها مسند ومسند إليه ، وربما كان فيها بعض المتممات ، ومع ذلك تجدها غامضة مبهمة لاتكاد تتبيَّن معناها تبيناً تاماً . انظر في هذه الجمل مثلاً :

١ ـ امتلأ الكأس .

٢ ـ شربَ أبي ليتراً .

٣ ـ قابل أحمدُ عشرينَ .

إن كل جملة استوفت أسس الصياغة النحوية ، ففيها فعل وفاعل ، كما في الجملة الأولى ، أو فيها فعل وفاعل ومفعول به ، كما في الجملتين الأخريين ، ومع تكامل المكوِّنات أو الأسس تجد أنك في حاجة إلى ما يبين لك أشياءَ لم تذكر فيها ، ولم يُشَر إليها ، فبِمَ امتلأ الكأس ؟ وما السائل الذي شرب منه الأبُ ليتراً ، ومَنِ العشرون الذين قابلهم أحمد ؟

سبب هذا الإبهام أن كل جملة تتضمن احتمالات كثيرة ، فالكأس قد يمتلىء ماءً أو شراباً أو شاياً أو قهوة أو ما أشبه ذلك من أشربة ، وقد يشتمل الليتر على حليب أو لبن رائب أو عصير أو أي سائل من هذا القبيل ، وربما قابل أحمدُ عشرين طالباً أو صديقاً أو عاملاً أو طفلاً أو امرأة أو كل ما من شأنه أن يُعَدَّ ويقابَل .

ذاك هو السر في حاجة الكلام إلى التمييز ، لأنه في جملة ما يزيل إبهام المبهمات في الجمل ، ويحدد المقصود منها ، هكذا تتحول الجمل الثلاث السابقة إلى جمل مفهومة إذا لحق بها تمييز ، مثل :

١ ـ امتلأ الكأسُ شاياً .

٢ ـ شرب أبي ليتراً حليباً .

٣ ـ قابل أحمدُ عشرين عاملاً .

يتضح لك مماسبق شيئان متداخلان في طبيعة التمييز :

أولهما أنه ليس ركناً أساسياً في الجملة ، فهو ليس مسنداً ولامسنداً إليه ، بل هو ـ كما يقول النحاة ـ فضلة ، أي مما يُتمم بنية الجملة .

وثانيهما أن له وظيفة هامة في الكلام هي أن يبين المراد من كلمة مبهمة[١] ، أو من علاقة دلالية بين كلمتين .

ومن أجل ذلك سماه النحاةُ تمييزاً أو مميِّزاً أو تفسيراً ، وسموا المبهم الذي يفسَّر به مميَّزاً أو مفسَّراً .

ب ـ وإذا عدت إلى الجمل الثلاث السابقة وتأملتَ في معانيها استطعت أن تتبيَّن في التمييز معنى « مِنْ » التي تبيّن النوع أو الجنس ، تقول مثلاً : امتلأ الكأس من ماءٍ . وشرب أبي ليتراً من حليبٍ . وتقول أيضاً : اشتريت غراماً من ذهبٍ ، وذراعين من قماش .

أما قولنا : عشرون عاملاً ، أو ثلاثون طالباً ، أو تسعون شاةً . فعلى الرغم من أن التمييز فيه يتضمن معنى (من) البيانية إلا أنه لايقبل دخلوها

(١) الكلمات المبهمة أنواع ، منها : ما لا يدل على معنى ذاتي في نفسه ، بل يستخدم ليفيد معنى في غيره ، ولهذا لا يفهم إلا بذكر الآخر ، كالمقادير ، والأعداد ، واسم الإشارة ، والضمير في مثل : رُبَّهُ طفلاً . وكل ، وغير . . .

والنوع الثاني ما يكون ذا معنى ذاتي واضح ولكنه مبهم المادة ، كالخاتم ، والباب ، والساعة ، والقطعة ، والثوب ، ويتضح إبهامها إذا بينت مادتها ، مثل : خاتمُ ذهبٍ ، وبابُ حديدٍ ، أو : خاتمٌ ذهباً ، وبابٌ حديداً ، وهكذا .وهناك نوع ثالث من المبهمات وهو ما كان مبهماً حيناً وغير مبهم طوراً ، وهو ما كانت له دلالة ذاتية خاصة تقْصد لذاتها مرة ، مثل : راحة ، في قولنا : هذه راحتي ، وذراع ، في مثل : هذه ذراعي . وفي هذا الاستعمال لا تكون مبهمة ، ولكنها قد تستعملِ أحياناً لتدل على معنى في غيرها ، فتكون مبهمة ، مثل : اشتريت ذراعاً حديداً . وما في السماءِ قدر راحةٍ سحاباً .

عليه ، فلا يقال : عشرون من عامل ، أو ثلاثون من طالب[1] .

وههنا يمكن أن نصوغ قاعدة جزئية مطردة هي : « أن التمييز يتضمن معنى (من) البيانية ، إلا أن بعضه يصلح لمباشرتها له ، وبعضه الآخر لايصلح لذلك ، والذي لايصلح هو :

١ ـ التمييز الذي يقع بعد ألفاظ العقود .

٢ ـ التمييز الذي يقع بعد العدد المركب .

٣ ـ التمييز المحول عن فاعل أو مفعول به .

وهذه الأنواع سوف تعرفها وشيكاً .

ج ـ وثمة سمةٌ أخرى من سمات التمييز ، هي أنه لايقع إلا بعد تمام الكلمة أو الجملة أو المركب الاسمي .

أما تمام الكلمة فهو التنوين الذي يفصلها لفظاً عن التمييز ، أو مايقوم مقام التنوين كنون المثنى وجمع المذكر السالم ، لاحظ مايلي :

ـ هو طيبٌ نفساً ، كريمٌ أصلاً ، عظيمٌ حسباً .

ـ هما طيبانِ نفساً ، كريمان أصلاً ، عظيمانِ حسباً .

ـ هم طيبون نفساً ، كريمون أصلاً ، عظيمون حسباً[2] .

فإذا زال التنوين أو مايشبهه زال معه التمييز المنصوب ، وتحول إلى وظيفة أخرى لا تختلف عنها في الدلالة كثيراً ، ولكن تختلف عنها في الإعراب ، تقول : هو طيبُ نفس ، وكريمُ أصلٍ . وهما طيبا نفسٍ ، وكريما أصل . وهم طيبوا نفسٍ وكريمو أصل .

---

(١) يمكن أن يقال : قابلت عشرين من العمال . ولكن هذا يختلف عما نحن فيه ، إذ تغير نوع الاسم ، كان هناك نكرة(عاملاً) فصار هنا معرفة(العمال) . وهذه الجملة تستبطن تمييزاً مقدراً ، فكأنك قلت : قابلت عشرين رجلاً من العمال .

(٢) قد تكون الكلمة ممنوعةً من الصرف فلا تنون ، ومع ذلك يقع بعدها التمييز على نية التنوين والفصل لا على نية الإضافة ، مثل : إنه لأكرمُ أصلاً ، وأطيبُ نفساً ، وأعظم حسباً من كل مَنْ عرفت .

وأما تمام الجملة فهو اشتمالها على مسندٍ ومسندٍ إليه ، مثل : طابَ سَعْدٌ نفساً ، وزرعتُ الحديقةَ عشباً ، وأكرم به أخاً ، وما أحسن السماءَ نجوماً .

وأما تمام المركب الاسمي فهو أن يكتمل جزءاه قبل التمييز ، كأن يكون مضافاً ومضافاً إليه ، أو عددين مركبين تركيباً مزجياً ، لاحظ مثلاً مايلي :

١ ـ أنت أفضلُ رجلٍ .

٢ ـ أنت أفضلُ الناس رجلاً .

فـ (رجل) كانت في الجملة الأولى مضافاً إليه ، لأنها باشرت المضاف ، فلما فُصلت عنه وحل محلها مضاف إليه آخر تمم الجزء الأول ، واكتمل به المركب الاسمي تحولت إلى تمييز . ولاحظ أيضاً مايلي :

١ ـ عندي ثلاثة أقلامٍ .

٢ ـ عندي ثلاثةَ عَشَرَ قلماً .

كانت (أقلام) مضافاً إليه بعد (ثلاثة) ، فلما فصل بينهما العدد (عشر) واكتمل المركب الاسمي ، انتصب (قلم) على التمييز .

٢ ـ بين التمييز والحال :

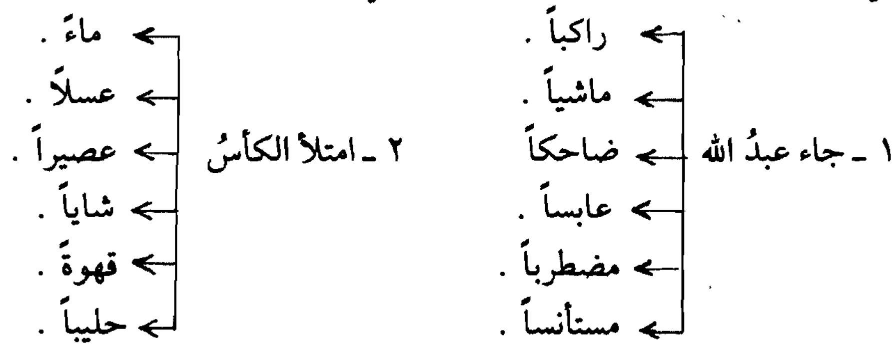
بين التمييز والحال بَعْضٌ من أوجه الشبه ، فهما يتشابهان من الناحية الصرفية ويختلفان ، ويتشابهان من حيث الموقعُ في الجملة ، ومن حيث الوظيفة .

فمن الوجهة الصرفية يغلب على التمييز والحال أن يكونا نكرتين ، ولو عدت إلى جميع الأمثلة التي مرت بك هنا لما وجدت التمييز إلا نكرة ، وقد عرفْتَ شأن الحال من قبلُ في هذا . ولكنهما يختلفان في شيء آخر ، إذ يغلب على الحال أن تكون اسماً مشتقاً ، ويغلب على التمييز أن يكون اسماً جامداً ، كما ترى فيما يلي : اشتعل الرأسُ شيباً . وأعجبني الكتابُ غِلافاً . وقرَّ زيدٌ عيناً . وطابَ أخي نفساً . وإذا كان مشتقاً في بعض الجمل فإن ذلك مبني على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، مثل : لله درُّه فارساً . إذ التقدير : لله

درُّه رجلاً فارساً . ومثله : أكرم به بطلاً . أي : رجلاً بطلاً . ومثل هذا قليل جداً .

أما في الموقع فالتمييز والحال متشابهان في أنهما يقعان في التركيب اللغوي بعد استيفائه المسند والمسند إليه ، وهذا يعني أنهما كليهما ليسا ركناً في الجملة ، بل فضلتان متممتان لبنية الجملة .

وأما في الوظيفة فإن كلاً منهما يُحدد المراد ، ويمنع من كثرة الاحتمالات ، فإذا قلت : جاء عبدُ الله . وامتلأ الكأس . كانت الاحتمالات في كل من الجملتين متساوية ، كما ترى في الشكلين التاليين :



هذه الاحتمالات الكثيرة في الجملتين تجعل وظيفة الحال ووظيفة التمييز سواءً في التبيين ، وتحديد المراد ، ومنع الاحتمالات ، إلا أن الحال تبين الهيئة بالوصف ، أما التمييز فيبين الشيءَ بالجنس .

وقد مَرّ بنا أن الحال تجيء مؤكدة ، وأن هذه الوظيفة كثيرة في الحال ، أما في التمييز فنادرة ، وتتحقق حين يزول إبهام المبهم في الجملة بشيء آخر غير التمييز ، كقوله تعالى : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ﴾ (التوبة : ٣٦) ونقول قياساً على ذلك : إن عدد الكتب هنا تسعون كتاباً . وإن لدينا من الجنود أربعين جندياً .

وعلى الرغم من نقاط التشابه بين الحال والتمييز نجد الأولى أكثر تصرفاً في الكلام ، وأكثر تنوعاً في الشكل ، فقد تكون ـ كما مرَّ بنا ـ اسماً مفرداً ، وقد تكون جملة فعلية ، أوجملة اسمية ، وقد تتعدد ، وقد تتداخل . والتمييز لايقوى على هذا كله ، وقُصاراه أن يكون اسماً مفرداً ، غير قابل للتعدد ، وإن

كان قد يتداخل كالحال ، وذلك في مثل : اشتريت عشرين طناً قمحاً . فـ (طناً) تمييز لعشرين . و (قمحاً) تمييز لـ (طناً) . ومثل ذلك : ابتعت ثلاثة عشر متراً جوخاً ، وتجاوزت الراحلة أحد عشر ميلاً أرضاً ترابية . وحاك الصانع اثني عشر ذراعاً قماشاً . ولكن التمييز لايتعدد لمبهم واحد ، فإذا قلت : قرأتُ ثلاثة عشرة صفحةً مقالةً . كان (مقالة) بدلاً من (صفحة) لاتمييزاً ثانياً ، وهذا من قبيل بدل الغلط أو النسيان[١] .

٣ ـ بين التمييز والمضاف إليه :

يتشابه التمييز والمضاف إليه في بعض التراكيب ، إذ يقوم المضاف إليه بوظيفة التبيين ، ويتضمن مثله معنى (من) البيانية ، فيكون أكثر من الحال شبهاً بالتمييز ، لأنه مثله يبين الجنس ، أما الحال فتبين الهيئة .

ويكثر هذا إذا وقع المضاف إليه بعد العدد المفرد ، مثل : ثلاثة أقلامٍ ، وخمسُ مجلاتٍ ، وتسع شجراتٍ ، وعَشَرةُ كتبٍ ، ومئة ليرةٍ ، وألفُ درهمٍ ، ومليون دينارٍ .

ويكون كذلك أيضاً إذا كان جنساً للمضاف مثل : خَاتمُ ذهبٍ ، ولوحُ زجاجٍ ، وبابُ خشبٍ . أو كان كلاً له ، والمضاف جزء منه ، مثل : بعض الطلابِ ، وجزءُ الشيءِ .

ولشدّة تشابه المضاف إليه والتمييز في أداءِ وظيفة التبيين يمكن أن يحل

(١) قد تلتبس الحال بالتمييز ، فيجوز إعراب الاسم المنصوب في الجملة تمييزاً أو حالاً ، مع اختلاف المعنى طبعاً ، مثل : كرُمَ زيدٌ صديقاً . فإن جعلت (صديقاً) حالاً عنيت أن زيداً كريم وهو صديق ، أو في حال كونه صديقاً . وإن جعلته تمييزاً أردت معنى آخر هو أن أصدقاء زيد كرماء . واختلف النحاة في إعراب(ذهباً) في مثل : هذا خاتمك ذهباً . فأعربه بعضهم حالاً ، وأعربه آخرون تمييزاً ، وكذلك اختلفوا في مثل : حبذا سمير أخاً . فقال أبو عمرو : هو تمييز . وقال الأخفش والفارسي : هو حال ، وتوسط آخرون ، فجعلوا المشتق منه حالاً ، والجامد تمييزاً . ومثل ذلك اختلافهم في مثل : لله دره فارساً ، وحسبك به بطلاً .

أحدهما محل الآخر في بعض التراكيب دون أن يختل المعنى ، كما ترى في هذه الجمل المزدوجة :

- اشتريتُ رِطلاً عسلاً . ← اشتريتُ رطلَ عَسَلٍ .
- عندي فدانٌ أرضاً . ← عندي فدانُ أرضٍ .
- اشتريتُ غراماً ذهباً . ← اشتريتُ غرامَ ذهبٍ .

فأنت ترى أن تحول التمييز إلى مضاف إليه في هذه الجمل لم يؤد إلى اختلاف الدلالة ، ولكنه نُتج عن مظهر صوتي ليس غير ، هو حذف نون التنوين من الاسم المبهم : رطل ، فدان ، غرام . وقد قلنا من قبل إن التنوين يجعل الاسم كاملاً من حيث اللفظ ، ولذلك ينتصب الاسم بعده على التمييز ، فإذا زال التنوين نقص الاسم واتصل بغيره اتصال المضاف بالمضاف إليه ، ولهذا يقول النحاة : إن المضاف إليه يقوم من المضاف مقام التنوين من الاسم المتمكن .

على أن بعض البنَى اللفظية يختلف فيها المعنى إذا تحول تمييزها إلى مضاف إليه ، كما في مثل :

- عندي وِعاءُ عسلٍ .

أي : عندي وعاءٌ يصلح لوضع العسل فيه ، أو : خاص بالعسل ، فإذا قلت :

- عندي وِعاءٌ عسلاً .

كان المعنى : عندي من العسل مايملأ وعاءً .

ولاشك أن هناك تراكيب لايتحول فيها التمييز إلى مضاف إليه ، كما لوكان الاسم المبهم عدداً مركباً ، مثل : أحد عشر كوكباً . أو جاء بعد تمام الجملة مثل : ازداد الجوُّ سوءاً . ولي مِلءُ الجرةِ عسلاً .

نوعا التمييز

مَرّ بنا أن التمييز يفسِّر المبهمات ، وأن المبهمات قد تكون كلمات مفردة ، وقد تكون علاقاتٍ بين الكلمات ، فإذا فسَّر التمييز مبهماً مفرداً قيل

له : تمييز المفرد ، أو تمييز الذات[١] . وإذا فسّر علاقة مبهمة بين كلمتين قيل له : تمييز النسبة أو تمييز الجملة[٢] . فما حقيقة كل منهما ؟

آ ـ تمييز المفرد :

الكلمات المبهمة التي يميزها التمييز أنواع ، هي : العدد وكناياته ، والمقادير وتشمل ألفاظ المساحة والكيل والوزن وأشباهها . وهناك ألفاظ مبهمة أخرى ليست أعداداً ولا مقادير ، كالضمير المفسَّر ، والألفاظ المماثلة والمغايرة . وسوف نتحدث في الفقرات التالية عن كل واحد منها .

١ ـ تمييز العدد :

الأعداد ألفاظ مبهمة تفسَّر إما بالتمييز ، وإما بالمضاف إليه ، فإن كانت أعداداً مفردة فسّرت بالمضاف إليه ، وإن كانت أعداداً مركبة أو من ألفاظ العقود فسرت بالتمييز ، فمن شواهد النوع الأول الآيات التالية : ﴿ كمَثَلِ حبةٍ أنبتت سبع سنابلَ في كل سنبلةٍ مئةُ حبةٍ ﴾ (البقرة : ٢٦١) ﴿ سخّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام حسوماً ﴾ (الحاقة : ٧) (فسيحوا في الأرضِ أربعةَ أشهرٍ ﴾ (التوبة : ٢) ومن ذلك قول الفرزدق :

مازال مذ عقدتْ يَداهُ إِزارَهُ   وسما فأدركَ خمسةَ الأشبارِ

وقول الآخر :

وإن كــلابــاً هــذه عَشْــرُ أَبْطُــنٍ   وأنـت بـريء مـن قبـائلهـا العَشْـرِ[٣]

ومن شواهد الأعداد المركبة قوله : ﴿ إن عدةَ الشهورِ عند الله اثنا عشر شهراً ﴾ (التوبة : ٣٦) ﴿ وبعثنا منهم اثني عَشَرَ نقيباً ﴾ (المائدة : ١٢) ومنها قول جرير :

لي خمس عشرةَ من جُمادى ليلةً   ما أستطيعُ على الفراشِ رُقادي[٤]

---

(١) أو تمييز الملفوظ .

(٢) أو تمييز الملحوظ .

(٣) العددان(واحد) و(اثنان) لا يحتاجان إلى تمييز ، لأنهما يستغنيان بذكر المعدود نصاً ، فيقال : رجل ، رجلان ، وهكذا .

(٤) أجاز الفراء أن يركب مثل هذه الأعداد تركيباً إضافياً ، فيكون الجزء الأول مضافاً

ومن شواهد ألفاظ العقود : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً ﴾ (الأعراف : ١٤٢) ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾ (الأعراف : ١٥٥) . ومنها قول زهير :

وقفتُ بها من بعد عشرين حجةً فلأياً عرفتُ الدارَ بعد تَوَهُّمِ[1]

ولاشك أنك لاحظت أن التمييز يقع بعد الأعداد المركبة وألفاظ العقود مفرداً منصوباً[2] ، فإذا جاء بعدها اسم منصوب بصيغة الجمع لم يكن تمييزاً ، وذلك كما ترى في قوله تعالى : ﴿ وقطعناهم اثنتي عَشْرَةَ أسباطاً أمماً ﴾ (الأعراف : ١٦٠) فقوله (أسباطاً) ـ وهي القبائل اليهودية ـ ليس بتمييز لأنه جمع : سِبْط ، بل هو بدل من العدد نفسه .

والجزء الثاني مضافاً إليه ، وذلك في حال إضافة العدد كله ، تقول : ما فعلتَ بخمسةِ عَشَرِك ؟ انظر في ذلك كتابه : معاني القرآن : ٢/ ٣٤ .

(١) اعتادت كتب النحو أن تتحدث في مبحث التمييز عن تذكير العدد وتأنيثه مع أن لا صلة له بعلم النحو عامة ، وبمبحث التمييز خاصة ، لأنه ليس بظاهرة تركيبية ، فالنحو يدرس علاقات الكلمات بعضها ببعض ، أو إن شئت : إنه يدرس وظائف الكلمات في التركيب ، وتذكير العدد وتأنيثه ظاهرة لغوية صرفية لا نحوية ، ولكن الخلط بين ميداني النحو والصرف مألوف في المؤلفات الحديثة والقديمة . ومع ذلك نرى أن نوجز ذلك بما يلي : العددان (١ ، ٢) يطابقان المعدود تذكيراً وتأنيثاً : رجل واحد . رجلان اثنان . الأعداد (٣ ـ ٩) تخالف معدودها : ثلاث نساء ، وأربعة رجال . العدد (١٠) يخالف مفرداً ويطابق مركباً : عشر نساء ، وأربعَ عَشْرَةَ امرأة .

(٢) إذا وصف تمييز العدد بعد ألفاظ العقود كان للوصف سبيلان هما :
١ ـ متابعة العدد وجوباً في الإعراب إذا كانت الصفة جمع مذكر سالماً ، مثل : عندي عشرون رجلاً معلمون . فمعلمون صفة للعدد (عشرون) لا للتمييز .
٢ ـ متابعة العدد أو التمييز إن كانت الصفة اسماً مفرداً أو جمع تكسير ، مثل : عندي عشرون رجلاً كرامٌ أو كراماً . فبالرفع صفة للعدد ، وبالنصب صفة للتمييز .

هذا ، وقد يقع التمييز بعد (المئة) على الرغم من أنه عدد مفرد ، وذلك حين يثنى أو يجمعُ جمعَ مذكرٍ سالماً وتثبت النون في آخره ، أو حين يعامل معاملة جمع التكسير ويلحق به التنوين ، وذلك كما ترى في قول الربيع بن ضبع الفزاري :

إذا عاشَ الفتى مِئتَيْنِ عاماً فقد ذهبَ المَسَرَّةُ والفَتاءُ

ومثله قول أبي العلاء المعري :

يدٌ بخمسِ مئينٍ عسجداً وُدِيَتْ مابالُها قُطِعتْ في رُبْعِ دينارِ

٢ ـ تمييزَ كنايات العدد :

ينوب عن العدد خمسة ألفاظ يقال لها : كنايات العدد ، هي : كم الاستفهامية ، وكم الخبرية ، وكأيِّن ، وكذا ، وبضع أو بضعة .

آ ـ كم (الاستفهامية) وتمييزها :

تعامل هذه الكناية معاملة ألفاظ العقود : عشرين ، وثلاثين ، وأخواتهما ، فيأتي التمييز بعدها مفرداً منصوباً[1] ، مثل : كم مصنعاً في هذا البلد ؟ وكم طالباً حضر الدرسَ ؟ وكم سنةً قضيت بعيداً عن وطنك ؟ وكم قتيلاً سقط في المعركة ؟ وقد يحذف تمييزها من ظاهر الكلام ويبقى مضمراً في النفس مفهوماً من السياق ، مثل : ﴿ كم لبثتم ؟ ﴾ (الكهف : ١٩) وتقول : كم مالُك ؟ والتقدير : كم يوماً لبثتم ؟ وكم ليرةً مالُك ؟

ب ـ كذا وتمييزها :

وهذه الكناية مثل (كم) الاستفهامية من حيث مجيء تمييزها مفرداً منصوباً ، كما في قول الشاعر :

عِدِ النفسَ نُعْمى بَعْدَ بؤساكَ ذاكراً كذا وكذا لطفاً بهِ نُسِيَ الجَهْدُ

وتقول : رأيتُ كذا وكذا تلميذاً .

---

(١) إذا سبقت (كم) بحرف جر يجيز بعض النحويين جر التمييز ونصبه ، والنصب هو الأكثر ، مثل : على كم عموداً أو عمود بنيت دارك ؟ وإذا فصل بينهما وبين تمييزها جاز ـ على قلة ـ أن يكون التمييز بصيغة الجمع ، مثل : كم عندك كتباً ؟ والأكثر : كم عندك كتاباً ؟ .

ج ـ كم (الخبرية) وتمييزها :

يكثر استخدام (كم) الخبرية فيَ الكلام ، وهي مبهمة تفسَّر إما بالمضاف إليه ، وإما بـ (من) البيانية ومجرورها ، مثل : كم صديقٍ أصفيتُ له الود . وكم بلدٍ جُبْتُ في سبيلِ الكرامة . فقولنا : صديقٍ ، أو بلدٍ ، مضاف إليه أزال إبهام (كم) . وتقول : كم من طاقةٍ تُهْدَرُ في هذه الديار . وكم من زفرةٍ تتصاعدُ من قلوب المخلصين . فالجار والمجرور (من طاقة) أو (من زفرة) وضحا المقصود من (كم) .

وقد يكون استخدام الجار والمجرور لإزالة إبهام (كم) واجباً لا جائزاً ، وذلك إذا فُصل بينها وبين مابيينها بفعل متعدٍ لئلا يلتبس الاسم ـ إذا لم يجر بمن البيانية ـ بالمفعول به ، مثل : ﴿ كم أهلكنا من قريةٍ بطرت معيشتَها ﴾ (القصص : ٥٨) ، فلو قال : كم أهلكنا قريةً . . . لظنت (قرية) مفعولاً به للفعل المتعدي (أهلكنا) .

وقد يقع التمييز بعد (كم) الخبرية هذه إذا فصل بينها وبينه بفعل لازمٍ لا متعدٍ ، كقول زهير :

تــؤُمُّ سِنــانــاً وكــم دونَــهُ   من الأرضِ مُحْدَوْدِباً غارُها

وقد يتحول التمييز في هذه الحال إلى مضاف إليه كقول الشاعر :

كــم فيهــمُ مَلِــكٍ أغــرَّ وسُــوقــةٍ   حَكَــمٍ بــأرديــةِ المكــارمِ محتبــي

والنصب على التمييز في هذه الحال أفضل من الجر بالمضاف ، لأن الفصل بين المضاف والمضاف إليه غير مستحب ، على حين لايكره الفصل بين المبهم والتمييز[١] .

وقد يحذف مايزيل إبهامها ، مثل : كم نشكو الحياةَ بلا جدوى . أي : كم مرةٍ . ومثل ذلك قول الشاعر :

فكــم قــد فــاتني بطـلٌ كمـيٌّ   ويــاسِـرُ فتيــةٍ سَمْـحٌ هَضـومُ

---

(١) ذكر سيبويه أن بعض اللهجات القبلية في الجاهلية والإسلام كانت تنصب الاسم بعد (كم) الخبرية على التمييز دوماً ، وقد أنشدوا بيت الفرزدق نصباً :

كــم عمــةً لــك يــا جــريــر وخــالــةً   فدعاءَ قد حلبت عليَّ عشاري

أي : كم مرةٍ فاتني . . .

د ـ كأيّن وتمييزها :

وهذه تشبه (كم) الخبرية في المعنى ، فكل منهما تخبر عن الكثرة ، أما مميزها فيكثر جره بـ (من) البيانية ، وهذه اللغة هي اللغة القرآنية ، مثل : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه رِبِّيون كثير ﴾ (آل عمران : ١٤٦) ﴿ وكأيّن من آية في السموات والأرض ﴾ (يوسف : ١٠٥) ﴿ وكأين من دابةٍ لاتحمل رزقها ﴾ (العنكبوت : ٦٠) وجاء منها كثير في الشعر ، كقول جرير :

وكائن[1] بالأباطح من صديقٍ ... يراني لو أصبت هو المصابا

وقول زهير :

وكائنْ ترى من صامتٍ لك معجبٍ ... زيادتُهُ أو نقصه في التكلم

وقد يقع مميزها منصوباً على التمييز ، وهذا قليل ، كقول الشاعر :

وكائن لنا فضلاً عليكم ورحمةً ... قديماً ولاتدرون مامن منعّم

وقول الآخر :

اطردِ اليأسَ بالرَّجا فكأيّنْ ... آلماً حُمَّ يُسْرُهُ بعْدَ عُسْرِ

هـ ـ بضع وتمييزها :

تحل « بضع » محل العدد المفرد الذي يدل على القليل ، وفسّر إبهامها مضاف إليه مثله ، تقول : اشتريت بضعة أمتارٍ من القماش . وزار المتحف بضعُ مدارسَ من مدارسِ البلدة . وهي في تذكيرها وتأنيثها كالعدد المفرد ، تخالف المعدود ، وهذا واضح لك فيما سبق من التمثيل .

٣ ـ تمييز المقادير :

وأسماء المقادير مبهمة أيضاً ، وفي حاجة إلى مايزيل إبهامها ، وهي أسماء المساحة مثل : مشيت ميلاً أرضاً صخرية . واشترى والدي فداناً أرضاً صالحةً للزراعة . وأسماء الكيل ، مثل : يحتاج المصنع إلى برميلين نفطاً في اليوم . اشرب كل يوم ليتراً حليباً . وأسماء الوزن ، مثل : محصول الحقل في

---

(١) تختلف لهجات القبائل في لفظ(كأين) ، فقريش كانت تقول : كأين ، وكانت القبائل الأخرى تقول : كائن .

السنة طُنانِ قمحاً . وصيغ هذا السوار من غرامين ذهباً . وأسماء **المقاييس** ، مثل : يلزمك مترٌ جوخاً ، وذراعٌ قماشاً آخر .

ولهذه الأسماء أشباه تؤدي معانيها ، فمن أشباه أسماء المساحة ماتراه في قول الناس : مافي السماءِ قدر راحةٍ سحاباً . ومن أشباه أسماء الكيل (ملء) كما في قوله : ﴿ فلن يقبل من أحدهم ملءُ الأرضِ ذهباً ﴾ (آل عمرانِ : ٩١) ، ومن أشباه أسماء الوزن (ذرة) في قوله : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ﴾ (الزلزلة : ٨) ومن أشباه المقاييس ماجاء في قولهم : وقّعنا مَدَّ يدِكَ عريضةً .

ويشارك التمييزَ في إزالة إبهام أسماء المقادير المضاف إليه ، والجار والمجرور ، كما ترى في هذه الجمل :

ـ شربتُ ليتراً حليباً .

ـ شربتُ ليترَ حليبٍ .

ـ شربتُ ليتراً من حليب[1] .

٤ ـ تمييز الذوات المبهمة :

وهناك كلمات ذات دلالات مبهمة ، مثل : غير ، ومثل ، ودون ، تقول : هل لديك مثلُ مالديَّ كتباً ؟ وعندي غيرُ ماعندك مالاً . ولديَّ دون مالديك خيلاً .

ومن هذا النوع كلمات أخرى تدل على ذوات مبهمة المادة ، كالخاتم . والساعة ، والحلة ، والسوار ، إذ يحتمل الخاتم مثلاً أن يصنع من الذهب أو الفضة أو البلاتين أو النحاس ، أو . . . ومثله سائر الأسماء في الاحتمالات المتعددة ، وهذا يعني أنها تحتاج إلى مايميزها ويمنع تعدد الاحتمال ، فتقول : عندي خاتم ذهباً . ولبست أختي سواراً ذهباً . واشتريت ساعةً ذهباً . ولبست حلةً جوخاً .

وقد يكون المبهم ضميراً لامرجع له ، وحينئذٍ يحتاج إلى تفسير ، لأن

---

(١) ينصب على الشبه بالتمييز(غدوةً) بعد (لَدَنْ) تشبيهاً لنونها بالتنوين في مثل : عندي ليترٌ حليباً .

ضمير الغيبةِ ـ وهو المقصود هنا ـ إنما يزيل إبهامه في الأصل مايعود إليه من مرجع ، فإذا فقد الكلام هذا المرجع احتاج إلى تمييز ، مثل : رُبَّهُ صديقاً حافظت على عهده . قال الشاعر :

واهٍ رأبْـتُ وشيكـاً صَـدْعَ أعظُمِـهِ   ورُبَّـهُ عَطِبـاً أنقـذتُ مـن عَطَبِـهْ[1]

ب ـ تمييز النسبة :

قلنا من قبل : إن الإبهام قد يكون في علاقة كلمتين ونسبة بعضهما إلى بعض ، أما الكلمات نفسها فلا إبهام فيها ، انظر في هذه العبارات الثلاث :

١ ـ زادَ الحقلُ .

٢ ـ صالحٌ أكثر منك .

٣ ـ تصبب جبينُ سعدٍ .

في الجملة الأولى نسبت الزيادة ، إلى الحقل على سبيل الفاعلية ، وتلك نسبة مبهمة ، لأن الحقل نفسه لايزيد ، إذ لايصير ـ وهو واحد فقط ـ حقلين أو ثلاثة حقول . وفي الجملة الثانية نسبت الكثرة إلى صالح ، وهي مبهمة أيضاً ، إذ كيف نتخيل كثرة إنسان واحد ؟ وفي الجملة الثالثة نسب

---

(١) زاد الشيخ محيي الدين عبد الحميد في حاشيته على ابن عقيل (٢/٢٩١) وتابعه المرحوم عباس حسن في كتابه النحو الوافي : (٢/٣١٧) ما يجيء في صيغة التعجب ، في مثل : لله دره فارساً . وما أكرمه بطلاً . واشترطا ألا يكون للضمير مرجع معلوم في الذهن . ومثل هذا الافتراض غريب من الشيخين ، إذ لا يقعُ في أسلوبِ عاقلٍ تعجب من مجهول غير معروف بحيث يحتاج إلى تفسير ، فلو جعلنا : فارساً . تفسيراً للضمير في : لله دره ، وما أكرمه . صرنا إلى تعجبٍ ممن لا نعرف ، فكأننا قلنا : ما أكرم فارساً ، ولله در فارسٍ . وهذا كلام مضطرب .

وزاد المرحوم عباس حسن في النحو الوافي (٢/٣١٧) أن التمييز في مثل : نعم فارساً زيدٌ . من تمييز المفرد أيضاً . ولم يبيّن سبب هذا المذهب ، والأحسن جعله من تمييز النسبة لأنه مفسر لفاعل محذوف ، إذ لما حذف الفاعل انبهمت النسبة ، ففسرها التمييز . ويرجح عندي أن المرحوم أُخِذ في هذا المذهب من قول النحاة هنا : إنه فاعل مفسَّر .

التصبب إلى الجبين ، والتصبب لايكون إلا من سائلٍ ، ولما كان الجبين غير سائل كانت النسبة بين الكلمتين غامضة مبهمة . وإذا عدت إلى كلمات الجمل الثلاث وجدتها واضحة الدلالة ، محددة القَصْد ، وبهذا نكون أمام نوع من الإبهام غير الذي مرّ بنا قبلُ ، فإذا أضفنا إلى كل جملة من الجمل السابقة تمييزاً كان أيضاً نوعاً آخر غير الذي عرفناه في الفقرات السابقة ، انظر مايلي :

١ ـ زادَ الحقلُ عشباً .

٢ ـ صالح أكثر منك مالاً .

٣ ـ تصبب جبينُ سعدٍ عرقاً .

تلاحظ أن الكلمات التي أضيفت أزالت إبهام النسبة بين الكلمتين في كل جملة . ففي الجملة زاد العشبُ في الحقل ، وهي زيادة قابلة للفهم والإدراك ، أما الحقل نفسه فلم يزد . وكذلك زاد المال في الجملة الثانية لاصالح ، وتصبب العرق في الجملة الثالثة لا الجبين .

هذا هو مفهومُ تمييز النسبة ، أو الجملة ـ كما يسمى أحياناً ـ وهو نفسه قسمان : قسم يقال له التمييز المحول ، وقسم آخر يقال له : غير المحول ، ودونك الحديث عن كل منهما .

١ ـ التمييز المحول :

يعني التحويل انتقالَ النسبة من الخاص إلى العام ، وذلك واضح في الجملتين التاليتين :

١ ـ ضَعُفَ وجهُ سمير .

٢ ـ ضعف سميرٌ وجهاً .

فنسبة الضعف إلى الوجه نسبة خاصة وحقيقة ، أما نسبتها إلى سمير ـ والمقصود بها وجهه فحسب ـ فهي نسبة عامة مجازية . وكذلك ترى مثل هذا الانتقال في الجملتين :

١ ـ قلمتُ أشجارَ الحديقة .

٢ ـ قلمتُ الحديقةَ أشجاراً .

ولكن ما الغرض من هذا التحويل ؟

إن ذلك يجعل الحدث المذكور في الجملة عاماً شاملاً ، فإذا قلت : اشتعل شيبُ الرأس . مازدت على أنْ أخبرت أن الشيب الذي في الرأس أخذ يلمع ، وقد يكونَ هذا الشيب في جانب واحد من جوانب الرأس : مقدمتهِ أو يساره أو يمينه أو وسطه . فإذا حولت الفاعل إلى تمييز وقلت : ﴿ اشتعل الرأسُ شيباً ﴾ (مريم : ٤) تحول المعنى إلى الشمول والإحاطة ، فالشيب قد استغرق الرأسَ كله ، وعمَّ جميع جوانبه ، حتى أتى - أو كاد - على السواد .

ولكن عمّ يتحول التمييز ؟

آ - التمييز المحول عن فاعل :

لكي ننفذ إلى هذه العملية التحويلية ينبغي لنا أن نذكر نوعين من أنواع الفاعل ، الأول : فاعل نحوي . وهو ماأسند إليه فعل مبني للمعلوم أواسم مشتق يعمل عمل فعله ، مثل : ذهبَ الشتاءُ . والشتاءُ شديدٌ بردُهُ .

والثاني : الفاعل الحقيقي ، أي الذي قام بالحدث ، أو تلبَّس به ، سواء أأسند إليه الفعل أو المشتق أم لم يسند . مثل : انتَ أكثر ذكاءً من رفيقك . فقولنا : ذكاء ، تمييز من حيث الإعراب ، ولكنه في المعنى فاعل ، لأن الذكاء هوالذي كَثُر ، فكأننا قلنا : أنت كثر ذكاؤك ، أو : يكثر ذكاؤك .

والتمييز المحول عن فاعل كثير جداً في متن اللغة ، كما ترى في هذه الشواهد : ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً سيءَ بهم وضاقَ بهم ذَرْعاً ﴾ (هود : ٧٧) أي : ضاقَ بهم ذَرْعُهُ . و ﴿ فإن طِبْنَ لكم عن شيءٍ منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾ (النساء : ٤) أي : فإن طابت أنفسُهن لكم عن شيء . و « يزداد أهلُ الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزدادُ أهل النار حزناً إلى حزنهم » (حديث نبوي) . أي : يزدادُ فرحُ أهل الجنة ، ويزداد حزن أهل النار . وقال زهير يصف قطاةً :

لاشيءَ أسرعُ منها وهي طيِّبةٌ   نفساً بما سوف يُنجيها وتَتَّرِكُ

أي : طيّبةٌ نفسُها .

وهذه الشواهد تبين تحول الفاعل النحوي إلى تمييز ، أما تحول الفاعل

المعنوي أو الحقيقي إلى تمييز فيكون بعد اسم التفضيل[1] في مثل : ﴿ ومَن أحسنُ من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (المائدة : ٥٠) وقال زهير :

وذاك أحــزمُهــم رأيــاً إذا نبــأٌ من الحوادِث غادى الناسَ أو طَرَقا

ب ـ التمييز المحول عن مفعول به[2] :

وهذا التحول قليل إذا هو قيس إلى التحول عن فاعل ، وشواهده قليلة في القرآن والشعر ، من ذلك : ﴿ وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماءُ على أمرٍ قد قُدِر ﴾ (القمر : ١٢) أي : فجرنا عيونَ الأرض . ولا أعرف شاهداً آخر في القرآن على هذا . وتقول : فتحتُ الغرفةَ نوافذَ . وقلمتُ الحديقةَ أشجاراً . ومنه قول حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية :

وسعــتُ كتــابِ الله لفظــاً وغـايــةً ومــاضقــت عــن آيٍ بــه وعظــاتِ

أي : وسعت لفظَ كتابِ الله وغايته .

٢ ـ التمييز غير المحول :

يغلب على هذا التمييز أن يقع في أسلوبين إنشائيين ، هما أسلوب التعجب ، وأسلوب المدح أو الذم ، وقد يقع في غيرهما .

آ ـ أما في أسلوب التعجب فيقع في صيغتيه القياسيتين : ما أفعله وأفعلْ به ، مثل : ماأكرمك أباً ، وأكرم بك أباً ، وقد يقع في عبارات تعجبية متداولة ، مثل : لله درُّك شاعراً ، وويحك رجلاً ، ويالك أستاذاً ، وياحسنها ليلةً .

والذي يؤكد أن هذا التمييز ليس بمحول أنه يجر بمن البيانية أحياناً ، والتمييز المحول لايقبل دخول (من) عليه . تقول في الجمل السابقة : ما أكرمك من أب ، وأكرم بك من أب ، ولله درك من شاعر ، وويحك من رجل ، ويالك من أستاذ ، وياحسنها من ليلة .

(١) يذهب بعض النحويين إلى أنه محول عن مبتدأ ، وما رأيه ببعيد . انظر كتابنا : الواضح في النحو . مبحث التمييز .

(٢) يرى بعض النحاة أنه لا يتحول عن غير الفاعل ويتأوّلون ما سواه . انظر : شرح الفريد : ٢٨٧ .

ب ـ وأما في أسلوب المدح أوالذم فيأتي التمييز على واحدةٍ من صورتين :

الأولى : أن ينوب عن شيءٍ محذوف ، كما ترى في قول زهير :

نعم أمرأً هرِمٌ لم تَعْرُ نائبةٌ إلا وكان لمرتاعٍ بها وَزَرا

فأصل التركيب : نعم المرءُ هرِمٌ . فلما حذف الفاعل (المرءُ) ـ وهومحلى بأل ، ومرفوع ـ حل محله التمييز (امرأً) ـ وهو نكرة ومنصوب ـ ليزول إبهام الجملة بعد حذف الفاعل وتحولها إلى : نعمَ هرِمٌ . وتقول : بئس عملاً عملُك ، ومنه في القرآن : ﴿ ساءَ مثلاً القومُ الذين كذبوا بآياتنا ﴾ (الأعراف : ١٧٧) ، ﴿ وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴾ (الكهف : ٥٠) ﴿ كبرت كلمةً تخرج من أفواههم ﴾ (الكهف : ٥) .

والصورة الثانية للتمييز في أسلوب المدح أوالذم ألا يحل محل شيء محذوف ، وأن يأتي بعد تمام الكلام ، مثل : حسبك بزيدٍ رجلاً ، وكفى به رجلاً ، وحبذا زينبُ امرأةً . ومنه قول سحيم عبد بني الحسحاس :

ألا أيها الوادي الذي ضم سَيْلُه إلينا نوى ظَمْياءَ حُيّيتَ وادِيا

وكذلك يجوز جر التمييز في هذا الأسلوب بـ (من) البيانية ، وهذا دليل على أنه غير محول ، تقول مثلاً : حييت من وادٍ ، وحسبك به من رجل ـ وكفى به من شيخ عالم[1] . وقال جرير :

ياحبذا جبل الريانِ من جبلٍ وحبذا ساكنُ الريانِ مَنْ كانا

ج ـ ويأتي التمييز غير المحول أيضاً في مواضع أخرى ، مثل : مُلىء الأطفالُ رُعباً . وملأت الكأسَ ماءً ، ومنه في القرآن : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ (الكهف : ١٨) .

---

(١) يرى بعضهم أن (كفى ، وحسبك) وأمثالهما يراد بهما التعجب ، والحق أنهما إلى المدح أقرب منهما إلى التعجب .

الخصائص الأسلوبية للتمييز

للتمييز خصائص أسلوبية ، يتعلق بعضها بلفظه ، ونؤثر أن نسميها الخصائص الصرفية ، ويتعلق بعضها الآخر بموقعه من الجملة ، ونسميها الخصائص التركيبية .

١ ـ خصائصه الصرفية :

أما الخصائص الأولى فتتضمن سمتين صرفيتين في لفظ التمييز ، هما : التنكير ، والجمود .

آ ـ أما السمة الأولى ـ وهي التنكير ـ فواضحة في جميع الشواهد والأمثلة التي سقناها حتى الآن ، وهي السمة العامة الشائعة في نصوص اللغة ، وماأجد الاحتجاج لها في هذا الموضع ذا غناء بعد مامَرَّ من النصوص الكثيرة .

غير أن هذه السمة قد تُخالف في بعض النصوص ، فيأتي التمييز معرفةً في الظاهر ، حتى إذا أمعنت النظر فيه وجدته مؤوَّلاً بنكرة ، وليس هذا وقفاً على لغة الشعر لينسب إلى الضرورة ، بل جاء منه في القرآن قوله : ﴿ ومن يرغبُ عن ملةِ إبراهيم إلا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (البقرة : ١٣٠) وقوله : ﴿ كم أهلكنا من قريةٍ بطِرَتْ معيشتَها ﴾ (القصص : ٥٨) فالتأويل في الآية الأولى :

إلا من سَفِهَ نفساً . وفي الثانية : بطرت معيشةً . وجاء منه في الشعر قول راشد بن شهاب اليشكري :

رأيتُكَ لما أن عرفتَ وجوهَنا صددتَ وطِبْتَ النفسَ يازيدُ عن عمرِو

وقول الشاعر :

علامَ مُلئتَ الرُعْبَ والحربُ لم تَقِدْ لظاها ولم تُستعملِ البيضُ والسمرُ

فتأويل الأول : وطبت نفساً . والثاني : ملئت رعباً .

وقد يكون من الأسماء المغرقة في التنكير ، وهي التي لاتكتسب تعريفاً إذا أضيفت إلى المعرفة ، مثل : كم مِثْلَهُ لك ؟ وكم غيرهُ عندك ؟

ب ـ وأما سمة الجمود فهي السمة الشائعة أيضاً ، وبذلك يختلف عن الحال ، ولانرى بأنفسنا حاجة كذلك للاحتجاج لهذه الظاهرة ، لكثرة ماجاء منها في هذه الفقرات ، ولكنها قد تخالف أيضاً ، إذ يقع التمييز اسماً مشتقاً ، كما في مثل : حسبك به عالماً ، أو مخترعاً ، أو بطلاً ، أو مِقداماً ، أو شجاعاً . ومثل : ما أكرمه مُضيفاً ، أو مسامحاً . وهذا كله مبني على حذف الموصوف وقيام الصفة مقامه ، والأصل : حسبك به إنساناً عالماً ، أو رجلاً شجاعاً .

٢ـ خصائصه التركيبية :

ويتميز التمييز بخصائص تركيبية ، شأنه في ذلك شأنُ الوظائف النحوية الأخرى ، كالتضام ، والموقع ، والذكر والحذف .

آ ـ أما خصيصة التضام فنعني بها أن يقع التمييز ملاصقاً للمبهم الذي يفسره ، كما يتضام الفعل والفاعل ، والحال وصاحبها أو عاملها ، إذ يلزم كل منهما الآخر ولا ينفك عنه .

والحق أن التمييز يلازم المبهم من غير انفصال غالباً ، ولاسيما في الأعداد والمقادير ، مثل : أحد عشر كوكباً ، واثنتا عشر عيناً ، وعشرون قنطاراً ، ولايستحب أن يقال مثلاً : هذه عشرون لك درهماً . وأتاك ثلاثون اليومَ رجلاً . لأن العلاقة بين التمييز ومبهمه قريبة من العلاقة بين المضاف والمضاف إليه ، وإن كانت لاتماثلها .

وقد مر بنا من قبل أن تمييز (كم) الاستفهامية قد ينفصل عنها ، وكذلك يحصل في تمييز (كم) الخبرية المنصوب أحياناً ، كما جاء في الشعر فصل تمييز ألفاظ العقود والأعداد المركبة ، كما في قول العباس بن مرداس :

على أنني بعد ماقد مضى ثلاثون للهجر حولاً كميلا

وقول جرير

لي خمس عشرة من جُمادى ليلةً لا أستطيع على الفراش رُقادي

ب ـ شيءٌ آخر يتسم به التمييز هو التزامه موقعاً ثابتاً في الجملة قلَّ أن يبارحه ، فهو يقع بعد المبهم الذي يفسره إن كان المبهم مفرداً ، كما ترى في

قولهم : لي مِلْءُ جرةٍ عسلاً . فإذا قدمت التمييز على المبهم تغير إعرابه ووظيفته : لي عسلٌ ملءُ جرةٍ . ولايقال : ظهر كوكباً أحد عشر ، وقرأت صفحةً ثلاثة عشرة ، . وقابلتُ معلماً عشرين ، وعندي ذهباً مثل ماعندك .

وإذا جاء شيء من هذا في الشعر كان ضرورة لايعتد بها ، كقول الراجز :

ونـارُنـا لـم يُـرَ نـاراً مثلُهـا قـد علمـتْ ذاك مَعَـدٌّ كلُّهـا

والأصل : لم يُرَ مثلُها ناراً .

على أنه قد جاء تقديم التمييز على عامله حين يكون هذا العامل فعلاً متصرفاً ، واقتصر ذلك على لغة الشعر دون النثر ، من ذلك قول الشاعر :

ولسـتُ إذا ذرعـاً أضيـقُ بضـارعٍ ولايـائـسٍ عنـد التعسُّرِ مـن يُسْـرِ

وقول الآخر :

ضيعت حَزْمي في إبعادي الأملا وما ارعويتُ وشيباً رأسيَ اشتعلا

وقد أنكر بعض النحويين تقدم التمييز على عامله وإن كان متصرفاً ، وحجتهم في ذلك أن التمييز هنا متحول عن فاعل ، فإذا تقدم على عامله صار الفاعل في المعنى متقدماً على فعله ، وذلك غير جائزٍ . ومهما كانت قيمة هذه الحجة فإن الذي جاء من تقديم التمييز على عامله المتصرف قليل ، وخاص بالشعر ، ولا أرى بأساً بمنعه[1] . ؟

---

(١) بعض الأفعال المتصرفة مثل (كفى) لا يتقدم عليها تمييزها ، وهذا موضع إجماع النحاة ، وسبب ذلك أن هذا الفعل يشبه الفعل الجامد في مثل : كفى بك داء داءً . لأنه موضع التعجب ، أو المدح أو الذم . هذا واحتج ابن مالك على جواز التقديم بقول الشاعر :

رَدَدْتُ بمثـل السِّيـد نهـدٍ مقلَّـصٍ كميـشٍ إذا عِطفـاه مـاءً تحلّبـا

وبقول الآخر :

إذا المـرءُ عينـاً قـرَّ بـالعيش مثـريـاً ولم يُعن بالإحسانِ كان مذمَّما

وقبول هذا الاحتجاج محوط بمشكلة نحوية ، هي إعراب الاسم المرفوع بعد (إذا) ، فإن كان فاعلاً لفعل محذوف ـ كما يرى جمهور النحويين ـ سقط الاحتجاج ، لأن ذلك يؤدي إلى أن التمييز (ماءً) أو (عيناً) لم ينصب بالفعل المذكور المتأخر بل بالفعل المحذوف الذي رفع الفاعل . أما إذا ذهبنا إلى أن =

ج ـ وهذا يسلمنا إلى فقرة أخرى متممة مكملة ، نبين فيها مايعمل في التمييز ، فهو منصوب ولا بد له من ناصب .

أما تمييز الذات فيعمل فيه الاسم المبهم الذي يفسره ، وأما تمييز النسبة فيعمل فيه الفعل مثل : حَسُن زيدٌ أخلاقاً ، وأشباه الفعل ، كالمصدر واسم الفعل والمشتق .

فمن عمل المصدر قولنا : أدركتُ سعةَ صدره حلماً ، وطيبه نفساً ، وامتلاءه إيماناً . ومن عمل اسم المصدر قول العرب القدماء في مثل لهم : وَشْكانَ ذا خروجاً ، وسَرْعانَ ذا إهالةً . ومن عمل اسم الفاعل في التمييز : قلبه عامرٌ إيماناً ، ممتلىء حباً . ومن عمل اسم المفعول : هذه الحلوى محشوة لوزاً ، وهذا الكأس مملوء ماءً . ويكثر عمل اسم التفضيل في التمييز ، مثل : إنك لأحزمهم رأياً ، وأكرمهم نفساً ، وأعلاهم منزلةً . وللصفة المشبهة في التمييز عمل كثير ، مثل : هذه القصيدة جيدة سبكاً ، متينة لفظاً ، عميقة مضموناً ، غنية إحساساً .

د ـ وقد مر بنا من قبل أن التمييز قد يحذف من ظاهر الكلام ويضمر في الذهن ، ولاسيما بعد (كم) الاستفهامية ، مثل : كم أقمتَ في هذه المدينة ؟ وكم لبثتَ هنا ؟ . وقد يحذف تمييز العدد المركب للعلم به ، كما في قوله تعالى يصف جهنم : ﴿ لاتُبقي ولاتَذَرْ ، لوّاحةٌ للبشر ، عليها تسعةَ عَشَرْ ﴾ (المدثر : ٢٨ ـ ٣٠) أي : عليها تسعة عشر مَلَكاً . وقد يحذف تمييز ألفاظ العقود ، مثل : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين ﴾ (الأنفال : ٦٥) أي : عشرون مؤمناً صابرون . ومن ذلك قول الحارث بن حِلزة :

وثمانون من تميم بأيدي ـهمْ رماحٌ صُدورُهُنَّ القضاءُ

أي : وثمانون فارساً من تميم .

= الاسم المرفوع بعد (إذا) مبتدأ ـ كما يرى سيبويه ـ فالاحتجاج حينئذٍ صحيح ، والتقديم حاصل .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴾ (الجن : ٨) .

٢ ـ ﴿ قال أتحاجّوني في الله وقد هَدانِ ، ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً ، وسع ربي كل شيءٍ علماً أفلا تتذكرون ﴾ (الأنعام : ٨٠) .

٣ ـ ﴿ قل : هل أنبئكم بشرٌّ من ذلك مَثوبةً عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازيرَ ، وعبد الطاغوتَ ، أولئك شرٌّ مكاناً وأضل عن سواءِ السبيل ﴾ (المائدة : ٦٠) .

٤ ـ ﴿ فضربنا على آذانهم في الكهف سنينَ عدداً ، ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾ (الكهف : ١١ ، ١٢) .

٥ ـ قال الإمام الشافعي :

دع الأيامَ تفعلْ ماتشاءُ ... وطب نفساً إذا حكم القضاءُ

٦ ـ وقال البحتري :

فانعم بيوم الفطر عيناً إنه ... يومٌ أغرُّ على الزمانِ مُشَهَّرُ

٧ ـ وقال ذو الرمة :

تزدادُ للعين إبهاجاً إذا سفرتْ ... وتحرجُ العينُ فيها حين تنتقِبُ

٨ ـ وقال امرؤ القيس :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

٩ ـ وقال بعض بني أسد :

فياربوةَ الربعين حُييتِ ربوةً ... على النأي منا واستهلَّ بك الرعدُ

١٠ ـ وقال ابن ميادة :

ألا لاتُلِطّي السترَ يا أمَّ جَحْدَرٍ ... كفى بذرا الأعلام من دوننا سترا

١١ ـ وقال حسان بن ثابت :

وَلَدْنا بني العنقاء وابني محرّق ... فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

المنادى

١ ـ النداء وأغراضه :

١ ـ حدد النحويون القدماء أغراض النداء بشيء واحد ، فذكروا أنه استدعاء إنسانٍ ماليقبل على مناديه ، أو ينتبه إلى حديثه .

والحق أن وظائف النداء كثيرة ، وهي من جملة مايمكن أن يتخذ دليلاً على أن وظائف اللغة في حياة الإنسان غير مقتصرة على التبليغ ، او نقل الفكرة من إنسان إلى آخر .

فإلى جانب الاستدعاء للإقبال و الانتباه إلى الحديث يقوم النداء بوظائف أخرى ، كتوكيد المقول ، فكثيراً ماينادي المتحدث مَنْ يخاطبه وهو في ذروة انتباهه إليه ليكون ذلك إشارة إلى أهمية مايقول ، ومن وظائفه أيضاً التلذذ باسم المنادى والشعور بالراحة النفسية في ذكره ، ويكثر هذا في قصائد الغزل العذري . فقد طال ما ردد جميلٌ اسم بثينةَ منادىً ، وردد عروة اسم عفراء ، وردد عنترة اسم عبلة . وقد يكون النداء ضرباً من التعظيم ، ولاسيما حين يكون الخطاب للرؤساء أو للملوك ، فترى المتكلم يكرر مثل هذه العبارة في كلامه : سيادةَ الرئيس ، أو : جلالةَ الملك ، أو : سعادةَ الوزير . كما قد يكون شتماً للمنادى وسباً له ، وقد كان للعرب في هذا أسلوب خاص ، فإن أرادوا إهانة المنادى وشتمه قالوا للمذكر : ياخُبَثُ ، أو يالُكَعُ ، أو ياغُدَرُ ، أو يافُسَقُ . ويعنون ياخبيث ، وياألكعُ ، وياغادر ، ويافاسق . وقالوا للمؤنثة : ياخَباثِ ، ويالَكاعِ ، وياغَدارِ ، ويافَساقِ[1] .

(١) وما ذكرناه من الأسماء لا يستعمل إلا في النداء ، فلا يقال : جاء خُبَثُ ، أو ذهبت خَباثِ . وما جاء من ذلك في غير النداء عُدَّ تجاوزاً لنظام اللغة ، كما في قول الحطيئة :

أطـوِّف مـا أُطـوِّف ثـم آوي إلـى بيـتٍ قعيـدتُـهُ لَكـاعِ

ومن وظائف النداء طلب الاستغاثة والمساعدة ، كما في مثل : يالَلْقادر لِلضعيف ، ولهذا الغرض أسلوب خاص سوف نتحدث عنه في حينه .

وقد يكون غرض النداء عاطفياً صِرْفياً ، فالمنادي لايتوجه إلى المنادى ليثير انتباهه ، أو ليدعوه إليه ، لأنه لايكون أمامه مَنْ يناديه أصلاً ، وكل مايريده من النداء أن يبوحَ بما في نفسه من مشاعر الحزنِ أو الإعجاب ، ويحصل هذا في أسلوبين من أساليب النداء هما : نداء المتعجَّب منه ، ونداء المندوب ، ففي أنواع النداء الأخرى لابد من وجود طرفين : منادٍ ومنادَى ، أما في هذين الأسلوبين فلا تجد إلا طرفاً واحداً هو المنادي .

٢ ـ ويتألف التركيب المشتمل على النداء من ثلاثة مكوّنات ، هي :

١ ـ الأداة .

٢ ـ المنادى .

٣ ـ جواب النداء .

مثل : ياعليُّ أكرم أباك . فالأداة (يا) والمنادى (علي) وجملة : أكرم أباك ، هي الجواب .

وليس من الضروري أن تُلْتَزم الرتبة السابقة : أداة + منادى + جواب . فقد يقع المنادى في وسط الجواب ، كأن تقول : أنتَ ـ ياطارقُ ـ محب لزملائك . أو في آخره مثل : إنك محب لزملائك ياطارق . وذلك كثير في الشعر ، فمن وقوعه معترضاً بين أجزاء الجواب قول جميل بثينة :

ألم تعلمي ياعذبةَ الريقِ أنني أظلُّ إذا لم أُسْقَ ريقَكِ صاديا

ومن وقوعه بعده قول طرفة بن العبد :

إذا مُتُّ فانعيني بما أنا أهلُهُ وشُقّي عليَّ الجيبَ يابنةَ مَعْبَدِ

٢ ـ أدوات النداء :

الأداة ـ كما قلنا ـ من أركان أسلوب النداء ، فإن لم تذكر في ظاهر الكلام كانت مَنْويةً مقدرة في نفس المنادي ، ومُدركةً عند السامعين . وفي اللغة العربية ثماني أدوات للنداء هي : أ ، آ ، أيْ ، آيْ ، يا ، أيا ، هيا ،

وا . وهي مختلفة في كثرة الاستخدام وقلته ، فمنها مايكثر استعماله مثل (يا) ، ومنها مايقل مثل (آ ، وآي) ، ويستخدم بعضها في أسلوب خاص من أساليب النداء لايتعداه مثل (وا) .

وواضحٌ مافي أصوات بعض هذه الأدوات من مَدّ ووضوحٍ سمعي ، فأدوات النداء يراد منها التنبيه ، ولاسيما إذا كان المنادى بعيداً . ولهذا تقسم هذه الأدوات ثلاثة أقسام : قسماً ينادى به القريب ، وآخر ينادى به البعيد ، وثالثاً ينادى به القريب والبعيد .

آ ـ ماينادى به القريب :

ليس في هذا القسم إلا أداتان هما : أ ، وأَيْ . وهما خاليتان من الصوت المدود ، ولاتتميز أصواتهما بالوضوح السمعي ، ولكن الثانية منهما أوضح من الأولى ، إذ يمكن أن يُمد الصوت قليلاً بالياء ويُضْغَط على مخرجها ، مثلما يمد الصوت في ياء : بيت ، وشيء .

وعلى الرغم من هذه الحقيقة الخصيصة الصوتية فيها ترى الهمزة أكثر استخداماً لها من الكلام ولاسيما في الشعر ، من ذلك قول عروة بن حزام :

أعفـراءُ كـم مـن زفـرةٍ قـد أذقتنـي وحـزنٍ ألـجَّ العيـنَ بـالهمـلانِ

وقول ذي الرمة :

أمنـزِلتـي مـيٍّ سـلامٌ عليكمـا هل الأزمُنُ اللائي مضيْنَ رواجِعُ

وتقول : أصالحُ لاتعبثْ بألعابِ غيرِك . أسُعادُ لاتتأخري عن أداء واجباتك . ومما استعملت فيه (أيْ) قول كثيّر عزة :

ألم تسمعي أي عَبْدَ في رونقِ الضحى بكـاءَ حمـامـاتٍ لهُـنَّ هـديـرُ

وتقول : أيْ بني إنك لم تذهب إلى العملِ بعدُ . وأيْ عليُّ لاتتوانَ عن مساعدة أبيك .

ب ـ ماينادى به البعيد :

ويشتمل هذا القسم على أربع أدوات ، هي : آ ، وآيْ ، وأيا ، وهيا . والأوليان منهما نادرتا الاستعمال ، ويبدو أنهما منقرضتان منذ زمن بعيد ، وهما أشبه بأصوات التنبيه . وأما « أيا وهيا » فلعلهما أداة واحدة ، فكثيراً

ماتُستبدل الهمزةُ هاء في العربية القديمة ، مثل : أراقَ وهَراقَ[1] . وقد جاءتا في الشعر القديم بكثرة ، من ذلك قول عبد الله بن كعب العميري :

أيـا نخلتَـيْ مَـرّانَ هـل لـي إليكمـا   علـى غفـلاتِ الكـاشحيـنَ سبيـلُ

وقول الآخر :

أيـا شجـرَ الخـابـورِ مـالـكَ مـورِقـاً   كأنك لم تجزع على ابنِ طريفِ

وقول غيره ، ويقال : هو الحطيئة :

فقال : هيا رَبّاهُ ، ضيفٌ ولا قِرىً   بحقّـكَ لاتحـرِمْـهُ تـااللّيلـةَ اللحمـا

ج ـ مايستعمل للقريب والبعيد :

وثمة أداة واحدة تستعمل لنداء القريب والبعيد هي « يا »[2] . وهي أهم أدوات النداء ، وأكثرها تصرفاً في الكلام ، إذ تستعمل في جميع أساليب النداء ، ويجوز حذفها وحدها دون أخواتها ، وينادى بها لفظ الجلالة ، كما سوف ترى ـ، وهي الأداة الوحيدة التي استخدمت في القرآن من بين أدوات النداء ، وجاءت في الشعر أضعاف ماجاءت فيه أخواتها ، مثل : ﴿ وقلنا : يا آدمُ اسكنْ أنت وزوجك الجنة ﴾ (البقرة : ٣٤) ﴿ قال : ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ﴾ (النمل : ٤٦) .

وقال مضرِّس المزني :

وكـادت بـلادُ الله يـاأمَّ مَعْمـرٍ   بمـا رَحُبَـتْ يـومـاً علـيَّ تَضيـقُ

وقال قيس :

فياهجرَ ليلى قد بلغتَ بي المدى   وزدتَ علـى مـاليـس يبلغـه الهجْـرُ

هذا التقسيم إلى منادىً بعيد ومنادىً قريب ليس بمطَّرد في نصوص اللغة ، إذا كان مطرداً في الواقع والمجتمع ، فكثيراً ماتجد القريب يعامل في

(١) ويقال : هَرَدْتُ ، وهُرِيدُ ، وهرحتُ الدابةَ ، وهِيَّاكَ ، ولهِنّك قائم ، أي : أردت وأريد ، وأرحت الدابةَ ، وإياك ، ولأنك قائم . وكانت قبيلة طيىء تقول في (إنْ) : هِنْ .

(٢) كان ابن مالك يجعلها لنداء البعيد فحسب . ومثله الإمام الرازي . انظر : تفسيره الكبير : ٢/ ٨٣ .

النداء معاملة البعيد ، ونجد عكسه ، فالكلام ذو واقع نفسي شعوري ، كما أنه ذو واقع اجتماعي ، وهذا يعني أن مجانبة النظام اللغوي مثلما تخضع لملابسات المخاطب تخضع أحياناً لملابسات المنادي ، وذلك على الشكل التالي :

١ ـ قد ينزل القريب منزلة البعيد ، فيُستخدَم في ندائه : أيا ، أو آ ، أو آيْ ، لأنه غافلُ الذهن ، شارد اللب ، أو لأنه يعاني ضعفاً في سمعه .

٢ ـ وقد يفعل المتكلم ذلك لينبه المنادى على أهمية الباعث على ندائه ، وليؤكد مايقوله .

٣ ـ وقد يُنزل البعيدُ منزلة القريب ، فيُستَعْمل في ندائه الهمزة ، أو أَيْ ، لإحساس المنادي بقربه من نفسه ، ولاستحضار صورته في الخيال .

وهكذا ترى أن الحال في البند الأول كان سببها المخاطب ، وأن الحال في البندين الآخرين سببهما المتكلم . ومن شواهد هذه المجانبة قول أحد الشعراء ينادي سِرباً من القطا يمر به :

أسربَ القطا هل مَنْ يعيرُ جناحَهُ   لعلي إلى من قد هوِيتُ أطيرُ

فسرب القطا بعيد عن الشاعر ، ولكنه يتخيله في لحظة من لحظات الانفعال قريباً من نفسه ، ويكثر هذا في الموضوعات الوجدانية كالغزل والرثاء والعتاب .

٣ ـ حذف أداة النداء :

الأداة ركن أساسي من أركان النداء ، والأصل فيها أن تذكر دوماً فيه ، ولكنها تضمر أحياناً لدلالة السياق عليها ، أو لدلالة المقام العام ، من ذلك قولُ ابنِ الدمينة :

أَحقاً عبادَ الله أن لستُ صادراً   ولا وارداً إلا عليَّ رقيبُ

أي : ياعبادَ الله . ومثله في القرآن قوله : ﴿ اعملوا آلَ داودَ شكراً ، وقليلٌ من عبادي الشكور ﴾ (سبأ : ١٣) ومثله : ﴿ ربَّنا إنك تعلم مانخفي ومانُعلن ﴾ (إبراهيم : ٣٨) أي : ياآلَ داود ، وياربنا .

ويجوز حذف أداة النداء إذا كان المنادى علماً مفرداً ، مثل : ﴿ يوسفُ أعرِض عن هذا ﴾ (يوسف : ٢٩) أو مضافاً ، كما في الشواهد السابقة ، أو كان (أَيّ) ، مثل : ﴿ فما خطبكم أيُّها المرسلون ﴾ (الحجر : ٥٧) أي : يا أيها المرسلون .

هذا الذي ذكرته موضعُ اتفاق النحاة ، غير أنهم يختلفون في جواز حذف أداة النداء حين يكون المنادى نكرة مقصودة ـ وهي ماستتحدث عنه وشيكاً ـ فالنحاة القدماء لايجيزون الحذف ، والمتأخرون يجيزونه ، والحق معهم ، لوقوعه في نصوص نثرية وشعرية ، من ذلك قوله ﷺ : « اشتدّي أزمةُ تَنْفَرِجي » أي : يا أزمةُ . وقول العرب في أمثالهم : « أصبحْ ليلُ »[1] . و« افتدِ مخنوقُ »[2] و« أطرِقْ كرا »[3] . وجاء منه في الشعر قول الأعشى :

وحتى يبيت القومُ في الصف ليلةً   يقولون : نوِّرْ صُبْحُ ، والليلُ عاتمُ

أي : نور ياصبحُ . وقال آخر :

فقلتُ له : عَطّارُ ، هلا أتيتنا   بنَوْرِ الخُزامى أو بخوصةِ عَرْفجِ

وقول جرير :

أقلّي اللومَ عاذلَ والعتابا   وقولي إن أصبتُ لقد أصابا

أي : ياعاذلةُ .

ويقل حذف أداة النداء إذا كان المنادى اسم إشارة ، ومن هذا القليل قول ذي الرمة :

إذا هملت عيني لها قال صاحبي   بمثلكَ ـ هذا ـ لوعةٌ وغرامُ

أي : ياهذا . وحمل بعضهم على ذلك : (هؤلاء) في قوله : ﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ﴾ (البقرة : ٨٥) .

أي : ياهؤلاء . ومنع ذلك بعض النحاة ، ووجهوا اسم الإشارة توجيهاً

---

(١) انظر : الميداني . مجمع الأمثال : ١/٤٠٣ رقم المثل : ٢١٣٢ .
(٢) نفسه : ٢/٧٨ برقم : ٢٧٦٥ .
(٣) نفسه : ١/٤٣١ ، برقم : ٢٢٧٣ .

آخر[1] . ولكنه ظاهر في قول المتنبي :

هـذي بـرزتِ لنـا فهجـت رسيسـا ثـم انثنيـتِ ومـاشفيـتِ نسيسـا[2]

ويمتنع ذكرها في المواضع التالية :

١ ـ إذا كان المنادى لفظ الجلالة ، مثل : ياالله . وقد حذفت في الشعر للضرورة ، كما في قول الحطيئة :

رضيـتُ بـك اللهُـمَّ ربّـاً فلـن أرى أَديـنُ إلٰهـاً غيـرَكَ الله راضيـاً

أي : ياالله .

٢ ـ إذا كان المنادى مستغاثاً أو متعجباً منه أو مندوباً . وسوف نتحدث عن هذه الأساليب في مواضعها .

٣ ـ إذا كان المنادى ضميراً ، مثل : ياأنتَ ، ويا إياك[3] .

٤ ـ المنادى البعيد[4] .

---

(١) انظر : العكبري . التبيان : ١/ ٤٨ .

(٢) الرسيس : يقصد به هنا الحب الثابت في القلب . والنسيس : ما يجده المحب في نفسه من المواجد .

(٣) يمنع بعض النحاة نداء الضمير ، وقد جاء منه شيء قليل في الشعر والنثر . وسوف نتحدث عنه .

(٤) لحذف أداة النداء في القرآن الكريم أسلوب خاص ، وذلك على الشكل التالي :
١ ـ إذا كان المنادى علماً مفرداً أو نكرة مقصودة أو (أي) ، أي : إذا كان مما يبنى على الضم غلب عليه ذكر الأداة ويندر حذفها ، كنداء الأنبياء بأسمائهم ، يا موسى ، يانوحُ يا إبراهيم . أو نداء الأرض والسماء والنار : يا أرضُ أبلعي ماءك ، ويا سماء أقلعي ، يا نار كوني برداً وسلاماً . ويا أيها الناسُ ، ويا أيها النبي ، ويا أيها الناس .
٢ ـ ويقل ذكرها إذا كان المنادى مضافاً ، ولا سيما إذا كان المنادى (رب) ، مثل : ربنا لا تزغ قلوبنا . ربنا إننا سمعنا منادياً . ربنا لا تؤاخذنا . ربِّ إنهن أضللن كثيراً من الناس .
٣ ـ لم يناد لفظ الجلالة (يا ألله) بل استخدم بدلاً منه : اللهم .

٤ ـ ماالذي ينادى ؟

الأصل في النداء أن يكون هناك طرفان : منادٍ ومنادى ، وأن يكون هذان الطرفان كائنين بشريين واعيين ، لأن النداء من جملة الأصوات اللغوية وهذا يحتاج إلى جهاز صوتي كامل ، وهو أيضاً ذو مضمون ذهني وهذا يقتضي وعياً عند كل من المنادي والمنادى . ولابد أيضاً من حضور الطرفين في مكان واحد بحيث يسمع كل منهما الآخر .

ولكن هذا الأصل العام قد يدخله بعض التغير ، فقد ينادي الإنسان مَنْ ليس معه في مكان واحد ، كما يحصل في كتابة الرسائل ، وفي الشعر والأدب عامة ، كما قد ينادي مالا يبادله الوعي والاستجابة كالبحر والنهر والسحاب والأرض والطلل وغير ذلك من عناصر الطبيعة ، كما قد ينادي الميت المندوب متفجعاً عليه ، وهذا كله يدخل في باب المجاز .

هذا في الواقع ، أما في اللغة فإن العناصر اللفظية التي يمكن أن تشغل وظيفة المنادى لابد لها من أن تنتمي إلى الفصيلة الاسمية ، أما الأفعال والحروف فلا يمكن أن تقع هذا الموقع .

ويغلب على المنادى أن يكون اسمَ علم ، أو صفة ، مثل : يا أحمدُ ، يا عبدَ الله ، يادمشقُ ، يا نيلُ ، يافراتُ . ومثل : ياساهمَ الطرفِ ، ياطالبُ ، ياذكيُّ ، ياحَسَنَ البزَّة ، ياقاهرَ البحار ، ياراكبَ الريح . ويكثر أيضاً نداء (أيُّ) لتكون وصلة لنداء الاسم المعرف بـ (أل) ، كما سوف ترى ، مثل : يا أيُّها المغامِرُ ، ويا أيتها الفاضلةُ . كما يكثر نداء الاسم الموصول (مَنْ) ، مثل : يا مَنْ يبادلنا المودة ، ويامَنْ رفعتْ اسم وطنها .

ويقل نداء اسم الإشارة غير الموصول بكاف المخاطب ، مثل : ياهذا الرجلُ ، وياهذه السيدة ، ويا هاتان الطالبتان ، وياهؤلاءِ الطلاب أو الطالبات . أما الذي تلحق به كاف الخطاب فلا ينادى بتةً ، فلا يقال : ياذاك الغافِلُ ، وياذلك البنيةُ ، وياتلك الذكية ، ويا أولئك الأذكياء[١] .

(١) نقل عن أحد النحاة ـ وهو ابن كَيْسان ـ أنه يجيزه .

ويندر نداء الضمير[1] ، ولاينادى إلا ضمير الخطاب : أنت ، وأنتما ، وأنتم ، وإياك ، وإياكما ، وإياكم ، وقد جاء ذلك في النثر وفي الشعر ، فمن مجيئه في الأول قول الأخوص اليربوعي لأبيه في مجلس معاوية : يا إِيّاك قد كفيتُك[2] . ومن مجيئه في الثاني قول الشاعر ، وهو سالم بن دارة :

يــامُــرَّ يــابــنَ واقــعٍ يــاأنتــا   أنــت الــذي طلقْــتَ عــامَ جُعْتــا

وكان ذلك يستعمل في الكلام القديم ، إذ ذكر سيبويه أن الخليل بن أحمد « سمع بعض العرب يقول : يا أنت »[3] .

ولاينادى الاسم المضاف إلى كاف الخطاب ، فلا يقال : يا ابنَكَ ، ويا أخاك . وسبب ذلك أن المنادي يوجِّه نداءه إلى المخاطب مباشرة ، والمنادى هنا ليس بمخاطب . إلا أن مثل هذا التركيب الإضافي يمكن أن يكون منادى يراد منه التعجب ، مثل : يالَحسنك ، ويالذكائك . وسبب هذا أن التعجب هنا من الحسن والذكاء ، لا من الضمير الذي أضيفا إليه . وكذلك يمكن أن يقع مثل هذا التركيب مندوباً في مثل : وا أباك ، وا خالك .

وإذا وقعت أداة النداء قبل الفعل أو الحرف كانت أداة تنبيه لا أداة نداء ، كما في قول ذي الرمة :

ألا يااسلمي يادار ميٍّ على البِلى   ولازال منهـلاً بجـرعـائـك القطـرُ

وكما في قول العوام بن عقبة :

فيــاليـت شعـري هـل تغيَّـر بعـدنـا   مـلاحـةُ عينـيْ أمِّ يحيـى وجيـدُهـا

وكما في قول امرىء القيس :

فيـــارُبَّ مكـــروبٍ كـــررتُ وراءه   وعــانٍ فككـتُ الغـلَّ عنـه ففـدّانـي

(١) وقد منعه بعضهم ، ونسب ما جاء منه إلى الشذوذ .
(٢) كان قد وفد مع أبيه على معاوية فخطب بين يديه ، فوثب أبوه ليخطب فكفه وقال له : يا إياك قد كفيتك . وأجاز الخليل أن يكون قائل مثل : يا إياك ، قد قال : يا ، ثم قال : إياك أعني . أي أنه حذف المنادى ، ثم ذكر ما بعده منصوباً بالفعل أعني . انظر : سيبويه : ١/ ٢٩١ .
(٣) الكتاب : ١/ ٢٩١ .

وكذلك تكون للتنبيه إذا وقعت قبل جملة اسمية للدعاء أو الشتم ، كما في قول الشاعر :

يـــالعنـــةُ الله والأقـــوامِ كلهـــم   والصالحينَ على سِمْعانَ من جارِ

فالشاعر هنا لاينادي (لعنة الله) ، بل جعل (يا) للتنبيه ، ثم بدأ كلاماً جديداً . وأن تكون (يا) في هذه المواضع للتنبيه خير من تقدير منادى لايقتضيه السياق .

إعراب المنادى

١ ـ المنادى المنصوب

ينظر النحاة إلى الاسم المنادى نظرتهم إلى المفعول به ، ويعتقدون أن أداة النداء (يا ، أيا ، أي . . .) صارت في الكلام بدلاً من اللفظ بالفعل ، ويصرح بعضهم أن المنادى منصوب على المفعولية ، يقول أحدهم : « من المنصوب مفعولاً به بفعل لازم الإضمار باب المنادى ، وهو إمّا أنادي وإما أدعو »[(١)] .

والحق أن المنادى منصوب ، ولهذا غير دليل ، والذي يؤكد نصبه أربعة أشياء ، هي :

١ ـ أن قسماً منه يأتي منصوباً صراحة ، وهذا ماسيُبحث في هذه الفقرة .

٢ ـ وأن الضمير المنفصل المنصوب يقع موقعه ، كما في : يا إياك .

٣ ـ وأن تابع المنادى المبني على الضم قد يقع منصوباً ، كما في مثل : يا أحمدُ الشاعرَ ، وياطارقُ الأديبَ ، ويا منصورُ الضابطَ . فلو لم يكن محل المنادى نصباً لما كان لنصب تابعه ـ وهو صفة ـ وجه .

٤ ـ وأن الضمة التي بعض أنواع المنادى ضمة بناء لاضمة إعراب ،

(١) انظر في هذا : كتاب سيبويه : ١/٢٩١ و٢/١٨٢ . وانظر شرح ابن عقيل : ٣/٢٥٨ والمطالع السعيدة للسيوطي : ٢٧٦ .

والدليل على ذلك عدم التنوين ، فلا يقال : ياعليٌّ ، إلا في ضرورة الشعر . والامتناع من إلحاق المنادى تنويناً دليل على بنائه ، ولما كان المنادى المنصوب معرباً لا مبنياً لحقه التنوين ، يقال : ياسماءً ماطاولتها سماءُ . ويارافعاً رايةَ الفصحى .

وإذا كنا قد أيدنا النحاة بأن المنادى منصوب فإن ذلك لايجرنا إلى الذهاب معهم بأنه مفعول به لفعلٍ متروكٍ إظهارُه ، كما يقول سيبويه ، أو لفعل مضمر ، كما يقول ابن عقيل ، بل هو باب مستقل ولا صلة له بالمفعول به ، وإذا كان يعني من جملة مايعنيه استدعاء المخاطب فلأن سياق الحال والمقام الاجتماعي هما اللذان يوحيان بهذه الدلالة[1] .

١ ـ المنادى المضاف :

إذا كان المنادى مضافاً وجب نصبه ، سواءٌ أكانت علامة النصب ظاهرة كما في مثل : ياعبدَ الله ، وياناعِسَ الطرفِ . أم كانت مقدرة مثلّ : يافتى الهيجاءِ ، ويامنى النفس .

وإذا كان مثنى كانت علامة نصبه الياء كما في قول مالك بن الريب :

فيا صاحَبْي رحلي دنا الموتُ فانزلا   بــرابيـــةٍ إنـــي مقيــمٌ ليـــاليـــا

وإذا كان جمعَ مذكر سالماً كانت علامة نصبه الياء أيضاً ، مثل : ياراكبي الطائرةِ ، ويا خائِضي لجج البحار . وإذا كان جمعَ مؤنثٍ سالماً كانت الكسرة هي علامة النصب ، كما في قول الشاعر :

بَنـاتِ الشمـس بـالنفحـاتِ جُـودي   فهـــذا يـــومُ شـــاعـــرِك المجيـــدِ

أي : يابَنات الشمس[2] .

---

(١) اعترض بعض النحاة على جعل المنادى مفعولاً به بأنك لو حذفت (يا) ووضعت محلها الفعل : أدعو . لتحول الكلام من الإنشاء إلى الخبر . وتكلف نحاة آخرون برد هذه الحجة فزعموا أن تقدير الفعل يبقي الكلام إنشاءً ، ووجهوا ذلك توجيهاً متكلفاً غير مقنع .

(٢) قد يفصل بين المضاف والمضاف إليه بلام زائدة ، كما في قول سعد بن مالك :

يـــا بـــؤسَ للحـــربِ التـــي   وضعت أراهطَ فاستراحوا =

٢ ـ المنادى الشبيه بالمضاف :

معنى الشبيه بالمضاف أن يكون مؤلفاً من جزأين كالتركيب الإضافي ، وأن يكون الجزء الثاني متمماً للأول ومحدِّداً أو مقيِّداً له من حيث المعنى ، لاحظ مايلي :

١ ـ يامالكَ السيارةِ .

٢ ـ يامالكاً سيارةً .

التركيب الأول : مضاف ومضاف إليه . والتركيب الثاني شبيه بالمضاف ، ووجه الشبه أن الجزء الأول لايحدَّد إلا بالجزء الثاني ، فلو قلت : يامالكَ . أو : يامالكاً . لما عُرِف المملوك ، أسيارة هو أم دراجة أم عربة . . . وإذا ذكر الجزء الثاني عرف وحُدِّد . ثم إن (مالك) في التركيب الأول عمل في (السيارة) عملاً إعرابياً هو الجر[1] ، وكذلك عمل (مالكاً) في (سيارة) عملاً إعرابياً هو النصب . وعلى هذا يكون الشبيه بالمضاف شبيهاً بالمضاف من ناحيتين : في العلاقة الدلالية بين الجزأين ، وفي العلاقة الإعرابية بينهما .

وعلى هذا تكون أمثلة الشبيه بالمضاف مايلي :

ـ يارافعاً رايةَ الفصحى وحارسَها .

ـ يامحموداً ذكرُه بين زملائه .

ـ ياكريماً مَنْبِتُهُ .

ـ يا أَفْضَلَ من أخيه .

ـ يا عشرين طالباً .

وقد يكون الشبه بين التركيب الإضافي والتركيب المشابه له من حيث

= أي : يا بؤسَ الحربِ . وهذا لا يكون إلا في الضرورة . ولكن من الجائز في الشعر والنثر أن يفصل بينهما بـ (ما) الزائدة ، فتقول : يا طولَ ما شوقٍ . ويا عُسْرَ ما ولادةٍ .

(١) هذا على القول بأن المضاف هو العامل في المضاف إليه . انظر كتابنا : أصول النحو العربي ، ص : ١٦٧ وما بعدها .

الدلالة فحسب ، دون العلاقة الإعرابية ، وذلك حين يكون الجزء الثاني صفة للمنادى ، أو يكون معطوفاً عليه ، مثل : يّارجلاً راكباً أقبل . ويارجلاً وشاباً أقبلا . وقد تكون الصفة جملة مثل قوله ﷺ : « ياعظيماً يُرجى لكل عظيم ادفع عني كل عظيم » .

وعلى هذا يكون المنادى الشبيه بالمضاف هو الذي يكون مابعده جزءاً منه في المعنى ، إما لكونهما عاملاً ومعمولاً ، وإما لكونهما تابعاً ومتبوعاً(١) .

٣ ـ النكرة غير المقصودة :

وهذا المنادى نكرة غير معينة ، فلا يُحدَّد بها فرد واحد يُنادى ويُقصد بالنداء ، بل تشمل جميع الجنسِ الذي تدل عليه ، فلو نادى العاملُ في لحظةٍ من لحظات ضيقه : ياطالباً هنيئاً لك . لما كان يقصد طالباً خاصاً ، بل يريد كل طالب لايعمل مثله ولايتعب . ولو نادى الأعمى في شارع مزدحم : يامحسناً خذ بيدي إلى الجانب الآخر . ماكان يقصد واحداً من الناس يصدق فيه الوصف (محسن) . وكذلك ترى (راكباً) في قول عبد يغوث :

فيـا راكبـاً إِمَّـا عَـرَضْـتَ فبلِّغَـنْ نَـدامـايَ مـن نَجْـرانَ أَنْ تـلاقيـا

فالشاعر لم يَرَ أمامه راكباً مسافراً إلى منازل قومه ، ولكنه ينادي أي راكب يتجه إلى هناك .

وهذه النكرة لاتكتسب التعريف من النداء ، لأن النداء في ذاته لايعرِّف ، بل الذي يعرِّفُ فيه قَصْدُ المنادِي ، وتوجُّهُه نحوَ فَرْد محدَّد مخصص من الجنس العام ، ولما كانت النكرة هنا لاتحدّد ، بل ظلت على شيوع دلالتها ، بقيت نكرة(٢) .

---

(١) لمزيد من الاطلاع انظر : ابن مالك . شرح عمدة الحافظ : ٣٠٦ .

(٢) كان ابن جني يزعم أن (يا) تحدث في الاسم المنادى نوعاً من التخصيص ، فرده ابن الدهان ، وبيَّن أن التخصيص لا يستفاد من (يا) بل من القصد ، من سياق الحال الاجتماعية ، وملابسات النداء ، أما (يا) فلا تفيد غير التنبيه . انظر : ابن الدهان : شرح اللمع . عن : مخطوطة الدراسات العليا في بغداد . مصورة : اللوحة : ٣٧ .

٢ ـ المنادى المبني

وللمنادى حالات أخرى لايكون فيها معرباً منصوباً ، بل يكون مبنياً على حركة ، أو حرف ، أو سكون . وهو نوعان : نوع مبني في الأصل ، ويظل مبنياً بعد النداء ، ونوع يبنى بسبب النداء ، حتى إذا وقع غير منادىً أعرب .

أما النوع الأول فهو : اسم الإشارة والاسم الموصول ، والاسم المركب المنتهي بـ (ويه) ، مثل : سيبويه ، وخالويه ، وحمدويه ، ونفطويه ، فهو مبني على الكسر . ومثله ما كان على وزن (فَعالِ) ، سواء أكان علماً مثل : حَذامِ ، وقَطامِ ، ورَقاشِ ، أم كان وصفاً يراد به شتم الأنثى ، مثل : لَكاعِ ، وخباثِ ، وخَداعِ ، وغَدارِ[1] ، و . . .

وأما النوعُ الثاني فما كان اسمَ علم مفرداً ، مثل : أحمد ، ودمشق ، ونيل ، أو ماجاء نكرةً مقصودةً . ويبنى هذا النوع :

١ ـ على الضم ، مثل : ياعدنانُ ، ويازينبُ ، ويافاطمةُ ، وياخالةُ .

٢ ـ على الألف ، إذا كان مثنى ، مثل : ياسيّدانِ ، ياقائدانِ ، يا أحمدان .

٣ ـ على الواو ، إذا كان جمعَ مذكرٍ سالماً ، مثل : يا أحمدونَ ، يامعلمون . أي يبنى ـ باختصار ـ على مايُرْفَع به[2] .

---

(١) يقال في إعراب هذا النوع مايلي :

ـ يا سيبويهِ : (يا) أداة نداء . سيبويهِ : منادى مفرد علم مبني على الضم المقدر على آخره ، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة البناء الأصلية ، وهو في محل نصب .

ـ يا هذا : (هذا) اسم إشارة منادى ملحق بالعلم المفرد ، مبني على الضم المقدر منع من ظهور البناء الأصلي على السكون ، في محل نصب .

(٢) يقال في إعراب هذا النوع :

ـ يا أحمدان : (أحمدان) منادى علم مفرد ، مبني على الألف لأنه مثنى ، في محل نصب . والنون عوض عن التنوين .

ـ يا معلمون : (معلمون) منادى نكرة مقصودة ، مبني على الواو لأنه جمع مذكر سالم في محل نصب . والنون عوض عن التنوين .

وقد يكون الضم خاصةً مقدراً ، كما لو كان الاسم منتهياً بحرف لاتظهر عليه الضمة ، كالألف والياء ، وذلك مثل : ياموسى ، ياليلى ، ياسلوى ، يافتى ، ياقاضي . أو كان حكاية مثل : تأبط شراً ، تقول في إعراب الأخير :

ياتأبط شراً : (يا) أداة نداء . و (تأبط شراً) منادى علم مفرد مبني على الضم المقدرة عل آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الحكاية الأصلية ، في محل نصب .

١ ـ نداء العلم المفرد :

يراد من (العلم المفرد) ماكان اسمَ علمٍ مؤلفاً من لفظ واحد أو كاللفظ الواحد . فالأول مثل : بثينة ، ومريم ، وعفراء ، وسمير ، وسَعْد ، وصالح . فهذه أعلام مفردة ، أي لاتزيد على اسم واحد . أما مثل : بعلبك . وحضرموت ، وتأبط شراً ، فلا يؤلف كل منهما من اسم واحد ، بل من كلمتين مركبتين تركيباً مزجياً ، أو تركيباً إسنادياً ، ولكنهما ـ بعد تركيبهما ـ تحولتا من حيث المضمون إلى مايشبه الكلمة الواحدة . فكما تقول : يابثينةُ ، ويا مريمُ ، وياصالحُ ، تقول : يابعلبكُّ ، وياحضرموتُ ، وتعامل (تأبط شراً) كذلك فتقدر الضمة على آخره[1] .

---

(١) المفرد : مصطلح يدور بكثرة في كتب النحو ، وفي كتب الصرف . ويختلف في المجال النحوي عنه في المجال الصرفي . وإليك بيان ذلك :
آ ـ في المصطلح الصرفي :
ـ يعني ما دل على واحد ، ويقابل المثنى والجمع .
ـ ويعني أحياناً ما كان كلمة واحدة بسيطة غير مركبة ، ويقابل المركب تركيباً مزجياً .
ب ـ في المصطلح النحوي :
ـ المفرد ما ليس بمضاف ولا شبيه بالمضاف ، كما في باب المنادى و(لا) النافية للجنس .
ـ ما ليس بجملة ولا شبه جملة ، كما في أبواب الخبر ، والمفعول به ، والحال ، والصفة .
ـ ما ليس بلفظ من ألفاظ العقود . ويتداخل في هذا الباب ـ باب العدد ـ =

وتقول في إعراب : ياعفراءُ ، مايلي :

يا : أداة نداء . و(عفراءُ) منادى علم مفرد مبني على الضم في محل نصب .

وتقول في إعراب : يا مصطفى ، مايلي :

مصطفى : منادى علم مفرد ، مبني على الضم المقدر في محل نصب .

وهناك حالتان طال فيهما حوار النحاة ، ونؤثر أن نوجز عنهما الحديث ، وهما :

آ ـ تكرار المنادى :

جاء في بعض القصائد أسلوب خاص في نداء المفرد العلم ، كما ترى في قول حسان بن ثابت :

يازيدُ زيدَ بني النجار مُقتصِرا ... يازيدَ اِهدِ لهم رأياً يُعاشُ به

وقول جرير :

ياتيمُ تيمُ عديٍّ لا أبا لكمُ ... لايُلْقينكم في سوءةٍ عُمَرُ

وقول الآخر :

ياسعدُ سعدَ الأوسِ كن أنت مانعاً ... ويا سعدُ سعدَ الخزرجينَ الغَطارِفِ

ففي مثل هذه التراكيب كان الرواة والأعراب ينصبون المنادى تارةً ، ويبنونه على الضم تارة أخرى . وأحسن الأوجه التي ذكرها النحويون في توجيه هذه الظاهرة هي :

ـ إذا بني المنادى على الضم :

كان الاسم الثاني ـ وهو منصوب وجوباً ـ تابعاً له : بدلاً أو عطف بيان .

وهذا الوجه هو الوجه الجيد ، وقراءة البيت على وفقه هي القراءة المفضلة .

= المصطلح الصرفي والمصطلح النحوي ، لأن المفرد فيه أيضاً يعني ما ليس بمركب .

ولاختلاف دلالة المصطلح بحسب هذه الأبواب حدث اضطراب وتداخل ، فما يُعد مفرداً في باب قد يعد غير مفرد في باب آخر ، فالمركب المزجي مثلاً مفرد في باب النداء و (لا) النافية للجنس ، وغير مفرد في باب العدد .

ـ إذا نصب المنادى :

كان منادىً مضافاً ، والمضاف إليه هو الاسم الواقع بعد الاسم الثاني ، أما الاسم الثاني فزائد مقحم ، أوجيء به على أسلوب التوكيد اللفظي . وهناك رأيان آخران متكلفان لاغناء فيهما[1] .

ب ـ العلم الموصوف بابن أو ابنة[2] :

وإذا وصف العلم بـ (ابن) أو (ابنة) كان لك في إعرابه وقراءته وجهان : الأول : البناء على الضم ، ونصب (ابن) أو (ابنة) ، مثل : يامحمدُ بنَ عبدِ الله . ويافاطمةُ بنةَ محمد . وهذا الوجه هو الجيد الأفضل .

والثاني : فتح المنادى إتباعاً لفتحة ما بعده ، وذلك من باب التأثير

---

(١) انظر فيهما شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : ٣/ ١٥٤ .

(٢) متى تثبت في الإملاء همزتا (ابن) وابنة ؟ ومتى تحذفان ؟

آ ـ تثبتان في الحالات التالية :

١ ـ إذا لم يقعا بين علمين ، مثل هذا ابنُ خالدٍ ، وهذه ابنته .

٢ ـ إذا وقعا بين علمين ، وكان كل منهما خبراً للأول ، وكأن تُسأل : ابن مَنْ أحمدُ ؟ وابنة مَنْ زينب ؟ فتجيب أحمدُ ابنُ خالد ، وزينب ابنةُ فاطمة .

٣ ـ إذا كانا في الإعراب بدلين أو عطفي بيان ، مثل : جاءَ خالدٌ ابنُ سعيدٍ . وذهبت فاطمةُ ابنةُ سعيدٍ .

٤ ـ إذا فصل بينهما وبين العلم الأول بصفة ، مثل : أقبل أحمدُ العالمُ ابن خالد ، وذهبت فاطمةُ الفاضلة ابنة عمر .

وفي هذه الحالات الثلاث الأخيرة ينون العلم الأول إذا لم يكن ممنوعاً من الصرف .

٥ ـ إذا وقعا في أول السطر مهما كان إعرابهما . وهذه شكلية صِرف .

ب ـ وتحذف الهمزة من كل منهما :

إذا كانا صفتين للعلم الأول ، لا بدلاً ولا عطف بيان ولا خبراً مثل : هذا قبر خالد بن الوليد . وإذا وقعا بعد أداة النداء ، مثل : يا بْنَ الوليد ويا بنةَ الحسين .

ج ـ جواز إثباتهما وحذفهما :

إذا كان أحد العلمين كنية أو مضافاً ، مثل : جاء أبو اليمن بنُ خالد . أو : ابن خالد . ومثل : هذا عبد الرحمن بن عوف . أو : ابن عوف .

الرجعي ، تقول : يامحمدَ بنَ خالدٍ . ويافاطمةَ بنةَ محمدٍ . وهذه القراءة كانت كثيرة شائعة ، ولكنها من حيث أحكام النحو دون القراءة الأولى .

ويعرف الاسم فيها على الشكل التالي :

يا محمد : (يا) أداة نداء . (محمدَ) منادى علم مفرد مبني على الضم المقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالحركة العارضة للإتباع ، وهو في محل نصب .

وللوجه الثاني ثلاثة شروط لابد من استيفائها ، وإلا كان الوجه الأول واجباً ، وهي :

١ ـ أن يكون المنادى علماً .

٢ ـ أن تكون (ابن) أو (ابنة) صفةً لا بدلاً ولا بياناً ، وأن تكون مضافة إلى علم آخر .

٣ ـ ألا يكون بين العلم وبين (ابن) أو (ابنة) فاصل . فإذا قلت : ياعالمُ ابنَ عالمٍ . أو قلت : ياسعدُ العالمُ ابنَ خالد . وجب البناء على الضم . أما (عمرو بنَ هند) في قول عمرو بن كلثوم التالي فقد استوفى الشروط الثلاثة ، وهو :

بـأيِّ مشيئـةٍ عمـرُوَ بـن هنـدٍ تطيـعُ بنـا الـوشـاةَ وتـزدرينـا

وكذلك قول بثنية ترثي جميلاً :

سواءٌ علينا ياجميلُ بنَ مَعْمرٍ إذا مُتَّ بأساءُ الحياةِ ولينُها[1]

٢ ـ نداء المعرفة الملحقة بالعلم :

ويقع المنادى أحياناً معرفة مبهمة كاسم الإشارة ، والاسم الموصول . وغير مبهمة كضمير المخاطب ، مثل : يا هذا الرياضيُّ . وأيا أولئك السادةُ ،

---

(١) قد ينون العلم المفرد في ضرورة الشعر ، وفي هذا الحال ينصب أو يظل في بنائه على الضم ، من الأول قول المهلهل :

ضـربـت صـدرهـا إلـي وقـالـت يا عدياً لقد وقتك الأواقي

ومن الثاني قول الأحوص :

سـلام الله يـا مطـرٌ عليهـا وليس عليك يا مطرُ السلامُ

وياهؤلاءِ السيداتُ . ومن نداء الاسم الموصول غير المحلى بأل قول يزيد بن الطثرية :

ويامَنْ كتمنا حبه لم يُطَعْ به   عدوٌّ ولم يُؤْمَنْ عليه دخيلُ

وقول الآخر :

يـامَـنْ يـرى مَـدَّ البعـوضِ جنـاحَـهُ   فــي ظلمـةِ الليــلِ البهيـمِ الأَلْيَــلِ

وقد مر بنا من قبل نداء الضمير في مثل : يا أنت ، ويا إياك .

وهذه المعارف كلها تلحق في إعرابها العلم المفرد ، فهي مبنية على الضم المقدر في محل نصب[1] .

٣ ـ النكرة المقصودة :

وهذه النكرة معينة ومحددة في قصد المنادِي ، وذلك كأن يرى ولداً يضرب طفلاً ، فيقول له : ياولدُ كُفَّ عن ضربه . فقوله (ولدُ) نكرة في الأصل ، ولكنها هنا تحولت إلى معرفة ، لأنها حُددت وأريد بها فَرْد من أفراد الجنس الكثيرين وهم الأولاد عامةً ، وبهذا تختلف عن النكرة غير المقصودة . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ياجبالُ أَوّبي معه والطير ﴾ (سبأ : ١٠) .

وقد ينادى بهذا النداء مَنْ هو معروف للمنادي ، ولكنه لايناديه باسم ، بل بصفة من صفاته ، كقول الشاعر :

خيالُكِ ياسَمْراءُ مَرَّ بخاطِري   فحيا ورِحّبْنا طـويـلاً ورَحّبـا

فهو ينادي زوجه أو معشوقته ، ومع ذلك يناديها مناداة النكرة المقصودة بصفة من صفاتها .

ويقال لهذا النوع من المنادى نكرة باعتبار أصلها ، فهي قبل أن تنادى وتُقصد كانت نكرة شائعة ، مثل : رجل ، وفلاح ، وسمراء .

ولكن ماالذي حولها إلى معرفة ؟ أهو أداة النداء أم هو شيء آخر ؟ الحقّ

---

(١) يرى بعضهم أن اسم الإشارة والضمير يلحقان بالنكرة المقصودة . وأن (مَنْ) من قبيل الشبيه بالمضاف . ولمذهبهم ما يسوّغه ، ولعل الذي اخترناه أقرب إلى الصحة .

أن تعريف هذه النكرة تعريف مقامي ـ إن صح الوصف ـ وأعني به ما يلابس الموقف الكلامي من حالة ذهنية ووضع واقعي اجتماعي . فالمنادي يقصِد واحداً محدداً دون غيره . كائناً أمامه يسمعه ويستجيب له ، فإن فقد المقام هذه الملابسات بقيت النكرة نكرة كما في نداء النكرة غير المقصودة . ولو كانت أداة النداء هي المعرِّفة للنكرة لوجب أن يعرَّف كل منادى[1] .

وقل أن توصف هذه النكرة ، ولكن إن وصفت بعد ندائها ـ لاقبله ـ وصفت بمعرفة ، تقول : ياسيدُ ذا القميصِ الأزرق . . . ويا ولدُ الحاملُ محفظةً . . .

وإذا كانت هذه النكرة منتهيةً بياء مثل : القاضي ، والغازي ، أو منتهية بألف مثل : فتى ، تثبت ياؤها في النداء ، تقول : ياقاضي لاتنس العدالةَ . ويافتى عليك بالرياضة . وإنما تثبت الياء والألف لزوال التنوين ، وحين تحذفان في غير النداء إنما تحذفان بسبب التنوين ، فبوجوده يلتقي ساكنان : التنوين الذي هو في النطق نون ساكنة ، والياء أوالألف التي يمتد بها الصوت ، والمد سكون ، فتصبح الأولى : قاضيْنْ ، وتصبح الثانية : فتانْ . ولذلك تحذف الياء والألف . أما في النداء فلا تنوين ولا حذف[2] .

وفي ضرورة الشعر قد تنون النكرة المقصودة ، وفي هذه الحال تنصب ، وتميز من النكرة غير المقصودة بالدلالة دون غيرها ، كقول القيرواني يرثي ولده :

ياكوكباً ماكان أقصر عمره   وكذاك عمرُ كواكبِ الأسحارِ

---

(١) وعلى هذا يمكن أن نجعل المعارف أربعة أقسام من حيث أسباب تعريفها ، هي :
١ ـ تعريف دلالي : العلم ،
٢ ـ تعريف تركيبي : المضاف إلى معرفة ، الاسم الموصول . وضمير الغيبة .
٣ ـ تعريف مقامي : اسم الإشارة ، المنادى . وضمير الخطاب و التكلم .
٤ ـ تعريف صرفي : المعرف بأل .

(٢) كان بعض القدماء يرى ضرورة حذف الياء المنقوص والألف في المقصور ، وحجته أن النداء باب نقص وتغيير ، فإذا حذفا في غيره كان حذفهما فيه أولى . وهذه حجة ذهنية بعيدة عن سلوك اللغة .

فهو لا ينادي كل كوكب ، بل ينادي ولده مستعيراً له لفظ الكوكب ، وبهذا يكون المنادى كوكباً خاصاً مقصوداً .

٤ ـ نداء المعرف بأل :

وإذا أريدت مناداة مافيه (أل) من الأسماء ، نظر إليه ، فإن كان اسماً منقولاً إلى العلمية مثل : الوليد ، والعباس ، والنعمان ، والحارث ، والمدينة (يثرب) ، حذفت منه (أل) ونودي : ياوليد ، ياعباسَ ، يانعمان ـ ياحارث ، يامدينة[١] . وإن كان غير علم عومل معاملة خاصة ، لأن أدوات النداء لاتباشر اسماً فيه أل ، وهذا يعني أنه لاينادى مباشرة .

ولنا في هذه الحال أحدى طريقتين :

١ ـ فإما أن يؤتي بالاسم المبهم (أَيّ) موصولاً بأداة التنبيه (ها) ويوضع الاسم المرادُ نداؤه بعده ، فيقال مثلاً : ياأيُّها الملك ، يا أيُّها الناسُ ، يا أيتها الفتاة ، يا أيتها النساءُ .

٢ ـ وإما أن يؤتى باسم إشارةٍ مناسبٍ للاسم المراد نداؤه ، فيجعل منادى ويوضع بعده الاسم المقصود بالنداء ، مثل : ياهذا الرجلُ ، ياهذه المرأة ، ياهذان الطالبان ، ياهاتان الطالبتان ، ياهؤلاء الفتية ، ياهؤلاء الطالبات . ودونك الحديث المفصل عن كل طريقة .

آ ـ نداء (أيٌّ)

(أيٌّ) اسم مُبْهم ، ولذلك يمكن أن يقصد به مذكر مفرد مثل : ياأيُّها الرجلُ . أو مذكران : يا أيها الرجلان ، أو جمع من الذكور : يا أيُّها الرجالُ ، وكذلك إذا أريد به نداء الأنثى : يا أيتها الفتاةُ ـ الفتاتان ـ الفتيات .

ولابد من اتصاله بأداة التنبيه (ها) ، وكأنها تقوم بوظيفةٍ تأكيدية ، إذ فيها دلالة على تنبيه المنادى مثل (يا) ، وبهذا يكون في التركيب تنبيهان اثنان .

---

(١) وقد ينادى بتوسط (أيها) فيقال : يا أيها العباس ، يا أيتها المدينة . وهذا قليل .

أما الاسم المقصود بالنداء فلا بد من أن يكون في الأصل محلى بأل التي تدل على جنس المسمى : الرجل ، النبيّ، الإنسان ، من دون تحديد لفرد واحد ، كما رأينا في النكرة المقصودة ، حتى إذا أُريد بالنداء وعُيّن ، تحولت دلالة (أل) من تعريف الجنس إلى تعريف الفرد ، ويقال لها حينئذٍ : أل العهدية . وتكون للعهد الحضوري .

وحين تستخدم (أيُّ) في النداء يتحتم وصفها بواحد من ثلاثة أسماء ، هي : اسم معرف بأل . اسم إشارة مناسب . اسم موصول ، كما ترى في هذه الجملة المثلثة :

يا أَيُّها ← الإنسانُ لاتغرنَّك انتصاراتُك الزائفة .
← ذا المغترُّ خفف من غُلَواء غرورك .
← الذين ربحوا المعركة هنيئاً لكم .

وشواهد ذلك في الشعر كثيرة ، كقول سحيم :

ألا أيها الوادي الذي ضمَّ سيله إلينا نوى ظمياءَ حُييتَ واديا

وقول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري أحضُرَ الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

وجاء في القرآن الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (التوبة : ١١٩) ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيتوكم ﴾ (النور : ٢٧) ﴿ وقالوا : ياأيها الذي نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ (الحجر : ٦) .

أما من حيث الإعراب فتعامل (أي) معاملة النكرة المقصودة ، لأن قولنا : يا أيها الرجل ، يعني : يارجلُ ، ولهذا فيه مبنية على الضم في محل نصب . وتعرب (ها) أداة تنبيه. ويعرب الاسم المقصود بالنداء صفة لـ (أَيُّ) . وهو اسم معرب لفظاً أو تقديراً ، كما في مثل : يا أيها الناسُ . ويا أيها الفتى[1] .

---

(١) زعم بعضهم أن الضمة في (التابع) ضمة إتباع . لا ضمّة إعراب ولا ضمة بناء . وهذا تعسف غريب . وأجاز بعض النحويين نصبه على المحل . وهذا مخالف =

ويمكن أن يكون التابع هنا عطف بيان ، فوظيفة هذا التابع في الجوامد كوظيفة الصفة في المشتقات . أما البدل ففيه إشكال ، لأن شرط البدل أن يصح إسقاط متبوعه ، وهنا لايصح إسقاط (أيها) في مثل : يا أيها الرجل . لأن (يا) حينئذٍ تباشر المعرف بأل .

ب ـ نداء اسم الإشارة :

مر بنا من قبل أن اسم الإشارة ملحق بالعلم المفرد ، ولذلك فهو يختلف عن (أَيُّ) في سلوكه التركيبي ، فأيٌّ لاتستغني عن متبوعها ، كما عرفت ، لأنها شديدة الإبهام ، أما اسم الإشارة فيمكن أن يُستغنى عنه ، تقول : ياهذا أصلح نفسك . وياهذه لاتُغالي في مديح أحد .

وكثيراً ما تحذف أداة النداء (يا) قبل (أَيُّ) ، على حين يندر حذفها في نداء اسم الإشارة .

ولابد من أن يكون الاسم المقصود بالنداء معرفاً بأل ، كما رأيت في الأمثلة ، وكما ترى في قول عبيد بن الأبرص :

يـاذا المخـوفُنـا بمقتـل شيخِـه حُجْـرٍ ، تَمنِّـيَ صـاحـبِ الأحـلام

ويعرب ما بعد اسم الإشارة في هذا الأسلوب صفة أو عطف بيان لا بدلاً ، لأن إعرابه بدلاً يؤدي ـ كما رأينا من قبل ـ إلى مباشرة أداة النداء اسماً معرفاً بأل[١] .

ويشترط في الاسم الموصول إذا وقع بعد اسم الإشارة أو بعد (أي) أن يكون العائد إليه من الصلة ضمير غيبةٍ لاضميرَ خطابٍ ، مثل : يا أيها الذين

= لجمهور النحاة .

(١) في شاذ من الكلام دخلت (يا) على اسم معرف بأل ، وهذا ضرورة شعرية قبيحة ، من ذلك قول الشاعر :

عبـاسُ يـا الملـكُ المتوجُ والـذي عرفتْ له بيتَ العلا عدنانُ

وقول الآخر :

فيـا الغـلامـان اللـذان فَـرّا إيـاكمـا أن تُكسِبـانـا شَـرّاً

وقول الثالث :

مـن أجلـك يـا التـي تيمـت قلبـي وأنـت بخيلـة بالوصـل منـي

آمنوا . ياأيها الذي نزل عليك الذكرُ . وياهذا الذي نحبه . ولايجوز : يا أيها الذين آمنتم ، ويا أيها الذي نزل عليه الذكر . ويا هذا الذي نحبك .

٥ ـ نداء لفظ الجلالة :

لنداء لفظ الجلالة (الله) أسلوب خاص يخالف ما مَرَّ بنا من أساليب ، فهو محلى بأل ، ومع ذلك ينادى بـ (يا) مباشرة ، من دون واسطة (أيها) أو اسم الإشارة . لأن (أل) فيه زائدة لازمة ، فيقال : يا الله . وفي هذه الحال لابد من جعل همزة (أل) همزةَ قطع .

ويعلل النحاة دخول (يا) مباشرة عليه ببعض العلل اللغوية المقبولة ، فيذهب بعضهم إلى أن أصله : إِله . (إِلاهٌ) ، فحذفت الهمزة من أوله ، ودخلت عليه (أل) عوضاً عنها ، فصارت جزءاً منه ، ومثله في هذا : أُناس ، فإذا أدخلت عليه (أل) حذفتَ الهمزة .

وليس كل اسم فيه (أل) زائدة لازمة تدخل عليه (يا) . فالاسم الموصول مثلاً تلزمه (أل) الزائدة : الذي ، التي ، الذين ، ومع ذلك ينادى بتوسط (أيها) أو اسم الإشارة . فيزعم النحاة أن (أل) في لفظ الجلالة عوض عن محذوف أما في الاسم الموصول فليست كذلك .

وقد مر بنا من قبل أن (يا) لايمكن أن تحذف في نداء لفظ الجلالة ، وإن كان بعض الشعراء ـ وهو الحطيئة ـ قد حذفها للضرورة في قوله :

رضيتُ بك اللهم رباً فلن أرى أدينُ إِلٰهاً غيرَكَ الله راضياً

أي : لن أدين إِلٰهاً غيرَك يا ألله .

وهناك صورة أخرى لنداء لفظ الجلالة ، هي : اللهُمَّ . وهي أكثر استعمالاً في الكلام ، ولم يجيء غيرها في القرآن ، مثل : ﴿ دعواهم فيها سبحانَكَ اللهمَّ وتحيتهم فيها سلام ﴾ (يونس : ١٠) ، وقد تحذف منها في الشعر أداة التعريف ، فتصير : لاهُمَّ ، كقول العجاج :

لاهمَّ لا أدري وأنت الداري كل امرىءٍ منك على مقدارِ

وكقول عامر بن جهم :

لاهـمَّ إنـى عـامـرُ بـنُ جَهْـمِ أُحرِمُ حَجاً في ثيابٍ دُسْمِ[١]

ومنه قول الآخر :

لاهـــــمَّ إن العبـــــد يَمْنَـ ـعُ رحلـه فـامنـع رحـالَـكْ

وتعرب كما يلي :

اللهمَّ: (الله) منادى علم مفرد ، مبني على الضم الظاهر في محل نصب . والميم المشددة عوض عن أداة النداء .

ولما كانت الميم المشددة ـ كما قيل ـ عوضاً عن أداة النداء فإنه لايجوز الجمع بينهما ، فلا يقال : يا اللهمَّ . وما جاء من ذلك في الشعر فضرورة خاصة بلغة الشعر دون لغة النثر ، من ذلك قول الراجز :

إنـــي إذا مـــا حـــدث ألمّـــا أقـول : يـا اللهـمَّ يـا اللهمّـا[٢]

أساليب النداء

قلنا في بداية البحث : إن للنداء وظائف متعددة ومتنوعة ، وقد تحدثنا في الفقرات السابقة عن أسلوب الاستدعاء أو المناجاة ، وسوف نتحدث هنا عن ثلاثة أساليب يؤدي كل منها وظيفة خاصة به ، هي : الاستغاثة ، والتعجب ، والندبة[٣] .

---

(١) الثياب الدُسْمُ : التي علاها الوسخ .

(٢) قد تستعمل (اللهم) نداءً ليُعَبَّرَ به عن تقوية جواب السؤال ، كأن يسأل رجل : هل كنت باراً بأبيك ؟ فيجيب اللهم نعم . وقد يعبر عن ندرة الشيء ، كأن تقول : سأسعى إلى تلبية رغباتك اللهم إذا لم يكن هناك مانع قانوني . وسأزورك قريباً اللهم إلا إن داهمني ضيف قبل الخروج من البيت .

(٣) نذكر لك هناك أن هناك أسماء لا تقع إلا في أسلوب النداء ، وقد ذكرنا بعضها من قبل وهو (فُعَل) الذي يستعمل لشتم الذكور ، و(فَعالِ) لشتم الإناث ، مثل يا غُدَرُ ، ويا غَدارِ . ونزيد هنا عليها أسماء أخرى تلازم النداء مثل : فُلُ ، وفُلةُ ، ولُؤمانُ ، ومَلأمان ، ومخبثان ، وهَنُ ، وهِنةُ ، وهَناة ، وهِنْتاه . وقد انقرضت هذه الكلمات حتى بات استخدامها الآن مما يثير السخرية .

١ ـ أسلوب الاستغاثة :

ويتضح لك من عنوان هذا الأسلوب أن الغرض منه استعانةُ الإنسان بغيره ، وحثه على مساعدته في دفع ضُرٍّ يَحيق به ، أو ألمٍ يُضْنيه[١] .

آ ـ أركانه :

أما عناصر هذا الأسلوب فثلاثة ، هي : الأداة ، والمستغاث به ، والمستغاث له أو المستغاث منه :

الأداة + المستغاث به + ← المستغاث له[٢] .
← المستغاث منه .

أما الأداة فهي (يا) وحدها ، ولاتحل محلها أية أداة أخرى . تقولَّ: ياللِرِّجال لِلأطفال . فالأداة هنا (يا) والمستغاث به (الرجال) والمستغاث له (الأطفال) ، وتقول : يا لَلرجال لِلظالم . فالظالم هنا مستغاث منه لامستغاث له .

ويتضح لك مماتقدم أن المستغاث به[٣] يجر بلام مفتوحة ، إلا إذا كان ياء المتكلم ، والمستغاث له أو منه يجر بلام مكسورة . وفتح اللام مع الأول وكسرها مع الثاني يمثل قيمة خلافية يميز بها المستغاث من غيره ، فإذا أمن اللبس ودَلّ السياق على كل منهما كسرت لام المستغاثِ به ، كما لو قلت مثلاً : يالَسعدِ ولِخالدِ للمظلوم . فـ (خالد) مستغاث به أيضاً ، ومع ذلك

(١) وقد يراد منه ـ وهذا قليل ـ تهديد المنادى وتحديه ، كما في قول المهلهل :
يــا لَبكــرٍ أنشــروا لــي كليبــاً يـا لبكـر أيـن أيـن الفـرارُ

(٢) وقد يحذف من الكلام ، كقول الشاعر :
فهــل مــن خــالــدٍ إمــا هلكنــا وهل بالموتِ يا لَلناس عار

(٣) يقال : مستغاث ، ومستغاث به . لأن فعله يتعدى مباشرة فيقال : استغاثه الذي من شيعته . ويقال : استغاث به الذي من شيعته . فيتعدى بالباء . وجاء في جمل الزجاجي (ص : ١٦٦ . مؤسسة الرسالة) : « إذا استغثت بشيء فتحت لامه » . وقد جزم ابن مالك بضرورة أن يقال : مستغاث . لا مستغاث به . وهذا تشدد لا داعي له .

كسرت لامه ولم تفتح لأن واو العطف تنوب عن الفتحة في جعل المستغاث بيّناً غير ملتبس بالمستغاث له ، فإذا كررت (يا) فتحت اللام ، كقول الشاعر :

يـالَعطّـافِنـا ويـا لَـريـاحٍ وأبي الحشرج الفتى النفاحِ

وكقول عمر حين طعنه أبو لؤلؤة : « يا لله ، ويا لَلمسلمين »(١) .

وإذا كان المستغاث ياء المتكلم ـ وهذا قليل ـ كان من الطبيعي أن تكسر اللام لتلائم الياء ، تقول : يالِي من العذاب .

وأما المستغاث له فيجر بلام مكسورة ، وكذلك المستغاث منه ، كقول بشر بن أبي خازم :

فيـاللنـاسِ للـرجـلِ المعنّـى طَوالَ الدهرِ إذ طال الحصارُ

وكقول الآخر :

يـاللـرجـالِ لِيـومِ الأربعـاءِ أمـا ينفكُّ يُحْدِثُ لي بعد النُّهى طربا

فالرجل في البيت مستغاث له ، و(يوم) في البيت الثاني مستغاث منه ، وقد جُرَّ كل منهما بلام مكسورة . وقد يجر المستغاث منه خاصة بحرف آخر هو (من) كقول الشاعر :

يـاللرجـالِ ذوي الألبـابِ مـن نَفَـرٍ لايبـرحُ السَّفَـهُ المُـرْدي لهـم دينـا

ب ـ صوره :

تلك هي الصورة العامة لنداء الاستغاثة ، وهناك صورة أخرى هي أن يستغنى عن اللام المفتوحة في المستغاث به بألف في نهايته ، فبدلاً من أن يقال : يالزَيدِ ، يقال : يازَيْدا . كما ترى في قول الشاعر :

يـايَـزيـدا لآمِـلٍ نَيْـلَ عـزٍ وغنـىً بعـد فـاقـةٍ وهَـوانِ

وقد يخلو من الألف واللام ، كقول الآخر :

ألا يـا قـومِ للعَجـبِ العَجيـبِ ولِلْغَفَـلاتِ تعـرِضُ لـلأريـبِ

هذا ، ولايقال : يالَزيدا . فيُجمع بين اللام والألف . لأن كلاً منهما تغني عن الأخرى .

---

(١) حذف هنا المستغاث له .

ج ـ إعرابه :

ولاشك أنه اتضح لك أن المنادى المستغاث به يختلف عن المنادى المُستدعى بشيئين : الأول أنه غالباً مايجر باللام ، والمتسدعى لايجر البتة . والثاني أنه معرب مجرور وليس مبنياً على الضم أو منصوباً ، إلا إذا جُرد من اللام . ودونك نموذجاً إعرابياً لكل صورة من صوره الشكلية :

آ ـ ياللقوي للضعيف :

يا : أداة نداء واستغاثة .

للقوي : اللام حرف جر . و (القوي) منادى مستغاث به مجرور باللام المفتوحة ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة . والجار والمجرور معلقان بأداة النداء[1] .

للضعيف : اللام جارة ، و(الضعيف) مستغاث له مجرور ، والجار والمجرور معلقان بحال محذوفة من المستغاث به ، والتقدير : مَدْعواً .

ب ـ يايزيدا لآمل :

يا : أداة نداء واستغاثة .

يزيدا : منادى متسغاث به ، مبني على الضم المقدر على الدال ، منع من ظهوره اشتغال المحل بالفتحة العارضة المناسبة للألف . والألف للاستغاثة .

ج ـ ياقومِ للعجب :

قومِ : منادى مستغاث به ، منصوب لأنه مضاف ، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة للياء ، وياء المتكلم المحذوفة للتخفيف ضمير متصل مبني على السكون في محل جر ، مضاف إليه .

---

(١) هناك رأيان آخران ، يذهب الأول إلى أنهما معلقان بفعل النداء المحذوف . ويذهب آخر إلى أن اللام زائدة ، والمستغاث به مبني على الضم ـ في مثل الجملة المعربة ـ وقد يكون منصوباً في غيرها . وما أثبتناه في المتن هو الأفضل .

٢ ـ نداء المتعجَّب منه :

ويكثر هذا في الأسلوب الأدبي عامة ، والشعري خاصة ، وهو في سلوكه يشبه نداء المستغاث به ، إذ يجر بلام مفتوحة ، كما في قول الفرزدق :

فيـالَعبـادِ الله كيـف تخيَّلـتْ لنا باطلاً لما جلا الليلَ نائِرُهْ

وتقول متعجباً من هيجان البحر : يالَهيجانِ البحرِ . وتقول أيضاً : يالَروعةِ الجمال . ويالَسحرِ الربيع .

ويجوز أيضاً أن تنوب عن اللام ألف في آخر المنادى ، فتقول : يابَحْرا ، ويا ربيعا . ومنه قول امرىء المقيس :

ولمـا عقـرتُ للعـذارى مطيَّتـي فيـاعَجَبـا مـن رحلهـا المتحمَّـل

والأصل : ياللَعجب من رحلها المتحمل .

وقد يستغنى عن اللام والألف ، كما في قول عمر بن أبي ربيعة :

أوانـــسُ يَسلبْـــنَ الحليـــمَ فـــؤادَهُ فياطولَ ما شوقٍ ويا حسنَ مُجْتلى

أي : فيالَطولِ شوقٍ . و (ما) هنا زائدة .

وقد يكون المتعجب منك ضميراً ، كما في قول امرىء القيس :

فيالَكَ من ليلٍ كأن نجومَهُ بكل مغارِ الفتلِ شُدَّت بيَذْبُلِ

وقد ينادى العجب نفسه ، كما رأيت قبل قليل ، وكما ترى في قول كثير عزة :

فوا عجباً للقلب كيف اصطبارُهُ وللنفس لما وطنت كيف ذَلَّتِ

وقد استعمل الشاعر هنا (وا) بدلاً من (يا) ، وهذا نادر .

وإعراب المتعجب منه كإعراب المستغاث ، فلا داعي هنا لوضع نموذج .

٣ ـ أسلوب الندبة :

ويستخدم هذا الأسلوب لإظهار التفجع على فقيد ، أوالتوجع من شيء ، وللتعبير عن إحساسٍ بالحسرة أو الألم ، وكان العرب القدماء يترنمون فيه ، ولهذا يبتدئونه بالمدّ ، وينهونه ـ غالباً ـ بمد آخر ، إمعاناً بالترنم ، وقد

يقفون فيه ـ كما سوف ترى ـ على هاء ساكنة لتمثيل إحساسهم ، وإظهار المد إظهاراً حسناً .

آ ـ أركانه :

ويتألف هذا الأسلوب من عنصرين لفظيين فحسب ، هما الأداة ، والمنادى المندوب . أما الأداة فهي (وا) غالباً ، بل إنها هي الأداة الأصيلة فيه ، لأن في تصويتها تمثيلاً لمشاعر التفجع والتألم ، فيقال : وامصيبتا ، واعُمرا ، واحسرتا . فإذا أُمِن اللبس ولم يختلط نداء المستدعى بنداء المندوب أمكن أن تستخدم أداة أخرى هي (يا) ، كما في قوله : ﴿ ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾ (الزمر : ٥٦) وكقول جرير يرثي الخليفة عمر بن عبد العزيز :

حمِّلتَ أمراً عظيماً فاصطبرتَ له وقمتَ فيهم بأمر الله ياعُمَرا

وأداة الندبة لاتحذف ، كما عرفت من قبل .

أما العنصر الثاني ـ وهو المنادى المندوب ـ فلا بدله من أن يكون واحداً من أربعة :

١ ـ الفقيد : وهو الميت ، كقول الخنساء حين سمعت بمقتل أخيها صخر[1] : واصَخْرا .

٢ ـ كالفقيد : وهو مَنْ ينزَّل منزلة الفقيد ، كقول الخليفة عمر بن الخطاب حين سمع أن مجاعة حلت ببعض المناطق ، قال : واعمراهْ . فأشار بهذا النداء إلى أنه في عداد الموتى ، أو كأنه كذلك .

٣ ـ المتوجَّع له : كأن يقول إنسان : وايَداهْ ، فيتوجع ليده ، أو يقول : واعيناه ، أو : واجوفاه ، أو : واكبداه .

٤ ـ المتوجع منه : مثل : وامُصيبتاه ، واكَرْباه ، واذُلّاه .

ب ـ الكلمات التي تشغل وظيفة المندوب :

وللكلمات التي تشغل هذه الوظيفة سمات خاصة ، وقد وضح لك مما

---

(١) ولم يكن قد قتل بعد .

تقدم أن الإنسان لاينـدب إلا من كان على صلة وثيقة به ، كأن يكون أباه أو أخاه أو أمه ، أو عضواً من أعضائه الموجوع ، وليس من المتوقع أن يندب إنساناً لايعرفه .

ومن أجل ذلك غلب على الكلمة التي تقع موقع المنادى المندوب أن تكون معرفة محددة ، كأن تكون اسمَ علمٍ ، مثل : واأحمدا ، واصلاحَ الدينِ ، وابغدادا . وقد تكون معرفة بغير العلَمية مثل : وا أباه ، واحَرَّ قلباه ، واكبداه . وقد تكون اسماً موصولاً غير محلى بأل ، ويشترط هنا أن تكون صلته مشهورة ، مثل : وامَنْ فتح القدس . وامَنْ فتح الشام ، وامَنْ حفر زمزم .

أما النكرات فلا تقع موقع المنادى المندوب إلا إذا كانت متوجَّعاً منه ، يقال : وامصيبةُ . وا ألمُ . وإذا لم تكن كذلك امتنع وقوعها هذا الموقع ، فلا يقال : وارجلُ . واطفلُ ، وا عالمُ .

وكذلك لايقع هذا الموقع بعض الأسماء المبهمة ، كأسماء الإشارة ، والاسم الموصول المحلى بأل ، والضمير ، وأيٍّ . فلا يقال : وا أنتَ . ولا : وا إياك . لأن نداء الندبة يوجَّه إلى الناس لا إلى المندوب نفسه ، فهو كما قلنا لإظهار التحسر واللوعة ، أو لإظهار الشعور بالألم .

ج ـ صور المندوب :

وللاسم المندوب صور لفظية نعرضها هنا بحسب كثرة استخدامها ، وهي :

١ ـ واعمرا ، واكبدَا ، واحرَّ قلبا .

تتصل بآخره او بآخر ما أضيف إليه ألف لين ومَدٌّ مفتوحٍ ماقبلها ، كما ترى في قول قيس الملوح :

فواكبدا من حب من لايحبني ومـن عَبَـراتٍ مـالهـنَّ فنـاءُ

وهناك حالات خاصة تتعلق بالحرف الواقع في آخر المندوب ، كأن يكون مثل : أبوهمْ . ففي هذه الحال لابد من حذف ألف الندبة لئلا يلتبس بالمثنى ، فيقال : وا أباهُمُو . ولا يقال : وا أباهما . وإذا كان المندوب اسماً

منتهياً بألف ، مثل : مصطفى ، وموسى ، وعيسى . حذفت ألفه الأصلية وأضيفت إليه ألف الندبة ، مثل : وا مصطفا ، واموسا ، وا عيسا .

وإذا كان مضافاً إلى اسم ظاهر لحقت ألف الندبة المضاف إليه ، مثل : واحر قلبا . واسوءَ مَصيرا ، إلا إذا كان المضاف إليه ياء المتكلم ، فلك في ذلك صورتان : إن شئت حذفت ياء المتكلم وأضفت ألف الندبة ، كما يقال في ندبة أبي ، وكبدي ، ويدي : وا أبا ، و كبدا ، وايدا . وإنما حذفت ياء المتكلم هنا على تقدير سكونها ، فلئلا يلتقي ساكنان حذفت .

أما الصورة الثانية فهي إثبات ياء المتكلم وفتحها وإضافة الألف : وا أبيا ، وا كبديا ، وا يديا . وقد تختزل الألف في الشعر فتبقى ياء المتكلم مفتوحه وبعدها هاء السكت ، كما ترى في قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

تبكيهِـــمُ دهمـــاءُ مُعْـــوِلـــةً وتقـــول سلمـــى : وارزَّيتيَـــهْ

والأصل : وارزيتي[1] .

٢ ـ واعمراه ، واكبداه ، واحر قلباه .

تلحق به هاء السكت ، وذلك في حال الوقف لا في حال الوصل . وهي في الأصل ساكنة ، ووظيفتها إظهار ألف الندبة ، وحفظها من الاختزال . وقد تضم في ضرورة الشعر ، كما فعل المتنبي في قوله :

واحــرَّ قلبــاهُ ممــن قلبــه شِبِــمُ ومَن بحالي وجسمي عنده سقَمُ

د ـ إعراب المندوب :

يعرب المندوب إعراب المنادى المستدعَى ، فيبنى على الضم أوعلى ما يرفع به إن كان علماً مفرداً أو ملحقاً به مثل : وامَنْ فتح القدس . أو كان نكرة مقصودة ، مثل : واكبدُ .

وينصب إذا كان مضافاً مثل : وا عبدَ الله ، واحاميَ الفصحى . أو كان

(١) إذا كان المندوب مثنى أو جمع مذكر سالماً بني على الألف في الأول ، وعلى الواو في الثاني ، وقيل ـ مثلاً ـ في ندب (محمدان) و(محمدون) مايلي :
ـ وامحمدانِ ـــ وامحمدانَا ـــ وامحمداناهْ .
ـ وامحمدونَ ـــ وامحمدونا ـــ وامحمدوناه .

شبيهاً بالمضاف مثل : واقاتلاً عَمْراً[1] .

ولكن حركة البناء قد تكون مقدرة لسبب عارض كما لو كان المندوب منتهياً بألف ، مثل : وامصطفى . أو لحقت به ألف الندبة ، مثل : واعمرا ، أو : وا عمراه . ويعرب مثل هذا الاسم على الشكل التالي :

واعمراه : (وا) أداة نداء وندبة . (عمر) منادى مندوب مبني على الضم المقدر على آخره ، منع من ظهوره اشتغال المحل بالحركة العارضة المناسبة لألف الندبة . وألف الندبة : لامحل لها من الإعراب . والهاء : للسكت . ويقال في إعراب : وا أبا هموه ، مايلي :

وا : أداة نداء وندبة .

أبا : منادى مندوب مضاف ، منصوب وعلامة نصبه الألف لأنه من الأسماء الخمسة . والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه ، والواو زائدة للندبة .

ترخيم المنادى

للترخيم جانبان : جانب دلالي ، وآخر لفظي ، وهو يعني حذف حرف أوحرفين من آخر المنادى بقصد التمليح والتحبب ، ويكثر هذا في نداء الشعراء لمحبوباتهم ، كما في قول جميل بثينة :

أبُثَيْنَ إنكِ قد ملكتِ فأسْجحي وخذي بحظِّكِ من كريمٍ واصلِ

أو في ندائهم لزوجاتهم وبناتهم ، كقول أعصر بن سعد يخاطب ابنته :

أعُميرَ إن أباكِ غيَّرَ لونَه كرُّ الليالي واختلافُ الأعْصُرِ

وقد يكون مؤكداً للشتم والاستهزاء ، كأن ينادي المنادي امرأةً آذتْهُ ، فيقول لها : ياخبيثَ . وقد يكون الغرض تخفيف اللفظ ليس غير ، كقول الفرزدق :

(١) وقد ينون في لغة الشعر كما ينون المنادى المستدعى ، قال بعض بني أسد :
وافقعساً وأين منى فَقْعَسُ أإبلي يأخذها كروَّسُ

أبــوك وعمــي يــامُعــاويَ أورثــا • تُــراثــاً وأولــى بــالـتــراث أقــاربُــهْ

وهناك أسماء كثر ترخيمها في البيئة العربية العامة ، وهي : عامر ، وحارث ، ومالك . وأسماء أخرى كثر ترخيمها في لغة شاعرٍ واحد ، فجميل أكثر من ترخيم : بثينة ، وكثيّر رخم : عَزَّة ، وعنترة رخم : عبلة . كما كثر ترخيم (صاحب) فقيل : ياصاحِ .

١ ـ شروط الترخيم :

وللترخيم نظام خاص ، فهو لايكون إلا في المنادى ، فإذا حصل في اسم غير منادىً كان ذلك خروجاً على النظام ، وهذا ماسوف نتحدث عنه بعد قليل . أما هنا فسنعرض أسس النظام الذي يتوجه به الترخيم :

آ ـ ترخيم مافيه تاء التأنيث :

حذف التاء من آخر المنادى الموصول بها كثير جداً في اللغة العربية ، سواء أكان الاسم اسمَ علم مثل : فاطمة ، وخولة ، وعبلة ، وبثينة ، وعزة ، أم كان نكرة مقصودة مثل : خبيثة ، وذكية ، وناقة ، وجارية ، وطالبة ، و . . . فمما وقع من الأول قول الشماخ :

أعــائِــشَ مــالأهلــكِ لا أراهــمْ • يضيعــون الهجــان مــع المضيــعِ

وقول كثيّر عزة :

فيا عَزَّ إن واشٍ وشى بيَ عندكم • فلا تكرميهِ أن تقولي له : أهلا

ومما وقع مرخماً وهو نكرة مقصودة قول جرير :

أقِلّــي اللــومَ عــاذِلَ والعتــابــا • وقــولــي إن أصبــتُ لقــد أصــابــا

أي : ياعاذلةُ . وتقول في اللغة البسيطة غير الأدبية : ياحَمْزَ ، وياطَلْحَ ، وياطالبَ ، وياسيّدَ . وجاء في اللغة القديمة أشياء غير قليلة من هذا ، فقد قيل : أطرِقْ كرا ، أي : ياكروان . وقالوا : ياشا ارجُني ، أي : ياشاة لاتسرحي .

وإلى جانب هذا يجوز ترخيم ما آخره تاء التأنيث وإن كان على أَقَلَّ من أربعــة أحــرف ، فلــو أن هنــاك فتيــات أسمــاؤهــن : هِبــة ، وصِلــة ،

ورُلة[1] ، لجاز أن تنادى بترخيم ، مثل : ياهِبَ ، وياصِلَ ، ويارُلَ .

ب ـ ترخيم غير الموصول بتاء التأنيث :

وإذا كان المنادى خالياً من تاء التأنيث فإنه لايرخم إلا إذا استوفى الخصائص التالية :

١ ـ أن يكون على أكثر من ثلاثة أحرف ، مثل : زينب ، وجعفر ، وأيمن ، ومريم ، ولميس ، وليلى ، وسلمى ، فإذا حذف منه الحرف الأخير بقي على ثلاثة أحرف ، وهي أقل مايكون عليه الاسم المتمكن ، وذلك كما ترى في قول المجنون :

ألا يـاليـلَ إن خُيِّـرْتِ فينـا   بنفسي فـانظري أيـن الخيـارُ

وقال أوس بن حجر :

تنكـرْتِ منـا بعـد معـرفـةٍ لَمـي   وبعـد التصـابي والشبـابِ المكْـرَمِ

فالأول رخم : ليلى ، ورخم الثاني : لميس..

ويحذف من آخر المنادى حرف واحد ، كما رأيت ، ولايحذف حرفان إلا بشروطٍ ستراها بعد قليل ، فلا يقال في ترخيم (فاطمة) : يافاطِ ، ولا في ترخيم (رابعة) : يارابِ ، ولهذا كان من قبيل الضرورة قول العجاج في ترخيم (معاوية) : معاوِ ، وهو قوله :

فقد رأى الراؤونَ غير البُطَّلِ   أنـك يـامُعـاوِ يـابـنَ الأفضـلِ

٢ ـ وثمة أسماء ذات سمات خاصة يمكن أن يحذف منها حرفان في الترخيم ، وهي ماكانت مثل : مروان ، وعثمان ، وعمار ، ومنصور ، وخلدون ، وهارون ، ومحمود ، ومسعود ، وإبراهيم وإسماعيل ، من أسماء الرجال ، ومثل : عفراء ، ورغداء ، وعلياء ، وأسماء ، وشقراء ، من أسماء النساء ، وهي كما ترى مؤلفة من خمسة أحرف أو أكثر ، وقبل الحرف الأخير منها حرفُ مدٍّ زائد ، وليس فيها تاء التأنيث مثل : مرجانة ، وميمونة ، ولاياء

---

(١) شاع مثل هذا الاسم في الوقت الحاضر .

النسب مثل : قحطاني ومرواني ، وعدناني . في هذه الحال يحذف من الاسم حرفان : الحرف الأخير والمد قبله ، كما ترى في قوله أبي زبيد الطائي :

ياأَسْمَ صبراً على ماكان من حدثٍ إن الحـوادثَ مَلْقـيٌّ ومُنْتَظَـرُ

وقول الفرزدق :

يـامَرْوَ إن مطيتـي محبـوسـةٌ تـرجـو الحباءَ وربُّها لـم ييأس

وتقـول : يـا : عُثْمُ ، ومَخمُ ، ويـاعَفْرَ ، ويـارَغْـدَ ، ويـا إبـراهِ ، ويااِسْماع ، وياعَمَّ ، ويامَنْصُ ، وياخَلْدُ .

إمَا إن كانت الألف قبل الآخر أصلية منقلبة عن واو أو عن ياء فإنها لاتحذف ، بل يحذف الحرف الأخير فقط ، تقول في ترخيم : مختار ، يامُختا . وفي ترخيم : مرتاد (اسمَ علم) : يامُرْتا .

وإذا كان أقل من خمسة أحرف مثل : زياد ، وعماد ، وسعيد ، وثمود ، وضرار ، فلا يحذف منه إلا الحرف الأخير ، فيقال : يازيا ، ويا عِما ، وياسعي ، ويائمو ، وياضِرا .

وإن كان منتهياً بتاء تأنيث مثل : مرجانة ، حذفت التاء وحدها ، فيقال : يامرجانَ . وكذلك إن كان منتهياً بياء النسب ، مثل : قحطاني ، فيقال : ياقحطانِ . وهكذا .

٣ ـ أن يكون اسمَ علم

والشرط الثالث أن يكون علماً ، فلا يرخم غيره إذا لم يكن منتهياً بتاء التأنيث ، فلا يرخم مثلاً ماكان نكرة مقصودة مثل : فلاح ، أو : عَطّار ، أو : مقتدر .

٤ ـ أن يكون غير مضاف :

ولايرخم العلم المضاف مثل : عبد الله ، وصلاح الدين ، وقاهر الفرس ، وفاتح القدس .

أما إذا كان مركباً تركيباً مزجياً فالنحاة مختلفون في جواز ترخيمه ، فذهب بعضهم إلى أن ذلك جائز ، ويكون بحذف عجزه ، فترخيم : معد يكرب ، وسيبويه ، وأمثالهما يكون على قياس : يا مَعْدي ،

وياسيبَ . وزعم هذا الفريق أن ذلك مروي عن العرب[1] .

ومنع فريق آخر من النحاة ترخيم ماينتهي بـ (ويه)[2] ، وأجازوا غيره ، وقال فريق ثالث : لايجوز ترخيم المركب مطلقاً ، وذكر « أنه لم يُحفظ عن العرب في شيء من كلامهم » وأن النحاة لم يعتمدوا في جواز ترخيمه على نصّ مسموع أو مدون ، « وإنما قالوه بالقياس »[3] .

والحق أن كتاب سيبويه يخلو من نص أو نقل عن العرب ، وإنما بناه شيخه الخليل على القياس الصرف ، وهذا يؤيد قول الفريق الثالث . ويقال مثله في ترخيم المركب الإسنادي .

٢ ـ مالايجوز ترخيمه :

ولعله تبين لك مما تقدم أن ثمة أنواعاً من أساليب النداء لايجوز ترخيمها ، وآن لنا أن نجمعها في هذه الفقرة ، فما هي :

آ ـ المستغاث :

ولقد علمت أن المستغاث يجر باللام حيناً : يالَلقادرِ . وينتهي بألف حيناً آخر : ياقادرا . أما الأول فالنحاة مجمعون على امتناع ترخيمه ، ولكنهم مختلفون في الثاني ، فيجيزه قوم ويمنعه آخرون . ولاشك أن المجيزين ـ كابن خروف ـ بنوا مذهبهم على القياس ، والأفضل أن يتبع رأي الفريق الأول ، لأن القاعدة اللغوية ينبغي أن تبنى على النص .

(١) من هذا الفريق ابن مالك ، يقول : « روى ذلك سيبويه عن العرب ، فلا يلتفت إلى من منعه » . شرح عمدة الحافظ : ٣٠٦ والحق أن سيبويه روى في موضع من كتابه عن العرب قولهم : « يا تأبطُ أقبلْ » . انظر : ٣/ ٣٧٧ . ولكنه قال في (٢/ ٢٦٩) مايلي : « واعلم أن الحكاية لا ترخم ثم قال : « ولو رخمت هذا لرخمت رجلاً يسمى بقول عنترة : (يا دار عبلة بالجواء تكلمي) » . وهذا ـ كما ترى ـ تركيب إسنادي لا مزجي .

(٢) هم الكوفيون .

(٣) هذا أبو حيان . نقل ذلك عنه السيوطي في كتابه : المطالع السعيدة : ٢٩٥ .

ب ـ المندوب :

ولايختلف النحاة في امتناع ترخيم هذا ، ولعل ذلك لأن الترخيم يذهب بألف الندبة ، أو يمنع اتصالها بالمندوب .

ج ـ المنادى المنصوب :

والمنادى المنصوب لايدخله الترخيم ، سواء أكان مضافاً ، أم شبيهاً بالمضاف ، أم نكرة غير مقصودة .

د ـ المنادى المثنى والمجموع :

وكذلك لايرخم مثل : يا أحمدان ، ويا أحمدون[١] . لأن الترخيم يذهب بالألف والنون أو الواو والنون ، فيؤدي هذا إلى اللبس بنداء الواحد : يا أحمدُ[٢] .

إعراب المنادى المرخم

للمنادى المرخم صورتان إعرابيتان ، فإما أن يحذف آخره ويبقى مابقي على صورته دون أي مساس بحركاته الأصلية ، مثل :

يافاَطِمَةُ ← يافاطِمَ .

ياعثمانُ ← ياعُثْمَ .

يا أحمدُ ← يا أحمَ .

ويقال لهذه اللغة : لغة من ينتظر . أي أن المنادي ينتظر المحذوف من الأحرف ليحمله حركة البناء .

وإماأن تجعل الاسم بعد الحذف مستقلاً عن صورته السابقة ، وكأنه لم يحذف منه شيء ، فتلحق به غلامة البناء ، مثل :

يافاطمةُ ← يافاطِمُ .

(١) إلا إذا استخدما اسم علم ، وليس هذا ببعيد فكثير من الأسماء المصرية اليوم مثناة ، مثل : حسنين . أو جمع مؤنث سالم ، مثل : زينات .

(٢) قد يرخم في ضرورة الشعر غير المنادى ، مثل قول أوس بن حبناء التميمي :

إن ابـــن حـــارثَ إن أشتــقْ لــرؤيتــه ... أو أمتدحْه فإن الناس قد علموا

ياعثمانُ ← ياعُثمُ .

ياأحمدُ ← يا أحمُ .

وتسمى هذه اللغة لغة من لاينتظر . وسوف نفصل الحديث في كل منهما :

١ ـ لغة من ينتظر :

وهذه أحسنُ اللغتين ، وأكثرهما استخداماً في الشعر ، كما في قول زهير :

ياحارِ لا أُرْمَيَنْ منكم بداهيةٍ لم يَلْقَها سُوقةٌ قبلي ولامَلِكُ

وقول عمر بن أبي ربيعة :

قفي فانظري ياأَسْمَ هل تعرفينه أهذا المغيريُّ الذي كانَ يذكر

وهذا كثير جداً .

وفي كثير من الأحيان لايكون للمتكلم أو للمبدع خِيرَةٌ من أمره ، ويضطر إلى استخدام هذه اللغة دون أختها ، وذلك حين يكون اختيار اللغة الأخرى موقعاً في اللبس . تصور أنك تريد أن تنادي سيدةً في شارع لتنبهها إلى شيء سقط منها ، وأنك أردت أن ترخم المنادى ، فإذا قلت : ياسيّدَ . بفتح الدال على لغة من ينتظر ، بلغتَ ماتريد . ولكنك إذا قلت : ياسيدُ . بالبناء على الضم التبس نداء السيدة بالسيد ، وحينئذٍ لم تفعل شيئاً .

وهكذا يكون اختيار هذه اللغة في مثل : ياطالبَ ، وياعَمْرَ ، وياحَفْصَ ، وياحارثَ . في ترخيم : طالبة وعمرة وحفصة وحارثة ، لأنك لو بنيت على الضم وقعت في اللبس ، وكل ما فيه تاء من الصفات والأعلام ويقابل في المذكر من دون تاء ، وجب استخدام هذه اللغة فيه .

٢ ـ لغة من لاينتظر :

وهذه أقل اللغتين استعمالاً ، غير أن بعض الشعراء استخدمها غير معتدٍّ بما حذف من الاسم المنادى ، مثلما كان يفعل ذو الرمة في نداء (مَيَّة) ، فقد كان يسميها (مياً) فيحذف التاء في غير النداء ، كأن يقول :

ديـــارُ ميـــةَ إذ مَـــيٌّ تســـاعِفُنـــا ولايـرى مثلهـا عُـرْبٌ ولا عَجَـمُ

وهذا يعني أنه لايَعُدُّ مايقوله من قبيلْ النداءِ المرخم ، ولاشاهد في شعره على تفضيله هذه اللغة على أختها .

ويبني النحاة على هذه اللغة أصولاً صرفية ، من ذلك أن مثل (ثمود) إذا رخّم ينبغي أن يقال فيه على هذه اللغة : يا ثمي ، إذ تكسر الميم وتقلب الواو ياءً . وسبب ذلك أن (ثَمو) لامثيل له في الأسماء العربية ، فإذا جُعل اسماً مستقلاً عما حذف منه وجب أن يكون على شاكلة الأسماء العربية في وزنه وأصوله ، ولهذا يُصيِّرُ (ثمي) ليكون على مثال : ياشَجِي ، وياعَمِي .

وإذا رخمت مثل (كروان) على هذه اللغة وجب أن تقول : ياكرا . وسبب ذلك أن هذا الاسم يشبه : عثمان ، وعفراء ـ وقد مر بك الحديث عنهما ـ وفي الترخيم يحذف الألف والنون ، فيبقى على (كَرَوَ) ، فجاءت الواو متحركة وماقبلها مفتوح ، وقد أزيلت الألف التي كانت تمنعها من التحول إلى ألف ، ولذلك صارت : كَرا . ويؤيد هذا الإجراء مانقل عن العرب في مثل لهم : أَطْرِقْ كرا إن النعام في القُرى .

توابع المنادى

وهذه الفقرة أصعبُ ما في بحث النداء ، فكلام النحاة عن توابع المنادى متداخل ، ويعوزه التنظيم ، وقد حاولت هنا جاهداً أن ألخّصه وأنظمه ، ولكني صفيته من الآراء المختلف فيها ، والمسائل المنقرضة .

وقبل البدء بالتفصيلات أريد أن أنبه إلى أن ثلاثة من التوابع تتقارب إلى درجة المماثلة في تبعيتها للمنادى ، وهي : الصفة والتوكيد وعطف البيان . أما البدل فمستقل في حكمه ، ويبقى عطف النسق المستقل كذلك . وسوف نقسم الحديث عن التوابع ثلاثة أقسام : توابع المنادى المنصوب ، وتوابع المنادى المبني على الضم ، وتوابع (أيُّ) واسم الإشارة .

١ ـ توابع المنادى المنصوب :

لما كان المنادى منصوباً في الأصل كانت توابعه خاضعة لنظام بسيط ، ويلخص بما يلي :

١ ـ إذا كان التابع صفة أو توكيداً أو عطف بيان : نصب وجوباً ، مثل : ياعبدَ الله الشاعرَ ، ياطلابَ الصف كلَّكم ، وياحَمَلةَ الراياتِ أجمعين . وياعبدَ الرحمنِ أخا زيد .

٢ ـ وإذا كان التابع بدلاً عومل معاملة المنادى المستقل عن متبوعه ، فكأنك أدخلتَ عليه أداة نداء وناديته ، وذلك كما ترى في :

ـ ياحامل الرايةِ سَعْدُ . بني البدل على الضم لأنه مفرد علم ، لأنه لو دخلته (يا) ونودي كان كذلك : ياسَعْدُ .

ـ ياحامِلَ الرايةِ عبَد الله . نصب هنا لأنه مضاف ، وكذلك ينصب لو نودي مستقلاً .

٣ ـ وإذا كان التابعُ معطوفاً بالحرف كانت له حالان :

فإن كان محلى بأل نصب كالصفة والتوكيد وعطف البيان ، تقول : يا عبدَ الله والشاعرَ .

ـ وإن كان مجرداً منها عومل كالبدل وقدرت قبله أداة النداء ، مثل : ياعبدَ الله وسَعْدُ . كأنك قلت : ويasَعْدُ .

٢ ـ توابع المنادى المبني على الضم :

ويشترط هنا ألا يكون المنادى (أيُّها) أو اسم إشارة ، فلهذين حكم خاصٌّ .

١ ـ إذا كان التابع صفة أو توكيداً أو عطف بيان : فلها هنا حالان :

ـ فإن كانت مضافة إضافة معنوية نصبت ، مثل : يازيدُ شاعرَ القومِ . يازيدون كلَّكم ، وياسَعْدُ أخا عفراء .

ـ وإن كانت مضافة إضافة لفظية ، أو غير مضافة ، كان لك فيها الوجهان ، النصب على المحل ، والرفع على اللفظ ، مثل : ياخالدُ الشاعرَ ،

أو : الشاعرُ . وياسعدُ الحسنُ الوجهِ . أو : الحسنَ الوجه . وهذه الفقرة خاصة بالصفة ، وتقول في عطف البيان : ياغلامُ بِشْرٌ ، أو : بشراً .

٢ ـ وإذا كان التابع بدلاً عومل معاملة المنادى المستقل ، كما رأيت قبلُ .

مثل : يازيدُ زيدَ العشيرةِ . وياخالدُ سَعْدُ ، وياغلامُ بِشْرُ .

٣ ـ إذا كان التابع معطوفاً بالحرف : فله هنا حالان ، كما رأيت من قبل :

ـ فإنه مجرداً من (أل) كان كالبدل في معاملته معاملة المنادى المستقل ، مثل : ياصالحُ ، وثمودُ . وياصالحُ وشاعرَ القوم .

ـ وإن كان محلى بها كان لك فيه الوجهان كالصفة ، فإن شئت رفعته على اللفظ ، مثل : ﴿ ياجبالُ أوِّبي معه والطيرُ ﴾ . وإن شئت نصبته على المحل ، مثل : ﴿ ياجبالُ أوبي معه والطيرَ ﴾[1] .

٣ ـ توابع (أيُّها) واسم الإشارة :

وتوابع هذين مرفوعة أبداً ، ويغلب عليهما أن يكون تابعهما صفة في باب النداء ، ويمكن أن يعرب عطف بيان إذا كان جامداً ، أما البدلية فلا تكون في هذا الباب ، لأنه يشترط فيه إسقاط المبدل منه ، فاذا أسقط باشرت (يا) المعرف بأل ، وهذا ممتنع . تقول :

يا أيُّها الرجلُ المعلمُ غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليمُ

وتقول : يا هذا الرجلُ . وياهذان الرجلان .

المنادى المضاف إلى ياء المتكلم

رأينا أن نجعل هذه الفقرة ذيلاً لبحث المنادي لأنها ليست نظاماً نحلل قواعده ، وإنما هي ظواهر توصف كما هي ، وتُقدم فيها بعض التدريبات

(١) هذه آية قرآنية (سبأ : ١٠) وقد قرئت بالرفع والنصب ، كما رأيت .

الإعرابية ، ذلك أن هناك صوراً متعددة للمنادى المضاف إلى ياء المتكلم ، هي بحسب كثرة استخدامها على الشكل التالي :

١ ـ حذف ياء المتكلم : وهي كثيرة جداً في القرآن والشعر ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ ياقومِ لا أسألكم عليه أجراً ﴾ (هود : ٥١) وقوله : ﴿ ياعبادِ فاتقون ﴾ (الزمر : ١٦) ﴿ ربِّ لاتذر على الأرضِ من الكافرين ديّاراً ﴾ (نوح : ٢٦) .

٢ ـ إبقاء ياء المتكلم : وتبقي ياء المتكلم ساكنةً أو مفتوحةً ، فمن بقائها ساكنة قول عبد الله بن عبد الأعلى القرشي :

وكنتَ إذ كنتَ إلٰهي وحدكا لم يكُ شيءٌ ياإلٰهي قبلكا

ومنه قول ابن الرومي :

ياأخي أينَ عهدُ ذاك الإخاءِ أينَ ماكان بيننا من صفاء

ومن بقائها مفتوحة قوله تعالى : ﴿ ياعباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ (الزمر : ٥٣) .

٣ ـ قلب الياء ألفاً : ويرد هذا في بعض الأحيان ، فبدلاً من أن يقال : ياغلامي ، يقال : ياغُلاما . وقد تلحق به هاء السكت : ياغلاماهْ . وتضم في الشعر ، كما في قول الحطيئة :

فقال : هيا رباهُ ضيفٌ ولاقِرىً بحقكَ لاتحرمه تاالليةَ اللحما

وقد تحذف الألف وتبقى فتحة دالة عليها ، مثل يا غلامَ .

٤ ـ حذف الياء وبناء الاسم على الضم : وبهذا يصير كالعلم المفرد ، كما في قول قيس بن ذَريح :

فيا قلبُ خبرني إذا شطَّتِ النوى بلبنى وصدَّتْ عنكَ ماأنتَ صانعُ

٥ ـ وإن كان معتل الآخر بقيت الياء مفتوحة ، مثل : يافتايَ ، وياقضيَّ .

٦ ـ وإن كان المنادى أحد اللفظين : أب ، وأم . جاز فيه مامر كله ، تقول : ياأبي ، ويا أبيَ ، ويا أَبِ ، ويا أبا ، ويا أباه ، وياأَبَ ، وتقول : يا أمي ، ويا أميَ ، ويا أمِّ ، ويا أما ، ويا أماه ، ويا أَمَّ . ويضاف إليه مايلي :

آ ـ وضع التاء موضع الياء ، وتكسر هذه التاء غالباً ، ويجوز فتحها ، مثل : ﴿ يا أبتِ لاتَعْبُدِ الشيطانَ ﴾ (مريم : ٤٤) ومثل ذلك قول الحطيئة :

فقـــال ابنـــه لمـــا رآه بحَيْـــرَةٍ   أيـا أبـتِ اذبحـني ويَسِّرْ لـه طُعْمـا

وتقول : يا أمَّتِ ، وأيا أبتَ ، ويا أُمَّتَ . وفي هذه الحال لايجوز إثبات ياء المتكلم بعد التاء ، وماجاء منه في الشعر فهو ضرورة ، مثل :

أيـا أبتـي لازلـتَ فينـا فـإنمـا   لنا أمل في العيش مادمت عائشا

ويقال في إعراب : يا أبتِ :

يا : أداة نداء . أبت : منادى مضاف منصوب . وياء المتكلم المحذوفة ضمير متصل في محل جر مضاف إليه . والتاء عوض الياء المحذوفة .

ب ـ وقد تلحق بها ألف ، فيصير المنادى : **يا** ابتا ، ويا أُمَّتا . قال الأعشى :

ويـــاأَبَتـــا لاتَـــزَلْ عنـــدنـــا   فـإنـا نخـاف بـأن تُخْتـرمْ

ولا إعراب لهذه الألف ، فهي لمجرد مد الصوت . ويرى آخرون أنها ياء المتكلم .

ج ـ ويقال في الوقف : **يا** أَبَهْ ، **ويا** أُمَّهْ . ويلحق بهما العمة والخالة ، فيقال : ياعَمَّهْ ، وياخالَهْ .

٧ ـ ويعامل المنادى المضاف إلى اسم آخر مضافٍ إليه المتكلم مثل هذه المعاملة ، ويلحق التغيير في المضاف إليه ، فيقال : يابنَ أمي ، ويابنْ أميَ ، ويابن أمِّ ، ويابن أمَّ ، ويابن أُمّا ، وكذلك يقال : يابن عمِّ ، ويابنةَ عمَّ ، ويابن عمي ويابنة عمي ، ويابن عما وياابنة عما ، ويابن عمَّ ويابنة عما . الخ . . .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ وقال : **ياأسفا** على يوسف ، وابيضت عيناهُ من الحزن ﴾ (يوسف : ١٨٤) .

٢ ـ ﴿ قال : ابنَ أمَّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ﴾ (الأعراف : ١٥٠) .

٣ ـ ﴿ ياعبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾ (العنكبوت : ٥٦) .

٤ ـ ﴿ قل : اللهم فاطرَ السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ﴾ (الزمر : ٤٦) .

٥ ـ ﴿ ياداودُ إنا جعلناك خليفةً في الأرض ﴾ (ص : ٢٦) .

٦ ـ ﴿ يا أيها الناسُ أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد ﴾ (فاطر : ١٥) .

٧ ـ ﴿ يوسفُ أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات عجاف ﴾ (يوسف : ٤٦) .

٨ ـ قال المتلمس :

أحارِثُ إنا لوتُساطُ دماؤنا ... تزايلْنَ حتى مايَمَسُّ دمٌ دما

٩ ـ وقالت ليلى الأخيلية :

فلا يُبْعِدَنْك الله توبةُ هالكاً ... أخا الحرب إذ دارتْ عليه الدوائرُ
قتيلُ بني عوف فيا لهفتا له ... وما كنت إياهم عليه أحاذر

١٠ ـ وقال حريث بن جبلة :

ياقلب إنك في أسماءَ مغرورُ ... أذكر ، وهل ينفعنْكَ اليوم تذكيرُ

١١ ـ وقال عروة بن حزام :

أعفراءُ كم من زفرةٍ قد أذقتني ... وحزن ألجَّ العينَ بالهملان
فياليتَ أنا الدهرَ في غير ريبةٍ ... خليانِ نرعى القفر ، مؤتلفانِ

١٢ ـ قال أنس بن زنيم :

أحارِ بن بدر قد وليتَ ولايةً ... فكن جُرَذاً فيها تخونُ وتسرِقُ[١]

١٣ ـ وقال زميل بن الحارث :

ياأَرْطَ إنك فاعلٌ ماقلتَهُ ... والمرءُ يستحيي إذا لم يصدقِ[٢]

---

(١) اسم المنادى : حارثة .
(٢) اسم المنادى : أرطاة .

القسم الرابع

المجــرورات

المجرور بالحرف

١ ـ حروف الجر :

يعتمد هذا المبحث على مجموعة من الأدوات الحرفية لها في الكلام وظيفة لاتقل أهمية عن وظيفتي الاسم والفعل ، هي حروف الجر ، وإذا تجاوزنا الآراء الفردية والخلافية رأيناها لاتزيد على واحدٍ وعشرين حرفاً تتوزع في فئتين :

١ ـ الفئة الأولى :

يكثر استعمال هذه الفئة من الحروف الجارة ، وتناط بها معانٍ كثيرة سوف نتحدث عنها في فِقْرةٍ خاصة ، وهي : الباء ، واللام ، والكاف ، ومن ، وعن ، وفي ، ومُذْ ، وإلى ، وعلى ، ومنذ ، ورُبَّ ، وحتّى ، وواو القسم ، وتاؤه .

٢ ـ الفئة الثانية :

وتتألف من سبعة أحرفٍ ليست في الأصل جارَّةً ، بل لها استعمالات أخرى ، إلا أن بعضها يدخل في تراكيب خاصة تخالف الشائع من سلوكه التركيبي فيكون حرف جر ، وبعضها الآخر كان يُستخدم في لهجةٍ قبلية خاصة حرف جر ، وهذه الأحرف هي :

١ ـ لولا :

هي في الأصل حرف امتناع لوجود ، ولكنها قد تباشر الضمير المتصل ، فيقال : لولاه ، ولولاك ، ولولانا ، فتكون بذلك حرف جر ، وسوف نفصّل الحديث في ذلك بعد قليل .

٢ ـ كي :

وهذه حرف ناصب للفعل المضارع ، إلا أن « ما » الاستفهامية قد تقع

بعدها ، فيقال : كَيْمَ فعلتَ هذا ؟ وحينئذٍ تكون حرف جر كاللام ، فكأنك قلت : لِمَ فعلتَ هذا ؟

٣ ـ خلا ، عدا ، حاشا :

وهذه أدوات استثناء ، تكون أفعالاً ماضية إذا كان ما بعدها منصوباً ، وتكون أحرف جر إذا كان مابعدها مجروراً .

٤ ـ لعل ، ومتى :

أما الأولى فمن أخوات « إنَّ » في نصب المبتدأ ورفع الخبر ، وأما الثانية فاسم مبهم يكون للاستفهام مرة ، وللشرط أخرى ، إلا أن قبيلة عُقَيل تستعمل « لعل » حرف جر أحياناً ، تقول مثلاً : لعل أبيك حاضر . وتستعمل قبيلة هُذَيْل « متى » حرف جر ، فتقول : أخرجَ الكتابَ متى كُمِّهِ . أي : من كمه .

وظيفتا حرف الجر :

ولهذه الأحرف وظيفتان في الكلام : أولاهماوظيفة دلالية ، والثانية وظيفة تركيبية وصلية . ذلك أن الفعل أو شبهه يكون في الجملة على شكل بؤرةٍ للعلاقات ، إذ تتصل به كلمات التركيب اتصالاً مباشراً أحياناً ، واتصالاً غير مباشر أحياناً أخرى ، وذلك كما ترى في الجملة التالية :

« أتعبَ سميرٌ نفسَهُ في العملِ لتحقيقِ التفوُّق »

فالفعل (أتعب) في هذه الجملة هو مركز العلاقات ، وبه تتصل كلمات الجملة ، ولعلنا نوضح هذا برسم الجملة على الشكل التالي :

أتعب ← سمير
أتعب ← نفسَ + ـهُ
أتعب ← في + العمل
أتعب ← لِـ + تحقيقِ + التفوُّقِ .

فـ « سمير » و « نفس » تتصلان بالفعل اتصالاً مباشراً ، أما « العمل » و « تحقيق » فتتصلان به بوساطة حرفي جر هما : في ، واللام . وهذا يعني أن الفعل عاجز عن الاتصال المباشر بهما ، فلا يقال : أتعبَ سمير نَفْسَهُ العمل

تحقيق التفوق . ولايقال كذلك : قعد أحمدُ الكرسيَّ المحطَّةَ . بل يقال : على الكرسي في المحطة . ولا يقال : أخذ الفائزُ الجائزةَ القائدَ . بل : من القائد . وهذا كثير في الجمل العربية ويدرك بالسليقة ، وهو يعني أن حرف الجر يربط بين الفعل والاسم المجرور وتلك هي وظيفته التركيبية .

وإذا أعدت النظر في الجملة السابقة وجدت حرف الجر « في » يؤدي معنىً خاصاً هو : الظرفية . ووجدت اللام تفيد معنى التعليل ، ووجدت المعنيين كليهما يتممان معنى الفعل « أتعب » ، إذ يحدد الأول مكانه ، ويحدد الثاني سببه . وعلى هذا الشكل يستعمل كل حرف من هذه الأحرف ، فالحرف « على » مثلاً يفيد الاستعلاء في قولنا : وضع يده على كتفي . و « من » تفيد ابتداء الحدث ، و « إلى » تفيد مكان انتهائه ، في قولنا : مشيتُ من أول البلدةِ إلى آخرِها . وهذه هي الوظيفة الدلالية ، وهي ترتبط بمعنى الفعل أو شبهه لأنها متممة له ، فقد تحدد مكانه ، أو زمانه ، أو سببه ، أو آلته ، أو ما أشبه هذا .

٣ ـ قيمة حرف الجر ومجروره :

وبهاتين الوظيفتين تتحدد قيمة حرف الجر في الجملة ، ولذلك ثلاثة مستويات هي :

آ ـ المستوى الأول :

قد تكون وظيفة الجار ومجروره تقديم بعض التفصيلات وإضافتها إلى الحدث ، وذلك يعني أن نواة الجملة مستقلة ومتكاملة ، وفي هذه الحال يمكن الاستغناء عن الجار والمجرور ، ولايختل تركيب الجملة ، ولايتشوّه المعنى ، ولكن ينقصُ تفصيلاً كان فيه ، كما في هذه الجملة : ضربَ الطفلُ الهرةَ بالعصا . فإذا أنت أسقطت الجار والمجرور حافظت الجملة على صحتها من حيث التركيب ومن حيث الدلالة : ضربَ الطفلُ الهرةَ . ولكنها فقدت تفصيلاً هو تحديد آلة الضرب . وإذا أجريتَ بعض التحويلات في الجلمة لاتجد نفسك مضطراً إلى إعادة الجار والمجرور ، وذلك كما ترى في : ضُرِبَتِ الهرةُ . والهرةُ ضربتْ . الهرةَ ضربَ الطفلُ ، الهرةُ ضربها الطفلُ .

ب ـ المستوى الثاني :

وههنا تكون نواة الجملة مستقلة أيضاً عن الجار والمجرور في الظاهر ، ولكنك حين تجري بعض التحويلات تجد نفسك مضطراً إليهما ، تقول مثلاً : وقفَ الموكبُ في الساحةِ . فأنت هنا تستطيع إسقاط الجار والمجرور ، إذ يمكن أن تقول : وقف الموكبُ . ولكنك إذا بنيت الفعل للمجهولَ كان لابد لك من إعادتهما ، إذ لايقال : وُقِفَ . فحسب ، بل يقال : وُقِفَ في الساحةِ .

ج ـ المستوى الثالث :

وفي هذا المستوى يؤدي إسقاطها إلى أحد شيئين : إما إلى اختلال المعنى ، وإما إلى اختلافه . من أمثلة الأول قولك : تقع مدينةُ الرباطَ على البحرِ المحيط . فإذا أنت حذفت الجار والمجرور صرت إلى معنى مختلٍّ لاسَوِيّ : تقع مدينةُ الرباطِ . ومن أمثلة الثاني قولك : قضى فريدٌ على عدوِّه . إن إسقاط الجار والمجرور هنا يؤدي إلى معنى يختلف عن المعنى المراد ، إذ أن : قضى فريدٌ . تعني : مات فريد . لا : أمات عدوه .

ومما لايمكن إسقاطه أيضاً أن يكون الجار والمجرور في موقع المسند أو في موقع المسند إليه ، فمن النوع الأول قولك : في العمل لذةٌ ، وفي التقاعسِ ضَياعٌ . ومن النوع الثاني قولك : ذُهِب إلى المدينة ، واحتُفِلَ في المدرسة ، ونُظِر إلى الصورة .

٤ ـ الحرف الأصلي ، والزائد ، والشبيه بالزائد :

تعتمد معرفة الزائد والأصلي من حروف الجر على وظيفة الحرف وقيمته الدلالية في التركيب ، فالأصلي ـ كما قلنا من قبل ـ ذو وظيفتين : دلالية وتركيبية ، فإذا فقدهما في الجملة كان زائداً ، وإذا فقد الوظيفة التركيبية وحدها كان شبيهاً بالزائد . والأمثلة التالية توضح لك ذلك :

آ ـ يتصاعد البخار من المدخنة .

إن (من) هنا حرف جر أصلي ، لأنها أولاً تكمل معنى الفعل

(يتصاعد) إذ تحدد مكانه ، وهذه وظيفتها الدلالية ، ولأنها ثانياً تربط مجرورها بالفعل ، ولولا هي لما حصل ارتباط بينهما ، فلا يقال : يتصاعد الدخانُ المدخنة .

ب ـ مارأيتُ في الملعب من أحد .

أما (من) في هذه الجملة فهي زائدة ، لأنها أولاً لاتحمل معنى يتمم معنى الفعل (رأى) ، بل إن معناها يرتبط بأداة النفي « ما » ، لأنها تؤكد النفي وتزيده . ولأنها ثانياً لاتربط بين مجرورها والفعل ، إذ من الممكن أن يرتبط مجرورها بالفعل ارتباطاً مباشراً ، فيقال مثلاً : مارايتُ في الملعب أحداً . فلما فقدت (من) في هذا التركيب وظيفتي حرف الجر الأصلي كانت حرفَ جرٍ زائداً .

ج ـ ربَّ كأسٍ شربتُ ولم أَرْتَوِ .

إن « رُبَّ » هنا ليست زائدةً ولا أصلية ، أما أنها غير زائدة فلأن لها وظيفة دلالية ، إذ تدل على القلة أو الكثرة ـ بحسب مايفهم من سياق الحال ـ ولو كانت زائدة لخلت من هذا المعنى ، ولكانت لمجرد التوكيد . وأما أنها غير أصلية فلأنها لم تقع بعد فعل قاصرٍ تعينه على إيصال أثره إلى الاسم ، فالفعل « شربت » يمكن أن يرتبط بالاسم المجرور « كأس » ارتباطاً مباشراً وينصبه على أنه مفعول به مقدم ، فيقال : كأساً شربتُ ولم أرتوِ . كما يقال : محموداً رأيتُ . وتفاحةً أكلتُ ، وثوباً أَجُرُّ ، وثوباً لبستُ ، وهكذا .

وعلى هذا يكون حرف الجر الأصلي ذا وظيفتين ، ويكون الزائد بلا وظيفة ، ويكون الشبيه بالزائد ذا وظيفة واحدة ، هي الوظيفة الدلالية .

حروف الجر الزائدة

بعد أن عرفت المعيار الذي يميز حرف الجر الأصلي من الحرف الزائد أو الشبيه بالزائد يحسن بك أن تعرف الحروف التي تقع أحياناً زائدة ، ومواقع زيادتها .

إن هناك حرفين لايختلف النحاة في أنهما يقعان زائدين في مواضع خاصة ، هما : الباء و (مِنْ) . وهناك حرفان آخران هما : اللام والكاف ، في زيادتهما خلاف . وإليك مواضع زيادة كل منهما[1] :

١ ـ مواضع زيادة (من)[2] :

تقع (من) زائدة إذا فقدت في التركيب وظيفة حرف الجر الأصلي ، ولا يحصل هذا إلا إذا استوفى التركيب الذي تقع فيه ثلاث سمات .

آ ـ أن يكون في سياق النفي أو النهي أو الاستفهام الذي أداته (هل)[3] . كما في هذه الأمثلة :

ـ ﴿ مااتخذ الله من ولدٍ ، وماكانَ معه من إلهٍ ﴾ (المؤمنون : ٩١) .

ـ لاتقترف من إثمٍ ولا ترتكب من ذنبٍ .

ـ ﴿ هل يراكم منَ أحدٍ ؟ ﴾ (التوبة : ١٢٧) .

ـ ﴿ هل من خالقٍ غيرُ الله يرزقكم . ﴾ (فاطر : ٣٠) .

---

(١) وأضاف أبو عبيدة زيادة (عن) محتجاً بقوله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ . (النور : ٦٣) .
وأضاف غيره زيادة (في) محتجاً بقول الشاعر :
أنــا أبــو سعــد إذا الليــل دجــا   يخال في سواده يرَنْدُجا
واليرندج : الجلد الأسود .
وحمل بعضهم على ذلك زيادتها في الآية : ﴿ وقال اركبوا فيها باسم الله ﴾ . (هود : ٤١) .
وأضاف آخر زيادة (إلى) في قوله : ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوَى إليهم ﴾ (إبراهيم : ٣٧) بفتح الواو ، وهي قراءة ، والتقدير : تهواهم .
وذكر آخرون زيادة (على) في قول حميد :
على كل أفنان العضاه تروق .
وحمل ابن مالك عليه الحديث : من حلف على يمين برة . أي : من حلف يميناً برة .

(٢) ذهب المبرد في بعض أقواله إلى أنها تكون زائدة . انظر المقتضب : ١/ ٤٥ .

(٣) وأضاف بعضهم الشرط نحو : إن رأيت من أحد فأخبرني . انظر : شرح السبع الطوال لابن الأنباري : ٢٩٦ .

ب ـ أن يكون الاسم المجرور بها نكرة لامعرفة ، وهذا واضح في الأمثلة السابقة ، ومن أجل ذلك لاتكون زائدة في الجمل التالية وإن سبقت بنفي أو نهي أو « هل » :

ـ ماقرأت من الكتاب شيئاً .

ـ لاتأكلْ من التفاح .

ـ هل شربت من الماء .

ج ـ أن يكون موقع المجرور بها ـ من حيث الإعراب ـ واحداً من ثلاثة مواقع :

ـ الفاعل ، مثل : ﴿ وماتسقُطُ من ورقةٍ إلا يعلمها ﴾ (الأنعام : ٥٩) .

ـ المفعول به ، مثل : ﴿ فإن توليتم فماسألتكم عليه من أجر ﴾ (يونس : ٧٢) .

ـ المبتدأ ، مثل : ﴿مالكم من ملجأ يومئذٍ ومالكم من نكير ﴾ (الشورى : ٤٧) . هذا الذي ذكرناه هو المتفق عليه ، وهوالصحيح ، إلا أن هناك آراء أخرى لا أرى أن يُعنى بها دارسُ النحو غيرُ المختص ، ولهذا آثرتُ أن أذكرها في الحاشية[1] لا في المتن .

ولزيادة (من) وظيفة دلالية هي توكيد النفي ، لأنها تدل على استغراقِ جنس المنفي ، وتبعد الذهن عن حملِ المعنى على وجه آخر ، فإذا قلت :

---

(١) ذهب بعضهم ـ وهو أبو الحسن الأخفش ـ إلى أن (من) قد تقع زائدة في الإيجاب ، وقد يكون مجرورها معرفة ، واحتجَّ بقوله تعالى : ﴿ ونكفر عنكم مِنْ سيئاتكم ﴾ . وقوله : ﴿ وننزل من السماء من جبالٍ ﴾ وبقول العرب : قدْ أصابنا من مطر ، وقد كان من حديث . [معاني القرآن ، للأخفش . مصوَّرة عن مخطوطة طهران : اللوحات ٤٥ ، ١٠٣ ، ١٤٠] .

وأضاف نحويٌّ آخر أنَّ موضع مجرورها قد يكون نصباً على أنه مفعول مطلق ، واحتجَّ بقوله تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (الأنعام : ١٣٨) . أي : ما فرطنا شيئاً .

فشيئاً مفعولٌ مطلق حلَّ محل المصدر : تفريطاً . لأنَّ الفعل : فرَّطَ ، لازم . ومثله قوله تعالى : ﴿ وما يضرونك من شيء ﴾ . (النساء : ١١٣) .

مارأيتُ شاعراً . احتمل قولك هذا ثلاثة معانٍ ، هي :

١ ـ أنك لم ترَ شاعراً واحداً بل رأيت أكثر من شاعر .

٢ ـ أو أن الشاعر الذي رأيته لايُعْتد بشاعريته .

٣ ـ أو أنك لم تر أحداً من جنس الشعراء .

فإذا أدخلت (مِنْ) بطل هذا الاحتمال ، وتحدَّد بها المعنى الثالث دون غيره .

٢ ـ مواضع زيادة الباء :

وتقع الباء زائدة في مواضع تزيدُ على مواضع زيادة (من) ، وليس لزيادتها قوانين محددة ، وإليك هذه المواضع :

آ ـ زيادتها في المبتدأ :

إذا كان المبتدا في الجملة لفظ « حَسْبُ » فكثيراً ما تقع فيه الباء زائدة ، من ذلك ماجاء في الحديث النبوي : « بحَسْبِ ابن آدمَ لقيماتٌ يُقمْنَ صُلْبَهُ » .

فقوله حَسْب ، اسم مجرور لفظاً بالباء الزائدة ، مرفوعٌ محلاً ، مبتدأ .

ومنه ماجاء في قول الأشعر الأسدي :

بحسبك في القومِ أن يعلموا ... بأنك فيهم غنيٌّ مُضِرْ

وقد تنتقل الباء الزائدة إلى الاسم الذي يلي (حَسْبُ) ، كما ترى في قول عمران بن حطان :

فاعمل فإنك منعيٌّ بواحدةٍ ... حَسْبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِ

وقول أحد الفصحاء في مجلس معاوية بن أبي سفيان : « حسبي بهذا المجلس يا أميرَ المؤمنين » . وفي هذه الحال تصير (حسب) خبراً مقدماً ، ويكونَ المبتدأ حيث زيدت الباء .

على أن القرآن الكريم لم يوقع الباء الزائدة في هذا التركيب ، بل أتى بالمبتدأ خالياً منها ، كقوله تعالى : ﴿ حَسبُنا الله ﴾ (آل عمران : ١٧٣) ﴿ حسبُنا ماوجدنا عليه آباءَنا ﴾ (المائدة : ١٠٤) ﴿ حسبُهم جهنمُ يصلونها ﴾ (المجادلة : ٨) .

ب ـ زيادتها في الخبر :

ويُشترط أن يكون واقعاً في حيز النفي[1] . ويكثر هذا بعد « ما » النافية ، كما ترى في هذه الآيات : ﴿ ما أنت عليهم بوكيل ﴾ (الزمر : ٤١) ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ (الأنعام : ١٠٤) ﴿وما الله بغافلٍ عما تعملون ﴾ (آل عمران : ٩٩) .

وأقل من ذلك زيادتها في خبر « ليس » ، كقوله : ﴿ أليس الله بكافٍ عبده ﴾ (الزمر : ٣٦) ، وقوله : ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ (الزيتون : ٨) وقوله : ﴿ أليس الله بعزيز ذي انتقام ﴾ (الزمر : ٣٧) .

وأقل منه في خبر « كان » المنفية ، كما في قول الشنفرى :

وإن مُدَّت الأيدي إلى الزاد لم أكن ... بأعجلهم إذ أجشعُ القومِ أعجلُ

وتقل زيادتها في الخبر بعد « لا » النافية ، كما في قول سواد بن قارب :

وكن لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ ... بمغنٍ فتيلاً عن سوادِ بن قاربِ

ومن القليل أيضاً زيادتها في خبر (أَنَّ) الواقعة في حيز النفي ، كما في قوله تعالى : ﴿ أو لم يَرَوْا أن الله الذي خلق السماوات والأرضَ ولم يَعْيَ بخلقهن بقادرٍ على أن يحييَ الموتى ﴾ (الأحقاف : ٣٣) والمعنى : أليس الله بقادرٍ على إحياء الموتى . وعلى هذا يجوز أن يقال : ما أظن أنك بقادرٍ على كذا .

ولابد هنا من التنبيه إلى الفرق بين الباء الزائدة التي فقدت وظيفة حرف الجر الأصلي ، والباء الظرفية أو التي تفيد معنىً غير التوكيد ، فقد تكون الباء الواقعة في حيز النفي أصلية لازائدة ، كما ترى في هذه الجملة : ليس النجاحُ باللهو والعبث بل بالجد والدأب . ومثلها : ليس النجاحُ بالانتهازية بل بالقدرة والكفاءة . ومن ذلك ماجاء في قول شوقي :

---

(١) أجاز أبو الحسن الأخفش أن تقع زائدة في الخبر الموجَب ، فقد قال بزيادتها في قوله تعالى : ﴿ جزاءُ سيئةٍ بمثلها ﴾ (يونس : ٢٧) . انظر : الحجة لأبي علي الفارسي : ١/١٤٥ هذا وهناك نصوص أخرى زادت فيها الباء في الخبر تختلف عما ذكرنا . انظر همع الهوامع : ١/١٢٧ .

ومـا نيـلُ المطـالـبِ بـالتمنـي ولكـن تُـؤخَـذُ الـدنيـا غِـلابـا

ج ـ زيادتها في الفاعل :

وتقع الباء زائدةً في فاعل أحد فعلين : أولهما : الفعل « كفى » إذا كان بمعنى (حَسْبُ)[1] ، وثانيهما فعلُ التعجب الذي يكون على صورة فعلِ الأَمْرِ : أَفْعِلْ ، مثال الأول قوله تعالى : ﴿ كفى بربك هادياً ونصيراً ﴾ (الفرقان : ٣١) وقوله : ﴿ كفى بنفسك اليومَ عليك حسيباً ﴾ (الإسراء : ١٤) ﴿ وكفى بجهنم سعيراً ﴾ (النساء : ٥٥) . على أن ذلك ليس بواجب بل كثير ، فقد جاء الفاعل من غير باء زائدة في قول الشاعر سحيم :

هـريـرةَ ودّعْ إِن تجهـزْتَ غـازيـا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

وأما فاعل فعل التعجب (أَفْعِلْ) فزيادتها فيه واجبة إلا إذا كان مصدراً مؤولاً ، كما سوف نرى ، تقول : أكرِمْ بالشهيدِ ، وأعْظِمْ بالبطلِ . والتقدير : كرُمَ الشهيدُ ، وعَظُمَ البطلُ . ومنه قول الشاعر :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومُـدْمِـنِ القـرعِ لـلأبـوابِ أن يلجـا

أماإذا كان مصدراً فقد تزيد الباء فيه ، كقول أوس بن حجر :

أُقِيـمُ بـدارِ الحـزْمِ مـادامَ حـزمُهـا وأَحْـرِ إذا حـالـتْ بـأَنْ أتحـوَّلا

وقد تسقط منه ، كقول عليّ بن أبي طالب لعمار بن ياسر ، وقد رآه مقتولاً يومَ صِفّين : « أعْزِز عليَّ أبا اليقظان أن أراك صَريعاً مُجدَّلاً »[2] .

---

(١) يأتي هذا الفعل بمعنى (حسب) وبمعنى (قام مقام غيره في العمل) . وفي المعنى الثاني لا تزيد الباء في فاعله ، كما في الآية : ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ . (الأحزاب : ٢٥) .

(٢) زادت الباء شذوذاً أو للضرورة في فاعل غير هذين الفعلين ، ومثل ذلك ينبغي ألا يؤبه له ، كقول الشاعر :

ألـم يـأتيـك والأنبـاء تنمـي بمـا لاقـت لبون بني زيـادِ

أي : ألم يأتك ما لاقته لبون بني زياد .

د ـ زيادتها في المفعول به :

وتقع الباء زائدة في مفعول الفعل (كفى) الذي بمعنى (حسب) كماتقع في فاعله ، من ذلك ماجاء في الحديث النبوي : « كفى بالمرءِ إثماً أن يحدث بكل ماسمع ». أي : كفى المرءَ إثماً تحديثُه بكل ماسمع . ومن ذلك قول الشاعر :

كفى بالمرءِ عيباً أن تراهُ   له وجهٌ وليس له لسانُ

وتقع كذلك في مفعولات أفعال كثيرة ، مثل : عرف ، وعلم ، وسمع ، وهزَّ ، وأراد ، وألقى ، مثل : عرفتُ بالأمرِ ، وعلمتُ به . وسمعتُ بالخبرِ ، وهززتُ بالسيف ، وأراد بالشر ، وألقى بنفسه ، ومنه : ﴿ ولاتُلْقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (البقرة : ١٩٥) ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة ﴾ (مريم : ٢٥) ﴿ ومن يُرِدْ فيه بإلحاد ﴾ (الحج : ٢٥) . والتقدير في هذه الآيات : ولاتُلقوا أيديكم إلى التهلكة ، وهزي إليك جذع النخلة ، ومن يُرِدْ فيه إلحاداً[1] .

وقد تَزيد في المفعول الثاني للفعل : ظن ، أو وجد ، وأمثالهما ، من ذلك قول دريد بن الصمة :

دعاني أخي والخيلُ بيني وبينه   فلما دعاني لم يجدني بقُعْدُدِ

أي : لم يجدني قُعْدُداً جباناً . ويمكن أن يقال قياساً على ذلك : ما أظنك بقادمٍ ، ولا أحسَبُكَ بنافعٍ .

هـ ـ زيادتها في الحال :

وقد تزيد ـ على قلةٍ ـ في الحال المنفية ، كقول القحيف العقيلي :

فما رجعتْ بخائبةٍ ركابٌ   حكيمُ بن المسيِّبِ مُنتهاها

أي : فما رجعتْ خائبةً ركابٌ ، تقصِد حكيمَ بن المسيب . وقال آخر :

---

(١) ذهب ابن جني إلى أن الباء زائدة في قوله تعالى : ﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾ (المائدة : ٦) ، ولكن الفقهاء يرون أنها أصلية وتفيد البعضية ، أي : امسحوا بعض رؤوسكم .

كـائـنْ دُعيـتُ إلـى بـأسـاءَ داهمـةٍ   فمـا انبعثـتُ بمَـزْؤودٍ ولا وَكِـلِ[1]

أي : ماانبعثتُ مَزْؤوداً ولا وَكِلا .

و ـ زيادتها في اسم التوكيد :

وتزيد الباء أحياناً في اثنين فقط من أسماء التوكيد المعنوي هما : نفس ، وعين . إذ يجوز أن يقال : زارني الأميرُ بنفسه . أو : بعينه . فالباء هنا زائدة ، واسم التوكيد مجرور لفظاً مرفوع محلاً[2] .

٣ ـ زيادة اللام :

ينكر بعض النحاة أن تكون اللام زائدة ، ويرى آخرون أنها كالباء و (من) في مجيئها زائدة ، والصحيح ماذهب إليه الفريق الثاني ، لأن اللام في المواضع التي سوف نذكرها لزيادتها تفقد وظيفة حرف الجر الأصلي ، إذ لاتكون ذات دلالة غير التوكيد ، ولا تساعدالعامل في إيصال أثره إلى المجرور ، ولكنها ـ مع ذلك ـ تصير جزءاً من الفعل أو شبهه .

أما مواضع زيادتها فهي :

آ ـ المفعول به إذا تقدم على فعله ، كقوله تعالى : ﴿ وفي نسختها هُدىً ورحمةٌ للذين هم لربهم يرهبون ﴾ (الأعراف : ١٥٤) ، فالفعل (يرهبون) فعل متعدٍ ، وليس بقاصرٍ أو عاجزٍ في الوصول إلى مفعوله (ربهم) ، وكان يمكن أن يقال : للذين هم ربَّهم يرهبون . كما قيل : ﴿ أفحكمَ الجاهلية يبغون ﴾ (المائدة : ٥٠) ﴿ أغيرَ الله أتخذُ ولياً ﴾ (الأنعام : ١٤) ﴿ قم فأنذرْ ، وربَّك فكبر ، وثيابَك فطهرْ ، والرجزَ فاهجرْ ﴾ (المدثر : ٢ ، ٥) إلا أن تقدم المفعول على فعله فيه شيء من الخروج على المألوف من أمر التركيب ، ولذلك لحقت اللام زائدةً في المفعول به لتزيد الفعل قدرة وتقوية ، ولهذا يسمى النحاة هذه اللام : « لامَ التقوية » . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن

---

(١) كائن : تعني هنا (كم) الخبرية التي تفيد الكثرة . وداهمة : مباغتة ، والمزؤود المذعور . والوكِل : الذي يكِل الأمور إلى غيره .

(٢) هناك مواضع أخرى نادرة رأينا أن نهملها هنا ، ويمكن أن تراجع في همع الهوامع : ١/١٢٧ ، وجواهر الأدب لعلاء الدين الإربلي : ٤٤ وما بعدها .

كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ (يوسف : ٤٣) .

على أنه لايجوز أن تقع هذه اللام الزائدة في مفعول الفعل المتعدي إذا وقع بعد فعله ، ومن هنا أخطأت ليلى الأخيلية في قولها :

أَحجاجُ لاتُعطي العُصاةَ مناهُم ولا الله يعطي للعُصاةِ مناها

فقد زادت اللام في « العصاة » الثانية ، مع أنها مفعول به أول للفعل (يعطي) ولم يتقدم عليه . وكذلك أخطأ الشاعر الآخر في قوله :

وملكتَ مابين العراقِ ويثربِ ملكاً أجارَ لمسلمٍ ومعاهدِ

وكان عليه أن يقول : أجار مسلماً ومعاهداً[1] .

ب ـ وتقع اللام زائدة أيضاً في مفعول مايشبه الفعل ويعمل عمله ، كالمصدر ، واسم الفاعل ومبالغاته . فمن زيادتها في مفعول المصدر قوله تعالى : ﴿ يوم نطوي السماءَ كطي السّجِلّ للكتبِ ﴾ (الأنبياء : ١٠٤) أي كطي السجل الكتبَ . وتقول : فهمُك للدرسِ يدل على فطنة . أي : فهمك الدرسَ . ومن زيادتها في مفعول اسم الفاعلَ قوله : ﴿ والناهون عن المنكرِ والحافظون لحدودِ الله ﴾ (التوبة : ١١٢) . أي : والحافظون حدودَ الله . ومثله : ﴿ ودخل جنته وهو ظالمٌ لنفسه ﴾ (الكهف : ٣٥) . ومثال زيادتها في صيغ المبالغة : ﴿ سَمّاعون للكذب ، أكّالون للسُحْت[2] ﴾ (المائدة : ٤٢) فهذه الأسماء تعمل عمل الفعل المتعدي إذا كانت منه أو كان منها ـ بحسب الاختلاف في مصدر الاشتقاق ـ وهذا يعني أنها في غير ماحاجةٍ إلى مايساعدها ، وإن كان النحاة يسمون هذه اللام ـ كما قلنا ـ لام

---

(١) من الممكن أن يفسَّر هذا بالعودة إلى تاريخ اللغة العربية ، إذ من المحتمل أن يكون إلحاق هذه اللام بالمفعول به قديماً نظاماً متبعاً في الماضي البعيد ، ولذلك ورد شيء منه في القرآن ، وهو قوله تعالى : ﴿ قل : عسى أن يكون رَدِفَ لكم بعضُ الذي تستعجلون ﴾ . (النمل : ٧٢) وإن كان من الجائز أن يقال : إن (ردِف) هنا ضمن معنى (أزِف) ، وأزف هذا يتعدى باللام . غير أن العودة إلى تاريخ اللغة ـ مع شح المورد ـ أمر غير ميسور .

(٢) السحت : بسكون الحاء وضمها ما خبث من المكاسب ، كالرشوة وأمثالها .

التقوية ، لزعمهم أن هذه الأسماء أضعف من الفعل عملاً ، ولذلك تحتاج أحياناً إلى مايقويها .

ج ـ ووقعت اللام زائدةً في مواقع أخرى لم يتفق فيها النحاة على كونها زائدة فيها ، كزيادتها في الفاعل ، نحو قوله تعالى : ﴿ هيهاتَ هيهات لما توعدون ﴾ (المؤمنون : ٣٢) إذا ذهبت قوم إلى أنها زائدة وأن التقدير : هيهات ماتوعدون . أي : بَعُد ماتوعدون . وذهب آخرون إلى غير ذلك[1] .

ووقعت زائدةً بين المضاف والمضاف إليه ، كما في قول سعد بن مالك :

يـا بـؤسَ للحـربِ التـي   وَضَعتْ أراهطَ فاستراحوا

والتقدير عند النحاة الذين يرون هذا : يابؤسَ الحربِ . وزعموا أيضاً أنها زائدة في قول العرب الشائع : لا أبالك . وأمثاله ، مثل : لايَدَيْ لك في هذا . ولنحاةٍ آخرين رأي آخر غير هذا .

٤ ـ **زيادة الكاف** :

ويذهب فريق من النحاة إلى أن الكاف زائدةٌ في قوله تعالى : ﴿ ليس كمثلِهِ شيء ﴾ (الشورى : ١١) أي : ليس كمثلِ الله شيء . ويعني هذا أنها فُرِّغتْ من مَعْنى التشبيه ، وصارت لمجرد التوكيد .

وليس في هذا القول بُعْدٌ عن الصواب ، لأن العامل ـ وهو هنا (ليس) ـ لايحتاج إلى مقوٍّ ليصل إلى المجرور : (مثل) . إذ يمكن أن يقال : ليس شيءٌ مثلُهُ . ثم إنها فرّغت من معنى التشبيه حقاً ، لأن التشبيه هنا لايستقيم ولايُقْصَد ، فلو كانت للتشبيه لصار المعنى : (ليس شيءٌ مثلَ مثلِ الله) . وذلك يعني أن الله مِثلاً ، وماذلك بمقصودٍ في الآية[2] .

(١) انظر في هذا : العكبري (البيتان : ٢/١٤٩) .

(٢) قيل في هذه الآية كلام كثير ، فذهب ناس من النحويين إلى أن (مثل) هي الزائدة . واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴾ . (البقرة : ١٣٧) أي : بما آمنتم به . ويفهم من قول آخرين مثل هذا ، إذ زعموا أن الأصل : (ليس كَهُ شيءُ) ثم أقحمتْ (مثل) لأن جر الضمير بالكاف ليس =

ووقعت الكاف زائدة أيضاً في بعض الأشعار ضرورةً ، من ذلك قول رؤبةُ بن العجاج ، يصف الأُتُنَ :

لواحُق الأقرابِ ، فيها كالمَقَقْ[1]

أي : لواحقُ الأقرابِ ، فيها المَقَقُ . والمقصود : أن هذه الأُتُنَ ضامرة الخصور وطويلة .

ومثل ذلك قول خطام المجاشعي :

وصالياتٍ ككما يُؤَثْفَيْنْ[2]

فالكاف الأولى زائدة[3] ، والمعنى : وأحجارٍ سودٍ كالأحجار اللائي يؤثَفَيْنَ . وزادت الكاف أيضاً في الكلام اليومي غير الأدبي ، فقد سئل أحد الأعراب : كيف تَصْنعونَ الأقِط ؟ فأجاب : كهيّن . أي : صنعه هين .

حرف الجر الشبيه بالزائد

ذكرنا من قبل أن حرف الجر الشبيه بالزائد هو ماكانت له وظيفة دلالية ،

= بجيد . وذهب فريق ثالث إلى أن (مثل) تستخدم أحياناً لتكون كناية عن الذات في ضربٍ من ضروب المبالغة . فإذا قالوا : مثلي لا يقال له هذا ، عَنَوْا أن من كان متصفاً بصفاتي وله من المزايا مثل ما لي لا يقال له هذا . ومن ذلك قولهم : مثلك يعرف الفضل لأهله ، ومثلي لا يغضي على القذى ، ومثله يقنع باليسير . وهذه العبارات كنايات عن : أنت تعرف الفضل لأهله . وأنا لا أغضي على القذى . وهو يقنع باليسير . لأنه إذا كان الحكم يثبت لمن هو مثله ، أو يُنفى عنه ، فإثباته له أو نفيه عنه أولى . هذه آراء النحاة في الآية ، أما آراء أهل الفلسفة والتوحيد فمتعددة ، انظر فيها : التفسير الكبير ، للرازي : ٢٧/ ١٥٢ وما بعدها .

(١) لواحق الأقراب : ضوامِر الخواصر . والمقق : الطول .

(٢) الصاليات : الأحجار السود ، لأنها صُليت بالنار . وهي أحجار توضع تحت القدر . ويؤثفين : تُنصب وتُثبَّت . أي : ورأى من آثار الديار حجارة سوداً كالتي تستعمل أثافي .

(٣) وقيل : هي أصلية والكاف الثانية اسم بمعنى مثل .

وليس بمقوٍّ للفعلِ أو شبه الفعل ، كالذي عليه « رُبَّ » . غير أن بعض النحاة يضيفون إليها : خلا ، وعدا ، وحاشا ، ولعل ، ولولا . فلكل من هذه الأحرف دلالات غير التوكيد ، وفي أجل ذلك لا يمكن أن يكون زائداً أما حاجة الفعل أو شبهه إليه فالنحاة مختلفون في تحديدها فيما عدا (رُبَّ) وسوف نفصل الحديث في هذا بَعْدُ ، أما الذي يهمنا الآن فهوأن (رُبَّ) موضع اتفاقٍ بين جمهور النحويين على أنها حرف جر شبيه بالزائد . ويرجح كثيرون أن تكون (لعل ولولا) كذلك ، على حين يرى الأكثرون أن : خلا ، وعدا ، وحاشا ، حروف جر أصلية لاشبيهة بالزائدة . وسوف نتحدث هنا عن (رُبّ) تاركين الحديث عن الأخريات إلى مواضعها الخاصة بها .

الكلام على (رُبَّ)[1]

آ ـ معناها :

قلنا من قبل : إن لهذا الحرف معنى خاصاً ، فما هو ؟

لانريد هنا أن ندخل في متاهات الخلاف والجدل التي دخل فيها القدماء في تحديدهم لمعنى (رُبَّ) ، ولكننا سنكتفي بالقول : إنها ذات معنى تركيبي سياقي ، وهذا يعني أنها لاتحمل معنى واحداً ثابتاً يكون لها حيثما كانت ، غير أنها مع ذلك لاتخرج على أحد معنيين ، هما : الكثرة ، والقلة . انظر قول المبرد في حديثه عن شاعرية الخنساء وليلى الأخيلية :

« رُبَّ امرأةٍ تقدمت في صناعةٍ ، وقلما يكون ذلك » .

فهو هنا يجعل « رُبَّ » للتقليل صراحةً . ويمكن أن نحمل عليه الحديث النبوي : « نضَّر الله امرأً سمع منّا شيئاً فبلَّغَهُ كما سمعه ، فرُبَّ مبلَّغٍ أوعى من سامعٍ »

وقول سيف الدولة الحمداني :

(١) هناك كلام كثير على تصنيف (رب) : أحرفٌ هي أم اسم ؟ وعلى تكوينها الصوتيِ ، أو لغاتها ، كما يقول القدماء ، وسوف نفصل الحديث في ذلك في كتاب آخر نعده للجمل وأشباهها وللأدوات .

رُبَّ هجرٍ يكون من خوفِ هجرٍ   وفــراقٍ يكــون خــوفَ فــراقِ

ولكنهاللتكثير لاللتقليل في قول الأعشى يفتخر :

رُبَّ رَفْــدٍ هَــرَقْتُــهُ ذلــك اليــو   مَ وأســرى مــن معشــرٍ أقيــالِ[1]

فلو كانت (رب) هنا للتقليل لكان المعنى ضعيفاً ، إذ لامعنى لأن يفتخر الأنسان بالشيء القليل . ومثله قول امرىء القيس :

فيــارُبَّ مكــروبٍ كــررْتُ وراءَهُ   وعانٍ فككتُ الغُلَّ عنه ففَدّاني[2]

فهو يفتخر بكثرة المكروبين الذين ساعدهم وأنقذهم من الموت ، وبكثرة الأسرى الذين فك أسرهم . ومن هذا قولُ أعرابي وقد رأى هلال شوال الذي يؤذن بانتهاء رمضان : « يارُبَّ صائمه لن يصومه ، ويارب قائمه لن يقومه » . يريد أن كثيراً من الذين صاموا رمضان في عامهم هذا سيموتون ، فلن يتاح لهم الصوم في الأعوام المقبلة ، وأن كثيراً ممن قاموا لياليه ذلك العام لن يقوموها فيما يستقبل من أيام ، للسبب نفسه .

ب ـ إضمارها :

كثيراً ماتضمر « رُبَّ» في لغة الشعر ويبقى عملها ، وغالباً مايكون هذا الإضمار بعد الواو ، ويقل بعد الفاء . ويندر بعد (بل) أو من دون شيء .

والحق أن إضمارها بعدَ الواو أكثر من أن يحصى ، من ذلك قول امرىء القيس المشهور :

وليلٍ كموج البحرِ أرخى سدوله   علــيَّ بــأنــواع الهمــوم ليبتلــي

أي : ورُبَّ ليلٍ . ومنه أيضاً قول الشنفرى :

وخَرْقٍ كظهـرِ التُرْسِ قَفْرٍ قطعتُـهُ   بعـاملتيـن ، ظهـرُهُ ليس يعمـلُ[3]

(١) لرِفْد : بكسر الراء ، العطاء . وبفتحها ، القدح الكبير . والأقيال : الملوك ، والمفرد : قَيْل . ويروى : أقتال : جمع قِتْل ، وهو العدو .

(٢) المكروب : الذي أحاط به العدو في الحرب . والعاني : الأسير . وفدّاني : قال لي : أنا فداك .

(٣) الخرق : الفلاة الواسعة . وشبهها بـ (ظهر الترس) لاستوائها . والعاملتان : رجلاه .

ومن إضمارها بعد الفاء قول امرىء القيس :

فمثلِكِ حُبْلى قد طرقتُ ومرضعٍ فألهيتُها عن ذي تمائم مُحْوِلِ

وقول المنخل اليشكري :

فحورٍ قد لهوتُ بهِنَّ عِينٍ نواعِمَ في المُروطِ وفي الرِياط[1]

ومن أمثلة إضمارها بعد (بل) قول رؤبة بن العجاج :

بل بلدٍ ملءِ الفِجاجِ قَتَمُهْ لايُشْتَرى كَتَّانُهُ وجَهْرَمُهْ[2]

ومن أمثلة إضمارها من دون شيء قول جميل بثينة :

رسمِ دارٍ وقفتُ في طَلَلِهْ كِدْتُ أقضي الحياةَ من جَلَلِهْ

وقول الآخر :

مثلِكِ أو خيرٍ تركتُ رَذِيّةً تقلّبُ عينيها إذا طار طائرُ[3]

وهذه الأحرف التي تضمر بعدها (رب) قد تكون استئنافية كالواو والفاء ، وقد تكون حرف ابتداء كـ (بل) ، وقد تكون رابطةً لجواب الشرط كالفاء وحدها ، كما في قول ربيعة بن مقروم الضبي :

فإن أهلِكْ فذي حَنَقٍ لظاهُ عليَّ تكادُ تلتهبُ التهابا

ج ـ الخصائص التركيبية لجملة (رُبّ) :

تتميز الجملة التي تقع فيها (رُبّ) بخصائص تركيبية محددة ، هي :

١ ـ تَصَدُّرُ «رُبَّ» :

لابد أن تقع « رُبَّ » في صدر الجملة ، أي في بدايتها ، ولكن من الممكن أن تسبق بحرف استئناف ، أو حرف رابطٍ لجواب شرط ، لأنها لاتتميز بتمام الصدارة ، ففي الحديث النبوي الذي مَرّ بنا من قبل وقعت « رب » بعد فاء الاستئناف : « فرب مبلغٍ أوعى من سامع » . ولكنها في صدر الجملة . وانظر قول المثقِّب العبدي :

---

(١) المروط : الأزر المُعْلَمة . والرِياط : جمع ريْطة ، وهي الملاءة .

(٢) القتم : الغبار . والجهرم : بُسط من الشعر .

(٣) الرذية : الناقة المنهكة العاجزة عن اللحاق بالركاب . ومعنى تقلب عينيها : تخاف من الطير وتحذر أن يقع عليها فيأكل منها .

أجـدَّكِ مـايـدريـكِ أَنْ رُبَّ بلـدةٍ إذا الشمسُ في الأيامِ طال ركودُها
قطعـتُ بفتـلاءِ اليـديْـنِ ذَرِيعـةٍ يَغُـولُ البـلادَ سَـوْمُهـا وبَـريـدُهـا

وأصل الجملة : « مايدريكِ أن رب بلدةٍ قطعتُ . . . » فـ (أَنْ) الواقعة قبل (رب) هي المخففة من (أَنَّ) ، واسمها ضمير محذوف ، وخبرها جملة « رب بلدةٍ قطعتُ » ، وهذا يعني أن « رب » واقعة في صدر الجملة الخبرية .

ويترتب على هذه السمة في موقع « رب » أن مَجْرورها لايَعْمل في محله عاملٌ متقدمٌ عليه ، بل متأخر عنه ، فإذا كان مفعولاً به مثلاً وجب أن يكون فعلـه بعـده ، كمـا رأيت فـي الجملـة السـابقـة ، فـ (بلـدة) مجـرور لفظـاً بـ (رب) ، منصوب محلاً لأنه مفعول به مقدم للفعل (قطعت) ، ومثله قولُك : رُبَّ كتابٍ مفيدٍ قرأتُ على عجلٍ . ورُبَّ دواءٍ شربتُ ولم أنتفعْ به . ورب بحثٍ طويلٍ كتبتُ ثم أعدت النظر فيه .

٢ ـ تنكير مجرورها :

وتختص « رب » بجر النكرات دون المعارف ، ولعلك لاحظت هذا في جميع الأمثلة المتقدمة ، على أنه قد يكون مفرداً كقول جميل :

ألا قد أرى والله أن رُبَّ عَبْرةٍ إذا الدارُ شطت بيننا ستَرُودُ

وقد يكون جمعاً ، كقول الآخر :

وربَّ أمـورٍ لاتضيـرُكَ ضَيْـرةً وللقلب من مَخْشاتِهنَّ وجيبُ

وقد يكون مثنى ، تقول : رُبَّ طفلينِ عربيين فاقا طفلين فرنسيين . ولكنه يحافظ على تنكيره مهما كانت دلالته على العدد .

ولكن يجب الاحتراز هنا والانتباه ـ فإن (رب) قد تجر ماظاهره معرفة ، لأنها مضافٌ ـ مثلاً ـ إلى معرفة كقول أبي محجن الثقفي :

يارُبَّ مثلِكِ في النساءِ غَريرةٍ بيضـاءَ قـد متعتُهـا بطـلاقِ

فإن (مثل) أضيف إلى الكاف ، وهي ضمير المخاطبة ، والضمير معرفة ، غير أن (مثل) اسم مُغْرِق في التنكير وكثيراً مايقع مضافاً إلى معرفة ، ولايكتسب تعريفاً ، ومثله في هذه السمة : غير . ومن ذلك أيضاً قول جرير :

يارُبَّ غابطنا لو جاء يطلبكم لاقى مباعدةً منكم وحِرْمانا

فـ « غابط » أضيف إلى الضمير ، ولكن هذه الإضافة لفظية لامعنوية ـ وسوف تعرف ذلك في مبحث للمضاف إليه ـ وهذا النوع من الإضافة لايكتسب فيه المضاف تعريفاً من المضاف إليه . وكذلك قول الشاعر :

رُبَّ مَنْ أنضجتُ غيظاً قلْبَهُ قد تمنّى ليَ موتاً لم يُطَعْ

فـ (مَنْ) هذه نكرة موصوفة ، وليست اسماً موصولاً ، ولهذا ساغ أن تقع موقع المجرور بـ (رُبَّ) . وقد تجر الضمير إذا كان غائباً مفسرًا بتمييز ، كما ترى في هذا البيت الذي أنشده ثعلب ، وهو إمام نحاة الكوفة لزمنه :

واهٍ رأبتُ وشيكاً صَدْعَ أعظُمِهِ وربَّهُ عطِباً أنقذتُ من عَطَبِهْ

وهذا الضمير عند بعض النحاة نكرة لأنه فُسِّرَ بها ، ويرى آخرون أنه ليس بنكرة بل في حكمها[1] .

٣ ـ وصف مجرورها ومتعلقه المعنوي :

ولمجرور (رب) حالان ، فقد يكون موصوفاً ، وقد يكون غير موصوف ، مثال الأول قول امرىء القيس :

ألا رُبَّ يومٍ لك منهنَّ صالحٍ ولاسيما يوم بدارة جلجل

ومثال الثاني قول جميل بثينة :

ألا قد أرى والله أن رُبَّ عَبْرةٍ إذا الدارُ شطتْ بيننا سَتَرُودُ[2]

---

(١) إذا عاد الضمير إلى نكرة مثل : رأيت رجلاً فأكرمته . فإنه لا يكون نكرة بل معرفة ، لأنه حل محل اسم معرَّف بأل التي تكون للعهد الذكري ، إذ الأصل : رأيت رجلاً فأكرمتُ الرجلَ .

(٢) يرى كثير من النحاة أن وصف مجرور (رُبَّ) واجب ولا بُدَّ منه ، ويعللون ذلك بأنها تدل على القليل ، فإذا جاء المجرور بها اسم جنس ، كان في ذلك دلالة على الكثير ، ولهذا لا بد من وصفه ، لأن الصفة تحدد موصوفها وتقيده ، وفي ذلك تقليل له . فإذا قلت : رب رجلٍ لقيتُ . دل (رجل) على كثرة وشيوع . أما إذا قلت : رب رجلٍ عالمٍ لقيت . فإن الرجال العلماء أقل من (الرجال) عامةً . وهذا الكلام يشبه أن يكون منطقاً يُفرض على اللغة ، مع أن النصوص المنقولة تثبت أن (رُبَّ) تدل على القلة في موضع وعلى الكثرة في موضع آخر ، ويأتي مجرورها موصوفاً مرة وغير موصوف مرة أخرى .

ولابد لمجرور « رُبَّ» من متعلق معنوي يكتمل به معنى الجملة العام ، يذكر أحياناً في الكلام ، ويحذف منه طوراً[١] ، ولابد من تقديره إذا جذف ، فهو محذوف مثلاً في بيت امرىء القيس السابق ، وتقديره : استمتعتَ به . ومثله قول هند بنت عتبة :

يـــارُبَّ قـــائلـــةٍ غـــداً   يـــالهـــفَ أمِّ معـــاويـــهْ

وتقديره : سأصادفها ، أو : سأقابلها . ومن ذلك أيضاً قول جميل :

ولرُبَّ عارضةٍ علينا وصلها   بالجِد تخلِطُهُ بقولِ الهازلِ

وتقديره : رفضت عرضها ، أو : لم أبالِ بها[٢] .

٤ ـ إعراب مجرورها :

أما الوظيفة الإعرابية التي يشغلها مجرور (رب) فلا تكاد تزيد على أربع وظائف ، هي : المبتدأ ، والمفعول به ، والمفعول فيه ، والمفعول المطلق .

آ ـ وقوعه مبتدأ :

يغلب على مجرور (رب) أن يكون مبتدا ، وذلك إذا لم يكن متعلقه

(١) يرى معظم نحاة البصرة أن متعلق (رُبَّ) غالب الحذف ونادر الظهور ، ويرى بعضهم أنه واجب الحذف ، وأنه إذا ظهر فظهوره ضرورة شعرية ، ولذلك يؤوّلون ما يبدو في الكلام متعلقاً ، ويقدرونه صفة ، ويقدرون متعلقاً آخر . وفي هذا تكلف ، وتصرف غير حميد في نصوص اللغة ، وعلى هذا يكون قول العرب في المثل المشهور : « رب أخٍ لك لم تلده أمك » .
وقولهم : « رب ضارة نافعةٌ » غير تامين ، ولا بد من تقدير متعلق ، وهذا مرفوض ، يضاف إلى ذلك أقوال كثيرة ظاهرة التمام مثل : « ربَّ رميةٍ من غيرِ رام » ومثل قول ثابت بن قطنة ، يرثي يزيد بن المهلب :

إن يقتلـوك فـإن قتلـك لـم يكـن   عاراً عليك ، ورُبَّ قتلٍ عارُ

(٢) يرى بعض النحاة أن متعلق (رب) يجب أن يكون فعلاً ماضياً ، أو مضارعاً مجزوماً بلم ، وهذا ليس بصحيح ، إذ لا يمكن أن يكون ماضياً في بيت هند وبيت جميل الأول ، وعلى هذا يمكن أن يكون فعلاً ماضياً أو مضارعاً أو اسماً لا فعلاً ، كما مر بك آنفاً .

فعلاً ، أو كان فعلاً لازماً ، أو كان فعلاً متعدياً استوفى مفعوله ، كما ترى في الأمثلة التالية :

- رب رميةٍ من غيرِ رامٍ .

إن المتعلق هنا شبه جملة (من غير رامٍ) أو كون عام محذوف (كائنة) ، وفي الحالين يعرب مجرور (رب) مبتدأ مجروراً لفظاً برب ، مرفوعاً محلاً .

- رب نفسٍ ذكيةٍ لم تظفرِ بحاجتها .

المتعلق هنا هو الفعل (لم تظفر) ، وهو فعل لازم لاينصب مفعولاً به ولا يحتاج إليه ، ولذلك كان المجرور برب ، وهو(نفس) مبتدأ مجروراً لفظاً مرفوعاً محلاً .

- رب أخٍ لك لم تلده أمك .

المتعلق هنا هو الفعل (تلد) وهو فعل متعدٍ ، إلا أنه استوفى مفعوله ، وهو ضمير الغائب المتصل به ، ولذلك كان المجرور برب (أخ) مبتدأ مجروراً لفظاً مرفوعاً محلاً .

وفي هذه الحال يكون خبره اسماً ظاهراً مثل (نافعة) في قول العرب : ربَّ ضارةٍ نافعةٌ . أو جملة اسمية مثل : رُبَّ عَيْشٍ صَعْبٍ أخفُّ منه الحِمامُ . أو جملة فعليه ، كجملة (لم تلده أمك) في العبارة السابقة ، أو شبه جملة مثل : (من غير رامٍ) .

ب - مفعول به مقدم :

وإذا كان متعلقه المعنوي فعلاً متعدياً لم يستوفِ مفعوله في الكلام الذي يلي مجرور (رب) فإنه يكون هوالمفعول المستوفى ، مثل :

ربَّ دواءٍ شربتُ ولم أنتفع به .

المتعلق هنا هو الفعل (شربتُ) ، وهو فعل متعدٍ لم يستوف مفعوله في الكلام الوارد بعد مجرور (رب) ، ولذلك كان (دواء) اسماً مجروراً لفظاً ، منصوباً محلاً على أنه مفعول به للفعل (شربتُ) .

ج ـ مفعول فيه :

وقد يكون مجرورها ظرفَ زمانٍ ، أو ظرفَ مكان ، معلقاً بمتعلقها المعنوي ، وفي هذه الحال يكون فعلاً ، مثل :

رُبَّ يومٍ بهيج أقمتُ في الريفِ .

فـ « يوم » اسم مجرور لفظاً ، منصوب محلاً ، على أنه ظرف زمان ، معلق بالفعل (أقمت) . ومثل :

رُبَّ ميلٍ من الأرضِ الصلبة مشيتُ بغيةَ الرياضة .

فـ « ميل » اسم مجرور لفظاً ، منصوب محلاً ، على أنه ظرف مكان ، معلق بالفعل (مشيتُ) .

د ـ مفعول مطلق :

وقد يكون مفعولاً مطلقاً إذا كان مصدراً للفعل العامل فيه أو كان آلته أو مرادفه أو نوعه أو شيئاً من ذلك ، مثل :

ـ رُبَّ سَوْطٍ ضُرِبَ المذنبُ ولم يَرْعَوِ .

و ـ ربَّ دعوةٍ خالصةٍ دعوتُ فلم تُسْتجبْ .

فكل من (سوط) و (دعوة) مفعول مطلق مجرور لفظاً، منصوب محلاً[1].

تعليق حرف الجر ومجروره :

هذه الفقرة تلزم المُعْرِبَ أو الذي يحلل الجملة ، لأنها تتناول نوعاً من الإجراء في ممارسة الإعراب ، إذ لابد في إعراب الجار والمجرور من أن يذكر المُعْرِبُ العاملَ الذي يتعلقان به ، فكيف يتم ذلك بوجه صحيح ؟

(١) يبني النحاة على ظاهرة الجر بـ (رب) لفظاً ، والرفع أو النصب محلاً قاعدةً لا تكاد تظهر في نصوص اللغة المنقولة ، وهي أن تابع المجرور بـ (رب) ، سواء أكان صفة أم بدلاً أم معطوفاً أم مؤكِداً ، تجوز فيه حان : الجر على اللفظ ، والرفع أو النصب على المحل ، تقول : رب حكمٍ عادلٍ (أو عادلٌ) أجادَ في حكمه . ورب دواءٍ (ناجعٍ أو ناجعاً) شربتُ . ورب حكمٍ عادلٍ (ووزيرٌ صالحٌ أو وزيرٍ صالحٍ) عاشا حياة طيبة ، وهكذا . .

قلنا من قبل : إن حرف الجر الأصلي يوصل أثر الفعل أو شبهه إلى مجروره ، ويتمم معناه ، وهذا يعني أنه هو ومجروره متعلقان به ، إذ معنى التعليق هو تعيين العامل الذي يتمم الحرف معناه ويوصل أثره إلى الاسم المجرور به ، مثل : ذهبتُ إلى الحديقة . ونمتُ على السرير . وأقمتُ في المدينة . فالجار والمجرور في كل جملة معلقان بالفعل المتقدم عليه . على أنه لايُشترط أن يكون العامل سابقاً للجار والمجرور ، فقد يتقدمان عليه ، كما جاء في الحديث النبوي : « اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت » . فأنت ترى في هذه الجمل المتقدمة أن الجار والمجرور سبقا الفعل ولم يتأخرا عنه ، وهذا يعني أن المهم في الأمر هو اعتماد المعنى في تحديد العامل في الجار والمجرور .

ولكن بمَ يتعلقان ؟

آ ـ تعلقهما بالفعل :

وقد مر قبل قليل أمثلة كثيرة على ذلك ، فلا داعي للتكرار .

ب ـ بشبه الفعل :

وهو : اسم الفعل ، والمصدر ، والمشتقات [اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، وصيغ المبالغة بأنواعها][1] .

وذلك كالأمثلة التالية :

- حذار من أُسْد العرين . ← باسم الفعل (حذار) .
- إن اهتمامك باللغة والأدب قليل . ← بالمصدر (اهتمام) .
- إنه ساهرٌ على راحةِ شعبه . ← باسم الفاعل (ساهر) .
- إنه مَحْزونٌ من نتائج الامتحان . ← باسم الفاعل (محزون) .
- إنه لسعيدٌ في وطنه . ← بالصفة المشبهة (سعيد) .

(١) قد تكون صيغة مبالغة لاسم الفاعل مثل : سميع وحفيظ . أو صيغة مبالغة لاسم المفعول ، مثل : جريح ، وطحين . أو صيغة مبالغة للصفة المشبهة ، مثل : سِكّير .

- إنه لأشهى إليَّ من ذاك . ← باسم التفضيل (أشهى) .

- إنه سميع الدعاء في الشدائد . ← بصيغة المبالغة (سميع) .

ج - بما يؤول بشبه الفعل :

قد يحول السياقُ الاسمَ الجامد إلى اسم مشتق من حيث الدلالة والتأثير ، فـ « الأخ ، والأب ، والأم ، أسماء جامدة في الأصل ، ولكن إذا قلت : هو أخي في الشدة ، وأبي في المساعدة ، وأمي في الحنو . تحولت هذه الأسماء في دلالتها إلى مشتقات ، لأنها تفيد ماتفيده المشتقات من معانٍ صرفية ، فكأنك قلت : هو شِبْهُ أخي أو أبي أو أمي[1] . وإذا قلت : هو عنترةُ في الحرب ، وحاتمٌ في أيام المجاعة ، وأسدٌ في البلاء . فكأنك قلت : هو شجاع في الحرب ، وكريم في المجاعة ، وقوي في البلاء .

د - تعليقهما بمحذوف :

غير أن هذه المتعلَّقات تذكر حيناً ، وتُضمر حيناً آخر ، إلا أنها لاتضمر إلا إذا كان موقعها الإعرابي واحداً من أربعة :

- الخبر : مثل : الكتابُ في البيت . أي : كائن في البيت . ومثل ذلك قولك : الحقيقة في الصدور . وكانت الفصاحة في البادية العربية . وإن اللآلىء في البحر .

- الصفة : مثل : هذا شاعر من دمشق . أي : دمشقي ، أو : كائن من دمشق . ومثله : هذه قِلادةٌ على غانية . أي : كائنة على غانية .

- الحال : مثل : كأن النجومَ على صدر السماءِ قلادةٌ ماسية . أي : كائنةً على صدر السماء .

- في صلة الموصول : مثل : عرفتُ مافي يدك . أي : ماوُجد في يدك ، أو ما استقر في يدك .

ولعلك لاحظت أن متعلق الجار والمجرور إذا كان مشتقا يمكن أن يحذف في ثلاثة مواضع : إذا كان خبراً ، أو صفة ، أو حالاً ، وإذا كان فعلاً

(١) وهذا مبني على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه .

يمكن أن يحذف إذا كان في صلة للموصول .

وهناك ملاحظة أخرى ، هي أن المتعلَّق به يقدَّر صفة إذا وقع الجار والمجرور بعد نكرة ، ويقدر حالاً إذا وقعا بعد معرفة .

زيادة « ما » بعد حرف الجر :

وفي حروف الجر ظاهرة بالغة الأهمية ، هي وقوع « ما » زائدةً بين بعض أحرف الجر والمجرور به ، ولذلك وجهان : فإما أن يبقى لحرف الجر عمله ، وإما أن يكثر إلغاء عمله ، وذلك كما يلي :

آ ـ بقاء العمل :

فإذا زادت (ما) بعد الباء أو (من) أو (عن) بقي العمل ، وذلك كما ترى في قوله تعالى : ﴿ فبما نقضِهم ميثاقَهم وكفرهم بآيات الله . . . ﴾ (النساء : ١٥٥) وقوله : ﴿ فبما نقضِهم ميثاقَهم لعناهم ﴾ (المائدة : ١٣) وقوله : ﴿ فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ﴾ (آل عمران : ١٥٩) . فأنت ترى أن (ما) زيدت بعد الباء ، وبقي عمل الباء ، وتقول في إعرابها : الباء حرف جر . (ما) : زائدة غير كافة . نقضهم ، أو رحمةٍ : اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

وكذلك الشأن إذا زيدت بعد (من) ، من ذلك قوله : ﴿ مما خطيئاتِهم أُغرِقوا ﴾ (نوح : ٢٢٥) وقوله : ﴿ عما قليلٍ لَيصبِحُنَّ نادمين ﴾ (المؤمنون : ٤٠) وتقول قياساً على ذلك : سيصل أخي عما قريبٍ . وأخذتُ الكتابَ مما أخيك .

ب ـ إلغاء عمله بكثره :

أما إذا زيدت بعد (رُبَّ) والكاف ، فالأكثر في هذا إلغاء العمل ، وحينئذٍ تدخل (رب) أو الكاف على إحدى الجملتين : الاسمية والفعلية ، فمن دخول (رب) على الفعلية قول جَذِيمة الأبرش :

ربَّما أوفيتُ في عَلَمٍ ترفَعَنْ ثوبي شَمالاتُ

وقول الآخر :

ربما تجزعُ النفوس من الأَمْـ ـرِ له فَرْجةٌ كحلِّ العِقالِ

ومن دخولها على الجملة الاسمية قول أبي دؤاد الإيادي :

ربما الجامِلُ المؤبَّلُ فيهم وعناجيجُ بينهُنَّ المِهارُ[1]

ويعرب مثل هذا التركيب كما يلي :

ربما : كافة ومكفوفة . أو : رب : حرف جر شبيه بالزائد كُف عن العمل . و (ما) زائدة كافة .

الجاملُ : مبتدأ مرفوع . والمؤبل : صفة له . وخبر المبتدأ محذوف يتعلق به الجار والمجرور (فيهم) ، وتقديره : كائنٌ .

وكذلك الشأن في الكاف فقد تدخل على جملة فعلية ، كما ترى في قول رؤبة بن العجاج ، في أحد تخريجاته :

لاتشتُم الناس كما لاتُشْتَمُ

أو على جملة اسمية كما في قول نَهْشل التميمي :

أخ ماجدٌ لم يُخزني يومَ مشهدٍ كما سيفُ عمرٍو لم تخنه مضارِبُهْ

فالكاف : حرف جر كف عن العمل . و(ما) زائدة كافة . وسيف : مبتدأ وخبره جملة (لم تخنه مضاربه) . وقد يكون خبر الجملة الاسمية محذوفاً ، كقول زياد الأعجم :

وأعلمُ أنني وأبا حُمَيْدٍ كما النشوانُ والرجلُ الحليم

أي : كما النشوانُ والرجلُ الحليم يكونانِ .

ومن القليل دخول (ما) زائدةً على (رب) والكاف وبقاء العمل ، من ذلك قول عمرو بن براقة الهمذاني :

وننصرُ مولانا ونعلمُ أنه كما الناسِ مَجْرومٌ عليه وجارمُ

أي أنه : كالناسِ . ومن ذلك أيضاً قول عديَ بن الرعلاء :

ربما ضربةٍ بسَيفٍ صقيلٍ بين بُصْرى وطعنةٍ نجلاءِ

---

(١) الجامل : القطيع من الإبل مع رعاته . المؤبَّل : صفة للجامل ، والمراد بها : كثير الإبل التي تُقْتنى . العناجيج : جمع مفرده : عنجوج ، وهو الحصان الجيد الطويل العنق . والمهار : أولاد الفرس ، واحدها : مُهْر .

حذف حرف الجر وإضماره :

سنستخدم في هذه الفقرة المصطلحين : الحذف والإضمار ، لنريد بالأول استغناء الكلام عن حرف الجر ، وعن عمله . ولنريد بالثاني بقاء أثر حرف الجر من حيث المعنى والعمل وإن كان غير ملفوظ في الكلام .

آ ـ حذفه :

قد يحذف حرف الجر ويُستغنى عنه معنىً وعملاً ، وهذا أقسام : فمنه مايحذف فيه لكثرة استعمال العبارة التي يدخل فيها ، كحذف اللام بعد الفعلين : شكر ونصح . إذ يقال : شكر له ، ونصح لأخيه . ويقال أيضاً : شكره ونصح أخاه . فلما حذف حرف الجر صار الاسم المجرور مرتبطاً بالفعل ارتباط المفعول به ، ولذلك يقال في إعرابه : « اسم منصوب بنزع الخافض » . ومعنى هذه العبارة أن الاسم المجرور صار كالمفعول به بعد حذف حرف الجر ، فانتصب بالفعل الذي كان يتعدى بالحرف . ويدلك على أن هذا المنصوب كالمفعول به أمران :

الأول أن المجرور بالحرف كالمفعول به أصلاً ، لأن حرف الجر ـ كما قلنا غير مرة ـ يوصل أثر الفعل القاصر إلى المجرور به ، ولذلك أجاز بعض النحاة القدماء العطف بالنصب على محل الجار والمجرور ، مثل : مررتُ بخالدٍ وسعيداً .

والثاني أن المنصوب بنزع الخافض يرفع على أنه نائب فاعل إذا بني الفعل للمجهول ، تقول : نُصِحَ أخوك ، وشكر أبوك[1] .

ومن هذه الأفعال التي حذف بعدها حرف الجر لكثرة الاستعمال : كفر ، ودخل ، وكال ، يقال : كفر بالنعمةِ وكفرَ النعمةَ . ودخل إلى البيتِ ودخل البيتَ ، وكال للناسِ وكالَ الناسَ[2] .

(١) وفي بعض الأحيان تكون الجملة خالية من الفعل ، مثل : لا بُدَّ أن تذهبَ . وسوف ترى الحديث عن هذا .

(٢) لبعض النحاة في هذه الأفعال أقوال أخرى ، لا نرى ضرورة لذكرها .

وهناك قسم آخر من الأفعال حذف بعدها حرف الجر في بعض العبارات ، ولذلك رأى النحاة أنه لايحذف إلا فيها ، ولايجوز حذفه في غيرها ، من ذلك أنهم كانوا يقولون : ذهبتُ الشامَ . وتوجهتُ مكةَ . ولكن لايقال مثلاً : ذهبتُ الحجازَ أو العراقَ أو ما أشبه ذلك . كما لايقال : توجهتُ المدينةَ أو بغدادَ أو حَلبَ . ومما سمع من هذا في لغة الشعر قول جرير :

تمرونَ الديارَ ولم تعوجوا كلامُكمُ عليَّ إذاً حرامُ

وقول عمر بن أبي ربيعة :

غضبتْ أن نظرتُ نحو نساءٍ ليس يعرفننا مررن الطريقا

فالتقدير فيهما : تمرون بالديار ، ومررنَ بالطريقِ . ولكن لايقال : مررتُ زيداً . أو : مررت الجامعةَ ، وأمثال ذلك قياساً على قول جرير أو عمر .

وثمة قسم ثالث حذف بعده حرف الجر في فصيح الكلام ، وهذا يؤذن بالقياس عليه ، كحذف (مِنْ) بعد الفعل (اختار) إذا أُمِن اللبس ، كما ترى في قَوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومَه سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾ (الأعراف : ١٥٥) وفي قول الفرزدق :

ومنا الذي اختير الرجالَ سماحةً وجوداً إذا هبَّ الرياحُ الزعازعُ

والتقدير : اختار موسى من قومه . واختير من الرجالِ . وكانوا يقولون : أقمت ثلاثاً ما أذوقهنَّ طعاماً ولاشراباً . أي : ما أذوق فيهنَّ .

واللغة الشائعة في هذا أن ينصب المجرور بعد حذف حرف الجر ، ولكن خالف الفرزدق هذا الحكمَ في قوله :

إذا قيلَ أيُّ الناس شرُّ قبيلةٍ أشارت كليبٍ بالأكفِّ الأصابعُ

أي أشارت إلى كَليبٍ .

ب ـ إضمارُه :

ويضمر حرف الجر ويبقى عمله ، وذلك في المواضع الآتية :

١ ـ إذا كان مجروره مصدراً مؤولاً من (أَنْ) أو (أَنَّ) ومايليهما ، تقول : لابدَّ من أن تذهبَ . وتقول : لابد أن تذهبَ . فالمصدر المؤول من

(أن) والفعل (تذهب) في الجملة الثانية في محل جر بحرف جر مضمر تقديره : لابد من الذهاب . ولو أنك أظهرت المصدر صريحاً لما جاز لك حذف (من) ، إذ لايقال : لابُدَّ الذهابَ . وتقول قياساً على ماتقدم : اضطررت إلى أن أذهبَ ، واضطررت أن أذهبَ . وعجبتُ من أنك حاضرٌ ، وعجبتُ أنّك حاضرٌ[1] .

٢ ـ وتضمر (رُبَّ) ـ كما رأينا ـ بعد الواو والفاء و (بل) ، ويبقى عملها ، ولن نعيد الكلام هنا ، ولن نذكر غير ماذكرناه هناك من أمثلة .

٣ ـ ويضمر حرف الجر الدال على القسم ويعوض عنه ـ فيما يرى سيبويه ـ بهمزةِ الاستفهام ، أو قطع همزة الوصل ، أو (ها) الدالة على التنبيه ، يقال : آلله فعلت كذا ؟ ويقال :أ الله لا أفعلُ هذا . وها الله لا أفعله .

٤ ـ وتضمر اللام في قولهم : لله أبوك ، فيقال : لاهِ أبوك . قال ذو الإصبع العدواني :

لاهِ ابنُ عمكَ لا أَفْضَلتَ في حَسَبٍ ... عني ، ولا أنت دياني فتخزوني

وقال عمر بن أبي ربيعة :

قلتُ : كلا ، لاهِ ابن عمكِ بل خِفْـ ... ـنا أموراً كنا بها أغمارا

أحرف تقع أسماءً :

هناك أربعة أحرف جارة تستخدم أسماءً في بعض الأحيان ، ويتميز هذا في موقعها من الجملة لامن أشياء أخرى ، فهي مثلاً لاتعرَّف بـ (أل) ، ولاتنون ، لأنها في زمرةِ الأسماء المبنية ، مثل (كم) و (أين) وأضرابهما ، ولكنها قد يُسند إليها الفعل فتكون فاعله ، وقد يُسلَّط عليها فتكون مفعوله ، وقد يدخل عليها حرف الجر فتكون مجروره ، وقد تباشر الجملة فتكون

(١) هناك من يرى أن المصدر المؤول في محل نصب على نزع الخافض . ورأيه مرجوح بظهور الجر في المعطوف عليه ، كما في قول الفرزدق :

وما زرتُ ليلى أن تكون حبيبةً ... إليَّ ، ولا دينٍ بها أنا طالبُهْ

وبأنه إذا سقط حرف الجر في بعض الجمل لا يرتبط المجرور بالفعل ارتباط المفعول به لخلو الجملة من الفعل .

ظرفها . وهذه المواقع خاصة بالاسم دون الحرف والفعل .

وهذه الأحرف هي : الكاف ، وعلى ، وعن ، ومنذ (مُذْ) .

آ ـ **اسمية الكاف** :

النحاة في اسمية الكاف على خلاف ، فمنهم من يرى أنها لاتكون اسماً إلا في لغة الشعر ، ويرى آخرون تعميم ذلك وإشاعته في لغتي الشعر والنثر .

والحق أنه لم يُنقل نص نثري جاءت فيه الكاف اسماً ، وهذا يؤيد الفريق الأول ويؤكد رأيه ، أما مواضع مجيئها اسماً فهي :

ـ أن يسند إليها :

وذلك حين تكون فاعلاً ، وهذا في لغة الشعر كثير ، من ذلك قول امرىء القيس :

وإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلَّبِ

فالكاف هنا : اسم مبني على الفتح في محل رفع فاعل للفعل (يفخر) . و (فاخر) مضاف إليه ، والتقدير : لم يفخر عليك مثلُ فاخرٍ ضعيفٍ .

ومثله قول الحارث بن حِلّزة :

ويئستُ مما قد شُغفتُ به منها ، ولايُسليك كاليأسِ

أي : لايسليك مثلُ اليأسِ . ومنه قول الأعشى :

أتنتهون ولن يَنْهَى ذوي شَطَطٍ كالطعن يذهب فيه الزيتُ والفُتُلُ[1]

وإذا أسندت إليها « كان » أو إحدى أخواتها كانت اسماً لها ، كما في قول جميل بثينة :

لو كان في قلبي كقدر قُلامةٍ فضلاً وصلتكِ أو أتتكِ رسائلي

ـ أن تقع مفعولاً به :

وقد يسلط عليها الفعل ، كما في قول سَلَمة بن جعفي يرثي أخاه :

وكنتُ أر كالموتِ من بين ليلةٍ فكيف ببين كان ميعادَهُ الحشرُ

(١) الشطط : الجور والظلم . والفُتُل : جمع مفرده فتيلة ، وهي ما يوضع على الجرح من قماش ونحوه .

أي : أرى مثلَ الموت . وكما في قول الفزاري :

ولم أرَ كالمعروفِ ، أما مذاقه فحلو ، وأما وجهه فجميلُ

وجاء مثل ذلك في شعر العباسيين كالشريف الرضي ، في حديثه عن صديق له :

فأبدى كروضِ الحَزْنِ رَقَّت فروعُه وأضمر كالليل الخُداريِّ مظلما

أي : فأبدى مثل روض الحزن .

ـ أن يدخل عليها حرف الجر :

وذلك مثل قول امرىء القيس :

ورُحْنا بكابن الماء يجنبُ وسطنا تُصَوِّبُ فيه العين طوراً وترتقي

أي : ورحنا بمثلِ ابن الماء . ومنه قول الأخطل :

قليل غِرار النوم حتى تقلصوا على كالقطا الجوني أفزعه الزجر

ب ـ اسمية (على) و (عن) :

وهذان أقل تصرفاً من الكاف ، إذ لايكونان اسمين إلا إذا دخل عليهما حرف الجر[1] ، إلا أن ذلك لايقتصر على لغة الشعر بل يجوز في النثر أيضاً .

أما (على) فتعني (فوق) ، كقول مزاحم العُقيلي :

غدت من عليه بعدما تمَّ ظِمْئُها تَصِلُّ ، وعن قيضٍ ببيداء مَجهلِ[2]

وقال آخر :

غدت من عليه تنفُض الطلَّ بعدما رأتْ حاجبَ الشمسِ استوى فترفّعا

ونُقل عن العرب في كلامهم اليومي قولُ بعضهم : نهضَ من عليه .

ومن شواهد دخول حرف الجر على (عن) قول قطري بن الفجاءة :

ولقد أراني للرماح دريئة من عن يمني تارةً وشِمالي

وقول القطامي :

---

(١) زعم بعض النحاة أن (على) اسم في كل موقع بمعنى (فوق) وذهب فريق من هؤلاء إلى أنه معرب لأنه لا يشبه الحرف ، وزعم آخرون أنه مبني .

(٢) يصف الشاعر قطاة ظمئت خمس ليال حتى أخذ جوفها يصل من اليبس والعطش . والقيض : قشر البيض .

فقلت للركب لما أن علا بهمُ   من عن يمين الحُبَيّا نظرة قَبَلُ[1]

وقول ذي الرمة :

وقلت اجعلي ضوء الفراقدِ كلها   يميناً ، ومَهْوى النجم من عن شِمالكِ

ج ـ مُنْذُ ومُذْ :

هذه الكلمة[2] تستخدم حرفاً تارة ، واسماً تارة أخرى ، وذلك بحسب مايليها في التركيب اللغوي ، وسوف نفصل هذا في الفقرتين التاليتين :

ـ استخدامها حرفاً[3] :

تكون (منذ) حرفاً إذا وليها اسم مجرور ، ولابد أن يكون اسمَ زمانٍ ، أو مصدراً صريحاً ، أو مصدراً مؤولاً . مثل : فارقني منذ هُنيهةٍ . ولم أقرأ هذا الكتابَ منذ سنةٍ . ولم أرَ ابني منذ سفرهِ للدراسة (أو : منذ أن سافر للدراسة) . وقد يحذف مجرورها وتنوب عنه صفته كما في قول حفيدةٍ لحسان بن ثابت :

سلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدْماً ولاتسلْ   فتىً ذاقَ حُلْوَ العيشِ منذُ قريبِ

أي : منذ زمنٍ قريب .

ولها في هذا الاستعمال أحد ثلاثة معانٍ ، هي :

١ ـ معنى (مِنْ) : إذ تحدد ابتداء الحدث في الزمان ، كما تحدد

---

(١) النظرة القبل : التي لم يتقدمها نظر .

(٢) إن (مُذْ) هي (منذُ) نفسها ، ولكنها اختزال لها ، كما أن (عَلَّ) اختزال لـ (لعلَّ) ، ويؤكد ذلك أنها تضم إذا صادفت ساكناً ، فيقال : مُذُ اليومِ . وهذا يدل على أن (مُذْ) في هاجس المتكلم العربي هي (منذُ) ، ولذلك يرجع إلى الضم كلما عسر عليه السكون . يضاف إلى هذا أن بعض العرب كانوا يضمون على كل حال ، فيقولون : ما لقيتُه مُذُ زمنٍ طويلٍ .

(٣) يرى بعض النحاة أن (منذ ـ مُذْ) اسم حيثما وقعت ، ويفرق آخرون فيرون أنها إذا كانت بلفظ (منذ) غلب عليها أن تكون حرفاً ، وإذا كانت بلفظ (مُذْ) غلب عليها أن تكون اسماً ، والحق أن الكلمة بلفظيها حرف في هذا الموقع ، ودليل ذلك قولك : منذ كم جئت ؟ إذ لا يعودُ إليها ضمير ، كما يعود إلى الاسم في مثل : يومُ الجمعةِ جئتُ فيه .

(من) ابتداءه في المكان ، ولاتحدد انتهاءه ، وفي هذه الحال يكون مجرورها اسماً معرَّفاً دالاًّ على الزمن الماضي ، ومحدداً التاريخ بدء الحدث ، مثل : ما لقيته منذُ يومِ الجمعةِ .

٢ ـ معنى (في) : ولابد في هذه الحال أن يكون مجرورها زماناً حاضراً ، مثل : مالقيته منذ يومنا هذا . أفلَ نجمُ العلم مذْ عصرنا .

٣ ـ معنى (من ـ إلى) : أي أنها تحدد ابتداء الحدث وانتهاءه ، وذلك حين يكون مجرورها نكرة معدودة صراحةً أو تقديراً ، مثل قول امرىء القيس :

. . . .   وربعٍ عفت آثارُهُ منذ أزمانِ

وقول زهير :

لمن الديار بقنة الحجْرِ   أقوينَ مُذْ حججٍ ومُذْ دهرِ

وتقول : عرفته منذ شهرين . وغادرتُ المدينة منذ سنة . وواضح من هذه الأمثلة أن (أزمان ، وحجج ، وشهرين ، وسنة) زمن معدود لفظاً ، ولكن (دهر) زمن معدود تقديراً .

ـ استخدامها اسماً :

وتكون (منذ ـ مذ) اسماً إذا وقع بعدها جملة ، أو اسم مرفوع ، أما الجملة فقد تكون اسمية ، كما في قول الشاعر :

فما زلتُ أبغي المالَ مُذ أنا يافعٌ   وليداً وكهلاً حين شبتُ وأمردا

وقد تكون فعلية فعلها ماضٍ ليس غير ، كما في قول الفرزدق :

مازال مُذ عقدتْ يداهُ إزارَهُ   وسما فأدرك خمسةَ الأشبارِ

وكما في قول أبي ذؤيب :

قالت أميمةُ مالجسمك شاحباً   منذُ ابتُذِلتَ ، ومثلُ مالك ينفعُ

تعرب في هذا التركيب ظرف زمان ، وتكون الجملة بعدها في محل جرٍ ، مضافاً إليها[1] .

---

(١) وقيل في إعراب (منذ ـ مذ) في هذا التركيب شيئاً آخر لا يؤبه له .

وكذلك تكون اسماً إذا وقع بعدها اسم مرفوع ، نكرةً كان أو معرفةً ، مثل : مارأيته منذ عشرون يوماً . ولم أقم برحلة مذ سنتانِ . ولم أغادر البيت منذ يومُ الجمعة . وأقل أعاريبها[1] تكلفاً أن تكون مبتدأ ومابعدها الخبر ، ويقدر الكلام في الجملة الأولى مثلاً بما يلي : مدةُ انقطاع رؤيتي له عشرون يوماً .

ويعد هذا التركيب ـ على تصحيح النحاة له ـ رديئاً لاتكاد تعرفه النصوص المنقولة ، وقد انقرض في عصرنا الحاضر والحمد لله .

الكلام على بعض أحرف الجر :

نريد في هذه الفقرة أن نتحدث عن كل حرف من حروف الجر ، ونبين معانيه وخصائصه ، ولكننا لن نتحدث عما استوفينا الحديث عنه في الصفحات السابقة ، كالحرف (رب) و (منذ ـ مذ) ، مثلاً :

١ ـ الباء :

الباء من أحرف الجر المتصرفة ، وأعني بذلك أنها تجر الأسماء الظاهرة ، والضمائر المتصلة ، ولا تقتصر على نوع دون نوع . ولها معانٍ كثيرة ، أهمها : الإلصاق ، والاستعانة ، والتعليل ، والتعدية ، والمصاحبة ، والقسم ، والظرفية ، والتوكيد ، ولها معانٍ أخرى أقل دوراناً بالكلام .

أما الإلصاق فيعني الاختلاط بالشيء وملامسته ، وقد يكون إلصاقاً حقيقياً ، مثل : ﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾ (المائدة : ٦) ومثل : ﴿ فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ (النساء : ٤٣) فالمراد : ألصقوا المسح برؤوسكم أو بوجوهكم وأيديكم ، من غير حائل بينهما . وقد يكون إلصاقاً مجازياً ، مثل : مررت بأبيك . فالمرور هنا ليس ملصقاً بالأب ، بل بمكان قريبٍ منه[2] .

---

(١) لا نرى حاجة لذكر المذاهب الأخرى .

(٢) لعصام الدين الإسفراييني فهم خاص لمعنى الإلصاق ، ذكره في كتابه « شرح الفريد » ، ص ٢٢٧ . تحقيق : نوري ياسين حسين . نشر المكتبة الفيصلية . مكة المكرمة : ١٤٠٥/ ١٩٨٥ .

وأما باء الاستعانة فتدخل على الآلة التي استخدمها الفاعل أو نحوه لإحداث الفعل ، مثل : أكل الطعام بالملعقة . وصاده بالسهم . وفجروا الأرض بالبارود . وأما التعليل بالباء فكثير في القرآن ، من ذلك : ﴿ فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ﴾ (الأنعام : ٦) ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم . . . ﴾ (المائدة : ١٣) . ﴿ فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ﴾ (آل عمران : ١٥٩) وأما التعدية بالباء فتعني أن تقوم مقام الهمزة في مثل :

قام محمودٌ ← أقمتُ محموداً

فتقول قمتُ بمحمودٍ . أي جعلته يقوم ، إذ يصير الفاعل مفعولاً بالمعنى . ومن ذلك قوله : ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ (البقرة : ٢٠) أي : لأذهب سمعهم وأبصارهم . وتقول في معنى المصاحبة : خرج الأميرُ على الناس بموكب بهيج . أي : مصاحباً بموكب . ومنه قوله : ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ﴾ (طه : ٤٢) . وفي معنى القسم : أقسمت بالله لأخرجنَّ . وفي معنى الظرفية : أقمت بالبيت دهراً . أي : فيه . أما التوكيد فتفيده الباء الزائدة التي تحدثنا عنها من قبل .

وثمة معان أخرى قليلة الدوران في الكلام ، من ذلك أنها قد تكون بمعنى حرف من حروف الجر الأخرى ، كـ « عَن » مثلاً ، مثل : ﴿ فاسأل به خبيراً ﴾ (الفرقان : ٥٩) أي : فاسأل عنه . أو معنى (من) مثل : شربن بماء البحر . أي : منه[1] ، أو معنى (على) مثل : ﴿ ومن الناس من إن تأمنه بقنطار . . . ﴾ (آل عمران : ٧٥) أي : على قنطار . وقد تكون للبدل ، مثل : ليت لي بقومي قوماً آخرين . أي : ليت لي بدل قومي . . .

٢ ـ اللام :

واللام كذلك حرف جر متصرف ، يجر الاسم الظاهر فيكون مكسوراً معه ، مثل : لله ، لِلدارِ ، للعمل . ويجر الضمير ويكون معه مفتوحاً : لَهُ ،

---

(١) وهي في رأي بعض النحاة (من) البعضية لا التي تفيد ابتداء الغاية .

لنا ، لكم . ولكن يخرج على هذا لام الاستغاثة غير المعطوفة ، ولام التعجب ، إذ تفتح مع الظاهر والمضمر ، تقول : يالَرجال ، ويالَلسماء !! وتكسر وجوباً مع ياء المتكلم : لِي . ولها معانٍ كثيرة ، منها الملك مثل : المالُ لك ، والبيت لي . والاختصاص مثل : المفتاحُ لهذا الباب ، والعجلة للسيارة . والاستحقاق مثل : الحمد لله . والشكر لأبيك . والتعليل مثل : ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله ﴾ (الإنسان : ٩) . وخرجت لأستجمّ ، والتبليغ مثل : قلت لك هذا . والتبيين مثل : سقياً لك . و ﴿ هيتَ لك ﴾ (يوسف : ٢٣) وما أحبَّ العملَ لي . والصيرورة مثل : لدوا للموت وابنوا للخراب .

وتأتي بمعاني كلمات أو حروف أخرى ، فقد تكون بمعنى (بعد) مثل قول متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً :

ولما تفرقنا كأني ومالكاً ... لِطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا

أي : بعد طول اجتماع . أو بمعنى (في) مثل : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ (الأنبياء : ٤٧) أو بمعنى (إلى) مثل : ﴿ سقناه لبلد ميت ﴾ (الأعراف : ٥٧) أو بمعنى (عن) مثل :

كضرائر الحسناءِ قلن لوجهها ... حسداً وبغضاً : إنه لدميمُ

أي : قلن عن وجهها . وتكون للتوكيد إذا كانت زائدة .

٣ ـ الكاف :

وهي حرف جر أقل تصرفاً من الباء واللام ، إذ يقتصر عملها على جر الاسم الظاهر ، دون الضمير[1] . ويكاد يكون لها معنى واحد هو التشبيه ، مثل : إنه كحاتم في الكرم ، وكعنترة في الشجاعة ، وكإياس في الذكاء ، وكأحنف بن قيس في الحلم . إلا أنها قد تأتي بمعنى (علىً) الاستعلائية ، مثل : كن كما أنت . أي : على ما أنت عليه . أو بمعنى لام التعليل ، مثل : ﴿ اذكروه كما هداكم ﴾ (البقرة : ١٩٨) أي : لهدايته لكم . ومثل ذلك :

(١) إلا ما جاء في لغة الشعر ، كقول الراجز :

ولا ترى بعلاً ولا حلائلاً ... كهو ولا كهن إلا حاظلا

﴿وقل : ربِّ ارحمهماكما ربياني صغيراً﴾ (الإسراء : ٢٤) وتكون **للتوكيد** حين تزيد .

٤ ـ مِنْ :

وهذا الحرف متصرف العمل أيضاً ، يجر الأسماء الظاهرة ، والضمائر ، ويجر المصادر المؤول مع (أن) و (أنَّ) و (ما) ، تقول : خرجت من البيت . واحذر منه . واحذر من أن يفوتك القطار . وعجبتُ من أنَّك غير راضٍ بعيشك . وعجبتُ مما تزهد في الحياة . أي : من زهدك .

وقد تحذف نونه في الشعر ، كما ترى في قول جميل بثينة :

وإن أنس مِلأشياءِ لا أنسَ قولها وقد قُرِّبت نِضْوى أمصرَ تريدُ

وقول أبي صخر الهذلي :

كـأنهمـا مِـلآنَ لـم يتغيّـرا وقد مَرَّ للداريْنِ من بعدنا عَصْرُ

فتقدير الأول : من الأشياء . وتقدير الثاني : من الآنَ . وعلة الحذف في هذه صوتية وتبليغية ، إذ اللام بعدها ساكنة ، والنون ساكنة أيضاً ، فالتقى ساكنان ، فحذفت النون وبقيت اللام لسببين : الأول أن النون تشبه أحرف اللين (ا ، و ، ي) التي تحذف عند التقاء الساكنين ، لأن غُنة النون تضارع ما في أحرف اللين من المد ، وهذه هي العلة الصوتية . أما السبب الثاني فهو أن اللام وقعت في الكلام لأنها تحمل معنى صرفياً هو التعريف ، والنون لامعنى لها ، وحذف ماليس له معنى لايؤثر في تبليغ السامع مايراد من الأفكار ، أما حذف ماله معنى فقد يشوه المعنى المنقول .

أما المعاني التي يحملها هذا الحرف فكثيرة جداً ، وشائعة في استعماله ، وأولها أن تكون للدلالة على ابتداء الغاية أو الحدث ، تقول : سرت من البيت إلى الجامعة . فابتداء السير كان من البيت . وتقول : أعمل كل يوم من الساعة الثامنة إلى الساعة الثانية بعد الظهر[١] . أي أن العمل يبتدىء

(١) يرى بعض النحويين ـ وهم البصريون ـ أن (من) لا يأتي لابتداء الغاية في الزمان ، بل يقتصر على المكان ، وهذا تضييق لا يقره متن اللغة العربية ، وسوف ترى في الشواهد التالية ذلك .

من الساعة الثامنة . ومن هذا قوله تعالى : ﴿ لمسجد أسس على التقوى من أول يومٍ أحق أن تقوم فيه ﴾ (التوبة : ١٠٨) وقال النابغة الذبياني :

تُخُيِّرنَ من أزمانِ يومِ حليمةٍ ... إلى اليومِ قد جُربن كل التجارب

وقال الحصين بن الحمام :

من الصبح حتى تغرُبَ الشمسُ لاترى ... من الخيلِ إلا خارجياً مُسَوَّما

ومن معانيها الدلالة على « بعض » الشيء ، تقول : من الناس من لايكذب . أي : بعضهم لايكذب . وتقول : قرأت من البحث . أي : بعضه . وتقول : أكلت من الطعام . وقد تكون للتبيين ، إذ تحدد جنس المبهم العام قبلها ، مثل : لبست ثوباً من الجوخ . وهذا رجلٌ من الكويت . وماتفعلوا من خير تجدوه . وتجيء للتعليل مثل : يموت بعض الشعوب من الجوع . أي : بسببه . وكقوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ﴾ (البقرة : ١٩) أي : بسبب الصواعق . وتجيء أيضاً للبدلية كقوله : ﴿ أرضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾ (التوبة : ٣٨) أي : بدلاً من الآخرة . ومثله قوله : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة ﴾ (الزخرف : ٦٠) أي : عوضاً عنكم . وقال الراعي النميري :

أخذوا المخاض من الفصيلِ غُلُبَّةً ... ظلماً ، ويكتب للأميرِ أفيلا[(١)]

أي : أخذوا النوقَ الحوامل بدلاً من الإبل الصغيرة .

وقد تجيء بمعاني أحرفٍ جارة أخرى ، كالحرف (عن) كما في : ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾ (الزمر : ٢٢) وفي : ﴿ قد كنا في غفلة من هذا ﴾ (الأنبياء : ٩٧) وتقول : نهيتُ الطلابَ من قراءة كذا . وتجيء بمعنى (على) كقوله : ﴿ ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ (الأنبياء : ٧٧) أي : على القوم . وبمعنى (إلى) مثل : قربتُ من البيت . أي : إليه . وبمعنى الباء كقوله : ﴿ ينظرون من طرف خفي ﴾ (الشورى : ٤٥) وبمعنى (في) مثل : ﴿ إذا نودي للصلاة من يوم

---

(١) المخاض : النوق الحوامل . ولا مفرد له من لفظه . والفصيل : الصغير الذي فُصل عن أمه . وغلبة : قهراً . والأفيل : الصغير .

الجمعة ﴾ (الجمعة : ٩) ويضاف إلى هذه المعاني معنى التوكيد الذي تفيده وهي زائدة .

٥ ـ عن :

وهذا الحرف متصرف أيضاً في جره الظاهر والمضمر والمؤول ، مثل : نأى عن الديار ، وبعد عنها ، ورغب عن أن يقع في المظالم . أي : ورغب عن الوقوع في المظالم .

أما معانيها فبعضها أصيل فيها ، ولذلك وروده في الكلام ، وبعضها الآخر فرعي وقع في سياق ، ولم يقع في غيره . ومعناها الأصيل هو المجاوزة ، ويراد به ابتعاد شيءٍ ما وانفصاله عن شيء آخر ، مثل : رحل عن الديار ، وانحرف عن الطريق ، وبعد عن أهله . فهذه كلها مجاوزة حسية حقيقية ، أما في الجمل التالية : نهيتك عن المحرَّمات . ورويتُ الخبر عن والدي ، وأخذت العلم عنه ، فالمجاوزة معنوية .

ومن معانيها الأخرى البدلية كقوله : ﴿ واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ﴾ (البقرة : ٤٨)[١] ، وكما في الحديث : « صومي عن أمك » أي : بدلاً منها .

ومن معانيها أيضاً أن تكون مرادفة لِـ « بَعْد » ، كما في قوله : ﴿ عما قليلٍ ليصبحنّ نادمين ﴾ (المؤمنون : ٤٠) وقوله : ﴿ لتركَبُنَّ طبقاً عن طبق ﴾ (الانشقاق : ١٩) وقال العجاج :

ومنهلٍ وردْتُهُ عن منهلِ

وتأتي أيضاً بمعنى « على » كقوله : ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ﴾ . (محمد : ٣٨) ، وقال ذو الأصبع :

لاهِ ابنُ عمك ، لا أفضلتَ في حسبٍ عني ولا أنت ديّاني فتخزوني

أي : لا أفضلت في حسب عليَّ .

وقد تأتي للتعليل كقوله : ﴿ وماكان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدةٍ

---

(١) وقيل تضمن الفعل (تجزي) معنى الفعل تقضي . والتضمين هذا لا يذهب بمعنى البدل .

وعدها إياه ﴾ (التوبة : ٤١١) أي : بسبب موعدةٍ . وكقوله : ﴿ وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ﴾ (هود : ٥٣) . وتقول : مافعلت ذلك إلا عن اتفاقٍ بيننا . أي لاتفاق بيننا .

وقد تأتي بمعنى (من) كقوله : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ﴾ (الشورى : ٢٥) . أي : منهم . وقوله : ﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ﴾ . (الأحقاف : ١٦) وبمعنى (في) ، كما في قول الأعشى :

وآسي سَراةَ الحي حيث لقيتَهم ولاتكُ عن حملِ الرَّباعةِ وانيا

أي : ولاتك في حمل القبيلة وانيا . لأن الفعل (ونى) يتعدى بـ (في) كما في قوله تعالى : ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولاتَنِيا في ذكري ﴾ (طه : ٤٢) . وقد تكون بمعنى الباء كقوله : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ (النجم : ٣) أي : بالهوى . ويحسن هنا أن تكون للمجاوزة أي : وماينطق صادراً عن هواه .

وإنما قلنا في البداية : هناك معنى أصيل لِـ (عن) وآخر فرعي ، لأن توليد جمل جديدة ببعض المعاني الفرعية غير مقبول ، إذ لا يقال مثلاً : الكتابُ عنِ الطاولة . بمعنى : عليها . ولايقال : ذهبت عنك . بمعنى : بعدك . ولاسئمتُ عنه ، بمعنى : منه . ولكنّ توليد جمل تأتي فيها (عن) للمجاوزة مقبول ويحصل كثيراً .

٦ ـ في :

وهي من حروف الجر المتصرفة في جر الأسماء الظاهرة والضمائر والمصادر المؤولة ، وتحذف ياؤها لفظاً إذا صادفت ساكناً من الحروف مثل : العلم في الصدور . والمجدُ في انتصارِ الإنسان . إلا إذا كان هذا الساكن ياء المتكلم ، لأنها تبقى حينئذٍ وتدغم فيها ، مثل : أفيَّ تَشُك ؟

أما معناها الأصيل فهوالدلالة على الظرفية ، أو الوعاء ـ كما يسميه بعض النحاة ، إلا أنها ـ أي الظرفية ـ تكون للحقيقة حيناً ، وللمجاز حيناً آخر ، فمن أمثلة الظرفية الحسية قوله تعالى: ﴿ غُلبَت الرومُ في أدنى الأرض ﴾ (الروم : ٢ ـ ٣) ويُقال : بيتنا في الشارع الرئيسي . والسيف في يدك .

والعمال في المصنع . والكواكب في الفضاء . ومن أمثلة الظرفية المجازية قوله تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ (البقرة : ١٧٩) وقوله : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (الأحزاب : ٢١) وتقول : أفيَّ شك أو عيب ؟

وكما تكون للظرفية المكانية تكون للظرفية الزمانية ، مثل : كتبت هذا البحث في ساعاتٍ طويلة من النهار . ورأيته في أيام شبابه . وعرفته في عهد قوته وسطوته . ومن ذلك قول النابغة :

لامرحباً بغدٍ ولا أهلاً به　　إن كان تفريقُ الأحبةِ في غدِ

على أنها قد تأتي لغير الظرفية على قلة ، كأن تكون للتعليل مثل : لامني فيك الناسُ . أي : بسببك . كما في قوله تعالى : ﴿ فذلكنَّ الذي لمتنَّني فيه ﴾ (يوسف : ٣٢) وكما جاء في الحديث : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها » أي : بسبب هرة . ومن ذلك قول المقنع الكندي :

يعاتبني في الدين قومي وإنما　　ديونيَ في أشياءَ تكسِبُهم حمدا

فهي للتعليل في الموضعين .

وأقل من ذلك أن تكون لمعنى المصاحبة ، كما في قوله تعالى : ﴿ ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار ﴾ (الأعراف : ٣٨) أي : ادخلوا في النار مع أمم . . . ومثله قوله : ﴿ ادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي ﴾ (الفجر : ٢٩) أي : مع عبادي .

وقد تكون بمعنى (على) كما في قوله : ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل[1] ﴾ (طه : ٧١) أي : على جذوع النخل . ومنه قول عنترة :

---

(١) ليس هذا موضع إجماع النحاة ، فقد أنكره كثيرون وعنفوا من يقول به وذهبوا إلى أن (في) هنا ظرفية على أصلها ، وفسره بعضهم بأنه شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء في وعائه . وفسره غيره بأن الصلب يدل على الاستقرار والتمكن ولذلك عدي بـ (في) الظرفية . انظر في هذا : الكشاف : ٢/٥٤٦ ، وشرح الكافية : ٢/٣٢٧ ، ورصف المباني : ٣٨٨ . وشرح ابن يعيش : ٨/٢١ .

بطـل كـأن ثيـابـه فـي سَـرْحـةٍ   يُحذَى نعال السبت ليس بتوءَمِ[1]

كأنه لطوله يشبه السرحة (الشجرة العالية الكبيرة) ، أو كأن ثيابه على مثل السرحة .

وقد تكون بمعنى (إلى) كما في قوله تعالى : ﴿ فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ (إبراهيم : ٩) أي : إلى أفواههم . وقد تكون لمعنى المقايسة - وتعني نسبة الشيء إلى شيء آخر - كما في قوله تعالى : ﴿ فما متاعُ الحياةِ الدنيا في الآخرةِ إلا قليل ﴾ (التوبة : ٣٨) . أي : بالقياس إلى الآخرة . وقد تأتي بمعنى الباء ، كقول زيد الخيل :

وتركبُ يوم الروع فيها كتائب   بصيرون في طعن الكُلى والأباهرِ

أي : بصيرون بطعن . . .

٧ - إلى :

وهي حرف جر متصرف يجر الظاهر والمضمير والمؤول ، وتحذف ألفها إذا صادفت ساكناً مثلها . مثل : ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ (الشورى : ٥٣) ، وإذا صادفت متحركاً ثبتت ، مثل : ﴿ فلما رجعوا إلى أبيهم ﴾ (يوسف : ٦٣) وتقلب الألف مع الضمائر ياءً ، مثل : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ (فاطر : ١٠) وتقول : إليك ، وإلينا ، وإليها ، وإليهم . . .

أما معانيها فأهمها والأصيل فيها « انتهاء الغاية » سواء أكان ذلك في الزمان ، مثل : ﴿ أتموا الصيام إلى الليل ﴾ (البقرة : ١٨٧) أي ينتهي الصيام عند حلول الليل . وتقول : قرأت من الساعة الثامنة إلى العاشرة . أي : انتهت قراءتك في العاشرة . أم كان ذلك مكاناً ، مثل : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ (الإسراء : ١) أي انتهى الإسراء عند المسجد الأقصى . وقد يكون ما بعد (إلى) داخلاً في حكم ماقبلها ، وقد يكون غير داخل ، لأن الدلالة على ذلك سياقيّة لابد فيها من

(١) انظر خزانة الأدب . ٤/ ١٤٧ .

قرينة ، ففي قوله : ﴿ أتموا الصيام إلى الليل ﴾ لايدخل الليل في حكم الصيام ، إذ لاصيام فيه . وفي (إلى المسجد الأقصى) لايدخل كذلك ، إذا لا إسراء بعده . ولكن قوله :﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ﴾ (المائدة : ٦) تدخل فيه المرافق في حكم الغسل ، وتقول : قرأت الكتاب كله من أوله إلى آخره ، فالآخر هنا دخل في حكم القراءة .

هذا هو معنى (إلى) الأصيل ، ولكنها جاءت في سياقات من الكلام ذات دلالات أخرى ، فردها بعض النحاة متكلفين ـ ومتعسفين أحياناً ـ إلى انتهاء الغاية ، من ذلك أن تكون للبيتين ، فتبين أن المجرور بها هو فاعل ما يفيد حباً أو بغضاً من فعل تعَجَب أو اسم تفضيل ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه ﴾ (يوسف : ٣٣) فالمجرور بإلى ، والذي تدل عليه ياء المتكلم ، يميل إلى السجن أكثر مما يميل إلى مايدعونه إليه ، فهو الفاعل في المعنى ، فلو حذفت (إلى) ومجرورها لصار الكلام غير محدد الفاعل : السجن أحب مما يدعونني إليه . وعلى هذا تقول : ما أحب النحوَ إليَّ ، وما أكرهَ الذلَّ إلى الشعوب . والقراءة أحبُّ إليّ من المال . واللّهو أكرهُ إليه من الإهمال .

وقد تأتي بمعنى الظرفية فتقدر بـ (في) ، كما في قوله : ﴿ ليجمعنكم إلى يوم القيامة ﴾ (النساء : ٨٧) أي : في يوم القيامة . ومنه قول النابغة :

ولاتتركني بالوعيد كأنني ‏ ‏ إلى الناس مطلي به القار أجرب

أي : كأنني في الناس مطلي به القار .

وتأتي بمعنى (مع) ، كما في المثل العربي المشهور : « الذود إلى الذود إبل »[1] . أي أن الإبل القليلة مع الإبل القليلة تكون قطيعاً كبيراً من الإبل . ويحمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾ (هود : ٥٢) . والحق أن هذا المعنى يمكن أن يرد بلا تكلف إلى معنى (انتهاء الغاية) ، وذلك بتقدير الذود مضافة إلى الذود ، ويزدكم قوة مضافة

(١) الذود : من ثلاث إلى عشر من النوق . انظر جمهرة الأمثال للعسكري : ١/ ٤٦٢ .

إلى قوتكم . والدليل على هذا أننا لايمكن أن نقول : أنت إلى زيد . ونحن نعني : أنت مع زيد .

وقد تأتي إلى بمعنى (عند) كقولنا : جلستُ إليكم . وكما في قول طرفة :

وإن يلتـق الحـي الجميـع تـلاقنـي　　إلى ذروة البيت الشريف المصمَّد[1]

ومن الممكن تأويل بيت طرفة بتقديره : تلاقني منتسباً إلى ذورة البيت الشريف ، فتكون فيه (إلى) لانتهاء الغاية .

وذكر بعضهم أن (إلى) قد تأتي بمعنى الباء ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنّا معكم ﴾ (البقرة : ١٤) وقدره : خلو بشياطينهم . والأحسن عندي أن يكون الفعل (خلو) في هذه الآية يعني : أَفْضَوْا .

٨ ـ على :

وهذه مثل (إلى) في تصرفها وأحوال ألفها ، فهي تجر الظاهر والمضمر والمصدر المؤول ، مثل : وقفتُ على الشاطىء ، ثم استلقيت عليه . ومن جرها المصدر المؤول قوله تعالى : ﴿ . . . على أن تأجرني ثماني حجج ﴾ (القصص : ٢٧) أما ألفها فتحذف لفظاً إذا وليها ساكن مثل : على الأرض . وتقلب ياءً مع الضمائر : عليه ، عليك ، علينا ، عليَّ . وقد تحذف لامها أيضاً مع الألف إذا وليها ساكن كما في قول قطري بن الفجاءة :

غداةَ طفت عَلْماءِ بكربن وائل　　وعُجْنا صدورَ الحي نحو تميمِ

أي : طفت على الماء .

أما معناها الأصيل فهو الاستعلاء، وهو نوعان : استعلاء حسي حقيقي، واستعلاء معنوي مجازي. وكلا المعنيين كثير في الكلام، فمن الأول: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ (المؤمنون : ٢٢) و ﴿ كل من عليها فانٍ ﴾ (الرحمن : ٢٦) ومن الثاني : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على

---

(١) المصمَّد : المقصود .

بعض ﴾ (البقرة: ٢٥٣) و ﴿ لله على الناس حج البيت ﴾ (آل عمران: ٩٧).
ومن المعنوي كل مايقع بعد الأفعال : وجب ، وكبر ، وصغر ، وهان ، وصعب ، وأمثالها .

وتأتي أيضاً للتعليل ، مثل : ﴿ ولتكبروا الله على ماهداكم ﴾ (البقرة : ١٨٥) وتقول : علامَ تفعل هذا ؟ وبمعنى (في) كقوله : ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴾ (القصص : ١٥) . وحملوا عليه قوله : ﴿ واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان ﴾ (البقرة : ١٠٢) أي : ماتقوله في ملك سليمان[١] . وبمعنى الباء ، كما في قوله : ﴿ حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق ﴾ (الأعراف : ١٠٥) أي : جدير بألا أقول . ومثله قول أبي ذؤيب بصف أُتُناً وحماراً وحشياً :

فكأنهُنَّ رِبابةٌ وكأنه ... يَسِرٌ يفيض على القِداحِ ويَصْدَعُ[٢]

أي : يفيض بها . وتأتي كذلك بمعنى (مع) ، مثل : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ (الدهر : ٦) ومثل : ﴿ إن الله لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ (الرعد : ٦) وبمعنى (عن) كقول القحيف العقيلي :

إذا رضيت علي بنو قشير ... لعمر الله أعجبني رضاها[٣]

وبمعنى (من) مثل : ﴿ إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾ (المطففون : ٢) أي : من الناس .

٩ ـ حتى :

وهذه أقل تصرفاً من (إلى) و(على) مثلاً ، فهي لاتستعمل في جر الضمائر ، إذ لا يقال : رأيت الناسَ حتاك . كما لايقال : حتاه ، أو : حتاها . وما جاء منه في الشعر فهو ضرورة لا يجوز مثلها في

(١) وحمله آخرون على تضمين (تتلو) معنى (تتقول) فتكون للاستعلاء .
(٢) الرِبابة : فرقة تجمع فيها قداح الميسر . يفيض على القداح : يدفع بها . ويصدع : يصيح .
(٣) لهذا البيت تأويلات كثيرة .

النثر[1] . غير أنها مع قدرتها على جر الاسم الظاهر يكثر بها جر المصدر المؤول ، إذ تضمر بعدها (أن) إذا دخلت على فعل مضارع دالٍ على المستقبل ، كما سوف نرى .

أما معانيها فثلاثة هي :

ـ انتهاء الغاية : وفي هذه الحال يجر بها الاسم الظاهر مثل : ﴿ سلام هي حتى مطلعِ الفجر ﴾ (القدر : ٥) ومثل : ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حينٍ ﴾ (يوسف : ٣٥) . ويُجر المصدر المؤول ، مثل : ﴿ لن نبرحَ عليه عاكفين حتى يرجعَ إلينا موسى ﴾ (طه : ٩١) أي : حتى رجوعِ موسى إلينا .

ـ التعليل : وتنحصر في هذا المعنى دائرة تصرفها ، إذ لاتجر حينئذٍ إلا المصدر المؤول ، ولا تجر الاسم الظاهر ، تقول : أتيتُ هذه المدينة حتى أجدَ الراحة . وجئتك حتى أستمعَ إليك . ونزلت البحرَ حتى استحمَّ فيه .

ـ الاستثناء : وكذلك لاينجر بها ـ وهي في هذا المعنى ـ إلا المصدر المؤول ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة ﴾ (البقرة : ١٠٢) أي : مايعلمان أحداً إلا أن يقولا . . .[2] وهذا الاستعمال الأخير نادر ، وبعض النحاة لايجيزه أصلاً .

ولما كانت تفيد انتهاء الغاية مثل (إلى) خيل إلى النحاة أنها فرع عنها ، وعقدوا بينهما موازنة ليتبينوا الفوارق بينهما ، ويتجمع لنا من أقوالهم الفوارق التالية :

١ ـ تقتضي (حتى) التدرج في الحدث والاستمرار مثل : سأمشي حتى سورِ المدينةِ . إن المشي سوف يتم شيئاً فشيئاً ويستمر حتى ينقطع عند سور المدينة . فإذا لم يكن الحدث في الجملة متدرجاً لايجوز استخدام (حتى)

(١) مما جاء في الشعر من هذا قول الشاعر :

فــلا والله لا يُلفِــي أنــاسٌ ... فتى حتاك يا بنَ أبي زيادِ

وذهب بعض النحاة إلى جواز جر حتى للضمير في غير الضرورة .

(٢) وقيل معناها : إلى أن .

فيها ، فلا يقال مثلاً : كتبتُ حتى خالدٍ . لأن حدث الكتابة هنا لايدل على تدرج . ولايقال أيضاً : وُلِدَ حتى الصباحِ . لأن الولادة منقطعة لا متدرجة . ولكن يمكن أن يقال : كتبت إلى خالدٍ .

٢ ـ لاتتقابل مع (مِنْ) الجارة التي تفيد ابتداء الغاية ، فلا يقال مثلاً : مشيت من بغدادَ حتى دمشق . ولا : يستمر الامتحان من الساعة الثامنة حتى العاشرة . بل تستخدم هنا (إلى) فحسب[1] .

٣ ـ لايخبر بها وبمجرورها عن المبتدأ أو أمثاله لأنها لاتتعلق بالاستقرار ، فلا يقال مثلاً : سيري حتى بغداد . ولا : عملي حتى الصباح . ولكن يجوز أن تقع هنا (إلى) فيقال : سيري إلى بغداد . وعملي إلى الصباح . والتقدير : كائن ، أو مستقر .

٤ ـ لاتجر (حتى) الضمائر و (إلى) تجرها . وما جاء من جر (حتى) للضمائر في الشعر ليس بلغةٍ مقيسٍ عليها ، كما قلنا .

٥ ـ لايكون مجرور (حتى) إلا جزءاً مما قبلها أو كالجزء ، مثل : قضيت الأسبوعَ حتى آخرِه . وبقيت هنا حتى يومِ الخميس . وسلام هي حتى مطلعِ الفجر . فالآخر : جزء من الاسبوع . ويوم الخميس : جزء من الأيام التي بقيها الفاعل ، ولكن مطلع الفجر كالجزء من الليل لأنه متصل به . و (إلى) لا يشترط بها ذلك . فلا يقال مثلاً : ضربت الرجالَ حتى النساءِ . لأن النساء لسن من الرجال . ولكن يقال : ضربت الرجالَ إلى النساء . فتكون (إلى) بمعنى (مع) .

٦ ـ إن (حتى) تجعل مجرورها داخلاً في حكم ماقبله إلا إذا كانت هناك قرينة سياقية تمنع من ذلك ، وهذا عكس (إلى) كما قلنا ، وإن كان في ذلك خلاف بين النحاة . فإذا قلت : تناولت تاريخ الشعر حتى القرنِ الثاني . فإن القرن الثاني مما تناوله البحث . أما إذا قلت : إلى القرن الثاني . فإن القرن الثاني لم يتناوله البحث .

(١) لكن هذا الاستعمال دخل في لغة الصحافة والدواوين الحكومية ولا سيما إذا كان المجرور من أسماء الزمان .

هذا إذا لم يكن في الكلام قرينة سياقية ، فإذا كانت فقد ينعكس الأمر ، مثل : مَخَرتِ الباخرةُ في عبابِ البحر حتى اليابسة . فالقرينة السياقية هنا تمنع من أن تكون اليابسة مُخر فيها لأن السفينة لاتفعل ذلك .

١٠ ـ أحرف القسم :

ذكر القدماء غير حرف للقسم ، وسوف نتحدث هنا عن أربعة منها فحسب ، هي الباء ، والواو ، والتاء ، واللام[١] .

أما الباء فهي أكثرهن تصرفاً ، إذ تجر الظاهر والمضمر مما يقسم به ، أما الثلاثة الأخرى فلا تجر إلا الاسم الظاهر ، تقول : بربك لاتفعلنَّ هذا . وتقول : بكَ لاأفعلُ هذا . قال الشاعر :

ألا نـادت أمـامـةُ بـاحتمـالِ لتحزُنني ، فـلا بـكِ لا أبـالـي

فقد أقسم بها ، فقال : بكِ لا أبالي . أي : بحقِكِ .

ومن تصرفها أيضاً أنها قد يذكر قبلها فعل القسم « أحلف ، أقسم » ، كقوله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم ﴾ (الأنعام : ١٠٩) وكقول امرىء القيس :

حلفـتُ لهـا بـالله حلفـةَ فـاجـرٍ لناموا فما إنْ من حديثٍ ولا صالي[٢]

وإذا حذف فحذفه جائز لا واجب ، كما في قوله تعالى : ﴿ فبعزتِكَ لأغوينَّهم أجميعن ﴾ (ص : ٨٢) . فالجار والمجرور معلقان بفعل القسم المحذوف جوازاً .

ومن تصرفها أيضاً أن جوابها قد يأتي جملة إنشائية ، ويقال للقسم حيئذٍ « القسم الاستعطافي » . وذلك كما ترى في قولّ الشاعر :

بربكَ هل ضممتَ إليك ليلى قبيـلَ الصبح أو قبْلـتَ فـاهـا

وتقديره في المعنى : أسألك مستحلفاً إياك بربكَ .

وأما الواو فهي أقل تصرفاً من الباء ، لأنها لاتجر إلا الاسم الظاهر ، ولكنها مع ذلك تدخل على أي مقسم به ، يقال : والله لأعملنَّ بإخلاص .

---

(١) تحدثنا من قبل عن الباء واللام . ولكننا هنا نتناول بهما القسم دون غيره .

(٢) إن : زائدة . والصالي : موقد النار .

وربّكَ لأذهبنَّ مبكراً . وجدِّك لم أحفلْ متى قام عُوّدي . والعادياتِ ضبحاً إن الإنسان لكنود . والضحى والليلِ إذا سجا ماودعك ربك وماقلى . وهي إلى ذلك أكثر أحرف القسم استخداماً في الكلام . إلا أنها لايمكن أن يظهر قبلها فعل القسم ، فلا يقال : أقسمت والله . ولذلك نقول في الإعراب : جار ومجرور معلقان بفعل قسمٍ محذوف وجوباً (أقسم)[1] .

وأما التاء فهي قليلة الاستعمال بالقياس إلى الباء والواو ، وأقل منهما تصرفاً ، إذ لاتدخل على غير لفظ الجلالة ، مثل : ﴿ تالله لأكيدَنَّ أصنامكم ﴾ (الأنبياء : ٥٧) ومثل : ﴿ تالله تفتأ تذكر يوسف ﴾ (يوسف : ٨٥)[2] . وفعل القسم يحذف معها وجوباً .

ولاتدخل اللام إلا على لفظ الجلالة ، والقسم فيها مشوب بالتعجب ، تقول : لله ، لايبقى أحد . أي : والله لايبقى أحد .

وقد ذكر القدماء أن الباء هي أصل الواو ، والواو أصل التاء[3] ، وعللوا ذلك بأن مخرج الباء والواو من الشفتين ومن السهل إبدال إحداهما من الأخرى ، واستدلوا على أصالة الباء أيضاً بأن فعل القسم (أحلف أو أقسم) لايتعدى إلا بها ، فإذا حذف جوازاً بقيت هي ، ثم أبدلت واواً لكثرة الاستعمال . واستدلوا على أن التاء أصلها واو بأنها كثيراً ما تبدل منها ، فقالوا : تُخمَة ، وتُكأة ، وتُجاه ، وتُراث ، والأصل في هذا كله الواو .

ومثل هذا التعليل لايعتمد غير الظن ، وربما كان الرجوع في مثل هذه الظواهر إلى تاريخ اللغة العربية أصدق ظناً ، فقد يكون للواو والتاء جذور ضاربة في تاريخ هذه اللغة .

١١ ـ أحرف الاستثناء :

هي ثلاثة أحرف : خلا ، عدا ، حاشا ، ولا تكون أحرف جر إذا دخلت عليها « ما » المصدرية ، أو كان مابعدها منصوباً . وقد عدها ناس من

---

(١) أجاز ابن كيسان إظهار الفعل قبلها ، وهذا استنباط من غير اعتماد النص .

(٢) وسمع ـ فيما رُوي ـ : ترب الكعبة ، تربي ، تالرحمن ، تحياتك .

(٣) ليس هذا موضع إجماع . فقد ذهب بعضهم إلى أن كلاً منها أصل .

النحويين في الأحرف الشبيهة بالزائدة ، والأفضل جعلها غير ذلك . ومن شواهد مجيئها أحرف جر قول الشاعر :

أبحنـا حيَّهـم قتـلاً ونهبـاً عدا الشمطاءِ والطفلِ الغريرِ

وتقول : قرأت الكتاب خلا صفحتين . ورأيتُ أصدقاءَك حاشا سعيدٍ . ويعلق الجار والمجرور بالفعل المتقدم أو شبهه .

١٢ ـ لعل ، ومتى :

أما الأول فلم يكن حرف جر إلا في لغة قبيلة عربية هي عُقيل ، وأما الثاني فقد استعمل حرف جر بلغة قبيلة أخرى هي هُذيل . ثم انقرضت هاتان اللهجتان فيما انقرض من لهجات العرب ، وبقي الحديث عنهما للتاريخ ، ويحسن إلغاؤهما من كتب النحو الحديثة . وليس بين أيدي الناس من شواهدهما إلا القليل ، كقول كعب بن سعد :

فقلتُ ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرةً لعـل أبـي المغـوارِ منـك قـريـبُ

وقول الآخر :

لعـل الله فضلكـم علينـا بشـيءٍ أن أمكـمُ شَـريـمُ

و (لعل) حرف شبيه بالزائد . وما بعده مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ . والخبر في البيت الأول : قريب ، وفي البيت الثاني الجملة (فضلكم علينا) .

ومن شواهد قول أبي ذؤيب الهذلي :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لججٍ خضر لهنَّ نئيجُ[1]

أي : شربن من ماء البحر . فـ (متى) هنا حرف جر أصلي ، والجار والمجرور معلقان بالفعل : شربن .

١٣ ـ (كي) الجارة :

هي في الأصل حرف ناصب للفعل المضارع ، تقول مثلاً : أقرأ كي أتعلمَ . ولكنها في بعض الأحيان تستخدم استخدام اللام الجارة ، وذلك في

(١) يصف سحائب . والنئيج : صوت مرتفع .

مثل : كيمَ تسافرُ ؟ أي : لم تسافرُ ؟ فلم يقع بعدها فعل مضارع ، بل وقعت (ما) الاستفهامية ، وحذفت ألفها كما تحذف بعد اللام ، والباء ، وفي ، وعن ، ومن ، و . . . في مثل : لمَ ، وبمَ ، وفيمَ ، وعمَّ ، وممَّ ، وإلامَ ، وعلامَ ، وحتامَ . وهذا يدل على أن (كي) مثلهن في هذا التركيب . وتعرب كما يلي :

كي : حرف جر . ومَ : اسم استفهام مبني على الفتح في محل جر بكي ، والجار والمجرور معلقان بالفعل (تسافر) .

وقد يقفون عيها ، ويلحقون بها هاء السكت ، فيقولون : كيَمهْ ؟

١٤ ـ (لولا) الجارة :

هي في الأصل حرف شرط امتناعي ، وتدل على امتناع لوجود شيء غيره ، مثل : لولا المشقة سادَ الناسُ كلُّهم . أي : امتنعت سيادة جميع الناس لوجود المشقة .

ولايقع بعدها إلا اسم مرفوع ، مثل : لولا الرجاءُ لقعد الناسُ عن العمل . ولولا اللغةُ لضاعتْ علومُ الناس . وإذا وقع بعدها ضمير فيشترط أن يكون ضميرَ رفعٍ منفصلاً يصلح أن يحل محل اسم مرفوع ، لأن ما بعد « لولا » مبتدأ ، تقول : لولا أنتم لهلك الناس . ولولا هو لما عرفتُ طريقي . ولولا أنا لاستهانَ بك الرفاق .

هذه هي اللغة الشائعة الصحيحة ، إلا أن اللغة الشعرية أتت بما يخالف هذا ، إذ أوقع بعض الشعراء ضميرَ نصبٍ أو جرٍ متصلاً بعد « لولا » ، كما ترى في قول يزيد بن الحكم :

وكم موطنٍ لولايَ طِحْتَ كما هوى ... بأجرامه من قلة النيقِ منهوي

فقال : لولايَ . وكان عليه أن يقول : لولا أنا . وقال العَرْجي :

أوْمَتْ بعينيها من الهودَجِ ... لولاكَ هذا العامَ لم أحجج

فقال : لولاكَ . وكان الصواب أن يقول : لولا أنت . لأن ياء المتكلم في البيت الأول ، وكاف المخاطب في الثاني لا يصلحان أن يقعا مبتدأ ، لأنهما لايحلان محل الاسم المرفوع . فاحتال بعض النحاة في تأويل ما حملته

لغة الشعر من هذا الظاهرة ، فزعم أن « لولا » هنا حرف جر ، والضمير المتصل بعدها في محل جر به . وجعل بعض المتأخرين « لولا » في هذا التركيب وأضرابه حرف جر شبيهاً بالزائد ، والضمير بعدها في محل رفع على أنه مبتدأ ، والخبر محذوف وجوباً لأنه كون عام .

وقد شاعَ في النحاة المتأخرين هذا الرأي ، ولم يشتهر غيره(١) .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ ماقطعتم من لينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذن الله ﴾ (الحشر : ٥) .

٢ ـ ﴿ ولايزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم ﴾ (البقرة : ٢١٧) .

٣ ـ ﴿ فتولَّ عنهم حتى حينٍ ﴾ (الصافات : ١٧٤) .

٤ ـ ﴿ وقالوا : مهما تأتنا به من آيةٍ لتسحرنا بها ، فما نحن لك بمؤمنين ﴾ (الأعراف : ١٣٢) .

٥ ـ « اللهم إني أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار » (حديث نبوي) .

٦ ـ قال جرير :

ومالاقيتُ ويلك من كريمٍ ينامُ كماتنام عن التِراتِ

(١) هناك رأيان آخران ، يرى أولهما أن (لولا) ليست حرف جر هنا ، بل هي على أصلها : حرف امتناع لوجود . ولكن ناب في ضرورة الشعر ضمير الجر المتصل عن ضمير الرفع المنفصل ، كما يحصل العكس أحياناً ، يقال : ما أنا كأنت . أما الرأي الآخر فيرى أن ما جاء في الشعر من أمثال هذا التركيب لحنٌ وخطأ ، ويجب ألا يُقبل في الشعر ولا في النثر ، وألا يؤوّل وتشوه قواعد النحو . والرأي الأول للأخفش الأوسط ، والثاني للمبرد .

٧ ـ وقال جرير أيضاً :

لـه المتخيـران : أبـاً وخـالاً   فـأكـرمْ بـالخـؤولـةِ والعُمـومِ

٨ ـ وقال عنترة :

ألا رُبَّ يـومٍ قـد أنخنـا بـدارهـم   أقيم بهم سيفي ورمحي المقوَّما

٩ ـ وقالَ عُمارة بن عقيل :

فيـارب يـوم قـد شـربـتُ بِمشـربِ   شفيتُ به غيمَ الصَّدى باردِ عذبِ

١٠ ـ وقال أحد شعراء الحماسة :

ألم تعلمنْ يارَبِّ أن رُبَّ دعوةٍ   دعوتُك فيها مُخْلِصاً لو أُجابُها

١١ ـ وقال سُلمي بن ربيعة :

ومُناخِ نازلةٍ كفيتُ وفارسٍ   نهلتْ قَناتي من مَطاهُ وعَلَّتِ

١٢ ـ وقال الأعشى :

وكـأس شـربـتُ علـى لـذةٍ   وأخـرى تـداويـتُ منهـا بهـا

١٣ ـ وقال الأعشى أيضاً :

وخَرْقٍ مَخوفٍ قد قطعْتَ بَجْسرةٍ إذا خـبَّ آلٌ وَسْطَـهُ يتـرقـرقُ

١٤ ـ وقال أمرؤ القيس :

ووادٍ كجوفِ العَيْرِ قفرٍ قطعتُهُ   به الذئبُ يعوي كالخليعِ المعَيَّلِ

☆ ☆ ☆

المضاف إليه

١ ـ المضاف والمضاف إليه :

تتألف الجملة اللغوية من كلمات يرتبط بعضها ببعض بعلاقات خاصة ذات وظائف تعبيرية ، فإذا نظرنا في هذه الجمل الثلاث :

ـ اشترى أحمدُ سيارةً .

ـ اشترى أحمدُ سيارةً زرقاء .

ـ اشترى أحمدُ سيارةَ خالدٍ .

وجدنا علاقات الكلمات في الجملة الأولى أقل مما هي عليه في الجملتين الأخريين ، إذ عرفنا منها أن أحمد قام بعمل ، هو شراء سيارة ، إلا أننا لم نتبين معالم السيارة المشتراة . ولكننا في الجملة الثانية وقفنا على علاقة جديدة تبين لنا أن السيارة زرقاء ، لا بيضاء ولا حمراء ، ولا . . . ، ومع إضافة هذا المعنى الجديد تظل السيارة عندنا مجهولة التاريخ ولانعرف عنها شيئاً غير ماذكر . أما الجملة الثالثة ففيها علاقة جديدة تقوم بين السيارة وخالد ، لقد كانت سيارته من قبل الشراء ، وهذا يعني أننا على معرفة سابقة بها ، ولنا بتاريخها إلمامٌ مّا .

وحين ننظر في هذه العلاقات المتزايدة نلاحظ مايلي :

١ ـ هنا علاقات أساسية تمثل جوهر العلاقات بالجملة ، هي العلاقة بين (أحمد) والفعل (اشترى) ، وتسمى علاقة إسناد .

٢ ـ وهناك علاقات فرعية ترتبط بالعلاقة الأساسية في الجملة وتزيد بعض عناصرها وضوحاً ، كالعلاقة بين (السيارة) و (خالد) ، وهي علاقة نسبةٍ أو إضافةٍ أو ملكية ، فالسيارة منسوبة إو مضافة إلى خالد ، وكان مالكها قبل الشراء .

فإذا عرفنا أن العلاقة بين : السيارة ، وخالد ، علاقة إضافة أمكن أن ننظر في طبيعتها ، ونحدد سماتها .

إنها ـ كما يبدو ـ علاقة اسم باسم آخر ، فهي إذاً ذات طرفين ، يُسمى الطرف الأول مضافاً ، ويسمى الثاني مضافاً إليه . وهي ـ من جهة أخرى ـ علاقة فرعية من علاقات الجملة ، ذات وظيفة دلالية خاصة ، إذ تنسب شيئاً إلى شيء ، فتعرفه به حيناً ، وتخصصه حيناً آخر . فإذا قلت : سيارة خالد . أو : بيت عمي ، أو : دفتر المحاضرات ، أو : كتاب النحو . كانت علاقة الإضافة ذات وظيفة تعريفية ، وإذا قلت : شجرةُ تفاحٍ ، وبيتُ فلاحٍ ، وقلمُ طفلٍ ، وكأس شرابٍ ، كانت الوظيفة تخصيصية .

وطرفا الإضافة يختلفان بين تركيب وآخر :

ـ فقد يكون كل منهما شيئاً مستقلاً عن الآخر مثل : ثوب سعيدٍ ، ودارُ أحمد .

ـ وقد يكون الطرف الأول جزءاً من الطرف الثاني ، مثل : يدُ سعيدٍ ، وأذن خالدٍ ، ورأس محمودٍ .

ـ وقد يكون الطرف الأول مما يحدث بفعل الثاني ، مثل : عملُ الدولةِ ، وانتصار الجيش ، ونجاحُ الطالب .

ـ وقد يكون الأول ممايشتمل عليه الثاني ، مثل : روحُ العمل ، ونفس ، الإنسانِ ، وحِدَّةُ الذهن .

ـ وقد يكون الثاني مكاناً أو زماناً للأول ، مثل : هواءُ البلدِ ، وماءُ الروض ، ورياضة الصباح ، ونومُ الليلِ .

ـ وقد يكون الأول صفة للثاني ، مثل : بيضُ الأيادي ، وجميلُ العزاء ، وغَضُّ الشبابِ .

الحق أن هناك علاقات كثيرة يصعب حصرها ، ولكن النحاة العرب ربطوا بينها وبين معاني أحرف الجر ، فذكروا أن معاني الإضافة تتحدد بمعاني ثلاثة من حروف الجر ، هي : اللام ، ومن ، وفي .

٢ ـ **الإضافة بمعنى اللام :**

يرى النحاة أن الإضافة قد تَرِد في الكلام لتفيدَ أحدَ معنيينِ من معاني اللام ، هما : التملك ، والتخصيص . فإذا كان الطرف الثاني مما يمكن أن يملك ، كانت للتملك ، وهذا محصور في كون المضاف إليه كائناً إنسانياً ، مثل : كتابُ زيدٍ ، وقلم التلميذ ، وبيت أخي ، وأرض عمي . أما إذا كان الطرف الثاني مما لايملك فتكون حينئذٍ للتخصيص ، مثل : باب الدار ، وعجلة السيارة ، وجناحُ الطائرة ، وواجهةُ البناء ، ومدخَلُ الجامعةِ ، ودفترُ الحسابِ ، وزمنُ الحصاد ، وصباحُ الجمعةِ ، وقراءةُ المجلاتِ[1] .

وإنما ربط النحاة بين معنى الإضافة في هذه التراكيب وأمثالها وبين معنى اللام ، لأن من الممكن تحويل كل تركيب فيها إلى تركيب آخر تقوم فيه اللام بوظيفة الإضافة ، وذلك كما تلاحظ فيما يلي :

ـ كتابُ زيدٍ ⟵ كتابٌ لزيدٍ .

ـ عجلة السيارة ⟵ عجلةٌ للسيارة .

ـ أرضُ عمي ⟵ أرضٌ لعمي .

ـ الخ . . .

إلا أن النحاة أسرفوا في تقدير اللام في بعض التراكيب ، إذ حكموا بتقديرها في مثل : عندَ الشدةِ ، ولدى الحرب ، وكل شيءٍ ، ويوم الجمعة ، وذكر بعضهم أن تقدير اللام في مثل هذه التراكيب يقتضي تغيير المضاف وجلب كلمة مشابهة له في المعنى ، وذكر آخر أن الإضافة بمعنى اللام في مثل : يوم الجمعة ، ويوم السبت ، ولكن لايصح التصريح بها . وهذا يدل على أن معاني

(١) بين النحاة شيء من الخلاف في تضمن الإضافة لمعنى من معاني حرف الجر ، فقد ذهب الرضي إلى أن اللام تقدر حين تكون الإضافة بمعناها ، وتقدر أيضاً حين لا يظهر معناها ، إذ يرى أن الإضافة إذا لم تكن بمعنى (من) أو (في) قدرت اللام ولو لم يكن معناها ظاهراً . وقال أبو حيان : تقدير الإضافة بأحرف جر خاصة ليس بصحيح ، لأن الإضافة تقيد الاختصاص ، وهو ذو جهات متعددة لا تظهر إلا بالاستعمال .

الإضافة أوسع من المعنيين اللذين قُرِنا إليهما ، ولكنها يمكن أن تكثف بمعنى واحد هو « التخصيص » ، دون تحديده بمعنى من معنيي اللام السابقين .

٣ ـ الإضافة بمعنى (من) :

وغالباً ماتكون الإضافة مشتملةً على وظيفة بيانية ، كأن يكون الطرف الثاني جنساً للأول ، أو مميزاً له ، أو كلاً له ، أو معدوداً ، وفي هذه الحال يمكن أن يتحول التركيب الإضافي إلى تركيب آخر تقوم فيه (من) البيانية ـ دون (من) الابتدائية أو البعضية أو التعليلية أو . . . ـ بوظيفة الإضافة، وذلك كما ترى في التراكيب التالية :

ـ لوحُ زجاجٍ ← لوحٌ من زجاجٍ .
ـ سوارُ ذهبٍ ← سوارٌ من ذهبٍ .
ـ بابُ خشبٍ ← باب من خشبٍ .
ـ خمسة دراهم ← خمسة من الدراهم .
ـ بعض النهارِ ← بعض من النهار .

٤ ـ الإضافة بمعنى (في) :

وقد يكون المضاف إليه ظرفاً للمضاف ، مثل : سهر الليل ، وعمل الأمسِ ، ورفيقُ الدربِ ، وصديق الدراسةِ . وفي هذه الحال يمكن أن يتحول التركيبَ الإضافي إلى تركيب آخر تقوم فيه (في) بوظيفة الإضافة ، وذلك كما ترى :

ـ سهرُ الليل ← سهرٌ في الليلِ .
ـ رفيق الرحلةِ ← رفيقٌ في الرحلة .
ـ قعودُ البيت ← قعودٌ في البيت .
ـ شجاعُ حربٍ ← شجاع في الحرب .

ومما جاء من هذه الإضافة في الكلام الفصيح قوله تعالى : ﴿ بل مكرُ الليلِ والنهارِ ﴾ (سبأ : ٣٣) ، وجاء في الحديث النبوي : « إن الله يبسط يده في الليل ليتوب مسيءُ النهارِ ، ويبسط يده في النهار ليتوب مسيءُ الليل » .

وقال القطامي :

ألا إنمـا نيـرانُ قيـسٍ إذا شتـوا لطارقِ ليلٍ مثلُ نارِ الحباحب

وهذه التراكيب كلّها تؤول بحرف الجر (في) الذي يدل على الظرفية : مكرٌ في الليل ، مسيء في النهار أو في الليل ، لطارقٍ في الليل .

نوعا الإضافة

للإضافة نوعان : إضافة معنوية ، ويقال لها أحياناً : إضافة محضة ، أو إضافة حقيقية . وهي التي تفيد النسبة أو التخصيص ، كما مر ، وهي المقصودة في التعريف دوماً .

وإضافة لفظية ، وتسمى أيضاً : مجازية أو غير محضة . والغاية منها تخفيف التلفظ بالتركيب اللغوي الفرعي ، وهذا ماسوف نراه في حينه .

١ ـ الإضافة المعنوية :

قلنا من قبل : إن الإضافة المعنوية هي الإضافة الأصيلة ، وإنما سميت « معنوية » لأنها تفيد معنى التملك أو التخصيص ، أو بيان النوع ، أو الظرفية . وفيها ينسب المضاف إلى المضاف إليه . وقد مرت على هذا النوع من الإضافة أمثلة كثيرة ، ومن ذلك : كتاب القراءةِ ، وساحةُ المدينةِ ، وقوةُ الإيمانِ ، ورايةُ الجهادِ .

٢ ـ الإضافة اللفظية :

وهذا النوع من الإضافة يختلف في طبيعته عن النوع السابق ، فهو في الأصل تركيبٌ من نوع آخر لا إضافة فيه ، ولكنه تحول إلى تركيب إضافي لثقلٍ لفظي فيه ، وذلك كما ترى في التراكيب المزدوجة التالية :

١ ـ هذا رجلٌ حسنٌ مَظْهرُهُ ← هذا رجلٌ حسنُ المظهرِ .

٢ ـ لعلكَ ضائقٌ صدرُك ← لعلك ضائقُ الصدرِ .

٣ ـ إنه لعملٌ محمودٌ فاعِلُهُ ← إنه لعملٌ محمودُ الفاعلِ .

فأنت ترى الجمل الثلاث الواقعة قبل السهم تشتمل على : حسنٌ مظهرُهُ ، وضائقٌ صدرُكَ ، ومحمودٌ فاعلُهُ . وفي كل منهما تركيب إسنادي ، فـ (مظهرُه) فاعل للصفة المشبهة ، و (صدرك) فاعل لاسم الفاعل ، و (فاعله) نائب فاعل لاسم المفعول . ومثل هذا التركيب فصيح جيد ، إلا أنه ثقيل اللفظ لما فيه من تنوين يليه فاعل أو نائب فاعل . ومن أجل ذلك حوله المتكلم إلى تركيب آخر حافظ فيه على المعنى ، وتخلص فيه من التنوين والضمير الذي يرجع من معمول الاسم المشتق ، فجعل الطرف الأول مضافاً والطرف الثاني مضافاً إليه ، كما ترى في الجمل الثلاث التي تقع بعد السهم .

وإذا نظرت في التركيب الإضافي : حسن المظهر ، وضائق الصدر ، ومحمود الفاعل ، رأيت الإضافة خالية من معنى النسبة أوالتخصيص أو البيان أو الظرفية ، بل هي لا تؤدي معنى خاصاً غير المعنى الذي كان للتركيب الأصلي ، وهو الفاعلية أو النيابة عن الفاعل . وربما أدت معنى المفعولية كقولك : جئتُ زائرَكَ . أي : جئتُ زائراً إياك .

وتتميز هذه الإضافة بشيئين ، هما :

١ ـ أن الطرف الأول من التركيب لابد من أن يكون اسماً مشتقاً يقوم بوظيفة فعله ويدل مثله على الحال أو الاستقبال . ويتحدد هذافي ثلاثة من المشتقات هي : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشتقة ، مثل : هذه القصيدةُ باديةُ الجودةِ ، مسبوكةُ النسجِ ، جَيّدةُ القوافي . فإذا لم يكن الاسم المشتق قائماً بوظيفة الفعل كانت إضافته إلى مابعده إضافة معنوية لا لفظية ، مثل : هذا مفتاحُ البابِ . وذاك خطيبُ المسجدِ ، وههنا مَقْهى الحيِّ ، وعرفتُ شاعرَ القومِ ، ولم أبالِ بمرؤوسك .

٢ ـ أن يكونَ التركيب الإضافي فيها قابلاً للتحويل إلى تركيب آخر ، بحيث يصير المضاف فيه عاملاً عمل فعله في المضاف إليه . فإذا عدت إلى التركيب السابق رأيت من الممكن تحويله إلى التركيب التالي : هذه القصيدةُ باديةٌ جودتُها ، مسبوكٌ نسجُها ، جيدةٌ قوافيها . ولكنك لاتستطيع تحويل التراكيب الأخرى ، إذ لايمكن أن تقول : هذا مفتاحٌ بابُهُ ، وذاك خطيبٌ مسجدُهُ ، وهكذا .

ولايكتسبُ المضافُ في هذه الإضافةِ تعريفاً من المضاف إليه ، ويظهر هذا في غير ما مظهرٍ من التركيب :

١ ـ فقد يصف النكرة ، تقول : قرأتُ كتاباً عظيمَ الفائدةِ . واشتريت سيارةً جديدةَ العجلات . فالكتاب والسيارة جاءتا في الجملتين السابقتين نكرتين ومع ذلك وصفتا باسم مضاف إضافةً لفظية إلى معرفة : عظيم الفائدة ، جديدة العجلات . ولما كانت صفة النكرة لابد من أن تكون نكرة مثلها . كانت الصفتان السابقتان نكرتين على الرغم من إضافتهما إلى معرفة ، لأن الإضافة اللفظية لا تكسب المضاف تعريفاً .

٢ ـ وقد يقع المضاف حالاً : والحال نكرة ، من ذلك قول شعبة بن قمير :

إذا ماجئتُ زائرَهم دعاني شريدُهمُ ، وهل لهمُ شريدُ

٣ ـ وقد يعرف بأل ، ولايعرف بها إلا النكرة ، قال تعالى : ﴿ والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ﴾ (الحج : ٣٥) . ويقال : دخلتُ المنزلَ الواسعَ الغُرَف . وأدركت الهدفَ الخفيَّ المعالِم . ويمتنع دخول (أل) على الاسم المضاف إضافة معنوية .

٤ ـ وقد يجر بـ « رُبَّ » ، وهي لاتجر إلا النكرات ، كما مرَّ بك من قبل ، قال جرير :

يارُبَّ غابطنا لو جاءَ يطلبكم لاقى مباعدةً منكم وحرمانا

أي : ربَّ غابطٍ إيانا . . .

مايكتسبه المضاف في الإضافة المعنوية

في الإضافة المعنوية من العلاقات ما يؤثر في الاسم المضاف خاصةً ، فقد يتحول من نكرة إلى معرفة ، ومن نكرة محضة إلى نكرة مخصصة ، وقد يعامل المذكر معاملة المؤنث ، ويعامل المؤنث معاملة المذكر .

١ ـ **اكتسابه التعريف** :

يكتسب المضاف تعريفاً بعلاقته بالمضاف إليه ، بشرط أن يكون المضاف إليه واحداً من المعارف التالية : المعرف بأل العهدية ، والمعرف بالعلمية ، أو بكونه ضميراً ، أو اسم إشارةٍ ، أو اسماً موصولاً ، أو مضافاً إلى اسم آخر معرف . وذلك كما ترى في الأمثلة التالية : قرأتُ كتابَ الفارابي ، وعرفتُ مدرسَ الفصلِ . وصادفتُ أخاك ، ولملمتُ أجزاءَ هذا الكتاب ، وأعجبني عملُ رجالِ الإطفاءِ .

ولاشك أنه يعامل بعد اكتسابه التعريف معاملة المعارف ، فلا يجوز أن يقع حالاً ، لأن الحال نكرة ، ولايجوز وصفه بنكرة ، ولايجوز دخول (أل) عليه ، تقول مثلاً : أعجبتني سيارتُك الزرقاءُ . ولايجوز : أعجبتني سيارتُك زرقاءُ . برفع (زرقاء) على أنها صفة لـِ « سيارتك » .

ولكن هناك أسماء مغرقة في التنكير ، أو تؤول بنكرة ، فلا تكتسب تعريفاً من علاقتها بالمضاف إليه المعرَّف ، كالكلمات : غير ، مثل ، شبه ، نظير ، وَحْد ، . . . ومن هنا توصف ببعضها النكرات مثل : هذا كتابٌ غيرُ كتابِك . واشتريت كتاباً مثلَ كتابك . أو : شبهَ كتابك ، أو : نظيرَ كتابك . ويأتي بعضها الآخر حالاً ، تقول : جئتَ وَحْدَكَ . أي : منفرداً[١] .

٢ ـ **اكتسابه التخصيص** :

وإذا كان المضاف إليه نكرة اكتسب منه المضاف تخصيصاً ، فالنكرة نوعان : نكرة محضة ، وهي ماكانت شائعةً الدلالة غير محددة ، ونكرة مُخصصّة ، وهي ماكانت أقل شيوعاً فلا تعمّ كل الأجناس التي يدل عليها لفظها ، فالفرق واضح بين قولك : قرأتُ كتاباً . وقولك : قرأتُ كتابَ نحوٍ . فالكتاب في الجملة الأولى يعمّ جميع الكتب ، ويشمل اختصاصات كثيرة :

(١) إذا أريد بـ (غير) و(مثل) مغايرة خاصة أو مماثلة خاصة اكتسبتا التعريف ، وذلك كأن تقع (غير) بين ضدين ، مثل : ﴿ . . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ﴾ .

نحو ، أدب ، فقه ، كيمياء ، فيزياء ، و . . . وأما الثاني فقد تخصص بأنه كتاب في النحو ، لا في غيره من الاختصاصات . ومثل ذلك : هذه شجرة ليمونٍ ، وذاك عملُ طفلٍ ، وهو ذو مروءةٍ ، وصاحبُ نخوةٍ ، وأهل نجدةٍ .

٣ ـ اكتسابه التأنيث :

وكثيراً مايكتسب المضاف تأنيثاً من المضاف إليه ، ويشترط هنا شرطان : الأول : أن يكون المضاف جزءاً من المضاف إليه أو كالجزء ، أو أن يكون المضاف إليه هو الجزء من المضاف .

والثاني : أن يصح قيام المضاف إليه مقام المضاف إذا حذف . وذلك في مثل قولهم : تقرَّحت ظهرُ كفِه . وتمزقت جلدُ الكراسة . إذ أن كلاً من (الظهر) و (الجلد) كالجزء مما أضيفت إليه ، كما يمكن إسقاطهما من الكلام من دون تشويه أو تحريف ، تقول : تقرحتْ كفه ، وتمزقتِ الكراسة . وقد جاء مثل هذا في الشعر بكثرة من ذلك قول جرير :

لمـا أتـى خبـرُ الـزبيـرِ تـواضعـتْ   سُـورُ المـدينـةِ والجبـالُ الخُشَّـعُ

فقال : تواضعتْ ، بالتأنيث ، والفاعل مذكر (سور) ، إلا أن الفاعل أضيف إلى المدينة وهو جزء منها ، ويمكن إسقاطه فيقال : تواضعت المدينة . ومنه أيضاً قول الشاعر ، وهو طفيل الغنوي :

مضـوا سلفـاً قصـدَ السبيـلِ عليهـمُ   وصَـرْفُ المنـايـا بـالـرجـال تَقَلَّـبُ

فالصرف : مذكر ، ولكنه أضيف إلى المنايا ، وهو كالجزء منها ، ويصح إسقاطه من دون أن يفسد المعنى ، ولذلك أكسبه المضاف إليه تأنيثاً فقيل : تتقلب ، ولم يُقَلْ : يتقلب . وكان يقال قديماً : اجتمعت أهل مكة ، وتنادتْ سكانُ اليمامة .

ولكن لايجوز أن يقال : جاءتْ أخو هندٍ . ولا : ذهبتْ أبو دعدٍ . وإن أضيف المذكر إلى مؤنث ، لأن المضاف ليس جزءاً من المضاف إليه ، ولا كالجزء منه ، ثم إنه إذا سقط اختلف المعنى وانصرف الإسناد إلى هند ودعد .

٤ ـ اكتسابه التذكير :

وهذا قليل جداً ، حتى أن بعض النحاة لم يذكره البتة ، كسيبويه مثلاً ، ومما جاء منه قوله تعالى : ﴿ فظلت أعناقهم لها خضاعين ﴾ (الشعراء : ٤) . إذ أضيفت الأعناق إلى المذكرين ، وهي أجزاء منهم ، فعوملت معاملة المذكر فقيل (خاضعين) لا (خاضعة)[١] . ومنه قول الشاعر :

إنارةُ العقلِ مكسوفٌ بطوعِ هوىً   وعقلُ عاصي الهوى يزْدادُ تنويرا

إجراءات الإضافة

وللتركيب الإضافي إجراءات يدركها المتكلم أو الكاتب بعفوية ، وهي مما تفرضه قوانين التركيب نفسها ، وهي :

١ ـ حذف التنوين :

لايجتمع التنوين والإضافة البتة ، فإذا قلت : اشتريتُ كتاباً ، وقرأتُ بحثاً ، نونت : كتاباً ، وبحثاً . لأن كلاً منهما نكرة غير مضافة . فإذا أضفتهما حذفت تنوين كل منهما ، تقول : اشتريتُ كتابَ نحوٍ . وقرأت بحثَ الاستاذِ .

٢ ـ حذف مايشبه التنوين :

وتفعل مثل في إضافة المثنى وجمع المذكر السالم ، إذ تحذف نون كل منهما في التركيب الإضافي ، تقول : عرفت معلمَيْ أختكَ . وقابلتُ موجهِي المدرسة ، وغابَ معلمو المدرسة ومديراها .

٣ ـ حذف (أل) من المضاف :

وإذا كانت الإضافة معنوية ، امتنع أن يكون المضاف معرفاً بأل ، فلا يقال : جاءَ الطالبُ الجامعةِ . بل يقال : جاء طالبُ الجامعةِ .

---

(١) في الآية أقوال أخرى . انظر : العكبري : ٢/١٦٦ .

حذف المضاف والمضاف إليه

يشكل طرفا التركيب الإضافي بنيةً مترابطة حتى لكأنهما اسم واحد ، وهذا ما جعل النحاة القدماء يغالون فيذهبون إلى أن المضاف إليه من المضاف بمنزلة التوين ، وأنه لايجوز الفصل بينهما كما سوف نرى .

هذا التلاحم بين العنصرين المتراكبين أتاح للمتكلم العربي أن يحذف أحدهما ، ولاسيما الجزء الأول . ويقيم بعضهما مقام بعض . إلا أن حذف الجزء الأول كثير وفصيح ، على حين يقل الثاني ويستهجن أحياناً .

١ ـ حذف المضاف :

كان العربي القديم يقول : جئتكَ مغيبَ الشمس ، وألقاكَ مُنْصرفَنا من المجلس . ففي كل من هاتين الجملتين حذف المضاف ، وناب عنه المضاف إليه ، إذ أصل الكلام : جئتك وقتَ مغيبِ الشمس ، وألقاك زمنَ منصرَفنا من المجلس .

وقد جاء منه في القرآن الكريم شيء كثيرن ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ واسأل القريةَ التي كنا فيها ﴾ (يوسف : ٨٢) أي : اسأل أهلَ القرية . ومن ذلك أيضاً : ﴿ وأشربوا في قلوبهمُ العِجْلَ ﴾ (البقرة : ٨٣) . أي : حبَّ عبادةِ العجل . ومنه : ﴿ حرمتْ عليكمُ الميتةُ ﴾ (المائدة : ٣) أي : أكل الميتة . وجاء منه في الحديث النبوي قوله ﷺ : « لايحل دم امرىء إلا لثلاث » . أي : لاتحل إراقةُ دمِ امرىء .

أما في الشعر فقد جاء منه مالا يحصى ، من ذلك قول جميل بثينة :

يقولون جاهد ياجميلُ بغزوةٍ ... وإن جهاداً طيىءٍ وقتالها

أي : وإن جهاداً جهادُ طيءٍ . ومنه قول عنترة :

عهدي به مَدَّ النهارِ كأنما ... خُضِبَ البَنانُ ورأسُهُ بالعِظْلِمِ

أي : وقت مد النهار .

ونقول : في الكلام اليومي : قرأتُ العقادَ . أي : نتاجَ العقادِ .
ونقول : لم أجد في المتنبي إلا المعنى العميق ، واللفظ الآسر . أي : لم أجد في شعر المتنبي إلا . . .

ولعلك لاحظت من الشواهد السابقة أن المضاف إليه قام مقام المضاف المحذوف في الإعراب ، ففي مثل : قرأتُ العقادَ . واسأل القريةَ . يُعرب كل من : العقاد والقرية ، مفعولاً به ، لأنه حل محل المضاف ، فسُلِّط عليه عامله .

إلا أن ثمة حالاً أخرى يحافظ فيها المضاف إليه على إعرابه ، وذلك كما ترى في قول أبي دؤاد الإيادي :

أكُلَّ امرىءٍ تحسبين امرأً ونارٍ تَوَقَّدُ في الليلِ نارا

فقوله : نارٍ . مضاف إليه مجرور ، والمضاف محذوف ، والتقدير : وتحسبين كل نارٍ توقد في الليل نار . ويشترط في مثل هذه الحال أن يكون المضاف المحذوف معطوفاً على مضافٍ مذكورٍ مماثلٍ له في اللفظ والمعنى ، كما هو بيّن في قول أبي دؤاد .

٢ ـ حذف المضاف إليه :

أما المضاف إليه فلحذفه ضربان : ضربٌ قياسيٌّ فصيح ، وضَربٌ غير مستحب في الكلام النثري لأنه من قبيل الضرورة .

آ ـ الحذف الجائز :

كثيراً ما يحذف المضاف إليه بعد الأسماء الملازمة للإضافة ، كالظروف : قبل ، وبعد ، وتحت ، وفوق ، وأمام ، وقدام ، ووراء ، وخلف ، وعَلُ ، وإذ . وكالأسماء المحضة : غير ، وحَسْبُ ، وكل ، وبعض .

وشواهد حذفه في هذه المواضع كثيرة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ لله الأمرُ من قبلُ ومن بَعْدُ[1] ﴾ (الروم : ٤) والأصل : من قبلِ هذا ومن بعدِهِ .

---

(١) مر بك في بحث الأسماء المبنية أن بعض الظروف يبنى على الضم إذا قطع عن

ومنه قول أبي النجم العجلي ، يصف حصانه :

أَقَبُّ من تحتُ عريضٌ من عَلِ

أي : من تحتِه . ونقول : عرفتُ من أصدقائِكَ سميراً ليسَ غيرُ . والمعنى : ليس المعروفُ غيرَ سمير . ونقول : اقرأ هذا البحثَ حَسْبُ . أي : حَسْبُكَ . وقد تلحق فاء بلفظ (حسب) فيقال لها : فاء التزيين ، مثلٌ : اعمل هذا فحسبُ . وتعرب (حسبُ) في مثل هذه التراكيب : مبتدأ وخبره محذوف ، والتقدير : كافيك هو . أو : كافيك هذا .

ونقول أيضاً : حنانيكَ بعضُ الشر أهونُ من بعضٍ . أي : من بعضه الآخر . وقال ابن الدمينة :

وقد زعموا أن المحبَّ إذا دنا يَمَلُّ ، وأن النأيَ يشفي من الوجدِ
بكُلٍّ تداوينا ، فلم يشفَ مابنا على أن قربَ الدارِ خيرٌ من البعدِ

أي : بكلِّ الحالات تداوينا .

ب ـ الحذف المستهجن :

وهناك نوع آخر من الحذف جعله سيبويه من قبيل الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، وذكر أنه قبيح في الكلام ، جائز في الشعر ، ومَثَّلَ له بقوله : مررتُ بخيرِ وأفضلِ من ثَمَّ[1] .

وقد شاع هذا النوع في لغة الصحافة ، كأن يقال : العدو يعترف بنجاحِ وتطورِ العمليات الفدائية . والأحسن من هذا أنْ يقال : العدو يعترف بنجاحِ العمليات الفدائية وتطورها . ويقال أيضاً : خرج مديرو ومعلمو المدرسة . وهذه القصيدة لاتخرج على قوانين وتقاليدِ الشعر .

وقد جاء شيء منه في الشعر القديم . كقول الفرزدق :

يا من رأى عارضاً أسرُّ به بين ذراعيْ وجبهةِ الأسدِ

وهذا الذي نسبه سيبويه إلى القبح أجازه بعض النحاة في الشيئين يصطحبان ، كاليد والرجل في قول بعضهم : « قطعَ الله يدَ ورجلَ من قالها » .

الإضافة .

(١) الكتاب : ١/١٧٩ ـ ١٨٠ .

ويقال قياساً على هذا : جئتُ قبلَ أو بعدَ العصر . وعندي ثلاثةُ أو أربعةُ دراهمَ . فإذا تباعد الشيئان كان التركيب ضعيفاً قبيحاً ، كالدار والجارية في قولك : رأيت دارَ وجاريةَ هندٍ .

ومهما يكن من شيء فإن حذف المضاف إليه في مثل هذه التراكيب ليس باللغة المستحبة ، ولوكان الشيئان متقاربين ، وإنما قال بعضهم (يجوز) لأنه ورد على ألسنة بعض الفصحاء ، وليس كل ما (يجوز) بلغة جيدة .

أشكال المضاف إليه

وللمضاف إليه شكلان لفظيان : مضاف إليه مفرد ، ومضاف إليه جملة .

١ ـ المفرد :

والمفرد نفسه ذو أشكال ، فقد يكون اسماً ظاهراً ، مثل : غلافُ الكتابِ ، وباب الغرفةِ ، وهواءُ البلدِ ، ومياهُ البحار .

وقد يكون ضميراً متصلاً ، مثل : هذا أبوكَ ، وذاك أبي . ومثل : عمه ، وخالها ، وصديقنا . فكاف الخطاب ، وياء المتكلم ، وهاء الغائب و(ها) الغائبة ، و(نا) الدالة على المتكلمين ، هذه الضمائر كلها وقعت في الأمثلة موقع المضاف إليه ، نقول مثلاً في « ها » من : خالها مايلي :

ها : ضمير متصل مبني على السكون في مَحل جرٍ ، مضاف إليه .

وقد يكون مصدراً مؤولاً مسبوكاً من حرف مصدري وفعلٍ أو خبرٍ يليه ، والأحرف المصدرية التي يمكن أن يكون مصدرها مضافاً إليه ثلاثة ، هي : أَنْ ، وأَنَّ ، وما . كقول الحصين بن حمام :

تأخرت أستبقي الحياةَ فلم أجد لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدما

فالمصدر المؤول من (أن) والفعل (أتقدم) في محل جر ، مضاف إليه . والتقدير : مثل التقدمِ . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إنه لحقٌّ مثلما أنكم

تنطقون ﴾ (الذاريات : ٢٣) . فالمصدر المؤول من (أنَّ) وخبره (تنطقون) في محل جر مضاف إليه ، والتقدير : مثل نطقكم . ومنه أيضاً قول عروة بن حزام :

أناسيةٌ عفراءُ ذكريَ بعد ما   تركتُ لها ذكراً بكل مكان

أي : بعد تركي ذكراً لها .

٢ ـ الجملة :

ويكون المضاف إليه جملة بعد أسماء الزمان ، وحيث ، ولدن ، وريث ، وآية . ومن أسماء الزمان التي تضاف إلى الجملة : إذا (غير الشرطية) ، وإذ ، وحينَ ، ويومَ ، وعشيةَ ، وأمثالها . كقول البرج بن مسهر :

ونَدْمانٍ يَزيدُ الكأسَ طيباً   سقيتُ إذا تغوَّرتِ النجوم

فـ (إذا) ظرفية مجردة هنا من معنى الشرط ، وجملة (تغورت النجوم) : جملة فعلية في محل جر ، مضاف إليه . وقول سواد بن قارب :

وكن لي شفيعاً يومَ لاذو شفاعةٍ   بمغنٍ فتيلاً عن سوادِ بن قاربِ

فجملة (لا ذو شفاعةٍ بمغن . . .) جملة اسمية في محل جرٍ مضاف إليه .

وقال زهير :

فشد ولم يُنْظِر بيوتاً كثيرةً   لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

فجملة (ألقت رحلها أم قشعم) مضاف إليه . ومثلها جملة (أقضي لبانة) في قول الشاعر :

خليليَّ رفقاً ريث أقضي لبانة   من العَرَصاتِ المذكراتِ عهودا

وجملة (سالمتمونا وفاقكم) في قول الآخر :

لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم   فلا يك منكم للخلاف جنوحُ

وجملة (يقدمون الخيل) في قول الأعشى :

بآيةِ يَقْدَمون الخيلَ شُعثاً   كأنَّ على سنابكها مُداما

أسماءٌ ملازمة للإضافة

لايقع موقع المضاف إلا الأسماء ، أما الأفعال والحروف فلا تضاف إلى شيء . على أن الأسماء ليس كلها سواءً في هذه السمة التي تنفرد بها ، فبعضها لا يضاف البتة كالحروف والأفعال ، وذلك كأغلب الأسماء المبنية : الضمائر ، وأسماء الإشارة ، والموصولات ، وأسماء الشرط والاستفهام ، ويستثنى من ذلك : كم ، الخبرية ، وأيّ : الشرطية والاستفهامية والموصولة ، وما سوف نتحدث عنه في هذه الفقرات .

وهناك أسماء ملازمة للإضافة ، أي هي مقيدةٌ أبداً بالمضاف إليه ، فلا تقع في التركيب إلا موقع المضاف ، لأنها أسماء مبهمة لايتضح المقصود منها إلا بما تضاف إليه . وهي نوعان : منها مايلازم الإضافة إلى مفرد ، ومنها مايلازم الإضافة إلى جملة .

١ ـ مايلازم الإضافة إلى مفرد :

وهي أسماء كثيرة : لدى ، ولدن ، وقبل ، وبعد ، وأسماء الجهات الست ، وبين ، وأيّ ، ومع ، وكلا وكلتا ، وعند ، وغير وسوى ، وذو ، وذات ، وأولو وأولات ، وكل وبعض ، و . . .

وهذه الأسماء ثلاثة أنواع في طبيعة إضافتها ، فمنها مايضاف إلى اسم ظاهر وضمير ، ومنها مالايضاف إلا إلى اسم ظاهر ، ومنها مالا يضاف إلا إلى ضمير .

آ ـ مايلازم الإضافة إلى الظاهر والضمير :

وهذه الزمرة تشكل معظم الأسماء السابقة ، تقول : جئتُ قبلك وبعده ، وقبلَ العصر وبعد الظهرِ . ومثل ذلك : لدى ، ولدن ، وأسماء الجهات الست ، وكلا وكلتا ، وعند ، وغير وسوى ، وبين ، وأَيّ (الشرطية والاستفهامية) ، وكل وبعض ، و . . .

أما (كلا وكلتا) فتضافان إلى اسم معرف مثنى في المعنى واللفظ ، أو في المعنى دون اللفظ ، وذلك مثل : ﴿ كلتا الجنتين آتت أكلها ﴾ . (الكهف : ٣٣) فـ « الجنتين » مضاف إليه ، وهو مثنى لفظاً ومعنى . وتقول : كلا الرجلين غدا فامترى . أما قول عبد الله بن الزبعرى :

إن للخيرِ وللشر مدىً   وكلا ذلك وَجْهٌ وقَبَلْ

فإن المضاف إليه فيه هو : ذا . وهو اسم إشارة مفرد في لفظه ، مثنى في معناه ، لأنه يشير إلى الخير والشر . وقد يكون المضاف إليه اسماً مفرداً معطوفاً عليه اسم مفرد آخر لتكون الدلالة الكلية منهما على المثنى[1] ، وهذا بيّنٌ في قول الشاعر :

كلا أخي وخليلي واجدِي عَضُداً   في النائبات وإلمام الملماتِ

ومن إضفاتهما إلى ضمير المثنى قوله تعالى : ﴿ إما يبلغنَّ عندك الكبرَ أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ﴾ (الإسراء : ٢٣) وقول الشاعر :

أكاشِرُهُ وأعلمُ أنْ كلانا   على ماساء صاحبَهُ حريصُ

وأما (أيّ) الاستفهامية فتضاف إلى اسم ظاهر ، كقول النابغة :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لاتَلُمُّهُ   على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

وإلى ضمير كقوله تعالى : ﴿ أيُّكم زادته هذه إيماناً ﴾ (التوبة : ١٢٤) ﴿ وماكنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيُّهم يكفُلُ مريمَ ﴾ (آل عمران : ٤٤) .

ومن إضافة (أي) الشرطية إلى الاسم الظاهر قوله تعالى : ﴿ أيُّما الأجلين قضيت فلا عدوان عليَّ ﴾ (القصص : ٢٨) فَـ (الأجلين) مضاف إليه و (ما) زائدة . وتقول : أيّهما تكرمْ يكرمْك . وقد يحذف المضاف إليه لفظاً ويبقى معنىً ، كقوله تعالى : ﴿ أياً ماتدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ (الإسراء : ١١٠) أي : أيَّ الأسماء تدعوا . . .

وكذلك الشأن في إضافة (كل ، وبعض) ، مثل : ﴿ كلُّ مَنْ عليها فانٍ ﴾ (الرحمن : ٢٦) ﴿ وكلّ شيءٍ أحصيناه في إمام مبين ﴾ (يس : ١٢)

(١) يرى بعض النحاة أن هذا من قبيل الضرورة فلا يجوز في النثر .

وتقول : بعضُ الشر أهون من بعضه الآخر . وتقول : أقبل الناس كلُّهم . وقد يحذف المضاف إليه لفظاً ويبقى معنىً ، مثل : ﴿ وكلٌ أتوه داخرين ﴾ (النمل : ٨٧) ومثل : ﴿ إنّا بكلٍّ كافرون ﴾ (القصص : ٤٨) ومثل : ﴿ ثم يومَ القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ﴾ (العنكبوت : ٢٥) والتقدير في هذه الشواهد : كل من في السماوات والأرض . بكل منهما . ببعضكم الآخر . بعضَهم الآخر .

هذه هي أهم الأسماء التي تضاف إلى الظاهر والضمير ، ولا نجد بأنفسنا حاجة إلى الحديث عن سائر الأسماء لشهرتها وسهولتها .

ب ـ مايضاف إلى اسم ظاهر :

وهناك أسماء لاتضاف إلى الضمير ، بل تقتصر إضافتها إلى الاسم الظاهر ، مثل : ذو ، وذات ، وأولو ، وأولات .

أما « **ذو** » فتضاف إلى اسم جنس ، تقول : هذا الرجل ذو علم . أو : ذو مالٍ ، أو : ذو جاهٍ . ومنه قوله تعالى : ﴿ إن الله لذو فضلٍ على الناس ﴾ (البقرة : ٢٤٣) ومنه : ﴿ وآت ذا القُربى حقه ﴾ (الإسراء : ٢٦) ومنه : ﴿ وعلى الذين هادوا حر مناكلَّ ذي ظفرٍ ﴾ (الأنعام : ١٤٦) .

إلا أنها لاتضاف إلى وصفٍ ، فلا يقال : هذا رجل ذو صالحٍ أو ذو عالمٍ . ولا إلى ضمير ، فلا يقال : ذوه ، أو : ذاهُ ، أو : ذيهِ .

هذا إذا كانت في صيغة المفرد ، أما إذا جمعت فإنها تكون أكثر تصرفاً ، إذ تضاف حينئذٍ إلى اسم الجنس وضميره ، وإلى غير اسم الجنس وضميره أيضاً ، وذلك واضح في قولهم : لايعرفُ الفضلَ إلا ذووه . فضمير الغائب هنا هو المضاف إليه ، ويعود إلى اسم جنس (الفضل) . ويقال : هؤلاء ذوو فلانٍ . فأضيف إلى غير اسم الجنس ، وتقول : هذا فلان وذووه . قال الكميت :

إليكم ذوي آلِ النبي تطلَّعت نوازعُ من قلبي ظماءٌ وألْبُبُ

وكذلك « **ذات** » لا تضاف إلا إلى اسم ظاهر دالٍ على الجنس ، مثل : ﴿ وتودون أن غير ذات الشوكةِ تكون لكم ﴾ (الأنفال : ٧) ومثل :

﴿ سيصلى نارًا ذات لهب ﴾ (المسد : ٣) وكذلك الأمر إذا ثنيت ، مثلً :
﴿ بدلناهم بجنتين ذواتيْ أُكُلٍ خمَطٍ ﴾ (سبأ : ١٦) .

أما « **أولو** » و « **أولات** » فتضافان أيضاً إلى اسم ظاهر ، مثل : ﴿ ومايذكر إلا أولو الألباب ﴾ (آل عمران : ٧) ومثل : ﴿ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ (آل عمران : ١٣) ومثل : ﴿ وإن كنَّ أولات حملٍ فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾ (الطلاق : ٦٥) .

ج ـ مايضاف إلى ضمير :

وثمة كلمات تمتنع إضافتها إلى الظاهر وتقتصر على الضمير المتصل ،وهي : وَحْدَك ، وحنانيك ، ولبيك . وسعديك ، ودواليك .

أما (وحدك ، ووحده ، ووحدنا) فتعرب في الكلام حالاً ، إذ تؤول بـ (منفرداً) ، تقول : جئت وحدَك ، وذهب وحده ، ورأيتك وحدي ، وهكذا .

وأما الأخريات ، فمصادر سماعية تعرب مفعولات مطلقة ، وهي في صيغة المثنى أبداً ، والضمير بعدها أبداً كاف الخطاب ، إذا تجاوزنا بعض النوادر من الشواهد المجموعة ، وهو المضاف إليه الذي تلازمه ولاتنفك عنه .

٢ ـ مايلازم الإضافة إلى جملة :

وهناك ثلاث كلمات تلازم الإضافة إلى الجملة ، أي أن المضاف إليه بعدها لايكون إلا جملة ، وهي : إذ ، وحيث ، وإذا .

أما (إِذْ) فتلازم الإضافة إلى أحدى الجملتين : الاسمية والفعلية ، وذلك كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه : لاتحزن ﴾ (التوبة : ٤٠) فقد جاءت الجملة بعد (إذ) في هذه الآية فعليّة ماضوية : إذ أخرجه الذين كفروا . وفعلية مضارعية : إذ يقول لصاحبه . وجاءت اسمية : إذ هما في الغار . وكل منهما موقعها جر ، مضاف إليه .

إلا أن الجملة بعدها قد تحذف ، كما رأينا في (كل ، وبعض) قبل قليل ، وتنون (إذ) تنويناً خاصاً يقال له تنوينُ العوض ، فيقال : حينئذٍ ، ويومئذٍ ، وساعتئذٍ . ولكن الجملة المحذوفة لفظاً تظل على صلة بالكلام من حيث الدلالة ، كقوله : ﴿ وترى المجرمين يومئذٍ مقرَّنين في الأصفاد ﴾ (إبراهيم : ٤٩) والتقدير كما يفهم من الآية المتقدمة : وترى المجرمين يوم إذ تبدل الأرض غيرَ الأرض . . . فلما حذفت الجملة : تُبدل الأرض . نونت (إذ) تنوين العوض .

وأما (حيثُ) فتضاف إلى نوعي الجملتين أيضاً ، إلا أن ملازمتها الإضافة إلى الجملة الفعلية هوالأكثر والأشيع ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ (البقرة : ١٥٠) ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم ﴾ (الأعراف : ٢٧) .

وأضيفت إلى جملة اسمية في قول الشاعر :

ونطعنهم تحت الحُبا بعد ضربهم ببيض المواضي حيثُ ليُّ العمائمِ

أي : حيث ليُّ العمائمِ مستقرٌّ أو كائن .

ويجيز بعض النحاة ـ وهم قلة ـ إضافتها إلى اسم ظاهر ، ويجرون (ليّ) في البيت السابق ، ويجعلونها هي المضاف إليه .

ولاتضاف « إذا » إلى جملة اسمية ، بل تلازم الإضافة إلى الجملة الفعلية[١] ، وهذا في الكلام كثير ، تقول : إذا رميت أصبت ، وإذا مشيتَ وصلت ، وإذا رأيتَ علمت .

على أنه قد يحذف الفعل وحده من الجملة الفعلية التي تليها ، فيبقى الفاعل أونائبه ، أو يبقى المفعول به ، وذلك كما ترى في الجمل الثلاث التالية :

١ ـ إذا الشعبُ صمّمَ انتصر .

---

(١) بعض النحاة يقيسها إلى (متى) و(أيان) ويرفض أن تكون ملازمة للإضافة إلى الجمل . وسيبويه لم يذكرها في جملة الأسماء التي تضاف إلى الجمل . انظر : ٣/١١٧ ـ ١١٨ .

وأصل الكلام ـ فيما يرى النحاة ـ إذا صمم الشعبُ صمم انتصر . فـ (الشعب) فاعل لفعل محذوف . أما الفعل (صمم) المذكور بعده فهو فعل مفسر للفعل المحذوف ، وجيء به بعد حذف الفعل الأول .

٢ ـ إذا الشعبُ خُدِعَ انتقم التاريخُ .

الشعب هنا نائب عن الفاعل ، لأن الفعل المفسر مبني للمجهول .

٣ ـ إذا أخاك ظلمته ظلمتك الأيام .

أي : إذا ظلمتَ أخاك . . . فهو مفعول به لفعل محذوف .

الفصل بين المتضايفين

وهذه ظاهرة أسلوبية اختلفت فيها مواقف النحاة وتعددت ، ونؤثر هنا أن نتجاوز الأقوال المتشعبة المتباعدة ، ونحدد الوقائع التي اتفق عليها النحاة المتأخرون أو كادوا ، ولعل من الأفضل أن نقسِّم الحديث فيها إلى فقرات .

١ ـ الفصل بالقسم :

أجمع النحاة على أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالقسم جائز في لغتي الشعر والنثر ، فقد نقل أبو عبيدة عن أحد الأعراب قوله : « إن الشاة لتجترُّ فتسمع صوتَ ـ والله ـ ربِّها » . ويبدو أن الكسائي سمع مثل هذه العبارة غير مرة ، ولذلك مثلها بقوله : هذا غلامُ ـ واللهِ ـ زيدٍ .

والعلة في هذا أن المتكلم تعتريه حالات من السهو والتذكر خلال كلامه ، فجملة القسم تقع عادة في بداية الكلام ، إلا أن المتكلم يبدأ من غير قسم ، ثم يلوح له أن يؤكد كلامه به فيستدرك على نفسه ، فيقحم القسم حيثما وصل ، ولو كان بين المضاف والمضاف إليه .

٢ ـ الفصل بشبه الجملة :

ويجيء الفصل بشبه الجملة على مستويين :

آ ـ مستوى الفصل في إضافة لفظية .

ب ـ ومستوى الفصل في إضافة معنوية .

أما القسم الأولّ فقد رآه النحاة المتأخرون جائزاً في لغتي الشعر والنثر ، لأن شبه الجملة تكون في هذه الحال معلقة بالمضاف ، هذا يعني أنها جزء منه ، وأن التركيب الإضافي يمكن أن يَنْحلَّ إلى تركيب آخر لايقبح الفصل فيه بشبه الجملة ، كقول الشاعر ، وهو الشماخ :

رُبَّ ابـنِ عـمٍّ لسُلَيْمـى مُشْمَعِـلْ طباخِ ـ ساعاتِ الكرى ـ زادِ الكسلْ[1]

فأصل التركيب : طباخِ زادِ الكسلِ في ساعاتِ الكرى . وشبه الجملة (ساعات) معلقة بالاسم المشتق : طباخ . أي بالمضاف ، ومن الممكن أن ينحلَّ التركيب إلى قولك : طباخٍ ساعاتِ الكرى زادَ الكسلْ . بنصب (زاد) على أنه مفعول بِهِ لِـ (طباخ) . وموقع شبه الجملة في هذا التركيب سوي .

ومما يدل على صحة ماذهب إليه متأخرو النحاة في تصويب هذا التركيب أنها وقعت في لغة الحديث النبوي ، إذ جاء فيه : « هل أنتم تاركو ـ لي ـ صاحبي » . كما وردت في الشعر في غير شاهد .

أما في الإضافة المعنوية فالأمر يختلف ، لأن التركيب الإضافي فيها لاينحل إلى تركيب آخر ، ولأن شبه الجملة تكون فيها معلقة بكلمة لاصلة لها بطرفي الإضافة ، وبهذا تكون شبه الجملة أجنبية عليهما ، ومقحمةً بينهما إقحاماً غير سَوِيّ ، ومن هنا تكون الظاهرة قبيحةً غير مقبولةٍ في لغة النثر ، وإن سمح بها في لغة الشعر ، كما في قول أبي حية النميري :

كما خُطَّ الكتابُ بكفِّ ـ يوماً ـ يهـوديٍّ يقـاربُ أو يُـزيـلُ

فشبه الجملة (يوماً) معلقة بالفعل المتقدم (خُطّ) ، وبهذا تكون منبتة الصلة بطرفي التركيب الإضافي (كف يهوديٍ) . وهذا مصدر قبحها .

٣ ـ الفصل بمعمول المضاف :

والفصل هنا على مستويين أيضاً :

١ ـ الفصل بمفعول المضاف .

---

(١) مشمعل : جادٌّ في الأمر . وقد ورد البيت في بعض كتب النحو بنصب (زاد) .

٢ ـ الفصل بفاعل المضاف .

مثال الأول قراءة ابن عامر ، وهي من القراءات السبع : ﴿ وكذلك زُين لكثيرٍ من المشركين قتلُ ـ أولادَهم ـ شركائهم ﴾ (الأنعام : ١٣٧) ففي هذه القراءة فصل بالمفعول به (أولادهم) بين المضاف والمضاف إليه : قتلُ أولادِهم . والمفعول به منصوب بالمضاف لأنه مصدر أضيف إلى فاعله ، إذ الأصل : قتلُ شركائِهم أولادَهم . ولما كان هذا التركيب يمكن أن يتحول إلى فعل وفاعل ومفعول به : أن يقتُلَ أولادَهم شركاؤُهم . وليس تقديم المفعول فيه على الفاعل بقبيح ، كان الفصل بين المضاف والمضاف إليه جائزاً أيضاً في لغتي الشعر والنثر ، على الرغم من مهاجمة كثير من النحاة لهذه القراءة القرآنية .

وقد جاء مثلها في قراءة أخرى غير سبعية ، هي : ﴿ فلا تحسبَنَّ الله مخلفَ ـ وَعْدَهُ ـ رسلِهِ ﴾ (إبراهيم : ٤٧) ، وجاء منها في الشعر شيء غير قليل ، كقول الطرماح بن حكيم :

يطِفْنَ بحوزيّ المراتعِ لم يُرَعْ   بواديه من قرعِ ـ القِسيَّ ـ الكنائنِ[1]

أما الفصل بفاعل المضاف فقبيح ، لأن تقديمة على المضاف إليه الذي هو شرط لعمل المصدر غير المنون فيه لم يقع في الكلام ، وذلك كما ورد في قول الراجز :

ما إن وجدنا للهوى من طِبِّ   ولا عدِمنا قهرَ ـ وجدٌ ـ صَبِّ

والأصل : قهرَ صبٍ وَجْدٌ .

٤ ـ الفصل بأجنبي :

ومما أجمع النحاة على استقباحه الفصل باسم لاعلاقة له بالمضاف ، كأن يكون مفعولاً به لعاملٍ متقدم على التركيب الإضافي ، كقول جرير :

---

(١) الحوزي : الثور المتوحد في قطيعه ومرعاه . والضمير في : يطفن : يعود إلى البقرات .

تسقي امتياحاً ندى ـالمسواكَ ـ ريقتِها   كما تضمَّنَ ماءَ المُزْنةِ الرَّصَفُ[1]

أو يكون فاعلاً ، كقول الش

اعر :

تمـرُّ علـى مـاتستمِـرُّ وقـد شفـت   غلائلَ ـ عبدُ القيسِ منها ـ صدورِها

فالمسواك في البيت الأول مفعول الفعل (تسقي) ، وقد فصل بين المضاف والمضاف إليه : ندى ريقتِها . وعبدُ القيس ، في البيت الثاني فاعل للفعل :

شفت . وفصل بين : غلائلَ صدورِها . وهذه اللغة ضرورة شعرية لاتجوز في لغة النثر ، بل أن بعضهم عدها لحناً لايَجوز في الشعر أيضاً .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ الذين تتوفاهم الملائكةُ ظالمي أنفسهم . . . ﴾ (النحل : ٢٨) .

٢ ـ ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثلٍ لعلهم يتذكرون ، قرآنا عربياً غيرَ ذي عِوَجٍ لعلهم يتقون ﴾ (الزمر : ٢٧ ، ٢٨) .

٣ ـ ﴿ وسخر الشمسَ والقمـر كلٌّ يجري لأجَلٍ مسمىً ﴾ (الزمر : ٥) .

٤ ـ ﴿واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض . . ﴾ (الأنفال : ٢٦) .

٥ ـ ﴿ الله أعلمُ حيث يجعل رسالته ﴾ (الأنعام : ١٢٤) .

٦ ـ قال عنترة :

جـادت عليـه كـلُّ عيـنٍ ثـرةٍ   فتركن كل قرارةٍ كالدرهمِ

٧ ـ وقال الفرزدق :

أتْيُ الفواحشِ عندهم معروفةٌ   ويرونَ فعلَ المكرمات حراما

٨ ـ وقال آخر :

أبا عُرْوَ لا تَبْعَدْ فكل ابنِ حُرَّةٍ   ستدعوه داعي ميتةٍ فيجيبُ

(١) الرصف : الحجارة المرصوفة التي يصفو بها الماء من كدره .

٩ ـ وقال غيره :

وصَرَّحَ السيرُ عن كُتْمانَ وابتُذِلتْ ... وقعُ المحاجِنِ بالمَهْرِيَّةِ الذُّقُنِ[1]

١٠ ـ وقال صخر الغي :

عـادنـي حبُّهـا وقـد شحَطـتْ ... صَـرْفُ نَـواهـا فـإننـي كَمِـد

☆ ☆ ☆

(١) كتمان : موضع . والذُّقُن : جمع : ذَقون . وهي إبل تميل ذقونها إلى الأرض .

القسم الخامس

التوابـــع

معنى التوابع

هي أسماء تتبع ماقبلها في الإعراب ، ويتمم أكثرها معنى ماتتبعه ، وعلى هذا تكون التبعية فيها من جهتين : تبعية إعرابية ، وتبعيّة معنوية .

أما الأولى منهما فلا يشذ عنها تابع من التوابع ، سواء أكان مكملاً لمتبوعه أم لم يكن ، مثل : جاء خالدٌ الطويلُ ، ومعه الطلابُ كلُّهم ، ومعهم أخواك سَعْدٌ وسعيدٌ .

أما التبعية المعنوية فمختلفة بين تابع وآخر ، وذلك على الشكل التالي :

١ ـ توابع تكمل المتبوع :

من التوابع مايكون مكملاً لمعنى متبوعه ، ويمكن الاستغناء عنه ، لأنه غير مقصود بالحكم ، كالصفة ، والتوكيد ، وعطف البيان ، فإذا قلت : جاء الرجلُ الطويلُ . دلت الصفة « طويل » ، على معنى متمم للرجل ، لأنها بينت صفة جزئية منه وهي الطول ، ولكنها ليست مقصودة بالحكم الذي تعبر عنه الجملة ، وهو مجيء الرجل .

وإذا قلت : اشتريت الكتبَ كلَّها . حملت كلمة التوكيد « كلها » معنى متمماً للمفعول به وهو الكتب ، ولكنها ليست مقصودة بالحكم . ومثله كذلك : هذا ابنُ الوليد خالدٌ . لأن « خالد » هنا لم تؤد وظيفة معنوية غير توضيح : ابن الوليد ، لتميزه من إخوته أبناء الوليد الآخرين ، فهي عطف بيان ، أي أنها بينت الاسم الذي تبعته .

٢ ـ توابع تكون هي المقصودة بالحكم :

كالبدل والمعطوف بـ « بل »، نحو : هذا ولدي عليٌّ . فالاسم « علي » هو المقصود بالحكم كأننا قلنا : هذا عليٌّ . وإذا قلت : جاء سعيدٌ بل خالدٌ . فالذي جاء هنا « خالد » ، أما سعيد فقد أخطأنا في نسبة المجيء إليه ، لأنه لم يجيء .

وعلى هذا يكون هو المهم في الجملة ، والاسم الذي قبله لا أهمية له ، أما تسمية النحاة له بالتابع ، وإلحاقه بما ذكرنا ، فلأنه يتبع ما قبله في الحركة الإعرابية .

وهناك نوع من التوابع ، هو المعطوف بالواو ، يشبه هذا ويختلف عنه . أما وجه الشبه بينهما فيقوم على أن كليهما مقصود بالحكم ، ولكنهما يختلفان في أن البدل والمعطوف بـ « بل » ، ينفردان بالحكم ، أما هذا فلا ينفرد به ، بل يشترك فيه ، فإذا قلت : جاء سعيد وخالدٌ ، فأنت لاتريد أن تنفي المجيء عن سعيد ، وإنما تريد أن تبين أنهما كليهما اشتركا في فعل المجيء .

٣ ـ تابع لايقصد بالحكم ولايتمم متبوعه :

هو المعطوف بـ « لا » كقولنا : جاء سعيدٌ لا خالدٌ . فالتابع هنا « خالد » ، غير مقصود بالحكم ، بل ينفي عنه الحكم ، ثم إنه لايبين في متبوعه « سعيد » صفةً ما ، وعلى هذا لايبقى من مظاهر التابع إلا الوجه الإعرابي .



الصفة أو النعت

١ ـ الصفتان : النحوية والصرفية

يستخدم كل من علميْ النحو والصرف المصطلح « صفة » بمعنى خاص به يختلف عن المعنى الذي يقصد إليه الآخر ، وبهذا يكون هناك صفتان : صفة نحوية ، وصفة صرفية .

أما الصفة النحوية فوظيفة تشغلها الكلمة في الجملة ، فهي تشبه الفاعل والمفعول والحال والتمييز والخبر وأشباه ذلك من وظائف النحو . وأما الصفة الصرفية فهي « صيغة » لفظية ، تتميز بأنها اسم مشتق لا جامد ، وبأنها « شكل » لفظي ذو دلالة صرفية .

غير أن الصفة النحوية تعتمد على القضايا الصرفية ، إذ يغلب عليها ـ كما سوف ترى ـ أن تكون في ذاتها صفة صرفية ، كأن تكون اسم فاعل أو مفعول أوصفة مشبهة أو اسم تفضيل أو صيغة من صيغ المبالغة الكثيرة في العربية .

ويستعمل بعض النحاة مصطلحاً آخر هو « النعت » لئلا تتداخل مصطلحات النحو والصرف ، غير أن النعت خاص بالصفات الحميدة ، على حين تستعمل الصفة لجميع الحالات : حمّيدة كانت أو مذمومة .

والصفة النحوية « تخصيص » من حيث الوظيفة ، لأنها تحدد موصوفها وتخصصه بعد أن يكون طليقاً ، فلو قلت : أكرم الأطفال . لكان الإكرام واجباً لكل طفل . ولكن إذا قلت : أكرم الأطفالَ المَعوَّقين . صار الإكرام خاصاً بالمعوقين دون غيرهم من الأطفال .

ولابد للصفة النحوية من موصوف تقع بعده ، وتنسب إليه الاتصاف بمعنى مّا ، كالكرم والشجاعة و . . . وينشأ من تضامّهما تركيب جزئي في

الجملة يشبه التركيب الإضافي من حيث الالتحام ، والالتصاق ، إلا أنه أقل تلاصقاً منه ، كما سوف نرى بعد قليل .

٢ ـ نوعا الصفة[١]

وللصفة في العربية نوعان : صفة حقيقية ، وأخرى سببية . أما الأولى فهي الأصل ، وهي التي ينصرف الذهن إليها عند إطلاق المصطلح ، وعند التعريف . وأما الثانية فهي تركيب محوّل من تركيب آخر ، أو يمكن تحويله إلى تركيب آخر . ونرى أن نخصّهما بالفقرة التالية ، ثم نتابع الحديث عن الصفة الحقيقية في الفقرات الأخرى .

النعت السببي :

الفرق بين النعت السببي والنعت الحقيقي هو أن الصفة في الثاني تنسب معنىً إلى موصوفها نفسه ، وتحمل ضميراً مستتراً يعود إليه ، وذلك مثل : قرأتُ البحثَ المُترجَمَ . ففي (المترجم) ضمير مستتر يعود إلى الموصوف . أما النعت السببي فلا يوضح معنى في موصوفه نفسه ، بل في شيءٍ آخر يتعلق بالموصوف ، مثل : عرفتُ رجلاً غزيراً عِلْمُهُ . فالصفة (غزير) لاتصف الرجل ، بل تصف (علمه) ، إذ ليس هونفسه الغزير ، بل الغزير علمه . وتقول قياساً على هذه الجملة : قرأتُ قصةً جيداً سبكُها ، حسناً أسلوبُها ، اجتماعياً هدفُها .

هذا من حيث الوظيفة ، أما من حيث التركيب اللغوي فيغلب على النعت السببي أن يرفع اسماً ظاهراً[٢] فيه ضمير يعود على المنعوت ، وهذا واضح فيما سُقناه من أمثلة ، ومنه قول جرير :

(١) هناك أسماء لا توصف ، كالضمائر ، والمبهمات مثل أسماء الشرط والاستفهام . وكذلك لا يوصف بها . ولكن قد تقع (من) البيانية بعد بعض المبهمات ، فتكون هي ومجرورها صفة له .

(٢) قد يرفع ضميراً بارزاً على قلة ، مثل : رأيت بيت صديقٍ بانيهِ هو .

أصبحت للمنبرِ المعمـورِ مجلسُـهُ زَيْناً ، وزين قباب الملك والحُجَرِ

والنعت السببي يختلف عن النعت الحقيقي أيضاً من حيث تبعيته لموصوفه، فهو لايتبعه إلا في الإعراب ، وفي التعريف والتنكير ، أما في العدد والجنس فلا يتبعه ، إذ يتبع في الجنس مايصفه ، أي سببيَّ الموصوف ، مثل : هذه ورقةٌ ناصعٌ بياضُها . فالصفة (ناصع) مذكرة ، والموصوف مؤنث (ورقة) ، ولكن ماوصفته وهوالبياض مذكر مثلها . ومثل : قرأت كتاباً صغيرة صفَحاتُه .

أما في العدد فله في التبعية حالات تشبه حالة الفعل الذي أخذ منه ، وذلك على الشكل التالي :

ـ يلزم النعت الإفراد إن كان السببي مفرداً أو مثنى ، مثل : عرفتُ رجلاً كريماً أبواهُ ، وعرفتُ رجلينِ كريماً أبواهما . لأنك تقول : عرفت رجلاً كرُم أبواهُ ، وعرفت رجلين كرُمَ أبواهما .

ـ وإن كان السببي جمع تكسير جاز في النعت الإفراد ، وجاز جمعه أيضاً[1] ، تقول : عرفتُ طلاباً كريماً آباؤهم . أو : كراماً آباؤهم . وإن كان جمعاً سالماً ـ مذكراً أو مؤنثاً ـ حسن الإفراد ، مثل : عرفت طلاباً كريماً والدوهم . وعرف طالباتٍ كريماً والدتُهنَّ .

فإن لم يرفع النعت السببي اسماً ظاهراً ، وانتقل ضمير مرفوعه إليه ، جرى مَجْرى النعتِ الحقيقي في تبعيته لموصوفه في العدد ، تقول : عرفت رجلين كريمين أباً ، أو : آباءً . وعرفت نساءً حساناً وجوهاً . ففي : كريمين ، وحساناً . ضميران يعود كل منهما إلى المنعوت ، وقد انتقل من (أباً) أو (آباءً) أو (وجوهاً) إلى النعت ، لأن الأصل : مررت برجلينِ كريمِ أبوهما ، وبنساءٍ حسنة وجوههن .

---

(١) وهو الأحسن والأكثر إن كان الوصف مما يجمع جمع تكسير ، وإلا لزم الإفراد .

٣ ـ وظائف الصفة

للصفة عدة وظائف تناط بها في الكلام ، وهي وظائف سياقية نحوية ، كإزالة اللبس أو التوضيح ، وكالتخصيص ، والمدح والذم والترحم ، والتوكيد ، أو غيرها .

١ ـ التوضيح :

وتقوم الصفة بهذه الوظيفة حين يكون الموصوف معرفةً مشتركة ، كأن يكون في غرفة الدرس مثلاً ثلاثة أو أكثر يسمّى كل منهم « عادلاً » ، فإذا قيل : جاء عادلٌ . حصل التباس ، وتوزع ذهنُ المخاطب بين الثلاثة ، ومن هنا تستخدم الصفة لتزيل هذا الالتباس وتوضح المقصود ، فيقال : جاء عادلٌ الطويلُ . أو : جاء عادلٌ الأشقر .

وقد يكون الاسم المعرَّف واضح الدلالة فتأتي الصفة لتزيده بياناً وتحديداً ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسولِه ، النبي الأميَّ ﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

وتتضح هذه الوظيفة للصفة في لغة الصحافة ، كأن يقال فيها : « تلقى الرئيسُ السوري رسالة من الرئيس العراقي » فلولا الصفتان : السوري ، والعراقي ، لا لتبس الأمر على القارىء .

التخصيص :

ويعني تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات ، فإذا قلت : لقيتُ رجلاً ، أو : أكلتُ طعاماً ، أو : رأيتُ قلماً ، كانت النكرات الثلاث شائعة عامة ، لأن كل واحدة منها تدل على جنس ، فإذا وصفتها خصصت وقل عدد المشتركين فيها ، مثل : لقيتُ رجلاً قصيراً ، وأكلت طعاماً لذيذاً ، ورأيت قلماً جديداً .

٣ ـ المدح أو الترحم أو الذم :

وقد يكون الموصوف معروفاً باسم خاص غير مشترك ، فإذا وصف كان للصفة وظيفة أخرى غير التوضيح ، فقد تكون للمدح مثل : توكلتُ على الله العزيزِ القدير . فالصفتان : العزيز القدير ، لاتوضحان ، لأن التوضيح يكون خشية اللبس ، ولاتخصصان ، لأن التخصيص يكون للنكرات الشائعة ، بل تفيدان معنى المدح .

وقد تكون الصفة للترحم مثل : أشفقت على أحمد المسكينِ . وقد تكون للذم ، مثل : هذا من نتائج عملك الأرعنِ .

٤ ـ التوكيد :

وقد تستعمل الصفة لتؤكد دلالة موصوفها ، وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ لاتتخذوا إلٰهين اثنين ﴾ (النحل : ٥١) فالموصوف (إلهين) يدل بنفسه على عدده ، ولهذا كان وصفه بـ (اثنين) للتوكيد ، ومثله أيضاً قوله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور نفخةٌ واحدةٌ ﴾ (الحاقة : ١٣) . وقوله : ﴿ أفرأيتمُ اللاتَ والعُزَّى ، ومَناةَ الثالثةَ الأخرى ﴾ (النجم : ١٩ ، ٢٠) . ومن ذلك أيضاً قول عمران بن حطان :

خبَلتْ غَزالةُ قلبه بفوارسٍ تركتْ منازله كأمسِ الدابرِ

فقوله : أمسِ . يدل بنفسه على زواله ، ولكن الصفة (الدابر) ذكرت لتوكيد المعنى .

٥ ـ وظائف أخرى :

وللصفة وظائف أخرى غير ما ذكرناه ، فقد تفيد معنى التفصيل ، مثل : قرأت كتابين ، أدبياً وعلمياً . أو معنى التعميم ، أحب أولادي الطائعين والعاصين . أو معنى الإبهام ، مثل : سأقوم بعملٍ مّا ، أو معنى الشك ، مثل : كان عندك رجلٌ قصيرٌ أو طويل .

وقد تضاف الصفة إلى موصوفها ، وهذا كثير ، تقول مثلاً : أعجبني كريمُ خُلُقِه ، ومستقيمُ سلوكِه ، وجميل لقائه . أي : خلقه الكريم ، وسلوكه المستقيم ، ولقاؤه الجميل .

وقد يكون للصفة وظيفة أدبية جمالية ، وذلك حين ترتكز عليها الصورة الشعرية ، ويكون الموصوف والصفة من عالمين مختلفين ، كما ترى في قول أبي تمام ، يرثي بطلاً سقط في المعركة :

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده   إليه الحفاظ المر والخُلُق الوَعْرُ

فالحفاظ والخلق من عالم يختلف عن عالم (المر ، والوعر) فالعالم الأول ذهني تصوري ، والثاني حسي صِرْف ، ولاشك أن المرارة والوعورة هنا لاتقصدان حقيقةً ، ولكنهما توحيان بخلق القائد العسكري الذي يفضل مجد الموت على عار الهزيمة .

٤ ـ أشكال الصفة

تتشكل الصفة في اللغة العربية على صورتين : صورة الكلمة المفردة ، وصورة الجملة الفعلية أو الاسمية ، ولكل منهما سِمات ونُظم خاصة بها .

١ ـ الصفة كلمة مفردة :

لابد للصفة المفردة من أن تكون حقيقية أو سببية ، فإن كانت حقيقية وافقت موصوفها في أربعة أشياء ، هي : الإعراب ، والعدد[(١)] ، والجنس ،

(١) ورد في بعض التراكيب وصف المفرد بالجمع ، وهي عبارات قديمة منقرضة ، مثل : ثوبٌ أَسْمال (مهترىء ، وأسمال جمع ، مفرده : سَمَلٌ) وثوب أكباش (جمع : كبش ، ويراد منه هنا : الثوب الغليظ) وقميص أخلاق (جمع خَلِق ، وهو البالي) ، ونطفة أمشاج (جمع : مَشج ، وهو المختلط) . وقربة أشنان ، (جمع : شنٌّ ، وهي اليابسة) ، وبُرْمة أكسار (أي : قدر مكسرة . والأكسار : جمع ، كسر ، وهو القطعة من الشيء)وقدح أعشار (جمع عِشر ، وهو القطعة

والتعريف والتنكير . تقول : هذا هو العمل النافع ، وهذه هي الجائزةُ المفضلة ، وهؤلاء هم الرجال العاملون ، وهؤلاء هن النساء العاملات .

أما إذا كانت الصفة سببية فإنها لاتطابق موصوفها إلا في الإعراب والتعريف أو التنكير ، مثل : زرنا حديقةً حسناً تنسيقُها . فالصفة السببية (حسناً) طابقت موصوفها (حديقة) في الإعراب والتنكير ، ولكنها لم تطابقها في الجنس ، فالحديقة مؤنثة ، و(حسن) مذكرة ، وهذا كثير ، انظر قول البحتري :

شـواجِـرُ أرمـاحٍ تقطـع بينهـم شواجِرَ أرحامٍ مَلومٍ قَطوعُها

فقوله : مَلوم . صفة سببية لِـ (أرحام) ، وقد طابقتها في الإعراب والتنكير ، ولكنها لم تطابقها في العدد ، فهي مفردة والموصوف جمع ، وهي مذكرة والموصوف مؤنث .؟

ولنعد الآن إلى حديث التطابق بين الصفة الحقيقية وموصوفها ، لنفصل فيه ، ونعرض جزئيات نظامه .

آ ـ التطابق في العدد :

تطابق الصفة الحقيقية موصوفها المفرد وجوباً ، إلا في بعض التراكيب وهي التي ذكرناها في الهامش قبل قليل ، وكذلك تطابقه وجوباً إذا كان مثنى ، مثل : مات العالمان الكبيران في يوم واحد . أما إذا كان الموصوف جمعاً فثمة حالتان :

الأولى : أن يكون جمعاً لما يعقل ، ويراد به ماكان جمعاً للبشر ، مثل : جاء العلماءُ الكبار ، وأقبل الجنود الأشداء ، وهَلَّل الرجالُ المخلصون للإصلاح .

والثانية : أن يكون جمعاً لما لا يعقل ، أي لما كان من غير البشر ، كالتصورات ، والخيالات ، والجبال ، والقلوب ، والأفئدة ، وأمثالها . ففي هذه الحال يكون التطابق جائزاً لا واجباً ، إذ يمكن أن يوصف الجمع بالجمع

من كل شيء) .

أو بالمفرد ، ويأتي المفرد مؤنثاً في هذه الحال ، قال الممزق العبدي :

تبيتُ الهمومُ الطارقاتُ يعدنني ... كما تعتري الأهوالُ رأسَ المطلَّقِ

فالطارقات ، صفة للهموم ، وحصل بينهما التطابق في العدد . ويمكن أن يقال في هذه الحال : الهموم الطارقة ، كما في مثل : « ماانفجرت ينابيع الخيالات الشعرية ، والتصورات الفنية ، إلا من صدوع القلوب الكسيرة ، والأفئدة الحزينة » . ولك أن تقول أيضاً : القلوب الكسيرات ، والأفئدة الحزينات ، و . . .

غير أنه إذا كانت الصفة على وزن (فعلاء) في المؤنث ، و (أفعل) في المذكر ، كان لابد من التطابق ، عاقلاً كان الجمع أو غير عاقل ، فلا يقال : حقول خضراء ، بل : حقول خضر ، ولايقال : رايات سوداء . بل : سود . جاء في القرآن : ﴿ ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحُمْرٌ مختلف ألوانُها وغرابيبُ سود ﴾ (فاطر : ٢٧) وجاء أيضاً : ﴿ ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق ﴾ (الكهف : ٣١) وقال عنترة :

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً ... سوداً كخافيةِ الغراب الأسحم

وتقول قياساً على ذلك : قمم شُمّ ، لا شماء ، وعيون حُورٌ ، لاحوراء ، وثياب زُرق ، لا زرقاء ، ومنازلُ بيض ، لا بيضاء .

ب ـ التطابق في الجنس :

والتطابق في الجنس ، تذكيراً وتأنيثاً ، لابد منه في الصفة المفردة ، مثل : هذا فتىً كريم . وهذه فتاة كريمة . وهذا حقل أخضر ، وتلك حديقة خضراء .

ولكن هناك صفات يستوي فيها المذكر والمؤنث ، والحديث عنها صرفي لانحوي ، وسوف نكتفي هنا بذكر الأمثلة والصيغ دون التفصيل ، من ذلك أن تكون الصفة على وزن (فَعول) بمعنى : فاعل ، مثل : عجوز ، تقول : صارت أمي امرأةً عجوزاً . ومثل : طموح ، تقول : إنكِ لفتاةٌ طموح . ومنها أيضاً الصفة التي تكون على وزن (فعيل) بمعنى : مفعول ، مثل : جريح ، وقتيل ، وكسير ، تقول : حملوا الفتاة المناضلةَ الجريحَ على

أكفهم . وهذه امراة قتيل ، ويد كسير . وكذلك إذا كانت الصفة على وزن (مِفعال) ، مثل : هذه صفةٌ مِعْطاء ، وامرأة مِذكار . وكذلك إذا كانت الصفة على : (فَعال) ، مثل : فتاة رَزان ، وزوجة حَصانٌ ، وأرضٌ بَراحٌ ، وامرأة رَداح ، وصَناع ، وكَعاب ، ورَجاح .

ج ـ التطابق في الإعراب :

١ ـ وهذا أهم تبعيةٍ في الصفة ، والأمثلة السابقة كلها تشهد عليه ، ولكن قد يكون للمصوف إعرابان : إعراب لفظي ، وإعراب محلي ، كالمجرور بحرف جر زائد ، والمنادى المبني على الضم ، ففي هذه الحال يمكن أن تتبع الصفة لفظ الموصوف ـ وهذا هو الكثير ـ مثل : ليس الإخلاصُ بصفةٍ ذميمةٍ . فالصفة (ذميمة) جرت على اللفظ ، ولكن من الممكن أن تنصب على المحل ، لأن الموصوف خبر (ليس) ، وهو منصوب ، فيقال : ليس الإخلاص بصفةٍ ذميمةً . ولكن هذا قليل .

أما في النداء فيكثر النصب على المحل ، والرفع على اللفظ ، يقال : ياهندُ الجميلةُ أو الجميلةَ . ويا هشامُ الذكيُّ أو الذكيِّ .

وكذلك يجوز أن تتبع الصفة المحل إذا كان موصوفها معمولاً لاسم مشتق في المعنى ، كأن يكون مفعولاً به في المعنى ومضافاً إليه في اللفظ ، مثل : هذا الشاعر هو مبدعُ القصيدةِ العصماءِ ، بالكسر جراً على اللفظ ، وبالفتح نصباً على المعنى . أو كأن يكون فاعلاً أو نائبه في المعنى ومضافاً إليه في اللفظ ، مثل : هذه القصةُ حيةُ التصويرِ الاجتماعيُّ . بالكسر جراً على اللفظ ، وبالرفع على المعنى . ويعامل النعت المعاملة نفسه إذا كان صفة لمعمول المصدر ، تقول : أسعى إليك سعيَ الرجلِ الدؤوبِ . فتجر على اللفظ ، أو ترفع على المعنى .

٢ ـ وهناك ظاهرة أخرى يقال لها الجر على الجوار ، يمثلها مانُقل عن الفصحاء وهو قولهم : هذا جُحْرُ ضَبٍّ خرِبٍ . فالصفة (خرب) تصف الجُحر، ولكنها لم تتبعه في الإعراب ، بل تبعت ماجاورته وهو : جحر ،

على الرغم من أنها ليست صفة له ، وإنما كان ذلك لأنها تأثرت بجوار المجرور فجرت . تقول في إعرابها :

خرب : صفة لجحر ، مرفوعة وعلامة رفعها ضمة مقدرة على آخرها منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة العارضة للجوار .

ويشترط هنا أن يكون الموصوف مفرداً ، لا مثنىً ولا جمعاً . وأن تكون الصفة ملاصقة للاسم الذي تتبعه في الإعراب ، فإذا فُصل بينهما امتنع الجر على الجوار . فلو قلت مثلاً : هذان جُحرا ضبٍ خَرِبانِ . وهذه جحورُ ضبٍّ خربةٌ ، وهذا جُحر ضبٌّ كبيرٍ خربٌ . وجب أن تكون الصفة تابعة لموصوفها في الإعراب ، ولايجوز الجر بتةً .

ولهذه اللغة شواهد غير قليلة في الشعر ، كقول امرىء القيس :

كـأنَّ ثبيـراً فـي عـرانيـنِ وَبْلِـهِ ۝ كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزمَّلِ[1]

فقوله : مُزَمّل . صفة لكبير ، والمعنى : كأن الجبلَ ثبيراً كبيرُ أناس مُزَمَّلٌ في بِجاد . ولكنه لم يرفع الصفة كما يقتضي نظام التبعية ، بل جرها متأثراً بكسرة (بجاد) لمجاورته للصفة . ومثل ذلك قول الأخطل :

جزى الله عني الأعورينِ مَلامةً ۝ وَفرْوةَ ثَفْرَ الثورةِ المتضاجمِ[2]

فجر الصفة ، وهي (المتضاجم) لمجاورتها اسماً مجروراً وهو : الثـورةِ ، مـع أنهـا صفـة لِـ « ثفـرَ » المنصـوب ، والأصـل : ثَفْـرَ الثـورةِ المتضاجِمَ .

وقال رؤبة :

لاتـوعـدَنّـي حَيَّةٌ بـالنكْـزِ ۝ ولاامـرؤٌ ذو جَـدَلٍ مِلَـزِّ

(١) ثبير : اسم علم لجبل قرب مكة . عرانينه : أوائله . وَبْل : جمع وابل ، وهو المطر العظيم . بجاد : كساء مخطط من وبر الإبل وصوف الغنم . ومزمل : ملتف .

(٢) فروة : اسم علم لرجل . والثَفْر من اللبوة بمنزلة الحياءِ من الناقة والأتان . وقد نصب في البيت على البدل من (فروة) أو على عطف البيان . والمتضاجم : المعوج .

فقد جر (ملز) وهو صفة لـِ (امرؤ) المرفوع لمجاورته لاسم مجرور .
والملز : الشديدة الخصومة ، أي : ولايوعدني امرؤ ذو جدلٍ وشديدُ الخصومة .

على أن الجر على الجوار ليس باللغة الجيدة ، ولذلك عدها القدماء كالخليل وسيبويه من الغلط ، وهي في الحقيقة تصدر عن سهوٍ يلابسُ المتكلم ، لأن الصفة المجاورة للمجرور تشبه أن تكون صفة له من حيث الموقع ، لأنها تقع في محلٍ تقع فيه صفته ، كأن تقول مثلاً : هذا جُحْرُ ضبٍ حذِرٍ[1] .

٢ ـ الصفة جملة :

وإذا كانت الصفة جملة فعلية أو اسمية وجب أن يكون موصوفها نكرة معنىً ولفظاً ، أو معنى لالفظاً ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله ﴾ (البقرة : ٨١) فالجملة الفعلية : ترجعون فيه إلى الله . وقعت بعد (يوم) وهو نكرة ، ولذلك كانت صفة له . ومثل : هذا خبرٌ لاشك في صدقه . فالجملة الاسمية : لا شك في صدقه . وقعت بعد النكرة (خبر) ، وهي صفة له .

وواضح من المثالين أن النكرة فيهما جاءت نكرة لفظاً ، ومعنى ، أما قول شَمَرِ بن عمرو :

ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثمتَ قلت : لايَعْنيني

فإن جملة الوصف فيه : « يسبني » ، والموصوف قوله : « اللئيم » ، وهو في ظاهر اللفظ معرف بأل ، إلا أن « أل » هذه لاتفيد الكلمة تعريفاً ، لأنها لا تحدد لئيماً معهوداً ، ولذلك يسميهاالنحاة أل الجنسية ، لأنها تحدد الجنس العام ، ولاتعرّفُ نكرة بتعيينها . وعلى هذا تكون كلمة « اللئيم » نكرة في المعنى ، معرفة في اللفظ .

(١) في الجوار كلام كثير ، جاء في « خصائص » ابن جني ، و« كتاب » سيبويه . و« شرحه » للسيرافي . لا نرى أن نعرض له لما فيه من تشعيب كثير للظاهرة .

ولابد للجملة الوصفية من ضمير يربطها بالموصوف ، كما هو ظاهر في الأمثلة المتقدمة ، وهو يشبه العائد الذي نعرفه في صلة الموصول . ولكن هذا الضمير قد يحذف ظاهراً ، ويقدر ضمناً ، لأن حذفه لايتعدى اللفظ ، أما معناه فثابت في الذهن والتقدير ، انظر إلى قول جرير[1] :

ومـــا أدري أغَيَّـــرهُـــمْ تنـــاءٍ   وطولُ الدهرِ أم مالٌ أصابوا

فالجملة « أصابوا » صفة لـِ « مال » ، ولكنها تخلو في ظاهر اللفظ من ضمير يربطها بالمال ويعود إليه ، إلا أن المعنى يوضح لك أن الشاعر قدَّر كلامه على إضمار الضمير ، وتقديره : أم غيرهم مالٌ أصابوه . ومثله قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ﴾ (البقرة : ١٢٣) وتقديره : لاتجزي فيه ، وهذا كثير في الكلام الفصيح ، شعره ونثره ، كقول كثيّر عزة :

من اليوم زوراها خليليَّ إنها   سيأتي عليها حقبة لانزورها

أي : لا نزورها فيها .

والجملة الوصفية يجب أن تكون خبرية لا إنشائية، كجملة الحال، والأمثلة السابقة كلها شواهد على ذلك ، إلا أن أحد الرجاز وهو العجاج قال هذا البيت :

حتـــى إذا جـــنَّ الظـــلام واختلـــط   جاؤوا بمَذقٍ هل رأيت الذئب قط[2]

فقدره النحاة تقديراً معنوياً بعيداً على الشكل التالي : جاؤوا بمذقٍ مقولٍ فيه : هل رأيت الذئب قط . وخير من هذا أن نقول : إن الجملة هنا إنشائية لفظاً ، خبرية معنى ، وتقديرها : جاؤوا بمذْقٍ يشبه الذئب في لونه . ولهذا صور مماثلة في النحو العربي ، كتأويل الجامد بالمشتق ، وتأويل المعرفة بالنكرة ، وقد مرَّ بك ذلك في بحث الحال .

وجملة الصفة قد تكون صفة حقيقية مثل : ﴿ وجاء من أقصى المدينةِ رجلٌ يسعى ﴾ (يس : ٢٠) أي : رجلٌ ساعٍ . وتقول : هذه لهجةٌ لا أحبها .

(١) نسبه ابن الشجري في أماليه إلى الحارث بن حلزة . انظر : ١/ ٥ .
(٢) المَذْق : اللبن المخلوط بالماء .

أي : لهجةٌ غيرُ محبوبةٍ عندي . وقد تكون صفة سببية ، مثل : هذه خطبةٌ تقنع حُججها ، ويُحْمَد بيانُها . أي : هذه خطبة مقنعةٌ حجُجها ومحمودٌ بيانُها . وتقول : هذه قصيدةٌ يُلام مَنْ يَعيبُها . أي : مَلومٌ عائبها .

٥ ـ خصائص الصفة المفردة وأساليبها

آ ـ الاشتقاق والجمود :

يغلب على الصفة أن تكون اسماً مشتقاً مشابهاً للفعل ، كأن يكون : اسم فاعل ، مثل : إنه لأنيقٌ في عين الإنسانِ الناظرِ . أو اسم مفعول ، مثل : هذا هو المنبرُ المعمور . أو صفة مشبهة ، مثل : إنه لمنظر أنيقٌ لنا . أو اسم تفضيل ، مثل : الدولُ العظمى تتلاعب بالدول الصغرى .

أما إذا كان الاسم المشتق غير مشابه لفعله في سلوكه التركيبي فلا يجوز أن يقع صفة ، مثلَّ: منشار ، وملهى ، ومقهى[(١)] .

على أن هذا هو الغالب والقياس ، ولكن هناك أسماء جامدة تؤول بمشتق يمكن أن تقع صفات ، وهي :

١ ـ الاسم الموصول :

يمكن أن يكون « الذي » وما يتفرع عنه في التأنيث ، والتثنية والجمع ، صفة ، لأنه يؤول منه ومن صلته اسم مشتق . فإذا قلت : هذا هو المهرُ الذي ركبته . أمكن أن تؤول « الذي » وصلته بقولك : المهر المركوبُ . وتقول :

(١) قد يوصف بالاسم الجامد غير المشتق ، وقد كثر هذا في شعر أبي تمام ، كقوله :

وكـم أحييـت مـن ظَـنٌ رُفـاتٍ بها وغمرت من أملٍ خرابِ

ونقول أحياناً : مشى في الأرض الفلاة ، وملأ الأرض الفضاء ، وبكى من مقلةٍ ينبوعٍ . ومثل هذا الأسلوب يوحّد الصفة والموصوف ، إذ لم تعد فيه الصفة معبرةً عن شيء جزئي في الموصوف ، بل صارت هي نفسه .

هذه هي المحاضراتُ التي تسختُها . أي : المحاضراتُ المنسوخة . وكانت قبيلة طيىء تستعمل « ذو » بمعنى « الذي » ، كقول سنان بن فحل :

فـإن المـاءَ مـاءُ أبـي وجـدي وبئـري ذو حفـرتُ وذو طـويـتُ

فقوله : ذو : اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة لـِ « بئري » .

وهناك اسمان موصلان لايقعان صفة البتة ، هما : مَنْ ، وما . أما « الأُلى ، والذين ، واللاتي ، واللائي ، واللذان ، واللذين ، والتي ، واللتان ، واللتين » فكلها تصلح أن تقع صفات ، غير أنها معارف ، ولذلك وجب أن يكون موصوفها معرفة أيضاً ، وذلك واضح في قول ذي الرمة :

أمنـزلتـي مـيٍّ سـلامٌ عليكمـا هل الأزمُنُ اللائي مضيْنَ رواجعُ

٢ ـ اسم الإشارة :

تقع أسماءُ الإشارةِ غيرُ المكانية صفات للأسماء المعرّفة ، لأنها تؤول باسم مشتق ، تقول : عملُك هذا يريبني ، أي عملك المشار إليه . . . وتقول : ليلتنا هذه شديدةُ الظلمةِ . ورفاقُكَ هؤلاء كرام . وصديقاك هذان لم يحضرا . وقد جاء في بعض خطب الرسول ﷺ : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم كحرمةِ يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في يومكم هذا » .

أما أسماء الإشارة التي تشير إلى المكان مثل : هنا ، وهناك ، وثمة ، وثَمَّ ، فلا تقع صفات ، لأنها ليست للإشارة الخالصة ، بل تجمع إلى معنى الإشارة معنى آخر هو الدلالة على المكان .

٣ ـ العدد :

وكذلك يوصف بالعدد على الرغم من جموده ، لأنه يمكن أن يؤول بمشتق ، جاء في الحديث النبوي : « الناسُ كإبلٍ مئةٍ لا تجد فيها راحلةً واحدة » . أي : كإبل معدودة . وقال عبدة بن الطبيب :

يخفي الترابَ بأظلافٍ ثمانيةٍ   في أربعٍ مَسُّهنَّ الأرضَ تحليلُ[1]

وتقول : يتألف الكتاب من فصولٍ ثلاثةٍ ، ومن بابين اثنين .

٤ ـ « ذو » ومايتفرع منها :

وتعني : صاحب . وتصف النكرة والمعرفة ، فمما وصفت فيه النكرة قوله تعالى : ﴿ إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غُصّةٍ وعذاباً أليماً ﴾ (المزمل : ١٣) وقوله : ﴿ أو إطعامٌ في يومٍ ذي مسغبةٍ يتيماً ذا مَقْربةٍ ﴾ (البلد : ١٥) ومما وصفت فيه المعرفة قوله : ﴿ إن الله هو الرزّاق ذو القوة المتين ﴾ (الذاريات : ٥٨) .

وتقول : هذه شجرةٌ ذاتُ أفنان . وهؤلاء رجالٌ ذوو أحلام راجحة . وهؤلاء نساء ذوات عقولٍ ذكية . وهذه مخلوقات أولو أجنحة .

٥ ـ كل و أي :

تقع هاتان الكلمتان صفتين إذا دلتا على كمالٍ في المعنى الذي يتصف به الموصوف ، ويقال لهما حينئذٍ : (كل) الكمالية ، أو (أي) الكمالية . تقول : عنترة الفارسُ كلُّ الفارسِ . أي : هو الفارس الكامل : وتقول : عرفتُ شاعراً أيَّ شاعرٍ . أي : شاعراً كاملاً . ولكن (أي) لاتصف غير النكرات ، وقد تلحق بها (ما) الزائدة ، مثل : مررتُ برجلٍ أيِّما رجلٍ .

٦ ـ (ما) :

وهي النكرة المبهمة التي تقع بعد موصوفها لتدل على إبهام فيه ، أو لتهوّله وتعظمه ، تقول : أرسل إلينا كتاباً مّا . أي : أي كتاب ، وتقول : لسببٍ مّا عدلَ أخي عن الحضور . أي : لسبب مجهول مبهم . وجاء في المثل العربي القديم : « لأمرٍ مّا جَدَعَ قَصيرٌ أنفه » . أي لأمرٍ هائل عظيم .

٧ ـ الاسم الجامد الدال على تشبيه :

ويوصف بالاسم الجامد إذا كان الوصف به من قبيلِ المجاز ، وكان يدل

---

(١) يصف ثوراً وحشياً . ويخفي التراب : يستخرجه لشدة عدوه .

على معنى في موصوفه على سبيل التشبيه ، تقول : عرفتُ رجلاً أسداً في المعارك . أي : شجاعاً كالأسد .

٨ ـ الاسم المنسوب :

ولاشك أن الاسم المنسوب مما يوصف به لأنه يؤول بمشتق ، بل هو أقرب الأسماء الجامدة إلى المشتقات ، قال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ (يوسف : ٢) وتقول : لي صديق عراقيٌّ وآخر مصريٌّ وثالث سعوديٌّ .

٩ ـ المصدر :

والوصف بالمصدر كثير في العربية ، وفيه ضرب من ضروب المبالغة ، لأنه يجعل الموصوف هو الحدث نفسه ، فكأنه يوحي بكثرة ذلك منه ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ، تقول : هذا رجلٌ صِدْقٌ . وهذه امرأةٌ صِدْقٌ . وهذان رجلانِ صدقٌ . وهم رجالٌ (أو نساءٌ) صدقٌ . وقد كثر في كتب التراث الوصف بالمصدر (ثقة) ، يقولون مثلاً :

كان أبو عمرٍو راويةً ثقةً . وقالوا : عمر بن الخطاب حاكم عَدْلٌ . وهذه قضية حَقٌّ .

ويلحق بهذا المصادر (حَسْبُ) وأمثالها ، فيقال : إنه رجلٌ حسبُكَ من رجلٍ ، أو : همّك من رجل ، أو : هدّك من رجل . أي : كافيك من رجل .

ب ـ الفصل بين الصفة والموصوف :

يتألف من الصفة والموصوف تركيب فرعي ضمن التركيب العام الذي يشكل جملة ، وهو يشبه التركيب الإضافي ـ كما قلنا من قبل ـ ولكنه أقل تلاحماً وتَضامّاً منه .

فقد يُفصل بين الصفة والموصوف بشيءٍ مّا يقوم بوظيفة من وظائف النحو في الجملة ، وذلك كما ترى في قوله تعالى : ﴿ أفي الله شَكٌّ فاطرِ السماواتِ والأرض ﴾ (إبراهيم : ١٠) فالموصوف هنا هو لفظ الجلالة (الله) أما الصفة فهي (فاطر) ، وقد فصل بينهما المبتدأ (شَكٌّ) . ولعلك

لاحظت أن خبر هذا المبتدأ هو شبه الجملة (أفي الله) ، وهي تشتمل على الموصوف نفسه . وانظر الآية الأخرى : ﴿ قل : أغيرَ الله أتخذ ولياً فاطرِ السماوات والأرض ﴾ (الأنعام : ١٤) فالفصل هنا مما اقتضاه النظم أوالتركيب ، وكان الأصل : لا أتخذ ولياً غيرَ الله فاطرِ السماوات والأرض . ولكن همزة الاستفهام يليها المسؤول عنه ، فتقدمت العبارة (غير الله) وتأخر الفعل (أتخذ ولياً) ، فنجم عن ذلك الفصل بين الصفة والموصوف .

وقد يكون الفصل اضطرارياً لا محيد عنه ، كما ترى في قول الكميت بن زيد :

لكم مسجدا الله المزورانِ والحصى لكم قِبْصُهُ من بين أثرى وأقترا[1]

إذ وقع المضافُ (مسجدا) موصوفاً ، ولايمكن أن تأتي صفته إلا بعد ذكر المضاف إليه .

وقد يكون الفصل بجملة معترضة ، كما في قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقعِ النجومِ ـ وإنه لقسمٌ ـ لو تعلمون ـ عظيم . . . ﴾ (الواقعة : ٧٥ ، ٧٦) وقد يفصل بينهما شبه جملة ، كقول توبة بن الحميّر :

كما لو أصاب الموتُ ليلى بكيتُها وجادَ لها دمعٌ من العين سافِحُ

وقد يفصل بينهما حرف ، مثل « لا » النافية ، كقول الشاعر الدارمي :

وقد أدركتني والحوادثُ جمة أسنةُ قومٍ لاضعافٍ ولاعُزْلِ

وتقول : عرفت رجلاً إما شاعراً وإما قاصاً .

ج ـ تعدد الصفات :

١ ـ كثيراً ماتتعدد الصفات وموصوفها واحد ، مثل : ﴿ هو الله الخالقُ البارئُ المصوّرُ له الأسماء الحسنى . . . ﴾ (الحشر : ٢٤) وتقول : كان شوقي رجلاً لطيفاً خجولاً ميالاً إلى العزلة محباً للناس . . .

وفي هذه الحال يمكن أن تتنوع ، فتكون مفردة مرة ، وجملة مرة أخرى . ويرى بعض النحاة أن الصفات إذا تعددت وتنوعت كان الأفصح أن

---

(١) القبص : العدد الكثير .

تتقدم الصفة المفردة على الصفة الجملة ، والحق أن هذه المفاضلة غير صحيحة فقد تقدمت الصفة الجملة على الصفة المفردة في غير ما موضع من الكلام الفصيح : شعره ونثره ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين ﴾ (المائدة : ٥٤) فالجملة (يحبهم) صفة أولى لقوم ، وأذلة : صفة ثانية ، وأعزة : صفة ثالثة . وقال تعالى : ﴿ وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ فاتبعوه ﴾ (الأنعام : ١٥٥) وقال : ﴿ وهذا كتابٌ أنزلناه مبارك مصدقُ الذي بين يديه ﴾ (الأنعام : ٩٢) .

وجاء منه في الشعر كثير كقول مضرّس المزني :

أهاجتكَ آياتٌ عفوْنَ خُلوقُ وطيفُ خيالٍ للمحب يشوقُ

لياليَ لاتَهْوَيْنَ أن تشحط النوى وأنت خليلٌ لايُلامُ صديقُ

وقد يأتي الترتيب كما يفضل النحاة ، إذ يكون الوصف بالمفرد أولاً ، ثم الوصف بشبه الجملة ، ثم الوصف بالجملة ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وقال رجلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعونَ يكتم إيمانه . . . ﴾ (غافر : ٢٨) .

٢ ـ وإذا وصفت مثنى أو جمعاً بصفة واحدة جعلت الصفة مثناةً أو جمعاً ، مثل : عرفتُ رجلينِ شاميينِ . وهؤلاء قومٌ كرامٌ ، وفي بلدنا ثلاثُ نساءٍ شاعرات . أما إذا اختلفت الصفات فإن عليك أن تذكرها معطوفاً بعضُها على بعض ، تقول : مررت برجلينِ : طويلٍ وقصير . قال حسان بن ثابت :

فوافيناهمُ منا بجمعٍ كأسدِ الغابِ مُرْدانٍ وشيبِ

وقال الآخر :

بكيتُ وما بكا رجلٍ حزينٍ على رَبْعَينِ : مسلوبٍ وبالِ

وتقول : مررت بثلاثة رجالٍ : طويلٍ وقصيرٍ ومعتدلٍ[1] .

٣ ـ ويجوز عطف الصفات بالواو أو الفاء وموصوفها واحد ، قال

---

(١) لا يجوز مثل هذا في اسم الإشارة ، فلا يقال مثلاً : عرفتُ هذينِ الطويلَ والقصيرَ . أو جاء هذان الأبُ والابنُ . هذا في رأي من يجعل التابع بعد اسم الإشارة صفة .

تعالى : ﴿ . . . الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين في الأسحار ﴾ (آل عمران : ١٧) ومثل ذلك قول الشاعر :

إلى الملك القَرْمِ وابنِ الهُمام وليثِ الكتيبة في المُزدَحَمْ

وقول ابن زيابة بعد تهديد الحارثَ بن الهمام له :

يالهفَ زيابة للحارث الـ صابحِ فالغانمِ فالآيبِ

وقد يكون عطف الصفات المتعددة واجباً ، كما في مثل قوله تعالى : ﴿ وظلّ من يَحْمومٍ لا باردٍ ولا كريم ﴾ (الواقعة : ٤٣) .

د ـ هل توصف الصفة :

ماذا يعرب الاسم « فخور » في قوله تعالى : ﴿ إن الله لايحبُّ كل مختالٍ فخورٍ ﴾ (لقمان : ١٨) ؟ أصفة هو لقوله : مختال ؟ ولكن (مختالٍ) نفسَها صفة لموصوفٍ محذوفٍ ، والأصل : لكل إنسانٍ مختالٍ فخور .

في هذا اختلف النحاة ، فذهب بعضهم إلى أن الصفة لاتوصف ، لأنها أشبهت الفعل في شكلها ودلالتها ، فإذا تعددت كانت كلها صفات للموصوف الذي هو اسم في المفهوم الصرفي . وذهب آخرون إلى أن الصفة قد توصف واستدلوا على ذلك بعبارات يصعب تأويلها ، مثل : لبست ثوباً أحمرَ قانياً ، ولبس أخي ثوباً أبيض ناصعاً . فقولهم : (قانياً) ليس بوصف للثوب ، بل هو وصف للحمرة ، ومثله : (ناصعاً) . ويقال أيضاً : مررت برجلٍ بطلٍ أي بطلٍ . أي : كامل البطولة .

وماذهب إليه الفريق الثاني مقنع ، ولكن المسألة تحتاج إلى مزيد من الإيضاح .

فالذي أراه أن الصفات إذا تعددتْ وكان موصوفها محذوفاً للعلم به قامت الصفة الأولى مقامه من حيث الإعراب ، وكانت الصفات المذكورة صفات له لا للصفة الأولى ، وعلى هذا تكون (فخور) في قوله تعالى : ﴿ كل مختالٍ فخور ﴾ صفة ثانية للموصوف المحذوف : إنسان . أما

(مختالٍ) فهي في الإعراب مضاف إليه ، وهي في المعنى صفة أولى[1] .

أما إذا كانت الصفة مما اشتهرتِ وشاع استعمالها من دون الموصوف مثل : الحُسام ، والشاعر ، والفارس ، فأرى أن تكون الصفات لها لا لموصوفها المقدر ، وذلك مثل : ضربه بحُسامٍ حادٍ . وهذا شاعرٌ فَحْلٌ ، وذلك فارسٌ شجاع . فالصفات المذكورة هنا صفات لـِ « حسام ، وشاعر ، وفارس » ، لا لموصوف محذوف : سيف حسام ، أو رجل شاعر ، أو رجل فارس .

هـ ـ حذف الموصوف :

ومن مزايا اللغة العربية ونظمها التركيبية والدلالية كثرة حذف الموصوف وقيام الصفة مقامه في الوظيفة الإعرابية ، تقول : جاء الناجحون . ونجح المجدون . والأصل : جاء الطلاب الناجحون ، ونجح الطلاب المجدون . وتقول أيضاً : أكرموا العالمَ ، واذكروا الفاسقَ بما فيه .

ولكثرة هذا الأسلوب في العربية بدت صفات كثيرة كالمرادفات لموصوفها ، كصفات السيف : الحسام ، والمهند ، والصارم ، والأبيض . ومثل هذا إطلاقهم : الأطلس ، دون ذكر الذئب ، والورقاء ، دون ذكر الحمامة ، والغبراء ، دون ذكر الأرض ، والذلول ، دون ذكر الناقة .

وجاء منه في القرآن أشياء كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ وأذّن في الناس بالحج يأتوك رِجالاً وعلى كل ضامرٍ ﴾ (الحج : ٢٧) أي : وعلى كل حصانٍ ضامرٍ . ومثله : ﴿ ربّ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين ﴾ (الشعراء : ٨٣) ، أي : بالرجال الصالحين . وهذا كثير جداً .

أما في الشعر فأكثر من أن يُحصى ، من ذلك قول زهير :

وفيهنَّ ملهى للطيف ومنظرٌ أنيقٌ لعين الناظرِ المتوسم

---

(١) وهذا يشبه إعرابنا لمثل : الطويل ، فاعلاً في قولنا : ذهب الطويلُ . ومفعولاً في قولنا رأيت الطويلَ .

أي : للإنسان اللطيف ، ولعين الإنسان الناظر المتوسم .

ويرى فريق من النحاة أن حذف الموصوف واجب حين تكون الصفة مما اشتهرت وشاعت ، تقول : ضربه بالحسام . لا : بالسيف الحسام . وتقول : أحسن الشاعرُ . لا : الإنسان الشاعر . وتقول : جاء الفارس . لا : الرجل الفارس . ومثل ذلك : الأدهم (القيد) والأسود (الثعبان) والأبطح (المكان) .

هذا إذا كانت الصفة اسماً مشتقاً أو غير مشتق ، ولكن إذا كانت جملة فيندر حذف الموصوف ، فمن غير المعهود أن يقال : رأيتُ يسيرُ الهويني . أي : رأيت رجلاً يسير الهوينى . إلا أن سياق الكلام إذا دل على الموصوف أمكن حذفه ، تقول : مامنهم مات حتى رأيته في حال ضعف . أي : مامنهم أحدٌ مات . . . وقال حكيم بن معية الربعي :

لو قلتَ : مافي قومها لم تيْثَمِ   يفضلها في حَسَبٍ ومِيسَمِ

أي : مافي قومها أحدٌ يفضلها في الحسب والجمال . وقال تميم بن مقبل :

وما الدهرُ إلا تارتان فمنهما   أموتُ وأخرى أبتغي العيش أكدحُ

والتقدير : فمنهما تارة أموت فيها .

و ـ حذف الصفة :

ويقل حذف الصفة في اللغة العربية ، بل هو من النادر جداً ، من ذلك قول الناس : ليس فلان على شيءٍ . وقولهم : ليس هذا بشيءٍ . أي : ليس على شيءٍ ذي قيمة . وليس بشيءٍ معتّدٍ به .

ومما جاء منه في القرآن الكريم : ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينةٍ غصباً ﴾ (الكهف : ٧٩) أي : كل سفينةٍ صالحةٍ . ومنه أيضاً قوله : ﴿ الآن جئت بالحقّ ﴾ (البقرة : ٧١) أي : بالحقِّ البيّن . ومن ذلك قول المرقش الأكبر :

ورُبّ أسيلةِ الخدينِ بكرٍ   مهفهفةٍ لها فرعٌ وجيدُ

أي : لها فَرْع أسود فاحم ، وجيد طويل . وقول الآخر :

وقد كنت فيْ الحربِ ذا تُدْرَأٍ فلـم أُعْـطَ شيئـاً ولـم أُمنـعِ[1]

أي : لم أعط شيئاً ذا قيمة .

٦ ـ الصفة المقطوعة

قطع الصفة يعني أن تذكر الموصوف وتتبعه بصفات متعددة لها إعرابه نفسه ، إلا أنك تقطع واحدة منها أو أكثر عنه وتجعل حركتها الإعرابية مخالفة للصفات الأخرى تثير بذلك ذهن السامع ، ويدرك أن هذه الصفة عندك أكثر أهمية من الصفات الأخرى ، تقول مثلاً : قرأتُ ديوانَ المتنبي الشاعرِ المتفلسفِ الفارسَ (أو الفارسُ) . لقد ذُكر هنا ثلاث صفات للمتنبي هي : الشاعر ، المتفلسف ، الفارس . فتبعت الأوليان حركة الموصوف فجاءتا مجرورتين ، وقطعت الثالثة فجاءت منصوبة أو مرفوعة ، فنبه هذا الخلاف الإعرابي إلى أن المتكلم يكبر في المتنبي الفروسية أكثر مما يكبر فيه الشاعرية والتفلسف .

ومن الطبيعي أن (الفارس) لاتعرب صفة في مثل هذا التركيب ، بل تعرب مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً تقديره : أعني ، أو أمدح ، أو أريد . هذا إذا نصبت ، أما إذا رفعت فتعرب حينئذٍ خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره : هو الفارس .

ومن الممكن أن تقطع صفتين أو أكثر ، بل من الممكن أيضاً أن تقطع الصفات المذكورة كلها أو تقطع الصفة الوحيدة المذكورة للموصوف ، وهذا ماسوف نتحدث عنه في آخر هذه الفقرة .

وتقطع الصفة لواحد من ثلاثة أغراض هي : التعظيم ، والذم والترحم .

من شواهد الغرض الأول قول الخِرْنِق :

(١) التدرأ : القوة وعدة الحرب .

لايبعدن قومي الذين هُم ... سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النازلين بكل مُعْتَرَكٍ ... والطيبون معاقد الأُزْرِ

فنصب (النازلين) وقطعتها عن موصوفها للمدح . وتعرب مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً تقديره : أريدُ . ومن ذلك أيضاً قول حاتم الطائي :

إن كنت كارهةً معيشتنا ... هاتا فحلي في بني بَدْرِ
الضاربون لدى أعنتهم ... والطاعنون وخيلهم تجري

فرفع (الضاربون) ولم يجرها تَبَعاً للمنعوت ، لأنه قطعها عنه تنبيهاً للسامع وإثارةً لذهنه ليدرك أهمية هذه الصفة . وتعرب خبراً لمبتدأ محذوف .

ومما جاءت فيه الصفة المقطوعة للشتم قوله تعالى : ﴿ وامرأتُه حمالةَ الحطبِ في جيدها حبلٌ من مسد ﴾ (المسد : ٤ ، ٥) بنصب (حمالة) قطعاً لها عن موصوفها .

وتقول : جاء زيدٌ المسكينُ . ومررت بخالدٍ البائسُ . فتقطع صفة الموصوف للترحم .

على أن القطع ذو نظام وقواعد ، وليس اعتباطياً يتصرف فيه المتكلم كيف يشاء ، وهذا يختلف في كون الموصوف نكرة أو معرفة :

١ ـ الموصوف نكرة :

فإن كان الموصوف نكرة فلا يقطع نعته الواحد . فلا يقال مثلاً مررتُ برجلٍ بائساً أو بائسٌ . على القطع ، ولكن يجوز قطع بعض نعوته إذا تعددت ، تقول : مررت برجلٍ بائسٍ موهوبٍ . أو : مررت برجلٍ بائسٍ موهوبٌ (أو موهوباً) . فتقطع الصفة الثانية ولايجوز قطع الأولى ، لأنه يتخصص بها . وكذلك تقول : رأيتُ أخاك في شارعٍ طويلٍ مزدحمٌ صعبُ المسالك . فتقطع الصفتين : الثانية والثالثة . أو تقطع الثانية وحدها وتتبع الثالثة أو تعكس .

٢ ـ الموصوف معرفة :

وإذا كان الموصوف معرفة كان ثمة احتمالان : فإما أن يكون معيناً من دون ذكر صفاته ، وإما أن يكون غير معين . فإن كان معيناً جاز قطع نعته

الوحيد أو نعوته المتعددة أو قطع بعضها وإتباع بعضها الآخر ، مثل : الحمدُ لله الرحيمُ . والحمدِ لله الرحيمِ الغافرَ أو الغافرُ .

وإن كان غير متعين من دونها أو ببعضها وجب إتباع جميع الصفات ، كأن تقول : قرأت ديوانَ الشاعرِ الكوفيِّ العراقيِّ مادحِ سيف الدولة وكافور . وتقول : مررت بزيدٍ الطويلِ الضابطِ الطيارِ . وذلك إذا كان ثمة زيد آخر طويل وضابط .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقةُ العذابِ الهونِ بما كانوا يكسبون ﴾ (فصلت : ١٧) .

٢ ـ ﴿ ماينظرون إلا صيحةً واحدةً ﴾ (يس : ٤٩) .

٣ ـ ﴿ أفرأيتم اللاتَ والعُزّى ومَناةَ الثالثةَ الأخرى ﴾ (النجم : ١٩، ٢٠).

٤ ـ « ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساءِ والوِلدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القريةِ الظالمِ أهلُها ﴾ (النساء : ٧٥) .

٥ ـ ﴿ ألم ترَ أن الله أنزلَ من السماءِ ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفاً ألوانُها ، ومن الجبالِ جُدَدٌ بيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانُها ، وغرابيبُ سود ﴾ (فاطر : ٢٧) .

٦ ـ قال تميم بن أبي :

وما الدهرُ إلا تارتان فمنهما ... أموتُ وأخرى أبتغي العيش أكدحُ

٧ ـ قال الكميت بن زيد :

لكم مسجدا الله المزورانِ والحصى ... لكم قِبْصُهُ من بين أثرى وأقترا

٨ ـ قال مضرس المزني :

أهاجتْكَ آياتٌ عفونَ خُلوقُ ... وطيفُ خيالٍ للمحبّ يَشوقُ
تلوح مغانيها بحجر كأنها ... رداءُ يمانٍ قد أمحَّ عتيقُ

لياليَ لا تهوينَ أن تشحط النوى　　وأنــت خليــلٌ لا يُــلام صــديــقُ

٩ ـ قال الراجز :

بــاشــر راعٍ وَسْطهــا لجــابــرِ　　بــات يُغشّيهــا بِعَضْــب بــاتــرِ

يَقْصِدُ في أَسْوُقِها وجائرِ

١٠ ـ قال المتنبي :

ولم تحملِ السيفَ الطويلَ نِجادُهُ　　وأنــت غنــي عنــه بــالحــدَثــانِ

١١ ـ وقال البحتري :

تألّفهم من بعدما شرّدتْ بهمْ　　حفائظُ أخلاقٍ بطيءٍ رُجوعها

١٢ ـ وقال أيضاً :

دنوتُ فقبّلتُ النوى في يد امرىءٍ　　جميــلٍ مُحيّــاهُ سِبــاطِ أنــامِلُــه

١٣ ـ وقال :

فكــم ليلــةٍ قــد بتُهــا ثَــمَّ نــاعمــاً　　بعينيْ عليلِ الطرفِ بيض ترائبُهْ

لــه منصــبٌ فيهــم مَكيــنٌ مكــانُــهُ　　وحَقٌّ عليهم ليس يُدْفَع واجِبُهْ



البـــدل

آ ـ ما البدل :

وهذا تابع آخر غير الصفة ، يشبهها في شيء ويختلف عنها في شيء آخر ، فهو مثلها يتبع في إعرابه متبوعاً متقدماً عليه لفظاً ورتبة ، ولكنه يختلف عنها في أنه هو المقصود في الحكم دون متبوعه ، أما هي فمتممة لمتبوعها وتابعة له في المعنى ووظيفتها أن توضحه أو تخصصه أو تؤكده أو . . .

إن البدل أهم في الكلام من متبوعه ، أما الصفة فهي دون متبوعها في الأهمية الدلالية ، ولذلك يُذكر متبوع البدل ليكون تمهيداً أو توطئة لذكره . وسوف نذكر لك أمثلة توضح هذا .

١ ـ ﴿ ولـولا دفـعُ الله النـاسَ بعضَهـم ببعـضٍ لفسـدتِ الأرضُ ﴾ (البقرة : ٢٥١) .

٢ ـ ﴿ ثم عَمُوا وصَمُّوا كثيرٌ منهم ﴾ (المائدة : ٧١) .

٣ ـ ورثتُ أبي أخلاقَهُ .

٤ ـ أعجبني عملُك نَفْعُهُ .

في الآية الأولى قيل : دفعُ الله الناسَ . فأُوقعَ الدفعُ على الناس كلهم ، ثم حُدِّد المدفوع منهم : بعضُهم . وهذا يعني أن الناسَ لم يدفعوا جميعاً بل الذي دفع هو بعضهم فحسب . ومن أجل ذلك يكون (الناسُ) ـ وهو متبوع البدل ، ويسمى : المبدل منه ـ غير مقصود بحكم الدفع ، بل المقصود منه هو (بعضهم) أي البدل ، وإنما ذكر المبدل منه (الناس) ليكون توطئة لذكر البدل (بعضهم) .

وفي الآية الثانية قال : عموا وصموا . فجعل العمى والصمم شاملين المقصودين جميعاً ، ثم قال : كثيرٌ منهم . وذلك يعني أن العمى لم يصبهم

جميعاً ، وكذلك الصمم ، بل أصاب كثيراً منهم . وهكذا تكون واو الجماعة في : عموا ، وصموا ، مذكورةً تمهيداً ليس غير ، لأنها هي المبدل منه ، والمقصود بحكم العمى والصمم هو « الكثير » . أي البدل .

وفي الجملة الثالثة يتضح أن الموروث هو الأخلاق ، لا الأب ، كما يتبين في الجملة الرابعة أن المعجب هو النفعُ لا العملُ .

وينتج عن هذه الخصيصة الدلالية للبدل معيارٌ دقيق يعرفُ به هذا التابع من سائر التوابع الأخرى ، هو إمكان تنحية متبوعة ـ أو المبدل منه ـ من دون أن يختل المعنى العام للكلام ، إذ يمكن أن تقول : ولولا دفع الله بعضَ الناس ببعض . ثم عمي وصَمَّ كثيرٌ منهم . ورثت أخلاقَ أبي ، أعجبني نفعُ عملك . بل هذا هو المقصود المراد[1] .

وتستنتج من هذا سمة دلالية أخرى في أسلوب البدل ، هي أن فيه لوناً من ألوان التوكيد ، لأنه يذكر الشيء مرتين ، مرةً للتمهيد والتوطئة ، ومرة لتحديد المقصود ، ثم إنه لايخلو أحياناً من تفصيل المجمل ، وهذا نفسه توكيد ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ قالوا: آمنا برب العالمين ، ربِّ موسى وهارون ﴾ (الأعراف : ١٢٧) فهذا القول قيل أمام فرعون الذي كان يدّعي الألوهية ، وتأويل ماجاء فيه : آمنا برب العالمين ، وهو رب موسى وهارون لافرعون . ومثل ذلك قوله : ﴿ إن للمتقين مفازاً ، حدائقَ وأعناباً ، وكواعبَ أتراباً ﴾ (النبأ : ٣١ ، ٣٣) فالتفصيل يؤكد الحكم وهو فوز المتقين

(١) صحيح أن المعنى العام للجملة لا يتغير ، إلا أن المعنى التركيبي يختلف ، إذ يزول معنى التأكيد ، ويرى النحويون أن الطرح يُنوى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، لأن المراد من جملة البدل هو إعلام السامع بمجموعي الاسمين أو الفعلين . ثم هناك أمر آخر يذكره النحاة هو أنه لو كان البدل والمبدل منه على نية طرح الأول لفظاً لما جاز قولك : ورثت أبي أخلاقه . إذ لو طرح المبدل منه لفظاً ومعنى لما بقي للضمير المتصل بالبدل مرجع يرجع إليه ، ولكان الكلام : ورثت أخلاقه .

١ ـ صور البدل في التركيب اللغوي

للبدل في اللغة العربية خمس صور ، هي :

١ ـ البدل المطابق :

وله في كتب النحو عدة أسماء ، هي : بدل المطابقة ، و بدل الكل من الكل ، والبدل المطابق . وهو ماطابق المبدل منه في المعنى وفي اللفظ ، أو في المعنى دون اللفظ ، وذلك مثل : ﴿ اِهدنا الصراط المستقيم ، صراطَ الذين أنعمتَ عليهم ﴾ (الفاتحة : ٥ ، ٦) فـ (صراطَ الذين) هو البدل ، والمبدل منه : الصراط . وقد تطابقا ـ كما ترى ـ لفظاً ومعنىً . أما قوله : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتابَ وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً ﴾ (الفرقان : ٣٥) فقد جاء فيه البدل (هارون) مطابقاً للمبدل منه (أخاه) في المعنى ، ولكنه مخالف له في اللفظ .

ومن شواهد بدل المطابقة هذا في الشعر قول أبي تمام :

إن الأسودَ أسودَ الغابِ همتُها ... يومَ الكريهةِ في المسلوب لا السَّلَبِ

٢ ـ بدل جزء من كل :

وهذا النوعُ كثير في الكلام ، ويسمى أيضاً : بدل بعضٍ من كل . مثل : رأيتُ أهلكَ كثيراً منهم . واعتدى الرجلان أحدهما على الآخر . وخلق الله الزرافةَ يديْها أطول من رجليها . ففي الجملة الأولى ترى (كثيراً) بدلاً من (أهلك) ، وترى في الثانية (أحدهما) بدلاً من (الرجلان) ، وفي الثالثة (يديها) جاءت بدلاً من (الزرافة) . وكل بدل يؤلف جزءاً حقيقياً من المبدل منه ، فهو بعض منه على سبيل الحقيقة لا المجاز .

ولعلك لاحظت أن في كل بدل ضميراً يعود إلى المبدل منه ، وقد يكون الضمير في لفظٍ متعلِقٍ بالبدل كما في الجملة الأولى ، ويسمى هذا الضمير رابطاً ، وهو غالبٌ في هذه الصورة من أساليب البدل ، ولكنه ليس بلازمٍ خلافاً

لما يذهب إليه بعض النحاة . إذ قد ينوب عنه (أل) ، انظر في هاتين الجملتين ، ولاحظ كيف تنوب (أل) في الجملة الثانية عن الضمير :

١ ـ ضُرِب عبدُ الله ظهرُهُ وبطنُهُ .

٢ ـ ضُرِبَ عبدُ الله الظهرُ والبطنُ .

وقد يُستغنى عن الضمير البتة ، ولاينوب عنه شيء ، وذلك حين تذكر أجزاء المبدل منه كلها ، كما في قول كثيّر عَزّة :

وكنتُ كذي رجلينِ : رجلٍ مريضةٍ ورجلٍ رمى فيها الزمانُ فشَلَّتِ

٣ ـ بدل كل من جزء :

وقد ينعكس الأمر ، فيأتي « الكل » بدلاً من « الجزء » ، كقول الشاعر :

رحِمَ الله أعظماً دفنوها بِسِجِسْتانَ طلحةَ الطَّلَحاتِ

فالبدل هنا هو : طلحة . والمبدل منه : أعظماً . ولاشك أن الأعظم جزء أو بعض من طلحة . ومثله قول امرىء القيس :

كأني غداةَ البينِ يومَ تحملوا لدى سَمُراتِ الحيّ ناقِفُ حَنْظَلِ

فالبدل : يومَ . والمبدل منه : غداة ، واليوم هو الكل ، وغداة البين هو الجزء . ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ يدخلون الجنة ولايظلمون شيئاً جناتِ عدنٍ . . . ﴾ (مريم : ٦٠ ، ٦١) . فالجنات متعددة ، والجنة بعض منها . وتقول : أزورُك في الرابعةِ يومِ السبت .

٤ ـ بدل اشتمال :

وهذا يختلف عن بدل الجزء ، لأن البدل فيه لا يؤلف بعضاً من المبدل منه ، ولكنه مما يشتمل عليه من صفات أو أحداثٍ أو ماشاكل ذلك[1] ، تأمل هذه العبارة : ورثتُ أبي مالَهُ وأخلاقه . فالمال ليس جزءاً من أبي ، فلا يكوِّن

---

(١) لم يتفق النحاة القدماء على ماهية بدل الاشتمال ، فذكر بعضهم كالزجاج أنه يجب أن يكون صفة من صفات المبدل منه ، مثل : ورثت أبي علمه ، أو : طولَهُ ، أو : أخلاقه . وأنكر آخرون هذا التحديد وعمموه ، وذكروا أنه كل ما يمكن أن يشتمل عليه المبدل منه أو يحيط به .

من جسده شيئاً ، ولكن أبي يملك المال ، فهو ممايشتمل عليه . ومن هذا قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه ﴾ (البقرة : ٢١٧) فالقتال : بدل من (الشهر) . والشهر يشتمل عليه . وقال عبدة بن الطبيب :

وما كان قيسٌ هُلْكُهُ هلكَ واحدٍ ولكنــه بنيــانُ قــومٍ تهــدّمــا

على أنه لايكفي أن يكون المبدل منه مشتملاً على البدل ، بل لابد من أن يصح الكلام بذكر المبدل منه وحده ، فلايجوز مثلاً أن تقول : أسرجت عبد الله فرسَهُ . لأن المبدل منه لايصح أن يسرج . ولكنه يجوز أن يقال : سُرِق عبدُ الله ثوبُه . لجواز : سُرِقَ عبد الله .

٥ ـ البدل المباين :

وهو نوع من أساليب البدل يتغاير فيه طرفا الإبدال ، ويصدر عن حالات نفسية كالسهو أوالغفلة ، أو تغيير الرأي ، وقد يكون زلة لسانٍ ليس غير . وهو نفسه ثلاثة أنواع :

آ ـ بدل الغلط :

وهو ماصدر عن زلة لسان ، كأن تقول : فتح خالدُ بن الوليدِ مصرَ . الشامَ . فقد سبق لسانك ذهنك فذكرت مصر ، ثم صححت الخطأ اللساني فقلت : الشام . ومن ذلك قولك : يعتمد المصريون على مياه الفراتِ ، النيلِ . واستخدم الفرسُ الفيلةَ في معركةِ اليرموكِ ، القادسيةِ .

ب ـ بدل النسيان :

وهذا النوع يصدر عن السهو أو الغفلة ، فبعد أن يطلق المتكلم الرأي يتنبه إلى الحقيقة فيذكرها ، كأن يقول : أقمت هنا سنتين ، ثلاثَ سنوات . أخذت هذا الكتاب من مكتبة أبي ، عمي .

ج ـ بدل الإضراب :

وهو مايصدر عن تغيير الرأي والتوجه إلى رأي آخر ، كأن تقول : هذا معجمٌ عظيمٌ ، موسوعةٌ . فبعد أن قلت : معجم . غيرت رأيك ، لأنك

وجدت (المعجم) لايفي في التعبير عما في نفسك من إكبار له ، فأضربت عنه وتوجهت إلى معنى أوسع ، فذكرت أنه : موسوعة . وقال ذو الرمة :

لمياء في شفتيها حُوَّةٌ ، لَعَسٌ وفي اللِّثاثِ وفي أنيابها شَنَبُ

فبعد أن قال : شفتيها حُوَّة (أي سواد مشوب بحمرة) ، غير رأيه فقال : لَعَسٌ . (أي : سوادٌ صافٍ) . (والشنب : حدة الأسنان ودقتها) .

الخصائص اللفظية للبدل والمبدل منه

هل العلاقة بين البدل والمبدل منه كالعلاقة بين الصفة والموصوف من حيث التطابق في الإعراب ، والعدد ، والجنس ، والتعريف والتنكير ؟

الحق أن البدل يتبع المبدل منه في الإعراب ، ولهذا عُدَّ في التوابع ، أما تبعيته إياه في الأشياء الأخرى فتختلف بين صورة وأخرى . فبدل المطابقة ، أو كل من كل ، يتبع المبدل منه في الجنس والعدد أيضاً ، ولايلزم أن يتابعه في التعريف والتنكير كما سوف نرى . وأما أنواع البدل الأخرى فتلزم فيها التبعية الإعرابية ، أما غيرها فليس بلازم ، فقد يبدل المفرد من الجمع ، أو الجمع من المفرد ، وقد يبدل المذكر من المؤنث أو المؤنث من المذكر ، وتبدل المعرفة من النكرة أو النكرة من المعرفة . قد تقول مثلاً : أعجبني الطلابُ عملُهم . وإن الفتاةَ وَجْهَها جميلٌ . وإن أخاكَ عَيْنَهُ محمرة . وهكذا .

وسوف نفصل في الفقرات التالية الأشكال اللفظية للبدل والمبدل منه .

١ ـ بدل النكرة من المعرفة :

قد تبدل النكرة من المعرفة في صور البدل الخمس السابقة ، وبهذا يختلف البدل عن الصفة ، وعن عطف البيان ، كما سوف نرى . وأوضح الشواهد على هذه الظاهرة قوله تعالى : ﴿ لنسفَعَنْ بالناصيةِ ، ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة ﴾ (العلق : ١٥) ، ومن ذلك أيضاً قول حميد بن ثور :

ولن يلبث العصرانِ : يومٌ وليلةٌ إذا طلبا أن يدركا ما يتمما

ففي الآية ، أبدلت : ناصية . من : الناصية . وفي البيت أبدل : يومٌ من : العصران .

والنكرة في كل منهما مخصصة غير محضة ، أما في الآية فقد خصصت النكرة بالوصف : خاطئة . وخصصت في البيت في عطف (ليلة) عليها .

٢ ـ بدل المعرفة من النكرة :

ويجوز عكس الصورة السابقة فتبدل المعرفة من النكرة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم ، صراطِ الله . . . ﴾ (الشورى : ٥٢) فصراط الله ، وهو البدل ، معرفة ، والمبدل منه ، وهو صراط مستقيم ، نكرة مخصصة . ومثله قوله : ﴿ فيه آياتٌ بيّناتٌ مقامُ إبراهيمَ ومن دخله كان آمناً . . . ﴾ (آل عمران : ٩٧) فمقام إبراهيم ، بدل بعض من كل ، وهو معرفة بالإضافة ، وآيات بينات مبدل منه ، وهو نكرة مخصصة .

ومن صور هذا البدل عندي مجيء الاسم الموصول بعد نكرة مخصصة ، وهو أسلوب قرآني لم أر مثله في الشعر ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ ويلٌ لكل هُمزَةٍ لُمَزةٍ الذي جمع مالاً وعدده ﴾ (الهمزة : ١ ، ٢) وقوله : ﴿ يدخلون الجنة ولايظلمون شيئاً جناتِ عدنٍ التي وعَدَ الرحمنُ عبادَهُ ﴾ (مريم : ٦١) وقوله : ﴿ ألقيا في جهنم كلَّ كفّارٍ عنيدٍ ، منّاعٍ للخيرِ معتدٍ مريبٍ ، الذي جعل مع الله إلهاً آخر ﴾ (ق : ٢٤ ، ٢٦) ، وقوله : ﴿ والله لايحب كل مختالٍ فخورٍ . الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ (الحديد : ٢٢ ، ٢٣)[1] .

٣ ـ إبدال الاسم الظاهر من الضمير :

وقد يقع الاسم الظاهر بدلاً من الضمير المتصل ، ولكن لايجوز العكس ، فمن ذلك قول الشاعر الطائي يخاطب بني هاشم :

بكمُ الأكابر والأصاغرِ فخرُنا　　　أبداً بذاك نزال معترضينا

(١) وجاء مثله في الدعاء بعد الأذان : « وارزقه مقاماً محموداً الذي وعدته » . ويمكن جعله نعتاً مقطوعاً فنصب بفعل مقدر ، أو يرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف . وذهب بعض النحاة إلى أنه صفة لأن النكرة قبله مخصصة .

أبدل (الأكابر) من الضمير المتصل ، وهو الكاف في قوله (بكم) .

ومثله قول النابغة الجعدي :

بلغنا السماءَ مَجْدُنا وسَناؤنا ... وإنا لنبغي فوقَ ذلك مظهرا

فأبدل (مجدنا) من (نا) ، وهو الضمير المتصل في الفعل (بلغ) .

ومثله أيضاً قول عدي بن زيد :

ذريني إن أمرَكِ لن يُطاعا ... وما ألفيتِني حِلْمي مُضاعا

فأبدل (حلمي) من ياء المتكلم في (ألفيتني)[1] .

٤ ـ إبدال الفعل من الفعل :

وهذا النوع أيضاً ليس بالقليل في نصوص اللغة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن يَفْعَلْ ذلك يلقَ أثاماً ، يضاعَفْ له العذابُ ﴾ (الفرقان : ٦٨) إذ أبدل الفعل : يضاعفْ ، من الفعل : يَلْقَ . ومثله قول عبد الله بن الحر :

متى تأتِنا تُلْمِمْ بنا في ديارِنا ... تجدْ حطباً جَزلاً وناراً تأجَّجا

فقوله : تلمم ، بدل من الفعل ، تأتِنا . ومثله أيضاً قول الشاعر :

إن عليَّ الله أن تبايعا ... تؤخَذَ كرهاً أو تجيء طائعاً

فالفعل : تؤخذ ، بدل من الفعل : تبايع .

٥ ـ إبدال الجملة من الجملة :

ولهذا اللون أيضاً شواهد فصيحة ، من ذلك قول الأحوص :

قالت : أقمْ ، لاتَبِنْ مِنا ، فقلت لها : ... إنـي وإن كنت ملعوجاً بـيَ الكمدُ

لتاركُ أرضَكم من غيرِ مَقْلِيةٍ ... وزائرٌ أهلَ حُلْوانٍ وإن بَعُدوا

فالجملة الفعلية : لاتبنْ منا . بدل من الجملة : أقمْ . محلها النصب .

ومثل ذلك قول الشاعر :

---

(١) الشواهد كلها جاء البدل فيها بدل اشتمال أو بدل بعض من كل . أما بدل المطابقة فلم يرد في الشواهد السابقة . وقد منع ذلك بعض النحاة من ضمير المخاطب ، وأجازه في ضمير الغائب خاصة . ومنعه غيره أيضاً في ضمير المتكلم .

أقول له : ارحَلْ ، لاتقيمنَّ عندنا وإلا فكن في السرِّ والجهر عالما

ومنه قوله تعالى : ﴿ أمدَّكم بما تعلمون ، أمدكم بأموالٍ وبنين ﴾ (الشعراء : ١٣٢ ، ١٣٣)

٦ ـ إبدال الجملة من المفرد :

ويكثر إبدال الجملة من المفرد ، ويزيد على إبدال الجملة من الجملة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلِقت ، وإلى السماء كيف رفعت ﴾ (الغاشية : ١٧ ، ١٨) فالجملة الفعلية : كيف خلقت ، بدل من (الإبل) في الآية الأولى ، وجملة (كيف رفعت) في الآية الثانية بدل من (السماء) . ومن ذلك قول مبشر بن هذيل الفزاري :

فلا تُتبعي العينَ الغويةَ وانظري إلى عنصرِ الأحسابِ أين يؤولُ

فجملة (أين يؤول) بدل من : عنصرِ الأحساب . والتقدير : إلى عنصرِ الأحسابِ موضعِ مآلِهِ .

وشاع في كتب النحو بيت للفرزدق في هذا هو :

إلى الله أشكو في المدينة حاجةً وبالشامِ أخرى كيف يلتقيانِ

فجملة (كيف يلتقيان) بدل من (حاجة وأخرى) .

٧ ـ الإبدال من اسمي الشرط والاستفهام :

إذا كان المبدل منه اسمَ شرطٍ أو اسمَ استفهامٍ دخلت أداة الشرط أو أداة الاستفهام على البدل ، مثل : ما تأكلْ إن تفاحاً أو برتقالاً يُفْدَكَ . وكيف حال أبيك أشابَ كعهدي أم شاب بعدِي ؟

على الأداتين هاتين لاتدخلان على البدلين إن دخلتا على المبدل منهما ، مثل : هل أحدٌ عندك : زيدٌ أو سميرٌ ؟ وإن تجدْ أحداً : زيداً أو سميراً ، فأطعمه معك .

٨ ـ إبدال شبه الجملة من شبه الجملة :

قد تقع شبه الجملة بدلاً من شبه جملة أخرى ، مثل : ﴿ ربنا أنزل علينا

مائدة من السماءِ تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ﴾ (المائدة : ١١٤) فشبه الجملة : لأولنا ، بدل من شبه الجملة : لنا . ومن ذلك قوله : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ (الأحزاب : ٢١) فشبه الجملة : لمن ، بدل من شبه الجملة : لكم .

هذا الذي قلناه في مجيء شبه الجملة بدلاً من شبه الجملة لايقره النحاة ، بل يذهبون إلى أن البدل في مثل ماسقناه من شواهد هو الاسم المجرور فحسب ، والمبدل منه هو الاسم المجرور السابق له . ويذهبون إلى أن اللام الثانية في الآيتين السابقتين مكررة . ثم يختلفون في ماهية اللام ويدور بينهم كلام طويل لاحاجة بنا إليه .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ ... فإني نسيت الحوت وما أنسانيهُ إلا الشيطانُ أن أذكره ... ﴾ (الكهف : ٦٣) .

٢ ـ ﴿ قتل أصحابُ الأُخدودِ ، النار ذاتِ الوقود ﴾ (البروج : ٤ ، ٥) .

٣ ـ ﴿ ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النَّعم ، يحكم به ذوا عدلٍ منكم هدياً بالغَ الكعبةِ ، أوكفارةٌ طعامُ مساكين ﴾ (المائدة : ٩٥) .

٤ ـ قال شمير بن الحارث :

فلا وأبيك خيرٍ منك إني ليؤذيني التحمحمُ والصهيلُ

٥ ـ وقال آخر :

إنا وجدنابني سلمى بمنزلةٍ كساعدِ الضبّ لا طولٍ ولا قصرِ

٦ ـ وقال آخر :

إن السيوف غُدوَّها ورَواحَها تركت هوازن مثل قرن الأعضبِ

٧ ـ وقال أبو المشيَّع (جبربن خالد الأسلمي) :

ألا ليت شعري هل تغيَّر بعدنا قطافُ الخطى والهضبُ هضبُ رماحِ

عرضْنَ لنا يوم العقيقِ لفتيةٍ　　يُصِبْنَ بنَبْلٍ غيرِ ذات قِداحِ

٨ ـ وقال أبو ذؤيب يرثي ولده :

ولو أنني استودعتُهُ الشمسَ لارتقت　　إليــه المنــايـا عينُهـا ورســولُهـا



عطف البيان

١ ـ ماهو ؟ :

يقع هذا التابع في منزلة وسطٍ بين الصفة والبدل ، فهومن حيث الوظيفةُ النحوية والتبعية كالصفة ، وهو من حيث الجمودُ كالبدل ، ولتوضيح هذا نضع بين يديك الأمثلة التالية :

ـ أتزوّجني ابنتكَ بثينةَ ؟

ـ ﴿ . . . يوقَدُ من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ ﴾ (النور : ٣٥) .

ـ كان ذلك في عهدِ عمرَ بن عبد العزيز .

في المثال الأول يطلب الخاطب الزواج من إحدى بنات المخاطب ، فلو أنه اقتصر على قوله : أتزوجني ابنتك ؟ لكان ذلك تعبيراً مبهماً يقصر عن أداء الغرض ، إذ لايُعرف حينئذٍ أيَّ البنات يطلب : بثنية ، فاطمة ، زينب . . . فكلهن يدخلن في مفهوم اللفظ (ابنتك) ، فهو إذاً لفظ عام يؤدي إلى لَبْس لاشتراك البنات الثلاث فيه ، ومن هنا يكون قوله : بثنية . مزيلاً لهذا الاشتراكَ وموضحاً المقصود من المتبوع (ابنتك) ومحدداً له .

وفي المثال الثاني نجد قوله تعالى : ﴿ شجرة مباركة ﴾ عاماً تشترك فيه أشجار كثيرة ، ولذلك بينه وخصصه بعطف البيان (زيتونة) ، وتجد في المثال الثالث اسم العلم (عمر) ، وهو اسم يشترك فيه اثنان من الخلفاء : عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ، فلو أن القائل اقتصر على القول : كان ذلك في عهد عمر . لأدى التعبير إلى اللبس لما فيه من الاشتراك ، ولهذا كان قوله : ابن عبد العزيز ، مزيلاً لهذا الاشتراك ، وموضحاً للقصد .

هذا كله يدلك على أن عطف البيان يقوم بما تقوم به الصفة من وظائف ، وهذا ماسوف نزيده بياناً ، ولكنه يختلف عنها من الناحية الصرفية فهو كما

رأيت في الأمثلة الثلاثة اسم جامد غير مشتق[1] ، (بثينة ، زيتونة ، ابن) وبهذا يشبه البدل . ومن هنا جاء تعريف عطف البيان في كتب النحو على شكل قريبٍ من قولنا التالي : « عطف البيان تابعٌ من غير واسطةٍ يوضح متبوعه أو يخصصه ، وهو في الجوامدِ كالصفة في المشتقات » .

٢ ـ بينه وبين الصفة :

آ ـ من حيث الوظيفة :

يقصد بعطف البيان مايقصد بالصفة ، فهو يستعمل للتعبير أو التخصيص ، أوالمدح ، أوالتأكيد . فمما وُظِّفَ فيه للتعيين أو الإيضاح قول الأعرابي الراجز : (عبد الله بن كيسبة)

أقسمَ بالله أبو حَفْصٍ عمرْ   مامَسَّها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ[2]

فقوله (عمر) عطف بيان ، معيّن لمتبوعه (أبو حفص) . وجاء للتخصيص في قوله : ﴿ من شجرة مباركةٍ زيتونةٍ ﴾ (النور : ٣٥) وجاء للمدح في قوله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للناس ﴾ (المائدة : ٩٧) فقوله : (البيتَ) عطف بيان من الكعبة وظيفته المدح . وجاء للتوكيد في قول الراجز :

وإني وأسطارٍ سُطِرنَ سطرا   لقائل : يانَصْرُ نصراً نصرا

وهذه الوظائف وجدناها في بحث الصفة أيضاً . فعطف البيان يكمل دلالة متبوعة ، وكأن المتكلم يُحس بأن السامع لم يتأكد عنده المتبوع ، ولذلك يأتي بعطف البيان ليزيل من نفسه كل لبس ، أو كل احتمال يمكن أن يخطر له .

ب ـ من حيث العلاقة بمتبوعه :

وعطف البيان أيضاً كالصفة من حيث تبعيته لمتبوعه ، إذ لابد له من أن

---

(١) هذا هو الغالب .

(٢) لهذا الرجز قصة جرت بين الراجز والخليفة عمر بن الخطاب . والضمير في قوله : (ما مسها) يعود إلى الناقة . والنقب : مرض يصيب أخفاف الناقة . والدَّبَرُ : أن يُجرح ظهرها في موضع الرجل .

يتبعه في الإعراب والعدد ، والجنس ، والتنكير والتعريف[1] . وقد رأيت هذا في الأمثلة السابقة .

ولكنه يختلف عن الصفة في علاقته بمتبوعه اختلافاً يسيراً ، فهو لاينطوي على ضمير مستتر يعود إلى متبوعه كما تنطوي الصفة عليه ، وسبب ذلك هو أن الصفة اسم مشتق ، وأن عطف البيان اسم جامد .

غير أن بعض الصفات لكثرة إطلاقها على موصوف خاص تتحول إلى مايشبه الاسم الجامد ، لأنها تصير لقباً ، وحينئذٍ تُفَرَّغ من ضمير مستتر ، مثل : الصِدّيق ، فهي في الأصل صيغة مبالغة لاسم الفاعل ، ولكنها أطلقت لقباً على أبي بكر ، فإذا قلت : قال أبو بكر الصدّيق . كانت (الصديق) عطف بيان لاصفة ، ومثل ذلك الفاروق ، والمصطفى ، وذو النورين ، والرَّضي ، والمُرْتَضَى ، والرشيد ، والمعتصم ، والسكيت ، والمتنبي ، والمعري ، وأمثالها .

٣ ـ بينه وبين البدل :

يرى النحاة أن كل عطف بيان يصح أن يكون بدلاً مطابقاً (كل من كل) ، كما في مثل : مررت بأخيك زيدٍ . وعرفتُ أختك زينبَ . ويعرب المتأخرون الاسم الجامد المعرف بعد اسم الإشارة مرة بدلاً ومرة عطف بيان ، كما في مثل : أكرم هذا الرجلَ . وأوصيك بهذا الكتابِ . وكذلك يعربون (ابن) الواقعة تابعةً للعلم في مثل : زيد بن حارثة ، وخالد بن الوليد ، عطف بيان أو بدلاً ، أو صفة[2] .

---

(١) يذهب كثير من النحاة إلى أنه لا يكون نكرة ، ويقصرونها على اسم العلم وأنواعه .

(٢) الأصح ـ بحسب ما قدمناه ـ أن يقتصر إعرابهما على عطف البيان ، لأن الاسم المعرف بعد اسم الإشارة يوضح المقصود منه . وكذلك (ابن) . إلا إذا أزلنا من أبواب النحو عطف البيان البتة وألحقناه بالبدل ووسعنا من وظائف البدل وخصائصه .

ولاشك أن هذه الأعاريب المختلفة تؤدي إلى معانٍ مختلفة ، قد يكون المعنى واحداً أو متقارباً في إعراب (ابن) صفة أو عطف بيان ، وقد عرفت هذا قبل قليل ، إلا أن إعرابه بدلاً يعني أنه هو المقصود ، وما ذكر العلم الأول إلا توطئة له وتوكيداً .

والذهاب إلى أن كل عطف بيان يمكن أن يكون بدل كل من كل قديم في تاريخ النحو ، فقد أشار إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي في تحليله لقول العرب :

١ ـ يا أخانا زيداً .

٢ ـ يا أخانا زيدُ .

فجعل الأول ـ وهوالمنصوب ـ عطف بيان ، وجعل الثاني ـ وهو المبني على الضم ـ بدلاً[1] ، وهذا ماسوف تراه ، ولكن لايعني هذا ان الخليل أو غيره من القدماء يجيز هذين الوجهين مع تساوي الدلالة في الجملتين ، فهو يعرف مابينهما من اختلاف .

ومن أجل ذلك كانت وظيفة عطف البيان تختلف عن وظيفة البدل ، إذ يستخدم الأول للتوضيح أو التخصيص أو المدح أو التأكيد ، وهذا يعني أن أهمية متبوعة في الكلام أوضح من أهميته ، فهو تابع له في الدلالة كما هو تابع له في الإعراب ، أما البدل فليس كذلك ، فإذا قلتُ : أعجبتني الحديقةُ أشجارُها وأطيارُها . لم يكن في ذهني أن الحديقة غير معينة واضحة عند السامع ، وأن من المحتمل أن ينصرف ذهنه إلى حديقة أخرى لا أعينها ، بل يكون في ذهني أنها واضحة عنده معينة ، ولكن الذي يحتاج إليه هو تعيين ما أعجبني منها . وبهذا يكون البدل ـ كما قلنا من قبل ـ أهم من متبوعه في الكلام ، وهذا عكس عطف البيان .

وعلى الرغم من مذهب النحاة السابق في أن كل عطف بيان يصلح أن يكون بدل كلٍ من كل ، نراهم يحتمون أن يكون التابع في بعض التراكيب

(١) انظر : سيبويه . الكتاب : ٢/ ١٨٤ ـ ١٨٥ .

عطف بيان ، ولايجيزون أن يكون بدلاً ، ويقوم هذا عندهم على أساس الدلالة التي تحدثنا عنها ، وهو أن البدل على نية إسقاط المبدل منه ، فحيث لايجوز إسقاط المبدل منه في الكلام يتعين أن يكون التابع عطف بيان لابدلاً . وإليك بعض الأمثلة وتحليلها :

١ ـ يا غلامُ سَعْداً .

في هذه العبارة لايكون (سعداً) إلا عطف بيان ، تبع ماقبله في الإعراب ، و (غلامُ ﴾ منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب . وسعداً : عطف بيان تبع ما قبله فنصب عطفاً على المحل ، وهو النصب .

ولايجوز أن يكون بدلاً ، لأن البدل على نية إسقاط المبدل منه ، فلو أسقطت (غلام) تحول الكلام إلى : ياسعداً . وهذا لايجوز . لأن المنادى اسم علم مفرد ، وحقه أن يكون مبنياً على الضم لا منصوباً .

٢ ـ ياخالدُ الوليدُ .

الوليدُ هنا عطف بيان لامحالة ، إذ لايجوز أن يكون بدلاً ، لأن المبدل منه ـ لو كان بدلاً ـ لايجوز إسقاطه ، فلو سقط لصار الكلام : ياالوليدُ . وهذا خطأ ، لأن (يا) لاينادى بها المعرف بأل .

٣ ـ يا أيها الرجلُ سميرٌ .

سمير عطف بيان لابدل ، لأنه لايجوز إسقاط (الرجل) إذ لو سقط لصار الكلام : يا أيها سميرٌ . وهذا خطأ .

٤ ـ جاء كلا الطالبين سعدٍ وسعيدٍ .

سعد : عطف بيان لابدل ، لأنه لايقال : جاء كلا سعدٍ وسعيدٍ . بحذف المتبوع .

٥ ـ أنا ابن التاركِ البكريِّ بشرٍ عليه الطيرُ ترقبه وقوعا

بشر : عطف بيان لابدل ، لأنك إن أسقطت التابع (البكري) صار الكلام : أنا ابن التاركِ بشرٍ . فأضفت (التارك) وهو محلى بأل ، إلى اسم

غير محلى بها ، وهذا لايجوز عند جمهور النحاة[1] .

٦ ـ أيا أخوينا عبدَ شمسٍ ونوفلا   أعيذكما بالله أن تحدثا حربا

عبدَ شمس : عطفُ بيان ، لابدل ، لأنك لو أسقطت (أخوينا) لصار التركيب : ياعبدً شمس ونوفلاً . والعطف على نية تكرار العامل ، أي يؤول الكلام إلى : يانوفلاً . وهذا خطأ .

٤ ـ أحكام عطف البيان :

ونوجز هنا بعض خصائص عطف البيان الأسلوبية :

آ ـ هو كالنعت لايكون هو ولا متبوعه ضميراً . فلا يمكن مثلاً أن يكون (زيد) في قولنا : ما جاؤوا إلا زيد . عطف بيان ، لأن متبوعه ضمير ، فهو بدل .

ب ـ ولايكون هو ولا متبوعه جملة أو فعلاً ، فهو اسم مفرد وجوباً .

ج ـ هو تابع من دون واسطة ـ كما قلنا في تعريفه ـ ولكنه أحياناً يقع بعد (أَيْ) التفسيرية ، مثل : عرفتُ زيداً أي أخاك .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ واستفتحوا وخابَ كلُّ جبارٍ عنيدٍ ، من ورائه جَهَنَّمُ ويُسقى من ماءٍ صديدٍ ﴾ (إبراهيم : ١٥ ، ١٦) .

٢ ـ قال الشاعر :

فهبني قلتُ : هذا الصبحُ ليلٌ   أيعمى الناظرونَ عن الضياءِ

٣ ـ قال جرير :

ياتيمُ تيمَ عَدِيٍّ لا أبالكمُ   لايُلْقينكمُ في سَوْءةٍ عمرُ

---

(١) أجاز الفراء والفارسي إضافة ما فيه (أل) إلى اسم العلم . وعلى هذا يمكن أن يكون : بشر ، بدلاً عندهما . ويرى بعض النحاة أن كل هذه الفوارق المذكورة مصطنعة ، لأن ثمة قاعدة معروفة في النحو هي أنه يفتقر في الثواني ما لا يفتقر في الأوائل . فلو أخذ النحاة بهذا المبدأ وأسقطوا باب عطف البيان من النحو لأراحوا الناس من بعض العناء .

٤ ـ ﴿ إن هذا لفي الصحفِ الأولى ، صحفِ إبراهيمَ وموسى ﴾ (الأعلى : ١٨ ، ١٩) .

٥ ـ وقال بعض بني جهينة :

ألا هل أتى الأنصارَ أن ابنَ بجْدلٍ حُمَيْداً سَقى كلباً فقرَّت عيونُها

☆ ☆ ☆

التوكيد

أساليب التوكيد في العربية :

لكل لغةٍ نظامٌ خاص في التعبير ، وفي أداء المعاني السياقية ، وقد تتشابه أنظمة اللغات في أداءِ معنىً مّا وقد تختلف ، وللعربية في أداء معنى التوكيد ـ وهو معنى سياقي نحوي ـ أساليب مختلفة متنوعة ، فقد تستخدم أحرفاً تضيفها إلى بنية الجملة أو الكلمة ، كاللام التي تقع في المبتدأ حيناً : لأنت أكرمُ عليَّ من هذا . وتقع حيناً آخر في الخبر : إن النفس لأمّارة بالسوء . ومثل اللام في هذا : إنَّ ، وأن . ونون التوكيد : ثقيلةً كانت أو خفيفة .

وقد تستخدم المصدر لتؤكد مضمون جملة تامة ، كقولهم : هذا أخي حقاً ، وهذا كتابي يقيناً ، وذاك لي صدقاً . وكقوله تعالى : ﴿ ثم لَتَرَوُنَّها عينَ اليقينِ ﴾ (التكاثر : ٧) والأصل : لترونَّها اليقينَ عينه . ثم قدم وأخّر .

وقد تستخدم القسم ، أو ألفاظاً فيها معنى القسم ، مثل : والله لأثأرنَّ لكرامتي . وآليتُ ألّا أدخلَ هذا المكان . ولعمرك مافي نفسي ضِغْنٌ عليك . وجَدِّكَ لم أحفلِ متى قام عُوَّدي .

وهناك أسلوب آخر ذو نظام دقيق يعبرٌ عن التوكيد ، تستخدم فيه ألفاظ خاصة تسلك في التبعيّة مسلكَ الصفة من حيث الإعراب والعلاقة الدلالية بمتبوعها ، ربما كان التابع فيها هو لفظ المتبوع نفسه . وهذا ماسوف نخصه هنا بحديثنا دون أساليب التوكيد الأخرى .

التوكيد التابع

يتبين لنا مما سلف أن التوكيد التابع لما قبله يكون إما بتكرار لفظ المتبوع ، وإما بألفاظ أخرى تدل على ذات المتبوع أو على شموله . ويسمى

التوكيد الذي بإعادة المتبوع : توكيداً لفظياً . ويسمى الآخر توكيداً معنوياً . فما خصائص كلٍّ منهما ؟

١ ـ التوكيد اللفظي

يرادُ من التوكيد اللفظي أن يعاد لفظ الكلمة أو الجملة نفسها ، وذلك كما ترى في الحوار التالي :

ـ هل رأيتَ علياً ؟ .

ـ نعم ، نعم .

ـ هل هو الذي اختير رئيساً ؟ .

ـ نعم ، هو هو .

لقد تكرر في هذا الحوار حرف الجواب مرةً (نعم نعم) والضمير المنفصل مرة أخرى : (هو ، هو) وكان ذكر الكلمة مرة واحدة يكفي ويؤدي الغرض الدلالي ، ولكن المتكلم قد يحس أحياناً بشك يخامر المخاطب ، فيضطر إلى تأكيد مضمون كلامه وتقريره ـ وهذا ماحمل المتكلم على تكرار (نعم) و (هو) في الحوار السابق .

والتوكيد اللفظي يشمل أربعة أشياء ، هي : اللاسم ، والفعل ، والجملة ، والحرف . ولكل منها نظام خاص يشبه نظام غيره حيناً ، ويختلف عنه طوراً .

١ ـ توكيد الاسم :

الاسم في العربية أنواع ، فقد يكون اسماً جامداً ، مثل : الأرض ، والفضاء ، وزيد ، وسعد ، وزينب . أو اسماً مشتقاً مثل : بائع ، ومحتمَلٌ ، ونبيل ، وأعلى منه . وقد يكون من الأسماء التي تشبه الحرف كالاسم الموصول ، واسم الإشارة والضمير .

١ ـ فإن كان اسماً جامداً صريحاً أو اسماً مشتقاً أُكّد بتكرار لفظه ، مثل : جاءنا زيدٌ زيدٌ . وعملٌ فاضلٌ فاضلٌ . قال جميل بثينة :

أبــوك أبــوك زيــدٌ غيــرَ شــكٍ أحلـك فـي المخـازي حيـث حـلا

وقد يتكرر الاسم بصورة غير مباشرة ، كأن يُذكر بعده مرادفه ، مثل : إن النأيَ البعدَ صعب . وغَطّ أخوك في الكرى النومِ .

واسم الفعل يُعد من الأسماء وإن كان يقوم بوظيفة الفعل ، ومن تكراره قول الشاعر :

هي الدنيا تقول بملء فيها   حَذارِ حَذارِ من بطشي وفتكي

٢ ـ وإن كان المؤكَّد اسماً موصولاً فلا بد من تكراره وتكرار صلته معه ، مثل : جاء الذي سافر الذي سافر .

٣ ـ وإن كان ضميراً منفصلاً مرفوعاً أو منصوباً أكّد بتكراره ، تقول : هم هم آباؤنا . وتقول : إياك إياك من الكذب . قال الفضل بن عبد الرحمن القرشي :

فإياك إياك المراءَ فإنه   إلى الشرّ دَعّاءٌ وللشر جالِبُ

وإن كان ضميراً متصلاً فلنا في توكيده أحد أسلوبين : الأول أن يؤكد بضمير منفصل من جنسه ، مثل : أعلمتَ أنت بالنبأ الأخير ؟ يَسُرك أنت المالُ لا النجاحُ . أخذتُ المبلغ منك أنت . لقد اتصلتُ به هو . وكلمتها هي .

والأسلوب الثاني أن يؤكد بضمير متصل مثله ، وفي هذه الحال لابد من تكرار العامل الذي اتصل به الضمير المؤكَّد ، لأن الضمير المتصل لايلفظ من دون عامله . تقول : مررت به به ، وعرفتُه عرفتُه ، ووجدتك وجدتك(١) .

---

(١) يرى بعض النحاة أن الضمير المتصل لا يؤكد توكيداً لفظياً ، ويرى آخرون أنه يؤكد بضميره المنفصل .

على أننا ينبغي أن ننبه هنا إلى أن توكيد الضمير المتصل بضمير منفصل قد تستدعيه طبيعة التركيب بحيث يكون التوكيد ضرباً من إقامة العلاقات اللفظية التركيبية لا دلالة فيه على توكيد من شأنه إزالة الشك أو الإنكار ، وذلك مثل : جئتُ أنا والطلبة . وذهبت أنت وأخوك . فهذا التوكيد اقتضته طبيعة العطف . إذ لا يعطف اسم ظاهر على ضمير رفع متصل أو مستتر إلا بعد توكيده بضمير رفع منفصل من جنسه .

٢ ـ **توكيد الفعل** :

ليس لتوكيد الفعل من قاعدة غير تكراره ، تقول : مات مات البطلُ . واهتزت اهتزت الأرض . قال الشاعر :

أتيتك صِفْرَ الكفِ مالي وسيلةٌ   سوى أنني قد كنتُ أشهدُ أشهدُ

وقال الآخر :

فأين إلى أين النجاة ببغلتي   أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس

والفعل الثاني جيء به لمجرد التوكيد ، ولهذا فهو خال منَ الفاعلَ المستتر ، وليس له عمل في فاعل أو مفعول .

٣ ـ **توكيد الحرف** :

يقسم النحوين الحرف قسمين في بحث التوكيد ، الأول : ماكان حرف جواب ، مثل : نعم ، أجل ، بلى ، جَيْرِ ، لا . والثاني ماكان لغير الجواب .

أما الأول فيؤكد بالتكرار ، كما رأيت في توكيد الفعل ، تقول : نعم نعم أسافرُ . وأجلْ أجلْ أقيمُ عندكم . قال جميل بثينة :

لا لا أبوحُ بحب بثْنةَ إنها   أخذتْ عليَّ مواثقاً وعهودا

وقد يؤكد بمرادفه ، كما في قول المضرِّس الربعي :

وقِلْنَ على الفِردوس أوَّلَ مَشْربِ   أجلْ جَيْرِ إن كانتْ أبيحتْ دعاثِرهْ

وأما الأحرف الأخرى التي تكون لغير الجواب فيغلب عليها أن تعاد مع ماتتصل به ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ وأما الذين سُعِدوا ففي الجنة خالدين فيها ﴾ (هود : ١٠٨) فقوله (فيها) توكيد لحرف الجر (في) الذي يجر (الجنة) . ولكنه حمل ضمير الاسم الذي اتصل به الحرف المؤكَّد . ومن هذا قول الكميت بن زيد :

فتلك وُلاةُ السوءِ قد طال مُكْثُهم   فحتامَ حتامَ العناءُ المطوَّلُ

فلما أراد الشاعر أن يؤكد حرف الجر (حتى) أعاده مع مجروره ، وهو (ما) الاستفهامية .

هذا هو الغالب ، ولكن جاء مايخالفه ، فقد يكرر الحرف من دون أن

يكرر معه ما اتصل به ، من ذلك ماقاله مسلم بن مَعْبد الوالبي :

فـلا والله لايُلْفـى لمـا بـي ... ولا لِلِمـا بهـمْ أبـداً دواءُ

لقد قال : لِلِما . فكرر اللام الجارة ولم يكرر الاسم المجرور ، وكان عليه أن يقول : ولِما لِما بهم أبداً دواءُ ، ومثله قول الآخر :

إنَّ إنَّ الكـريـمَ يَحْلُـمُ مـالـم ... يَـرَيَـنْ مـن أجـارهُ قـد ضِيمـا

وكان عليه أن يقول : إن الكريمَ إن الكريمَ .

٤ ـ توكيد الجملة :

وتؤكد الجملة أيضاً ، سواءٌ أكانت جملة اسمية أم جملة فعلية ، ويغلب هنا أن يعاد لفظ الجملة المؤكَّدة مع حرف عطف ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ كلا سيعلمون ـ ثم كلا سيعلمون ﴾ (النبأ : ٤ ، ٥) وقوله : ﴿ وما أدراك مايومُ الدين ، ثم ما أدراك مايوم الدين ﴾ (الانفطار : ١٧ ، ١٨) وقوله : ﴿ أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى ﴾ (القيامة : ٣٤ ، ٣٥) .

وقد تخلو التجملة المكررة من حرف العطف ، كأن يقول الإنسان غاضباً أو معجباً : الله أكبر الله أكبر . أو يقول الإنسان المتألم الحزين : لاحول ولاقوة إلا بالله ، لا حول ولا قوة إلا بالله . أو يقول الإنسان لصديقه المريض : عافاك الله عافاك الله . أو يقول له مرحِّباً : أهلاً وسهلاً أهلاً وسهلاً . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً ﴾ (الشرح : ٥ ، ٦) .

٥ ـ إعراب المؤكد اللفظي :

ليس للاسم المؤكّد محل من الإعراب ، فهو لايَشْغَلُ في التركيب أيةَ وظيفة ، فلا يكون مبتدأ ولا خبراً ، ولا فاعلاً ، ولا مفعولاً ، ولا . . . فهو يذكر لمجرد التوكيد ليس غير ، وإن كان فعلاً كان خالياً من ضمير مستتر ، فلا يرفع فاعلاً ولاينصب مفعولاً به أو . . . ودونك نماذج من الإعراب :

١ ـ أبوك أبوك زيد .

أبوك : مبتدا مرفوع ، وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الستة .

والكاف : ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه .

أبوك : (الثاني) توكيد لفظي لا محّل له من الإعراب .

زيد : خبر المبتدأ . مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

٢ ـ أتاك أتاك اللاحقون :

أتاك : أتى : فعل ماضي مبني على الفتح المقدر . والكاف : ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصبٍ ، مفعولٌ به .

أتاك (الثاني) : توكيد لفظي لامحل له من الإعراب .

اللاحقون : فاعل (أتى) الأول . مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم .

٣ ـ صبراً صبراً آلَ ياسر .

صبراً : مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً .

صبراً (الثاني) : توكيد لفظي لامحل له من الإعراب .

٤ ـ كلا سيعلمون ، ثم كلا سيعلمون .

كلا : حرف رَدْعٍ وزجر ، لامحل له من الإعراب .

سيعلمون : السين حرف دال على الاستقبال . يعلمون : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة . والواو : ضمير متصل مبني على السكون في محل رفعٍ ، فاعل . ومفعولاه محذوفان . والتقدير : سيعلمون مايتساءلون عنه حقيقةً .

ثم : حرف عطف .

كلا سيعلمون : توكيد لفظي لامحل له من الإعراب[1] .

فاللفظ المكرر إذاً تابع لما قبله من حيث الإعراب ، ولكن هذا مجرد شكل لفظي ، لأنه تَبع المؤكد في اللفظ ، ولكنه لم يشغل وظيفة إعرابية خاصة[2] .

---

(١) انظر الأوجه الأخرى في التفسير الكبير . للإمام الرازي : ٣١/ ٥ .

(٢) يجب الانتباه هنا إلى أنه ليس كل لفظ مكرر توكيداً ، فقد يكون التكرار لغرض أسلوبي آخر كما في قوله تعالى : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان =

٢ ـ التوكيد المعنوي

وهذا أسلوب آخر له قواعده وأصوله في التوكيد ، وقد سمي معنوياً لالفظياً لأن الكلمة هنا لاتعاد بلفظها بل يكرر معناها بلفظ آخر ، قارن بين الجملتين التاليتين :

ـ قابلتُ الوزيرَ الوزيرَ .

ـ قابلت الوزيرَ نفسَهُ .

ففي الجملة الأولى أعيد اللفظ نفسه . وفي الثانية استخدم اسم آخر يدل عليه (نفسه) . وبهذا كرر المعنى ولم يكرر اللفظ .

١ ـ ألفاظ التوكيد :

وللتوكيد المعنوي ألفاظ خاصة تدخل في ثلاثة زمر ، هي :

١ ـ **الزمرة الأولى** : تضم سبعة أسماء هي : نفس ، عين ، كل ، جميع ، عامة ، كلا ، كلتا . وهي أسماء التوكيد الأصلية .

الزمرة الثانية : وتضم أربعة أسماء هي : أجمع ، جمعاء ، وأجمعين ، وجُمَع . وهي ملحقة لا أصلية .

٣ ـ **الزمرة الثالثة** : وتضم ثلاثة أسماء ، هي : أَكْتَع ، وأَبْصَع ، وأَبْتع ، وهي ملحقة بالملحقات السابقة ، وتقع في الكلام على صورة الإتباع اللفظي أوالمزاوجة اللفظية ، مثل : جاء حَسَنٌ بَسَنٌ .

وتنقسم الزمرة الأولى قسمين أيضاً ، قسماً يُراد به توكيد الذات ، وقسماً آخر يُراد به توكيد الشمول ، وهذا ماسوف نفصل فيه الحديث .

٢ ـ التوكيد بالنفس والعين :

هذان الاسمان يستعملان للتوكيد ولغير التوكيد[1] ، تقول مثلاً : قابلتُ الرئيسَ نفسَهُ [أو عينَه] . وتقول أيضاً : لاتظلم نَفْسَك ، ولاتؤذِ عينَك .

= من علق * إقرأ وربك الأكرم . . . ﴾ فهذا التكرار ليس بتوكيد لفظي .

(١) لم تقعا في القرآن للتوكيد .

وحين يكونان للتوكيد يُراد منهما توكيد الذات ودفع احتمال المجاز ، ويعربان إعراب المؤكَّد وهذا مايوضحه لك المثال التالي :

١ ـ قابلتُ الرئيسَ وطلبت منه كذا . . .

٢ ـ قابلتُ الرئيسَ نفسَه وطلبت منه كذا . . .

في الجملة الأولى جاء الكلام مرسلاً من دون توكيد ، ولذلك يحتمل المجاز أو الاتساع في التعبير ، فمن الممكن مثلاً أن يكون المتكلم دخل مكتب الرئيس وقابلَ الحاجبَ فيه ، ولما كان الحاجب وسيطاً بين المتكلم والرئيس جاز له أن يقول : قابلت الرئيس وهو لم يقابل إلا حاجبه ، وذلك من باب المجاز .

ولكن هذا الاحتمال غير واردٍ في الجملة الثانية لأن اسم التوكيد (نفسه) ينفيه ويبعده ، فالمتكلم قابل الرئيس وجهاً لوجه ، وهذا ماعنيناه بقولنا : لتوكيد الذات . وهكذا يقال أيضاً : جاءنا الأميرُ نفسُهُ (أو : عينُهُ) وكلمنا الأستاذُ نفسه (أو عينهُ) . وحييتُ الوزيرَ نفسَهُ (أو عينَه) .

تلك هي الوظيفةُ المنوطة بهذين الاسمين ، أما سلوكهما في التركيب فلا بد فيه من اتباع الخطوات التالية :

١ ـ يقعان بعد الاسم المؤكد لا قبله ، مثل : مَرَّ بي الوالي نَفْسُه ، وتحدثتُ إلى أبي عينهِ . فإذا وقعا قبله إعربا بحسب ماقبلهما من عوامل ، مثل : جاء نفسُ الطالبِ . وهذه لغةٌ غيرُ مستحبة ، وإن شاعت في الوقت الحاضر .

٢ ـ لابد من أن يكون فيهما ضمير يعود إلى الاسم المؤكد ، وهذا واضح في جميع ماوضعناه من أمثلة ، ولابد لهذا الضمير من أن يكون مطابقاً في الجنس والعدد للاسم المؤكد ، كما ترى في الأمثلة التالية : جاء زيد نفسُهُ ، جاء الزيدان أنفسُهما . جاء الزيدون أنفسُهُم . جاءت زينب نفسها . وجاءت الزينبان أنفسهما ، وجاءت الزينباتُ أنفسُهن . ولعلك لاحظت أن اسم التوكيد يستعمل مع المثنى جمعاً ، ولايطابق الاسم المؤكد في العدد ، على أنه يمكن أن يقال : جاء الطالبان نفساهما . بمطابقة العدد ، إلا أن هذا أقل استعمالاً

في الكلام ، ولهذا كان الأحسن استعمالهما بصيغة الجمع مع المثنى[1] .

٣ ـ يجب أن يكون الاسم المؤكَّد معرفة لانكرة ، لأنهما لايقعان بعد النكرات ، فلا يقال : جاء رجلٌ نفسه . ورأيت رجلاً عينَهُ .

هذا وقد يُجران بالباء الزائدة ، مثل : كلمتُ الوزيرَ بنفسِه . وقابلت الشاعرَ بعينه . فيكونان مجرورين لفظاً ، منصوبين أو مرفوعين أو مجرورين محلاً ، بحسب مايكون عليه إعراب الاسم المؤكد .

٣ ـ التوكيد بـ : كل ، وجميع ، وعامة ، وكلا ، وكلتا :

آ ـ وهذه الألفاظ تؤكد الشمول لا الذات ، فلو قلت : حضر المدعوون . عرف السامع أن المدعوين حضروا ، ولكن لايتأكد عنده أنهم جاؤوا برمتهم ، فقد يكون واحد منهم أو أكثر لم يحضر ، ولذلك تحتاج حين تريد أن تؤكد حضورهم جميعاً من أن تستخدم (كل ، أو جميع ، أو عامة) فتقول : حضر المدعوون كلُّهم ، أو : جميعُهم ، أو : عامتُهم .

ويتضح لك هذا أكثر في قوله تعالى : ﴿ ولقد أريناه آياتِنا كلَّها فكذَّب وأبى ﴾ (طه : ٥٦) فقوله : كلَّها ، يؤكد الشمول ، فلو خلا الكلام منه لظن السامع أنه أراه معظم آياته لا كلها .

ب ـ ولابد لهذه الأسماء من أن يكون فيها ضمير يعود إلى الاسم المؤكَّد ، ويطابقه في الجنس والعدد ، كما ترى في الآية السابقة ، وكما ترى في قول النابغة :

مهلاً فِداءٌ لك الأقوام كُلُّهُمُ   وما أثمّر من مالٍ ومن وَلدِ

ومثله قوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماءَ كلَّها ﴾ (البقرة : ٣١) وقوله : ﴿ فسجد الملائكةُ كلُّهم ﴾ (الحجر : ٣٠) وتقول : جاء الناسُ جميعُهم أو عامتُهم ، ورأيت إخوتك جميعَهم أو عامَّتهم[2] .

---

(١) يلاحظ أيضاً أن صيغة الجمع المستعملة هي : أَفْعُل . وهي جمع قلة ، ولا يستعمل هنا جمع الكثرة مثل : نفوس ، وعيون . وعلى هذا معظم النحاة .

(٢) لم يتفق النحاة على جعل (عامة) من ألفاظ التوكيد .

ج ـ وربما أضيفت (كل ، أو : جميع ، أو : عامة) إلى لفظ الاسم المؤكد ، وقد ورد هذا في الشعر دون النثر ، من ذلك قول جرير :

ألستِ أحسنَ من يمشي على قَدَمٍ   يا أملحَ الناسِ كلِّ الناسِ إنسانا

وقول عمر بن أبي ربيعة :

كم قد ذكرتكِ لو أُجْزَى بذكركُم   يا أشبهَ الناس كلِّ الناس بالقمرِ

ويمكن أن يجيء في الشعر أيضاً مثل : جاء القومُ جميعُ القومِ أو عامة القومِ[1] .

د ـ وتختلف هذه الأسماء الثلاثة (كل ، وجميع ، وعامة) عن (نفس وعين) في سلوكها التركيبي ، إذ من الممكن أن تؤكد النكرات بشرط أن تكون مُبَعَّضةً ومخصَّصة . ولهذا شواهد شعرية كافية تبيح القياسَ عليها ، مثل قول العرجي :

نلبثُ حولاً كاملاً كلَّهُ   لانلتقي إلا على منهجِ

فاسم التوكيد (كله) أكد النكرة (حولاً) ، لأنها خصصت بالوصف (كاملاً) ، ولأن الحول مُبَعَّض ، أي : ذو أبعاض . ومثله قول عبد الله بن مسلم الهذلي :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجبٌ   ياليت عِدةَ حولٍ كُلِّه رجبا[2]

ولم يقتصر هذا على الشعر بل جاء في النثر أيضاً ، من ذلك ما نقل من حديث السيدة عائشة ، وهو قولها : « ما صام رسولُ الله ﷺ شهراً كله إلا رمضان » .

---

(١) زعم بعض النحاة المعاصرين ـ وهو عباس حسن ـ أن (كل) هنا صفة لا توكيد ، وليس ذلك بصواب لأن (كل) التي تقع صفة يجب أن تدل على الكمال ، مثل : أنت الشاعر كل الشاعر . أي : أنت الشاعر الكامل . وما جاء في بيتي جرير وعمر لا يدل على الكمال بل على الشمول .

(٢) يروى في كتب النحو برفع (رجب) والصواب فتحه ، لأنه من قصيدة معروفة مفتوحة الروي منها :

يا للرجالِ ليوم الأربعاء أما   ينفك يحدث لي بعد النهى طربا

إذ لايزال غزال فيه يفتنني   يأتي إلى مسجدِ الأحزابِ منتقبا

هـ ـ وننتقل الآن إلى الحديث عن (كلا وكلتا) ، فإذا كانت للتوكيد أفادتا تأكيد الاثنين ، أما (كلا) فتستعمل لتأكد المذكرِيْن[1] ، وأما (كلتا) فلتوكيد المؤنثينِ . تقول : لم أرَ أخويَّ كليهما منذ سنة . ولم أر أختيَّ كلتيهما . . .

وهما كغيرهما من ألفاظ التوكيد لابد من أن يكون فيهما ضمير يرجع إلى الاسم المؤكد ويطابقه في التثنية ، كما رأيت في الأمثلة السابقة .

ويستعمل هذان المؤكدان مع مايحتمل التثنية وغيرها ، فيؤكدان التثنية ، ومن أجل ذلك كان من المستهجن استعمالهما مع مالا يكون إلا من اثنين ، فإذا قلت : اختصم سعد وسعيد . أدرك السامع أن الاثنين اشتركا في الخصام ، ولايعقل أن يكون أحدهما اختصم دون الآخر ، لأن الاختصام لابد من أن يقع من اثنين . ولهذا يقبح أن تقول : اختصم سعد وسعيد كلاهما . لأن اسم التوكيد هنا لايفيد شيئاً . وكذلك لايقال : تسابَّتِ الدولتانِ كلتاهما . ولا : تقابل الخصمان كلاهما .

وقد رأيت مما تقدم أن اسم التوكيد المعنوي يعرب إعراب المؤكَّد رفعاً ونصباً وجراً ، فهو كالصفة والبدل وعطف البيانِ من حيث إنه يتبعُ ما قبله من دون وسيطٍ حرفي . هذا هو النظام الذي استُقرِيَ من نصوص اللغة ، ولكن ورد في لغة الشعر مايخالفه وهي مخالفة الاسم المؤكّد لما يؤكده في الإعراب ، وذلك بتأثير اسم مجاور له ، فقد زعموا أن أبا الجراح العقيلي ـ وهو أحد الفصحاء وأبناء اللغة ـ أنشد هذا البيت :

ياصاحِ بلغْ دوي الزوجاتِ كلهم   أَنْ ليس وصلٌ إذا انحلت عُرى الذَّنب

فجرَّ (كلهم) مع أنه توكيد لِـ (ذوي) وهو مفعول به منصوب ، ولكنه جَرّه لتأثر بجر (الزوجات) .

---

(١) ومن الخطأ توكيد المؤنثين بها ، كقول هشام بن معاوية :

يمُـتُّ بقُـربـى الـزينبيـن كليهمـا   إليك وقُربى خالدٍ وحبيبِ

٤ ـ التوكيد بالأسماء الأخرى :

آ ـ ويؤكد أيضاً بالألفاظ الأخرى ، ولاسيما (أجمع) حين تكون بصيغة الجمع ، ولهذا الاسم أسلوبان للتوكيد :

الأول : أن يَحل محل (كل) ، فيؤكد الشمول ، غير أنه لايحمل ضميراً يرجع إلى المؤكّد . من ذلك قوله تعالى : ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون ، وجنود إبليس أجمعون ﴾ (الشعراء : ٩٥) وقوله : ﴿ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناسِ أجمعين ﴾ (البقرة : ١٦١) . وهذا هو الأكثر في لغة القرآن .

الثاني : أن يقع بعد (كل) ليزيد الكلام توكيداً ، ولم يأت هذا في القرآن إلا في آية واحدة ذكرت في موضعين ، وهي : ﴿ فسجد الملائكة كلُّهم أجمعون ﴾ (الحجر : ٣٠) و (ص : ٧٣) . وهذا يخالف ما ذهب إليه النحاة وهو جعلهم (أجمع) في الأسماء التي تتبع (كل) ، فإذا وجدوا جملة تخلو من (كل) ذهبوا إلى أنها محذوفة ، وهذا يعني أنها مقدرة ، وأن الجملة الظاهرة تستبطنها .

وقد جاء توكيد النكرة المبعّضة بـ (أجمع) ، كما ترى في قول الراجز :

إنـــا إذا خُطّـــافُنـــا تقعقعـــا قد صَرَّتِ البكْرةُ يوماً أجمعا

وقال راجز آخر يصف قوساً :

أرمي عليها وهي فَرْعٌ أجمعُ وهـــيَ ثـــلاثُ أذرعٍ وإصِبَـــعُ

ب ـ وتقول : قرأتُ الكتب كلَّها جمعاءَ . وحضرت المدعواتُ كلُّهن جُمَعُ ، وتقول : قرأت الكتبَ جمعاءَ ، وحضرت المدعواتُ جمعُ .

من هذه الأمثلة الأربعة تعلم أن (جمعاء ، وجمع) يمكن أن تقعا بعد(كل) ، ويمكن أن تستعملا من دونها .

ج ـ ويؤكد أيضاً بـ : أكتع ، بعد (أجمع) ، تقول : جاء الطلابُ أجمعُ أكتعُ . وقد يؤكد بها وحدها ، كقول الراجز :

يـاليتنـي كنـتُ صبيـاً مُرْضَعـا تحملني الذَلْفاءُ حولاً أكتعا

ويؤكد أيضاً بـ (أبصع ، وأبتع) على قلة بعد (أجمع) ، تقول : عادَ الجيشُ أجمعُ أكتعُ أبصعُ أبتعُ . وهذا أسلوب منقرض مفتعل لايكاد لايستخدم .

الخصائص الأسلوبية

١ ـ توكيد الضمير :

يشبه توكيد الضمير ما مَرَّ بنا في أسلوب العطف عليه عطف نسق ، ويختلف عنه قليلاً ، وذلك كما ترى في الفقرات التالية :

١ ـ توكيد ضمير الرفع المنفصل :

ويؤكد هذا الضمير بما يؤكد الذات (نفس ، عين) وبما يؤكد الشمول (كل ، جميع ، أجمع . . .) .

فإن كان اسم التوكيد (نفس) أو (عين) فصل بينهما بضمير منفصل مجانس للضمير ، تقول : جئتَ أنت نفسُك . وجاؤوا هم أعينُهم . وجئتما أنتما أنفسُكما . وجئن هُنَّ أنفسُهن . وقوموا أنتم أنفسكم ، وتعالوا أنتم أعينكم .

وإن كان اسم التوكيد (كل) وأخواتها جاز التوكيد بفصل وبغير فصل ، تقول : جاؤوا كلُّهم . وجئنَ كلُّهن . وارتكبتُم أجمعون هذا الخطأ . وجئتُم جميعكم ، وجئتن جميعكن . وذهبتما كلاكما أو كلتاكما . ويجوز الفصل في هذه الأمثلة كلها .

٢ ـ توكيد ضميري النصب والجر :

ويؤكد هذان الضميران مباشرة من دون فاصل ، مهما كان لفظ التوكيد ، تقول : رأيتَك عينَك أو نَفْسَكَ . ومررت بك عينكِ أو نفسِك ، ورأيتهم كلَّهم ، ومررت بهم جُمَعَ . وقد كثر توكيد هذين الضميرين بـ (أجمعين) مباشرة في القرآن الكريم ، من ذلك قوله : ﴿ فلو شاءَ لهداكم أجمعين ﴾ (الأنعام : ١٤٩) ﴿ فوربك لنسألنَّهم أجمعين ﴾ (الحجر : ٩٢) ﴿ لأملأنَّ

جهنم منكم أجمعين ﴾ (الأعراف : ١٨) (وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾ (يوسف : ٩٣) .

٢ ـ الفصل بين المؤكَّد والمؤكِّد :

ويجوز الفصل بين التابع والمتبوع في هذا الباب ، لأنهما يشبهان الصفة والموصوف . قال الشاعر :

ترى الثورَ فيها مدخلَ الظِلِّ رأسَه وسـائِـرُهُ بـادٍ إلـى الشمـس أكتـعُ

والأصل : وسائره أكتعُ بادٍ للشمس . ففصل بينهما بخبر المبتدأ وبشبه الجملة التي تتممه . ومثل ذلك قول الراجز :

إذا بكيـتُ قبلتنـي أربعـا إذاً ظَلِلْتُ الدهرَ أبكي أجمعا

والأصل : ظللت أبكي الدهرَ أجمعَ . ففصل بينهما ـ في التقديم والتأخير ـ بالجملة (أبكي) لأنها خبر للفعل (ظللت) . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ذلك أدنى أن تَقَرَّ أعينُهنَّ ولا يحزَنَّ ويرضيْنَ بما آتيتهنَّ كلُّهنَ ﴾ (الأحزاب : ٥١) فـ (كلهن) توكيد لنون النسوة في (يرضيْنَ) وقد فصل بينهما بشبه الجملة وصلة الموصول .

٣ ـ كيف يعرب التوكيد المعنوي :

ويعرب التوكيد المعنوي على وفق هذا النموذج :

رأيت الناسَ كلَّهم ، وجاء الناسُ كلُّهم ، ومررت بالناسِ كلِّهم .

كلَّهم : كلَّ : اسم توكيد منصوب . والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه . والميم : لجمع عقلاء الذكور .

كلُّهم : كل : اسم توكيد مرفوع ، والهاء . . .

كلِّهم : كل : اسم توكيد مجرور ، والهاء . . .

شواهد للتدريب

١ ـ ﴿ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمَّرناهم وقومهم أجمعين ﴾ (النمل : ٥١) .

٢ ـ ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ (الزخرف : ٥٥).
٣ ـ ﴿ قل : إن الأمر كلَّهُ لله ﴾ (آل عمران : ١٥٤) .
٤ ـ ﴿ ولو شاء ربك لآمَنَ من في الأرضِ كلُّهم جميعاً ﴾ (يونس : ٩٩).
٥ ـ قال شييم بن خويلد :

زحــرتَ بــه ليلــةً كلُّهــا ... فجئتَ به مُؤْيِداً خَنْفَقِيقا[1]

٦ ـ وقال المتنبي :

لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلُّهم ... الجـود يفقـر والإقـدامُ قتـالُ

٧ ـ وقال الشاعر :

هذا ابن خيرِ عبادِ الله كلِّهِمُ ... هذا التقي النقي الطاهرُ العلمُ

٨ ـ ﴿ أيعدكم أنكم إذا مُتُّمْ وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مُخْرجون ، هيهات هيهات لما توعدون ﴾ (المؤمنون : ٣٥ ، ٣٦) .
٩ ـ قال مسكين الدارمي :

أخاكَ أخاكَ إن مَنْ لا أخا له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

١٠ ـ وقال ذو الإصبع العدواني :

إنـي أبـيٌّ أبـيٌّ ذو محـافظـةٍ ... وابـنُ أبـيٍّ أبـي مـن أبيّيـنِ

١١ ـ وقال أحمد شوقي :

إلامَ الخُلْـفُ بينكـمُ إلا مـا ... وهذي الضجةُ الكُبْرى علاما

١٢ ـ قال عمرو بن ملقط :

مـهْ مـالـيَ الليلـةَ مَـهْ مـالِيَـهْ ... أوْدى بنَعْلـيَّ وسِـرْ بـالِيَـهْ

١٣ ـ وقال أحمد شوقي :

رباعُ الخُلْدِ ويحكَ مادَهاها ... أَحَـقٌّ أنهـا دَرَسَـتْ أَحَـقٌّ

☆ ☆ ☆

(١) زحرت به : ولدتَه . ويقال في الأصل للمرأة . والمؤيد : الداهية . والخنفقيق : المتين .

المعطوف عطف نسق

من التوابع مايتبع غيره من دون توسّطِ حرف بينه وبين متبوعه ، كالصفة والبدل وعطف البيان والتوكيد ، ومنها ما لابدّ له من رابط لفظي يتوسط بينه وبين متبوعه كالمعطوف عطف نسق .

والحروف التي تتوسط بين التابع والمتبوع يقال لها : حرف العطف ، وهي ـ في أصح الآراء ـ تسعة : الواو ، الفاء ، ثم ، حتى ، أو ، أم ، بل ، لكن ، لا[1] .

١ ـ حروف العطف

وهذه الحروف الرابطة تتوزع من حيث الوظائف السياقية في أربع مجموعات يختلف بعضها عن بعض ، وسوف نتحدث عن كل مجموعة منها بشيء من التفصيل .

آ ـ المجموعة الأولى :

تتألف هذه المجموعة من أربعة أحرف ، هي : الواو ، والفاء ، وثم ، وحتى . وتشترك في وظيفتها السياقية العامة ، فهي تجعل المعطوف مشاركاً للمعطوف عليه في شيئين : الإعراب ، والمعنى النحوي أو الوظيفة ، وذلك كما ترى في هذه الجمل الأربع :

(١) أضاف بعضهم : إمّا ، وليس . أما الأولى فلا تعطف ، بل العاطف معها الواو ، مثل : هذا إمّا أبوك وإما عمك . أما « ليس » فتعطف حين تكون حرفاً مثل : « لا » ، كقول لبيد :

وإذا وُلّيت قرضاً فاجزه ... إنما يجزي الفتى ليس الجملْ

وأضاف آخرون إلى حروف العطف : كيف ، وأين ، وهلاّ .

ـ جاء الناسُ وأطفالُهم .

ـ جاء الناسُ فأطفالُهم .

ـ جاء الناسُ ثم أطفالُهم .

ـ جاء الناسُ حتى أطفالُهم .

فأنت تلاحظ أن المعطوف (أطفالُهم) شارك المعطوف عليه (الناس) في الإعراب ، فهو مرفوع مثله ، وشاركه أيضاً في الحكم أو الوظيفة ، فالأطفال جاؤوا كالناس .

إلا أن هذه الحروف ـ على الرغم من هذه السمة التركيبية التي تجمع بينها ـ يَختلف بعضها عن بعض في الدلالة النحوية التركيبية ، ولولا ذلك لما كان هناك مسوِّغ لتعددها ، ولكان واحد منها يغني عن الأخرى . فما أوجه الاختلاف ؟

١ ـ الواو :

هذا الحرف أهم أفراد المجموعة ، بل هو أهم حروف العطف ، مثله مثل « إِنْ » في بحث أدوات الشرط ، و « أَنْ » في أدوات النصب ، والهمزة في الاستفهام . فهو « أم الباب » كمايسميه النحاة . وسبب ذلك أنه لايعني سوى العطف ، أي إشراك المعطوف في حكم المعطوف عليه ، فإذا قلت : قرأ هذا البحثَ سميرٌ ويوسف . كان المعنى أن كلاً من سمير ويوسف قرأ البحث ، ولكن لاتدل الجملة على أكثر من ذلك ، فهي لاتشير إلى أيّ منهما قرأ أولاً . فقد يكون الأول سمير ، وقد يكون يوسف ، وقد تكون القراءة مشتركة حصلت في وقت واحد . فالواو لاتدل على غير اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في القراءة .

فإذا أراد المتكلم أن يضيف معنى آخر إلى الجملة السابقة ، كأن يحدد أولَ القارئيْنِ فلا بد له من أن يستعين بكلمة أخرى ، فيقول مثلاً : قرأ هذا البحث سمير وقرأه بعده (أو قبله) يوسف . أو يقول : قرأ سمير هذا البحث أولاً وسمير ثانياً . وهكذا .

ولما كانت الواو لا تفيد غير المشاركة أو الجمع المطلق ، كان من

الطبيعي أن تعطف الحدث السابق في الزمن على الحدث المتأخر ، وقد وقع هذا غيرَ مرة في القرآن الكريم من ذلك : ﴿ إن هي إلا حياتُنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ (المؤمنون : ٣٧) فالحياة قبل الموت في دنيانا ، ومع ذلك عطف (نحيا) وهو السابق على (نموت) وهو اللاحق . ومثله قوله : ﴿ فكيف كان عذابي ونُذُر ﴾ (القمر : ٢١) فالنذر تكون قبل العذاب ، ومع ذلك قدم العذاب عليها . ومثله : ﴿ كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ﴾ (الشورى : ٣) وجاء ذلك في الشعر أيضاً ، من ذلك قول جميل بثينة :

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي أواخره لانلتقي وأوائِلُهْ

فقد عطف أواخر الحول على أوائله .

على أن السياق قد ينزع من الواو معنى الجمع ، فلا يشترك معطوفها في حكم ما عطف عليه ، وذلك إذا وقعت بعدها « إمّا » ، كقولنا : هذا إما صادق فيما يقول وإما كاذب . ودخل القاعة إما أحمدُ وإما خالدُ . فالواو هنا لاتجمع بين طرفي العطف في الحكم ، بل تحدد واحداً منهما . فكأنهافرّغت من معناها ليحل محله معنى (إمّا) .

وكذلك الشأن حين تعطف جملة منفية على جملة مثبتة ، مثل : حضر عليٌّ الحفلةَ ولم يحضرها أخوه . فحكم الجملة قبل الواو « حضورٌ » وحكم الجملة الأخرى بعدها « نفي الحضور » .

وقد تتعدد المعطوفات بالواو ، مثل : زرتُ بيروتَ والقاهرةَ وبغدادَ والرباطَ . وفي هذه الحال تكون كلها معطوفة على الاسم الأول ، ولايكون كل منها معطوفاً على ماقبله . فـ « بيروت » هي المعطوف عليه في الجملة السابقة وماجاء بعدها من أسماء العواصم معطوف . وعلى هذا يكون(الفقراء) في قوله تعالى هو المعطوف عليه : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفةِ قلوبهم ﴾ (التوبة : ٦٠) .

ولما كانت الواو أم أدوات العطف اختصت من دونهن بأشياء لايقمن مقامها فيها من ذلك أنها تختص بعطف مالايُستغنى عنه في الجملة ، مثل : اختصم عليٌّ وأحمدُ . وتسابَّ زيدٌ ومحمود . واصطفَّ سالمٌ وسليمٌ . وتقابَلَ

أبي وعمي . وتناظر فيلسوف وناقد . فالأفعال المذكورة في هذه الجملة لايمكن أن تحدث من فاعل واحد . إذ لايقال : تسابَّ محمودٌ . أو : اختصم عليٌّ . ولهذا كان لابد من ذكر المعطوف عليه لأن الكلام لايستغني عنه . وفي أمثال هذه الجمل لايستخدم من حروف العطف غير الواو ، فلا يقال مثلاً : اختصم عليٌّ فأحمدُ . أو : تسابَّ زيد ثم محمود .

وكذلك اختصت الواو بعطف العام على الخاص ، كقوله : ﴿ ربِّ اغفر لي ولوالديَّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ (نوح : ٢٨) إذ عطف العام للمؤمنين والمؤمنات ، على الخاص : لي .

واختصت أيضاً بعطف المرادف على مرادفه ، كقوله : ﴿ إنما أشكو بثِّي وحُزْني إلى الله ﴾ (يوسف : ٨٦) فالحزن مرادف للبث . ومثله قول الحطيئة :

ألا طرقتنا بعدما هجعوا هندُ وهندٌ أتى من دونها النأيُ والبُعْدُ

فعطف : البعد ، على : النأي ، وهما مترادفان .

ومما اختصت به الواو ولاتقع موقعها فيه أخواتها قولك : لا أريدُ العملَ ولا المالَ . و : لاتأكل التفاحَ ولا الموزَ . و : عندي خمسةٌ وعشرون عاملاً . و ﴿ ماكان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسولَ الله وخاتمَ النبيين ﴾ (الأحزاب : ٤٠) وبعطف ما حقه التثنية أو الجمع ، كقول الفرزدق :

إن الرزية لارزية مثلها فقدانُ مثلِ محمدٍ ومحمدِ

وقول أبي نواس :

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يومُ الترحلِ خامسُ

ومن أهم ماتختص به الواو أنها قد يحذف جزءٌ من الجملة أوالعبارة المعطوفة بها ، كما في قوله : ﴿ والذين تبوَّؤوا الدارَ والإيمانَ يحبون من هاجر إليهم ﴾ (الحشر : ٩) فقوله : الإيمانَ . ليس معطوفاً على : الدار ، لأن الإيمان لايُتبوَّأ كالدار ، بل هو مفعول به لفعل محذوف تقديره : وأخلصوا الإيمانَ . وبهذا تكون جملة : أخلصوا الإيمان . جملة معطوفة بالواو على

جملة : تبوؤوا الدار . ولكن حذف جزء منها وهو الفعل والفاعل ، وبقي المفعول به[1] . ومن هذا قول عبد الله بن الزبعرى :

ورأيتُ زوجكِ في الوغى   متقلداً سيفاً ورمحا

فالرمح ليس معطوفاً على السيف ، لأن الرمح لايُتقلَّد ، والتقدير : متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً . ومثله قول الراعي النميري :

إذا ما الغانيات برزن يوماً   وزججنَ الحواجبَ والعيونا

فتزجيج الحواجب جعلها دقيقة طويلة ، والعيون لاتزجج ، وأصل الجملة : زججن الحواجب وكحلن العيونا .

٢ ـ الفاء :

والفاء من فصيلة الواو ولكنها تضيف إلى معنى الجمع ثلاثة معانٍ أخرى هي : الترتيب ، والتعقيب ، والسببية .

أما الترتيب فيعني أن المعطوف عليه سبق المعطوف ، وأما التعقيب فيعني أن المعطوف لم يتأخر عن المعطوف عليه بل جاء في عقبه ، وأما السببية فتعني أن المعطوف عليه سبب في حصول المعطوف . مثل : دخل القائدُ فوقف له الجندُ . فالدخول حدث قبل الوقوف (ترتيب) ، ولكن لم يتأخر حصول الوقوف عن الدخول بل حدث بعده مباشرة (تعقيب) . ودخول القائد هو سبب وقوف الجند (سببية) .

إلا أن معنى السببية ليس بمطرد في كل تركيب ، بل يطرد حين يكون المعطوف جملة أو اسماً مشتقاً استعمل استعمال فعله ، مثل : إنك لمسافرٌ فغانم . وإنك لقادمٌ علينا فمصيب قسطاً من الراحة . وسافرت فغنمت ، وقدمتَ علينا فأصبت قسطاً من الراحة . أما إذا كان المعطوف بها اسماً جامداً أو علماً فلا يكون في الجملة معنى السببية ، مثل : دخل القاعةَ الاستاذُ فالموجهُ . فدخول الأستاذ ليس سبباً في دخول الموجه . ومثل : رأيتُ أحمدَ فخالداً . فرؤية أحمد ليست سبباً في رؤية خالد .

---

(١) في الآية أقوال أخرى . انظر : الرازي : ٢٩/٢٨٧ ، والعكبري : ٢/٢٥٨ .

هذا هو الأصل في الفاء ، إلا أن هناك نصوصاً فصيحةً لم يظهر فيها معنى الترتيب ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا : أرنا الله جهرةً ﴾ (النساء : ١٥٣) فالفعل (قالوا) لم يحدث بعد الفعل (سألوا) ، ومثله قوله : ﴿ ونادى نوحٌ ربه فقال : ربّ إن ابني من أهلي ﴾ (هود : ٤٥) وقوله : ﴿ فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ (البقرة : ٣٦) لقد جاءت الأفعال بعد الفاء في هذه النصوص لتفصِّل المجملَ قبلها ، فالقول في الآيتين الأوليين تفصيل للفعلين : سألوا ، ونادى . و (أخرجهما) تفصيل للفعل (أزلهما) .

وكذلك تفقد الفاء معنى الترتيب حين تعطف الأماكن بعضها على بعض في سياق خاص ، كقول النابغة :

عفا ذو حسى من فَرْتَنى فالفوارِعُ فجَنْبا أريكٍ فالتِلاعُ الدوافعُ

فالعفاءُ لم يصب (ذا حسى) قبل (الفوارِع وجنبي أريك والتلاع) ، ولكنه أصابها معاً ، ولكن الشاعر ذكر بعضها وراء بعض . ورتبها ترتيباً ذكرياً ليس غير ، ولهذا يرى النحاة أن الترتيب الذي أفادته الفاء هنا هو ترتيب ذكري لا معنوي . ومثل ذلك قول امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللوى بين الدَّخولِ فحومَلِ

أي : بين الدخول وحومِل . فالفاء هنا جاءت بمعنى الواو ، ولم تفد ترتيباً[1] .

وفي نصوص أخرى فقدت الفاء معنى « التعقيب » وجاءت بمعنى (ثم) التي تفيد التراخي والمهلة ـ كما سوف نرى ـ بل إنها لتقع موقعها نفسه في بعض النصوص ، تأمل الآيتين التاليتين :

ـ ﴿ فإنا خلقناكم من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ، ثم من مضغة ﴾ (الحج : ٥).

(١) رواية الأصمعي : بين الدخول وحومل . بالواو . وفي رواية الفاء : فحومل . آراء أخرى تجدها في مغني اللبيب ، والجنى الداني ، ورصف المباني ، وأمثال هذه الكتب .

ـ ثم ﴿ خلقنا النطفة علقةً ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظامَ لحماً ﴾ (المؤمنون : ١٤) .

فإلى جانب هذه الأحداث المتباعدةِ في الحصول وغير المتعاقبة نرى الفاء في هذه الآية تحل محل (ثم) في الآية السابقة مع الأحداث نفسها ، وهذا يدل على أن معنى التعقيب ليس بمطرد في الفاء ، ويؤكد ذلك أن الفاء هنا لاتدل على السببية مع أنها تعطف الجمل ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ ألم ترَ أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرضُ مخضرةً ﴾ (الحج : ٦٣) فاخضرار الأرض لايعقب نزول الماء من السماء مباشرة ، بل يحتاج إلى زمن غير قصير . ومن هذا أيضاً قول الناس : تزوج فلانٌ فوُلِدَ له غلامٌ . وبين الزواج وولادة الغلام زمن طويل نسبياً .

٣ ـ ثم :

وهذا الحرف أيضاً من فصيلة الواو ، ولكنه يزيد عليه معنىً ، فهو يجمع ثلاثة معانٍ هي : الجمع ، والترتيب ، والتراخي . وبهذا يختلف عن الفاء في أنه لايدل على التعقيب في غالب استعمالاته ، ولايدل في موقع من مواقعه على السببية . فإذا قلنا : دخل علينا أبي ثم عمي . أردنا أن كلا أبي وعمي دخل ، وهذا معنى الجمع ، وأن أبي دخل قبل عمي ، وهذا معنى الترتيب . وأن عمي لم يدخل بعد أبي مباشرة بل تأخر زمن دخوله بعده ، وهذا هو التراخي .

ذاك هو الاستعمال العام لهذا الحرف ،. إلا أننا نجد نصوصاً تخالف هذا ، كأن يكون معنى الترتيب غيرَ واضح ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ (هود : ٣) فذكر التوبة بعد الاستغفار ، مع أن الإنسان يتوب ثم يطلب المغفرة[١] ، وهذا يعني أن الترتيب مفقود هنا . ومثل ذلك قوله : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ (طه : ٨٢) ، ومن ذلك قول الشاعر :

(١) انظر : التفسير الكبير للرازي في تعليل تقديم الاستغفار على التوبة : ١٧/ ١٨١ .

إن مــن ســاد ثــم ســاد أبــوه ثم قد ساد قبل ذلك، جَدُّهْ

وتلحق بـ (ثم) تاء التأنيث أحياناً ، كقول ثعلبة بن صُعَيْر المازني :

وعدتْكَ ثُمَّتَ أخلفتْ موعودها ولعـل مـامنعتْـكَ ليس بضـائـرِ

وقول أبي تمام :

همـا أظلمـا حـاليَّ ثمـتَ أجليـا ظلاميهما عن وجهِ أمردَ أشيبِ

وقد تكون (ثم) غير عاطفة ، بل حرف استئناف ، كما تكون الواو والفاء أحياناً ، من ذلك قوله : ﴿ أولـم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ﴾ (العنكبوت : ١٩) فهي هنا ليست عاطفة لأن إعادة الخلق لم تحصل بعد حتى يراها الناس ويعرفوا كيف تحصل . ولكنها استئنافية ، والمعنى : أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ؟ ثم إنه بعد ذلك يعيده . ومثل هذه الآية قوله : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ﴾ (العنكبوت : ٢٠) .

٤ ـ حتى :

وهذا الحرف أيضاً من زمرة الواو ، بل هو أقرب إليها من الفاء و « ثم » ، لأنه يدل على الجمع المطلق ، فإذا قلت : خرج الناسُ من القاعةِ حتى أطفالهم . لم يكن في الجملة دليل على أن الأطفال خرجوا بعدهم أو قبلهم أومعهم ، فـ « حتى » لاتفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولاتراخياً ، بل هي كالواو لمطلق الجمع .

ولكنها من حيث الدلالة تزيد على الواو بما تحمله من معنى « الغاية » ، فهي حرف غاية وعطف ، كما أنها تكون في تركيب آخر حرف غايةٍ وجر ، أو حرف غاية وابتداء ، فمعنى الغاية لايفارقها حيثما كانت وكيفما كانت . ولكن مامعنى الغاية ؟

إنها تعني هنا أن بين المعطوفِ والمعطوف عليه تدرجاً في الصعود والارتقاء أو في الانحدار والتسفل ، وهذا التدرج ينتهي إلى غايةٍ أو حدٍ معين ، فإذا قلت : يموتُ الناسُ حتى الأنبياءُ . فالأنبياء يشاركون الناس في الموت ، وهذا هو معنى الجمع ، ولكنهم ليسوا كالناس من حيث المنزلة

والقيمة الاجتماعية ، بل هم أرفع منهم ، فالتدرج هنا صاعد ، وينتهي إلى غايةٍ معينة هي منزلة الأنبياء . وإذا قلت : سمع بك الناسُ حتى العوامُّ . فالتدرج هنا منحدر .

ومجيء « حتى » عاطفة قليل في الكلام ، منه قول النبي ﷺ : « وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض حتى الحيتانُ في الماء » وقوله : « كل شيءٍ بقضاء وقدر حتى العجزُ والكيس »[1] ، ومنه قول شوقي :

المالُ حلل كلَّ غيرِ محلَّل　　حتى زواجَ الشيبِ بالأبكارِ

وقول الآخر :

رجاليَ حتى الأقدمون تمالؤوا　　على كل أمرٍ يورث المجدَ والحمدا

وتختلف « حتى » عن الواو أيضاً في ضعف تصرفها ، فهي لاتعطف جملة على جملة مثل الواو ، بل هي مقصورة على عطف المفرد على المفرد كما تبين لك الأمثلة ، يضاف إلى ذلك أن دلالتها على الغاية أدت بها إلى وجوب إعادة حرف الجر ، في عطفها الاسم المجرور حين يؤدي حذف الجار إلى اللبس ، تأمل هذه الجملة : سأواصل العملَ في كلِ وقتٍ حتى في الصباح . فلو حذفت « في » وقلت : حتى الصباحِ . فربما فهم أن غاية العمل ستنتهي عند الصباح ، ولن تعمل فيه ، وبهذا تكونُ « حتى » حرف جر لاحرف عطف ، وإثبات « في » يجعل العمل مستمراً في الصباح أيضاً . أما إذا كان في الكلام قرائن يزول بها اللبس فلا بأسَ حينئذٍ من حذف حرف الجر ، كهذا البيت :

جودُ يمناك فاضَ في الناس حتى　　بائس دانَ بالإساءةِ دينا

ومن جملة ضعف تصرفها أن المعطوف بها يجب أن يكون بعضاً من المعطوف عليه ، أو كالبعض ، فالأنبياء في المثل المتقدم بعض من الناس ، والبائس في البيت السابق بعض منهم أيضاً ، وكذلك تجد في غير ذلك من الأمثلة . ويقال : واتسعت السيارة للركاب حتى لأمتعتهم . فالأمتعة ليست

---

(١) الكيس : الحذق بالأمور ، وهو ضد العجز .

بعضاً من الركاب ، ولكنها كبعض منهم لعلاقتها بهم . ولكن لايجوز أن يقال مثلاً : رأيتُ الناسَ حتى البحرَ . لأن البحر لاصلة له بالناس . ولكن إذا قلت : رأيت الناسَ والبحرَ كان قولك صحيحاً حسناً .

ب ـ المجموعة الثانية :

وتتألف هذه المجموعة من حرفين ، هما : أو ، وأم[1] . وكل منهما تشرك المعطوف والمعطوف عليه في الإعراب ، ولكنها لاتشركهما في الحكم أو في الدلالة . بل تنسب الحكم إلى واحد منهما دون الآخر . تقول مثلاً : تزوج هنداً أو أختها . وتقول : أعندك زيد أم سعيدُ ؟ ففي المثال الأول سيقتصر الزواج على واحدة من الأختين ولن تشتركا فيه . والسؤال في المثال الثاني يتوجه إلى تحديد واحد من المذكورين لا الاثنين معاً ، فكأنه قيل : أيهما عندك ؟

وعلى الرغم من هذا التشابه بين الحرفين يقوم بينهما اختلاف كبير في المواقع التي يشغلانها ، وفي الوظائف الدلالية التي تناط بكل منهما ، وإليك الحديث المفصل عن كل منهما .

١ ـ أو :

لهذا الحرف عدة وظائف في الكلام ، وهي وظائف سياقية تعين عليها قرائن يحملها التركيب ، وليست هي وظيفة « أو » وحدها ، ثم إنه واسع التصرف ، إذ يقع في جملة الأمر ، وجملة الاستفهام ، وجملة الخبر ، ويكون له في كل منها وظيفة خاصة .

ـ في جملة الأمر :

تقع « أو » في جملة الأمر ، ويكون لها أحد معنيين سياقيين هما : الإباحة والتخيير . تقول : نم في هذا السرير أو ذاك . وزُر المتحفَ أو القلعة . وشاور في أمرك إخوتك أو أصدقاءك ، ففي هذه الجمل وضعت أمام المخاطب أحد أمرين ، وجعلت كل واحدٍ منهما مباحاً له ، فإن شاء اقتصر

(١) ويضيف إليها بعض النحاة : (إما) الثانية في مثل : هذا إما أحمدُ وإما محمود .

على الأول ، وإن شاء اقتصر على الثاني . وإن شاء جمع بين الاثنين ، فنام يوماً على هذا السرير ، ويوماً آخر على ذاك ، أو زار اليوم المتحف ، وزار غداً القلعة ، وهكذا . فهذا هو معنى الإباحة .

وتقول : تزوج هنداً أو أختها . واختر الصلحَ أو الحربَ . وازرع مكان هذه الشجرة وردةً أو ياسميناً . في هذه الجمل مايختلف عن الجمل السابقة ، فالمخاطب مخير في أن يختار أحد الشيئين ، ولكن لايسمح له أو لايمكن أن يجمع بينهما البتة ، إذ لايمكن أن يتزوج هنداً أو أختها معاً ، ولا أن يجمع بين الحرب والصلح ، ولا أن يزرع في مكان واحد وردة وياسميناً . فهذا هو التخيير .

ـ في جملة الاستفهام :

وتستخدم « أو » في جملة الاستفهام لتدل أيضاً على أحد الشيئين ، مثل : أزيدٌ عندك أو سعيدٌ ؟ والمعنى : أعندك أحدُ هذين ولذلك تختلف عن « أم » . فإذا قلت : أزيد عندك أم سعيدٌ ؟ فأنت عارف بأن عنده أحدهما ، ولهذا تطلب منه أن يعين لك واحداً منهما وذلك بأن يكون جوابه : زيد عندي . أو : سعيد عندي . أما إذا استخدمت (أو) فأنت لاتعرف أأحدهما عنده أم لا ، ولهذا تسأله عن ثبوت وجود أحدهما عنده ، وتنتظر أن يقول لك : نعم ، عندي . أو : لا ، ليس واحد منهما عندي :

ـ في جملة الخبر :

وتقع « أو » في الجملة الخبرية لأحد الشيئين أيضاً ، وتتنوع وظائفها بحسب السياق التركيبي للجملة ، وبحسب سياق الحال الاجتماعي عند التكلم ، بل إن السياق الاجتماعي أكبر تأثيراً في بعض الأحيان ، فمن معانيها هنا الشك والإبهام ، وهما معنيان متداخلان لايفرق بينهما سياق الجملة وحده ، فإذا قلت مثلاً :

ـ سأسافرُ غداً أو بعد غدٍ .

فالعبارة تحتمل الشك ، وتحتمل الإبهام ، ولايعين أحدهما إلا سياق الحال ، فإذا كان المخاطب قريباً من نفسك بحيث لاتخفي عنه شأناً من

شؤونك الخاصة كانت (أو) للشك ، لأنك حينئذٍ غير متأكد من زمن سفرك . أما إذا كنت على علم بموعد السفر ، ومؤكَّداً عندك زمنه ، إلا أنك لاتريد أن تبوح به للمخاطب لأمرٍ مّا ، فإن (أو) حينئذٍ للإبهام لا للشك ، لأنك أبهمت العبارة للمخاطب وهي عندك واضحة .

ولكن السياق الاجتماعي أحياناً يحدد دلالة (أو) بوضوح ، كما في هذه الآية التي تنقل حواراً بين أهل الكهف : ﴿ قال قائل منهم : كم لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ﴾ (الكهف : ١٩) فهي هنا لاتحتمل غير معنى الشك .

ومن معانيها أيضاً في سياق الخبر التقسيم والتفصيل ، كأن يقال : الكلام : اسم أو فعل أو حرف . والزمن : ليل أو نهار . والأدب : شعر أو قصة أو مسرحية أو مقالة . والناس : عربي أو فرنسي أو تركي أو . . . ومثل هذا كثير في الكلام .

وقريب من هذا المعنى إرادة التنويع والتعدد ، فقد يكون عدم تحديد الشيء هو المطلوب ، ليكون الاهتمام منصباً على الحدث مثلاً ، وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ . . . حتى إذا أخذت الأرض زُخْرُفَها وازَّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس ﴾ (يونس : ٢٤) فمجيء الأمر هو المهم ، ولكنه قد يأتي ليلاً ، وقد يأتي نهاراً ، فليس لزمنه أهمية كمجيئه .

ومن معانيها الإضراب ، وحينئذٍ تكون دّلالتها ودلالة « بل » سواءً ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وأرسلناه إلى مئة ألفٍ أو يزيدون ﴾ (الصافات : ١٤٧) ومنه : ﴿ وما أمرُ الله إلا كلمح البصرِ أو هو أقرب ﴾ (النحل : ٧٧) فالتقدير في الآية الأولى : بل يزيدون . وفي الثانية : بل هو أقرب . وفي هذه الحال تكون (أو) حرف ابتداء لا حرف عطف .

وكثيراً ماتأتي بمعنى الواو ، وتخالف زمرتها وتنتمي إلى الزمرة الأولى في دلالتها ، إذ يراد بها حينئذٍ الجمع لا أحد الشيئين ، كقوله تعالى : ﴿ أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ، أو بيوت أمهاتكم ﴾ (النور : ٦١) وقال الشاعر :

وقد زعمت ليلى بأني فاجر ... لنفسي تُقاها أو عليها فجورُها

والمعنى : من بيوتكم وبيوت آبائكم وبيوت أمهاتكم . ولنفسي تقاها وعليها فجورها .

٢ ـ أم :

وأم هذه نوعان : الأول منهما حرف عطف ويقال لها : المتّصلة أوالمعادلة . والنوع الثاني حرف ابتداء وتسمى : المنقطعة أو المنفصلة . وسوف نقصر الحديث هنا على المتصلة العاطفة .

وقد سميت متصلة لأن المعطوف والمعطوف عليه يفتقران إلى الذكر ولا يستغني أحد منهما عن الآخر ، وقيل لها معادلة لأنها تعادل همزة الاستفهام أو همزة التسوية فيقع أحد الشيئين المسؤول عنهما أو المتساويين بعد الهمزة ويقع الآخر بعد (أم) . وذلك مثل : أَسَعْدٌ عندك أم أخوه ؟ فقد وقعت هنا بعد همزة الاستفهام ، والسؤال عن وجود أحد الرجلين عند المخاطَب ، وقد وقع الأول منهما بعد الهمزة ، ووقع الثاني بعد (أم) . ويقال : سواءٌ عليَّ أجئتَ أم ذهبتَ . وقعت هنا بعد همزة التسوية ، فتساوى المجيء والذهاب عند المتكلم ، وقد وقع أحد المتساويين بعد الهمزة ووقع الآخر بعد (أم) .

ويختلف التركيب مع همزة الاستفهام عن التركيب مع همزة التسوية ، فالحرف (أم) في الجملة الاستفهامية يقع أحياناً بين اسمين ظاهرين ، مثل : أكتاباً قرأتَ أم مجلةً ؟ أصديقاً تتخذه أم رفيقاً ؟ أزيدٌ سافرَ أم عليٌّ ؟ فـ « أم » في هذه الجملة وقعت بين اسمين[1] وعطفت أحدهما على الآخر .

وقد تقع بين جملتين اسميتين أو فعليتين أو مختلفتين ، مثال : وقوعها بين جملتين اسميتين قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم ماتُمْنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ (الواقعة : ٥٨ ، ٥٩) وتقول : أذهبت إلى الجامعة أم بقيت حيث أنت ؟ أتحسنت حال فلان أم ساءت ؟ أيشقى الناسُ بالمال أم يسعدون ؟

(١) الأصل : أقرأت كتاباً أم مجلة ؟ وأسافر زيد أم علي ؟ ولكن همزة الاستفهام تتطلب أن يليها المسؤول عنه ، ويتأخر أو يتوسط ما هو معروف ، ولهذا تقدم الاسم على الفعل وبقي تقدير وقوع (أم) بين اسمين .

ففي كل من هذه الجمل الثلاث وقعت (أم) بين جملتين فعليتين . وتقول : أدعوتَ أصدقاءَك أم أنت في شغلٍ عنهم ؟ أزرعت حديقة المنزل أم أرضها غير صالحة للزراعة ؟ فأنت ترى أنها وقعت هنا بين جملتين مختلفتين .

أما (أم) الواقعة بعد همزة التسوية فلا تقع إلا بين جملتين تؤولان بمفردين ، سواء أكانتا متجانستين أم كانتا مختلفتين ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ سواءٌ عليهم أأنذرتَهم أم لم تنذرهم ﴾ (البقرة : ٦) والتأويل : سواء عليهم أنذارُك وعدمُ إنذارِك . وقال تعالى : ﴿ سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ﴾ (الأعراف : ١٩٣) أي سواء عليكم دعوتكم لهم وصمتكم .

ويجمع النحاة على أن همزة التسوية تقع بعد « سواء » ، و « ما أبالي » ، ويزيد بعضهم على ذلك وقوعها بعد : « لا أدري » و « ليت شعري » . والصحيح أنها لاتكون للتسوية إلا في الموضعين الأول والثاني[1] . كقول الشاعر :

ولست أبالي بعد فقديَ مالكاً   أموتيَ ناءٍ أم هو الآن واقعُ

وتعرب « سواء » : خبراً مقدماً[2] . ويعرب المصدر المنتزع من الجملة بعد همزة التسوية (أو الجملة المؤولة بمصدر من غير حرف مصدري) في محل رفعٍ ، مبتدأ مؤخراً . والجملة الواقعة بعد (أم) والمؤولة بمصدر في محل رفعٍ ، معطوفة على الجملة السابقة .

وحين يكون مع همزة التسوية « لا أبالي » تكون الجملة المعطوفة المؤولة بمصدر بعد « أم » في محل جر بحرفِ جر محذوف قياساً ، أو في محل نصب بنزع الخافض .

ج ـ المجموعة الثالثة :

تتألف هذه المجموعة من حرفين هما : بل ، ولكن . والجامع بينهما أنهما تشركان المعطوف والمعطوف عليه في الإعراب ، ولكنهما لاتشركانهما

(١) انظر مناقشتنا لهذا في كتابنا : المختار من أبواب النحو : ١٤٧ .
(٢) ثمة آراء أخرى ناقشناها في كتابنا السابق نفسه : ١٤٧ .

في الحكم ، فهما تثبتان الحكم لما بعدهما ، وتنفيانه عن الأول ، تقول : جاء زيدٌ بل خالدٌ . وما جاء زيدٌ لكنْ خالدٌ . ففي الجملة الأولى ذكرت أن الجائي زيد ، ثم عدلت عن هذا وأضربت عنه ، وبينت أن الجائي خالد لا زيد . أما في الجملة الثانية فقد نفيت مجيء زيد وأثبت مجيء خالد .

هذه هي السمة المشتركة لأداتي هذه المجموعة ، إلا أن بينهما اختلافاً في سمات أخرى .

١ ـ بل :

تأتي هذه الأداة حرف عطف ، وحرف ابتداء . ويتعين هذا بسهولة ، فإذا جاء مابعدها اسم مفرد مثل : هذا عالمٌ بل عَلاّمةٌ . وهذا فارسٌ بل بطلٌ . وهذه مدرسةٌ بل مَعْهدٌ . كانت حرف عطف . وإن جاءت بعدها جملة كانت حرف ابتداء ، كقوله تعالى : ﴿ بل قالوا : أضغاثُ أحلامٍ ، بلِ افتراهُ ، بل هو شاعر ﴾ (الأنبياء : ٥) فهي هنا حرف ابتداء لوقوع الجملة الفعلية أو الاسمية بعدها .

وهي على شيءٍ من التصرف حين تكون حرف عطف ، إذ تقع في جملة مثبتة كما رأيت في الأمثلة السابقة ، وتقع كذلك في جملة منفية ، مثل : ما رأيتُ زيداً بل عَمْراً . وما جاء زيدٌ بل عمرٌو . وفي جملة إنشائية بصيغة الأمر أو النهي ، مثل : احترم أصدقاءَك بل كلَّ رفاقك ، ولا تقرأ هذا بل ذاك .

أما معنى « بل » النحوي فيختلف باختلاف الجملة ، وذلك على الشكل التالي :

١ ـ في الجملة المثبتة وفي جملة الأمر : تحمل معنى « السلب ، ونقل الحكم » وهو معنى مزدوج متداخل لايستقل جزء منه عن آخر ، تقول : قرأتُ قصةً بل قصيدةً . ففي هذه الجملة نفيت أو سلبتَ حكم القراءة عن القصة ، ونقلته إلى القصيدة وأثبته لها . وتقول : احذرِ الحرَّ بلِ البردَ . نفيت الحكم عن الحر ونقلته إلى البرد . وقد لخص بعض القدماء معناها في هاتين الجملتين بقوله : « هي للنفي بعد الإيجاب والأمر » . والحق أن النفي جزءٌ من معناها لا معناها كله .

٢ ـ في الجملة المنفية وفي جملة النهي : وفي هذا الموضع تحمل معنى « الإقرار بالحكم لما قبلها ، وإثبات مايخالفه لما بعدها ». نحو : مانام خالدٌ بل سَعْدٌ . ففي هذه الجملة إقرار بحكم عدم النوم من خالد . وإثبات النوم لسعد . وتقول : لاتضرب البريءَ بل المذنبَ . فالنهي عن ضرب البريء لم يتغير حكمه ، ولكن طلب مايخالفه للمذنب . وذكر بعض القدماء أنها هنا للتأكيد[1] .

وقد تسبق « بل » العاطفة والابتدائية « لا » النافية ، وفي هذه الحال تعني نفي ماقبلها ، وذلك كما ترى في البيت المشهور للمتنبي

وجهكَ البدرُ، لا، بل الشَمسُ لو لم يُقْضَ للشمس كَسْفةٌ أو أُفُولُ

فبعد أن جعل وجهه بدراً توقف وأبطل الحكم ونفاه ، ثم ذكر أنه الشمسَ .

٢ ـ لكنْ :

لم يجمع النحاة على أن هذا الحرف عاطف ، فقد أنكر ذلك بعضهم ، وحجته في ذلك أن الواو تدخل عليه ، وحرف العطف لايدخل على مثله ، واستشهد بقوله تعالى : ﴿ ماكان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكنْ رسولَ الله وخاتمَ النبيين ﴾ (الأحزاب : ٤) فالواو هنا هي حرف العطف ، أما « لكن » فحرف استدراك ليس غير .

وذهب الأكثرون إلى أن « لكن » تقع حرف عطف إذا استوفت ثلاثة شروط ، هي :

١ ـ ألا تسبقها الواو .

٢ ـ أن يكون بعدها مفرد لا جملة .

٣ ـ أن تكون مسبوقة بنفي أو نهي .

تقول : ما أردتُ من عملي شراً لكنْ خيراً . لاتضرب البريءَ لكنِ

---

(١) قال علاء الدين الإربلي في جواهر الأدب : ص : ٢٧٣ : « ذهب الجزولي إلى أنها بعد الإيجاب والأمر نفي ، وبعد النفي والنهي تأكيد » .

المذنبَ . لا تأخذِ الدواةَ لكنِ القلمِ[1] .

د ـ **المجموعة الرابعة :**

إنما قلنا هنا : مجموعة . تسامحاً ، ولتكون العناوين منسجمة ، إذ ليس لدينا هنا إلا حرف واحد هو « لا » . وهو كغيره من حروف العطف يشرك المعطوف والمعطوف عليه في الإعراب ، ولا يشرك بينهما في المعنى ، بل يثبت الحكم للأول وينفيه عن الثاني ، تقول : نامَ سَعْدٌ لا محمودٌ . فبعد أن أثبت النوم من سعد نفيته عن محمود .

وإنما تستخدم « لا » عاطفةً في سياقِ حالٍ خاص ، فحين تعود إلى النظر في الجملة السابقة تجد أن المتكلم ينفي وهماً أو خطأً حصل من المخاطب ، فهو يعلم أن هناك نوماً حاصلاً ، ولكنه ظن أو توهم أنه حصل من محمود . ولذلك كان غرض المتكلم أن يدفع التوهم . فيذكر له أن الذي حصل منه النوم هو سعد ، وأن محموداً لم ينم . وهذا المعنى واضح جداً في قول أبي تمام يوم عمورية :

والعلم في شُهُبِ الأرماحِ لامعةً بين الخميسينِ لافي السبعةِ الشُهُبِ

فقد كان سبق إلى وهم المنجمين أن الأبراج السماوية تعلمهم بالوقائع ، فنفى أبو تمام ذلك عنها وأثبته للرماح التي تلمع أيضاً ولكن بين المتحاربين .

وهذا الحرف مقصور على عطف المفردات ، وأشباهِ الجمل ، ويعجز عن عطف الجمل كما تعجز الحروف : حتى ، وبل ، ولكن . ثم إنه لايكون عاطفاً إلا إذا استوفى التركيب جملةً من الخصائص ، هي :

١ ـ أن تكون « لا » مسبوقة بجملة مثبتة أو بجملة إنشائية بصيغة الأمر ، مثل : هذا العمل سامٍ لا وضيعٌ . وخَف ربَّك لاغيرَه .

٢ ـ ألا يسبقها أو يليها حرف عطف ، فهي غير عاطفة في مثل : إنك لاتقرأ كتاباً ولا مجلة . وجاء أخوك لابل أبوك .

---

(١) أجاز فريق من النحويين العطف بها في الإيجاب ، وقاسوها على (بل) .

٣ ـ أن يتعاند متعاطفاها ، فهي لاتعطف اسماً خاصاً على عام ، ولاعاماً على خاص ، فلا يقال : جاءني رجلٌ لازيدٌ . لأن (زيداً) رجل أيضاً . ولايقال : أكلت تفاحاً لافاكهة . لأن التفاح من الفاكهة .

٢ ـ الخصائص الأسلوبية للعطف

١ ـ عطف الاسم على الضمير :

إذا عطف اسم ظاهر على ضمير متصل أو مستتر تعيّن أن يكون هذا الضمير في محل نصبٍ ، أو في محل جرٍ ، أو في محل رفع ، ويختلف أسلوب العطف ونظامه بحسب هذه المواقع الإعرابية .

آ ـ إذا كان الضمير في محل نصب :

يشغل الضمير المتصل بعض مواقع النصب ، كالمفعول به ، والمفعول المطلق ، واسم « إنَّ » أو إحدى أخواتها ، وخبر « كان » . . . وهذا شيء تحدثنا عنه من قبل ، ومن الممكن أن يعطف عليه اسم ظاهر كما يعطف على اسم مثله ، ولايقتضي هذا العطف أي إجراءٍ زائدٍ على أسلوب العطف الطبيعي ، تقول مثلاً : إنك وأخاك مدعوان . فتعطف « أخاك » على الضمير المتصل بـ « إنَّ » عطفاً مباشراً . وهذا واضح في قول متمم بن نويرة :

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطولِ اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا

فعطف « مالكاً » على ياء المتكلم في « كأني » ، وهي في محل نصب لأنها اسم « كأن » . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ واجنبني وبَنِيَّ أن نعبدَ الأصنام ﴾ (إبراهيم : ٣٥) وقوله : ﴿ وليعلم الله من ينصرُهُ ورُسُلَهُ بالغيب ﴾ (الحديد : ٢٥) وقوله : ﴿ وجدتُها وقومَها يسجدون للشمس من دون الله ﴾ (النمل : ٢٤) .

ب ـ إذا كان في محل جر :

ويشغل الضمير المتصل موقع المجرور بالحرف ، أو موقع المجرور

بالمضاف ، فإذا عطف الاسم الظاهر عليه كان لابد له من إجراء إضافي غير العطف المباشر ، وهو إعادة الجارّ ، فإن كان حرفَ جرٍّ وجبت إعادته ، وبذلك يكون العطف عطف شبه جملة على مثلها ، كإعادة اللام الجارة في قوله تعالى : ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين ﴾ (فصلت : ١١) وإن كان عامل الجر هو لفظ المضاف أعيد أيضاً ، كإعادة الظرف « بين » في قوله : ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ (الأعراف : ٨٩) ولولا أن المعطوف عليه في الأصل ضميراً موقعه الجر لكان تكرار « بين » زائداً لامعنى له ، فهو مثلاً لم يكرَّر في قوله : ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرءِ وقلبه ﴾ (الأنفال : ٢٤) .

على أنه وقع العطف في مثل هذه الحال من دون إعادة الجار في بعض قراءات القرآن ، وفي بعض الشواهد الشعرية ، من ذلك قراءة حمزة الكوفي في سورة النساء : ﴿ واتقوا الله الذي تَساءلونَ به والأرحامِ ﴾ (النساء : ١) بكسر الميم ، لعطف الاسم على الضمير المستتر في « به » . وقال مسكين الدارمي :

نعلّقُ في مثلِ السَّواري سيوفَنا ... ومابينها والكَعْبِ غُوطٌ نفانِفُ[1]

فعطف « الكعب » على « ها » في قوله : « بينها » ، ولم يكرر « بين » ، وقال آخر :

إذا أوقدوا ناراً لحربِ عدوِّهم ... فقد خابَ من يَصْلى بها وسعيرِها

فعطف « سعيرها » على الضمير المجرور في « بها » .

ج ـ إذا كان الضمير في محل رفع :

وفي هذه الحال يكون الضمير بارزاً ، وقد يكون مستتراً ، فإذا عطف الاسم الظاهر عليه كان هناك أحد إجراءين :

ـ فإن كان بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل مّا جاز العطف مباشرة ،

---

(١) يفخر الشاعر بطول أجساد قومه ، فشبههم بالسواري . والغُوط : جمع مفرده : غائط ، وهو المطمئن من الأرض . والنفانف : جمع مفرده نفنف ، والمراد به هنا : بعيدة . والنفنف أيضاً المهواة بين جبلين ، والهواء بين شيئين .

وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ أئذا كنا تُراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ (النمل : ٦٧) وفي قوله : ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكتُه ﴾ (الأحزاب : ٤٣) فقد فصل في الآية الأولى (تراباً) بين االضمير البارز في (كنا) والاسم المعطوف عليه (آباؤنا) وفصلت شبه الجملة في الآية الثانية (عليكم) بين الضمير المستتر في الفعل (يصلى) والاسم المعطوف عليه (ملائكته) ولذلك جاز العطف مباشرة .

ـ وإذا كان المعطوف والمعطوف عليه غير منفصلين كان الأسلوب الصحيح في العطف أن يؤتي بضمير منفصل من جنس الضمير المعطوف عليه ليكون توكيداً له ، وليكون أيضاً فاصلاً ، وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ (الأنبياء : ٥٤) وفي قوله : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ (البقرة : ٣٥) .

ولكن وقع في ضرورة الشعر عطف المتباشرين من دون توكيد وفصل ، كما ترى في قول جرير :

ورجا الأخيطلُ من سفاهةِ رأيه ... مالم يكنْ وأَبٌ له لينالا

فعطف (أَبٌ) على الضمير المستتر في (يكن) من دون توكيد ، وكان الصواب أن يقول : مالم يكن هو وأب له لينالا . ومثله قول عمر بن أبي ربيعة :

قلت إذ أقبلتْ وزُهْرٌ تهادى ... كنعاجِ الملا تعسفن رملا[1]

فعطف (زهر) على الضمير المستتر في الفعل (أقبلت) . وكان يلزمه أن يقول : أقبلت هي وزهر . ومثل ذلك قول الراعي النميري :

فلما لحقنا والجياد عشيةً ... دعَوْا يالكلبِ واعتزينا لعامرِ

٢ ـ عطف الجملة على الجملة :

لعلك استنتجت من حديثنا المنفصل عن حروف العطف أن هذه الحروف قسمان :

(١) الزُهر : جمع زهراء ، المراد بهن المشرقات بألوانهنّ وجمالهن . وأراد بالنعاج الظباء ، والملا : الفلاة والصحراء . وتعسفن : سرن سيراً شديداً .

ـ قسم يقوى على عطف الجمل كما يقوى على عطف المفردات ، مثل : الواو ، والفاء ، وثم ، وأو ، وأم .

ـ وقسم آخر يعطف المفردات ولكنه يعجز عن عطف الجمل ، مثل : حتى ، وبل ، ولكن ، ولا .

ولهذا الأسلوب نظام خاص في العربية ، نعرضه في الفقرات التالية :

آ ـ عطف الجملة الفعلية على الفعلية :

من الممكن أن تعطف الجملة الفعلية على مثلها بشرط واحد ، هو أن تكون مثلها : خبريةً أو إنشائية ، فإذا اختلفتا في هذا امتنع العطف ، فمثال عطف الجملة الخبرية على مثلها قول عبد الله بن كعب العميري :

ومالِيَ شيءٌ منكما غيرَ أنني   أمني الصدى ظليكما فأطيلُ

فجملة (أطيلُ) معطوفة على جملة (أمني الصدى) ، وكلتاهما جملة خبرية . ومثال عطف الجملة الإنشائية على الإنشائية قوله تعالى : ﴿ ولاتجعلْ يدَك مغلولةً إلى عنقك ولاتبسُطْها كلَّ البَسْطِ ﴾ (الإسراء : ٢٩) وقوله : ﴿ يابني أقِمِ الصلاةَ وأمرْ بالمعروفِ وانْهَ عن المنكر واصبِرْ على ما أصابك ﴾ (لقمان : ١٧) .

وإذا اتحدت الجملتان الفعليتان : خبراً أو إنشاء ، جاز عطف بعضهما على بعض سواء أَتحد زمانهما أم اختلف ، تقول هذا مكانٌ أنام فيه ونام فيه قبلي أخي . فجملة (نام أخي . . .) معطوفة على جملة (أنام فيه) على الرغم من اختلاف الزمان في كل منهما[١] .

أما إذا قلت : سافرِ إنت اليومَ وسأسافرُ أنا غداً . فإن جملة (سأسافر غداً) ليست معطوفة على جملة (سافر اليوم) ، ولكنها جملة مستأنفة ، إذ لايجوز عطفها على ماقبلها لاختلافهما في الخبر والإنشاء .

ب ـ عطف الجملة الاسمية على الاسمية :

وكذلك تعطف الجملة الاسمية على مثلها إذا اتحدت معها خبراً أو

---

(١) منع ذلك ابن عصفور في : شرح الجمل الكبير : ١/ ٢٥٠ .

إنشاءً ، كقول جعفر بن عُلَّبة :

هوايَ مع الركبِ اليمانينَ مُصْعِدٌ جنيبٌ ، وجثماني بمكة موثَقُ

فجملة : جثماني بمكة موثق . معطوفة على جملة : هوايَ مصعِدٌ . ومثله قوله تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم ﴾ (الانفطار : ١٣) وقوله : ﴿ أفرأيتم ماتحرثون ؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ (الواقعة : ٦٤) .

ج ـ عطف الاسمية على الفعلية والعكس :

ويجوز عطف الجملة الاسمية على الفعلية إذا لم تختلفا خبراً أو إنشاء ، كما ترى في قوله تعالى : ﴿ وإن كان قميصه قُدَّ من دُبُرٍ فكذبتْ وهو من الصادقين ﴾ (يوسف : ٢٧) فجملة : هومن الصادقين ، جملة اسمية عطفت على جملة : كذبت . الفعلية وكلتاهما جملة خبرية . وقال أبو عطاء السندي :

ذكرتُكِ والخطيُّ يخطرُ بيننا وقد نهلتْ منّا المثقفة السمْرُ

جملة : قد نهلت منا المثقفة . جملة فعلية عطفت على جملة : الخطي يخطر بيننا ، وهي اسمية .

٣ ـ عطف الجملة على المفرد :

وقد تعطف الجملة على المفرد ، وهي ضربان : ضرب يكون العطف فيه مباشراً ، وضرب تكون فيه الجملة نائبة عن شيء حذف من الكلام .

ولابد في الموضعين من أن يكون المعطوف عليه اسماً من الأسماء التي تشبه الفعل ، كأن يكون : اسم فعل ، أو مصدراً ، أو مشتقاً استخدم استخدام فعله .

فمن الضرب الأول قول المجنون :

يـاعمـرَكِ الله إلا قلـت صـادقـةً أصادقاً وصف المجنون أم كذبا

فالجملة الفعلية (كذب) المؤلفة من الفعل والفاعل المستتر معطوفة على اسم الفاعل (صادقاً) ، والتقدير : أصادقاً أم كاذباً وصفني المجنون . ومثله قوله تعالى : ﴿ أوَ لم يَرَوْا إلى الطيرِ فوقهم صافّاتٍ ويقبضْنَ ﴾

(الملك : ١٩) أي : وقابضات . وقوله : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدةٍ ثم جعل منها زوجها ﴾ (الأعراف : ١٨٩) أي : من نفسٍ واحدةٍ ثم مجعولةٍ زوجاً . ومما عطفت فيه الجملة على المصدر قول جعفر بن علبة :

عجبتُ لمسراها وأنّى تخلصت ... أليَّ ، وباب السجنِ دوني مُغْلَقُ

أي : عجبت لمسراها وكيفية تخلصها إلي .

وأما ماجاء من الضرب الثاني ، وهو ماحلت فيه الجملة محل شيء محذوف مقدَّر في المعنى فمنه قول الشاعر :

وماذا عليكم إن أطافَ بأرضكم ... مطالبُ دينٍ أو نَفَثْهُ حروبُ

فجملة : نفته حروب ، معطوفة على : مطالب . وأصل الكلام : مطالبُ دينٍ أو رجل نفته حروب . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ إنَّ المصَّدِّقينَ والمصَّدِّقاتِ وأقرضوا الله قرضاً حسناً . . . ﴾ (الحديد : ١٨) فأل في الاسمين المشتقين بمعنى (الذي) ، كأنه قال : إن الذين تصدقوا واللاتي تصدقن والذين أقرضوا الله . . . وهذا ماسَهّل العطف هنا[١] .

٤ ـ عطف المفرد على الجملة :

وقد يعطف الاسم المفرد على الجملة ، ويشترط هنا أن تكون الجملة واقعة موقع الأسماء ، كأن تكون خبراً لذي خبر ، أو صفة أو حالاً أو مفعولاً ثانياً أو ثالثاً لفعل من أفعال القلوب ، كما ترى في قول النابغة :

فألفيتُه يوماً يُبيرُ عدوَّهُ ... وبحرَ عطاءٍ يستخفُّ المعابِرا

فقوله (بحرَ) معطوف على جملة (يبير عدوه) ، وهي مفعول به ثانٍ للفعل : ألفى . ومثله قول جندب بن عمرو :

(١) يرى النحاة في هذا شيئاً آخر ، فهم يذهبون إلى أن العطف هنا ليس من عطف جملة على مفرد . بل من عطف فعلٍ على اسم يشبهه ، ويضطرهم هذا إلى تقدير العطف للفظ الفعل دون الفاعل ، وذلك غير مستقيم لصعوبة عزل الفعل عن فاعله في مثل هذه العبارات . ثم يضطربون في إعراب الجملة اضطراباً محيراً . ويرى آخرون أن العطف في مثل هذه العبارات على معنى الاسم لأنه يشبه الفعل . انظر : الرازي : ٢٩/٢٣١ .

يـاليتنـي عَلِقـتُ غيـرَ حـارجِ قبل الصباحِ ذاتَ خلقٍ بارجِ

أمَّ صَبِيٍّ قد حبا ودارجِ

فقوله : دارجِ ، معطوف على الجملة (قد حبا) ، وهي في محل جر ، صفة لِـ (صبي) . وجاء من ذلك في القرآن قوله : ﴿ إن الله فالقُ الحب والنـوى ، يخـرِجُ الحـيَّ مـن الميـت ، ومخـرِجُ الميـتِ مـن الحـي[1] ﴾ (الأنعام : ٩٥) .

٥ ـ العطف على المحل :

تسلمنا الفقرة السابقة إلى هذه ، فأنت حين تنظر في بيت النابغة تجد الاسم المعطوف على الجملة جاء منصوباً : وبحرَ عطاءٍ . على حين تجد الاسم المعطوف في بيت جندب بن عمر مجروراً : ودارجٍ . وتجده في الآية القرآنية مرفوعاً . وسبب ذلك أنه عطف على محل الجملة ، فحين كانت في بيت النابغة مفعولاً به ثانياً وكان محلها النصب نصب الاسم المعطوف ، وهي في البيت الآخر صفة لمجرور ، وفي الآية القرآنية خبر ثانٍ لإنّ ومحلها الرفع .

وهذا يعني أن أول مثال للعطف على المحل هو العطف على محل الجملة ، والمحل الثاني هو العطف على محل المصدر المؤول ، كما في قوله تعالى : ﴿ قالت : ماجزاءُ من أراد بأهلِكَ سُوءاً إلا أن يُسْجَنَ أو عَذابٌ أليم ﴾ (يوسف : ٢٥) فقوله : عذابٌ ، اسم معطوف على المصدر المؤول (أن يسجن) ، وهو في محل رفع لأنه خبر المبتدأ (جزاء) .

وكذلك يعطف على محل الاسم المجرور بحرف جر زائد كما في قول عقيبة الأسدي :

معـاويَ إننـا بَشَـرٌ فـأسجِـحْ فلسنـا بـالجبـالِ ولا الحـديـدا[2]

فقد نصب (الحديد) لأنه عطفه على (الجبال) ، وهو اسم جُرَّ لفظاً

(١) ذهب الإمام الرازي إلى أن (مخرج) معطوف على (فالق) . انظر تفسيره : ١٣/٩٢ .

(٢) أسْجِح : تَرَفَّقَ . يقال : ملكتَ فأسجح . والبيت من قصيدة مفتوحة الروي .

بالباء الزائدة ، ولكنه منصوب محلاً لأنه خبر « ليس » . وعلى هذا القياس يمكن أن تقول : ماجاءني من رجلٍ وَلا امرأةٌ . فترفع (امرأة) على محل (رجل) لأنه فاعل .

وكذلك يعطف على محل معمول اسم الفاعل الذي أضيف إليه عامله ، أو معمول المصدر الذي وقع مضافاً إليه في ظاهر اللفظ ، سواء أكان المحل نصباً أم كان رفعاً ، كقول الشاعر :

وبينـا نحـن ننظـره أتـانـا ⁂ مُعَلِّـقَ شكـوةٍ وزنـادَ راعِ[1]

وقول الآخر :

هـل أنـت بـاعـثُ دينـارٍ لحـاجتنـا ⁂ أو عبـدَ رَبٍّ أخـا عَـوْنِ بـنِ مِخْـراقِ

وقول رؤبة أو زياد العنبري :

قد كنتُ داينتُ بها حَسّانا ⁂ مخـافـةَ الإفـلاسِ والليـانـا

يُحْسِنُ بَيْعَ الأُصْلِ والقِيانا[2]

ففي البيت الأول نصب (زناد) عطفاً على محل (شكوة) ، وهي مفعول به لاسم الفاعل (معلق) ولكنه أضيف إليها فجرت لفظاً . وفي البيت الثاني نصب (عبد) عطفاً على (دينارٍ) وهو في المعنى مفعول به لاسم الفاعل : باعث . وفي الرجز نصب (اللّيانا) عطفاً على : (الإفلاس) الذي هو في المعنى مفعول به للمصدر (مخافة) . ونصب (القيان) عطفاً على (الأُصل) لأنه مفعول به في المعنى للمصدر (بيع) .

ويجوز العطف على المنادى المبني على الضم أحياناً بالنصب لأن محله النصب ، كالذي تراه في قراءة من قرأ هذه الآية بنصب (الطير) : ﴿ ياجبالُ أوّبي معه والطيرَ . . . ﴾ (سبأ : ١٠) . وكذلك يُفعل في بعض توابع المنادى ، وفي كثير من الحالات الموزعة في غير باب من أبواب النحو .

على أن العطف على المحل ليس اعتباطياً بل له نظام خاص يتلخص في ثلاثة بنود :

---

(١) الشكوة : وعاء كالدلو .

(٢) بها : بقينةٍ أخذها الراجز عن دين له . والليان : المَطْل . والأُصْل : الحُرّات .

١ ـ أن يكون إعراب المحل مما يشيع في التركيب اللغوي ، كإعراب محل المفعول به حين يكون جملة ، أو إعراب محل المجرور بحرف جر زائد ، وأمثال ذلك . أما إذا لم يكن شائعاً ومن نظام اللغة فلا يصح اعتباره في هذه الظاهرة ، من ذلك أنه لايجوز العطف بالنصب على موضع الجار والمجرور ، فلا يقال مثلاً : مررت بزيدٍ وصالحاً ، ولا : قرأت هذا الخبر في جريدة وكتاباً . ولا : ذهبتُ إلى الجامعةِ ثم البيتَ[1] . لأنه لايقال : مررتُ زيداً ، ولا : قرأتُ هذا الخبرَ جريدةً . ولا : ذهبتُ الجامعةَ . غير أن من الجائز أن يقال : ينبغي أن أراك في هذا الصباحِ ويومَ الجمعةِ . لأن من الممكن إسقاط حرف الجر (في) ونصب مابعدَه على الظرفية . كما يجوز أن يقال : جئتُ من دونِ زادٍ ودونَ استعدادٍ . لأن إسقاط (من) ونصب مابعدها شائع كثير في مثل هذا التركيب .

٢ ـ أن يكون الموضع بحق الأصالة ، فلا يجوز مثلاً أن تقول : جئتُ حاملاً رايةً وعلم ، ولا : عرفتُ شاباً كريماً أبوه وأخيه ، لأن اسم الفاعل أو اسم المفعول ، أو الصفة المشبهة ، إذا استوفى أحدها شروط عمله ، فالأصل أن يعمل نصباً أو رفعاً ، لأنه في ذلك يشبه الفعل ، ولذلك يكونَ الموضع للنصب أو للرفع بحق الأصالة ، أما جر مابعده على الإضافة فليس بأصل ، ولذلك كان العطف عليه بالجر غير جائز .

٣ ـ بقاء العامل الذي يجتلب الإعراب ، ويطلبه لذلك المحل ، ومن هناك لايجوز أن يقال : إن (الصابئون) في قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون و . . . ﴾ (المائدة : ٦٩) معطوف على محل اسم (إن) ، لأن العامل الذي كان يرفع(الذين) ـ وهوالابتداء ـ قد زال بدخول (إنَّ) ، ولم يعد قادراً على اجتلاب الرفع أو يطلب لذلك المحل .

٦ ـ العطف على التوهم :

وهذا أسلوب آخر من أساليب العطف لم يجعله النحاة في فصيح

---

(١) كان بعض النحاة ـ كابن جني ـ يجيزه .

الكلام ، ولم يعدّوه في الأساليب المستقيمة ، فهو في نظرهم نوع من الغلط ـ كما يسميه سيبويه أحياناً ـ غير أنهم فَسَّروه تفسيراً نفسياً ، فذكروا أن الشاعر أو المقرىء لبعض آي القرآن تنتابه حالٌ من حالاتِ السهو من جراء استغراقه في الموضوع أو الفكرة ، فتسيطر عليه الأعراف اللغوية والأبنية التركيبية ، فيسوق كلامهُ على وَفْق ماتوهمه منها والمقام لايحتمله لأنه مبني على أصول أخرى .

وبيت الفرزدق التالي يوضح هذا :

مشائيمُ ليسو مُصْلحينَ عشيرةً ولاناعبٍ إلا ببينٍ غُرابُها

فأنت ترى كيف عطف (ناعبٍ) على (مصلحينَ) . وكيف جر الاسم المعطوف على اسم منصوب . وهذا في ظاهره غلط ، ولكن ماعلة هذا الغلط؟ إن الفرزدق انتابته حالة من السهو وهو ينظم هذا البيت ، فتوهم أنه أدخل الباء الزائدة على (مصلحين) لأنه خبر (ليس) الذي تكثر فيه زيادة الباء ، ولذلك بنى كلامه في الشطر الثاني على ما توهمه لا على مااستخدمه فعلاً .

ومثل هذا البيت بيت آخر شائع في كتب النحو يُنسب فيها إلى زهير تارة وإلى صِرْمةَ الأنصاري تارة أخرى ، هو :

بدا لي أني لستُ مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

فقد جر المعطوف (سابقٍ) لأنه توهم أنه أدخل الباء على (مدرك) .

وحمل بعض النحاة على هذا قول الأعشى :

إن تركبوا فركوبُ الخيلِ عادُتنا أو تنزلونَ فإنا مَعْشَرٌ نُزُلُ

إذ عطف (تنزلون) على (تركبوا) ، ولكنه لم يجزمه كما يقتضي العطف ، بل رفعه لأنه توهم أنه لم يقل : إن تركبوا ، بل قال : أتركبون .

٧ ـ حذف حرف العطف ومعطوفه :

إذا كان سياق الحال يدل على حرف العطف وماعطف يجوز حذفهما من ظاهر الكلام ، من ذلك ماجاء في قوله تعالى : ﴿ وجعل لكم سرابيلَ تقيكمُ الحرَّ ﴾ (النحل : ٨١) فقد حذف الواو ومعطوفها لدلالة سياق الحال عليهما ، والتقدير : تقيكم الحرَّ والبرد .

وأوضح من هذا قوله تعالى : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه ، فقلنا اضرِبْ بعصاك الحجرَ فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ (البقرة : ٦٠) أي : فضرب فانفجرت . فحذف الفاء وجملة (ضرب) المعطوفة على جملة (قلنا . . .) ومثله : ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ (البقرة : ١٨٤) أي : من كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فأفطرَ . ومثله : ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه ففدية من صيام أو صدقةٍ أو نُسُكٍ ﴾ (البقرة : ١٩٦) أي : فحلقَ . وجاء في الشعر منه قول أبي ذؤيب الهذلي :

دعاني إليها القلب إني لأمره سميع ، فما أدري أرُشْدٌ طِلابُها

فقد حذف حرف العطف (أم) ومعطوفها وهو : غَيٌّ أو ضلال . والتقدير : أرشد طِلابُها أم ضلال .

وقد تبين لك مما تقدم أن حرف العطف الذي يمكن حذفه مع معطوفه هو الواو ، أو الفاء ، أو أم .

وقد يحذف حرف العطف وحده ويبقى معطوفه كقول الشاعر :

كيف أمسيت ؟ كيف أصبحتَ مما يــزرعُ الــوُدَّ فــي فــؤادِ السقيــمِ

أي : وكيف أصبحت ؟ فحذف الواو وأبقى الجملة المعطوفة . وقد كثر هذا في الأساليب الحديثة ، ولاسيما في أسلوب القُصاص والمسرحيين .

٨ ـ العطف على محذوف :

وكذلك قد يحذف المعطوف عليه لدلالة سياق الحال عليه ، وذلك كما ترى في قوله : ﴿ ويكلم الناسَ في المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴾ (آل عمران : ٤٦) فقوله : كهلاً ، معطوف على محذوف ، وهو : وليداً أو طفلاً ، إذ التقدير : يكلم الناس وليداً في المهد وكهلاً .

ومثل هذا قوله : ﴿ وإذا مسَّ الإنسانَ ضُر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً ﴾ (يونس : ١٢) أي : دعانا مضطجعاً لجنبه أو قاعداً .

٩ ـ عودة الضمير إلى المعطوف :

١ ـ إذا عطفت اسماً على اسم بالواو أو بالفاء أو بثم كثر أن يكون الضمير العائد إلى المعطوف والمعطوف عليه مثنىً أو جمعاً ، بحسب عدد المعطوف والمعطوف عليه ، تقول مثلاً :

ـ محمد وخالدٌ ذهبا .

ـ فاطمة وزينب التقتا .

ـ محمد وإخوته ذهبوا .

ـ فاطمة وأخواتها ذهبن .

لأن هذه الأحرف ـ كما علمت ـ تفيد الجمع ، أي اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم .

هذا هو المِلاكُ العام ، ولكن جاءت نصوص تخالفه ، من ذلك قوله : ﴿ والله ورسولُه أَحَقُّ أن يرضوه ﴾ (التوبة : ٦٢) فقال : يرضوه ، ولم يقل : يرضوهما . وهذا القول مبني على التقديم والتأخير ، وأصله : والله أحق أن يرضوه ، ورسولُه كذلك . وعلى هذا يكون قوله : (ورسوله) مع خبره المحذوف جملة معترضة بين المبتدأ (الله) وخبره (أحقّ) ، وهذا عندي أحسن ماذكر في الآية من وجوه[1] .

وقال تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهبَ والفضة ثم لاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ (التوبة : ٣٤) فقال : ينفقونها ، لا : ينفقونهما . مع أن الضمير يعود إلى شيئين هما الذهب والفضة . وسبب ذلك أن الذهب والفضةَ كنوز أو أموال ، فكأنه قال : ولاينفقون تلك الأموال .

ومن ذلك قول ضابىء البرجمي :

فمن يك أمسى في المدينة رحله ... فإني وقياراً بها لغريبُ

وقول ابن أحمر :

---

(١) انظر : الرازي : ١٦/١١٨ ـ ١١٩ .

رماني بأمرٍ كنتُ منه ووالدي بريئاً ومن أجل الطَّوِيِّ رماني[1]

فقد قال الأول : فإني وقياراً لغريب ، ولم يقل : لغريبان . وقال الثاني : كنت منه ووالدي بريئاً . ولم يقل : بريئين . وكأن كلاًّ من الشاعرين استغنى بضمير الواحد عن ضمير الاثنين ، لأن الضمير واقع في الخبر .

وهذا في العطف بالفاء و (ثم) أكثر منه ، تقول : زهير فمحسن ذهبَ . أو : زهيرٌ ذهبَ ثم محسنٌ . لأن حذف الخبر لذكره في الكلام مسوغ مقبول . أما إن كان الضمير في غير الخبر فالأكثر المطابقة ، تقول : رأيت أباك فأخاك ففرحتُ بهما . وجاء زيدٌ فسالمٌ الصديقان .

وإذا اختلف المعطوف والمعطوف عليه في الجنس غُلِّب المذكر على المؤنث ، تقول : زينب وأخوها أقبلا علينا مبكريْنِ .

٢ ـ أما إذا كان العطف بالحرف (أو) الذي يعني أحد الشيئين ، ولا يعني التنوع ولا الجمع ، فإن الضمير يعود إلى أحد الشيئين ، تقول :

ـ زيدٌ أو سعدٌ جاءَ .

ـ أخوك أو أبوك لقيته .

ومنه جاء في قوله تعالى : ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرمِ به بريئاً فقد احتمل بهتاناً ﴾ (النساء : ١١٢) فأعاد الضمير إلى الإثم فأغنى عن إعادة الضمير إلى الخطيئة . وقال أيضاً : ﴿ وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها ﴾ (الجمعة : ١١) فأعاد الضمير إلى التجارة فأغنى عن ضمير اللهو .

وإذا كانت (أو) للتنوع أو للجمع فالأحسن أن يعود الضمير مطابقاً للمعطوف والمعطوف عليه ، كما في قوله : ﴿ إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ﴾ (النساء : ١٣٥) .

ومثل (أو) من الأحرف العاطفة : بل ، وأم ، ولكن ، ولا . تقول : زيدٌ لا سعدٌ لقيته . زيد بل سعدٌ حياني . أزيدٌ أم سعدٌ حياكَ ؟ مارأيتُ زيداً لكن سعداً ففرحت بلقائه .

---

(١) الطوي : البئر .

١٠ ـ تقديم المعطوف على المعطوف علّيه :

لايجوز تقديم المعطوف على المعطوف عليه في غير لغة الشعر للضرورة ، فلا يقال في النثر : جاء وزيدٌ أبوك . وماجاء منه في الشعر قليل ، كقول يزيد بن الحكم الثقفي :

جمعــتَ وفحشــاً غيبــةً **ونميمةً** ثلاثَ خصالٍ لستَ عنها بمُرْعوي

أي : جمعت غيبة وفحشاً ونميمةً . ومثله قول الأحوص :

ألا يــانخلــةً مــن ذاتِ عــرقٍ عليــكِ ورحمــةُ الله الســلامُ

أي : عليك السلام ورحمة الله .

١١ ـ العطف على معموليْ عاملٍ أو عاملين :

من الجائز أن تقول : حمل سميرٌ الكرةَ وأخوه المضرِبَ . أي : وحمل أخوه المضربَ . فـ (أخوه) معطوف على (سمير) و (المضرب) معطوف على (الكرة) . وكل من المعطوف عليهما معمول للفعل : حمل .

وجاء في الشعر العطف على معمولي عاملين مختلفين ، كقول الفرزدق :

وباشَرَ راعيها الصِّلى بلِبانِهِ وجنبيه حَرَّ النارِ مايتحرَّفُ[١]

أي : وباشر بجنبيه حرَّ النار . فعطف ـ كما يرى الأخفش ـ (جنبيه) على (لبانه) ، وعطف (حَرَّ) على (الصلى) . وكل من المعطوف عليهما معمول لعاملٍ مختلف عن الآخر ، (فالصلى) منصوب بالفعل (باشر) و (لبان) مجرور بالباء . ومثل ذلك قول أبي دؤاد الإيادي :

أكــلَّ امـرىءٍ تحسبيــن امـرأً ونــارٍ تَــوَقَّـدُ بــالليــل نــاراً

فقوله (نارٍ) معطوف على (امرىءٍ) و (ناراً) معطوف على (امرأً) .

ويرى نحويون آخرون أنه لايجوز العطف على معمولي عاملين مختلفين ، ولذلك يقدرون عاملاً جديداً ، يقدرون في بيت الفرزدق مثلاً :

(١) الصلى : النار . اللبان : موضع اللبن .

وبجنبيه حرَّ النار . وفي بيت أبي دؤاد : ـ وكلَّ نارٍ توقد . . .[1] .

١٢ ـ الفصل في أسلوب العطف :

ويجوز الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما ليس بأجنبي ، تقول مثلاً : قام زيدٌ اليومَ ومحمودٌ . والأصل : قام زيد ومحمود اليوم . وإنما جاز ذلك لأن الظرف (اليوم) معلق بالفعل (قام) ، وهذا يعني أنه ليس بأجنبي ، لأنه معمولٌ للعامل الذي يعمل في المعطوف عليه مباشرة .

ويجوز كذلك الفصل بالمفعول المطلق إذا كان معمولاً لعامل المعطوف عليه ، كقول الشاعر :

فصَلَقْنا في مُراد صَلْقَةً   وصُداءٍ ألحقتهم بالثَّلَلْ[2]

فقوله : صلقة . مفعول مطلق ، و (صداء) معطوف على (مراد) .

وقد جاء الفصل بأجنبي في قوله تعالى : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهَكم وأيديَكم إلى المرافقِ ـ وامسحوا برؤوسِكم ـ وأرجلَكم إلى الكعبين ﴾ (المائدة : ٦) فعطف (أرجلكم) على : (وجوهَكم) وفصل بينهما بالجملة : وامسحوا برؤوسكم . هذا في قراءة من قرأ بالنصب ، أما من قرأ بجر (أرجلكم) فلا فصل حينئذٍ . ولايجوز الفصل بين الواو أو الفاء ومعطوف كل منهما ، فلا يقال مثلاً : ذهب الشتاء حميداً و ـ رعاك الله ـ الصيفُ . وأجاز بعضهم الفصل بين (ثم) ومعطوفها ، مثل : اعملْ خيراً ثم ـ وقاك الله ـ ترقبِ الأجر .

☆ ☆ ☆

(١) ولا يخلو تقديرهم من إشكال ، إذ أن من أصولهم أن عامل الجر إذا حذف بطل عمله . انظر في المسألة : ابن عصفور . شرح الجمل الكبير : ٢٥٦/١ وما بعدها .

(٢) صلق فيهم وصلقهم : أوقع فيهم وقعة شديدة . والثلل : الهلاك .



فهرس الموضوعات

القسم الثاني
المرفوعـــات

القسم الثالث
المنصـــوبـــات

القسم الرابع
المجرورات

القسم الخامس

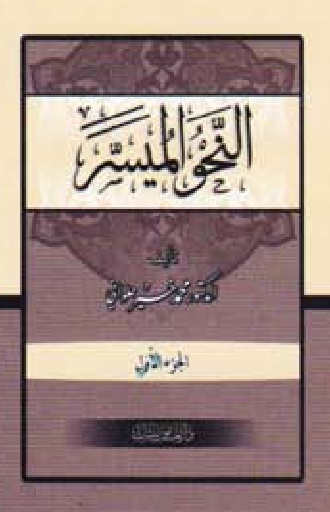
التوابع

* * *



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


النحو الميسر




ISBN 978-9933-498-90-0
9 789933 498900